

ج ١، ٢٤ - رجب، شعبان، سنة ١٤١٩هـ - تشرين ٢، كانون ١ (نوفمبر، ديسمبر) سنة ١٩٩٨م

التصحيح في أسماء المواضع الواردة في الأخبار والأشعار

(٢٣)

زُخَيْخُ: (رُخَيْخُ)

قال ياقوت في «معجم البلدان»: (زُخَيْخُ تصغير زخ، وزخٌ يَزُخُ إذا دفع في قفا رجل، وهو موضع كانت به وقعة لتميم، وهو على مرحلتين من فلج، على جادة الحاج، قال زيد الخيل:

غدت من زُخَيْخٍ ثم راحت عَشِيَّةً بحِبرانٍ إرقال الفَيْقِ المُجَفَّرِ
قد يطلق اسم زُخَيْخٍ على موضع في جهة فُلجٍ على طريق الحُجَّاجِ، وهذا ما لا
أعرفه. أما بيت زيد الخيل فصواب الاسم فيه (رُخَيْخُ) بالراء المهملة لا بالزاي،
وقد تحدثت عن هذا الموضع فيما تقدم، وأضيف الآن ما علقته به على كتاب
نصر، إذ قال: وأما براء وخاءين منقوطين، وقيل بدال وحاء وجيم موضع قرب
المكِّيمِ وحِبرانِ والروحاء. فعلقت بقولي: رُخَيْخُ المقرون بحِبرانِ جبلٌ لا يزال
معروفًا، وقد تحدثت عنه بتوسع في (قسم شمال المملكة) من «المعجم
الجغرافي» وأوردت قول زيد الخيل: (١)

غدت من رُخَيْخٍ ثم راحت عَشِيَّةً بحِبرانٍ إرقال الهَجِينِ المُجَفَّرِ

وأوضحت أن جبران جبل يقع شمال جبل الرُّخَيْخ، وأن رُخَيْخ جبل يقع غرب جبل (أدبي)، وشرق جبل (رَخَّة) متصل به، وأشارت إلى تصحيف الأسماء، وجبل (الرُّخَيْخ) يقع بقرب (خط الطول: ٥٨ / ٤٠ وخط العرض: ٢٦ / ١٠) كما حددت جبل جبران، وذكرت أن الاسم يطلق على جبلين أحدهما جبل أسود في حرَّة ليلَى، من أبرز قممها، يقع جنوب بلدة (الشَّملي) (بقرب خط الطول: ١٥ / ٤٠ وخط العرض: ٢٦ / ٣٠) والجبل الثاني يقع في الشمال الغربي من جبل مُتَالع، في منطقة الجبلين (بقرب خط الطول: ٣٨ / ٤٠، وخط العرض: ٤٥ / ٢٧) أما المَكِيمَن فلم يذكر ياقوت في «المعجم» سوى مَكِيمَن الجَمَاء في عقيق المدينة، واستشهد عليه بقول عدي بن الرقاع، وما أراه قصده، والرُّوحَاء عند إطلاق الاسم يقصدُ بها الموضع المعروف بقرب المدينة في الطريق إلى مكة، فالمواضع الثلاثة التي ذكرها نصرٌ متباعدة. ولم أر في «المعجم» اسم (دُحَيْج).

زَمَع: (رَمَع)

قال البكري في «معجم ما استعجم»: (زَمَع - بفتح أوله، وإسكان ثانيه، وبالعين المهملة - من منازل حمير باليمن، وبعضهم يقول: زَمْعَة، بالهاء، وكان رسول الله ﷺ قد قَسَمَ اليَمَنَ على خمسة رجال: خالد بن سعيد على صنعاء، والمهاجر بن أبي أمية على كندة، وزبياد بن لبيد على حضرموت، ومعاذ بن جبل على الجند، وأبي موسى على زبيد، وزَمَعَة وعدن والساحل). وقد أورد البكري الاسم صحيحاً في حرف الراء، فقال: (رَمَع بكسر أوله وفتح ثانيه وبالعين المهملة غير مُجْرَى، أرض باليمن قبل زبيد، وهي من المخاليف التي تُعْظَمُ أعنابها، حتى لا يحملُ الرجلُ الجلد منها أكثر من عُقُود واحد، وتنسجُ في رَمَع البرود الجياد، قال الطائي:

وَسَرُّوْ وَشِي كَانَ شِغْرِي أَحْيَا نَا نَسِيبُ الْعَيْوْنَ مِنْ بَدَعِه
لَا فِي رِقَامٍ وَلَا قَرَاهٍ وَلَا زَيْيْدُه مِثْلُه وَلَا رَمَعَه

وهذه كلها من مخاليف اليمن، تنسج فيها البرد الجياد.

وقال ياقوت في «معجم البلدان»: (رِمَع - بكسر أوله وفتح ثانيه وعين مهملة، مُرْتَجِلٌ -: موضع باليمن، وقيل هو جبل اليمن، وقال نصر: رِمَع قرية أبي موسى ببلاد الأشعرين من اليمن قرب غَسَّان وزَيْيد، وقال ابن الدُمَيْنة: يتلو وادي زَيْيد رِمَع، وهو وادٍ حارٌ ضيق، أوله من أشراف جَهْران وغربي ذي خَشْران، إلى وادي الشجبة، ويهريق فيه من يمينه جنوبي الهان وأنس، ومن شماله بلد جمع وسرية حتى يرد شجبان فسلك بين جَبْلان العركبة وجبلان ريمة وظهر بدُوَال، فسقى مزارعها إلى البحر، وفي أسفل رِمَع موضع الماء الذي كان يسمى غَسَّان، قال أبو دهب الجمحي يمدح الأزرق بن عبدالله المخزومي وقد عَزَل عن اليمن:

ماذا رُزْنَا غداة الخَلِّ من رِمَعٍ عند التَّفَرُّقِ من خيمٍ ومن كرمٍ
ظَلَّ لَنَا واقفاً يُعْطِي فأكثر ما قلنا وقال لنا في بُعْدِهِ نعمٍ
ثم أنتحي غير مَذْمُومٍ وأعيُننا لَمَّا تولى بِدَمَعٍ واكفِ سَجْمِ

وقد تكرر الاسم كثيراً في «صفة جزيرة العرب» مع مواضع أخرى عُلِّقَ عليها القاضي محمد الأكوخ بقوله: (أما اليوم ففي رِمَعٍ وغيره الجهل المطبقُ والوباء القتال). وقال أخوه القاضي إسماعيل في كتاب «البلدان اليمانية عند ياقوت»: (رِمَعُ وادٍ مشهور بين وادي زَيْيد جنوباً وبين سَهَامِ شمالاً). انتهى، وكل هذه الأودية من أودية تهامة تنحدر من سراة اليمن حتى تفيض في البحر على مقربة من مدينة زَيْيد.

زَيْتَةٌ: (رَيْتِيَّة)

قال ياقوت في «معجم البلدان» (زَيْتَةٌ - بكسر أوله وهمز ثانيه، وقد لا يهمز - واشتقاقه من الزَيْتة معروف، فأما مَنْ هَمَزَهُ فلا أعرفه، إلا أن يقال: كلبٌ زَيْتِيٌّ

وهو القصير، والظاهر أنه غير مهموز، قال الأصمعي: قال لي بعض بني عقيل: جميع خفاجة يجتمعون ببيشة وزينة، وهما واديان، أما بيشة فتصب من اليمن، وأما زينة فتصب من السراة - سراة تهامة - وقال ابن الفقيه: طوله عشرين يوماً في نجد، وأعلاه في السراة، ويسمى عقيق تمر، وقيل: الذي فيه عقيق تمر هو زبية، بتقديم الباء الموحدة، والله أعلم بالصواب. انتهى.

أشرت فيما تقدم إلى أن مبالغة حرص ياقوت - رحمه الله - على تحري الاسم الصحيح من كتب نقل عنها محرّفة ألجأه إلى كتابة الاسم الواحد بعدة صور، ومن ذلك (زئنة) والصواب (رئية) التي أورد تعريفها ونقل هذا الكلام عند ذكر اسمها الصحيح (رئية)، فقال: (رئية - بفتح أوله وسكون ثانيه ثم ياء مشاة من تحت خفيفة يقال: رنا إليه يرثو رثوا إذا دام النظر، يقال: ظل رانياً وأرناه غيره، فيجوز أن يكون رئية من ران كأنه مرة واحدة: وهي قرية من حد تبالة عن أبي الأشعث الكندي، يسكنها بنو عقيل، وهي قرب بيشة وتثليث وييمم وعقيق تمر، وكلها لبني عقيل، ومياها بثور، والبثور: الأحساء تجري تحت الحصى على مقدار ذراعين، وذراع، وربما أثارته الدواب بحوافرها). انتهى.

وما أورده من وصف في المواضع المصحفة ينطبق على هذا الوادي الكبير الذي تجتمع فيه عدة روافد، ويحوي كثيراً من السكان والقرى، ولا يزال معروفاً - من أشهر المناطق في عالية نجد، والهجري يورد الاسم مهموزاً، وينقل عن شيخه أبي محمد الرنوي، من ساكني رنة وقال: (أهل تربة ورنة من سلول وختعم ونهد وجرم وهم نهيّة في الفصاحة)، وقال أيضاً: (أبو محمد الرنوي أفصح من رأينا ولقينا بهجر). وقال في ذكر الحرار: (حرار العرب أولها حرة بني هلال وهي منبتة من الحرار برنة من حجاز النجد المتيمان، بينه وبين أول حرة

بني سليم تبتدى من ذات عرق ورهاط) كذا، ولم يرد تقدير المسافة بين الحرثين في المخطوطة الهندية من «النوادر والتعليقات» - ص ٢٨٠ - .

سِغْرُ: (شِغْر)

قال ياقوت في «معجم البلدان»: (سِغْر - بالكسر والرأء - : جبل في شِعر خُفَّاف بن نُذْبَةَ). انتهى.

لعل مصدر ياقوت هذا ما جاء في كتاب نصر من قوله: (سِغْر بكسر السين المهملة: جبل في شِعر خُفَّاف).

وخُفَّاف معروف أنه عمير بن الحارث السُّلَمي، من الشعراء الإسلاميين، ونُسب إلى أمه نُذْبَةَ، وقد جمع شعره الدكتور نوري حمودي القيسي، ولم أر فيه اسم (سِغْر).

وقد أورد البكري في «معجم ما استعجم» في رسم (شِغْر) نقلاً عن أبي عبيدة في شعر خُفَّاف بن نُذْبَةَ:

تَطاول ليلَهُ بِبِراقِ شِغْرٍ لَذُكْرهم وأيُّ أوانِ ذُكْرٍ
ولا أَسْتبَعِد أن يَكُون اسم (شِغْر) بِالشَّيْنِ المَعْجَمَةِ المَكسُورَةِ تَصَحَّفَ على
نصر ومثله ياقوت، وتقدم الكلام عن شعر مبسوطاً، ولكنه ليس في بلاد بني
سليم، بل في بلاد بني كلاب من بني عامر، ولكن الاسم الواحد قد يطلق على
عدة مُسَمَّيات، فلعل أحدهما في بلاد بني سليم، إلا أنه ورد في شعر خُفَّاف -
بِالشَّيْنِ المَعْجَمَةِ لا بِالسَّيْنِ المَهْمَلَةِ.

(للحديث بقية)

حمد الجاسر

«أنساب الأشراف» للبلاذري

نظراً لكثرة موضوعات هذا الجزء فإن مجلة «العرب» سوف توالي نشر ملاحظاتها حول تحقيق الأستاذ محمود فردوس العظم لهذا الكتاب في الأجزاء التالية إن شاء الله.

برية بن أبي اليسر الرياضي وكتابه «تلقيح العقول»

لم يذكر مصدر من المصادر المطبوعة صاحبنا برية هذا، ولم يترجم له أحد، ولم يقف عنده أو عند كتابه مرجع من المراجع التي ألفت في الأدب العربي، فكل ما نعرفه عنه أنه ابن إبراهيم بن محمد الشيباني، المعروف بأبي اليسر الرياضي.

وحياة أبي اليسر هذا نفسها - كما ترسمها المصادر - أقرب إلى الغموض منها إلى شيء آخر، فكل ما لدينا منها ما ذكره ابن الأبار،^(١) فنقله عنه المقرئ نقلًا يكاد يكون بالفاظه^(٢).

وهذا الذي ذكره ابن الأبار هو أقرب إلى الاضطراب منه إلى شيء آخر، ومن آيات هذا الاضطراب أن يقال عنه: إنه (لقي من الشعراء أبا تمام والبحثري، ودعبلا وابن الجهم) ويقال بعد ثلاثة عشر سطرًا معدودة عددًا: إنه (توفي بالقيروان سنة ثمان وتسعين ومئتين.. وهو ابن خمس وسبعين سنة) وكأن القائل يذهل عن أن يحسب عمر أبي اليسر يوم التقى أبا تمام، فإذا كان قد توفي سنة ٢٩٨ هـ وله من العمر خمس وسبعون سنة، فإن ذلك يعني أنه ولد سنة ٢٢٣ هـ وأنه كان يبلغ من العمر الثامنة يوم توفي أبو تمام، فكيف تهيأ له أن يلتقيه وأن يروي ديوانه بحيث يحمل ابن الأبار هذه الرواية عنه فيقول: إنه يروي «ديوان أبي تمام» (عن ابن زرقون، عن الخولاني، عن أبي القاسم حاتم بن محمد، عن أبي غالب تمام بن غالب بن عمر اللغوي، عن أبي سعيد عثمان بن سعيد الصيقل، عن أبي اليسر، عن أبي تمام).

أسوق كل هذا أريد أن أقول: إنه لا يكاد يصح عندي مما ورد في ترجمة أبيه إلا أنه من أهل بغداد، هاجر منها في سنة لا نعرفها، فاستقرت به الحال في إفريقية كاتبًا لأميرها إبراهيم بن أحمد بن غالب، ثم لابنه أبي العباس عبد الله، ثم صاحب بيت الحكمة لزيادة الله بن عبد الله آخر ملوك الأغالبة.

ويغلبُ على الظنُّ أنا أبا اليسر كان شيعي المذهب، وأنه نجح في أن يخفي تشيُّعَهُ عن مخدوميه الأغالبة، فقد رأينا يرافق الداعي الفاطمي عند توجهه إلى سجلماسة، ثم يرافقه وهو يتوجّه إلى تاهرت، يقضي على دولة الرُستُميين فيها: دولة الخوارج الإباضيين، وكنا رأينا أيضاً يكتب لعبيد الله الشيعي في رقادة أيضاً^(٣).

ولابدُّ أن يكون ابنه بريّةً قد ورثَ عنه هذا التشيُّع لآل بيت النبوة.

لا نعرف متى ولد بريّة، ولكننا نستطيع أن نُخمّن أنه بلغ العشرين من عمره،

قبل وفاة أبيه، فقد رأينا يروي عنه في كتابه هذا شيئاً من شعره، أثناء مرضه، فإذا صحَّ هذا - ولا شيء يمنع من صحته - كان معنى ذلك أنه ولد في العقد الثامن من القرن الثالث، ولعل مولده كان في سنة ٢٧٨هـ - على وجه التقريب لا

التحديد - أما مكان هذا الميلاد، فيغلب على الظنُّ أنه كان بالقيروان، فقد رأينا أن أباه كان من أهلها، فإن لم يكن ابنه بريّةً قد ولد بها فلاشك أنه قد نشأ بها،

وأنها قد شهدت طفولته.

ولم يكن أبو اليسر - كما رأينا - من عامّة الناس، وإنما كان (أديباً شاعراً مرسلًا حسن التأليف) له من الكتب: «لقبط المرجان» قيل عنه: إنه أكبر من «عيون الأخبار» لابن قتيبة، وكتاب «سراج الهدى» في القرآن ومشكله وإعراجه ومعانيه، و«المرصعة» و«المدبجة» و«قطب الأدب» وسوى ذلك من الكتب حتى قيل: (إنه هو الذي أدخل [إلى] إفريقية رسائل المحدثين، وأشعارهم، وطرائقهم) وإنه (كان عالمًا)^(٤).

وأبٌ مثل هذا لا بد أن يكون عني بتأديب ابنه، وبتلقيه مبادئ العلوم، مما يبيح لنا أن نتخيل أن صاحبنا أخذ أول ما أخذ عن أبيه.

على أننا لا نعرف - بعد هذا - أحداً من أساتذته في القيروان، ولم يدلنا هو في كتابه على أحد منهم.

ويبدو أنه شد الرحال - ولعل ذلك كان بعد وفاة أبيه - إلى العراق موطن أبيه

وموطن أهل العلم يطلب فيه العلم، وكان ذلك قبل سنة ٣٠٠هـ^(٥)، وإنما نصصتُ على هذه السنة، لأنني رأيتُه يروي في موضعين من كتابه عن أبي أحمد المنجّم، المتوفى - كما هو معروف - في تلك السنة.

وقد كان طريقه إليه يمر بمصر، وقد توقف فيها - على ما يبدو - ولقي فيها جملة من أدبائها، فروى عنهم في كتابه هذا، من مثل: سيويه المصري، وأبي سهل الحاسب، فقد قال: (حدثنا أبو سهل الحاسب، ونحن معه في بعض حوانيت الفسطاط، فقال..)^(٦)، ولكن قلة شيوخه فيها لا تدلنا على أنه أطل الإقامة فيها، فلم تكن مصر يومذاك من الحواضر التي تقصد لطلب العلم.

وتوجه صاحبنا إلى العراق، فأقام في بغداد وفي البصرة فأخذ فيهما عن: أبي أحمد المنجّم المتوفى سنة ٣٠٠هـ، وأبي محمد الأبحري - ولم أعرف من هو - وهو يروي عن أبي العيناء، وأبي الطيب الكاتب - ولم أعرف من هو أيضًا - وابن الوزير، وكان من رواة شعر ابن الرومي وقد وصفه أبو العيناء بأنه (كباش الزنادقة)^(٧). وأبي الحسن الأهوازي - ولم أعرفه - وأبي بكر بن الأنباري المتوفى ٣٢٨، وأبي سهل الأهوازي - ولم أعرفه -، وأبي أحمد بن إسماعيل العلوي، وهو من رواة شعر علي بن محمد الحماني العلوي المتوفى سنة ٣٠١هـ على وجه التقريب - ولا أعرف عنه أكثر من ذلك، وأحمد بن سليمان السري، وهو من رواة شعر الحماني أيضًا - ولا أعرف عنه أكثر من ذلك، وأبي الباساني وهو من رواة شعر الحماني أيضًا، وشعر أحمد بن أبي طاهر المتوفى سنة ٢٨٠ - ولا أعرف عنه أكثر من ذلك - والناقد الشاعر - ولم أعرفه - وأبي عبدالله الكرمانى الوراق المتوفى سنة ٣٢٩هـ، تلميذ ثعلب، وقد التقى به في البصرة، وأبي إبراهيم الأبيدي - ولم أعرفه - .

وكما أخذ من أفواه الرواة والعلماء، عكف على ما وقع بيده من مؤلفات العلماء يفيد مما بها، فمن المؤلفات التي اطلع عليها وهو في العراق: «أخبار بني المهلب» و«أخبار أبي العتاهية»، و«البيان والتبيين» للجاحظ، وبعض كتب أبي

بكر الصولي، ولم يسمه، و «كليلة ودمنة» وقد نقل منه نصوصاً لم أجد بعضها في مطبوعته اليوم، وكتاب «الآداب» لابن المعتز، وقد نقل منه نصوصاً لم أعر على بعضها في مطبوعته.

ويمكن أن تدلنا هذه الكتب التي ذكرها على ميله إلى الأدب الرطب الذي لا تكلفه قراءته مشقةً ولا عتاً على أن ذكره إياها لا يعني أنه اقتصر عليها، وإن كنا لا نعلم على وجه اليقين ما أضافه إليها في قراءاته.

ويبدو أن إقامته في بغداد قد امتدت إلى أيام الخليفة الراضي الذي تولى الخلافة من سنة ٣٢٢هـ حتى سنة ٣٢٩، فقد روى حديث أبي عبدالله الكرمانى عن أبي بكر الصولي أنه قال: (كنا بين يدي الراضي - وأنا أذكر فضائل المكتفي - فلم يعجبه ذلك)..

وأكد أظن أنه عاد إلى موطنه قبل سنة ٣٢٩، يدفعني إلى هذا الظن أنه توقف في رواية ما تمثل به خلفاء بني العباس عند الخليفة المكتفي الذي كانت سنة ٢٩٥هـ آخر سنة من سنوات خلافته، ولعله أهمل ذكر الخليفين: المقتدر والقاهر لهوان شأنهما عنده، وعند الناس، فقد كانت شغب أم المقتدر هي الخليفة الحقيقي في عهد ابنها المقتدر، وكان القاهر على ذوق الخمر أقدر منه على ذوق مرارة الخلافة وحلاوتها، فإذا استقام تصورنا سبب إهماله أخبار ذينك الخليفين قلنا: إنه غادر بغداد، والراضي ما يزال خليفة، لم تجرؤ الألسن بعد على لوك سيرته، والخاص من أخباره، مما يتيح له تدوين شيء منهما، كما فعل في أخبار سواه من آبائه.

وعاد إلى موطنه - كما أرجح - أثناء خلافة القائم الفاطمي (٣٢٢ - ٣٣٤هـ)، ولكننا لا نعرف ما إذا كان اتصل به أم لا؟ على أننا نعرف أنه اتصل بابنه الخليفة المنصور (٣٣٤ - ٣٤١هـ) وأهداه كتابه «الأمثال السائرة والأبيات النادرة» فقد تحدث هو عن هذا الإهداء في مقدمة كتابه الذي أتحدث عنه، ولا

يبعد أن يكون المنصور قد نظر إليه بعين الرعاية، فمن المعقول أن يكون قد حفظ له حُرمة أبيه الذي رافق الداعي إلى سجلماسة - كما رأينا - ثم رافقه وهو يقضي على دولة الرستميين إلى تاهرت، والذي استكتبه عبيدالله الشيعي في رقادة.

وإذ توفي المنصور، وتولى ابنه المعز الخلافة سنة ٣٤١هـ اتصل به، فألف له كتابه هذا «تلقيح العقول» ويبدو أنه أهدها الكتاب، والمعز في صبرة القيروان لم يغادر بعد إلى مصر في سنة ٣٥٨هـ ولم يبتن القاهرة المعزية، يدلنا على ذلك حديثه عن المعز في مقدمة الكتاب، ووصفه إياه بالحدائث في قوله عنه: (الواسع الحلم الذي لم تستهزه فيه الحدائث..) إذ كان عمر المعز^(٨) يوم ولي الخلافة - في إفريقية - لا يتجاوز الرابعة والعشرين، على حين قد تجاوز الأربعين يوم نقل ملكه إلى مصر، مما لا يصح معه أن يوصف بالحدائث.

والكتاب حصيلة ثقافته العراقية، فقد قال عنه: (فلما سافر عبد أمير المؤمنين إلى العراق، ورأى أدبائه، وكتابه لا يتكلمون في معنى من المعاني حتى يُقدّموا قبل كلامهم مثلاً مشهوراً، وبيتاً مذكوراً يُنبئ عما يريد [ون] الكلام فيه، واستحسن ذلك منهم جعل كلّما سمع مثلاً سائراً، وبيتاً نادراً، كتبه ووعاه، ليكون له ذخيرة إلى تأليف كتاب جامع فيه، وكانت نفسه تنازعه إلى ذلك في الغربية، فحال بينه وبين ذلك تقسّم قلبه في البلدان، واشتغاله بالترحُّل إلى الأوطان).

(فلما استقر بعبد أمير المؤمنين القرار، وقعد عن الأسفار، واستوطنت به الدار استنهض نفسه إلى تأليفه فوجد فيها قوّة تنهضه إلى ذلك)^(٩).

وأدركت صاحبنا الشيخوخة، والمعز في المغرب، فقد رأيناه يشكو من آثارها في كتابه بقوله: (كنت أسمع بكاء من بكى على الشباب، ونوح من ناح عليه، فاتوهم أن ذاك للخلاعة والمجانة، حتى ابتليت بفقده فوقفت على أخبار القوم..)^(١٠).

ويبدو أنه توفي في هذه المرحلة من عمره في سنة لا نعرفها ولا تعرفها مصادر الأدب^(١١).

نسبة الكتاب: قلت: إنه لم يذكر أحدٌ صاحبنا بريّة، فأحرى أن نتصور أن لم يذكر أحدٌ كتابه أيضاً، ولكن هذا التصور ليس في محله تماماً، فقد انفرد ابن ظافر الأزديُّ بنقول عن كتابنا هذا في كتابه «بدائع البدائه» نصٌّ فيها أنه ينقل - كما قلت - عن هذا الكتاب^(١٢) على أن هذا النقل أثار لنا مشكلتين أولهما: أن اسم بريّة قد ورد فيه مصحفاً على (يزيد) ولا أعرف إن كان التصحيف قد لحق اسم صاحبنا من قلم المؤلف ابن ظافر الأزدي، أو من قلم المحقق محمد أبو الفضل إبراهيم، رغم أنني أميل إلى الاحتمال الثاني، لأن معنى وروده على (يزيد) عند ابن ظافر الأزدي أن نعيد النظر في صحة ما ورد على وجه الورقة الأولى من مخطوطات الكتاب على أنه اسمه، إذ ورد فيها اسمه (بريّة)، ولعل تقارب الرسمين هو الذي جعله بتصحف على (يزيد) لأن من المستبعد جداً أن يُسمي رجل شيعيٌ مثل أبي اليسر ولدًا من أولاده باسم صار علماً على قاتل الحسين بن علي سبط رسول الله وريحانته عليه صلوات الله وسلامه، أعني يزيد بن معاوية، لا يكاد يتعداه إلى غيره، على أنه من المهم أن أقول إن حاجي خليفة^(١٣) وقد ذكر الكتاب، لم يذكر اسم مؤلفه.

أما المشكلة الثانية فهي ذكره الكتاب على أنه في الأمثال، وكذلك فعل حاجي خليفة، ويبدولي أن مقدمة المؤلف هي التي أوجت إليهما بذلك، أقول هذا لأنني لم أر شيئاً من الأمثال التي نعرفها على أنها من أمثال العراقيين^(١٤) في هذا الكتاب، وإنما الذي ورد فيه هو أقرب إلى الحكمة والموعظة، والحث على مكارم الأخلاق، منه إلى الأمثال.

أما حاجي خليفة فإن اهتمامه بتقسيم تدرج تحته أسماء الكتب هو الذي جعله - زيادة على السبب الذي ذكرناه - يدرجه تحت كتب الأمثال، فليس هناك باب أليق به من باب كتب الأمثال.

وذكر الكتاب له من المعاصرين المستشرقان الألمانيان (كارل بروكلمان)^(١٥)

و (رودلف زلهاميم)^(١٦) ولم يطلع زلهاميم على الكتاب، فأثبت عنوانه «تلقيح العقول في الأمثال والحكم» ولم ترد عبارة (في الأمثال والحكم) في عنوان الكتاب وإنما نقلها عن آخر.

وإذن فكتاب «تلقيح العقول» هو لبرية بن أبي اليسر الرياضي غير مدفوع. أما أهمية الكتاب: فأريد أن أتحدث عنها فأقول: يغلب على الظن أن هذا الكتاب هو أول كتاب في الأدب يصل إلينا من الحقبة الفاطمية المغربية، فلم أعثر على من ذكر كتاباً في الأدب أسبق منه فقال: إنه وصل إلينا، ومن هنا فالكتاب يمكن أن يكون أنموذجاً مبكراً للتأليف الأدبي في المغرب العربي. وليس من قبيل المصادفة أن يكون في الأدب الأندلسي كتاب مثل «العقد الفريد» يكاد ينعقد برمته على الأدب في المشرق العربي، وأن يكون في الأدب المغربي هذا الكتاب، فقد كان الأدب المشرقي قبلة الأدبين في مرحلة من مراحلهما.

وإذا كان «العقد الفريد» قد تناول الأدب العربي في المشرق حيثما كان من أرض الأدب الواسعة فإن هذا الكتاب قد وقف عند العراق لم يتعدّه إلى سواه إلا قليلاً. وإذا كان ابن عبد ربه قد احتفل بإيراد شعره في ثنايا «العقد الفريد» فإن برية قد احتفل أيضاً بإيراد كثير من شعره في كتابه، وإيراد قليل من شعر أبيه، مما جعله متفرداً برواية شعر أبي اليسر، إذ لم يورد مصدر من المصادر التي ترجمت لأبي اليسر - مما نعرف - شيئاً من شعره رغم إجماعها على أنه كان شاعراً.

وزاد الكتاب على ذلك فتفرد برواية شيء يسير من شعر بكر بن حماد التاهرتي، ونسب إليه ما تداولته مصادر الأدب على أنه لسواه، وروى أشياء يسيرة لشعراء مغاربة لا نعرف عنهم شيئاً مثل ابن أخت أبي العتاهية ورحمون الفارسي. وروى من الأدب في العراق ومصر ما لم أعثر عليه في مصدر سواه، فقد روى من شعر الجاحظ - وأنا أمثل ولا استقصي - ما ليس في مصدر من المصادر التي نعرف، وكذلك فعل وهو يروي من شعر أحمد بن أبي طاهر، ومحمد بن حازم

الباهلي، وروى للناقد الشاعر شيئاً من شعره، ولم نكن نعرف الناقد الشاعر فضلاً عن أن نعرف شعره، وقدم لنا أديبين لم نجد لهما ذكراً في مصادر الأدب هما: أبو الطيب الكاتب، وأبو سهل الحاسب، وروى عن آخرين مجهولين، سوى هاؤلاء، مما هو واضح في حواشي التحقيق.

ولعل هذا الكتاب هو الكتاب الوحيد الذي تحدث لنا عن جوانب إنسانية تدل على خبرة عميقة بالحياة لم نكن نعرفها لدى نفر من علمائنا الأوائل، مثل الخليل بن أحمد الفراهيدي وابن الأعرابي وابن الأنباري وأبي عمرو بن العلاء، أما ابن الأنباري فقد بدأ في هذا الكتاب أقرب إلى الحكيم منه إلى النحوي اللغوي الذي نعرف.

على أن أهم ما يلفت النظر - من وجهة نظري - في هذا الكتاب هو صورة الخلفاء الفاطميين في الحقبة المغربية من خلافتهم، فقد دأب الدارسون على دمج مرحلتي خلافتهم المغربية والمصرية، والحديث عنهم - في المرحلتين

معاً - على أنهم إنه لم يكونوا آلهة في عيون أنفسهم وعيون أتباعهم فأنصاف آلهة، حتى يُخيَّل لمن يصغي إلى أحكام هاؤلاء الدارسين أن أولئك الخلفاء قد مرقوا عن الإسلام مروق السهم من قوسه وحسبك من هذا أن تجد من يزعم: أن (الإمام عند الإسماعيلية هو الواحد الأحد الفرد الصمد المنتقم الجبار) (١٧)، فراح يُعلِّلُ سخف مطلع قصيدة ابن هاني الأندلسي بمدح المعز الفاطمي القائل:

ما شئتَ لا ما شاءت الأقدار فاحكم فانت الواحد القهارُ
بأنه من عقائد الفاطميين في أنفسهم، ولأعرف لماذا لم يعلل الباحثون قياساً على استنتاجهم عقائد الفاطميين من شعر ابن هاني قول يزيد بن مفرغ الحميري في خالد بن... أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبدشمس، وسعيد بن عثمان بن عفان:

والبهاليل خالد وسعيدُ شمس دجن، ووضح كالهلال
في الأرومات والذرا من بني العيب ص، قروم إذا تعد المعالي
كنت منهم ما حرموا فحرامٌ لم يراموا وحلهم من حلالي (١٨)

أقول: لا أعرف لماذا لم يعللوا قول ابن مفرغ بأن التحريم والتحليل في آياته من عقائد ولاة الأمويين في أنفسهم، بأنهم أنبياء مرسلون، يحللون ويحرمون؟ ولكن ذلك ليس بصحيح في الحالين، لأن تلك أساليب الشعراء وذلك هو الشعر. ويهمني الآن أن أقول: إننا لا نجد ظلاً لاعتقاد الفاطميين المزعوم في أنفسهم بأنهم آلهة أو انصاف آلهة في حقبة خلافتهم المغربية، كما يدلنا عليه هذا الكتاب، فقد رأينا المعز الفاطمي في مقدمة الكتاب لا يزيد عن كونه أمير المؤمنين يُدعى له كما يُدعى لأي خليفة آخر سواء أكان عادلاً أم جائراً، ويسبغ عليه من الصفات ما يُسبغ على نظرائه سواء أكانوا من أهل السنة أم من الخوارج، فهو (معز الدين أمير المؤمنين، الإمام من الأئمة المهديين، والخلفاء الراشدين، مولانا أطل الله بقاءه، فجعله أحمد رحمة للعالمين، وبركة في الغابرين، يهدي به من الظلمات، ويستنقذ به من الهلكات..)^(١٩) ولم يُدعَ لأبيه المنصور بأكثر من (قدس الله روحه، ونور

ضريحه)^(٢٠) كما يُدعى لأي إمام من أئمة الجمعة، فأين هي الألوهية؟

هذه واحدة، فأما الثانية فهي أنني لم أر في طول الكتاب وعرضه شيئاً من التجريح بصحابة رسول الله - عليه صلوات الله وسلامه - سواء ممن اختلفوا مع الإمام علي بن أبي طالب - عليه السلام - أم ممن وآوه ولم أر أيضاً شيئاً من التقديس يُضفي على شخصية الإمام أو على أحد أبنائه من أئمة الشيعة، فلم يزد لدى ذكرهم على الترضي عنهم.

ولا أريد أن أخوض في عقائد الفاطميين بمقدار ما أريد أن أدعو المتخصصين أن ينبذوا عقائدهم المذهبية الضيقة التي ورثوها عن الأميَّات من العجائز وراء ظهورهم، وأن ينظروا إلى الحقائق العلمية كما وقعت^(٢١) لا كما يتخيلها الهاجس المذهبي، فيدرسوا أسباب تحول عقائدهم - وهم في مصر - عما كانت عليه وهم في المغرب.

وبمقدار ما يدعوننا هذا الكتاب إلى إعادة النظر في عقائد الفاطميين يدعوننا

إلى إعادة النظر في موقفهم من الخلافة العباسية، فقد بدت هذه العلاقة طبيعية إلى الحد الذي كان فيه (الباب الخامس والخمسون بعد المئة فيما تمثل به الخلفاء من بني العباس)، فلم يذكر فيه ما يمكن أن يتقصر من أقدارهم، أو يسوء إلى ما انطبع في الأذهان من احترامهم، أو ما يراد من ذكره أن يزحزحهم عن إمرة المؤمنين، فهل يكون كل ذلك قد جاء مصادفةً ليست بذات معنى؟!

وعلى أية حال، تلك مسألة لم أشأ أن أسكت عنها، لأنني أريد أن ينظر إلى تراثنا على أنه إرث أمة لا إرث طائفة واحدة، تنظر إليه على هواها، وكأنها وحدها تمتلك الحقيقة التاريخية والدينية.

ومن أهمية الكتاب ما يثيره من مشكلات اصطلاحية، فمن هذه المشكلات استعمال المؤلف مصطلح (التمثل) فالذي نعرفه أن التمثل يعني الاستشهاد بقول آخر، سواء أكان هذا القول مثلاً أم بيت شعر أو ما هو بسبيلهما، وبهذا المعنى كان الثعالبي قد ألف كتابه «التمثل والمحاضرة»^(٢٢)، ولكننا نجد المؤلف يستعمل هذا المصطلح للقول يتمثل به قائله، وللبيت يتمثل به ناظمه تارة، ويستعمله كما استعمله الثعالبي وسواه تارة أخرى، أي أن يتمثل الرجل بقول سواء، ويمكنني أن أسوق على ذلك مثلاً بقوله وهو يتحدث عن الخليفة العباسي المهدي: (ومما تمثل به [وقد] كتب إلى الخيزران وهي بمكة:

نحنُ في أفضل السرور، ولكن ليس إلا بكم يتم السرورُ
عيبُ ما نحن فيه يا أهل ودي أنكم غيبٌ ونحن حضورُ
فأجدوا المسير، بل إن قدرتم بحياتي بأن تطيروا فطيروا

فأجابته).^(٢٣) والأبيات - كما يدل سياقها على ذلك - للخليفة المهدي نفسه، هذا إلى أن القرطبي قد نسبها إليه^(٢٤) وأسوق مثلاً آخر بقوله - وهو يتحدث عن الخليفة العباسي المنصور - (ومما تمثل به في موت عمرو بن عبيد:

صلى الإلهُ عليك من متوسدٍ قبر [أ] مررتُ به على مرآن

فالأبيات قد أوردها ابن خلكان على أنها من شعر المنصور نفسه^(٢٥).

هذان مثلان سقتهما على ما يتمثل به المرء من شعره هو، وأسوق الآن مثلاً على ما يتمثل به من شعر غيره بقوله - وهو يتحدث عن المنصور نفسه - (ومما تمثل به، وهو على المنبر، لما بلغه خروج محمد بن عبدالله:

مالي أكفك عن سعد وتشميني ولو شتمت بني سعد لقد سكنوا
جهلاً علينا وجبناً عن عدوهم؟! لبست الخلتان الجهل والجبن^(٢٦))

فالبيتان - كما هو معروف - لقعب بن ضمرة الغطفاني المعروف بابن أم صاحب^(٢٧).

ومشكلة أخرى يثيرها الكتاب هي معنى الإنشاد، فالمعروف أن المنشد ينشد - في العادة - شعر غيره، إلا إذا نصَّ على أنه أنشد لنفسه، ولكننا نجد بريّة لا يتقيد - دائماً - بهذا المعنى في الإنشاد، فقد تراه يجمع المعنيين معاً في صفحة واحدة كمثل قوله: (... وأنشدني أبو أحمد المنجم في هذا المعنى:

ويعرضُ لي حقٌ ولا استطيعهُ ولا يقبل العافون أهلاً ومرحبا

وأنشدني [ابن] الوزير ببغداد، قال: أنشدني ابن الرومي لنفسه:

أبا بكر لك المجد المَعْلَى وخذُ عدوك التربُّ الذليل^(٢٨)

فلا تعرف إن كان ما أنشده أبو أحمد المنجم هو له أم رواه؟ أقول هذا، لأنني رأيتُه يقول: (وأنشدني أبو سهل الحاسب:

تقاضاك دهرك ما أسلفا فكدر عيشك بعد الصفا

فلا تنكرن؛ فإنَّ الزمان جديرٌ بتثيت ما ألقا)^(٢٩)

فوجدت أن البيتين من شعر محمد بن أبي محمد اليزيدي^(٣٠).

ولا أعرف الآن إن كان ذلك يجب أن يدعونا إلى النظر في دقة لغة بريّة، أم أنه يجب أن يدعونا أن نؤرخ للفظ (أنشد)، تلك مسألة أردت أن أثيرها لا أن أبحث فيها.

وأجيء إلى كتاب بريّة الموسوم بـ «تلقيح العقول» فأقول: إن لدينا منه أربع نسخ، هي نسخة (مكتبة ليدن) ونسختا (الظاهرية) ونسخة (عاشر أفندي)، في تركية، فأما نسختا (الظاهرية) فهما ناقصتان نقصاً فادحاً وأما (راغب باشا) فهي

قد توحى بالكمال، ولكنها ليست كذلك، وحسبك من هذا أن اعتمد ناسخها على خطه الجميل، فأغفل لدى النسخ كل ما استعصت عليه قراءته، حتى لقد وجدته قد أثبت أربعة عشر بيتاً من أرجوزة تعدادها أربعون بيتاً، فإذا سألتني عن سبب فعله ذلك قلت: يغلب على ظني أنه فعله لسببين: ضعف الذمّة، وصعوبة قراءة الأصل الذي نسخ عليه.

أما نسخة ليدن وهي متأخرة شأنها في ذلك شأن مثيلاتها، إذ فرغ ناسخها منها في (يوم الأربعاء المبارك من شهر ربيع الثاني من شهر سنة ثلاثة [كذا] وثلاثين بعد الألف) فهي أتم النسخ المعروفة من الكتاب، وأكملها ولكن مشكلتها جهل ناسخها محمد بن محمد الجزري المعروف بابن ممتى، فهو لا يفهم ما ينسخ، ويبدو أنه كان (فتاح فال) اتخذ من الكتاب له عوناً على مهنته، فكتب على أعالي أوراقها جملاً من مثل: (يا فتاح الفال أبشر خيراً) ومن مثل: (هذا الأمر فيه رضاء الله فلا تترك فانت رشيد) وهكذا. ودع عنك مهنته واسأله لتدرك مدى جهله عن شهر لم يكن فيه أربعاء!!

وأريد أن أدع ما شؤّه به الكتاب فأعرض إلى منهجه، لأنني تحدثت عن طبيعته، فأقول: إنه يتألف من مئة وسبعة وخمسين باباً، كان الباب الأول منها (باب المجاوبة بالشعر والتمثيل [كذا] به) وينتهي الباب السابع والخمسون بعد المئة بعنوان (من الحكم المنثورة) وبين هذين البابين أبواب هي أقرب ما تكون إلى العناوين التي تتداولها كتب المحاسن والأضداد من مثل قوله في الباب الثالث: (فيما يتمثل به في طلاب الأدب) ومن مثل قوله في الباب الرابع: (فيما يتمثل به فيمن استغنى بأدبه عن حسبه ونسبه) وهكذا على أن نفهم أن هذا الكتاب هو مرحلة من مراحل التأليف في هذا الموضوع، وهو في منهجه هذا يكاد يكون امتداداً غير متقن لمنهج ابن قتيبة في «عيون الأخبار»، فإذا نجد ابن قتيبة يُسلسل ما يريد الحديث عنه تسلسلاً أقرب ما يكون إلى وضوح الرؤية، والقصد، نجد أن صاحبه كأنه يلهث وراء التفريع، فهو يتبع منهج ابن قتيبة طيلة الأبواب الأولى من كتابه إذ يظل يتابع فضل الأدب - على سبيل المثال - فيعقد الباب الخامس لما (يتمثل به فيمن مُدح بنفسه لا بسلفه) والسادس لما (يتمثل به

فيمن شرف حسيبه أدبه) وهكذا، ولكننا نجده يعرض عن هذا المنهج إلى منهج يُدكرنا بما نراه في كتب المحاسن والأضداد من مثل قوله في الباب السابع والثمانين: (ما يتمثل به في مدح العاقل وذكر فضله) وقوله في الباب الذي يليه: (ما يتمثل به في ذم الحمق).

وإذن استطيع القول أن منهجه في الكتاب لم يكن على وتيرة واحدة، وأستطيع القول أيضاً أن حجم الأبواب التي عقدها لم يكن على وتيرة واحدة، فإذ نجد أن الباب الأول قد استغرق خمس ورقات من نسخة (ليدن) وأن الباب الخامس والخمسين بعد المئة قد استغرق ما يقرب من عشر ورقات، نجد أن بعض الأبواب لا يزيد على سطرين اثنين كما في الباب الثالث والخمسين بعد المئة والباب الثاني والخمسين بعد المئة، والباب الثالث والأربعين بعد المئة، وغيرها مما لا فائدة من إحصائه.

وطريقته في أغلب الأبواب أن يبدأ بحكمة مأثورة أو غير مأثورة، ثم يثني عليها بشعر، ونادراً ما ينسب الحكمة إلى صاحبها، أو الشعر إلى قائله، ويمكن أن أضرب على ذلك مثلاً بباب لم اختره وإنما اتفق لي اتفاقاً هو (الباب الثالث والعشرون بعد المئة فيما يتمثل به فيمن يتشاغل بما لا يعنيه) فقد بدأه بقوله: (قالت الحكماء: من تشاغل بما لا يعنيه فاته ما يعنيه)^(٣١) ثم ثنى على ذلك بقوله: (وقال الأول:

ضيعتُ مالا ببدلي منه بمالي منه بُدُّ
وقال الآخر:

إذا استغنيت عن شيء فدعه وخذ ما أنت محتاج إليه)
ولا أريد أن أطيل في نقد الكتاب، وإنما أردت أن أعرف به وبمؤلفه على أنني أرجو - وقد فرغت من تحقيقه - أن أوفق إلى نشره والله ولي التوفيق.

بولنده: محمد حسين الأهرجي

الحواشي:

(١) ينظر «التكملة» ١٧٣. (٢) ينظر «نفع الطيب» ٣/ ١٣٤ - ١٣٥.

(٣) ينظر «البيان المغرب» ١/ ٢٠٩.

(٤) نفساهما، ولا أكاد أشك في صحة ما ذهب إليه الأستاذ هلال ناجي في مجلة «المورد»: ٤٥، مج ١٢، ع ٢ من

تكملة بنياد دائرة المعارف الإسلامي

- أنه هو كاتب «الرسالة العذراء»، فقد ورد على نسخها المخطوطة أنها مما كتب به إبراهيم بن محمد الشيباني لابن المدبر، وكذلك قال ابن عبد ربّه في نقله عنها. ينظر «العقد الفريد» ٤/ ١٥٩، ١٧١ - ١٧٢ وفي صفحات أخرى. هذا ولم يترجم له الداودي في «طبقات المفسرين»، ولم يذكر كتابه: «سراج الهدى».
- (٥) لا عبرة بما أوحى به برية في مقدمة كتابه من أنه زار العراق أثناء خلافة المنصور الفاطمي (٣٣٤ - ٣٤١هـ)، لأن معظم شيوخه المذكورين في الكتاب توفوا قبل خلافته، فلم له لم يحسن التعبير عن تاريخ سفره.
- (٦) «تلقيح العقول»: ٤. (٧) «زهر الآداب»: ٦٥٧.
- (٨) ولد المعز، معد بن إسماعيل المنصور يوم الاثنين الحادي عشر من رمضان سنة ٣١٧. ينظر «السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي» ١٠٣.
- (٩) «تلقيح العقول» ٢ ظ. (١٠) السابق: ٤٤ ظ.
- (١١) جعل كارل بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي» ٢: ٢٧٧ وفاته سنة ٣٤١هـ، ولا أعرف مصدره في ذلك.
- (١٢) ينظر - على سبيل المثال - «بدائع البداهة» ١١٠ - ١١١، ٢٢٢، ٣٤٥، ٣٤٦.
- (١٣) ينظر «كشف الظنون» ١٧/٢.
- (١٤) جمع أبو بكر الخوارزمي هذه الأمثال في كتابه: «الأمثال» الذي صدر في الجزائر بتحقيقنا عام ١٩٩٣، ولم نرفه من الأمثال ما يلتقي بما ورد في هذا الكتاب.
- (١٥) ينظر «تاريخ الأدب العربي» ٢/ ٢٧٧.
- (١٦) ينظر «الأمثال العربية القديمة»: ١٨٢.
- (١٧) ينظر «الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج» ١٠٧ للأستاذ محمد الطمار.
- (١٨) ديوانه: ١٩١ - ١٩٢. (١٩) «تلقيح العقول» ١ ظ. (٢٠) السابق: ٢ ظ.
- (٢١) من اللافت للنظر أن تسمى النقود الفاطمية عبيد الله المهدي بعد الله، وأن تصرّف كتب التاريخ أن تسميه عبيد الله تحقيراً لشأنه، فيتابعها على ذلك الباحثون العلميون المعاصرون، ينظر بحث (المسكوكات الفاطمية) في مجلة «معهد الآثار» في جامعة الجزائر، ١٩٩٣.
- (٢٢) هكذا ورد اسم الكتاب في نسخته المخطوطة المحفوظة بمكتبة جامعة ليدن، وهي نسخة جليّة في ضبطها وقدمها، ولكن محقق الكتاب الدكتور عبدالفتاح محمد الحلوم يطلع عليها، واكتفى في تحقيق الكتاب بالنسخ المحفوظة في مصر - وهي نسخ متأخرة ناقصة - فأثبت عنوانه: «التمثيل والمحاضرة» مما دعاني أن أكلف الأستاذة زهية سعدو بإعادة تحقيقه رسالة لنيل دكتوراه الدولة، وقد سجلت هذه الرسالة بجامعة الجزائر.
- (٢٣) «تلقيح العقول» ٥٤ ظ. (٢٤) ينظر «بهجة المجالس» ١/ ٨١٩.
- (٢٥) ينظر «وفيات الأعيان» ٣/ ٤٦١، ونقلها عنه بهاء الدين العاملي في «الكشكول» ١/ ٢٣٤.
- (٢٦) «تلقيح العقول»: ٥٤ ظ.
- (٢٧) تنظر نسبتها في «حماسة أبي تمام»: ٤٦١، و«حماسة البحري» ٢٤٨، و«اللسان» - وزن، و«مختارات شعراء العرب» ٣٠، و«لباب الآداب» ٤٠٣، و«محاضرات الأدباء» ١/ ٣٦٠.
- (٢٨) «التلقيح» ١٥ و. (٢٩) السابق: ٤٢ ظ - ٤٣ و.
- (٣٠) ينظر «معجم الشعراء» ٣٥٥، وفيه زيادة بيت ثالث.
- (٣١) القول في كتاب «الآداب» لابن المعتز: ١٢٤ وروايته: (من تكلف ما لا يعنيه...).

قراءة معاصرة في نص تراثي:

الحوار في حكايات «كليلة ودمنة»

أتبع لحكايات «كليلة ودمنة» أن تصاغ صياغة فصيحة ميزتها عن حكايات «ألف ليلة وليلة» وسواها، إذ صاغها عبدالله بن المقفع الذي مارس الكتابة الفنية وبرع فيها، وكان محط أنظار الفصحاء في عصره خلال النصف الأول من القرن الثاني الهجري، ومهما قيل عن أصلها الهندي وترجمتها إلى الفارسية فإن طابع الثقافة العربية بين فيها، بل إن الأصل الهندي قد ضاع، وظلت هذه الصياغة هي المعمول عليها في العودة إلى هذا الأثر التراثي النفيس^(١).

ولأن ابن المقفع استفاد من علوم عصره وأخباره، وطبيعة لغته في نقل هذا الأثر مما كان له انعكاس على «كليلة ودمنة» بطريقة وبأخرى، لذلك فقد انصهرت تلك الحكايات في بوتقة موهبته الفذة، فحادت قوة التأثير من خلال

رموزها ودلالاتها، وهو ما كان يعيه ابن المقفع وينص عليه، بل إن اختياره لهذا النص بالذات، ونقله بأسلوبه المؤثر يعطي دلالة على أن ابن المقفع كان يريد أن يقول شيئاً لم يستطع التصريح به في عصره، فأورده على هذا النحو الرامز، ودليلنا على هذا أن ابن المقفع يوصي قارئ هذا الكتاب بأن: (يديم النظر فيه ويلتمس جواهر معانيه، ولا يظن أن مغزاه إنما هو الإخبار عن حيلة بهيمتين، أو محاورة سبع لثور، فينصرف بذلك عن الغرض المقصود).^(٢) ويفصل ابن المقفع في موضع آخر موضحاً هدفه من كتابه، ومن خلال الباب الذي أضافه تحت عنوان (غرض الكتاب) يورد فيه إنما قصد به مستوى يستمتع به (أهل الهزل من الشبان فيستميل به قلوبهم.. والثاني إظهار خيالات الحيوانات بصنوف الألوان والأصباغ ليكون أنساً لقلوب الملوك.. والثالث أن يكون على هذه الصفة فيتخذها الملوك والسوقة فيكثر بذلك انتساخه ولا يبطل فيخلق على مرور الأيام.. والغرض الرابع وهو الأقصى وذلك يخص الفيلسوف أعني الوقوف على أسرار معاني الكتاب الباطنة)^(٣) ولم يخب ظن ابن المقفع في كتابه

الذي لم تذبّل نضارته بمرور الأيام بل احتفت به الأجيال، لأنه ممّا يُشعُّ بإبهاء آتٍ شتّى، وفي شعب متنوّعة، منها ما يفيد الإمتاع والاستئناس، وهو هدفٌ مهمٌّ من أهداف الأدب والفن، ومنها ما يعلم ويربّي وهو الهدف المهمُّ الآخر للأدب والفن كليهما على أن لا يأتي ذلك التعليم وتلك التربية على نحو مباشر بل تمتزجان بالإمتاع، وتلتحمان معه فلا يمكن الفصل بينهما بأيّ شكل من الأشكال.

ويبدو أنّ صياغة هذا الأثر على يد ابن المقفع قد أثارت ردّ فعل قوياً في الأدب العربي القديم (ذلك أن عبدالله بن الأهواني قد كلّف بأن يترجمه مرة ثانية) ثم صاغه نظماً - في نحو أربعة عشر ألف بيت - أبان بن عبدالمجيد بن لاحق أيضاً، وحاكاه في ذلك شعراء آخرون ومنهم علي بن داوود، وبشر بن المعتمر، وأبو المكارم أسعد بن خاطر، ولم يصلنا من هذه الآثار الأدبية إلا نحو سبعين من نظم أبان بن عبدالمجيد، نقلها الصولي في كتابه: «الأوراق»^(٤).

لقد لاقت حكايات «كليلة ودمنة» هوىً في النفوس في حينها ذلك أنها تعبير عن حاجة المجتمع للنقد الاجتماعي والسياسي، ولم تكن ثمة وسيلة لمثل هذا النقد إلا على لسان الحيوان، كما عبر أحد الباحثين^(٥) فضلاً عن أنّ لحكايات الحيوان جذوراً ممتدة في الأدب العربي جعلته يحتضن حكايات «كليلة ودمنة» فلا ينكرها أو يرفضها بل أن (الكسندر كراب) يجعل الشرق العربي أصلاً لحكايات الحيوان، وقد انتقلت إلى الهند والإغريق فيما بعد^(٦).

والحوار أداة فنية مشتركة تخص كل فنون القص، وقلما يستغني فن قصصي عن الحوار، وهو في أبسط تعريفاته حديث متبادل بين شخصيتين أو أكثر^(٧). وربما يكون الحوار حديثاً منفرداً مع الذات فيدعى (المونولوج)^(٨).

ولا يظهر الحوار في فنون القص على مستوى واحد، بل إنه يأخذ شكل الفن الذي يأتي من خلاله، ويكتسب خصوصية مستمدة من طبيعة الفن الإبداعي ولذلك فإن الحوار في الفن المسرحي يتسم بسمات لا نجدها في الفن الروائي أو فن القصة القصيرة، ناهيك عن الفنون الجديدة التي تطلبتها وسائط الإعلام العملاقة، كـ (التلفاز)، والسينما والإذاعة. و الحوار في هذه الفنون عامة يتصف

بقدر من الاتساق والمهارة، لأنه حصيلة التطور الدائب لهذه الفنون، فالحوار في أنماط القصّ المعاصرة، يشتمل على نسبٍ موزونة من الإيقاع والأتزان، وأن صوته ووقوعه في النفوس لهما أثر بالغ في تقويم العمل الفني^(٩).

فإذا عكسنا ذلك على حكايات «كليلة ودمنة» فإننا نجد حواراً ذا خصوصية مستمدة من طبيعة الحكايات، وظرفها التاريخي والحضاري، لذلك فإن أية موازنة بين فنون القصّ المعاصرة وحكايات «كليلة ودمنة» تبدو قاصرة نظراً لاختلاف السياقات الزمانية والمكانية، ومع ذلك لا نعدم خُطوطاً عامة مشتركة يلتقي فيها الحوار في الحكايات بالحوار في فنون القصّ المعاصرة. وتقف هذه الدراسة عند الحوار في «كليلة ودمنة» لأنه من أبرز الأدوات الفنية في هذا النص التراثي، ذلك أن فكرة هذا الأثر قائمة على الحوار بين الفيلسوف (بَيْدَبَا) والملك (دَبْشَلِيم) وكل الكتاب عبارة عن حوار متصل بين الشخصيتين، فالحوار ينطوي على الحكاية الرئيسة التي انتظمت الكتاب، والتي تقوم على عزم الفيلسوف على التصدي للحاكم الظالم ووعظه، وجلبه إلى طريق الرشاد، وكيف أن الفيلسوف الصابر واجه حماقات (دَبْشَلِيم) ومزاجه المتقلب، حتى نجح في هدفه النبيل. وحتى الاستهلال الشيق للكتاب التي وردت على شكل حكاية منفصلة في (باب برزويه الطيب) فإنها جاءت على شكل حوار منفرد (مونولوج) وبضمير المتكلم، وعلى لسان الطيب (برزويه) الذي يسرد على القارئ حكاية نسخته الكتاب من خزائن أحد ملوك الهند.

لقد احتضن الحوار عناصر الحكاية وأدواتها الفنية، لا سيما الحدث الذي اتخذ أكثر من شكل، فالشكل الأول الذي يظهر لأول وهلة هو الذي يشبه عنقيداً من الحكايات المرتبطة ببعضها، عن طريق ما يدعوه علماء النفس بـ (تداعي الأفكار الحر) ويعرف بأنه (توارد الأفكار أو الخواطر أو الكلمات على الذهن بصورة حرة)^(١٠). وهو ما دُعيَ عند العرب الأقدمين بالاستطراد، وهو يعني من حيث اللغة التابع^(١١) بيد أنه عند الجاحظ يعني (الانتقال من موضوع إلى آخر لكي لا يملّ القارئ، أو السامع)^(١٢). إن الحوار في «كليلة ودمنة» يقود إلى

حكايات كثيرة متنوعة، ويبدو عدد العناوين بقدر عدد أبواب الكتاب، وبهدف توضيح هذه الفكرة نذكر أن (باب الفحص عن أمر دمنة) الذي يأتي بعد الشروع بحكاية «كليلة ودمنة» التي استأثرت بعنوان الكتاب تضمن مجموعة من الحكايات التي ترتبط ببعضها بخيط التداعي الحر، وعلى النحو الذي نراه في حوار دمنة مع الأسد، وقد كان يقال: (إن الذي يعمل بالشبهة لا يثبُدُ عندها ولا يثبُتُ فيها، يكون قد صدق ما ينبغي أن يُشكَّ فيه وكذَّب ما ينبغي أن يصدقه فيكون أمره كأمر المرأة التي بذلت نفسها لعبدها حتى فضحها، قال الأسد: وكيف كان ذلك؟ قال دمنة: كان بارض...)^(١٣) ويمضي دمنة في سرد حكاياته التي تعزز فكرة مهَّد بها للحكاية، ومثل ذلك يقال عن الحكاية الثانية التي ترد على نحو ما وردت سابقتها: (وأعلموا أن من قال ما لم ير، وأدعى علم ما لم يعلم أصابه ما أصاب الطبيب الجاهل المتكلف فقال له القاضي: وكيف كان ذلك؟ قال دمنة: زعموا أنه كان في مدينة...)^(١٤) ويسرد دمنة الحكاية من خلال

حواره مع الأسد وبقية الحيوانات. وينطبق ما ذكرناه على الحكاية الثالثة: (وقد قال رجل مرة لامرأته: احفظي نفسك ثم اطعني على غيرك، ودعي الناس وأصلحي عيوبك التي أنت بها أعرف وذلك مثلك. فقال سيد الخنازير لدمنة: وكيف كان ذلك؟ قال دمنة: زعموا أنه كانت مدينة...)^(١٥) وفي الحكاية الرابعة التي تأتي في إطار حوار دمنة مع القاضي وبقية الحيوانات: (وإياكم أن يصيبكم ما أصاب القائل بما لا يعلم وما لم يُحط به خُبراً فقال عظيم الجنود للقاضي: وكيف كان ذلك فقال دمنة: زعموا أنه كان...)^(١٦) وترتبط كل أحداث الحكايات التي شكَّلت أبواب الكتاب بالطريقة نفسها.

وإذا تطلعنا إلى أحداث الحكايات الواردة من خلال الحوار من زاوية أخرى رأينا أنها تتخذ شكل دوائر متعددة، فثمة دائرة كبيرة تشكل عنوان الباب، وهي تنطوي على دوائر أصغر في إطار الدائرة الكبيرة بمعنى أن الحدث يبدأ من نقطة ما، ثم يعود إلى النقطة ذاتها مُشكِّلاً ما يشبه الدائرة. يبدأ الكتاب على النحو التالي (قال دبشليم ملك الهند ليبدباً رأس فلاسفته: اضرب لي مثل الرجلين المتحابين

يقطع بينهما الكذب الخؤون، ويحملهما على العداوة والشنآن، قال بيدبا الفيلسوف: إذا أُبْتُلِيَ الرجلان المتحابان بأن يدخلَ بينهما الخؤونُ الكذبُ تقاطعا وتدابرا وفسد ما بينهما من المودة، ومن أمثال ذلك أنه كان بأرض (دستا بند) تاجر مكثر وكان له بنون^(١٧)، ويبدأ بيدبا بأن يسرد حكاية التاجر وبنيه مع الملك. وفي إطار أحداث الحكاية الرئيسية تتشعب حكاية ثالثة من حكاية الرجل الهارب من الموت، التي ترد في سياق أحداث الحكاية الثانية^(١٨) فهي إذْذْ الدائرة الأصغر التي ترد داخل دائرة أكبر منها، وهي بدورها تكون في إطار الدائرة الأكبر التي تستوعب حكاية كليلة ودمنة، التي استأثرت ببايين في الكتاب، ولا تخرج بقية أبواب الكتاب على هذه الطريقة في إيراد أحداث الحكايات. إن هذه الطريقة في إيراد أحداث الحكايات يعدها الدكتور محمد غنيمي هلال سمة من السمات الفنية للحكاية الهندية، ويطلق عليها اسم تداخل الحكايات (فكل حكاية رئيسة تحوي حكايات فرعية، وكل واحدة من الحكايات الفرعية قد تحتوي على حكاية أو أكثر متداخلة فيها كذلك)^(١٩). ويبدو أن هذه الوسيلة في هذه الحكايات قد اقترنت بالحكاية الهندية فالباحث الألماني (دير لاين) يورد ما أورده الدكتور هلال، ويضيف إليه أن (هذه الطريقة في عرض الحكايات عرفها الأدب المصري القديم أيضاً، وهي تقوم على إدخال عدد وفير من الحكايات في إطار الحكاية الواحدة)^(٢٠).

وكما أن الحوار يحتضن الأحداث في هذا الكتاب، فإنه يرد فيعطينا انطباعاتاً عن طبيعة الشخصيات الواردة في حكايات «كليلة ودمنة» وهي وظيفة مهمة من وظائف الحوار في الفنون القصصية قاطبة، فالحوار المفضي إلى رسم الشخصيات يبدو في التشخيص الاستعاري الذي أضفى على الحيوان سمات الإنسان ولوازمه، نلمس فيها ذلك من خلال تلك الأجمة التي جاءت في حكاية كليلة ودمنة، والتي كان فيها أسد يقال له (بنكلة)، وكان ملك تلك الناحية ومعه سبع كثيرة من الذئاب وبنات آوى والشعالب وغير ذلك.. وكان فيما معه ابنا آوى، يقال لأحدهما كليلة وللآخر دمنة وكانا ذوي دهاء وأدب)^(٢١). ومن

الواضح أن هذه المجموعة من الحيوانات إنما هي صورة لمجتمع إنساني مصغر، لم يشأ الكتاب أن يصرّح بأنه مجتمع الإنسان لا الحيوان، فما الأسد العظيم في تلك الغابة إلا الحاكم أو الملك، وربما رمّز الكتاب إلى دور الأدباء من خلال كليلة ودمنة، فدمنة داهية أديب، كما يوصف وقد اتصل بملك الغابة وتقرّب إليه، وبهره بمنطقه وحكاياته وأمثاله، لذلك تتكرر المواقف التي يعجب فيها الأسد بدمنة قبل أن يكتشف خداعه.

وثمة ما يفرينا بأن نقول بوجود مستويين للحوار أحدهما حوار الرعية عامة والأدباء منهم خاصة، وهو يتمثل بحوار دمنة وحكمه، وحوار الشور وسواه من الحيوانات، والمستوى الآخر هو حوار الأسد أو الملك الذي يكشف عن القوة والسيطرة ألا ترى أن ملك الغابة حين يتحدث فإنه يقول ما يعبر عن سلطته واقتداره (قال الأسد لجلسائه: إنه ينبغي للسلطان أن لا يلج في تضييع حق ذوي الفضل والعروعة، ولا وضع منزلته وأن يستدرك ما فاتته من ذلك) (٢٢) في حين أن دمنة يمهد للقاءه مع الملك في هذا الحوار: (لم أزل بباب الملك مرابطاً رجاءً أن يحضر أمر أعين الملك فيه برأيي ونفسي فإن باب الملك تكثرت فيه الأمور التي أحتجج فيها إلى من لا نباهة له، وربما كان صغير المنزل فيكون عنده منفعة بقدره، فإن العود المطروح في الأرض ربما انتفع به الإنسان في حكّ أذنه) (٢٣) ولا نطمح في أن نجد خصوصية في لغة كل من المستويين المذكورين وفي أسلوب التعبير عنهما وعلى النحو الذي نجده في أنماط القصص المعاصرة إذ أن لهذه الحكايات سياقها الحضاري الخاص بها، كما أسلفنا.

إن تشخيص الحيوانات وإسباغ السمات الإنسانية عليها يجعلنا نقرر أن ثمة استعارة كبيرة تنتظم معظم حكايات كليلة ودمنة، وهي الحكايات التي اتخذت من الحيوانات أبطالاً وشخصيات لها، بحيث يمكن القول بأن الحيوانات (مستعار له) وأن الإنسان (مستعار منه)، ومن الواضح أن الإنسان هو الهدف من هذه الاستعارة، وليس الحيوان إلا قناعاً استثمره الكتاب كي يعبر من خلاله بحرية عن

أمر قد لا يستطيع التصريح بها إن لم يلجأ إلى مثل هذه الوسيلة الفنية الرامزة. ويكاد التشبيه يبرز في معظم الحكايات الواردة تعبيراً عن عنصر الشخصية وتعزيراً له، وهو يرد من خلال الحوار، وعن طريق أدواته، وأهمها (الكاف) و(مثل)، ولكي يوضح بيدبا الفيلسوف للملك دبشليم حال الرجل الذي يرى الرأي لغيره ولا يراه لنفسه فإنه يسرد حكاية كاملة هي حكاية الحمامة والثعلب ومالك الحزين: (قال الفيلسوف إن مثل ذلك مثل الحمامة والثعلب ومالك الحزين قال الملك: وما مثلهم؟ قال الفيلسوف: زعموا أن حمامة...)^(٢٤). وبذلك يكون الرجل الذي يرى الرأي لغيره ولا يراه لنفسه (مشبهاً) وتكون الحكاية كلها (مشبهاً به). وهنا يصعب أن نحدد وجه الشبه بكلمة واحدة وإنما يمكن القول بأنه تعبير عن الإنسان الذي يجيد الوعظ ولا يتعظ. لذا فوجه الشبه في صورته هذه يستنبط من متعدد كما يعبر البلاغيون وهو أقرب إلى التشبيه التمثيلي^(٢٥).

وتمّة من التشبيهات المتقنة ما يحفر له مكاناً في الذاكرة، بحيث يصعب نسيانه، ومن ذلك قوله على لسان الطبيب برزويه: (فالتمست للإنسان مثلاً فإذا مثله مثل رجل ألجأه الخوف إلى بشر تدلّى فيها، وتعلق بغصنين نابتين على شفيرها فوقعت رجلاه على شيء عددهما فنظر فإذا هو بأربع أفاع قد أطلعن رؤوسهنّ من أجحرتهن. ونظر إلى أسفلها فإذا هو بتنين فاغر فاه نحوه. ورفع بصره إلى الغصنين فإذا في أصولهما جردان أبيض وأسود يقرضانها دائبين لا يفتران. فبينما هو على ذلك يهتم بالحياة لنفسه إذ نظر فإذا قريب منه كواراة نحل فيها شيء من عسل فتطعم منه واشتغل بحلاوته عن التفكير في أمره)^(٢٦). إن في هذا التشبيه أكثر من أصرة تربطه بحال الإنسان وهو يواصل حياته متناسياً مصيره، وما يؤول إليه. ويتولى برزويه مهمة عقد التشبيهات بين حال الإنسان والصورة التي رسمها إذ يقول: (فشبهت البئر بالدنيا المملوءة آفات وشروراً ومخاوف ومتالف. وشبهت الحيات الأربع بالأخلاق الأربعة التي هي في بدن الإنسان... وشبهت الغصنين بالحياة وشبهت الجرذيين بالليل والنهار، وقرضهما دأبهما في إنفاد الأجل. وشبهت التنين بالموت الذي لا بد منه. وشبهت بالعسل

هذه الحلاوة القليلة التي يصيبها الإنسان فتشغله عن نفسه) (٢٧). إن هذا التشبيه المركب يستثمر جملة حواس، وأولها حاسة البصر التي تبدو من خلال الفأرَيْن الأبيض والأسود، تليها حاسة اللمس المستوحاة من ملمس الأفاعي الأربع، وحاسة السمع المستنتجة من أصوات قرض الجرذين الدائبين، وحاسة الذوق المُستنتجة من حلاوة العسل، إشارة إلى غنى هذا التشبيه وقوة تأثيره النابعة من تَوَغُّله داخل حواس الإنسان ومن إحاطته بظروفه ومصيره.

وَيَتَجَلَّى تَضَادُّ مَوْجٍ بَيْنَ الشَّخْصِيَّاتِ يَرِدُ مِنْ خِلَالِ الْحَوَارِ، وَهُوَ تَضَادُّ قَدْ يَفْضِي إِلَى صِرَاعٍ يَنْتَهِي بِانْتِصَارِ أَحَدِ الطَّرْفَيْنِ، أَوْ أَنَّهُ تَضَادُّ مِنْ نَوْعٍ آخَرَ، إِذْ لَا يُوَدِّي إِلَى هَزِيمَةِ أَحَدِ الطَّرْفَيْنِ، بَلْ إِلَى تَوَافُقِهِمَا وَاتِّسَاقِهِمَا. وَهَذَا مَا نَجَدُهُ فِي ذَلِكَ التَّضَادِّ بَيْنَ بَيْدَبَا الْفِيلَسُوفِ الَّذِي يُمَثِّلُ الرَّعِيَّةَ وَنَخْبَةَ الْمَفْكَرِينَ، مِنْهُمْ خَاصَّةً، وَبَيْنَ دَبْشَلِيمِ الَّذِي يُمَثِّلُ الْمَلِكَ أَوِ الْحَاكِمَ فَهُوَ تَضَادُّ يَنْتَهِي بِالْانْسِجَامِ وَلَكِنْ هَذَا لَا يَطْرُدُ تَمَامًا فَالتَّضَادُّ بَيْنَ كَلِمَةٍ الَّتِي يَجْسُدُ الْحِكْمَةَ وَالْوَفَاءَ وَبَيْنَ دِمْنَةٍ الَّتِي يُمَثِّلُ الْحُمُوقَ وَالغَدْرَ يَنْتَهِي بِنَهَايَةِ دِمْنَةٍ. وَمِثْلُهُ ذَلِكَ التَّضَادُّ بَيْنَ الْأَسَدِ وَدِمْنَةٍ. وَتَزْخُرُ الْحِكَايَاتُ بِالتَّضَادِّ مِنَ النَّمَطَيْنِ كِلَيْهِمَا.

وَتَمَّةٌ تَضَادُّ مِنْ نَمَطٍ ثَالِثٍ يَكُونُ دَاخِلَ الشَّخْصِيَّةِ الْوَاحِدَةِ فَهَذَا مَالِكُ الْحَزِينِ يَنْطَوِي عَلَى تَضَادِّ فِي دَاخِلِ ذَاتِهِ، يَبْدُو مِنْ خِلَالِ نَجَاحِهِ فِي أَنْ يَنْصَحَ سِوَاهُ، وَفِشْلِهِ فِي أَنْ يَنْصَحَ نَفْسَهُ وَقَدْ لَقِيَ حَتْفَهُ بِسَبَبِ ذَلِكَ) (٢٨). بَلْ إِنْ التَّضَادُّ يَحِيطُ بِالْإِنْسَانِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَضْلًا عَنْ أَنَّهُ يَنْبَعُ مِنْ دَاخِلِهِ، فَالْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ ضِدَّانَ يَرْمُزَانِ إِلَى اتِّسَاقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ الْمَعْبُرِينَ عَنْ اسْتِمْرَارِ هَذِهِ الْحَيَاةِ وَتَوَاصُلِهَا، وَمَا حَلَاوَةُ الْعَسَلِ إِلَّا النَّقِيضُ لِلسُّمِّ الزُّعَافِ الْمُرْتَبِطِ بِحَضُورِ الْأَفْعَى وَأَنْيَابِ التَّنِينِ الْمَشْرَعَةِ لِالْتِهَامِهِ، وَمِثْلَمَا تَتَضَادُّ الطَّعُومُ مَا بَيْنَ حَلَاوَةِ الْعَسَلِ وَمَرَارَةِ السُّمِّ فَإِنَّ التَّضَادُّ يَكُونُ عَلَى صَعِيدِ الْأَصْوَاتِ الَّتِي تَحِيطُ بِهِ، فَهُوَ يَسْمَعُ قُرْضَ الْجُرْذَيْنِ لِلْغَصْنَيْنِ اللَّذَيْنِ يَتَعَلَّقُ بِهِمَا وَهُوَ صَوْتُ مَوْجٍ بِالمَوْتِ وَالنَّهَايَةِ الْوَشِيكَةِ، وَلَكِنَّهُ فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ يَنْجَذِبُ إِلَى الْأَصْوَاتِ الْمُنْبَعِثَةِ مِنْ خَلَايَا النَّحْلِ الزَّاخِرَةِ بِالحَرَكَةِ

المعبّرة عن ساعات الهناء القصيرة في هذه الحياة. وأما مشاعره وإحساساته فهي أخلاط شتّى من المتضادات فهو يرغب في هذه الحياة، ويرهبها في الوقت نفسه، وقد يذمّها إحساساً منه بقصرها وفنائها. وتتبع من هذا التضادّ فروع أخرى تشير إلى تناقض حياة الإنسان أحياناً، واشتمالها على الخير والشر وما يتفرع منهما من حق وباطل، وجمال وقبح ووفاء وغدر.

ويحتضنُ الحوارُ الأمثالَ المركزة، والحكمَ الدالة، مما يدفعنا إلى أن نقول بأنَّ ثَمَّةَ رؤية للإنسان وطبيعته وقيوده النابعة من غرائزه وأهوائه ومطامعه، وهناك تكرار لفكرة تغيير أحوال الحياة وتقلّبها (فلما فكَّرتُ في أمر الدنيا وأن هذا الإنسان هو أشرف المخلوق فيها وأفضلها، ثم هو على منزلته لا يتقلب إلا في شرٍّ ولا يوصف إلا به، علمت أنه ليس من أحد له أدنى عقل يفهم هذا ثم لا يحتاط لنفسه، ولا يعمل لنجاتها، ويلتمس الخلاص لها إلا وهو ضعيف الرأي، قليل المعرفة بما عليه وله. ونظرت فإذا هو لا يمنعه من ذلك إلا لذة حقيرة يسيرة من المشرب والمطعم والشمِّ والنظر والسمع واللمس، لعلّه يصيب منه طفيفاً لا يوصف، سريع أنقطاعه، وأمتحاقه وزواله) (٢٩).

ونلمس فكراً قدرياً يؤمن بالقضاء والقدر المكتوبين على الإنسان وذلك من خلال حوار الملك في حكاية الملك والطير قبرة.

قال الملك: قد علمت أنه لا يستطيع أحد لأحد ضرراً ولا نفعاً وأنه لأشياء من الأشياء صغيراً ولا كبيراً يُصيب أحداً إلا بقدر مقدور. وكما أن خلق ما يُخلق، وولادة ما يولد وبقاء ما يبقى ليس إلى الخلائق منه شيء، كذلك فناء ما يفنى وهلاك ما يهلك) (٣٠). وتتكرر هذه المفاهيم عن الحياة الدنيا والإنسان في غضون الكتاب وبين طياته.

وينطوي الكتاب على قيمة تربوية تبرز في تلك العظات التي يوجهها للرعية والرعاة على حدٍ سواء فالملوك (بحاجون إلى النظر في وجوه شتّى فإذا أثروا النظر في بعض تلك الوجوه على بعض لم يأمنوا خطأ البصر وزلل الرأي) (٣١).

وينطلق هذا النص التراثي من فهم لطبيعة الإنسان المتغيرة المتقلبة، فالمودة والعداوة لا تدومان (وكثيراً من المودة يتحول بغضاً وكثير من البغض يتحول محبة ومودة عن حوادث العلل والأمور. وذو الرأي والعقل يهيم لكل ما حدث من ذلك رأياً.. فلا يَمْنَعَنَّ ذا العقل عداوةً كانت في نفسه لعدوه من مقاربتة والتماس ما عنده إذا طمع منه في دفع مَخُوفٍ وَيُعْمَلُ الرَّأْيُ فِي إِحْدَاثِ الْمَوَاصِلَةِ وَالْمَوَادِعَةِ وَمَنْ أَبْصَرَ الرَّأْيُ فِي ذَلِكَ فَأَخَذَ فِيهِ بِالْحَزْمِ ظَفَرَ بِحَاجَتِهِ) (٣٢) ويزخر الكتاب بعشرات الحكم القيمة، والأفكار السديدة ذات الأسلوب المركز الرصين، وجميل حوار الفيلسوف مع الملك إذ يقول له: (إنه لا يقدم على طلب ما يضر الناس ويسوؤهم إلا أهل الجهالة والسهو، وسوء النظر في عواقب الأمور في الدنيا والآخرة، وقلة العلم بما يدخل عليهم في ذلك من حلول النعمة، ويلزمهم من تبعة ما اكتسبوا مما لا يحيط به القول. فإن سلم بعضهم من بعض لمنية عرضت قبل نزول وبال ما صنعوا، اعتبر بهم الآخرون بما ينقطع فيه الكلام والوصف من الشدة وعظم الهول. وربما اتعظ الجاهل واعتبر بما يصيبه من المكروه من غيره، فارتدع من أن يتبلي أحداً بمثل ذلك من الظلم والعدوان، ورجا نفع ما كف عنه في الآخرة) (٣٣).

ونفحات الدين الإسلامي الحنيف بينة في هذا النص وذلك من خلال ورود الآخرة التي يثاب فيها الإنسان الصالح ويعاقب فيها المسيء، وبذلك يعود الأتزان إلى الحياة والمجتمع، فضلاً عن أن الإنسان المؤمن يحرص على أن ينفع الناس لا أن يضرهم. وهذا يعني ضمناً أن صياغة ابن المقفع لهذا الأثر التراثي قد تركت بصمات أصابعه ونبرات معتقده، التي نسمعها في هذا النص وسواه. ويصدر الكتاب معظم الحكايات الواردة فيه بقوله: (زعموا أن) وهو احتراز بارع يوحى بحذر الكتاب من القطع والحسم إذ أن الحقائق في هذه الحياة نسبية وهي تصح إلى حد ما بيد أنها لا يمكن أن تكون مطلقة في جميع الأحوال والظروف ولا سيما تلك الحقائق التي لها صلة بالإنسان وسجاياه وأفكاره) (٣٤).

بابل: د. صبري مسلم

الحواشي:

(١) «عبد الله بن المقفع كليلة ودمنة» تحقيق: الشيخ الياس خليل زخريا، دار الأندلس، بيروت ١٩٦٤، ص ٢٢. وقد ورد هذا الرأي في مقدمة د. عبد الوهاب عزّام لنسخته التي اعتمدها هذا الكتاب وكان د. عزّام قد اعتمد على مخطوطة (مكتبة آيا صوفيا في اسطنبول) وقد كتبت عام ٦١٨ ولم يكتف المحقق الياس خليل بهذه النسخة بل اعتمد معها النسخ التالية: نسخة الأب لويس شيخو اليسوعي، عن مخطوطة مكتبة دير البشير، سوق الغرب المكتوبة ٧٣٩هـ ومخطوطة نوري الكيلاني (حمّاة) المكتوبة عام ١٢٠٠هـ نسخة الشيخ خليل اليازجي المعروفة بنسخة مكتبة صادر في بيروت، نسخة أحمد حسن طبّارة المعروفة بنسخة المكتبة الأهلية في بيروت عن نسخة الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي المكتوبة عام ١٠٨٦هـ.

(٢) المصدر السابق، ص ٩٤. (٣) المصدر السابق، ص ٩٥.

(٤) د. محمد غنيمي هلال، «الأدب المقارن»، دار العودة، ط ٣، بيروت ١٩٨١، ص ١٨٤ - ١٨٥.

(٥) د. داود سلوم، كتاب «قصص الحيوان في الأدب العربي القديم»، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٩، ص ١٦١.

(٦) الكسندر هجرتي كراب «علم الفلكلور»، دار الكاتب العربي، القاهرة ١٩٦٧، ص ١١٣.

(٧) ينظر د. إبراهيم حمّادة «معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية»، دار الشعب، القاهرة ١٩٧١، ص ١٣٤.

وينظر كذلك: مجدي وهبة «معجم مصطلحات الأدب»، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٤، ص ١١٠.

(٨) ينظر: مجدي وهبة، «معجم مصطلحات الأدب»، ص ٣٢٩.

(٩) د. طه عبدالفتاح مقلد «الحوار في القصة والمسرحية والإذاعة والتلفزيون»، مكتبة الشباب، القاهرة

١٩٧٥، ص ٣٤٥.

(١٠) د. فاخر عاقل «معجم علم النفس» دار العلم للملايين. ط ٢، بيروت ١٩٧٧، ص ٤٦.

(١١) ابن منظور «لسان العرب» نسخة مصورة عن طبعة بولاق، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة (د. ت)، مادة (ط ر د).

(١٢) د. أحمد مطلوب «معجم المصطلحات البلاغية وتطورها»، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد

١٩٨٣، ج ١، ص ١٣٠.

(١٣) «كليلة ودمنة»، ص ١٨٨. (١٤) «كليلة ودمنة»، ص ١٩٦ - ١٩٧.

(١٥) نفسه، ص ١٩٩. (١٦) نفسه، ص ٢٠٣ - ٢٠٤. (١٧) نفسه، ص ١٢٦.

(١٨) نفسه، ص ١٢٨. (١٩) د. محمد غنيمي هلال، ص ١٨٣.

(٢٠) فرد ريش فون دير لاين «الحكاية الخرافية» ترجمة د. نبيلة إبراهيم، دار القلم، بيروت ١٩٧٣، ص ١٩١.

(٢١) ينظر: بيرسي لوبوك، «صنعة الرواية»، ترجمة: عبدالستار جواد، الدار الوطنية، بغداد ١٩٨١، ص ٢٣٤.

(٢٢) «كليلة ودمنة»، ص ١٢٩. (٢٣) نفسه، ص ١٤٠.

(٢٤) نفسه، ص ١٣٥. (٢٥) نفسه، ص ٣٥٩.

(٢٦) د. أحمد مطلوب «فنون بلاغية» دار البحوث العلمية، الكويت ١٩٧٥، ص ٥١.

(٢٧) و (٢٨) «كليلة ودمنة»، ص ١٢٣ - ١٢٤.

(٢٩) نفسه، ص ٣٥٩. (٣٠) نفسه، ص ١٢٣. (٣١) نفسه، ص ٣٢٠.

(٣٢) نفسه، ص ٣٣١. (٣٣) نفسه، ص ٣٠٩. (٣٤) نفسه، ص ٣٥٢.

طريقة محمد بن شريفة في تحقيق التراث ودراسته

[ما أروج القراء في بلادنا إلى أن يعرفوا الكثير الكثير عما لأساتيدنا وإخواننا في الجزء الحبيب من بلادنا بلاد المغرب، ومما يؤسف أن الصفوة المثقفة من ابنائنا، الذين درسوا خارج البلاد يعرفون عن جهود بعض علمائها في الميدان العلمي الواسع ما لا يعرفون عن مشاهير علماء أمتهم في مختلف أقطارها.

ومنذ نحو عام أقامت (كلية الآداب والعلوم الإنسانية) في (جامعة محمد الأول) في (وجدة) ندوة عن تحقيق التراث المغربي الأندلسي، قصد منها تكريم عالم جليل، له آثار خالدة بارزة في الدراسات الأندلسية وغيرها، من جميع الجوانب الثقافية التي لأساتيدنا في المغرب من الجهود المتميزة البارزة، ما لا يزال في أشد الحاجة إلى معرفته.

وها هي محاضرة ألقاها الصديق الكريم الدكتور عز الدين عمر موسى في (كلية الآداب) من (جامعة الملك سعود) في تلك الندوة، بعنوان (طريقة محمد بن شريفة في تحقيق التراث ودراسته).

لعل فيها ما يلقي ضوءاً عن جهد ذلك العالم الجليل، وخاصة لبعض ابنائنا الذين لم تجد الدراسات المغربية من اهتمامهم واتجاههم ما يمكنهم من معرفة الكثير عن هذا الأسناذ الفاضل، وعن إخوانه في عصرنا والعصور المتقدمة.]

المتعاطون مع التراث أنواع: إن التعاطي مع التراث علم كسائر العلوم له مناهجه وله قواعده وله أصوله، وتختلف هذه الأصول وتلك القواعد والمناهج باختلاف النظرة إلى التراث؛ أهو الماضي الذي يرجى إحيائه لذاته؟ أم هو الماضي الذي يبتغى إحيائه باعثاً حافزاً؟ أم أن التعاطي مع التراث فن من الفنون؟؟؟ فإحيائه هو للتذوق الفني وللمتعة الأدبية، وللسياحة الذهنية وللسياحة الفكرية، ولكنه فن لا يكون إلا بعد اكتشاف قطعه الفنية وترميمها وتجميعها حتى تجلى صورته. والحالة هذه يتداخل العلم والفن في حالة التراث ويتفقان في إحيائه أولاً ثم تختلف الغايات وقد تتباعد. فمن الدارسين من يتعاطون مع التراث كشيء جامد، لا حياة فيه ولا حركة، فيطبقون مناهج صارمة وأدوات قاطعة، فيخرجونه بلا طعم، ولا رائحة ولا لون. وقليل أولئك الذين يتعاطون مع التراث علماً وفناً في آن، وأولئك هم المبدعون الذين يجمعون بين التحقيق والدراسة، البناء والطلاء، الصنعة والإحياء.

وقليل أيضاً أولئك الذين يلجون ميدان التراث ولهم منذ البداية رؤية واضحة

عما يريدون، ورؤية أوضح عن أية طريقة ينهجون، ومثل هؤلاء غالبًا ما تتعدد أعمالهم وتنوع، وتتكاثر سبلهم وتتشعب، غير أنها تصب في مجرى واحد يسقي نبتة عما قليل تصبح شجرة باسقة أغصانها، وارفة ظلالها، جذورها في الأرض ضاربة، وإلى السماء صاعدة شامخة، ذلك لأن هذا النوع من أهل العلم مواهبه متعددة، وقاعدته في المعرفة صلبة، ورواه إلى الذرى متشوقة مستشرقة، فله من المعرفة توقها وتوهجها وتوترها وأدواتها وآلاتها، فيضيفون على عملهم حياة من قيمهم تنبعث، ومن تصوراتهم تفيض، فإذا التراث شاخص متحرك كأنما ولد من ساعته لا من أمسه، فمثل هؤلاء يغدون أعلامًا في بابهم حاصلين على التفرد محلقين في سماء المجد بلا ند.

فكم من العلماء برز في البحث عن المخطوطات والوثائق فجمعها وصنفها وفهرسها، وله في هذا الميدان باع طويل وتبريز عظيم، وكم من العلماء حقق التراث المكتشف وقدمه في أقرب حال إلى ما كان عليه عندما صنفه صاحبه. وأصبح أمثال هؤلاء العلماء أساطين تحقيق، وناشرين تراث قل إن يدانيهم أحد، وكم من دارسين لما ينشر، مركبين منه صور الماضي إلى أقرب ما كان، وكم من الناقلين لما ينشر نقدًا فنيًا رائعًا يوضح القسامات ويشخص الصور، ويبين الإبداع ويكشف القصور، وأحسبك إلى كل نوع من الأنواع الأربعة تشير إلى أسماء بذاتها وأعلام بأعيانها في محيطنا العربي، ولن تخطى أو تضل السبيل.

وكل هاؤلاء خدم التراث من الضرب الذي اختاره، وواتته الفرصة فأجاد، وقليل من جمع الأنواع الأربعة فأصبح علماء في عالم، وفنانين في فنان. واتحد الإثنان، العالم والفنان، في تناعم مدهش، فإذا الواحد منهم عن المخطوطات باحث، وعن جزئية منقب، وعن تحقيق عمل نادر مكب، وعن كتابة تاريخ حقبة بذاتها منهمك، يجلي غامضها، راسمًا صورة أوضاعها، والعوامل الفاعلة فيها والنتائج المترتبة عليها، وفي الوقت ذاته تجده لشاعر دارسًا، ولنقد أدبي ممارسًا، وبدراسة فترة أدبية قائمًا، في كتابة التاريخ والأدب قد ينجز عملاً موسوعيًا مع عمق فكر، وأصالة رأي، وصرامة منهج، وسلاسة أسلوب وحسن عبارة.

شمولية المعرفة وضرورتها: وهذا الأخير جيل عزيز وجوده الآن، مع تفرع المعارف وتقطيع أوصالها بالتخصصات، والتخصصات الفرعية والأخرى الدقيقة، فيصعب على أهلها الربط بين الفروع، وفروع الفروع، فاندعت النظرة الكلية في العلم الواحد فكيف بالعلوم المختلفة على ما بينها من ترابط في الواقع، وأصبح بينها تدابر وتنافر، يُفضيان إلى تقاطع وانعدام تواصل، فقاد التخصص المعرفي الدقيق إلى تحجر معرفي وتقوقع علمي، يختلف شكلاً ويتفق مخبراً مع عصر الترهل في الحضارات القديمة. من الانكفاء على الفروع وشرحها، وشرح شرحها، وحاشية على شرحها، وما الفرق بين هذا النوع المعرفي المترهل ووضعنا الراهن، فدارس التاريخ يقطع صلته بالأدب، ومتعاطي الأدب تنعدم علاقاته بعلوم الدين، وطالب علوم الدين ينفر عن الفلسفة، والحال مع العلوم الأخرى - خاصة العلوم البحتة والتطبيقية - أشكل، والتواصل معها أبعد.

بل إنك لتجد في العلوم الاجتماعية كالتاريخ واللغة والأدب قد قسموها إلى مناطق وفي كل منطقة حقب، وفي كل حقة فنون مختلفة في العلم الواحد، محرم دخولها إلا على أهلها -.

فأثر هذا ليس في دراسة التراث فحسب، بل في تحقيقه، لأن الواحد لا يملك كل المعارف التي يتضمنها الأثر المحقق، أو قل لا يعرف عنها شيئاً، فكم من شعر تلقاه في كتاب محقق منشور، وأخطاء لغوية ونحوية وإملائية مبسوثة، مع تحريف عظيم، وتصحيف كثير، وعدم قدرة على التخريج شنيعة، وعجز عن كشف أصول النقول غريب، مع جهل بالأعلام الواردة، فمن سلم من أحد هذه العيوب وقع في غيره، فكيف مثل هذا يدرس التراث وعلمه به شانه ناقص.

لهذا من جمع من دارسي التراث شتى العلوم المتصلة أو نال منها نصيباً وكانت له ثقافة شمولية ونظرة كلية تجده قد تميز وتفرد، وهذا نوع نادر عزيز، وعدده قليل، فمن الرعيل الأول أحمد زكي باشا في مصر، وحسن حسني عبدالوهاب في تونس ومحمد الفاسي في المغرب عليهم أجمعين رحمة الله

ورضوانه، ومن الأحياء أستاذ الجيل إحسان عباس أمد الله في عمره، فقد زرع نبتات هنا وهناك، بصورة مباشرة أو غير مباشرة ظهر أثرها مع وداد القاضي والمحضى به محمد بن شريفة، فابن شريفة باحث عن الأثر المخطوط، وله مصنفًا ومحققًا ودارسًا، ومن تركيب الحقائق الجزئية يغدو مؤلفًا، وفي عمله تجد المحقق المؤرخ والأديب والناقد الذي يدرس المبحوث من خلال عصره، ولكن له طريقته المتفرد بها والتي ليس له فيها شبيه إلا أستاذنا محمد الفاسي - رحمه الله - .

الأعلام مدخل بن شريفة إلى التراث: منذ البداية اختار بن شريفة دراسة التراث من خلال الأعلام، فبدأ بأبي المطرف أحمد بن عميرة المخزومي في دبلوم الدراسات العليا (١٩٦٤)، فدرس حياته ووضع أطوارها، وأحصى آثاره وحللها، وانتهى إلى رسم صورة عنه في تحركها وتقلبها في عصره، ثم ثنى بدراسة أسرة سلاوية، وهي (أسرة بني عشرة) - فجمع أشتات معلومات من مظانها، فأخرج في فصلة عن أصلها ونسبها ومن عرف منهم وتنقلاتها وإسهاماتها فأحيا دارسها وأعاد بناء أطلالها بصورة لا يجدها القارئ المطلع في موضع واحد من قبل.

وهكذا تبلور عند ابن شريفة نمطان في دراسة التراث من خلال الأعلام، وهما نمطان يختلفان شكلاً ويتوافقان موضوعاً ومنهجاً. فيختلفان في أن النمط الأول يقوم على اختيار أعلام لم تدرس، ويرتكز الثاني على دراسة أعلام مجهولة إلا من إشارات متفرقة، ويتوافقان من حيث تراه يُكوّن من البحث في هذا وذلك دراسة متكاملة لشخصية المبحوث، ناظرًا إليها من خلال عصرها، موضحة آثارها، مجليًا إسهامها الأدبي وواضعًا له في إطاره التاريخي، مع ضبط للأسماء ورسومها، وتحقيق نسب الأسرة وأصولها، ومعرفة المبرزين منها من قبل، ومحاولة تحديد تاريخي المولد والوفاة ومكانهما، مع بذل الجهد لمعرفة شيوخ الشخصية موضوع الدراسة وتلاميذه ومشاركته في أحداث عصره ومآله فيها.

وبعد أن بلور ابن شريفة هذين النمطين، وألهم عمله غير واحد من الباحثين، فحذوا حذوه في رسائلهم الجامعية في غير جامعة من جامعات المغرب

والقاهرة ومديده، تجده انصرف سريعاً عن هذه الطريقة في كتابة أطروحتة للدكتوراه، فلجأ للأمثال فحقق «أمثال العوام» للزجال، مع دراسة ضافية للمجتمع الأندلسي من خلالها (١٩٦٩) - لكن الحنين راوده إلى معايشة الأعلام، فاتجه نحو كتب الرجال محققاً، فحقق مشتركاً ثم منفرداً بعض ذيل ابن عبد الملك المراكشي وتكملته، وحقق مشتركاً «ترتيب المدارك» للقاضي عياض، ويبدو أنه لم يجد نفسه لا في تحقيق كتب الرجال ولا الأمثال التي كملها بدراسة، فغالبه الشوق والشوق أغلب، وعاد أدراجه إلى دراسة الأعلام.

صحيح أن لابن شريفة أبحاث أخرى كثيرة، وتحقيقات متنوعة، قد يظن لأول وهلة أنها تختلف عن طريقته في دراسة التراث من خلال الأعلام، ولكن بنظرة مستبصرة تلقاها إلى طريقته تنتسب، بل وترتبط بأوثق رباط، فانظر على سبيل التمثيل لا الحصر في تحقيق ديوان ودراسة كـ «ديوان ابن فركون» و «مظهر النور الباصر» له أيضاً وكتاب «البسطي آخر شعراء الأندلس» أو كتاب أدب مثل «روضة الأديب في التفضيل بين المتنبي وحبیب» لابن لبال الشريسي، أو تحقيق برنامج شيوخ كالتعريف بالقاضي عياض لابنه محمد (ولعل تحقيقه لنوازل عياض لا تخرج عن محاولة ابن شريفة في التعريف بشتى جوانب القاضي عياض)؛ أو تراجم رجال مثل «طرفة الظريف في أهل الجزيرة وطريف» للملزوزي، أو بحثه «أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة» الذي نال به جائزة المغرب الكبرى سنة ١٩٨٧م، أليست هذه كلها آثار تدرس التراث من خلال الأعلام.

ومع كل هذا فإنه جل إنتاجه في الأعلام يتركز، وعلى أول نمطين بهما تجده ينهج: نمط أبي المطرف ونمط (أسرة بني عشرة) وفي النمط الثاني مكثراً، وعن الأول مضرب حتى عاوده بعد نحو ثلاثة عقود مع ابن عبد ربه الحفيد (١٩٩٢) فهو إلى هذا النمط ينتمي لأن تمرىض ابن شريفة حين يقول: (قد لا نجد له ذكراً بين الأعلام في الموسوعات القديمة) (ص ٣) دحضه بما أورده لاحقاً (ص ٢٦ - ٣٠) ثم تلاه بابن مغاور الشاطبي، وابن شريفة لا يكتفك أنه مع مثل هذه الأعمال يجد لذة

دافئة وسعادة غامرة، لأنه يجد فيها نفسه، ويحقق ذاته، وهو يقول: (وأشهد أنني أشعر بسعادة كلما أنجزت عملاً من هذا القبيل، هكذا شعرت عندما حررت ترجمة أبي المطرف ابن عميرة المخزومي الشقري منذ ثلاثين سنة خلت، ثم فيما تلا ذلك من تعريفي بالبسطي والحكيم والثغري والكفيف الزرهوني والكانمي وغيرهم، وهكذا أشعر الآن بعد أن انتهيت من التعريف بأبي عمرو ابن عبد ربه الحفيد) (ص ٣).

فلا غرو بعد هذا أن نرى ابن شريفة يجول في التراث تحقيقاً ودراسة من خلال أعلامه، فما أن يجد مخطوطاً جديداً فيه ما يكفي لرسم صورة لأحد الأعلام إلا إليه يهرع، وفي بحثه يشرع، فيخرجه وفيه أناة الباحث الصبور، وسرعة العالم المقتدر العارف بالأمور، وهذا حاله مع ابن عبد ربه الحفيد وابن مغاور الشاطبي، وربما يدعى إلى حلقة دراسية في بلد، فينفذ جراب جذاذاته التي جمعها في سنين متفرقات من مظان شتى وفروع متباينة، ويأخذ ما فيها عن أحد الأعلام المجهولين في بلد الملتقى العلمي أو منطقته، فيخرج سيرته ولها رونق ومعنى.. فانظر دراسته «وجه من الثغر الأعلى: عبدالله ابن قاسم الثغري» التي قدمها خلال (الأيام الثقافية الإسلامية) المنعقدة في مدينة تروال بإسبانيا (١٩٨٨)، وهي من الثغر الأعلى، وقال: (قد وقع اختياري على شخصية من شخصيات الثغر الأعلى هي شخصية عبدالله بن قاسم الثغري الذي يذكر كلما ذكر الثغر، ولا تنصرف نسبة الثغري بإطلاق إلا إليه) (ص ١١٤) - وكذلك كان الدافع وراء اختياره لعرضه «من أعلام أواسط العصر الغرناطي: المتتوري» في (الملتقى الإسباني المغربي الثاني للعلوم التاريخية) المنعقد في غرناطة (١٩٨٩) (ص ١٥) وكذلك بحثه «الأسر الأندلسية في مدينة أسفي» ثم دراسته «بنو زهر: نظرات في تاريخ أسرة أندلسية» في افتتاح السنة الدراسية في (جامعة ابن زهر) في أكادير «مجلة دراسات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية»، (العدد ٤ / ١٩٩٠) وبحثه «ابن طفيل: السيرة والمؤلف» بمناسبة اجتماع الخبراء لتدريس الفلسفة والبحث الفلسفي في الوطن العربي، المنعقد في مراكش ١٩٨٧. ومثل هذا (ابن عبيد يس النفري)

بمناسبة الدراسات المهداة للأستاذ محمد المنوني (الدار البيضاء، دار توبقال، ١٩٨٦) أو بنشر تحقيق كتاب فيستفزه عدم الترجمة الدقيقة الرواية للمصنف فيديج أخرى أعظم وأتم وأدق، فانظر إلى الدافع لكتابة مقاله «ابن خُمير السبتي وآثاره» في مجلة «دار الحديث الحسنية» (١٩٩٢) إذ يقول عن كتاب «تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء» لابن خمير السبتي بتحقيق محمد رضوان الداية: (ولعلي لست في حاجة إلى التنويه بالجهد الذي بذله الأخ الكريم في ضبط متن الكتاب وشرح غريبه ووضع فهرسه، فكل هذا معهود في أعماله غير أنني وجدت مقدمة التحقيق خالية مما يعتمد عليه في معرفة مؤلف الكتاب...) (ص ٣).

وهذا المنهج من دراسة التراث من خلال الأعلام تلقاه حتى في محاولاته لدراسة صلات المغرب الثقافية بالمناطق الإسلامية الأخرى، فقد سبقت الإشارة إلى الصلات الأدبية مع المشرق، علاوة على بحثه «الأندلس في آثار المبدعين والدارسين المصريين» في الحلقة الدراسية عن العلاقات المصرية المغربية (القاهرة، الهيئة العامة للكتاب)، والناظر في أبحاث ابن شريفة المتأخرة يلاحظ اهتماماً بالعلاقات الثقافية المغربية والبلاد السودانية، وهي أبحاث تتمحور حول الأعلام أيضاً، مثل صنيعه مع التواصل الثقافي بين المغرب وبلاد السودان متخذاً إبراهيم الكانمي أنموذجاً مبكراً (١٩٩١) فيقول: (وستناول هذه العلاقات من خلال شخصية ثقافية طريفة، وهذه الشخصية هي إبراهيم الكانمي، فمن هو هذا الكانمي؟ وما الدور الذي كان له في عملية التواصل الثقافي بين بلاد المغرب وبلاد السودان؟) (ص ١٤). وشيبه بهذا الصنيع دراسته لدور إبراهيم الساحلي (ت ١٣٤٦/٧٤٧) الثقافي في مملكة مالي (١٩٩٢) أو بحثه عن مساهمة المغاربة في تأسيس الحركة العلمية في شمال نيجيريا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر وذلك من خلال نظره في زيارة عبدالرحمن سقين إلى بلاد الحوس (١٩٩٣).

ولا يعيب أبحاثه عن العلاقات الثقافية مع البلاد السودانية إلا ما يسود جل الدراسات العربية المتأثرة برصيفاتها الاستشراقية والأفريقية من روح استعلائية

في النظرة إلى حضارة بلاد السودان عموماً وثقافتها خصوصاً ولكن عند ابن شريفة تلحظه خافتاً.. فالكانمي، حسب رأيه نتاج مغربي والساحلي الغرناطي وسقين المغربي دورهم تثقيفي.. وليس هذا مجرد انطباع.. فانظر إلى قوله: (وأنا عارض أمامكم اليوم نموذجاً للتواصل الثقافي بين المغرب وبلاد السودان في أول عهد الموحدين.. من خلال شخصية ثقافية طريفة يبدو أنها كانت من الثمرات المبكرة لتسرب الثقافة العربية المغربية إلى مملكة غانة ومملكة كانم الصغرى الواقعة شرقها، وهذه الشخصية هي إبراهيم الكانمي..) (ص ١٣ - ١٤) فأين كانم من غانة، وهل كانت قائمة وقت إبراهيم الكانمي؟ وأين كانم من المغرب؟ والمعروف أن تأثيرات كانم مصرية مشرقية، وغانة ومالي تأثيرات مغربية أندلسية، وبلاد الحوس مكان تلاقي بين الاتجاهين من المؤثرات.

وتتجسد تلك الروح بصورة أوضح مع الإشارة إلى ما في هذا القول من سلبات في قوله: (ولما سُدَّ باب الأندلس وانتهت مسؤولية المغرب في شبه الجزيرة الإيبيرية اتجه المغاربة إلى إفريقيا في عهد المنصور السعدي، وقد كان هذا الاتجاه - برغم بعض سلبياته - هو الذي مزج بلدان المغرب ببلاد السودان مزجاً حقيقياً وأثمر تواجلاً ثقافياً غنياً تجلّى على الخصوص في حركة التأليف عموماً وحركة التأليف التاريخي خصوصاً وقد عرفت في هذا العهد بلاد السودان لأول مرة، كما تجلّى هذا التواصل أيضاً في مظاهر أخرى ليس هنا محل شرحها. وهنا يجدر بنا القول بأن أشهر المؤلفين من بلاد السودان وهو الشيخ أحمد بابا قد انتفع كثيراً من مكتبة أحمد المنصور ومكتبة ولده زيدان، كما انتفع بمكتبات الخواص وفرائدهم في مراكش، مثل الكاتب الأديب الإخباري أبي عبدالله محمد بن يعقوب الأيسى الذي يحيل عليه أحمد بابا كثيراً في «نيل الابتهاج وكفاية المحتاج» (ص ٩). ولا مشاح أن أحمد بابا استفاد من المكتبة المغربية فائدة عظيمة، ولكنه جاء المغرب وهو عالم مكتمل، يمثل نهاية دورة ازدهار الثقافة الإسلامية في دورها الأرسطو.. وغني عن القول أن الحملة السعدية جاءت والبلاد السودانية قد دخلت في طور انحلالها السياسي وضمورها الثقافي.. ولم تكن سبباً في ذلك كما ادعى المستشرقون والأفريقيين، ولم تثمر ازدهار ثقافياً كما تذهب مقولة الأستاذ

الكريم (انظر مقالتي بالإنجليزية عن الأسلمة وحركات الإصلاح الإسلامي - مجلة دراسات الأردنية - ومقالتي بالإنجليزية عن قيام علم التاريخ الإسلامي السوداني - في أوراق مقدمة للدكتور إحسان، تحرير وداود القاضي والمصادر المذكورة فيهما).

وهذه القضية استوجبت هذه الوقفة المطولة لأنها تثير قضية هامة في معالجة التراث من حيث النظرة الداخلية والنظرة الخارجية، فأين حدود المغربية والأندلسية والسودانية والمشرقية، أليست هذه قضايا نسبية يكون العلو حيناً لهذه وفي آخر لتلك.. ذكر ابن الأبار ابن المناصف بين الأندلسيين ضنائة على العدوة بعلمه، وكتب أحمد بابا كتابيه «النيل» و «الكفاية» لتوضيح تبريز علماء السودان، ولهذين أشباه ونظائر مما هو في أدب المنافرة معلوم، وفي كتب التراث مبسوط.

منهجه في دراسة التراث: والناظر في الأعلام التي درسها ابن شريفة يتبدى له منهجه واضحاً جلياً، وهو على نسق نمطيه الأولين يسير، فهو يربط الشخصية موضوع الدراسة بعصرها ربطاً محكماً، فانظر وقفته المطولة الموفقة مع ابن مغاور في صلاته بمعاصريه (ص ٢٠ - ٤١) وخططه ووظائفه (ص ٤١ - ٥٦) وابن مغاور في خدمة أبي حفص عمر بن عيسى (ص ٥٦ - ٦٢) وابن مغاور في خدمة أبي الربيع (ص ٦٢ - ٧٢) وابن مغاور في آخر حياته (٧٢ - ٧٨) بينما نظر لابن عبد ربه الحفيد من خلال بحثه عن كتاب الدواوين في عهد الموحدين لا عصره لأنه إلى ذلك الصنف ينتمي، وما أروع عبارته عن ابن خُمير وعصره، فيلمحه حلقة في سلسلة جهود علماء سبقوه وآخرين عاصروه. فقال: (والواقع أن عمل ابن خُمير والعزفي وابن دحية إنما هو امتداد لعلم الشيخين: ابن عياض وابن سبع) (ص ١٢). وهكذا يفعل مع أعلامه المدروسة حتى صورها شخصاً ماثلة متحركة.. فاعلة منفعة بمجتمعها، وهنا إحدى مكامن إبداعاته في تناوله للتراث.

وهذا التصوير الدقيق المبدع لأعلامه ما كان له أن يتأتى له لولا دقة ملاحظته، وسعة اطلاعه، وبراعة تنقيبه؛ وشدة تنخيله.. وعلى كل صفة من هذه شواهد لا تحصى في أبحاثه، فانظر دقة ضبطه للأعلام رسماً وضبطاً، فابن عميرة (بفتح العين وكسر الميم) لا كما كان جارياً على السنة الدارسين من ضم الأولى مصغراً. وانظر تعقبه لمحقق «تنزيه الأنبياء» من أن رسم اسم المؤلف وضبطه هو

ابن خُمير، لا بفتحها ولا حاء مهملة (ص ٣ - ٦)، أو ضبطه المثنوي، بكسر الميم وسكون النون وفتح التاء وسكون الواو وكسر الراء (ص ١٥ - ١٦). وانظر أيضاً ضبطه ابن بيّاع السبتي لا ابن زنباع (مجلة «المناهل»، الرباط، وزارة الشؤون الثقافية، ١٩٨٢، العدد ٢٢) وأبا الحجاج يوسف بن عُمر لا ابن عُمر (مؤرخ دولة يعقوب المنصور: تعريف وتصحيح وتصحيح، في مجلة الأكاديمية، الرباط، أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٩٣، العدد ١٠).

وقل مثل هذا في تجميع المعلومات عن شجرة نسب أعلامه أو ما تيسر من أعلامها، وإعطاء صورة حية نابضة لبيئة من يدرسه، مثل ما صنع مع أسرة ابن مغاور أو ابن عبد ربه على سبيل التمثيل.

وهذه الملاحظات هي نتيجة مقابلات ومعارضات بين المعلومات، هي ذاتها نتاج تنويع مصادره من جهة، واعتماده على رسائل العُلم المدروس وأشعاره وآثاره من جهة أخرى، علاوة على تنقيب في المصادر متنوعة متعددة بارع، وتمييز بين المعلومات بارز، فحصل في كثير من الحالات على معلومات مفردة كثيرة، كون منها صورة فريدة، فتخيل حاله وقد وجد ترجمة لابن خُمير عند ابن الشعار فيها (أكبر مادة وأكثر إفادة) عما عرف من قبل، فقال: لقد وجدته وأنا أقرأ هذه الترجمة أردد قول طرفة (ص ٤):

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً
ويأتيك بالأخبار من لم تبع له
بتاتا ولم تضرب له وقت موعد
أخاله يفتُرُ باسمًا، ويعرك شعر رأسه جدلاً، و: كأنه جليلو وقته، وحق له ذلك، فالعلم عنده هوى، والهوى قدر. لقد وجد ابن شريفة ذاته في بحث التراث من خلال الأعلام، تحقيقاً ودراسة، وتنقيحاً وتنخيلاً وتجميعاً، ثم بحثاً وتحليلاً وتركيباً، فرسم طريقة مرتكزة على طريقة قديمة في التراث فاستحدثها وجعلها معاصرة، فخط طريقاً للمواءمة بين الأصالة والمعاصرة في المنهج، وعرض الأعلام التي درسها شخصاً ماثلة متحركة، مرسومة بالكلمات كأنها إبداع فنان رسّام أو نحّات مثال.

د. عز الدين عمر موسى

كلية الآداب - جامعة الملك سعود - الرياض

الشعراء الأمويون في العصر العباسي

(١)

١- المخصرون:

المقدمة: بنو أمية، ملوك العرب وذوو تيجانها، الحماة البناة، الفاتحون العظام، لهم الحسب الباذخ والمجد المؤثل، أصحاب السريرين والتاجين والدولتين، ما غابت شمس دولتهم في الشام حتى أشرقت في الأندلس، ولهم ما للملوك الحاكمين من المحاسن والمساوى، وليس هذا البحث في بيان مناقبهم ولا في تعداد سيئاتهم، فقد اختصم الناس بهم زمناً طويلاً، أحياءً وأمواتاً، واستنفد الشعراء معاني ذلك كله في مئات من القصائد التي قيلت في مدحهم وراثتهم وهجائهم، في زمنهم وبعد ذهاب دولتهم، وفعل الكتاب مثل ذلك في خطبهم وتأليفهم ورسائلهم، حتى لم يعد لقائل أن يقول جديداً في هذا، ثم إنهم وقد صاروا حديثاً يروى وعبرة وموعظة للناس من بعدهم، لم يعد ينفعهم مدح ولا يضرهم هجاء.

إنما أردت في هذا البحث، أن أقف عند شعرهم وشعرائهم في ظل الدولة العباسية، وما كانوا عليه بعد أن فقدوا دولتهم وفعل بهم السيف فعله قتلاً وتشريداً، وذاقوا مرارة الخوف وذل المطاردة وشظف العيش.

وقد عمل العباسيون على استئصال البيت الأموي وإفناؤه، وتعاون السفاح وأعمامه عبدالله وداود وسليمان على هذا في الشام والعراق والحرمين، وكان لعبدالله بن علي النصيب الأوفى من هذا، إذ قتل العشرات منهم في مذبحه نهر أبي فطرس^(١) وقد فعل العباسيون ذلك ثأراً للهاشميين الذين قُتلوا وسُجنوا وشُردوا أيام الأمويين، وفعلوه حماية لدولتهم الجديدة من أية مطامع لخصومهم في الملك بعد ذلك، وكان معظم المقتولين من عامة الأمويين، الذين لم يتولوا منصباً ولا عملاً ولم يكن منهم للعباسيين إساءة ولا أذى^(٢)، إنما قتلوهم لنسبهم في أمية أو لأن بعضهم من أحفاد الخلفاء الأمويين الذين يضطغن عليهم العباسيون.

ولهذا فلم ينج من تلك المذبحة الرهيبة إلا من كانت بينه وبين أحد من الأمراء العباسيين مودة سابقة وصحبة قديمة، فحفظوا لهم ذلك وسعوا في العفو عنهم بعد أن لاذوا بهم مستعطفين وقد أرقهم الخوف والتشرد، ومن هاؤلاء عمرو بن معاوية ابن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان الذي استجار بسليمان بن علي فأجاره وشفع فيه وفي قومه إلى السفاح وكتب إليه قائلاً: (يا أمير المؤمنين، إنه قد وفد إليّ وافد من بني أمية، وأنا إنما قاتلناهم على عقوقهم، لا على أرحامهم، ثم يجمعنا وإياهم عبد مناف، فحقّ الرحم أن تُبلّ ولا توبس، وتوصل ولا تقطع، فإن رأى أمير المؤمنين أن يهبهم لي ممتناً، ويجعل ذلك كتاباً عاماً في بلدان خلافته، ليكون ذلك شكر نعمة الله عندنا، فعل) (٣).

قال ابن بكار: فأجابه أبو العباس إلى ما سأل، (فكان ذلك أول أمان بني أمية) (٤).
كما أخذ داود بن علي الأمان من السفاح لصديقه القديم إبراهيم بن سليمان ابن عبد الملك (٥).

وممن نجا من بطش العباسيين، أبناء عمر بن عبدالعزيز وأحفاده، لما كان من احسان جدهم للهاشميين قديماً، ومن هاؤلاء عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز الذي صار من خاصة المنصور والمقربين إليه، وقد وصفه من رآه بقوله: (ورأيت في صحبة أبي جعفر وعليه السواد) (٦) وابنه آدم بن عبدالعزيز الذي استعطف عبدالله بن علي فتركه وعفا عنه (٧).

ونجا بعضهم لانحرافه عن قومه في أيامهم وميله لخصومهم، ومن هاؤلاء الشاعر العبلي لما عُرف عنه من الميل قديماً إلى الهاشميين (٨)، ومحمد بن عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان، وكان هواه وهوى أبيه مع ابن الزبير علي بن أمية، لأن أم أبيه من بنات الزبير بن العوام (٩)، ومثل أبي العَمِيطر السفياني علي ابن عبدالله بن خالد بن يزيد بن معاوية، وأخواله علويون، وأمه السيدة نفيسة بنت عبدالله بن العباس بن علي بن أبي طالب (١٠)، وقد شفعت له الخوالة العلوية عند

العباسيين، كما شفع عبدالله بن الحسن العلوي لأخويه لأمه محمد والقاسم ابني عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان^(١١)، عند داود بن علي فعفا عنهما وحماهما حتى قتلها المنصور بعد ذلك لاشتراكهما في ثورة ابن أخيها محمد بن عبدالله بن حسن المعروف بالنفس الزكية^(١٢).

وقد قام بعض الأمراء الأمويين بمحاولات فاشلة لاسترداد ملكهم بدمشق مثل سعيد بن خالد بن محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان، خرج بالشام في أيام المأمون وأدعى الخلافة وجعل يطلب القيسية ويقتلهم ويتعصب لليمن^(١٣) وقد قضى العباسيون على تمرده، كما ثار أبو العميطر السفياي وبويع له بالخلافة في ولاية الأمين سنة ١٩٥، وغلب على دمشق، عندما كان المأمون في خراسان^(١٤)، وقُضي على حركته سنة ١٩٨، كما أخمد العباسيون تمرده آخر قام به أموي آخر اسمه مسلمة بن يعقوب، وهو من أحفاد مسلمة بن عبد الملك^(١٥)، وقد بايع لنفسه بالخلافة في دمشق أيام المأمون سنة ١٩٨ هـ.

١- العبلي: أما أقدم شعراء الأمويين في هذا العصر، وأوفرهم حظاً شاعرية وشعراء، فأبو عدي عبدالله بن عمر بن عبدالله العبلي، وقد ذكره أبو الفرج بقوله: (شاعر مجيد، من شعراء قریش، من مخضرمي الدولتين، وله أخبار مع بني أمية وبني هاشم)^(١٦)، والغريب في أمر هذا الرجل خصوصته مع قومه انتصاراً لبني هاشم (كان في أيام بني أمية يميل إلى بني هاشم، ويدم بني أمية، ولم يكن منهم إليه صنع جميل، فسلم بذلك في أيام بني العباس)^(١٧).

وقد فعل ذلك غضباً للإمام علي عليه السلام إذ كان يراه رجلاً من أهله ومفاخر عشيرته (كان يكره ما يجري عليه بنو أمية من ذكر علي عليه السلام وسبّه على المنابر، ويظهر الإنكار لذلك، فنهاه الأمويون عن ذلك بمكة، فانتقل إلى المدينة)^(١٨) وقال في ذلك:

شردوا بي عند امتداحي علياً ورأوا ذاك في داءٍ دويلاً

فوري لا أبرح الدهر حتى
 وبنيه لحب أحمد إني
 حب دين لا حب دنيا وشر الـ
 صاغني الله في الذؤابة منهم
 عدوياً خالي صريحاً وجدي
 فسواء علي لست أبالي
 تختلي مهجتي بحبي عليا
 كنت أحببتهم بحبي النيسا
 حب حب يكون دنيا ويا
 لا زنيماً ولا سيئداً دعيا
 عبد شمس وهاشم أبويا
 عشمياً دُعيتُ أم هاشمياً (١٩)

ولعل بيته الأخير يوضح سبب ميله للهاشميين لما يراه بينه وبينهم من نسب
 جامع قريب، ولم يغفر الأمويون له ذلك ولم يفهموا ما دعاه إليه، وأنه كان رجلاً
 عدلاً وداعية خيرة ومحبة واجتماع، فأعرضوا عنه ولم يجعلوا له نصيباً من رعايتهم
 وأموالهم، ومن ذلك أنه وفد على هشام بن عبد الملك ومدحه بقصيدة طويلة
 عصماء، قال فيها:

لم ير الله معشراً من بني مروا
 قادة سادة ملوك بحار
 أهل رند وسؤدد وحياء
 يا ابن خير الأخيار من عبد شمس
 عبد شمس أبوك وهو أبونا
 ثم جدي الأدنى وعمك شبيخي
 فالقربات بيننا واشجات
 فأثبني ثواب مثلك مثلي
 ن أولى بالملك والتسويد
 وبهاليل للقروم الصيد
 ووفاء بالوعد والموعود
 يا إمام الوري ورب الجنود
 لا نناديك من مكان بعيد
 وأبو شيخك الكريم الجدود
 محكمات القوى بحبل شديد
 تلقني للشواب غير جحود (٢٠)

ومع إحسان الرجل في مديحه وعرض حاجته وإشارته إلى قرابته من بيت الخلافة،
 إلا أن ذلك لم يعطف عليه هشاماً، فأخر عطاءه زمناً ثم أعطاه نزرًا قليلاً وفضل عليه في
 العطاء أخواله من بني مخزوم فقال شاكياً ذاك ومعرضاً بهشام وأخواله:

خسّ حظي أن كنتُ من عبد شمس ليتني كنت من بني مخزوم
فأفوز الغداة منهم بسهم وأبيع الأب الشريف بلُوم^(٢١)

ويبدو أنه تاب بعدها عن الوفود على الخلفاء ومدحهم، إذ لم نجد له مدحاً ولا صلة بأحد منهم بعد هشام، وقد عوّضه الهاشميون خيراً مما حرّمه قومه منه، وتعهده الحسينيون بالرعاية في المدينة المنورة، (كان عبدالله بن الحسن يتعهده بالرعاية والمال زمن الأمويين)^(٢٢) فحفظ لهم ذلك، وقال يمدحهم:

أقام ثويّ بيت أبي عدي بخير منازل الجيران جارا
تقوّض بيته وجلا طريداً فصادف خير دور الناس دارا
وإني إن نزلت بدار قوم ذكرتهم ولم أذم جوارا^(٢٣)

ولم يُحفظه إعراض قومه عنه، ولم يدفعه إلى كرههم ومعاداتهم أو تمني ضعفهم وزوال دولتهم، وإنما كان لهم محبباً وعليهم مشفقاً، فعل الرجل الكريم ذي المروءة، وقد أمّضه وأذاه ما شجر بينهم من خلاف وخصومة في آخر أيامهم، فقال يمدحهم ويشيد بهم ويحذرهم الفتنة وعواقب الفرقة والافتتال. فخوراً بهم مشفقاً عليهم، وأن نفسه لتسيل حزناً وتقطع أسى لما هم فيه من حرب وتناحر، في قصيدة من عيون شعره ومحاسنه:

ما بال عينك جائلاً أقداؤها شرقت بعبرتها وطال بكاؤها
ذكرت عشيرتها وفرقة بينها فطوت لذلك غلّة أحشاؤها
واعتادها ذكر العشيرة بالأسى فصباحها ناب بها ومساؤها
شركوا العدا في أمرهم فتفاقت منها الفتوق وقُربت أهواؤها
ظلت هناك وما يعاتب بعضها بعضاً فينفع ذا الرجاء رجاؤها
إلا بمرهفات الطُّبات كأنها شهبٌ تقلُّ إذا هوت أخطاؤها
وبُعسلٍ زُرقي يكون خضابها علق النحور إذا تفيض دماؤها

فبذاكم أمست تعاتبُ بينها
ماذا أو ملُّ إن أمية ودعت
أهلُ الرياسة والسياسة والندی
غيث البلاد همُّ، وهمُ أمراؤها
فلئن أميةً ودعت وتتايعت^(٢٤)
ليودعن من البرية عزها
ومن البلية أن بقيت خلافهم
لهفي على حرب العشيرة بينها
هلا نهى تنهى الغوي عن التي
وثقى وأحلام لها مضرية
لما رأيت الحرب توقدُ بينها
نوهتُ بالملك المهيمن دعوة
ليردُ إلفتها ويجمع أمرها
فأجاب ربي في أمية دعوتي
وحبا أمية بالخلافة إنهم
فبنوا أمية خيرٌ من وطى الثرى

فلقد خشيت بأن يحم فناؤها
وبقاء سكان البلاد بقاؤها
وأسودُ حرب لا يخيم لقاؤها
سُرجٌ يُضيء دُجى الظلام ضياؤها
لغواية حميت لها خلفاؤها
ومن البلاد جمالها ورجاؤها
فرداً تهيجك دورهم وخلاؤها
هلا نهى جهالها حلماؤها
يُخشى على سلطانها غوغاؤها
فيها إذا تدمى الكلوم دواؤها
ويشب نار وقودها إذكاؤها
ورواحُ نفس في البلاد دعاؤها
بخيارها، فخيرها رحماؤها
وحى أمية أن يهد بناؤها
نورُ البلاد وزينها وبهاؤها
شرفاً وأفضلُ ساسة أمراؤها^(٢٥)

ورحم الله أبا الفرج الأموي الأصبهاني الذي دفعته عصبية لقومه إلى ذكر ما ذكره من هذه القصيدة، وتفرد به بذلك، وغفر الله له إذالم يذكرها كاملة بتمامها، فقد قال: (وهي قصيدة طويلة اقتصرت منها على ما ذكرته)^(٢٦).

وهذا الجزء من القصيدة الذي حرصتُ على ذكره كاملاً كما ذكره أبو الفرج، يدلُّ على شاعرية مطبوعة، ولغة فصيحة جزلة وعاطفة موفورة، وهي إحدى

القصائد المتفردة في موضوعها وجمال بنائها وتماسكه، هذا إلى غير ما تدل عليه من نبيل الرجل ومروءته وعصبيته لقومه.

وقد سلم الشاعر من مذابح العباسيين لما عُرِف عنه من ميل إلى الهاشميين، ولكن شيئاً من الأذى وقع عليه أول أيام الثورة، إذ أخذ داود بن علي حرمه وماله، فهرب منه حتى جاء السفاح مادحاً مستعطفاً مذكراً بالنسب المشترك بينهما وبقديم بلائه في نصرة الهاشميين وما شُهر به من الميل إليهم، ومن ذلك قوله من قصيدة عامرة طويلة، بدوية المطلع كريمة النسيج:

إلى أهل الرسول غدتُ برحلي	عُدافرةٌ تَرَامِي بالصَحاري
تَوُمُّ المعشَرَ الأبرارَ تبغي	فكَاكَا للنساء من الإِسارِ
أيا أهلَ الرسولِ وصيْدَ فهِرٍ	وخيرَ الواقفينَ على الجِمارِ
أتُؤخِّدُ نسوتي ويُحَازُ مالي	وقد جَاهرتُ لو أغنى جَهاري
واذَعَرُ أنْ دُعيتُ لِعَبْدِ شمسٍ	وقد أَمسكتُ بِالْحَرَمِ الصَّواري
بنصرةِ هاشمٍ شَهَّرتُ نفسي	بِسَداري للعدَا وبغيرِ داري
بقربي هاشمٍ وبحقِّ صِهْرٍ	لأحمدَ لَفَّته طيبُ النَجَارِ
ومنزلِ هاشمٍ من عبدِ شمسٍ	مكانَ الجيدِ من عُلَيَّا الفَقَّارِ (٢٧)

فقال له السفاح: (حقٌ لعمري أعرفه قديماً ومودةٌ لا أجحدها، وكتب إلى داود بن علي باطلاق مَنْ حبسه من أهله وردّ أمواله عليه وإكرامه، وأمر له بنفقة تبلغه المدينة) (٢٨).

وإذا كان هذا الرجل النبيل قد أغضبه قديماً أن يسيء قومه إلى ذكرى الإمام علي رضي الله عنه، لما يجمعه به من النسب البعيد، فإنه لاشك أكثر غضباً لقومه الأذنين وأشد حزنًا وتفجعاً على ذهاب دولتهم وعلى ما أصابهم من قتل وتشريد وأذى، مع ما تقدم من إساءتهم إليه وحرمانهم له، ومع ما يعرفه من بطش

العباسيين وقسوتهم في معاقبة من تُسَوَّل له نفسه ذكر الأمويين بخير أو الترحم عليهم، ولكن ما فُطر عليه من النبيل والمروءة غلب دوافع الخوف في نفسه، ودفعه إلى ما يليق به من ندب قومه وراثتهم والتفجع على ما أصابهم، وقليل من الشعراء من يفعل ذلك أو يقوى عليه، وقد كانت قصيدته في رثاء قومه بقايتها السينية وجرسها الحزين المهموس، من محاسن شعره وحياد قصائده، صادقة اللوعة، موفورة العاطفة، تثير في النفس شعور التعاطف مع الشاعر المفجوع، وتشفق عليه وتتفهم دوافع حزنه النبيل، وتعجب به وبمرءته وشجاعته، وهو يتحدى الدولة الجديدة بقوله مخاطباً ابنته أمّامة:

تقول أمّامة لما رأت	نشوزي عن المضجع الأنفس
وقلّة نومي على مضجعي	لدى هجعة الأعين النُّعس
أبي ما عراك؟ فقلت الهمومُ	عرونَ أبالك فلا تبلسي
عَرونَ أباك فحبسنهُ	من الذُّلِّ في شرِّ ما محبسِ
لفقد العشيّرة إذ نالها	سهامٌ من الحَادثِ المُبْسِ
رمتها المنونُ بلا نُصْلٍ	ولا طائشاتٍ ولا نُكْسِ
بأسهمها الخالسات النفوس	متى ما اقتضت مهجّة تخلصِ
فصرعاهم في نواحي البلا	دِ تُلقي بأرضٍ ولم تُرْمسِ
كريمٌ أُصيب وأثوابه	من العار والذّام لم تدنسِ
وأخرُ قد طارَ خوفَ الردى	وكان الهمّامُ فلم يُحسسِ
فكم غادروا من بواكي العيو	ن مرضى ومن صبيبة بُؤسِ
إذا ما ذكروهم لم تنم	لحرّ الهمومِ ولم تجلسِ
يُرجعنَ مثل بكاء الحمّاء	م فسي ماتم قلقى المجلسِ
أفاضَ المدامع قتلى كُدَى	وقتلى بكثوة لم تُرْمسِ

وقتلى بروج وباللابتين
 وبالزابين نفوس ثوت
 أولئك قومٌ تداعت بهم
 أذلت قيادي لمن رامنِي
 فما أنسَ لا أنسَ قتلاهم
 ولا عاشَ بعدهم من نسي^(٢٩)
 من يشرب خيبر ما أنفس
 وقتلى بنهر أبي قطرس
 نواب من زمن متعس
 وألقت الرغمة بالمعطس

ولعل القارى الكريم يكبر معي أن هذا الشاعر لم يجمع بما في نفسه وإنما
 صرح به وأعلنه وأنشده الناس ورثى قومه وعدد المواقع التي قتلوا بها، ولم يكتف
 إعجابه بذلك الهمام من قومه الذي طار ولم يحس العباسيون بهربه، وهو يقصد
 عبدالرحمن الداخل صقر قريش، ولعلك لاحظت أيضاً أن الشاعر لم يذكر
 العباسيين ولم يتعرض لهم بالهجاء، وكان الهاشميون يكبرون في الرجل
 شجاعته ومروءته ويتفهمون تفهماً حسناً دوافعه النفسية العاطفية فيما قاله من
 شعر في قومه، ويقدرّون حزنه عليهم، ثم لا يجدون في أنفسهم حرجاً في
 استنشاده بعض شعره ذلك، ومن ذلك أن المنصور استنشده قصيدته الهمزية التي
 قالها أثناء الفتنة التي وقعت بين الأمويين^(٣٠)، كما استنشده صديقه القديم
 عبدالله بن الحسن العلوي قصيدته هذه السينية في رثاء قومه، وشاركه البكاء
 عليهم، وقال لمن لامة في ذلك: (لقد كانت للقوم أخلاق ومكارم وفواضل
 ليست لأبي جعفر)^(٣١).

ونحن مدينون لأبي الفرج - رحمه الله - بهذه القصيدة التي تفرد بذكرها في
 مكانين من كتابه^(٣٢) مع تقديم وتأخير في أبياتها واختلاف يسير في روايتها.
 ولعل تعصبه لقومه حجب إليه ذلك رغم تشييعه الزيدي.

ويبدو أن شاعرنا كان مشاركاً لعبدالله بن الحسن في سوء رأيه بالمنصور،
 وكان ميله للعلويين أكثر من ميله للعباسيين ودولتهم، ولم ينس لهم كثرة من
 قتلوه من قومه، وقد دفعه هذا كله إلى تأييد ثورة النفس الزكية محمد بن عبدالله

ابن الحسن على المنصور والمشاركة بها، حتى جعله النفس الزكية واليه على الطائف أيام ثورته^(٢٣)، فلما أخفقت الثورة وجدَّ المنصورة في طلب القائمين بها، هرب شاعرنا إلى اليمن، وقال يذكر غربته هناك ويأسى على ما أصاب قومه القرشيين بني غالب بن فهر من فرقة وتناحر وماطحنهم من كثرة الحروب والتقاتل:

قد حلَّ بين أبارقٍ من إن له
شعلت نواه عن الأليف وساقه
يا أخت آل أبي عديٍّ أقصري
أتخضبين وقد تخرمم غالباً
والحربُ تعرك غالباً بجيرانها
أم كيف نفسك تستلذ معيشةً

فيها من إخوان ولا أصحاب
لقري يمانية حمام كتاب
وذرى الخضاب فما أوان خضاب
دهر أضربها حديد الناب
وتعضُّ وهي حديدة الأنياب
أو تنفعين لها الدُّ شراب^(٢٤)

وفي القصيدة شيء من رثاء الشاعر نفسه ولعل المنية أدركته في غربته تلك إذ لا أخبار له بعد سنة ١٤٥ هـ، وهي السنة التي قضى فيها المنصور على ثورة النفس الزكية، ولا شك أنه مات شيخاً قد نيف على الستين، إذا افترضنا أنه مدح هشاماً سنة ١١٥ وعمره ثلاثون سنة يومذاك.

ومن الناس من جبهه الله على حب العدل والإنصاف وتحدي الظالمين نصرةً للمظلومين ودفاعاً عنهم، نبلاً وكرماً ومروءة، وقد كان شاعرنا كذلك، مدح علياً والهاشميين زمن بني أمية، واحتمل جفاءهم له وحرمانه من برهم ورعايتهم، وهم أسرته وقومه، وفخر بالأمويين ورثاهم وتفجع عليهم يوم كان الناس عامة والشعراء خاصة يتقربون إلى العباسيين بشتم بني أمية وتلبهم وإظهار الفرح والشماتة بما أصابهم.

ولعل من أجل هذا تحاماه عدد من المؤلفين وأهملوا ذكره كابن المعتز وابن قتيبة، مع أنهم ترجموا الشعراء كثيرين دونه شعراً وشاعرية وإحساناً وتفرداً.

٢- أبو سعيد مولى فائد: وممن شهد سقوط دولة بني أمية، وحزن لهم وتفجع عليهم، أبو سعيد مولى فائد، وفائد هذا كان مولى لعمر بن عثمان بن عفان، قال أبو الفرج: (يُعرف بالشعراء بابن أبي سنّة مولى بني أمية، وفي المغنين باسم أبي سعيد مولى فائد، وكان شاعراً مجيداً ومغنياً، وعمر إلى خلافة الرشيد، وله قصائد جياذ في مرثي بني أمية، الذين قتلهم عبدالله وداود أبنا علي) (٣٥).

ومع أن الرجل لم يكن من بني أمية في صميمهم، وإنما كان مولى لأحد مواليتهم، إلا أن وفاءه لهم كان عظيماً، فأكثر من رثائهم شعراً، وكان معاصراً للعبلي وصديقاً له، فحرص على إذاعة رثاء العبلي لهم، بما كان يغنيه من قصائده فيهم، فقد غنى قصيدته السينية في رثائهم، وأدعى أنه شارك العبلي في نظم قسم منها (٣٦)، وقد ذكرته مع شعرائهم، تصديقاً للحديث المأثور «مولى القوم منهم».

ومن شعره في رثائهم، قوله:

بكيْتُ وماذا يردُّ البكاء وقلُّ البكاء لقتلى كداء
أصيبيوا معاً فتولوا معاً كذلك كانوا معاً في رخاء
بكت لهم الأرض من بعدهم وناحت عليهم نجوم السماء
وكانوا الضياء فلما انقضى النز مان بقومي تولى الضياء (٣٧)

ومن شعره وغنائه فيهم:

أثر الدهر في رجالي فقلوا بعد جمع فراح عظمي مهيضاً
ما تذكرتهم فتملك عيني فيض غرب، وحق لي أن تفيضاً (٣٨)

ومن شعره وغنائه فيهم أيضاً:

أولئك قومي بعد عزٍّ ومنعة تفانوا، فلا تذرف العين كمد
كانهم لا ناس للموت غيرهم وإن كان فيهم منصفاً غير معتدي (٣٩)

وقد نص أبو الفرج أن الشعر والغناء له في المقطعات التي نسبها إليه، ومعنى

ذلك أن الرجل وضع موهبته الشعرية وموهبته الغنائية في رثاء الأمويين وندبهم، وإشاعة ذلك وإذاعته عن طريق التلحين والغناء، حباً لهم ووفاءً، إذ كان يعدُّ نفسه رجلاً منهم، وأنهم أهله من دون الناس، ولهذا كرر ندبهم بكلمتي (رجالي وقومي) في شعره هذا، ولعل القارئ الكريم لاحظ أن هذا الشعر دون شعر العبلي متانة وجزالة وجودة، تغلب عليه سهولة اللفظ وبساطة التركيب، ليلائم الغناء خاصة، بل لعله لم ينظم هذا الشعر إلا من أجل تلحينه وغنائه.

٣- أبو وهب: ومن شعراء أمية الذين أدركوا دولتهم وشهدوا ذهابها، أبو وهب يحيى بن ذي الشامة محمد بن أبي قطيفة عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط^(٤٠)، وكان أبوه ذوالشامة وجده أبو قطيفة شاعرين متوسطين من شعراء العصر الأموي^(٤١). وقد تولى أبوه ولاية الكوفة^(٤٢) ليزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥ هـ) فإن كان شاعرنا قد ولد في أوائل القرن الثاني فلا شك أنه أدرك الثورة العباسية وهو في الثلاثين من عمره أو جاوزها قليلاً، ولعله نجا من القتل لنسبه البعيد في أمية وأنه لم يكن من أمرائها وذوي المكانة فيها.

وليس لدينا شيء من أخباره أو شعره، ولا نجد له في قومه مدحاً ولا فخرًا ولا رثاءً، إنما رويت له مقطعتان يشكو فيهما فقره وشظف عيشه، وما يلقاه من قسوة الشتاء وهو لا يجد مالاً ولا مأكلاً ولا ملبسًا، وهي صورة قاسية مروعة لما وصلت إليه حال بعض الأمويين في العصر العباسي من فقر وبؤس ومسغبة، وفي ذلك يقول من إحدى مقطوعتيه:

برد الليل والنهارُ أبا وهب وهبت عليك ربيعٌ برودُ
وأتاك الشتاءُ يسعى وما عندك إلا الإخلاص والتوحيدُ
وثياب لبستها أول الصيف إلى أن علاك بردٌ شديدُ
ولقدماً أفيد ثم أيبد المال، إني امرؤ مفيدٌ ميبدُ

لم تنزل تلك عادة الله عندي والفتى آلف لما يستعيد^(٤٣)

وقال في الثانية:

جاء الشتاء وليس عندي درهمٌ وبمثل هذا قد يُخصُّ المسلمُ
وتأهب الناسُ الجبابَ لبرده وكأنني بفناء مكة محرمٌ^(٤٤)

٤- آدم بن عبدالعزيز: وإذا كان هذا الشاعر من عامة الأمويين، فإن معاصره آدم بن عبدالعزيز بن عمرو بن عبدالعزيز^(٤٥)، كان من صميم بيت الملك والرياسة فيهم، وقد صار أبوه كما قدمنا من خاصة المنصور ومقريبه^(٤٦)، ونجا وأسرته من موت محقق لما تقدم من عدل عمر بن عبدالعزيز وإحسانه.

وقد أدرك آدم هذا في شبابه السنوات الأخيرة من ملك أهله وشهد مصارعهم، واستعطف عبدالله بن علي فعفا عنه^(٤٧)، ثم ترك الشام إلى العراق وأقام فيه، وسيرته غامضة، إذ لم نجد له شعراً ولا خبراً أيام السفاح والمنصور، إنما ذكره زمن المهدي بقولهم (كان شاعراً ماجناً خليعاً، وكان في صحابة المهدي، ومات على توبة ومذهب جميل)^(٤٨) وأن المهدي أراد معاقبته بعد أن سمع له شعراً في الخمرة يدعو لشربها ويصرح به، واتهمه بالزندقة، فدافع عن نفسه قائلاً: (لا والله يا أمير المؤمنين، ومتى رأيت قرشياً تزندق، والمحنة في هذا إليك، ولكنه طربٌ غلبني وشعر طفح على قلبي في حال الحداثة، فنطقت به)^(٤٩).

وإذا كان في العشرين من عمره أثناء الثورة العباسية، فإنه يكون قد بلغ الخمسين أو جاوزها زمن المهدي، وغريب أن يهَمَّ المهدي بمعاقبته لأمر كان منه في شبابه، ولعل الرجل بقي على غيِّه وضلاله حتى هذه السن، وكانت توبته بعد ذلك، ويرجح هذا قول أبي الفرج: (وكان آدم في أول أمره خليعاً ماجناً منهمكاً في الشراب، ثم نسك بعدما عمَّر، ومات على طريقة محمودة)^(٥٠).

ولعله وجد في الانغماس في السكر والمجون ما ينسيه محتته في أهله ويذهله عن آلامه، ولعله أراد أن يشهر بذلك عند العباسيين ليصرف أنظارهم عنه

ويأمن بطشهم، إذا استقر عندهم أنه رجل لهو ومجون وعريضة، لا مطمح له في السياسة ولا طمع له في الملك، وقد ذكر أبو الفرج تقريب المهدي له، وأنه كان يحبه ويكرمه لظرفه وطيبة نفسه^(٥١).

هذا رجل مسالم، ليس له جرأة العبلي ولا شجاعته، على أنه أقرب لصرعى الأمويين منه وأمسّ رحماً، ولكنه أثر العافية والموادعة، وشعره قليل لا يعدو بضع مقطعات، يرد في إحداها على من عرض بذهاب دولتهم وانقضاء زمنهم، ويعزي نفسه عن هذا بسنة التاريخ في ذهاب الدول، وزوال الممالك مهما طال الزمن عليها. وأنه قد بقي له بعد ذهاب دولتهم عراقية النسب وتليد الحسب وما شاده أوائلهم من أمجاد ومفاخر لا تبلى:

وإن قالت رجالٌ قد تولى زمانكم وذا زمنٌ جديدٌ
فما ذهبَ الزمانُ لنا بمجدٍ ولا حسبٌ إذا ذُكِرَ الجدودُ
وما كنا لنخلد لو ملكنا وأي الناسَ دامَ له الخلودُ^(٥٢)

ويتندر في مقطعاته الأخر بلحي بعض أصحاب المهدي وندمائه^(٥٣) مما يدل على حضوره مجالسه الخاصة وخلطته به، وأعجب ما في شعره جميعاً، هذه المقطعة:

أقول وراعني إيوان كسرى برأس معان أو أدروسفان
وأبصرتُ البغالَ مربطاتٍ به من بعد أزمنة حسانٍ
يعزُّ عليّ أبي ساسان كسرى بموقفكن في هذا المكانِ
شربتُ عليّ تذكراً عيش كسرى شراباً لونه كالزعفرانِ
ورحتُ كأنني كسرى إذا ما علاه التاج يومَ المهرجانِ^(٥٤)

ووجه العجب في هذا الشعر، أن إيوان كسرى في المدائن قرب بغداد، ولم نسمع بإيوان له بمعان من أرض الشام، ولم تذكر كتب البلدان موضعاً باسم

(أدروسفان) هذه التي ذكرها في شعره، والكلمة واضحة العنجة لا مشاكلة بينها وبين معان، ونستبعد أن تكون مكاناً في بلاد العرب، وعجيبٌ أيضاً أن يأسى أموي على أثر من آثار الفرس، أو يعزّ عليه اتخاذه مأوى للبلغال ودواب المسافرين. ثم لا يجد ما يحيي به ذكر الملك الفارسي غير الشرب في ظل خرائب إيوانه.

ولعل الشاعر تذكر في هذا الأثر الذي رآه من آثار الملوك البائدة للفرس أو لغيرهم في مكان ما، قصور أهله الأمويين في معان وغيرها من ربوع الشام، وقد أكلها البلى وأسرع إليها الخراب وصارت مرابط للبلغال بعد طول عزّ وبهجة وغضارة، بل لعله قصد رثاء قصر بعينه من قصورهم في معان، فخاف التصريح بذلك واتخذ من إيوان كسرى رمزاً لما قصد إليه، على أننا لا ننكر أن المصائب تجمع المصائبين وتقرب المسافات وتلغي الفوارق، ولا نستبعد أن يكون وجه الشبه الجامع بينه وبين الملوك السابقين في ذلهم بعد عزّ، وفي خراب قصورهم بعد أن كانت عامرة مأنوسة، لا نستبعد أن يكون ذلك سبباً لهذا الأسى وهذه المشاركة الوجدانية التي أظهرها لطلل قصر لا تربطه بأهله رابطة من نسب أو دين. هذه حالة من التعاطف الإنساني صورها متمم بن نويرة قديماً بقوله المشهور: (فدعني فهذا كله قبر مالك).

وصورها البحتري في سينيته الرائعة التي قالها وهو العربي الصميم في رثاء إيوان كسرى، وقد اتخذ ذريعة للتنفيس عن أحزانه وآلامه الشخصية لما لقيه من إعراض ابن عمه وجفائه ومن شظف العيش وقسوته، فخلع ما في نفسه على ذلك الطلل الأبكم ورآه مثله غريباً مجفواً في أرض العراق، يشكو الوحدة ويظهر التجلد لعاديات الزمن وخطوبه.

٥- عتاب بن عبدالله: وقد عاصر آدم هذا، شاعر أموي آخر، أصغر منه سنًا، وأقل مكانةً، إذ كان من عامة الأمويين، ولم يكن من أمرائهم، ولعله كان صبيّاً

عند قيام الثورة العباسية فسلم من القتل بعد أن قتل داود بن علي أباه عبدالله بن عنبة^(٥٥)، هذا الشاعر هو عتاب بن عبدالله بن عنبة بن سعيد بن العاص^(٥٦)، وحياته غامضة، وأخباره وشعره قليلان، وأجمع من ترجم له على أنه كان كوفياً معاصراً للمهدي^(٥٧)، ولا ندري أنزح للكوفة من الشام وسكنها بعد قيام الثورة، أم أنها كانت موطن أسرته ومسقط رأسه في العصر الأموي، ولا نجد له خبراً مع السفاح والمنصور ولا شعراً فيهما، إنما له مقطوعة واحدة في مديح المهدي يذكره بما يجمع بينهما من النسب ويحثه على البر بالأمويين ورعايتهم، صلة للأرحام وحفظاً لما يجمعهم من أبوة عبد مناف وعمومة عبد شمس لعبدالمطلب، وفيها يقول:

يا أمين الله قد قلت لكم	قول ذي دين ورأي وحسب
من يقل غير مقالي فلقد	قال زوراً وتعدي وكذب
عبد شمس كان يتلوها شاماً	وهما بعد لأم ولأب
ثم ما فرق حتى آدم	بيننا الرحمن في جذم النسب
لكم الفضل علينا ولنا	بكم الفضل على كل العرب
فأبد بالأقرب منا إننا	عصب نأتيك من دون عصب
لا ننادي من بعيد إنما	يهتف الهاتف منا من كذب
القرابات شديداً ودّها	عقدّها أو كدّ من عقد الكرب
فصلوا الأرحام منا واحفظوا	عبد شمس عمّ عبدالمطلب ^(٥٨)

وذكر مثل هذه القرابة التي تربطه بالعباسيين عندما حاول عبدالله بن مصعب الزبيري أن يفسد علاقته الطيبة بهم أو يحرضهم عليه، فقال له:

إن كنت حرّان من عداوتنا	ملآن غيظاً، لأنفك الرّغم
عبد مناف أبو أبوتنا	وعبد شمس وهاشم تؤم

بحرانِ خَرَّ العَوَامُ بينهما فالتهماء، والموج ملتطم^(٥٩)
فأجابه الزبيرى بقوله:

أترك بني هاشم وذكرهم فإنهم جدعوك فاصطلموا
نحن نفيناك فاغتربت إلى الشام مهانئا، لأنفك الرغم
مروان يُحدى به على قتب شلاً كما سُئل قبله الحكم^(٦٠)
وواضح أن عتاباً يشير (بالعاصيين) إلى عبدالله ومصعب ابني الزبير، اللذين

قتلتهما الأمويون، وأن الزبيرى يشير إلى نفي الحكم وابنه مروان من المدينة إلى
الشام، ويبدو أن ذلك كان داخلاً عندهم في باب المفاخرات القبلية، والعصية
الأسرية، لا يورث عداً ولا يفسد وداً، بل إن مصعب بن عبدالله بن مصعب
الزبيرى رأى في هذا ضرباً من المزاح بين الرجلين، فقد قال: (كان عتاب يمازح
أبي بالشعر)^(٦١) ثم إننا لا نعلم شيئاً بعد ذا من خبر عتاب وشعره وسيرته.

٦- عمرو بن أمية: ومن شعرائهم لهذا العصر أيضاً، عمرو بن أمية بن عمرو
ابن سعيد بن العاص الأموي^(٦٢)، وهو ممن عاصر الثورة العباسية، وعاش
خاملاً مغموراً، لم يتقرب للعباسيين ولم يقل شيئاً في قومه، غير ثلاث مقطعات
يهجو بها عمته أم موسى ويتهمها بمتطيب نصراني يقال له وهب^(٦٣)، وفي ذلك
ما فيه من إساءة لقومه ونسائهم، مما يدل على سوء خلقه، وسقوط همته.

٧- حماس بن ثامل مولاهم: وتتمة لهذا البحث لا بد من الإشارة إلى شاعرين
مغمورين من موالي الأمويين ومخضرمي الدولتين، ولم تكن لهما جراءة أبي
سعيد مولى فائد الذي تقدم ذكره، وكانا دونه إخلاصاً للأمويين ووفاء لهم. أما
أولهما فحماس بن ثامل، مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقد أشار ياقوت
الحموي إلى أنه سمع إسماعيل القسري يذم بني أمية ويسبهم في مجلس
السفاح، فأنكر عليه ذلك وأنكر على السفاح تسامحه فيه، وقال له: (يا أمير
المؤمنين أيسب هذا بني عمك وعمالهم، وهو رجل اجتمع والخريت في نسب،

كتابخانه
بنياد دائرة المعارف اسرامى

إن بني أمية لحكمك ودمك، فكُلهم ولا تُؤكّلهم، فقال له: صدقت، وأمسك إسماعيل، فلم يحر جواباً^(٦٤) وهذا موقف محمود من الرجل لو صح، وإن كنا لا نميل إلى تصديقه، ولا نعتقد أن مولى لبني أمية يسمح له بحضور مجالس السفاح، ويتجرأ عليه بمثل هذا الكلام دفاعاً عن بني أمية التي مازالت دماؤهم ساخنة، والأحقاد عليهم متأججة.

ولهذا الشاعر ثلاثة أبيات يذكر فيها نجاته من أحد الأمراء بيمين كاذبة، ثم لا يجد حرجاً من حث الناس على الحلف كذباً وتزيين ذلك لهم وتبريره:

الله نجى قلوصي بعدما علقت من الأمير ومن عمرو بن سيار
بحلفة من يمين غير صادقة حلفتها ثم لم تلحقني بالنار
إحلف يميناً إذا ما خفت مضلعةً وتب إلى غافر للذنب غفار^(٦٥)
ورجل كهذا يزين الكذب للناس ويحثهم عليه طلباً للنجاة: ليس هو الذي يتجرأ على السفاح في مجلسه، منكرًا قول جلسائه واستماعه لهم في أمر خصومه الأمويين.

٨- حفص مولاهم: وثاني هذين الشاعرين المغمورين رجل ذكره ياقوت باسم حفص مولى الأمويين، ولم يذكر له أباً ولا ذكر مواليه فيهم، وإنما ذكر له شعراً في مدح هشام بن عبدالملك وتهنئة له بفوز خيله في سباق أجراه، وأشار إلى روايته لشعر كثير عزة وإلى هجائه لبني هاشم قديماً^(٦٦)، وقد اضطر للاعتذار لعبدالله بن علي العباسي عن هذا الهجاء، بشت مواليه الأمويين وسبهم:

وكانت أمية في ملكها تجور وتكثر عدوانها
فلما رأى الله أن قد طفت ولم يحمل الناس طغيانها
رماها بسفاح آل الرسول فجذ بكفيه أعيانها
ولو آمنت قبل وقع العذاب فقد يقبل الله إيمانها^(٦٧)

هذا شاعر أعجمي مولى، ساقط المروءة، دني النفس، أدخل نفسه دون مبرر في أمر لا علاقة له به، وهو الخصومة بين بني أمية وبني عمهم من الهاشميين، فكان يهجو الهاشميين تقرباً للأمويين في أيام دولتهم، ثم صار يهجو مواليه

الأمويين تقريباً للعباسيين وتزلفاً لهم، وما كان ينبغي للعباسيين ولا للأمويين قبلهم أن يسمحوا للموالي بشتم قومهم.

ولعل هذا الشاعر هو آخر الشعراء المخضرمين من الأمويين، عصبية وولاء، وبه نختم هذا البحث، الذي سيتلوه بحث آخر إن شاء الله عن شعرائهم العباسيين.

(للبحث صلة) كلية الآداب - جامعة بغداد: د. محسن غياض عجبل

الحواشي:

- (١) الأغاني: ٣٤٣/٤. (٢) انظر «معجم بني أمية» للدكتور المنجد، في مواضع كثيرة.
- (٣) و (٤) «الأخبار الموفقيات»: ٤٧٢. (٥) «معجم بني أمية»: ٨. (٦) نفسه: ١٠٥.
- (٧) «الأغاني»: ٢٨٦/١٥. (٨) نفسه: ٢٩٤/١١. (٩) «معجم بني أمية»: ١٥٣.
- (١٠) نفسه: ١٠٥. (١١) «الأغاني»: ٣٤٣/٤.
- (١٢) «مقاتل الطالبين»: ١٤٩. (١٣) «معجم بني أمية»: ٥٣. (١٤) نفسه: ١٠٥.
- (١٥) نفسه: ٦٦. (١٦) «الأغاني»: ٢٩٣/١١. (١٧) نفسه: ٢٩٤/١١.
- (١٨) نفسه: ٣٠٣/١١. (١٩) نفسه: ٣٠٣/١١. (٢٠) نفسه: ٣٠٧/١١.
- (٢١) نفسه: ٢٩٤/١١. (٢٢) نفسه: ٢٩٧/١١. (٢٣) نفسه: ٣١٠/١١.
- (٢٤) تتابعت: تهافتت وسارعت في الشر. (٢٥) «الأغاني»: ٣٠٨ - ٣٠٩/١١.
- (٢٦) نفسه: ٣٠٩/١١. (٢٧) نفسه: ٢٩٥/١١. (٢٨) نفسه: ٢٩٧/١١.
- (٢٩) نفسه: ٣٣٩/٤ - ٣٤٠، ٢٩٨/١١ - ٣٠٠. [«العرب»: العجلي هذا تحدث عنه قبل صاحب «الأغاني» الزبير بن بكار في كتابه «جمهرة نسب قریش» ولكن القسم المتعلق بنسبه وأخباره لا يزال مفقوداً، أما القصيدة فقد وردت في القسم المطبوع بتحقيق الأستاذ محمود شاکر - ص ٤٩٧ وما بعدها - في ١٩ بيتاً مع اختلاف في ألفاظها، ثم أوردها المبرد في كتاب «التعازي والمراثي» - ١٦٠ - مع ورود طرف موجز من أخباره في الكتابين].
- (٣٠) نفسه: ٢٩٤/١١. (٣١) نفسه: ٣٠٠/١١. (٣٢) نفسه: ٣٣٩/٤، ٢٩٨/١١.
- (٣٣) نفسه: ٣٠١/١١. (٣٤) نفسه: ٣٠١/١١. (٣٥) نفسه: ٣٣٠/٤.
- (٣٦) نفسه: ٣٤١/٤. (٣٧) نفسه: ٣٥٢/٤. (٣٨) نفسه: ٣٥٢/٤.
- (٣٩) نفسه: ٣٥٣/٤. (٤٠) «معجم الشعراء»: ٣٨٤. (٤١) نفسه: ٣٤٩، ٦٧.
- (٤٢) نفسه: ٣٤٩. (٤٣) نفسه: ٤٨٤. (٤٤) نفسه: ٤٨٥.
- (٤٥) «الأغاني»: ٢٨٦/١٥. (٤٦) «معجم بني أمية»: ١٠٥.
- (٤٧) «الأغاني»: ٢٩١/١٥، وذكر أنه قال لعبدالله بن علي عندما هم بقتله عند نهر أبي فطرس: إن أبي - أي عمر بن عبدالعزيز - لم يكن كأبائهم، وقد علمت مذهبه فيكم، فقال له: صدقت، وعفا عنه.
- (٤٨) «الأغاني»: ٢٩١/١٥. (٤٩) «الأغاني»: ٢٨٧/١٥ - ٢٩٠ و «تاريخ بغداد»: ٢٦/٧.
- (٥٠) نفسه: ٢٨٦/١٥. (٥١) نفسه: ٢٨٧/١٥. (٥٢) «تاريخ بغداد»: ٢٧/٧.
- (٥٣) «الأغاني»: ٢٩١ - ٢٩٠/١٥، ١٥. (٥٤) نفسه: ٢٨٨/١٥.
- (٥٥) «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ٨٢. (٥٦) الورقة ٨٥ و «معجم الشعراء» ١٠٨.
- (٥٧) «معجم الشعراء»: ١٠٨ والورقة ٨٥. (٥٨) الورقة: ٨٥. (٥٩) نفسه: ٨٦.
- (٦٠) الورقة: ٨٦ و «معجم الشعراء» ١٠٨، وشمل: طرد.
- (٦١) الورقة: ٨٥. (٦٢) «معجم الشعراء»: ٥٢. (٦٣) نفسه: ٨٢. (٦٤) «معجم الأدباء»: ١٤١/٤.
- (٦٥) نفسه: ١٤١/٤. (٦٦) نفسه: ١١٦/٤. (٦٧) نفسه: ١١٦/٤.

من طرائف التشبيهات في كتاب «طرائف الطرف»

للبارع البغدادي (الحسين بن محمد بن عبدالوهاب الحارثي)

التشبيه أسلوب في التعبير، يقرن فيه الإنسان شيئاً بشيء آخر، بهدف التوضيح والإفصاح، والمماثلة هي جوهر التشبيه الذي تشير إليه المعاجم اللغوية^(١). بيد أن الحد الاصطلاحي يأخذ بعداً آخر مستمداً من وظيفة التشبيه في يد الشاعر الماهر، الذي يوجهه وجهة فنية هدفه منها أن يُغني شعره، ويثري أجواءه وصوره الفنية، وهو بهذا المعنى فنٌّ من فنون البيان، بل إنه (أصل أساسي من أصول الصور البيانية لتصويره المعنى تصويراً هادئاً تنتقل منه إذا ما أردت التعمق في التصوير إلى الاستعارة ثم إلى الكفاية، فهذه هي الطرق المختلفة في الدلالة على المعنى وضوحاً وخفاءً)^(٢). وقد اتفق البلاغيون على أهمية التشبيه و (شرف قدره، وفخامة أمره في فن البلاغة، وإن تعقيب المعاني به ولا سيما قسم التمثيل منه يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود به. مدحاً كانت أو ذمماً أو افتخاراً أو غير ذلك)^(٣). وعدّ يحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٥ هـ) التشبيه (بحر البلاغة وأبا عذرتها وسرها ولبابها وإنسان مقلتها)^(٤).

ولا يدخل في دائرة الفن ذلك التشبيه المكروور المستهلك، إذ لا يستثير فينا الدهشة، وتأتي الطرافة في التشبيه على وفق ما أورده الأقدمون من ذلك التباعد بين طرفي التشبيه (المشبه والمشبّه به). وفي ذلك يقول عبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ): (هكذا إذا استقرت التشبيهات وجدت التباعد بين الشئيين كلما كان أشد كانت إلى النفوس أعجب، وكانت النفوس لها أطرب، وكان مكانها إلى أن تحدث الأريحية أقرب)^(٥). ويبدو دور الخيال في هذا الشأن حاسماً ومهماً. فهو الذي يصهر طرفي التشبيه، ويظهرهما على صعيد الفن متوحّدين، يكاد أحدهما أن يكون الآخر، ولذلك عرّف الخيال بأنه (تلك القوة التركيبية السحرية التي تخلق توفيقاً وتوازناً بين الصفات المتضادة أو المتعارضة)^(٦). والتشبيه الحي هو مما يتأزر فيه الفكر والوجدان كلاهما، فإذا استطاع الشاعر أن يطبع في

وجدان سامعه وفكره، صورة واضحة مما انطبع في ذات نفسه فإنه يكون بارعاً في تشبيهاته، وما ابتدع التشبيه لرسم الأشكال والألوان محسوسة لذاتها، وإنما ابتدع لنقل الشعور بهذه الأشكال والألوان من نفس إلى نفس^(٧).

وفي كتاب «طرائف الطرف» للبارع البغدادي الحسين بن محمد بن عبد الوهاب الحارثي (ت ٥٢٤هـ) ثمة إضمامة من التشبيهات، التي جاءت في الباب الخامس (باب الأوصاف والتشبيهات). وهي نصوص متتقة لمجموعة من الشعراء تتضمن زاداً بلاغياً للقارئ المتذوق، وقد كان باب الأوصاف والتشبيهات ميدان هذه الدراسة ومرتكزها لما انطوى عليه من نماذج تشبيهية جديرة بالدراسة والتحليل.

وعبر اختيارات البارع البغدادي للنصوص الشعرية الدالة على معظم أنماط التشبيه ومنها التشبيه المرسل الذي تظهر فيه أداة التشبيه^(٨). يورد قول الشاعر واصفاً ليل الصدود:

أطالَ ليلي الصدود حتى أيست من غُرة الصبح
كأنه إذا دجا غُدافٌ قد حُضن الأرض بالجنح^(٩)

عندما يتفاقم إحساس الشاعر بالوحدة والوحشة والترقب، إذ يسدل الليل أستاره الكثيفة، فإنه يجعل الليل قسيماً تشبيهاً للغداف على أرض التشبيه المرسل، رغبة منه في وصف ظلام الليل الحالك، وهو ليل نفسي تمتد ساعاته مع دوام صدود من يُحب، ويفصح عن هذا الليل النفسي استهلاله لوحته الشعرية بقوله: (أطالَ ليلي الصدود). بيد أن جلده يتداعى ويتهشم أمام قسوة تلك العتمة التي تجثم على أنفاسه فيعبر عن نفاذ صبره بقوله: (أيست من غرة الصبح). وما حضور الصباح وغرته الناصعة إلا إشارة إلى رغبته في عودة الوصال، ولقائه بمن يحب، ذلك اللقاء الذي اقترن في ذهنه بالصباح ونوره، وهو يشير في ذاته الغبطة، بيد أن ذلك الصباح يأتي في إطار دائرة محاطة بظلال

من العتمة المستمدة من طول الليل، واحساسه بساعاته الثقيلة التي لا تريد أن تغادر زمنه.

وتأتي أداة التشبيه (كأن) في مستهل بيته الثاني كي تعقد الصلة بين الليل (المشبه المحسوس) والغداف (المشبه به المحسوس). وقد أضفى المشبه به (الغداف) على المشبه (الليل) دلالة المقترنة بالخراب والشؤم فضلاً عن لونه الأسود الفاحم. إن إحساس الشاعر بالأسى قد أحال ذلك الغداف ضحماً خرافياً يمتزج مع ظلام الليل حيث يتوحدان فلا يرى دُجَّةَ الليل وحنْدَسَهُ إلا جناحاً هائلاً من أجنحة ذلك الغداف يُخيِّم على الأرض برمتها فيُحيل ألقها عتمةً خاوية.

ويصطرع اللونان الأسود والأبيض في إطار هذه اللوحة، حيث يعطي السياق الشعري الغلبة للون الأسود، لذلك فإن الألفاظ الدالة على اللون الأبيض غير الصريح والمتضمن في لفظتي (غرة) و (الصباح) تنزوي في خاتمة البيت الأول. وتتكرر الألفاظ الموحية باللون الأسود غير الصريح مثل (ليلي) و (دجا) و (غداف) مؤكدة المعنى الذي أراده الشاعر، وهو إحساسه باليأس من بزوغ الفجر الآتي، وكأن الشاعر وبوعي منه ألبس لوحته الشعرية اللون الأسود حداداً على فراق من يحب وصدوده عنه.

ويتكرر التشبيه المرسل في سياق شعري آخر تغمره البهجة والغبطة هذه المرة في قول الشاعر:

مررتُ على رياض من شقيق كما خُرطتُ كؤوس من عقيق
فذكرني الحبيب ووجنتينه فكادتُ أشقُّ جيبِي للشقيق^(١٠)

يعقد الشاعر المبتهج بحلول الربيع الصلة بين شقائق النعمان (المشبه) وكؤوس من عقيق (المشبه به) وفي إطار ما دعاه البلاغيون (التشبيه التخيلي)^(١١). والجامع بين طرفي التشبيه هو الهيئة المستديرة واللون الأحمر. تعبيراً عن الغبطة التي غمرت ذات الشاعر وهو يتأمل تلك الشقائق، وقد أضفى العقيق على الصورة التشبيهية دلالاته المقترنة بالتألق الدائم والندرة.

ولا يقف خيال الشاعر عند هذا الحد بل يتقصى تفاصيل لوحته الشعرية حين تتداعى المعانى إلى ذاكرته، وهو يمعن النظر في جمال تلك الأزاهير وتألّق حمرتها، فيتجلّى له وجه من يحب وحمرة وجنتيه إيحاءً باقتران الطبيعة وتوحيدها مع الحبيبة في مخيلته، ويختتم الشاعر هذه اللوحة خاتمة طريفة انطوى عليها قول الشاعر: (كدت أشقُّ جيبِي للشقيق) نَمَّتْ عن احتفائه بالجمال حتى إنه كاد يفقد صوابه، ولا يتمالك نفسه إزاء مشهد أسر، تحضر فيه الحبيبة والطبيعة كلتاها. وقد تضمن لفظ (الشقيق) الذي ختم به بيته الشعري الثاني تورية^(١٢) تعكس معنيين أحدهما قريب، وهو زهور شقائق النعمان، والآخر بعيد (الحبيبة) إذ رأى بينهما صلة قرابة فهما شقيقان (الحبيبة والشقائق). توخيًّا للإيهام المفضي إلى الطرافة.

لقد بدا اللون الأحمر المتضمن في طرفي التشبيه (الشقيق) و (العقيق) هالة تحيط وجه الحبيبة، وتزيده ألقاً وفتنةً. إذ بدأ الشاعر بالشقيق ولونه، ثم انتقل إلى العقيق وكؤوسه، وعاد في خاتمة لوحته الشعرية إلى الشقيق مرة أخرى تعبيراً عن كلفه بهذا اللون وترجيحه إياه بحيث يقترن بمن يحب ويؤثره على من سواه. كما أضفى الجناس الناقص بين لفظتي (شقيق) و (عقيق) - يؤازره تكرر (شقيق) مرتين - تصعيداً نغمياً يخدم السياق الشعري.

وتخدم أداة التشبيه وتكرارها هدف الشاعر في توالي المشبه به الذي أراده قسيماً تشبيهاً لرمز من رموز البطولة العربية (السيف) (المشبه)، فكان لهباً مرةً وناراً ثانية وماءً ثالثة وفي إطار ما يدعى به (تشبيه جمع)^(١٣) في قول الشاعر:

له حسامٌ صقيل المثن جَرْدُهُ كأنه ملكٌ في كفه لهب
كالنار بالأثر لكن ليس مشتعلاً كالماء بالجرم لكن ليس ينسكب^(١٤)

يحتضن هذا النمط من التشبيه (تشبيه الجمع) ثلاثة تشبيهات أولها: تشبيه تمثيلي انتظم البيت الأول إذ يتجلّى الممدوح وسيفه (المشبه) (ملكاً في كفه

لهب) (المشبه به) وقد أضفى الملك خزينة الدلالي المقترن بالسمو والنقاء على الممدوح، كما أسبغ اللهب على الحسام إحياءين متضادين فاللهب يمنح الحسام دلالات الرعب والخوف التي تستقر في قلوب الأعداء من مضائه ووقائعه من جانب. كما يمنحه إحياءات النور الذي يُستضاء به من جانب آخر فضلاً عن شدة تألقه ولمعان نصله.

وثانيها: تشبيه مرسل قرن بين الحسام (المشبه) و (النار) (المشبه به) إشارة إلى قدرته على دحر الأعداء إذ يعكس هذا الاقتران حركة الحسام السريعة في سوح القتال فهو حسام لامع لا يرى إلا ناراً يحرق لهيبها فلول الأعداء، ويهزم جيوشهم. ويُنمُّ استدراكه (ولكن ليس مشتعلاً) عن أن هذا الحسام يمتلك تألقاً دائماً. وهو ليس قرين النار التي تخلف إثرها رماداً بل إن الحسام يترك بعده مناقب نضية صفحات التاريخ بألقها المتجدد.

وثالثها: تشبيه مرسل آخر يجعل من الماء (المشبه به) قسيماً تشبيهاً للحسام (المشبه) إفصاحاً عن حدة نصله، وسرعة قطعه، ويعكس استدراك الشاعر (ولكن ليس ينسكب) طبيعة هذا الماء الذي ينبع من مخيلة الشاعر ويصب في مصب تشبيهه الطريف.

ويعي الشاعر تأثير الحواس ودورها في إعطاء لوحته التشبيهية طابعها المميز فههي حاسة البصر تحضر بحضور الألفاظ (حسام، لهب، نار، ماء) تليها حاسة اللمس متمثلة بالنعومة المستمدة من اللفظين (صقيل) و (ماء) والحرارة المستقاة من اللفظين (اللهب، النار).

وترفد الموازنة(*) نسيج التشبيهين المرسلين بالرونق والجرس البديع(**) إذ يحتضن الطرف الأول للموازنة (كالنار بالأثر، لكن ليس مشتعلاً) لوحة الحسام وقد أضفت عليه الصورة التشبيهية دلالات القوة وشدة التأثير. ويكشف الطرف الآخر للموازنة (كالماء بالجرم لكن ليس ينسكب) عن إحياءات البطش وسرعة

الضربات لذلك الحسام، وتشتد الموازنة أطراف التشبيهين حيث يبدو أن تحت جناحيها أشد تلاحماً وأكثر تقارباً لاسيما أنها وازنت بين (النار) و (الماء) بوصفهما رمزين متضادين يجتمعان في إهاب هذا الحسام فتشع أكثر من دلالة عبر اقترانهما الطريف.. كما أراد الشاعر من موازنته بين (لكن ليس مشتعلاً) و (لكن ليس ينسكب) أن ينفي عن ذلك الحسام (المشبه) الدلالات المألوفة ليخلع عليه إحياءات جديدة تُثري السياق الشعري.

و حين تتوالى التشبيهات المرسلّة فإن الخيط الذي يتنظمها هو التشبيه المقرون^(١٥) في قول الشاعر:

وليلة مشرقة	كليلة المعراج
والنجم في الغرب يُرى	كزئبق رجراج
والصبح مثل صام	يسلُّ باستدراج ^(١٦)

يسبغ الشاعر في البيت الأول على ليلته (المشبه) هالة من القدسية والأجواء الروحانية السامية، حين يقرنها وعلى أرض التشبيه بـ (ليلة المعراج) (المشبه به) وهو يورد وجه الشبه الذي يجمع بين طرفي التشبيه (مشرقة) مما يجعل هذا التشبيه يدخل في مضمار التشبيه المفصل^(١٧). ويتوقف الشاعر في البيت الثاني عند أفق تلك الليلة ووشي نجومها فتجلى له النجوم (المشبه) - في إطار التشبيه المرسل - زئبقاً رجراجاً (المشبه به) ووجه الشبه الذي يجمع بين طرفي التشبيه المحسوسين هو اللون والتألق المتذبذب جرأً وميض النجم، وغياب استقراره أمام عين الرائي. ويختتم الشاعر لوحته التشبيهية بتشبيه مرسل، قرن بين الصبح (المشبه) و (الصام) (المشبه به) ووجه الشبه الذي يجمع بين طرفي التشبيه هو الظهور الوئيد للصبح، وقد أورده الشاعر بقوله (يسلُّ باستدراج) فأدخله في إطار تشبيه مفصل آخر.

وقد منح تكرار حرف الصاد ثلاث مرات (ص، ص، ص) وتكرار حرف

السين مرتين (س. س) الصورة التشبيهية تصعيداً نغمياً، ناسب فيه تكرار حرف الصاد صخب النهار وضجيجه. واتسق تكرار صوت السين مع أجواء الهمس التي تشوب الليل فلا تعكر صفاءه، كما ربط تكرار الحروف (الراء والألف والجيم) في (معراج، ورجراج، واستدراج) التشبيهات الثلاثة التي وردت تحت ظلال التشبيه المقرون بخيط إيقاعي، يؤكد رغبة الشاعر ورجاءه في مكوث تلك الليلة المترعة بالغبطة والمسرة، وغياب رغبته في حلول الصبح قرين الصراع مع هموم الحياة ومصاعبها، فكأنه كان وبوعي منه يكرر (راج، راج، راج) كي يطمئن ذاته إلى دوام ساعات تلك الليلة الساحرة.

ويتفنن الشاعر في إيراد أدوات التشبيه التي انتظمت هذه اللوحة التشبيهية فنجده يستخدم الاسم (مثل)، والفعل (يرى) والحرف (الكاف) رغبة منه في التنويع وخرقاً لرتابة التكرار.

ويصطفي البارع البغدادى تشبيهاً مقرونًا آخر يُجَلِّي من خلاله دور القلم في إعلاء شأن الكلمة الخيرة وقدرتها الفاعلة على إقامة الحق ونصرته إذ يُورد قول الشاعر:

وأعجميَّ عربيَّ اللسان	لسأئه يشبه حدَّ السنان
أخرس لا ينطق إلا إذا	قطعت بالسكين منه اللسان
منطقه همسٌ ولكنّه	يسمع منه كل قاص ودان
يمضى مضاء الصارم المتضى	بالخوف في أوطاره والأمان ^(١٨)

جاءت هذه اللوحة التشبيهية على هيئة لغز يُحفز ذهن القارئ إلى معرفته يطالعنا فيها التشبيه المرسل الذي انتظم قوله (لسانه يشبه حد السنان) والجامع بين طرفي التشبيه (لسانه) (المشبه) وحد السنان (المشبه به) هو الشكل والهيئة من جانب، والقدرة على إعلاء شأن الحق ودحر الباطل من الجانب الآخر. ويأتي التضاد في إطار هذه اللوحة كي يكرس طرافة الأحجية بحيث تبدو للقارئ غير منطقية لأول وهلة بيد أنها وبعد إمعان النظر إليها تتخلى عن حجبها، وتسفر

واضحة جلية. وثمة طرافة أخرى مفادها أن الشاعر عبر عن أداة الكلمة الخيرة (القلم) بصور سمعية مستقاة من الألفاظ (اللسان، لسانه، ينطق، اللسان، منطقه، همس، يسمع) مما يبرر اختيار المصنف لهذه الأبيات إذ أنه يروم «طرائف الطرف» كما نصّ على ذلك من خلال عنوان كتابه.

ويفصح التشبيه المتضمن في قوله: (يمضي مضاء الصارم المنتضى) وهو يقرن بين القلم (المشبه) والصارم المجرد من غمده - عن المعنى ذاته حين جمع الشاعر بين القلم والسنان على صعيد التشبيه الأول. بما يوحي بأن الكلمة الخيرة في حالة حرب دائمة ضد كل دلالات الشر، وأنها تبقى بذالك متألقة تألق القيم النبيلة التي تحركها.

لقد لجأ الشاعر إلى أكثر من أسلوب فني، كي يفصح عما يريد، ومن ذلك أنه أسبغ السمات الإنسانية على القلم فبدا كائناً إنسانياً مفعماً بالحيوية والعنفوان، فضلاً عن أن الشاعر ألبس الكلمة الخيرة رداء الحواس، فبدت مدججة بالسلاح، متأهبة للفتك كي يؤكد فكرته في أن القلم قد يفعل ما لا يفعله الصارم والسنان كلاهما.

ويورد صاحب كتاب «طرائف الطرف» عنقوداً من التشبيهات ظللها التشبيه المقرون بظلاله انتظمت قول شاعر تلبّث عند عتمة الليل ووشى نجومه:

فَيَالِكَ مِنْ لَيْلٍ أَثْبِتَ شَعْوَرَهُ أَخَذَتْ جَلَابِيبَ الدَّجَى فِيهِ أَمْزِقُ
وَأَرْضَى نَجُومَ الْأَفَقِ فِيهِ كَأَنَّهَا عَلَى كَفِّ مَفْلُوجِ الْمَفَاصِلِ زَبَقُ
أَشْبَهُ نَجْمَ الرَّجْمِ عِنْدَ انْقِضَائِهِ بِمَعْبَلِ مَرْمَاةٍ عَلَى الْقَوْسِ يَرشِقُ



كَأَنَّ سَهِيلاً عَاشِقٌ مَتَمَلِّمٌ يَلِجُ بِعَيْنَيْهِ السَّهَادُ الْمَوْرِقُ
كَأَنَّ الدَّجَى وَالصَّبِيحُ يَنْشُرُ بَرْدَهُ عَلَى الْجِسْوِ زَنْجِيٌّ تَبَسُّمَ أَرُوقِ^(١٩)
يسبغ الشاعر السمات الإنسانية على الليل فيبرزه كائناً يعي ذاته، يحاوره

الشاعر في مستهل لوحته الشعرية ويناגיע (فيالك من ليل..) تعبيراً عن سخط الشاعر على ذلك الليل من جانب، ورغبته في إبعاد هواجس الوحدة ووساوسها في تلك الليلة الحالكة الظلام.

وحين يرتدي ليل الشاعر (الأثيث الشعور) جلايبب الدجى فإن تشبيهاً بليغاً^(٢٠) يتشكل. ووجه الشبه الذي يجمع بين طرفي التشبيه المحسوسين المفردين (الدُّجَى) (المشبه) والجلايبب (المشبه به) هو الكثافة والإحاطة والاشتمال. ويفصح الفعل (أمزق) عن سعي الشاعر في تبديد تلك الدُّجَى وأستارها الكثيفة، فضلاً عن أن هذا الفعل انطوى على معطيات حاسة السمع واللمس، فأما الأولى فإنها تستقى من حركة تمزيق تلك الجلايبب (المشبه به) وما تحدثه من أصداء تشق سكون الليل وصمته، وأما الأخرى فإنها تستوحى من الشروع بمسك تلك الجلايبب وخرقها.

ينسج الشاعر في البيت الثاني تشبيهاً تمثلياً يعقد الصلة من خلاله بين (نجوم الأفق) (المشبه) و (الزئبق على كف مفلوج المفاصل)، (المشبه به)، حيث يسبغ فيه المشبه به المركب على (نجوم الأفق) دلالات الحركة السريعة غير المتسقة والمستوحاة من طبيعة الزئبق الرجراجة من جانب، وطبيعة حركة مفلوج المفاصل وهو يمسك بالشيء من جانب آخر. وقد تمَّ الفعل (أرعن) عن تأمل الشاعر لسماء الليل ونجومها المتألقة حتى تراءت له تلك النجوم (المشبه) قطعاناً يسوقها الشاعر منذ ظهورها على صفحة الأفق وحتى رحيلها.

ويتلَبَّثُ الشاعر في البيت الثالث عند حركة الشهاب وما يثيره مروره في الأفق المعتم من حركة خاطفة، وضوء باهر، فيصوغ تشبيهاً تمثلياً يقرن من خلاله بين نجم الرجم (المشبه) و (معبّل مرماة على القوس) (المشبه به). وتسبغ لفظة (معبّل) دلالاتها المعجمية^(*). الموحية بشدة الإصابة من جانب، وسرعة الإنطلاق من جانب آخر، كما كرّس اللفظان (الانقضاض) و (يرشق) هذه الحركة السريعة للشهب، وهي تحفر بنورها عتمة الليل لتطفئ بحضورها كل الشرور.

ويَهَبُ الاقتباس^(٢١) المستقى من (نجم الرجم) هالة من القدسية على أجواء الصورة التشبيهية، تلك الأجواء المستمدة من عظمة الأسلوب القرآني وإعجازه، وما يشيعه من إحياءات سامية مرتبطة بالنور والبركة إذ استحضر هذا التشبيه قوله تعالى: ﴿ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح، وجعلناها رجوماً للشياطين﴾^(٢٢).
ويمنح الجناس الناقص بين (نجم) و (رجم) الصورة إيقاعية محببة تشري السياق الشعري وتعززه.

ويتواصل الشاعر في البيت الرابع مع لوحة الليل، حيث يحلّ سهيل (المشبه) تحت أفق التشبيه التمثيلي - في إهاب (عاشق) (متكلمل) يؤذي (عينيه) السهاد والأرق. لقد استثمر الشاعر هذا التشبيه كي يعكس إحساسه بالضجر من السهاد، وسأمه من ذلك الليل الذي اقترن في ذهنه بالنصب والأرق.

ويأتي البيت الأخير حاملاً بين طياته بشائر الصباح، إذ يطالعنا تشبيه تمثيلي يعقد الصلة بين امتزاج ضياء الصباح مع عتمة الدجى (المشبه) و (ابتسامة زنجي أروق) (المشبه به) ووجه الشبه الذي يجمع بين طرفي التشبيه المحسوسين هو اندماج اللون الأبيض باللون الأسود، ويمنح الفعل (تبسم) التشبيه إحياءات الغبطة والمسرة التي غمرت روح الشاعر، وهو يقرب الحركة الوئيدة لأشعة الصباح الذي تجلى له كأنثاً ينشر برده الوضاء على الأفق المعتم فيبدد بحضوره جلايبب الدجى وقد أحاطت ذات الشاعر بحلكتها ولونها الفاحم.

ومن الواضح أن اللونين اللذين يصطرعان بين جنبات هذه اللوحة التشبيهية هما اللونان الأسود والأبيض، حيث يبدأ الشاعر بوصف الظلال المعتمة لذلك الليل، بيد أنه لا ينسى بهاء نجوم الأفق وضياءها المتألق. كما أنه راقب الشهاب المارق بسرعة السهم، في قلب الأفق. ولاحظ سهيلاً العاشق الأرق. وكل هذه السمات البيض مما يوشي جلايبب الدجى السود، ولكن الشاعر يختم تشبيهه المقرون بغلبة اللون الأبيض الناصع بعد أن يكتسح اللون الأسود ويزيحه من أرجاء اللوحة الشعرية.

ويتكرر التشبيه المقرون في النماذج الشعرية التي أوردها البارغ البغدادي في (باب الأوصاف والتشبيهات) فها هو ينتقي نصاً شعرياً يعبر عن بعض مظاهر

البيئة العربية، ومنها احتفاؤها بالفرس، حتى أن الشاعر لم يجد قسيماً تشبيهاً للفرس (المشبه) أقل شأناً من الشهاب في قوله:

وشهباء تستهوي القلوب بحسنها إذا لَمَعَتْ قُلْنَا وميض شهاب
وإن عصفت تحت الأمير حسبتهَا مبشرةً بالرزق تحت سحاب^(٢٣)

يشكل الشاعر تشبيهاً بليغاً تجلت من خلاله الفرس (وميض شهاب) وقد خلع (المشبه به المحسوس) (وميض شهاب) على الفرس دلالات الظهور الخاطف الرضاء، الذي يبدد عتمة الظلام وحنده، ووجه الشبه الذي يجمع بين طرفي التشبيه المفردَيْن هو اللون المشرق، والسرعة الفائقة. ويعود الشاعر إلى الطبيعة فيصطفي منها ما يعزز سمات تلك الفرس (المشبه المحسوس) فإذا بها قرينة العاصفة بدلالة الفعل الماضي (عصفت) وما يجمع بين الفرس والعاصفة هو السرعة الخاطفة والقوة. وإذا بالأمير مثل سحاب فوقها وقد وهبت لفظة (السحاب) التشبيه التمثيلي سمات الخصب والخير العميم والنماء، تلك السمات المستقاة من طبيعة البيئة العربية وصحرائها، التي تسعد بالغيث وقطره. ويكرس اللفظان (مبشرة) و (الرزق) هذا المعنى إذ يُشيعان أجواء اليُمن والخير المعقودَيْن بناصية تلك الفرس الشهباء. وتعزز الأفعال (تستهوي، لمعت، عصفت، حسبتهَا) التي شكلت قوام التشبيه المقرون أجواء الحركية والقوة، وجمال الشكل وهي لوازم الأصالة في لوحة الفرس الشعرية.

ولأن التشبيه التمثيلي يتسم بالإحاطة وتقصي التفاصيل فإن الشاعر لا يكتفي بمجرد عقد الصلة بين شيئين، وإنما تتسع دائرة التشبيه من خلاله، ولذلك يحتاج وجه الشبه فيه إلى إمعان فكر، وقد عبر عن هذا المعنى عبدالقاهر الجرجاني حين ذكر بأنه ما كان وجه الشبه فيه مُحَصَّلاً بضرب من التأويل^(٢٤).
ويجد الشاعر مبتغاه في التشبيه التمثيلي وسيلة تعبيرية يرصد من خلالها حركة الحصان الأصيل، وتناسق أعضائه وهذا مما وقف الشعراء العرب عنده كثيراً ولكن الشاعر يبغى الطرافة إذ يقول:

وَأَشْهَبَ وَقَادَ الْأَدِيمَ مَطْهَمٍ إِذَا عَنَّ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ تَوْضِحًا
مَتَى مَا عَلَاهُ السَّيِّدُ الْقَرْمُ خَلَّتْهُ سَحَابًا يُقْلُ الشَّمْسَ فِي رَوْنِقِ الضَّحَى (٢٥)

وتسبع الصفات (أشهب) و (وقاد الأديم) و (مطهم) على الحصان سمات الأصالة والجمال. وكفي يسوق الشاعر القاري لمعرفة المزيد من تلك السمات فإنه يجعل من عتمة الليل ميداناً لاستحضارها إذ يقول: (إذا عَنَّ في الليل البهيم تَوْضِحًا) إشارة إلى إشراق لونه، ونصاعة بياضه الذي يبدد دُجَّةَ الليل، والشاعر يمهّد بذلك لصورته التشبيهية التمثيلية، التي انتظمت البيت الثاني حيث عقد فعل التشبيه (خلتُه) الصلة بين (السيد القرم وحصانه) (المشبه) و (الشمس والسحاب) (المشبه به) ووجه الشبه الذي يجمع بين طرفي التشبيه المحسوسين المركبين في هذا النمط من التشبيه ينتزع من متعدد فهو قد يعني الجمال، وقد يعني الخصب والنماء وقد ينم عن كل الإحياءات المستقاة من الشمس والسحاب لاقترانهما بالحياة والعنفوان.

ويتقصّى الشاعر ملامح المشبه به وسماته، فهو لا يرمقه في كل الأوقات بل يتخير زمنًا يبرز فيه جمال المشبه به فيذكره محددًا (في رونق الضحى) حيث تكون أشعة الشمس الذهبية ساطعة وتثير فيما حولها البهاء والغبطة.

ومثلما جعل التشبيه التمثيلي من الشمس زمن الضحى قسيمًا تشبيهيًا للممدوح، فإنه في موضع آخر من باب الأوصاف والتشبيهات يجعل الشمس (غداة صَحْوٍ) قسيمًا تشبيهيًا للوكف في قول الشاعر:

بَدَتْ شَمْسُ النَّهَارِ غَدَاةَ صَحْوٍ عَلَى وَجْهِ السَّمَاءِ بِلا حِجَابٍ
فَمَا شَبَّهْتَهَا إِلَّا بِوَكْفٍ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ ذَهَبِ مَذَابٍ (٢٦)

وحين ينسج الشاعر تشبيهاً تمثلياً فإنه يذيب في غضونه تشبيهين، فأما الأول فقد قرن بين شمس النهار (المشبه) والوكف (المشبه به) ووجه الشبه الذي يجمع بين طرفي التشبيه المحسوسين هو الرقة والانسياب، فضلاً عن الهيئة والتألق. وأما الآخر فقد عقد الصلة بين الأفق (وجه السماء) (المشبه) و (مرأة

من ذهب مُذَّاب) (المشبه به) مستثمراً إحياءات (المرأة) المقترنة بالصفاء من جانب، ودلالات (الذهب) الموحية باللون الأصفر البراق، والندرة من جانب آخر. ويكشف هذا الربط بين التشبيهين عن وعي الشاعر في تشكيل صورة تشبيهية مركبة يتلاشى حسنها لو أن الشاعر أورد التشبيهين منفردين.

زَخَرَ هذا التشبيه بالحركة والعنفوان، على الرغم من غلبة حضور الأسماء إزاء حضور الأفعال فيما عدا حضور فعلي التشبيه (بَدَتْ) و (شبهتها) إذ أن للأسماء التي شكلت قوام هذه اللوحة الشعرية حيوية تنبع من طبيعتها الموصولة بالحياة وتجدها.

لقد توخَّى الشاعر الطرافة حين لوَّنتُ ريشته جنبات بيته الشعريين باللون الأصفر البراق عاكساً ما يثيره حضور هذا اللون الذي غمر رَوْحَهُ بإحساسات الغبطة والارتياح.

ويورد صاحب كتاب «طرائف الطرف» نصاً آخر، ينتظمه التشبيه التمثيلي في قول الشاعر:

أنفسنا بالهلال مرتاحه لما إليه العيون لماحه
رأيتُ والمشتري تسنمه جام لجين عليه تفاحه (٢٧)

يستهل الشاعر وصفه للهلال بصورة تقريرية انتظمت البيت الأول غابَ عنها الجانب الرامز، وحضرت المفردة التي قلَّ اكتنازها بالإحياء. فهي ألفاظ مباشرة المعنى لُقَّت بغلالة إيقاعية، عبرت عن إحساسات الغبطة التي يثيرها حضور الهلال ونوره الهادي المبدد لعتمة الأفق وظلامه.

ويصوغ الشاعر في البيت الثاني تشبيهاً تمثيلاً انتظمَ شطري البيت احتضن الشطر الأول كفة المشبه (الهلال والمشتري)، وضمَّ الشطر الآخر كفة المشبه به (جام لجين، وتفاحة). وقد غابَ وجه الشبه الذي يجمع بين طرفي التشبيه المحسوسين المركبين كي يفتح باب الخيال أمام القارئ لينتقي ما يشاء من وجوه التشبيه المتزعة من أمور متعددة.

ويحلو للشاعر من خلال تشبيهه التمثيلي أن يتذوق جمال سماء تلك الليلة، وهي تزدان بهلال ناصع البياض، ونجوم متألقة فبدا الهلال، وعبر فعل التشبيه (رأيت) جام لَجِين مترعاً بالأريحية والمسرة، تتذوقه عيون الشاعر فتطير روحه نشوة وغبطة. ومثلما تجلّى له الهلال (جام لجين) فإن نجم المشتري المتوقع إزائه قد حل، في اهاب (تفاحة) رغبة من الشاعر في أن يستحضر أكثر من حاسة مستمدة من حضور التفاحة وإحياءاتها الذوقية والشمية واللمسية والبصرية. وبذلك فقد وظف الشاعر أكثر من حاسة ليعكس انشغاله وولعه بتلك الليلة وجمال أفقها الذي ملك عليه حواسه، وقد أغفل حاسة السمع وأعياناً، كي يُتاح له أن ينعم بالهدوء الذي يبغده عن ضجيج النهار وصخبه.

ويطالعنا البدر والمشتري من خلال تشبيه تمثيلي آخر انتظم قول الشاعر.

ويحضر نمط آخر من التشبيه هو التشبيه المجمل^(٢٨). في قول الشاعر:

ولمّا هَزْنَا شوقٌ قصدنا على حكم الهوى روضاً بحاجرٍ
 كأن شقائق النعمان فيه عيون أدميتُ منها المحاجر^(٢٩)

تبث اللوحة الشعرية الحياة الإنسانية في الشوق والهوى من خلال قول الشاعر (هزنا شوق) و (حكم الهوى) مفصحة عن المشاعر التي كانت تغالب الشاعر وهو يحث الخُطى صوب (روض حاجر) منصاعاً لقسوة الشوق وأمر الهوى. وهو بهذا يمهد لصورته التشبيهية المجملة التي انتظمت البيت الثاني حين وقف الشاعر متأملاً ذلك الروض المتفتق عن (شقائق النعمان) وقد تجلت - على أرض التشبيه - (عيونا أدميتُ منها المحاجر) ووجه الشبه الذي يجمع بين طرفي التشبيه المحسوسين هو اللون الأحمر ودلالاته المقترنة بالحزن واللوعة. لقد أسقط الشاعر ما بداخله من إحساسات على شقائق النعمان (المشبه) فترأت له أناسي^٢ تشاركه ألمه وحزنه.

ويعكس الجناس الناقص بين (حاجر) و (محاجر) جانباً إيقاعياً دلالة أن هذا المكان (حاجر) أثير^٣ إلى قلب الشاعر بحيث لم يجد قريناً له مثل موضع بصره ونافذته على الحياة (محاجره).

ويؤايم الشاعر بين نمطين من التشبيه أحدهما تمثيلي والآخر مقلوب، وهو يرصد غرّة الحصان وسرعته إبان وقت الصباح في قوله:

فكأنما لطمَ الصبّاحُ جبينَهُ فاقنص منه فخاضَ في أحشائه
وبدا لنا في مَشِيهِ من سُرْعَةٍ فتظن أن السريحَ من إنشائه^(٣٠)

يستهل الشاعر تشبيهه التمثيلي بصراع حاد يحصل ما بين الصباح - بعد أن أسبغت عليه سمات إنسانية - والحصان، إذ يبدأ الصباح ذلك الصراع حين (يلطم الحصان) طابعاً كفه البيضاء على جبينه، إشارة إلى غرة الحصان البيضاء المشرقة، فيقتص الحصان منه بطريقة طريفة تخيلها الشاعر وهو يرى الحصان منطلقاً بأقصى سرعته في قلب الأفق، آناء الصباح الباكر فكأنه (يخوض في أحشائه) ولأن التشبيه المقلوب - والذي أسماه صاحب «الطراز» التشبيه المعكوس^(٣١) من شأنه أن يكرس المبالغة والتهويل^(٣٢) في رسم الصورة التشبيهية فإن الشاعر لا يجد أكثر مناسبة منه يصف عبْرهُ سرعة ذلك الحصان (المشبه به) ورشاقة وثباته فيقرنه بالريح (المشبه) قسيماً تشبيهاً لشدة انطلاقه بل إن (الريح من إنشائه) مبالغة من الشاعر وتوخياً للطرافة التي ألفت بظلالها على التشبيه المقلوب الذي انتظم البيت الثاني.

وبعد؛ فإن مصنف كتاب «طرائف الطرف» انتقى من عيون الشعر العربي تشبيهات انطوى عليها الباب الخامس اشتملت على معظم أنماط التشبيه المعروفة وأبرزها المرسل، والتمثيلي، والجمع، والمقرون، والمفصل، والمجمل، والتخييلي، والبليغ، والمقلوب.

وقد عكست هذه التشبيهات بعض مظاهر البيئة العربية كالحصان والفرس والسيف والسنان والقلم. كما تغلغلت بعض مظاهر الطبيعة إلى نسيج هذه التشبيهات فبدت من خلال أحد طرفي التشبيه أو كليهما كالليل والنجوم والشهب والمشتري والهلال والبدر والصباح والشمس والسحاب والقطر

وشقائق النعمان. وقد ظهرت التشبيهات مضمخة بتأثير الحواس جميعاً حيث تعزز فاعليتها. كما استند التشبيه إلى مهاد بديعي، حضر من خلال الجناس الناقص والموازنة والاقْتباس والتورية فوهبه قوة تأثير.

جامعة بابل - الدكتور: وجدان عبدالإله الصايغ

الحواشي:

- (١) ينظر: الفيروز آبادي «القاموس المحيط» دار الفكر بيروت (دون تاريخ) مادة (ش ب هـ).
- (٢) د. حفني شرف «التصوير البياني» مكتبة الشباب، ط ٢، القاهرة ١٩٧٣، ص ١٨ - ص ١٩.
- (٣) الخطيب القزويني «الإيضاح في علوم البلاغة» تحقيق: د. محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ٥، بيروت ١٩٨٠، ص ٣٢٧ - ص ٣٢٨.
- (٤) يحيى بن حمزة العلوي، كتاب «الطراز»، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣، ج ١/ ص ٣٢٦.
- (٥) عبدالقاهر الجرجاني، كتاب «أسرار البلاغة» تحقيق: هـ. ريثر، مطبعة وزارة المعارف، استانبول، ١٩٥٤، ص ١١٦.
- (٦) ينظر: أ. أ. ريتشاردز «مبادئ النقد الأدبي» ترجمة: د. مصطفى بدوي، مطبعة مصر، القاهرة ١٩٦٣، ١١٠.
- (٧) ينظر: عبدالحق ذياب «عباس العقاد ناقدًا»، الدار القومية للطباعة، القاهرة ١٩٦٥، ص ٥٠٠.
- (٨) ينظر: القزويني، ص ٣٨٨.
- (٩) الحسين بن محمد بن عبد الوهاب الحارثي الشهير بالبارع البغدادي، «طرائف الطرف» تحقيق: هلال ناجي، عالم الكتب، بيروت ١٩٩٨، ص ٦٩.
- (١٠) نفسه: ص ٧٠. (١١) ينظر: القزويني ص ٣٣٥ - ٣٣٦. (١٢) ينظر: القزويني، ص ٤٩٩.
- (١٣) ينظر: القزويني، ص ٣٧١. (١٤) البارع البغدادي، ص ٧٢.
- (*) ينظر: القزويني، ص ٥٥٢ كما ينظر: العلوي، ج ٣/ ص ٣٥٨.
- (**) ينظر: العلوي، ج ٣/ ص ٢٦٠. (١٥) ينظر: القزويني، ص ٣٧٠. (١٦) البارع البغدادي، ص ٧٠.
- (١٧) ينظر: القزويني ٣٧٤. (١٨) البارع البغدادي، ص ٦٩. (١٩) البارع البغدادي، ص ٧٣.
- (٢٠) ينظر: القزويني، ص ٣٨٣. (*) ينظر: الفيروز آبادي مادة (ع. ب. ل).
- (٢١) ينظر: القزويني، ص ٥٧٥. (٢٢) سورة الملك: آية ٥. (٢٣) البارع البغدادي، ص ٧٢.
- (٢٤) عبدالقاهر الجرجاني، ص ٨١. (٢٥) البارع البغدادي، ص ٧١. (٢٦) نفسه: ص ٧١.
- (٢٧) نفسه: ص ٧١. (٢٨) ينظر: القزويني ٣٧٣. (٢٩) البارع البغدادي، ص ٧١.
- (٣٠) نفسه: ص ٦٨. (٣١) العلوي، ج ١/ ٣٠٩. (٣٢) نفسه: ج ١/ ٣٠٩.

شعر بلعاء بن قيس الكِناني

حياته: بلعاء بن قيس بن ربيعة بن عبدالله بن يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة^(١)، كان رئيس بني كنانة في أكثر حروبهم ومغازيهم، وكان كثير الغارات على العرب^(٢). وكان سيد بني بكر في حرب الفجار، وشهد أيامها الأربعة ومات قبل يوم الحريرة؛ فقام مكانه أخوه جثامة^(٣).

أصيب بلعاء بالبرص عندما أسن؛ فقبل له في ذلك، فقال: (سيف الله صقله) وقيل: (سيف الله حلاه) وقيل: (سيف الله جللاه)^(٤).

كان بلعاء رامياً يُصيبُ بالنبل من مكان بعيد؛ لُقِّبَ بالبع الجيران، لأنه كان نكدًا لجوجاً شكساً داهياً لا يرام ما وراء ظهره، ولقب بلعاء بقوله:
كأنما كانوا طعاماً قابِئِـلِـعِـ^(٥).

(١) قال [من الوافر]:

(١) إلى روضٍ به نَقْلٌ وَيَقْلٌ يُغْنِي فِي أُسْرَتِهِ الذُّبَابُ

* التخريج: انضرة الإغريض ٨٢.

* اللغة: النفل: نوع من البقول. الأسرة: أوساط الرياض.

(٢) قال [من الوافر]:

(١) ألا أبلغ سُراقَةَ: يا ابن مال

(٢) أترجو أن تؤوب بظعن ليث!

* المناسبة: يخاطب سراقه بن مالك بن جعشم.

* التخريج: «البيان والتبيين» ١٨٥/٢.

* اللغة: ١- مال: ترخيم مالك. ٢- ليث: بنو ليث من كنانة رهط بلعاء. ظعن: نساء في الهوداج.

(٣) قال [من الطويل]:

(١) وإنِّي لأقري الهمَّ حين يضيفني

(٢) وأبغى صواب الظنِّ أعلم أنه

زماً إذا ما الهمُّ أعيَّتْ مصادره

إذا طاش ظنُّ المرء طاشت مقادره

٣) وقد يكره الإنسان ما هو رشده وتلقى على غير الصواب شراشرة

٤) وكم كان في آل الملوك من فتى منادى مفدئى حين تبلى سرائره

٥) وكم كان في آل الملوك من فتى يجيب خطيبا لا تخاف عوائره

* التخریج: «المؤلف والمختلف» ١٥٠، «التذكرة السعدية» ٢٥١، «مجموعة المعاني» ٦٥، والثاني له في «البرصان والعرجان» ٣٣/٥، و«الحيوان» ٦٣/١ و«فصل المقال» ١٤٤، و«زهر الآداب» ٥٨/١، والثالث في «جمهرة الأمثال» ١/١٧٤، ونسب الثاني لعفرس بن جبهة الكلبي في «حماسة البحري» ٢٥٥، والرابع والخامس في «البيان والتبيين» ٢/٢٨٤ لبلعاء.

* اختلاف الروايات: ١- التذكرة: زمانا. ٣- التذكرة: ما فيه رشده.

* اللغة: ١- زماع: عجول. ٣- شراشر: نفس. ٥- عوائر: كلمات قبيحة.

(٤) قال [من الطويل]:

١) تمنى حميد أن يلاقي قرحتي على صاعد يعدو كعدو المضمر

٢) تخيرته خيلي وخيل فوارس يردون في الهيجا على كل محجر

* التخریج: «أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها» ١٤٧.

* اللغة: ١- قرحة: عض السلاح وألمه مما يجرح الجسد ويخرج من البدن. ٢- محجر: فرس تتخذ للنسل.

(٥) قال [من الرمل]:

١) أبلغ الحارث عني أنني شر شيخ في إساد ومضمر

٢) رآلة منتف بلعومها تاكل الفت وخمان الشجر

٣) إن مضى الحول ولم أغزكم في عناج تهتدي أحوى طمر

٤) قدر الرحمن أن ألقاكم عارضا رمحي على متن الأغر

* التخریج: «أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها» ٣٩. والأول والثاني دون نسبة في «اللسان» (رأل).

* اختلاف الروايات: ٢- «أسماء الخيل»: الفت.

* اللغة: ٢- رآلة: نعامة. الفت: نبات يختبئ حبه ويؤكل في الجذب. خممان: رديء.

٣- عناج: خطام. أحوى: لونه أسود مائل إلى الخضرة، ويعني الفرس. طمر: فرس جواد.

(٦) قال [من الطويل]:

١) ألا أدتتنا من تدلها ملس وقالت: أما بيني وبينك من بلس

(٢) وقالت ألا تسعي فندرك ما مضى
 (٣) أتامرني سعد وليث وجندع
 (٤) يقولون: خذْ عَقْلاً وصالحَ عشيرة!
 (٥) فأقسمت لا أنفك حتى أزورهم
 وما أهلك العانون في القدح والضررس
 ولست براض بالدينية والوكس
 فما يأمروني بالهموم إذا أمسى!
 بقُبْ كأمثال المجوعِ الغبِسِ

• المناسبة: صولح بلعاء على دم أخيه، ثم نكث فعنفه قومه.

• التخریج: الأبيات ١ - ٤ في «كتاب الغارات»، ٣٢٧، والبيتان ٤، ٥ في «حماسة البحرى» ١٤.

• اللغة: ١- ملس: اسم امرأة. البلس: السكوت والحيرة والانقطاع.

٢- القدح: التآكل في الشجر والأسنان. الضرس: اشتداد الزمان.

٣- سعد وليث وجندع: بطون من كنانة. الوكس: النقصان.

٤- عقل: دية. ٥- جمع أقب، وهو الفرس الضامر. المجوعة: الجائعة، وهي الذئب. الغبث: لون الرماد.

(٧) قال [من الطويل]:

(١) حملت عليه السورد حتى تركته
 تليلاً يسفُّ التراب واللون فاقع
 • التخریج: «أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها» ٢٥٤.
 • اللغة: ١- السورد: فرس. تليل: صريع.

(٨) قال [من الطويل]:

(١) رأنتي صريع الخمر يوماً فسؤتها
 وللشأريها المدمنيها مصارع
 • المناسبة: لامته امرأته على إدمان الشراب وقالت: (ذهبت بشريك) أي قتلك الشرب.
 • التخریج: «المختار من قطب السرور» ١٢٠.

(٩) قال [من الطويل]:

(١) معي كل مسترخي الإزار كأنه
 إذا مشى من أحمص الرجل ظالع
 • التخریج: «البرصان والعرجان» ٣٣، ونسب البيت لحساب بن ثابت في «خلق الإنسان» لثابت ٣٢٣.
 • اللغة: ١- مسترخي الإزار: مترف. أحمص: ضميرُ باطن الرجل الذي يتجافى عن الأرض إذا مشى الإنسان.
 ظالع: به عرج.

(١٠) قال [من الكامل]:

(١) ومغير حجر قد جررت برجله
 بعد الهدول له قوائم أربع

* التخريج: «البرصان والعرجان» ٣٣.

* اللغة: ١ - مغير: الذي يغير، وربما يعني الفرس.

حَجْر: دَفَعُ وَمَنَع.

(١١) قال [من الكامل]:

(١) مهلاً دُرَيْدُ عَنْ التَّسْرِعِ إِنِّي

(٢) مهلاً دُرَيْدُ عَنْ السَّفَاهَةِ إِنِّي

(٣) مهلاً دُرَيْدُ لَا تَكُنْ لَأَقِيتِي

(٤) وَإِذَا أَهَانِكَ مَعْشَرَ أَكْرِمِهِمْ

* المناسبة: يخاطب دريد بن الصمة.

* التخريج: «كتاب الغارات» ٣٣٧.

* اللغة: ٢ - سديد: سيد.

(١٢) قال [من الرجز]:

(١) إِمَّا تَرَيْنِي الْيَوْمَ مِنْ لَحْمِي الضَّبْعُ

(٣) قَدْ أَخْصِمُ الْخَصْمَ وَأَتِي بِالرَّبْعِ

(٥) مِنْ قَيْسٍ قَيْسٍ عَامِرٍ وَمِنْ شُجْعِ

(٧) أَبَارٍ مَنْ قَيْسٍ قَيْسِلاً وَالتَّمَعِ

(٢) وَرَخِمَاتٍ وَبُغَاثٍ قَدْ طَمَعُ

(٤) وَأَرْفَعُ الْجَفْنََةَ بِالْهَيْدِ الرَّفْعِ

(٦) أَنَا ابْنُ قَيْسٍ سَبْعًا وَابْنُ سَبْعِ

(٨) كَأَنَّمَا كَانُوا طَعَامًا فَابْتَلَعُ

* التخريج: الأشطر ١ - ٥ في «حماسة البحري» ٢٠٨، والأشطر ٦ - ٨ في «الروض الأنف» ٥٣/٢.

* اللغة: ٢ - رخيمات: جمع رخمة طيور ضعيفة تأكل الجيف. بغاث: ضعاف الطير.

٣ - الربيع: المربع، أي ريع الغنيمة. ٤ - الجفنة: وعاء يوضع فيه الطعام للأكل.

٦ - سبع: أسد. ٧ - أبار: أهلك وأفتى. التمع: ذهب بهم، أي أهلكهم.

٨ - بهذا الشطر سمي بلعاء.

(١٣) قال [من الوافر]:

(١) تَرَكْتُ ابْنَ الْحَرِيْزِ عَلَى ذِمَامِ

(٢) وَلَمْ يَصْرَفْ صَدُورَ الْخَيْلِ إِلَّا

(٣) وَقِرْنٍ قَدْ تَرَكْتَ الطَّيْرَ مِنْهُ

وصحبتَه، تلوذ به العوافي

صوائِحُ مِنْ أَيَّائِمِ ضِعَافِ

كَمَعْتَنَزِ الْعَوَارِكِ مِنْ مَنَافِ

* التخریج: «معجم البلدان» ۵/ ۲۰۳ [مناف] والثالث في «الأصنام» ۴۸.

* اختلاف الروایات: ۳- «معجم البلدان»: كعمترك.

* اللغة: ۱- اللدما: الحق والحرمة. العوافي: الكادون على عيالهم.

۲- صوائح: صباح. آیائیم: من لا أزواج لهم من الرجال والنساء.

۳- قرن: كفاء وند. معتنز: تتحنى وبعد. العوارك: الحافظات.

مناف: صنم، كانت العوارك لا یقرینه.

(۱۴) قال [من البسيط]:

(۱) وفارس في غمار الموت منغمس إذا تآلى على مكروهة صدفا
(۲) غشيتُه وهو (؟) جاوآءَ باسلةً عَضْبًا أصاب سواءَ الرأسِ فانفلقا
(۳) بضربة لم تكن مني مُخالسةً ولا تعجلتُها جُبنا ولا فرقا
(۴) فإن تكن عبرتي ظلت أكفكفها فربَّ قرنٍ أمَلتُ الرأسِ والعنقا

* التخریج: الأبيات ۱- ۳ في «ديوان الحماسة» ۳۳، «التذكرة السعدية» ۴۳.

والرابع في «إصلاح ما غلط فيه النمری» ۳۳.

* اللغة: ۱- تآلى: أنسم. ۲- جاوآء: كتيبة يعلوها السواد لكثرة الدروع. عَضْب: سيف قاطع.

(۱۵) قال [من الطويل]:

(۱) إذا الهَشِمُ الفَهْ أشترى بيناته وجدك لم أرقع بهن خلالي
(۲) جعلت بناتي في موالِي قَصْرَةً وما راعني ذو شورة وجمال
(۳) وما راعني شكَّد وبرِّداً سحابة ولا ذرع نوبِي أشق طوال
(۴) رأيت الألى يأتون للحق دعوتي موالِي، والأقْصَيْنَ غيرُ موالِي
(۵) ولست بيان لامرئٍ سَمَكَ بيته وأترك بيتي خاويًا بخمال

* التخریج: «جمهرة نسب قريش وأخبارها» ۲۶۱.

(۱۶) قال [من الكامل]:

(۱) فلکمُ هريرة ما تجفُّ دموعها أهْريرُ ليس أبوك بالمطلول!

* التخریج: «نسب قريش» ۳۵۲.

* اللغة: ۱- هريرة: بنت المحجل بن قيس أخ بلعاء. المطلول: من ذهب دمه هباء ولم يثار له.

(١٧) قال [من البسيط]:

(١) يُنْكِي عَلَيْنَا وَلَا نَبْكِي عَلَى أَحَدٍ
لنحْنُ أَغْلَظُ أَكْبَادًا مِنَ الْإِبِلِ!

* التخریج: «تعار القلوب» ٣٤٨، «المستقصى في الأمثال» ٦٩/١، ونسب لبلعاء بن عصيم في «اشتقاق أسماء الله» ١٩٨، وللمهلهل بن ربيعة في «قواعد الشعر» ٥٤، وللمخبل السعدي في «عيون الأخبار» ١٩٢/٢. ولمنيح ابن معاوية المنقري في «جمهرة النسب» ٢٢٣ و«أدب الخواص» ١٠١. ودون نسبة في «زهر الآداب» ٧٧٤/٢.

(١٨) [من الوافر]:

(١) جَزَى اللَّهُ ابْنَ عَرْوَةَ حِينَ أَمْسَى
عَقُوقًا وَعَقُوقٌ لَهُ أَثَامٌ

* التخریج: «مجاز القرآن» ٨١/٢، ودون نسبة في «الكامل» ٩٢١. ولشافع الليثي في «اللسان» (أثم).

* اختلاف الروايات: ١- «الكامل»: من الأثام.

* اللغة: ١- أثام: عقاب.

(١٩) قال [من الطويل]:

(١) آيْتُ لِنَفْسِي الْخَسْفَ لِمَا رَضُوا بِهِ
وَوَلِيْتَهُمْ شَتْمِي وَمَا كُنْتُ مُفْحَمًا

* التخریج: «البيان والتبيين» ١٨٥/٢، ٢٧٥.

* اختلاف الروايات: في صفحة ٢٧٥: ووليتهم سمي.

(٢٠) قال [من الوافر]:

(١) أَيُوعِدُنِي أَبُو لَيْلَى طَفِيلٌ
وَيُهْدِي لِي مَعَ الْقَلْصِ الْكَلَامَا؟!

(٢) أَتُوعِدُنِي وَأَنْتِ بِيَطْنِ نَجْدَا؟!

(٣) وَطِئْنَا نَجْدَكُمْ حَتَّى تَرْكُنَا
حَزُونَ النَّجْدِ نَحْسِبُهَا سَخَامَا

* المناسبة: جاور بنو ليث الطفيل بن مالك الكلابي، والد عامر بن الطفيل، ثم إن الطفيل أحب أن يتنصل من عهده لهم لعراמתهم وشرهم، فأخبرت ليلى بنت الطفيل بلعاء بذلك، فأغار بلعاء وقومه على أموال لبني عامر وهربوا بها، وقال بلعاء هذه الأبيات.

* التخریج: «المنق في أخبار قريش» ١١٧.

(٢١) قال [من الوافر]:

(١) وَكُنْتُمْ مِثْلَ شَاةِ السُّوءِ ظَلْتُمْ
تُثِيرُ بِظَلْفِهَا ذَكَرًا حَسَامَا

* التخریج: «حماسة البحرى» ١٧٩.

(٢٢) قال [من الطويل]:

- (١) دعوت أبا ليلى إلى السلم كي يرى
(٢) دعائي أشبُّ الحربَ بيني وبينه
(٣) فلما أبى أرسلتُ فضلةً ثوبه
(٤) وحين رمانيها رميت سواده
(٥) فكان صريعَ الخيل أول وهلة
(٦) إذا أنت حرَّكتِ الرغى وشهدتها

• التخریج: «حماسة البصرية» ٢١٣/١، ونسبت لأخيه جثامة في «حماسة ابن الشجري» ٥٣، وللحارث بن وعلة الشيباني في «مجالس ثعلب» ٣٣٤، ولحكمة بن قيس الكناني في «مجموعة المعاني» ٢٠٢، ودون نسبة في «حماسة البحري» ٥٥، ٥٦، و«الاختيارين» ١٨١، ١٨٢.

(٢٣) قال [من الطويل]:

- (١) لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
(٢) وكائن ترى من صامت لك معجب
- التخریج: «نشوة الطرب» ٣٧٩/١، و«معا لزهير بن أبي سلمى في «شرح المعلقات السبع» للزوزني ٢٤٤، ٢٤٥، ولبسا في ديوانه بروايتي ثعلب والأعلم، ونسبا لعبدالله بن معاوية الجعفري في «حماسة البحري» ١٣٥، وللأعور الشني في «البيان والتبيين» ١٧١/١.

(٢٤) قال [من البسيط]:

- (١) كالرأس مرتفعٌ فيه مشاعره
• التخریج: «البرصان والأعرجان» ٣١٢.

(٢٥) قال:

- (١) لعمرك ماليثٌ وإن كنت منهم
(٢) وهُم أسلموني يومَ ذي الرمث والغضا
(٣) وهم أخرجوا من كل بيتين سيِّداً
- التخریج: «أنساب الأشراف» ١٣/٢٦٨.

الإمارات العربية (دباً): أحمد بن محمد علي بن عبيد الهنداسي

ملاحظات حول تحقيق كتاب:

«الأشباه والنظائر» للسيوطي

طُبِعَ كتاب «الأشباه والنظائر» للإمام جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) عدّة طبعات، كانت إحداها تلك الطبعة التي حققها الدكتور عبدالعال سالم مكرم، ونشرتها مؤسسة الرسالة ببيروت في تسعة أجزاء.

وقد نصّ الدكتور عبدالعال على السبب الذي حمله على إعادة طبع هذا الكتاب محققاً، وهو أن الكتاب بحالته الراهنة تكثُر فيه الأخطاء المطبعية، والتحريفات التي لا تُعدّ لكثرتها، فضلاً عن الكلمات الغامضة، والنصوص الشعرية التي اختلطت بالنصوص الثرية، وبعض التركيبات التي سقطت بعض كلماتها فعزّت على الفهم. (٦/١)

ثم تعرّض الدكتور عبدالعال لتاريخ طبع كتاب «الأشباه والنظائر» مبيناً المثالب التي اعتورت الطبعات السابقة، فأخرجتها من نطاق التحقيق العلمي، وتوقف عند الطبعة الأخيرة التي حققها - أو نشرها كما يُصوّب - طه عبدالرؤف سعد، فبيّن أنّه في هذا الكتاب لم يفعل شيئاً غير اعتماده على النسخة المطبوعة طبعة ثانية في حيدرآباد. (٢٣/١)

ثم جعل الدكتور عبدالعال يسرد نقائص هذه الطبعة الأخيرة، كخلوها من الضبط، والتعليقات، ونسبة الأبيات، وتكرارها لأخطاء الطبعات السابقة، وانتهى إلى النتيجة الآتية: (من أجل هذا كلّه فالنسخة في باب التحقيق ساقطة، لم تقدّم جديداً، ولم تحقق فائدة، وزادت الطين بلةً، فأفسدت كثيراً من صواب النسخة المطبوعة طبعة ثانية، ولهذا صمم عزمي على أن أقوم بتحقيق هذا الكتاب) (٢٨/١).

وقد بذل الدكتور عبدالعال جهداً كبيراً في إعادة تحقيق هذا السُفر الكبير، فجمع المخطوطات، وضبط النصّ، وشرح الغامض، ونسب الشعر، ووثق المنقول، وصوّب المحرّف، وفصل الفقر، وصنع الفهارس الوافية. يبيّن أن هناك بعض الهنات التي عنّت لدى قراءة الجزء الأول من هذا الكتاب، فرأيت أن أنشرها، حتى تبرا منها طبعاته اللاحقة.

وتتجسم هذه الهنات فيما يلي:

أولاً: عدم الرجوع إلى بعض المصادر التي صرح السيوطي بالنقل عنها:
ومن هذا: تلك النصوص التي صرح فيها السيوطي بالنقل عن كل من:
- ابن يعيش في «المفصل» (انظر: ٢٤/١، ٧١، ٧٤، ١١٨، ١٣٧، ١٤٨، ١٩٩، ٣١١).

- ابن السراج في «الأصول» (انظر: ٧١/١، ٢١٠، ٣٤٥).

- ابن هشام في «المغني» (انظر: ٣١٤/١، ٣١٧، ٣٢٣).

- الحريري في «درة الغواص» (انظر: ٣١٧/١).

- ابن جنّي في «سرّ الصنّاعة» (انظر: ٣١٧/١).

- ابن مالك في «التسهيل» (انظر: ١٧٣).

وكل هذه المصادر ذائع ومطبوع، وقد كان في الرجوع إليها معتصم عما شاب بعض هذه النصوص المنقولة من تحريف، أو سقط، أو إقحام، كما سيأتي. هذا فضلاً عن أنّ مطابقة النصوص المنقولة على مصادرها عنصر مهم من عناصر التحقيق العلمي.

ثانياً: الفهم الخاص لبعض العبارات والكلمات:

- (٢٥/١): (وقال ابن جنّي في «المحتسب»... وَهُمْ لَمَّا كَثُرَ فِي اسْتِعْمَالِهِمْ أَشَدَّ تَغْيِيرًا، كَمَا جَاءَ عَنْهُمْ كَذَلِكَ: لَمْ يَكُ، وَلَا أُدْرِ، وَلَمْ أَبْلُ، تَقُولُ: وَجَائِجِي، وَسَائِسُو بِحَذْفِ هَمْزَيْهِمَا).

والصواب: (ولم أبل، وأيش تقول، وجائجي..) كما هو في «المحتسب» (انظر ٣٧/١).

- (٢٧/١ - ٢٨): قال ابن إياز في «شرح الفصول»: (اعلم أنّ العرب قد أكثرت من الاتباع، حتى صار ذلك كأنه أصل يقاس عليه، وإذا كانت قد زالت حركة الدال مع قوتها للإتباع، وذلك ما حكاه القراء من: الحمد لله، بكسر الدال اتباعاً لكسرة اللام، وقلّبوا أيضاً الياء إلى الواو، مع أنّ القياس عكس ذلك، فقالوا: أنا أخوك، يريدون: أنا أخيك، حكاه سيبويه).

ثم علق المحقق على ذلك بقوله: (في ت فقط: أبا أخوك - أبا أخيك،

تحريف، ولعل الصواب: أنا أخوك - أنا أخيك في حالة تصغيرها).

قلت: بل الصواب هو: (أنا أجوءك) يريدون (أنا أحيثك). وعبارة سيويه في «الكتاب» (١٠٩/٤) وهي ما يلي: (وأما الذين قالوا: مغيرة ومعين، فليس على هذا، ولكنهم أتبعوا الكسرة الكسرة، كما قالوا: متنن، وأنبؤك وأجوءك، يريد: أحيثك وأنبئك).

- (١/٣٢) في سياق الحديث عن الاتساع في المصدر: (وإذا كان [أي: المصدر] بمعنى فاعل، جاز أن يكون صفة).

ثم علّق المحقق على ذلك التقرير في الهامش بقوله: (أي: إذا كان المصدر بمعنى فاعل جاز أن يكون صفة كالمالح والعافية، وقد جاءت مصادر كثيرة على فاعلة، تقول: سمعت راعية الإبل، وثاغية الشاة، أي: سمعت رُغاءها وثُغاءها). ولا أظن أن هذا هو المقصود من التقرير الذي بالمتن، وإنما مثل قولهم: (رجل عدل)، أي: عادل.

- (١/٧٥ - ٧٦): (وقال الشيخ بهاء الدين ابن النحاس في التعليقة على «المقرب»: كان الأصل أن يوضع لكل مؤنث لفظٌ غير لفظ المذكّر، كما قالوا: عَيْرٌ وأَتَانٌ، وجَدْيٌ وعَنَاقٌ... وحَصَانٌ وحَجَرٌ [هكذا بفتح الحاءين]).

ثم علّق المحقق على المثال الأخير في الهامش بقوله: (في «القاموس» (حصن): حَصَانٌ، كسحاب: الدُّرَّةُ والحَجَرُ: يقصد به الحَجَرُ الكريم!).

قلت: ولا وجه للحَجَرِ والدُّرَّةِ ها هنا، بل الصواب: (حصان) - بكسر الحاء - وهو ذَكَرُ الخيل، و (حجر) - بكسر الحاء وسكون الجيم - وهي أنثى الخيل.

وقد كان يجوز في الظن أن يكون ضبط (الحصان) و (الحجر) على الصورة المصحّفة في متن الكتاب من صنع الطبّاع، ويُفهم اللفظان على النحو الأسَدِّ، لولا تعليق المحقق عليهما في الهامش.

- (١/١٢٧) في سياق الحديث عن الاستغناء: (وقال السزمخشري في «الأحاجي»: سرادق وحمّام وبوّان في الأسماء... لم يجمعوها إلا بالألف والتاء

وهي مذكرات ... استغناء به عن التكسير).

ثم علق المحقق في الهامش على كلمة بَوَّان بقوله: (في ط والنسخ المخطوطة: بَوَّان، وشك مصحح الطبعة الثانية من «الأشباه» فذكر في الهامش: كذا في الأصلين، ولعله: إيوان، مع أن إيوان يُكسَّر فيقال: أووين، كما في «القاموس» والصواب بَوَّان، وهو شعب مشهور سجَّله المتنبي في شعره بقوله:

يقول بشعب بَوَّان حصاني: أَعَنَّ هذا يُسارُ إلى الطَّعان؟

قلت: لا وجهَ لـ (بَوَّان) اسماً لهذا الشعب المشهور هاهنا، وإنما هو (البوَّان) - بكسر الباء أو فتحها مع فتح الواو غير المشددة - الذي يُطلق على عمود الخباء (انظر: «الكتاب» ٦٠٢/٣ و ٦١٥، و «شرح الشافية» للرضي الاسترأباذي ١٢٧/٢، و «تاج العروس»: (بون).

ثالثاً: السقط والإقحام:

- (١٨/١): (فيقال هذا مرءٌ ومُءٌ، ورأيت مرءاً ومَءاً، ونظرتُ مرءٌ ومِءٌ).

ففي الجملة الأخيرة سقط، ولعل الصواب هو: (نظرتُ إلى مرءٍ ومِءٍ).

- (٢٤/١): (وقال ابن يعيش في شرح «المفصل» ... فخذفوا ألف الوصل

من ابن، لأنه لا ينوي فصله مما قبله، إذا كانت الصفة والموصوف عندهم مُضارعة للصِّلَة والموصول من وجوه).

والصواب: (إذ كانت)، كما هو مثبت في شرح «المفصل» (٥/٢).

- (٢٩/١) في سياق الحديث عن الاتساع: .. (عقد له ابن السَّرَّاج باباً في

«الأصول»، فقال: اعلم أن الاتساع ضَرَبٌ من الحذف، إلا أن الفرقَ بينهما أنك لا تُقيم المتوسِّع فيه مقام المحذوف، وتُعرِّبه بإعرابه).

والصواب هو حذف (لا) من قوله: (لا تقيم المحذوف)، وهي لا وجود لها

في «أصول ابن السَّرَّاج» (انظر: ٢/٢٥٥).

- (٣٠/١) في سياق الحديث عن الاتساع في الظروف، وقيامها مقام

الأسماء: (والثاني: نحو: صيد عليه يومان، والمعنى: صيد عليه الوحش في يومين. ووكد له الولد ستونَ عاماً، والمعنى: وكد له الولد ستين).

والصواب هو حذف كلمة (الولد) من المثال الأول، لأن هذا هو موضع التوسع فيه، ثم إن النص في «الأصول» (٢/ ٢٥٥) هكذا: (وأما اتساعهم في الظروف فنحو قولهم... ووكد له ستون عاماً، والتأويل: وكّد الولد في ستين عاماً. - (٢٣/ ١) في سياق الحديث عن الاتساع في المصادر: (وإذا توسّع بها، وكانت عامة على أصلها لم تُثَنَّ ولم تُجمَع رعيًا للمصدر، وخاصة نحو: ضَرَبَ زيد، وسَيَّرَ البريد، فربّما جازت التثنية والجمع...).

والصواب هو: (أو خاصة)، لأن المقصود ذكر حالة أخرى للمصادر فيها حكم خاص، هو جواز تثنيها وجمعها، وهذه الحالة مقابلة للحالة الأولى التي تكون فيها المصادر عامة على أصلها، وهي في طبعة طه سعد: (أو) على (الصواب): (انظر: ١/ ٢٠).

- (١/ ٢٦٣): (وذلك قولهم: لاه ابنُ عمِّكَ أَفْضَلْتَ في حَسَبٍ).

والصواب: (لا أفضلت)، وهو شاهد مشهور.

رابعاً: التصحيف والتحريف:

- (١/ ٢٧ - ٢٨): (وإذا كانت قد زالت حركة الدال مع قوتها للإتباع، وذلك

ما حكاه الفراء من: الحمد لله، بكسر الدال، اتباعاً لكسرة اللام.. كان الاتباع في نحو: مَدُّوْ وشُدُّ أجوز وأحسن).

والصواب: (كان الاتباع...).

- (١/ ٩٥): (باب رَمِيَّة، يُنسَب إليه، رَمَّوِي كذالك، والمحذوف الياء

الأولى، وهي الياء المدغمة في لام الكلمة).

والصواب: (باب رَمِيَّة) - بكسر الميم، وفتح الياء المشددة -.

- (١/ ١٥٢): (ويجَاب بأنّ الحامل موجود، وهو أنّ اللفظ إذا احتيج في فهم

معناه إلى إعمال فكر كان أبلغ (وأكد).

والصواب: (كان أبلغ...).

- (٢٢٤ / ١): (وقال ابن جنّي في «الخصائص»... كما صحّحوا عَوْرَ وَحَوْلَ
لَمَّا كَانَا فِي مَعْنَى أَعْوَرٍ وَأَحْوَلٍ).

والصواب: (اعوّرٌ واحوّلٌ)، كما هو مثبت في «الخصائص» (٢٢٤ / ٢).

- (٢٤٥ / ١): (وعليه جاء قوله: وليس عليه تتبّعُه اتّباعاً).

والصواب: (وليس بأن... كما هو مثبت في «الخصائص»): (٣٠٩ / ٢).

- (٢٤٩ / ١): (وضربته تأديباً منصوبٌ بتقدير اللام، وغلّامٌ زيدٌ مجرورٌ

بتقديم اللام).

والصواب: (بتقدير اللام).

خامساً: الأخطاء المطبعية: وقد رأيت أن أذكرها استتماماً للفائدة، وهي كما يلي:

الصفحة	السطر	الخطأ	صوابه
٢١ / ١	٩	وقياسة	وقياسه
٤١ / ١	١١	الياء	الباء
٤٤ / ١	٣	حدفت	حدفت
٤٤ / ١	٥	ابن عصفو	ابن عصفور
٥٩ / ١	٩	يفحل	يفحل
٧٠ / ١	١	مبى	مبني
١٨٦ / ١	٢	إعباره	إعرايه
٣٤٨ / ١	٦	تتكبر	تكتبر

وبعد، فإنّ تحقيق نصّ تراشيّ تحقيقاً علمياً أمرٌ دونه عقبات نسوّف، فإذا كان
النصّ متعاضم الحجّم كـ «الأشباه والنظائر»، وإذا كان المؤلف متراحب الثقافة،
كالسيوطي، فقد بعدت الشقّة، وتضاعف الجهد، فاللهم نسألك العصمة من
طغوة القلم، وامتطاء البديهة، واستبهام النّفذ.

كلية الآداب - (جامعة طنطا) - د. عبدالكريم محمد حسن جبل

مدرس العلوم اللغوية

نظام السفارة عند العرب قبل الإسلام

السفارة منذ القديم فنّ تحشد طاقات الشعب للدفاع عن مصالحه الوطنية، ولا تتجه الوجهة الصحيحة في دعم قوة الشعب بدونها، وقد بلغت السفارة في عصرنا الحاضر بعد التطور الذي شهدته عبر التاريخ، درجة تفوق من حيث التقدم والنضج ما كان أمرها في بدايتها.

ولكن رغم ذلك فلا شك في أن السفارة - بمعنى الإجراء المنظم للعلاقات بين جماعة بشرية معينة وجماعة بشرية أخرى أجنبية عنها هي أقدم من التاريخ^(١) وعمرها ليس أقل من عمر الشعوب، فقد بدأ استخدامها منذ خلق الأرض وسيبقى إلى نهايتها^(٢).

فككل الشعوب استخدمت العرب السفارة، واستطاعت بها أن تبني علاقات وتكون روابط بينها وبين الشعوب والقبائل الأخرى، وهذا ما سنستعرضه بمزيد من التفصيل والدقة في هذا البحث، لكن قبل هذا يجب علينا معرفة مفاهيمها التي تقدم فيما يلي:

المبحث الأول: مفهوم السفارة لغة واصطلاحاً:

(١) السفارة لغة: السفارة مصدر لفعل (سفر)، ولهذا الفعل مفاهيم مختلفة منها قطع المرء لمسافة بعيدة^(٣)، مثلاً يقال: (سفر يسافر سفراً بعيداً)^(٤)، كما تطلق هذه الكلمة على الارتحال فيقال: (سفر الرجل أي خرج للارتحال)^(٥)، وقد قيل (السفر) بكسر السين وسكون الفاء أي الكتاب الذي يسفر عن الحقائق، وقيل الكتاب الذي يبين الشيء ويوضحه، ويطلق على الجزء من التوراة وجمعها أسفار^(٦)، ومن هذا كلمة (السفرة) جاء في «لسان العرب»: (السفرة كتبة الملائكة الذين يحصون الأعمال)^(٧)، وتطلق لغة على إيقاع الصلح بين القوم، فيقال سفر بين القوم أي أصلح بينهم^(٨).

وقد اشتق من لفظ السفارة (السفير)، فقالوا السفيري، وسفير الأمة، وسفير

الممالك، وسفير الملوك والسلاطين^(٩)، وعرفوه بأنه الرسول المصلح بين القوم، وجمعه سفراء كفقيه وفقهاء^(١٠).

(٢) مفهوم نظام السفارة اصطلاحاً: كما أشرنا، فإن السفير عند العرب هو الرسول والمصلح بين القوم، وقد كان العرب في جاهليتهم إذا وقعت بينهم وبين غيرهم من القبائل حرب، وأرادوا الصلح بعثوا سفيراً عنهم، وكذلك الحال إذا أرادوا المنافرة أو المفاخرة، جعلوا من بينهم سفيراً إلى القبيلة الأخرى ليعلمهم بما استقر عليه الأمر وبما اشترط عليه من الشروط^(١١).

وكان عمر بن الخطاب أحد سفراء قريش في الجاهلية، وقد كانوا يبعثونه سفيراً إن وقعت بينهم وبين غيرهم حرب، أو نافرهم منافراً، أو فاخرهم مفاخر بعثوه منافراً أو مفاخرأ ورضوا به^(١٢).

وبناء على ما تقدم يمكن تعريف السفارة اصطلاحاً بأنها بعثة ولي الأمر لشخص معتمد من قبله إلى جهة معينة لمباشرة مهمة معينة^(١٣)، وهذا التعريف لا يختلف عما نجده في مفاهيم الدبلوماسية، ويمكن القول أن العرب استخدمت السفارة بمعنى الدبلوماسية.

المبحث الثاني: نشأة السفارة عند العرب في الجاهلية:

البلاد العربية هي البلاد التي عرفها القدماء عادة باسم عربية Arabia^(١٤)، وكل من سكن جزيرة العرب ونطق بلسان أهلها فيسمونه عربياً على اسم بلدهم^(١٥).

اقتسم العرب جزيرتهم على خمسة أقيام هي تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن، وإنما سميت بلاد العرب جزيرة لإحاطة الأنهار والبحار بها من جميع أقطارها وأطرافها، فصاروا منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر^(١٦).

وقد جاور العرب الشعوب القديمة كال يونان والرومان الذين اعتبروهم عموماً برابرة^(١٧) أي متوحشين، ويسمونهم Saraceni أو (السراقية)، وربما كان اشتقاق كلمة (شرقيين) من هذه الكلمة الأخيرة^(١٨).

أما الفترة التي يطلق عليها لفظ (الجاهلية)^(١٩) فهي فترة ما قبل الإسلام، وقد كانت مدينة مكة تحتل مقاماً مقدساً في الجاهلية أيضاً، وتسمى أيضاً (بكة)^(٢٠).

وقد مارس العرب السلطة في شكلها البدائي في مكة، فقد كان شيخ القبيلة بمثابة رئيس الدولة الذي يدير شؤونها المالية والقضائية والحربية والسياسية^(٢١)، وكانت السفارة وظيفة معروفة في سلطة مكة، إذ كانت تتولى تمثيل القبيلة في شؤون الصلح بعد القتال، أو التفاوض مع سائر القبائل، وقد كانت هذه الوظيفة خاصة ببني عدي وهم أحد بطون قريش^(٢٢)، وقد تولى عمر بن الخطاب هذه الوظيفة قبل الإسلام^(٢٣) وسفر في مهمته الدبلوماسية إلى الشام والعراق لتمثيل قريش عند كثير من ملوك العرب والعجم^(٢٤).

فالعرب قد عرفوا نظام السفارة مع غيرهم من القبائل والأمم والشعوب المجاورة، واستخدموه في تنظيم علاقاتهم فيما بينهم ومع غيرهم، فكان من الطبيعي أن تكثر الوفادات والسفارات في تاريخ العرب قبل الإسلام، بوصفها وسيلة ليس ثمة بديل عنها للخروج من عزلتهم في شبه الجزيرة، ولتبادل المنافع مع جيرانهم، وخاصة في الشرق حيث كانت مملكة الغساسنة الموالية للروم، فضلاً عن حاجتهم لكسب الدعم والنصرة في المعارك الضارية التي كانت تنشب بين القبائل، أو لوقف هذه المعارك^(٢٥).

ومن سفارات العرب المشهورة في الجاهلية سفارة عبدالمطلب بن هاشم (ت نحو ٤٥ ق. هـ / ٥٧٩ م) إلى أبرهة وهو في طريقه إلى مكة قاصداً هدم الكعبة بيت الله الحرام ومعه الفيل المشهور، وعندما سمعت العرب بخروجه عظموه ورأوا الجهاد حقاً عليهم ثم عرفوا أنهم لا يقدرّون على هذا^(٢٦)، وقد أصاب أبرهة مئتي بعير لعبدالمطلب، ولما ذهب هذا بسفارة من رجال قريش إلى أبرهة وقدم أموالاً إلى أبرهة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت، فأبى عليهم^(٢٧)، وخلال المفاوضات التي دارت بين عبدالمطلب وأبرهة سأله أبرهة

عن حاجته، فقال له: حاجتي أن يرده عليّ الملك مثني بعير أصابها لي. فاستغرب أبرهة من كلام عبدالمطلب عندما قال: (إني أنا ربّ الإبل وإن للبيت ربّاً سيمنعه)، قال أبرهة: ما كان ليمنع مني، قال عبدالمطلب: (أنت وذاك) (٢٨).

وقد عرض القرآن الكريم قصة أبرهة ونهاية أحداثها حيث يقول جلّ شأنه في سورة الفيل: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، ألم يجعل كيدهم في تضليل، وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كمصف مأكول﴾ (٢٩).

ولا تزال تحتفظ لنا مقبرة مأرب Marib بالنقوش التي تفيدنا بقدم سفارات التهئة على أبرهة من شتى الأمصار والممالك سنة ٥٤٣ ميلادية (٣٠)، وقد كان هدف هذه السفارات كسب الأنصار كما جاء في هذه النقوش بعد ذكرها: (جميعهم طلبوا مودتنا بقوة من لدن الرحمن) (٣١).

المبحث الثالث: أغراض وأهداف السفارة عند العرب في الجاهلية:

(١) كسب الأنصار والتعاون الدولي: استخدم العرب السفارة لكسب الأنصار وحشدهم زمن الحروب، وقد أدت السفارة أثناء الحرب وعقبها مهام عديدة، حيث تدعو الحاجة إلى تسوية ما نجم عن تلك الحروب من مشكلات، مثل تبادل الأسرى ودفع الديات وتنظيم شؤون الهدنة أو السلم والأمن، وغير ذلك من الأمور (٣٢).

وقد كان لتراث مملكة سبأ أثر كبير ساعد على ازدهار السفارات، ودخول العرب في علاقات ودية مع جيرانهم، فقد حققت مملكة سبأ اليمنية انتصارات كبيرة غير مسبوقة عند العرب، حيث كانت الظروف الدولية تسمح بذلك التوسع على حساب الكيانات المجاورة الضعيفة التي لم تقدر على إيقاف هذا الزحف والتوسع، ويذكر لنا القرآن ثراء هذه الدولة وعمرانها الكبير، حيث يقول المولى جلّ ذكره: ﴿لقد كان لسبأ في مساكنهم آية جتان عن يمين وعن شمال، كلوا من رزق ربكم واشكروا له، بلدة طيبة وربّ غفور﴾ (٣٣) غير أن هذه المملكة

قد ضعف أمرها، وتحلل شأنها، فكان لذلك أثره الكبير على المنطقة كلها إذ شهدت حركة دبلوماسية نشطة لوضع نظام جديد، وقد سعت القوى الموجودة آنشد إلى كسب الأنصار والحلفاء، كما سعت كل الدول للحصول على المساعدات الخارجية^(٣٤).

وإثر زوال هذه المملكة استعمل العرب السفارة لتدعيم التعاون الدولي وإقامة العلاقات السياسية مع الشام والروم حيث كانت الشام من ولايات دولة الروم^(٣٥)، بل إن ذراع الروم قد تجاوزت الشام حيث تشير بعض الروايات إلى أن الروم قد ساعدوا قصبياً بصورة مباشرة أو غير مباشرة في تقلد الحكم في مكة^(٣٦)، فقد استعان قصي ببعض بطون قضاة وحلفائها من الشام^(٣٧)، كما أن هناك تعاوناً اقتصادياً وثقافياً يؤكد عمق التعاون الدولي والصلات الوثيقة بين الشام والروم قبل الإسلام، منها ما يروى عن وصول بعض تجار الروم إلى مكة في مقابل وصول تجار مكة إلى بلاد الروم، ومنها استخدام قريش لبناء يقال بأنه رومي عندما أعيد بناء الكعبة على أثر سيل جارف قبيل البعثة النبوية^(٣٨).

ولم تقتصر علاقات العرب على جيرانها الأقارب بل امتدت إلى الهند، فقد كان بين الحضارتين تعاون وثيق يؤكد اقتباس العرب لعشرات من المصطلحات الهندية في المجالات الاقتصادية والاجتماعية التي أخذت طريقها إلى اللغة العربية، أيضاً اشتهار أنواع من المنتجات الهندية عند العرب مثل أنواع الطيب وصناعة السيوف^(٣٩).

كما نجد أن علاقات العرب امتدت غرباً إلى الحبشة حيث نجحت قريش في ربط علاقات تجارية مربحة مع الحبشة في زمن النجاشي الذي أيد هذه العلاقة وشجعها^(٤٠).

هذه بعض الأمثلة المبينة لدور السفارة عند العرب في ربط أواصر التعاون ودعم العلاقات الدولية مع غيرهم من الدول والشعوب المجاورة.

٢) تطور التجارة الدولية: كان العرب أمة تعيش على التجارة بالأساس، لذا وظفوا السفارة لدعم التجارة وتوسيعها وتطويرها، وقد كانت التجارة مع الدول المجاورة تسير عبر الطرق البرية نحو الشام، والبحرية نحو الهند وسيلان والحبشة عبر الخليج^(٤١) وقد استخدمت قريش السفارات في حماية هذه الطرق وتوفير سبل الأمان لها وتنظيم الرحلات،^(٤٢).

وتروي لنا الروايات أن هاشمًا بن عبد مناف (ت نحو ١٠٢ ق. هـ / ٥٢٤م) سافر إلى ملوك الشام والروم وغسان، وأقام معهم معاهدات صداقة وأمان لتجار العرب^(٤٣)، وسنَّ الرحلتين المشهورتين رحلة الشتاء إلى الشام ورحلة الصيف إلى الحبشة^(٤٤)، وقد لقي هاشم قيصر الروم، فلما سمع كلامه أعجبه، قال له هاشم: (أيها الملك إن لي قومًا هم تجار العرب، تكتب لهم كتابًا يؤمنهم ويؤمن تجارتهم حتى يأتوا بما يستطرف من إدم الحجاز وثيابه) ففعل قيصر ذلك، وانصرف هاشم^(٤٥).

ولتوسيع حركة التجارة بعثت العرب عبد شمس بن عبد مناف إلى النجاشي وعبدالمطلب بن عبد مناف إلى ملوك حمير^(٤٦)، وبهذا نجحت قريش في توسيع تجارتها باستخدام الدبلوماسية.

٣) التهاني والتعازي: وكان من أغراض السفارة أيضاً إرسال الوفود لتقديم التهاني أو التعازي، ومن هذا النوع سفارة عبدالمطلب بن هاشم إلى سيف بن ذي يزن ملك حمير (٧٥ ق: هـ / ٥٤٩ م - ٥٠ ق. هـ / ٥٧٤م) لتهنئته، فكان من ذلك أن منحهم الأمان، وردَّ ملك حمير على هذه السفارة قائلاً: (أنتم أهل الليل والنهار ولكم الكرامة ما أقمتم والحباء إذا ظعتتم)^(٤٧).

وكذلك استخدم العرب السفارة للمفاخرات والمنافرات، وقد كانت بعض سفارات عمر بن الخطاب لأجل هذا^(٤٨).

٤) انعقاد الأحلاف داخل جزيرة العرب وخارجها: استعمل العرب السفارة

في تمثيل القبيلة لدى القبائل الأخرى للتفاوض والوصول إلى الاتفاق، ولحل المشاكل العالقة والمنازعات، وعقد الصلح بعد الحرب، وكانت تسمي هذه الاتفاقيات الحلف^(٤٩)، مثل حلف الفضول^(٥٠) وكذلك الإيلاف الذي ابتكرته قريش^(٥١)، وقد استعمل القرآن الكريم هذا المصطلح كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِيْلَافٍ قَرِيْشٍ، إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾^(٥٢)، فقد دخلت قريش في إيلاف مع ملوك اليمن والحبشة والروم عندما بعثت أبناء عبد مناف هاشمًا وعبد شمس وعبد المطلب إليهم^(٥٣).

كذلك دخل العرب في التحالف القبائلي^(٥٤)، وكان من عاداتهم عند إمضاء الاتفاقيات تنظيم الحفلات، ومن طقوسهم صبّ الدم في الخمر قبل الشرب^(٥٥) كما كانت تشعل النار بعد إقامة المعاهدة وتسمى نار الحلف^(٥٦)، ويبدو أن نظام التحالف قد استمر في مكة حتى عصر الرسول ﷺ، حيث كانت هناك ثلاث فئات قريشية متنافسة هي كما يلي:

فئة أولى تضم بني هاشم والمطلب وزهرة وتيم والحارث بن فهر وعدي، وفئة ثانية تضم بني عبد شمس ونوفل وأسد وعامر، وفئة ثالثة تضم بني مخزوم وسهم وجمح وعبدالدار، ويمكننا أن نلاحظ أن الفئة الأولى كانت تتضمن جماعة حلف الفضول كما أنه كانت بين الفئتين الثانية والثالثة علاقات ودية ومصالحة مشتركة^(٥٧).

وقد كانت الأحلاف تكتب وتمزق إلى جزئين، وكان كل فريق يأخذ جزءاً حتى لا يغير أي واحد شيئاً من الحلف، وأحياناً كانت المعاهدة تعلق على باب الكعبة، كما هو الشأن في معاهدة قطع العلاقات الاجتماعية ضد المؤمنين من أسرة الرسول ﷺ التي علق على باب الكعبة^(٥٨).

ومن أقوال العرب عند الحلف والجوار: (دمي دمك وهدمي هدمك، أي ما هدمت من الدماء، هدمته أنا)، ويقال أيضاً: (بل اللدم اللدم والهدم الهدم)^(٥٩).

ومن أشهر الأحلاف حلف (المطيين) الذي انعقد بين قريش بعد موت قصي بن كلاب، لتقسيم وظائف سلطة مكة^(٦٠)، وحلف الفضول الذي اتفقت عليه بنو هاشم وبنو عبدالمطلب وآخرون بعد حرب الفجار، وقد شهد الرسول ﷺ هذا الحلف^(٦١). فكانت هذه الاتفاقيات نتيجة المجهودات الدبلوماسية التي وفدت لأجلها السفارات.

هكذا أدت السفارة دوراً حيوياً لانعقاد المعاهدات وإبرام الاتفاقيات وتنشيط العلاقات بين الدول والقبائل في كافة مناحي الحياة.

المبحث الرابع: قوانين نظام السفارة عند العرب في الجاهلية: استمدت السفارة عند العرب قوانينها ومضامينها وجميع ملبساتها من ثوابت اجتماعية واقتصادية وثقافية تميز بها العرب عن غيرهم بحكم موقعهم الجغرافي وتاريخهم الاجتماعي. كان نظام السفارة في الجاهلية مبنياً على بعض القوانين التي كانت القبائل تلتزم بها، وكان السفراء يزودون بها قبل إرسالهم في مهمة، فقد روى الواقدي (ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢م) أن قريشاً في الجاهلية كانت إذا أرسلت رسولا إلى بعض الملوك قالت له: (احفظ شيئاً: انتهب الفريضة فإنها خلصة، وبت عند رأس الأمر لا ذنبه وإياك وشفيعاً مهيناً فإنه أضعف وسيلة، وإياك والعجز، فإنه أوطأ مركب، وعليك بالصبر فإنه سبب الظفر ولا تخض الغمر حتى تعرف القدر)^(٦٢).

وقد مارس نظام السفارة عند العرب مهماته بناء على القوانين التالية:

١- أمان الرسل: عرف العرب في الجاهلية حصانة الرسل والسفراء، فكان السفير آمناً في القبيلة التي يرسل إليها ودون إذن منها، كما يقول السرخسي (ت ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م): (إن الرسل لم تزل آمنة في الجاهلية والإسلام)^(٦٣). وكذلك عرف العرب نظام الأمان لبعض الأمكنة حيث إن من دخلها كان آمناً^(٦٤).

٢- ضيافة السفراء: ساعدت روح الضيافة المعروفة عند العرب السفراء على أداء مهامهم، فهذه الروح قد ضمنت للسفير الراحة بعد طول سفر في الصحراء

القاسية، وقد كانت هذه الصفة من مفاخر العرب ومناقبها، وقد قال النعمان بن المنذر (ت ٣٢٣ ق هـ / ٣١٢ م) في مجلس كسرى في ذكر أوصاف العرب: (فإن أدانهم رجلاً الذي تكون عنده بكرهٌ والناب عليها بلاغه في حموله وشبعه وريه، فيطرقة الطارق الذي يكنفي بالفلذة ويحتذي بالشربة فيعقرها له ويرضى أن يخرج عن دنياه كلها فيما يكسبه حسن الأحوثة وطيب الذكر)^(٦٥).

٣- تكوين الوفود: كانت العرب يوفدون الوفود في المناسبات العديدة، وقد ساعدت هذه الفرص على تكوين الزعماء والشيوخ والرجال الكبار المتمرسين، وكانت القبائل تنبئها عن نفسها لدى الملوك، وقد مثلها منهم وفود إلى ملوك الحبشة والشام وغيرهما.

٤- الأشهر الحرم: تعد الأشهر الحرم مناسبة كبيرة لتكثيف التحركات الدبلوماسية، وقد استغلت العرب هذه الفرصة المتميزة بالسلم والأمان، حيث يحرم القتال فيها وتضع الحرب أوزارها ويتخلص كل شخص من سلاحه دون خوف أو حيلة^(٦٦).

٥- احترام المعاهدات: كان العرب يحترمون المعاهدات وكان وفاؤهم بها مشهوراً في الجاهلية، فإن أحدهم يلحظ اللحظة يومي الإمامة فهي ولث (أي عهد) وعقدة، لا يحلها إلا خروج نفسه، وإن أحدهم ليرفع عوداً من الأرض فيكون رهناً بدين فلا يفلق رهنه ولا تخفر ذمته، وإن أحدهم ليبلغه أن رجلاً استجار به، وعسى أن يكون نائياً عن داره، فيصاب، فلا يرضى حتى يفني تلك القبيلة التي أصابته أو تفنى قبيلته لما خفر من جواره، وإنه ليلجأ إليهم المجرم المحدث من غير معرفة ولا قرابة، فتكون أنفسهم دون نفسه وأموالهم دون ماله^(٦٧).

الوفاء بالمعاهدات من أخلاق العرب التي كانوا يتمدحون بها، ويعيون من خالف الوفاء بالعهد، فقد كان العهد عندهم ديناً يتمسكون به، ويستهنون في سبيل الوفاء به قتل أولادهم وتخريب ديارهم^(٦٨).

٦- فض النزاعات بالتحكيم: كان التحكيم من قوانين الدبلوماسية العربية قبل الإسلام، وقد كان رئيس القبيلة أو كاهنها يتولى مهمة التحكيم في صورة النزاع الداخلي، وإن كان النزاع بين القبائل فيلجأ إلى أهل الشرف والصدق والأمانة والرئاسة والسن والمجد والتجربة^(٦٩) للتحكيم، وقد ترك هاؤلاء الحكماء أمثلة في الحكم بالعدل والإنصاف^(٧٠).

ومن أمثلة التحكيم العربي ما وقع في حرب داحس والغبراء، التي نشبت بين قبائل عبس وقبائل ذبيان، وقد قتل فيها كثير من الناس، فسعت القبائل المتحالفة إلى الصلح، وأرسل السفراء بينها حتى اختتمت الحرب بالتحكيم^(٧١). ويمكن اعتبار حكم محمد بن عبدالله ﷺ في قضية وضع الحجر الأسود عند إعادة بناء الكعبة مثالا نادرا في التاريخ الدبلوماسي عند العرب^(٧٢).

وتحكي لنا المصادر أن الرسول ﷺ لما بلغ الخامسة والثلاثين من عمره، حين جددت قريش بناء الكعبة، فقد اختلفت قبائلها فيمن يضع الحجر الأسود مكانه، ثم اتفقوا على أن يحكم في هذا أول من يدخل من باب بني شيبه، فكان رسول الله ﷺ أول داخل عليهم، فلما رأوه قالوا: (هذا الأمين، رضينا، هذا محمد)، ولو أراد محمد أن يستأثر بهذا الشرف لنفسه لكان ممكنا، ولكنه طلب ثوبا، وأخذ الحجر ووضع فيه بيده ثم قال: (أأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوا جميعا)، ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه بيده ثم بنى عليه^(٧٣).

ويعد أسلوب الدبلوماسية الذي اختاره محمد ﷺ للتحكيم في هذه القضية مثالا نادرا في تاريخ الدبلوماسية^(٧٤).

وخلاصة القول أن السفارة وسيلة الصلح بين الناس، كما كانت أداة التمثيل لدى القبائل الأخرى، وعرفت العرب منذ فترة طويلة، واستخدمتها لأغراض شتى، وكانت تكون السفارات من نخبة الرجال، وقد حققت العرب باستخدامها نجاحات بارزة ووضعت لأجلها قواعد مختلفة.

الخاتمة: بعد تقديم تفاصيل حول السفارة عند العرب في الجاهلية وصلنا بحمد الله وتوفيقه إلى عدة نتائج، أقدمها فيما يلي:

- ١- السفارة بعثة ولي الأمر إلى جهة معينة لمباشرة مهمة معينة.
- ٢- كانت السفارة من وظائف السلطة التي عرفتها العرب وكانت خاصة ببني عدي.
- ٣- بعثت العرب سفارات عدة في الجاهلية لتنظيم علاقاتها مع الجيران ولتبادل المنافع معهم.
- ٤- استخدمت العرب السفارات لكسب الأنصار وعقد التحالفات العسكرية.
- ٥- استخدمت العرب السفارات لتوسيع حركة التجارة وحماية طرقها.
- ٦- وقد كانت السفارات تبعث لتقديم التهاني أو التعازي.
- ٧- عرفت العرب في الجاهلية نظام أمان السفراء، كما كانوا يهتمون بضيافة السفراء وتكوين الوفود لكي تؤدي السفارات مهماتها في أحسن الأحوال.
- ٨- الأشهر الحرم كانت لديهم فرصة لتكثيف مجهودات دبلوماسية كما كانت المعاهدات محترمة عندهم، وكان يلجؤون إلى التحكيم لفضّ نزاعاتهم دون الحرب.

راولهندي باكستان: محمد ضياء الحق

الحواشي:

- (١) مشعان (محمد الدعيح)، «فصول في الدبلوماسية»، (المطبعة العربية الحديثة، القاهرة ١٩٨٢ م)، ص ١٩.
- (٢) R. Resdledé, "Histoire des Grands Principes du Droit des Gens" (Paris, 1923), p: 79.
- (٣) الزبيدي (محمد مرتضى) (ت ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ م)، «تاج العروس» مادة (سفر).
- (٤) الزمخشري (جار الله أبو القاسم) (ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م)، «أساس البلاغة» (دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٥ م)، ص ٢٩٧.
- (٥) النوي (أبو زكريا يحيى بن شرف)، (ت ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م)، «تهذيب الأسماء واللغات» (دار الكتب العلمية، بيروت): ١٤٩/٣.

- (٦) الزبيدي، المصدر السابق: ١٥٥/٣.
- (٧) و (٨) ابن منظر، (محمد بن مكرم، ت ٧١١هـ / ١٣١١م)، «لسان العرب» مادة (سفر).
- (٩) القلقشندي (أبو العباس محمد بن علي، ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)، «صبح الأعشى في صناعة الإنشاء»: ٥٣/٦.
- (١٠) ظافر (القاسمي)، «الجهاد والحقوق الدولية العامة في الإسلام»، (بيروت ١٩٨٢م)، ص ٤٤٦.
- (١١) Bernard Lewis, "The Political Language of Islam", The University of Chicago Press, (1988), p: 76.
- (١٢) ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد، ت ٤٦٣هـ / ١٠٤١م)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، (تحقيق عادل محمد الجاوي، مكتبة نهضة مصر - القاهرة): ١١٤٥/٣.
- (١٣) انظر: حسن محمد سفر، «السفارات في النظام الإسلامي»، مجلة «البحوث الفقهية المعاصرة»، العدد التاسع، ١٩٩١، ص ١١٧.
- (١٤) انظر: Pling, "Natural History" London, 1949, p: 2/259.
- (١٥) ياقوت (شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله)، «معجم البلدان» (دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت ١٩٥٧): ٩٧/٤.
- (١٦) انظر: ياقوت، م. ن: ١٣٧/٢.
- Ameer Ali, "The Spirit of Islam", (Pakistan Publishing House, 1980), p: (Introduction) VII.
- نبيه عاقل، «تاريخ العرب القديم والعصر الجاهلي» (جامعة دمشق ١٩٩١ - ١٩٩٢م)، ص ٢٤.
- (١٧) انظر: Nicolson Harold, "Diplomacy", (III Edition, London, 1969), p: 9.
- عبدالمعتم ماجد، «التاريخ السياسي للدولة العربية» (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٨): ٤٧/١.
- (١٨) أمير علي سيد، «مختصر تاريخ العرب» (القاهرة ١٩٣٨م): ٤/١.
- (١٩) يقصد بها الفترة التي سبقت الإسلام عندما لم يكن لديهم كتاب ولم يبحث إليهم رسول، وقد استعمل القرآن هذا المصطلح في مواقع متعددة مثلاً: آل عمران: ١٤٨، المائدة: ٥٥، الأحزاب: ٣٣.
- انظر: Al. Ghunaimi (Muhammad Talaat), "The Muslim Conception of International Law and Wester Approach", Hague, 1968, p: 9.
- (٢٠) يذكر ابن هشام في «السيرة النبوية» أن بكة اسم لبطن مكة لأنهم يتباكون فيها أي يزدحمون.
- انظر: ابن هشام (محمد عبدالملك بن هشام)، «السيرة النبوية»، (دار الجيل - بيروت): ١٠٥/١.
- ويرى الأزرقى أنها سميت بكة لأنها كانت تبك أعناق الجبابرة، وإنما سمي البيت العتيق لأنه عتق من الجبابرة أن يسلطوا عليه، انظر: الأزرقى، «أخبار مكة المشرفة»: ٥٠/١.

- (٢١) حسن إبراهيم حسن، «تاريخ الإسلام السياسي» (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٩م): ٥٣/١.
- (٢٢) الفتوي (محمد بللي، «السفارات في الجاهلية والإسلام»، مجلة «الهدى الإسلامي»، العدد الأول، السنة السادسة عشرة محرم ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ص ١٥٩: عدنان البكري، «العلاقات الدبلوماسية والفصلية»، بيروت ١٩٨٦م)، ص ٢٨.
- (٢٣) ابن عبد البر، «الاستيعاب» ١١٤٥/٣.
- (٢٤) المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين)، «مروج الذهب ومعادن الجوهر»، (الجزائر ١٩٨٩م): ٣٩٢/٢.
- (٢٥) حسن فتح الباب، «الحصانات الدبلوماسية في الإسلام»، مجلة «الأزهر»، الجزء الأول، السنة ٣٤، القاهرة، يونيو ١٩٦٢م، ص ١٩ - ٢٠.
- (٢٦) ابن هشام، م. ن: ١/٤٠؛ ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل)، «السيرة النبوية»، (دار الفكر، بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م): ٣١/١.
- (٢٧) ابن هشام، م. ن: ١/٤٤؛ ابن كثير، «السيرة»: ٣٤/١.
- (٢٨) ابن هشام: ١/٤٤. (٢٩) سورة الفيل: ١ - ٥.
- (٣٠) Hamidullah, "Muslim Conduct of Muslim State", (Lahore, 1973), p: 58.
- (٣١) سموحي فوق العادة، «الدبلوماسية الحديثة» (دار اليقظة العربية) (١٩٧٣)، ص ١٧.
- (٣٢) حسن فتح الباب، «السفارات الدبلوماسية في الإسلام»، (مجلة «منار الإسلام»، العدد ٧، رجب ١٤١١هـ / يناير ١٩٩١م). ص ٢٠.
- (٣٣) سورة سبأ: ١٥. (٣٤) انظر «تفصيل بعض التحركات الدبلوماسية: ابن هشام، م. ن ١/٣١.
- (٣٥) الشبول (أحمد)، «علاقات الأمة الإسلامية في العصر النبوي مع بلاد الشام وبيزنطة» الندوة العالمية: الجزيرة العربية في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين (المملكة العربية السعودية ١٩٩٣): ١/١٥٩.
- (٣٦) الأزرق، «أخبار مكة»، ص ٦٢ - ٦٣. (٣٧) ياقوت، «معجم البلدان»: ١٨٦/٥.
- (٣٨) يرى بعض الرواة هذا البناء هو من أصل حبشي أو قبلي.
- انظر التفاصيل: «الأزرق» م. ن ١/١١٤.
- (٣٩) انظر: الندوي (محمد إسماعيل)، «تاريخ الصلات بين الهند والبلدان العربية» (دار الفتح للطباعة والنشر - بيروت)، ص ٣٢ - ٣٣.
- (٤٠) ابن هشام، م. ن: ١/٢٧٠ - ٢٨٨.
- (٤١) محمد علي الحسن، «العلاقات الدولية في القرآن» (عمان - الأردن ١٩٨٢م)، ص ٩٤.
- (٤٢) الدهيج: «فصول في الدبلوماسية»، ص ٣٢.

- (٤٣) ابن هشام، م، ن: ١/١٩٨٦: ابن سعد، «الطبقات الكبرى»، (بيروت ١٩٧٠): ١/٤٣؛ اليعقوبي (أحمد ابن أبي يعقوب)، التاريخ (بيروت ١٩٧٠ م): ١/٢٨.
- (٤٤) ابن هشام، م. ن: ١/١٢٥؛ اليعقوبي، م. ن: ١/٢٤٢. (٤٥) اليعقوبي، م. ن: ١/٢٤٣.
- (٤٦) و (٤٧) المسعودي، «مروج الذهب»: ٢/٦٩؛ ابن كثير، «السيرة»: ١/١٨٦.
- (٤٨) ابن الجوزي (أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد)، «سيرة عمر» (المطبعة المصرية بالأزهر)، ص ٩.
- (٤٩) Al Ghunaimi Muhammads Talaat, "The Muslim Conception of International Law p: 18.
- (٥٠) ابن هشام، م. ن: ١/١٢٣. Hamidullah, Ibid, p: 56. (٥١)
- (٥٢) سورة قريش: ١ - ٢. (٥٣) ابن سعد، م. ن: ١/٧٧.
- (٥٤) ويمكن تشبيه هذا تحالف القبائل بالسوق الأوروبية المشتركة، انظر: Al Ghunaimi, Ibid, p: 190.
- (٥٥) اليعقوبي، م. ن: ١/٢٨٨.
- (٥٦) القلقشندي، «صبح الأعشى»: ١/١٠٤.
- (٥٧) Watt W. Montgomery, "Muhammad at Mecca" (Oxford University Press 1953), p: 7.
- (٥٨) و (٥٩) ابن هشام، م. ن: ٢/٣، ٦٤.
- (٦٠) ابن هشام، م. ن: ١/١٢١ - ١٢٢؛ ابن الأثير، «الكامل»: ١/٤٥٣.
- (٦١) ابن الفراء (أبو علي الحسين بن محمد)، «رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة»، (تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٩٤٧ م)، ص ٢٨.
- (٦٢) السرخسي (شمس الدين محمد بن أحمد)، كتاب «المبسوط» (مطبعة السعادة - مصر ١٣٢٤ هـ): ١/٩٢.
- (٦٣) زناتي محمود سلام، «نظم العرب» (الطبعة الأولى): ١/٢١٦.
- (٦٤) ابن عبد ربه، «العقد الفريد» (تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣ م): ١/٢٧٧.
- (٦٥) اليعقوبي، م. ن: ١/٢٧١. (٦٦) ابن عبد ربه، م. ن: ١/٢٧٧.
- (٦٧) محمد الخضري بك، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية): ١/٤١ - ٤٢.
- (٦٨) اليعقوبي، م. ن: ١/٢٥٨. Al Ghunaimi, "Muslim Concept of International Law" p: 18.
- (٦٩) Hamidullah, Ibid, p: 60. (٧٠) ابن الأثير «الكامل»: ١/٥٦٦ - ٥٦٧.
- (٧١) و (٧٢) ابن هشام، م. ن: ١/١٧٨ - ١٨٢.
- (٧٣) ابن هشام، م. ن: ١/١٨٢ وابن كثير، «السيرة»: ١/٢٧٤.
- (٧٤) Siddiqui Abdul Hameed, "The Life of Muhammad" 1985, p: 58.

ديوان يزيد بن مفرغ الحميري

تتمّة واستدراك

[«العرب» س ٣٢ ص ١٠٨]

من الأمور المُسَلَّم بها أن الاستدراك بحر لا ساحل له ولا نهاية، ولا يستطيع أحد من المحققين أو الباحثين - مهما أوتي من قُدرةٍ وجهدٍ - أن يُلاحقَ ما يصدر من نفائس الكتب وأعلامها بين الفينة والأخرى.

لذا فإن ما يُنشر من أعمال يظلّ عرضةً للتغيير والإضافة والتّهديب، وتكون الاستدراكات عليها مفتوحةً دائماً. ولا غنى للمحققين من الرجوع إليها، إذا أرادوا لأعمالهم - هذه - أن تستكمل منهجها العلمي الرّصين، وتجنّح بها نحو الكمال، أو ما يقاربه.

وكذلك الأمر بالنسبة للناقد، وهو يتابع رصّد عمل المحقق بالاستدراك، فينشره أولاً، ثم يظلّ يزيد عليه ويتمّه ويصله ويقومُ مُنأده بما يعثر عليه في المظان المختلفة، التي لم يكن قد وقّف عليها أوّل مرة. ورائده - في كل ذلك - خدمة النصّ وتثمين جهد المحقق الكريم وتحيّته.

أقول هذا، وقد نُشرت لنا («العرب» الزاهرة، ج ١ - ٢ - س ٣٢ / ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، ص ١٠٨ - ١١٤) ملاحظات ونظرات تُقدِّيه على: «ديوان يزيد بن مفرغ الحميري ت ٦٩ هـ»، جمع وتحقيق الدكتور عبدالقدوس أبو صالح - بطبعته الثانية، ١٩٨٢ م.

وبُعَيْد ذلك، تجمّعت لدينا ملاحظات أخرى، بعضها لمصادر صدرت قبل نشر الديوان، والأخرى ظهرت بعده، ولقد وددت أن أكتب هذه السطور المتواضعة - بما تحمل من فرائد ووقفات وملاحظ جديدة. لتكون تكملة وتتمّة لنقداتنا السابقة واستدراكاً عليها.

وهي مدرجة على النحو الآتي، وبسطة بإيجاز وتوثيق:

أولاً: فائت الديوان: يُضاف إلى ما استدرکنا على الديوان البيت الآتي:

قال يزيد بن مفرغ الحميري يهجو عبّاد بن زياد بن أبيه:

شجاع في المجانة والمخازي جانّ عند مُحضِرِ المصاع

التخريج: مالم يُنشر من «الأمالي الشجرية» ١٩٣ (لابن الشجري) (ت

١٥٤٢هـ)، تح: حاتم صالح الضامن، مجلة «المورد» بغداد، مج ٣، العدد ٢،

١٣٩٣هـ - ١٩٧٤م)، وأعاد الدكتور الضامن نشره ضمن كتابه: «نصوص

محققة في اللغة والنحو» ٢٦٥ (جامعة بغداد، بغداد، ١٩٩١م).

وبهذا نكون قد استدرکنا على «ديوان ابن مفرغ» أربعة أبيات احتجتها

مصادر نُشرت قبل صدور الطبعة الثانية في الديوان بسنوات طويلة.

ثانياً: القسم المنسوب: كنا قد عثرنا على شطر بيت ورد منسوباً للشاعر في

كتاب «الكتاب» لابن دُرستويه (ت ٣٤٧هـ)، وأشرنا إلى أنه لعدي بن الرقاع

العالمي، في ديوانه الذي نُشره د. القيسي ود. الضامن. وقد صدر ببغداد لا

بيروت. والبيت ورد في الصحيفة ٨٥ منه.

وهو وارد أيضاً في «ديوان ابن الرقاع» بتحقيق عبدالله الحسيني البركاتي، مكة

المكرمة، المكتبة الفيصلية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

والأمر اللافت للنظر في القسم المنسوب (المتدافع) من شعر يزيد بن مفرغ

أن المحقق الكريم ذكر أنه يقع في أربع مقطوعات فقط، هي الواردة في

الصفحات: ٢٣٥، ٢٤٣ - ٢٤٦.

قال عباس الجراح والحقيقة أن القطعتين (٢١) و (٤٢) - أيضاً - هما من

الشعر المنسوب إلى الشاعر وإلى غيره، من دون شك، وكما أثبت صانع ديوانه

في هوامشهما.

فالقطة الأولى ص ١١٧ نُسبت - أيضاً - إلى (عميرة بن مرة الحرشي) وإلى (أمراة)، والثانية ص ١٨١ نُسبت إلى (أحمد بن أبي قنن) وإلى (أبي الشيص الخزاعي).

فمن الضروري والمنهجي إلحاق هاتين القطعتين بـ (القسم المنسوب)، ثم الرجوع إلى:

١- «أشعار أبي الشيص الخزاعي» (ت ١٩٦هـ): جمع وتحقيق عبدالله الجبوري، مط الآداب، النجف ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، ثم صدرت الطبعة الثانية بعنوان: «ديوان أبي الشيص الخزاعي وأخباره» صنعة: د. عبدالله الجبوري، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٢- (أحمد بن أبي قنن (ت ٢٧٨هـ) حياته وما تبقى من شعره): [جَمْع] د. يونس أحمد السامرائي، مجلة «المجمع العلمي العراقي»، مج ٣٤ - ج ٤ - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م. ثم أعاد نشره في الجزء الأول من كتابه: «شعراء عباسيون»، بيروت ١٩٨٦م.

بقي أمر القطة (٢) من المنسوب ص ٢٤٤، وهي البيت:

عَيَّوْا بِأَمْرِهِمْ كَمَا عَيْتَ بِيِضْتِهَا الْحَمَامَةُ
قال المحقق الكريم في هامشه: (وَرَدَ الْبَيْتُ فِي «الصَّحَاحِ» (هِيَ) مَنْسُوبًا لِابْنِ مَفْرُغٍ. وَالصَّوَابُ أَنَّهُ لِعَبِيدِ بْنِ الْأَبْرَصِ...).

أقول: هناك مصدر أقدم من «الصحاح» للجوهري (ت ٣٩٣هـ) نَسَبَ الْبَيْتَ إِلَى ابْنِ مَفْرُغٍ، لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ د. أَبُو صَالِحٍ، وَهُوَ: «تَصْحِيحُ الْفَصِيحِ» ٢٦٣/١ (لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ دُرُسْتُويَه (ت ٣٤٧هـ)، تحقيق عبدالله الجبوري، مط الإرشاد، بغداد، ١٩٧٥م، بل أضاف إليه بيتاً آخر بعده، وهو:

جَعَلْتُ لَهَا عَوْدَيْنِ مِنْ نَشْمٍ وَأَخْرَجْتُ مِنْ ثَمَامَةٍ

وكان صانع الديوان قد ذكر هذا البيت في الهامش وعزاه إلى ابن الأبرص، مع اختلاف في رواية: (جعلت).

لذا أرجو أن يعود د. أبو صالح إلى إثبات البيتين في المتن، وتخريجهما على كتاب ابن درُستويه هذا، مع الإشارة إلى أن الأول فقط في «صحاح» الجوهري، ومن ثم تُذكر نسبة البيتين إلى عبيد بن الأبرص...

ثالثاً: تخريج المقطعات: يضاف إلى التخريجات ما يأتي:

١- القطعة (١): البيتان ٤ و ٥ في: «زهر الأكم في الأمثال والحكم» ٢٤٣/١ (للحسن اليوسي (ت ١١٠٢هـ): تحذ: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة، المغرب، الدار البيضاء، ١٩٨١م).

٢- القطعة (٢٢) - وهي بيت مفرد في: كتاب «الخيال» ٢١٥ للأصعمي (ت ٢١٦هـ)، تحذ: هلال ناجي، مجلة «المورد» - بغداد - مج ١٢ - العدد ٤ - ١٩٨٣م). و: «الاقتضاب في شرح أدب الكتاب» ٢/٢٦٨، ٢٨٦ (لأبي محمد عبدالله بن السيد البطلبيوسي (ت ٥٢١هـ)، تحذ: مصطفى السقا ود. حامد عبدالمجيد، القاهرة ١٩٨٠م).

٣- القطعة (٢٣): الأبيات ٥، ٦، ٩، ٤ في: «اختيار الممتع في علم الشعر وعمله» ٥٥٣/٢ (لأبي محمد عبدالكريم بن إبراهيم النهشلي (ت ٤٠٥هـ). تحذ: محمود شاكر القطان، دار المعارف، ط ١، ١٩٨٥م).

ورواية الرابع: بفندهار - بالفاء الموحدة، وكذلك في الشطر الثاني.

ورواية عجز التاسع: * وكان حقاً لها في أمرنا غير *

٤- القطعة (٢٧) - وهي بيت مفرد - في: «أدب الخواص» ١٣٤ (للوزير المغربي (٤١٨هـ)، تحذ: الشيخ حمد الجاسر، الرياض ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).

٥- القطعة (٣٠) - وهما بيتان - في: «زهر الأكم» ٣/١٢٦. ورواية صدر الثاني: أبو ملك.

والثاني فقط في: «التذكرة الحمدونية» ١٥٩/٢ (لمحمد بن الحسن بن حمدون البغدادي (ت ٥٦٢ هـ)، تح: د. إحسان عباس وبكري عباس، بيروت ١٩٩٦ م).

٦- القطعة (٣٥): الأبيات ١٥، ١٦، ١٧، ١٨ في: «التذكرة الحمدونية» ٤٥١/٢.

٧- القطعة (٤٠): البيت الأول في: «الفاخر» ٢٨٢ (للمفضل بن سلمة بن عاصم (ت ٢٩١ هـ)، القاهرة، ١٩٧٤ م)، «مجمع البيان» ١٠٦/٣ (للطبرسي، بيروت ١٣٧٩ هـ)، «المحكم» ٢٩١/١ (لابن سيده، مصر).

٨- القطعة (٤٨): الأبيات ١، ٢، ٣، ٤، ٧، ٩ في: «التذكرة الحمدونية» ١١٦/٢. ورواية الأول: ... أن تَشَقِي.

ورواية صدر الثالث: بكف بهلول له نجدة.

ورواية عجز السابع: توقظ منها سنة النائم.

٩- القطعة (٥١): البيت الثالث في: «البرهان في علوم القرآن» ٧٣/٢ (للزركشي (ت ٧٩٤ هـ)، دار التراث، القاهرة، د. ت) - بلا عزو.

والثاني عشر في: «الزينة في الكلمات العربية الإسلامية» ٢٨١/٣ (لأبي حاتم الرازي (ت ٣٢٢ هـ)، تح: د. عبدالله سلوم السامرائي، ضمن كتابه: «الغلو في الحضارة العربية الإسلامية»، بغداد، ط ٢، ١٩٨٥ م). و: «مجمع البيان» ٧٥/٣، و: «حدايق الآداب» ٦٢٢ (لشاهمردان الأبهري، تح: د. محمد بن سليمان السديس. ط ٢، الرياض ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م).

والخامس عشر في: «التمثيل والمحاضرة» ٢٦٦ (للشعالبي (ت ٤٢٩ هـ)، تح: د. عبدالفتاح محمد الحلو، القاهرة ١٩٦١)، بلا عزو، وكذلك في: «المُسْتَرْف» ٢٩/١ (لمحمد بن أحمد الأبشيهي (ت ٨٥٢ هـ، بيروت) - وهما

من المصادر التي أُطلع عليهما المحققُ الكريمُ. وهو لبشار بن بُرد في: «الزُهرة»
٣٣٨ / ٢ (لمحمد بن داود الأصبهانيّ (ت ٢٩٧هـ) تح: د. إبراهيم السامرائي
ود. نوري حمودي القيسي: بغداد، ط ١، ١٩٧٥م).

وليزيد بن مفرغ في: «تمثال الأمثال» ٢٩٦ / ١ (للعبدري الشيبّي (ت ٨٣٧هـ)،
تح: د. أسعد ذبيان، دار المسيرة، بيروت ١٩٨٢م).

رابعاً: ما أخذ ونظرات متنوعة: وهي أشباتٌ من ملاحظ تُضافُ إلى ما سبق:

١- فيما يخصُّ القطعة الأولى (البائية)، هناك أبيات متنازعة مع شعراء
آخرين، لذا كنا نتمنى أن يهتمَّ المحققُ المفضلُّ بهاؤلاء، سواء بترجمتهم، أو
الرجوع إلى دواوينهم المطبوعة، على ما هو معروف في تحقيق النصوص.

فالبيتان ٤، ٥ متنازعان بين ابن مفرغ وبين إبراهيم بن هرمة وإبراهيم بن المهدي.

فالمنهج الصحيح يقتضي الرجوع إلى:

- «ديوان إبراهيم بن هرمة»: صنعة محمد جبار المعبيد، مطب الآداب ٧

النجف ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

- «إبراهيم بن المهدي الخليفة المغني»: تأليف: بدري محمد فهد، مط

الإرشاد، بغداد ١٩٦٧م.

أما البيتان ١١، ١٢ فذكر المحققُ أنهما منسوبان للعتبيّ (من ولد عتبة بن أبي

سفيان..).

قلت: هو محمد بن عبيد الله بن عمرو بن عتبة، ويكنى بأبي عبدالرحمن.

ترجمته في: «جمهرة أنساب العرب» ١١٢، «الوافي بالوفيات» ٣/٤. وقد جمَعَ

شعره د. يونس السامرائي في (مجلة «كلية الآداب» - جامعة بغداد، العدد ٣٦،

١٤١٠هـ - ١٩٨٩م). وقد أخلَّ عمله بهذين البيتين.

٢- التصحيف والتحريف: يلاحظ أن د. أبو صالح لم يُفرّق بين مُصطلحي: التصحيف والتحريف، والأوّل يختص بالحروف المعجمة، والثاني خاص بالحروف المهملة، والتغييرات التي تطرأ عليها. من ذلك: ورَدَ في الهامش الثاني في الصحيفة ١٠٠ أن (هي ذا) تصحيف (حيّ ذا). والصواب: تحريف.. علاوة على صفحات أخرى في مقدمة الكتاب أو هوامش تحقيق الديوان.

٣- جاء في الصحيفتين ١٨٣ و٢١٦: أبو دؤاد الأيادي. والصواب: أبو دؤاد- بدون همزة - وقد نُشِرَ شعره غوستاف فون غرنباوم في كتابه: «دراسات في الأدب العربي»، وهو مطبوع ببيروت ١٩٥٩م، ومن الضروري الرجوع إليه.

٤- فهرس الأعلام: من المعروف أن الفهارس هي مفاتيح مهمة للكتاب، ومن الأمور الضرورية في أي عمل علمي، وهي إذا صُنعت فينبغي أن تكون كاملة ودقيقة لا ناقصة.

أقولُ هذا وأنا أطلع - ولا أقولُ أدقُّ - (فهرس الأعلام) فقط. فهذا الفهرس أخلّ بأعلام ذكروا في الديوان بكثرة، إضافة إلى أن بعضهم وردوا في الفهرس، إلا أن صفحات أخرى لهم لم تُسَقِّصَ.

فمن الأعلام الذين لم يردوا في الفهرس، مع أرقام الصفحات:

أسماء ١٣٠، الأخطل ٦٠ - ٦١، ١٩٦، أبو دؤاد الأيادي ١٨٣، ٢١٦، إبراهيم بن المهدي ٥٤ - ٥٥، إبراهيم بن هرمة ٥٤، الأعشى ١٣٨، العتبي ٥٧، عبيد بن الأبرص ٩٧، ٢٤٤، عُمر بن يزيد الشطرنجي ٥٥، عبدالرحمن بن حسان بن ثابت ٢٣٠، عبدالله بن المعتز ٢٣٣...

أما الأعلام الذين وردوا في الفهرس، ولم ترد صفحات أخرى لهم. فهم على النحو الآتي:

أنا هيد ١٣٠، ٢٢٣، سُمِّيَّة ٢٢١، طلحة الطلحات ٢٣٩، عبَّاد ١٥١، عُبَيْدالله
ابن عبدالله بن أبي بكره ١٩٨، عبيدالله بن زياد ١٥٥، عمر بن عبيدالله ١٩١، هند
الفزارية ٦٧، يزيد (ورد: زيد) بن معاوية ١٦٣..

وهذا الإخلال ينطبق على (فهرس الأماكن).

٥- المصادر والمراجع: أثبت الدكتور أبو صالح قائمة (المصادر والمراجع)
على أساس أسماء الكتب، وهذا يعني أنه سيلتزم بذلك في هوامش الديوان،
لكننا نلاحظ عدم التقيّد بالأمر. إذ نرى: ابن سلام، ابن خرداذبة، ابن الشجري،
ابن عساكر، البلاذري، ابن الأثير، الطبري.. وكان الأولى ذكر أسماء مؤلفاتهم،
أو: إعادة ترتيب قائمة المصادر والمراجع على أساس المؤلفين، ثم تغيير جميع
ما نُشر في الهامش على أساسه. ولما كان هذا الأمر صعباً، وجب الالتزام بذكر
أسماء الكتب فقط عند الإحالة والتوثيق.

ثم إن المحقق لم يستقص المصادر التي رَجَعَ إليها كلها، فهو قد أهمل نحو
ثلاثين كتاباً منها وردت في تحقيقه للديوان، ورجع إليها أكثر من مرة.

وبعد، فإن الملاحظات المتدعة في هذا المقال والذي سَبَقَهُ - والتي كتبها
طالب علم - كانت حصيلته جهود من البحث والتنقيب في شتيت المظان
والأصول التي زادت على الأربعين كتاباً، أحتجنت أشعار الشاعر وأخباره.

وإذ أختتم ذلك أحب أن أقدم ما كتبته إلى الأستاذ الدكتور عبدالقدوس أبو
صالح هدية متواضعة، تقديراً لجهده الكبير هذا، لعل لها مكاناً في الطبعة
الجديدة من: «ديوان يزيد بن مفرغ الحميري».

والحمد لله رب العالمين،

المراق: عباس هاني الجراح

قبيلة السماعنة: نسبها وفروعها وديارها

السماعنة: وواحدهم سميعني قبيلة عربية عريقة تقطن شمالي سيناء وهي إحدى قبائل بادية العريش وتقيم في القسم الغربي من بلاد العريش في الشمال الغربي من سيناء في المنطقة جنوب بير قطية^(١) ومن ديارهم الزقبة التي يزرعونها مع الدواغرة من مطير وغيرهم من القبائل الأخرى^(٢).

* نسب السماعنة: تُعدّ قبيلة السماعنة من أصرح القبائل العربية نسباً في شمالي سيناء فهي قبيلة قضاعية قحطانية أصيلة كما سيأتي تحقيقه قال الطيّب في ذكرهم: نسب القبيلة: ذكرهم القلقشندي في «نهاية الأرب» و «سبائك الذهب» وأيّده السويدي أن السماعنة من بطون جذام^(٣)، قال المسعودي: هذا القول غير صحيح ذلك أن القلقشندي ذكر أن السماعنة من بني مهدي ثم من جذام وهناك فرق بين أن يكونوا من بني مهدي ثم من جذام كما نصّ عليه القلقشندي وبين أن يُعزى إليه أنه ذكر أن السماعنة من جذام لا سيما وأن بني مهدي من جذام حلفاً لا نسباً كما أن «سبائك الذهب» ليس للقلقشندي كما توهمه عبارة الطيّب بل هو للسويدي وهذا لم يخالف القلقشندي بل جعل كتاب القلقشندي «نهاية الأرب» في صورة مشجرة كما نصّ عليه السويدي في مقدمة «سبائك الذهب» وهو لم يخالف القلقشندي في شيء لنقول ها هنا إنه أيده في نصّه هذا، وأضاف الطيّب يقول: (وفي «قلائد الجمان» المستدرک من العلامة القلقشندي عرف السماعنة قائلاً: السماعنة من مهدي دخلوا في (بنو؟ طريف من جذام)^(٤) وهذا النصّ يفيد أن السماعنة وحدهم من بطون بني مهدي هم الذين دخلوا في بني طريف من جذام. وهذا لم يقله القلقشندي بل الذي ذكره كما سيأتي بيانه أن السماعنة بطن من بني مهدي، وأن أصل بني مهدي من عُدرة، وأنهم في عهده كانوا فرعاً من بني طريف ثم من جذام. وأضاف الطيّب يقول: (كان السماعنة والسعديين)؟ من أقدم البدو الذين توطنوا في شمالي سيناء تلا ذلك قدوم بطون طيء من الشام مثل البياضية والأخارسة والعقايلة)^(٥)، قال الأحيوي: ها هنا في نصّ الطيّب أوهام لا بد من التنبيه عليها وهي:

١- أن البياضية والأخارسة من جذام وقد ذكر الهمداني (ت نحو ٣٥٠ هـ) بني بياضة في شمالي سيناء ثم ذكرهم القلقشندي والمقريري وقد بينا خطل الطيب في نسبته البياضية إلى طيء في بحثنا عن قبيلة البياضية المنشور في «العرب» سنة ٢٩ ص ٣٨٥-٣٨٦.

٢- الغريب أن الطيب يدعي أن نزول السماعنة إلى شمالي سيناء أقدم من نزول البياضية مع أن القلقشندي وهو مصدر الطيب فيما ذكر عن السماعنة ذكر أن السماعنة كانوا يقيمون في بلاد البلقاء في الأردن في الوقت الذي ذكر فيه أن بني بياضة (البياضية) يقيمون في منطقة قطية في شمال غرب سيناء!!؟

٣- الصحيح أن السماعنة من القبائل التي دخلت متأخرة نسبياً إلى شمالي سيناء كما سيأتي بيانه.

وقال محمد جميل خُميس في بحثه عن بلدة بيت نتيف وسكانها: (هم من قبيلة السماعنة التي تنتمي إلى قبيلة سعد التميمية القيسية ومن حيث العادات والتقاليد ومنها أن العروس عندنا تغطي رأسها بالبشكير الأحمر شعار القيسية وكما هو معلوم عندنا جميعاً أن العروس اليمنية تلبس على رأسها الطرحة البيضاء) وقال: (وأبناء بيت نتيف يفخرون بأنهم قيسية)^(٦).

قال الأحيوي: القول بأن السماعنة من قيس قول باطل ساقط لا يسنده شبه دليل، وكون نزعهم قيسية فإن هذا ليس دليلاً على نسبهم فكثير من ذوي الأصول اليمنية قيسيو النزعة وكثير من ذوي الأصول العدنانية يَمْنُو النزعة، وذلك بسبب الأحلاف، الأحلاف لا تقوم على أساس من النسب وإلا فإنها لا تصبح حلقاً، ومن ذلك على سبيل المثال حلف خندف الذي يضم من القبائل العدنانية هذيل وسليم وسبيع ويضم من القبائل القحطانية البقوم وغامد وبجيلة وحلف شبابة الذي يضم من القبائل العدنانية عثيبة ومن القبائل القحطانية حرب وجهينة وبلي وزهران، وما ينطبق على حلفي شبابة وخندف في الجزيرة العربية ينطبق

على حلفي قيس ويمن في بلاد فلسطين، ومن ذلك أن آل جرّار وهم من عشائر فلسطين المشهورة كانوا ينقسمون إلى قسمين أحدهما يمّني النزعة والآخر قيسيّ النزعة، رغم أنهما من أصل واحد، وهذا يتبيّن لنا أن النزعة ليست دليلاً على النسب، والقول بأن السماعنة من بني سعد من تميم سيأتي القول في بطلانه. وقال محمد جميل خميس أيضاً: (قبيلة السماعنة قبيلة حجازية تنتمي إلى قبيلة سعد التميمية العدنانية القيسية، ولما كان هناك خلط بين سعد التميمية وسعد الجذامية القحطانية في مصر نسبها القلقشندي إلى قبيلة سعد الجذامية وهذا غير صحيح، فالسماعنة في بيت نثيف. وفي صحراء سيناء والمحافظة الشرقية (بلدة السماعنة) والمحافظة الغربية (بلدة القويسنة) في مصر من القبائل القيسية) وقال: (السماعنة قبيلة هاجرت من الطائف قبيل الفتح الإسلامي إلى جبال الشوبك ووادي موسى في الأردن، ثم انتقلت إلى صحراء سيناء وفلسطين، وبعد البحث عن أصل السماعنة في بطون كتب الأنساب العربية تبين أنهم بطن من قبيلة سعد التميمية حيث أن أكبر عشائر السماعنة الحالية وهي: المناصير، الشعابرة، المراشدة، الشتيات تنتمي إلى قبيلة سعد المضرية العدنانية التي كانت تسكن الطائف - راجع كتاب «أنساب العرب» ص ٢٤٩ عبد الرزاق قطب - (٧) قال المسعودي: القول بأن السماعنة من بني سعد من تميم وأن القلقشندي خلط نسبهم بسبب تشابه الأسماء عندما نسبهم إلى بني سعد من جذام قول سناقت للأسباب التالية:

١- أن بني تميم ليسوا من قيس فهم بنو تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وبنو سعد منهم هم بنو سعد بن زيد مائة بن تميم، أما قيس فهم بنو قيس عيلان بن مضر.

٢- أن القلقشندي لم ينسب السماعنة إلى بني سعد من جذام بل نسبهم إلى بني مهدي وقد نسبهم إلى بني مهدي الحمداني (ت ٧٠٠ هـ) وابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩ هـ) وتابعهما القلقشندي (ت ٨٢١ هـ).

والقول بأن السماعنة هاجروا من الطائف لا أصل له، ووجود المناصير من السماعنة وتشابه اسمهم مع مناصير تميم لا يعني ارتباط القبيلتين بصلة نسب وإلا فهناك قبائل كثيرة فيها مناصير، فالمناصير قبيلة مشهورة تقطن بلاد عُمان وقطر والسعودية، والمناصير من أشهر قبائل العرب في السودان، والمناصير بطن من المواهب من خزام من بلي في الحجاز، والمناصير فرع كبير من الجرومية من قبيلة عباد في بلاد البلقاء في الأردن، والمناصير اسم لعدة بطون من شمر السعودية فهل تشابه أسماء هذه القبائل يعني اتحاد نسبها؟ بالطبع لا وهذا ما ينطبق على أسماء فروع السماعنة، والقول بأن السماعنة سموا بهذا الاسم نسبة إلى إسماعيل عليه السلام قول باطل، والزعم أن قسماً من تميم فروا من مكة شرفها الله تعالى إلى الطائف فراراً بدينهم وظلوا محافظين عليه فسموا بالسماعنة قول ليس له أصل، فقد كان بنو تميم من قبائل العرب الكافرة قبل الإسلام بل إن منهم من ارتد بقيادة سجاح التميمية عن الإسلام في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولم يكن لبني تميم وجود ببلاد الطائف بل كانوا يقطنون بلاد وسط نجد وشرقها منذ العهد الجاهلي وكون السماعنة لا يغربون النكاح فذلك لأن السماعنة كانوا قوماً بدواً فلما استوطنوا بيت نثيف نزلوا على حضر مستقرين، ولم يكن البدو يزوجون الحضر بسب عادات وتقاليد كانوا يتبعوها فتوارث القوم هذا رغم استقرارهم، وليس لهذه العادة أصل من الدين وهذه العادة لا تقتصر على السماعنة وحدهم بل اتبعتها كثير من القبائل العربية مع سكان الحواضر ممن لا ينتمون إلى القبائل العربية ولا علاقة لهذه العادة بنسب هذه القبيلة أو تلك.

قال المسعودي: عدّ علماء الأنساب بني مهدي فرعاً من بني طريف من جذام وقد بين ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩ هـ) أن بني مهدي من عدرة وهذا يعني أنهم فرع من قضاة دخلوا في جذام حلقاً، وفيما يلي نصوص علماء الأنساب حول نسب قبيلة السماعنة:

١- نصّ ابن فضل الله العمري: قال ابن فضل الله العمري في ذكر قبائل جذام:

(بنو طريف من جذام ومنهم: مسهر وعجربة ومهدي وبنو مهدي منهم المشاطبة... والسماعنة).

وقال: (وجماعة قرشة بن جربان من السماعنة^(٨)) وقال: (بنو مهدي ومنازلهم البلقاء من مضافات دمشق ونسبهم في عذرة)^(٩).

٢- نصوص القلقشندي: قال القلقشندي: (بنو طريف أيضاً بطن من جذام من القحطانية) وقال: قال الحمداني ومنهم: مسهر وبنو عجرة وبنو مهدي عرب البلقاء من بلاد الشام).^(١٠) وقال: (بنو مهدي بطن من بني طريف من جذام من القحطانية منازلهم بالبقاء من بلاد الشام وهم بطون كثيرة أفخاذ متسعة قال الحمداني: ومنهم المشاطبة.. والمجابرة والسماعنة)^(١١) وقال: (السماعنة: بطن من بني مهدي، من جذام من القحطانية منازلهم مع قومهم بني مهدي بالبقاء من بلاد الشام)^(١٢) وقال في ذكر بطون جذام: (البطن السابع من جذام: بنو طريف ومنهم بنو مهدي وعدّ في «التعريف» بني مهدي من عذرة وقد تقدم أنّ عذرة من قضاة من حمير وبالجملة فهم من عرب اليمن) وقال: (فأما بنو مهدي فهم أكثرهم عدداً وأوسعهم نطاقاً ومنهم المشاطبة.. والمجابرة والسماعنة)^(١٣).

ومن خلال هذه النصوص يتضح أن السماعنة كانوا من قبائل البلقاء في الأردن منذ القرن السادس للهجرة على أقل تقدير، فأول ذكر ورد لهم ورد في القرن السابع للهجرة على لسان الحمداني (٦٠٢ - ٧٠٠هـ) فابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ) فالقلقشندي (ت ٨٢١هـ) وأنهم فرع من بني مهدي وأن بني مهدي من عذرة نسباً، ثم دخلوا في بني طريف من جذام شأن كثير من القبائل التي دخلت حلقة في قبائل أخرى وقد ورد ذكر السماعنة وأنهم فرع من بني مهدي في ناحية السلط من بلاد البلقاء في الوثائق العثمانية سنة ١٠٠٥هـ^(١٤) وقد ورد ذكر فريق منهم في بلاد الخليل في القرن الثاني عشر قال الزبيدي (١١٤٥ - ١٢٠٥هـ): (السماعنة بطن من العرب مساكنهم جبل الخليل عليه

السلام).^(١٥) وهذا يعني أنهم كانوا يقطنون بلاد الخليل خلال القرن الحادي عشر أي قبل عهد الزبيدي والله أعلم.

* فروع السماعنة: في حديث نَعُوم شُقير عن قبائل شمالي سيناء فيما كتبه عام ١٩٠٦ م قال: (يسكن بادية العريش قبائل السواركة.. والسماعنة).^(١٦) وقال: (السماعنة ومن مشايخهم محمد خضير وحسين شبانة^(١٧))، وقال في ذكر الزُقبَة من بلاد العريش: (ومن القبائل التي تزرع الزُقبَة مع الدواغرة... والسماعنة).^(١٨) وفي ذكرهم قال (ج. و. موري): (السماعنة: ١٥٠ نسمة تحت قيادة الشيخ محمد خضير وحسين شبانة وقد قدموا من سورية)^(١٩) يعني بلاد الشام التي تشمل بلاد البلقاء والخليل التي تواجد فيها السماعنة وقال (او بنهايم) في ذكرهم: إن عدد السماعنة في سيناء ١٥٠ نسمة ومن شيوخهم محمد خضير وحسين شبانة^(٢٠) وتتفرع قبيلة السماعنة في شمالي سيناء إلى الفروع التالية:

١- الحساسنة: وواحدهم أبو حسون ومن فروعهم:

١- أولاد إبراهيم. ٢- أولاد حسن. ٣- الخضايرة.

٤- الشبانات (أولاد شبانة) وواحدهم شبانة منهم حسين شبانة من شيوخ السماعنة ذكره نعوم شُقير كما مرّ ومن الشبانات فريق في قويسنا بمحافظة المنوفية، ولهم قرية الشبانات (عرب الشبانات) في مركز فاقوس في محافظة الشرقية.

٥- الهدايبة.

٢- الحوامدة: ومن فروعهم:

١- أولاد أحمد. ٢- أولاد حسن. ٣- الحلاذسة. ٤- أولاد سويلم.

٥- الصبايحة. ٦- العوايضة.

٣- أبو دربي: وهم في العريش.

٤- الرقازقة: وواحدهم أبو زقزوق ومن فروعهم:

١- أولاد حسن. ٢- أولاد خليل القرموس.

٣- الزوايدة. ٤- أولاد يوسف.

ومن الزقازقة فريق في قويسنا بمحافظة المنوفية وفريق في منشية أبو عامر في مركز الحسينية في محافظة الشرقية.

٥- الشتيّات: وهم في نواحي قطية، وللسماعنة في قطية مياه ونخيل، ويتواجد فريق كبير جداً من السماعنة في محافظة الشرقية وغيرها من أنحاء الديار المصرية، ومن المعلومات المتوفرة عنهم في مطلع القرن التاسع عشر للميلاد أن السماعنة في الشرقية يعدّون ٣٥ فارساً وعدد مشاتهم ٥٠٠ رجل وكان شيخهم علي أبو شريف وذلك سنة ١٨٣٠م^(٢١) وقد كانوا من قبائل محمل الحاج المصري قال نعوم شقير: (كان عرب العائد يلتزمون تقديم الإبل للمحمل المصري فلما تحضروا التزمها سائر عرب الشرقية والقلبوية على التناوب فسنه يلتزمها عرب القليوبية.. وسنة يلتزمها عرب الشرقية وهم النفيعات والسماعنة.. وكان كل فريق يقدّم في السنة من ٤٠٠ إلى ٥٠٠ جمل وكانوا يلتزمون حفظ المحمل إلى العقبة ولكن جمالهم تسير مع المحمل إلى مكة)^(٢٢) وذكر (أوبنهايم) في كتابه الصادر عام ١٩٤٣ أن عدد السماعنة في الشرقية ٦١٠٦ نسمة^(٢٣).

* فروع السماعنة في الشرقية وغيرها:

١- عشيرة أبو أحمد ويقطنون في منطقة اشكر. ٢- عشيرة أبو توبة.

٣- عشيرة الجعان وهم في اشكر. ٤- عشيرة الحجايبة ومن فروعهم:

١- أبو جنة. ٢- أبو سلمي. ٣- الكلايخة.

٥- عشيرة الحصنة ومن فروعهم:

١- الحمائدة. ٢- أبو شرف. ٣- أبو شريف.

٦- عشيرة الحلوات وواحدتهم أبو حلو ومن فروعهم قطاوي ومنهم فريق في

بيت نتيّف في فلسطين.

٧- عشيرة الذريين ويقطنون بلدة عرب السماعنة في مركز فاقوس ومنهم جماعة في أم عجرم.

٨- عشيرة الرقايطه ومن فروعهم: ١- أبو ذياب. ٢- أبو ذيب. ٣- الكر.

٩- عشيرة الرهيات وواحدهم أبو رهية ومن فروعهم:

١- أبو جمعة. ٢- أبو رهية. ٣- أبو موسى.

١٠- عشيرة أبو زعرة. ١١- عشيرة الزقازقة: يقطنون في منشية أبو عامر في

مركز الحسينية ومنهم فريق في قويسنا بمحافظة المنوفية.

١٢- عشيرة أبو سبيتان: يقطنون قرية عرب عين شمس.

١٣- عشيرة السعادنة: ويقطنون في اشكر.

١٤- عشيرة أبو سعد: يقطنون في اشكر وفي أم عجرم.

١٥- عشيرة أبو سلمي: يقطنون قرية عرب عين شمس.

١٦- عشيرة السوالمه ومن فروعهم: ١- الجرادات. ٢- أهل حسن.

٣- الذيابات. ٤- أبو سرحان. ٥- الفحايلة (أبو راشد). ٦- المناخرة.

١٧- عشيرة الشبانات: يقطنون قرية عرب الشبانات في مركز الحسينية.

١٨- عشيرة الشعابرة ومن فروعهم: ١- أبو راشد. ٢- أبو سبيت.

٣- أبو عمر. ١٩- عشيرة الصبايحة: يقطنون قرية عرب عين شمس.

٢٠- عشيرة الطرايدة: يقطنون قرية عرب عين شمس.

٢١- عشيرة الطويل ومن فروعهم: ١- الخلايلة. ٢- أبو إسماعيل. ٣- أبو عايد.

٢٤- عشيرة أبو عامر: يقطنون في منشية أبو عامر في مركز الحسينية وفي

فريق في أم عجرم.

٢٥- عشيرة العبايدة ومن فروعهم: ١- راشد. ٢- المراشدة (مرشد).

٣- مقبل. ٤- مقبيل وتقيم عشيرة العبايدة في بلدة عرب السماعنة.

٢٦- عشيرة العطاونة: يقطنون في منشية أبو عامر في مركز الحسينية.

- ٢٧- عشيرة أبو عطوان: يقطنون في أم عجرم.
- ٢٨- عشيرة العقدة: وواحدهم العقيد ومن فروعهم: ١- أبو سويلم.
- ٢- أهل عمار. ٢٩- عشيرة أبو علي: يقطنون في اشكر.
- ٣٠- عشيرة العوامة. ٣١- عشيرة العواودة.
- ٣٢- عشيرة قرمد: يقطنون في بلدة عرب السماعنة ومنهم جماعات في منشية أبو عامر في أبو كبير وفي منشية أبو إعمار.
- ٣٣- عشيرة القربناوي: يقطنون في قرية عرب عين شمس.
- ٣٤- عشيرة أبو معمر: يقطنون في منشية أبو عامر في مركز الحسينية.
- ٣٥- عشيرة النجاجرة ومن فروعهم: ١- أهل حسن. ٢- الدراوشة^(٢٤).
- وقد جاء في «موسوعة القبائل العربية» حول مساكن السماعنة في الديار المصرية ما نصه: (تعتبر قرية قطية على الساحل الشمالي هي المعقل الأول لعرب السماعنة وقد هاجر الكثير من الفخوذ إلى جوار إخوانهم من السماعنة القدامى في وادي النيل قادمين من سيناء وتوجد في الشرقية بلدة كبيرة باسم السماعنة تصلها محطة قطار من فاقوس وتسكن أغلب فخوذ عرب السماعنة في تلك البلدة التي أصبح تعدادها كبيراً كما تسكن فخوذ في أم عجرم وعرب شمس واشكر والحسينية وبعضهم يتبع مركز الحسينية والآخرين تابعون إلى مركز فاقوس وكما تسكن عائلات من السماعنة في عرب درويش والغزالة والغزلي وفاروق والحمامصة وبني عمرو ورأس طبل والسعادنة وكفر عمار وسنيطة وأم غصن وصان الحجر والصالحية الجديدة وكبيري أبو شمسية وجزيرة سعود والحسنية وبني سريط وميت العز والصوفية والمأمور وهناك الكثير من السماعنة في قرى عديدة في قويسنا من السماعنة مثل الشبانات والزقازفة وغيرهم)^(٢٥) وجاء فيها أيضاً: (يقيم فرع من السماعنة قرب عيون موسى جنوب شرق السويس مجاورون لقبيلة العليقات وفي منطقة جلبانة والدويدار وخراب وعسيلة وجامع العدوي والقوفة، كما تقيم بعض عائلات تنتمي إلى السماعنة أيضاً في صعيد مصر في دشنا وأبو طشت [في] محافظة قنا)^(٢٦) وغيرها من أنحاء الديار المصرية.

*السماعنة في فلسطين: تتواجد قبيلة السماعنة في أنحاء مختلفة من فلسطين

كما يتضح بيانه فيما يلي:

- ١- عشيرة جماد: وتقطن مدينة يافا على ساحل البحر الأبيض المتوسط.
- ٢- عشيرة أبو حميد: وتقطن مدينة اسدود الواقعة على نحو ٤٠ كيلاً شمال شرق غزة.
- ٣- عشيرة أبو دنة: وتقطن بئر ماعين جنوب شرق مدينة الرملة وينسب إليهم بئر أبو دنة الذي تقطنه عشيرة أبو دنة وبئر أبو دنة من قرى قبيلة النعيمات في جبال الشراة في جنوب غرب مدينة معان في جنوبي الأردن وهم هناك في عداد النعيمات.
- ٤- عشيرة السماعنة: وتقطن مدينة غزة.
- ٥- عشيرة السماعنة: وتقطن بلدة بيت إيبا الواقعة على نحو ٧ أكيال غربي نابلس.
- ٦- عشيرة السماعنة: وتقطن مدينة بيت نثيف في بلاد الخليل التي تقع على نحو ٢٠ كيلاً إلى الشمال الغربي من الخليل تحدث عنهم أحمد جميل خميس فقال: (قبيل حملة إبراهيم باشا حوالي سنة ١٨٣٠ وصل إلى بيت نثيف قسم من قبيلة السماعنة قادمين من جبال الشوبك مروراً بالكرك ثم اللقاء ثم الشونة الجنوبية ثم القدس، وقد استقروا في بيت نثيف وقد اختلطوا مع أهل البلدة الأوائل بالنسب وانصبغوا جميعاً بصبغة السماعنة وأصبح لقب أهالي بيت نثيف في جبل الخليل وجنوب فلسطين يعرف بالسماعنة)^(٢٧) قال المسعودي: قوله بالنسب يعني بالمصاهرة وهناك فرق بين النسب الذي يعني وحدة الأصل وبين المصاهرة التي كثيراً ما تتم بين أصول مختلفة لا يجمعها بالضرورة نسب واحد. والقول بأن استيطان السماعنة في هذه الديار تمّ قبيل حملة إبراهيم باشا حوالي سنة ١٨٣٠م أي في مطلع القرن التاسع عشر للميلاد قول غير صحيح فقد كانوا يسكنون هذه الديار وينزلونها في عهد الزبيدي (١١٤٥ - ١٢٠٥ هـ - ١٧٣٢ - ١٧٩٠م) وهذا يعني أنهم نزلوا هذه الديار في زمن سبق عهد الزبيدي كما سبق

ذكره والسماعنة في بيت نثيف هم أكبر تجمع للسماعنة في بلاد فلسطين وينقسمون إلى قسمين هما:

أ- خميس: يتألف هذا القسم من العشائر التالية:

١- عشيرة بشير. ٢- عشيرة حماد. ٣- عشيرة حمد الله.

٤- عشيرة أبو ريالة. ٥- عشيرة أبو سرور. ٦- عشيرة محمد.

٧- عشيرة المشايخ (الحلوات) والحلوات من عشائر السماعنة في الشرقية

كما سبق ذكره.

٨- عشيرة نحلة. ٧- منصور: يتألف هذا القسم من العشائر التالية:

١- عشيرة أبو راشد: أبو راشد في الشرقية فرع من الشعائرية من السماعنة هناك.

٢- عشيرة السداحمة. ٣- عشيرة الشربي. ٤- عشيرة أبو شعيرة (الشعائرية).

وقد سبق ذكر الشعائرية وفروعهم في الحديث عن سماعنة الشرقية في مصر.

٥- عشيرة الشوايك. ٦- عشيرة الصوري. ٧- عشيرة أبو عمر.

٩- عشيرة مسلط. ١٠- عشيرة مطلق.

٧- عشيرة أبو شعيرة (الشعائرية) وتوطن مدينة غزة ومنهم جماعة في بيت

نثيف وأخرى في الشرقية.

٨- عشيرة العمصي: وتوطن السواوير الواقعة على نحو ٤٢ كيلاً شمال شرق

غزة. (٢٨)

٩- عشيرة أبو ليّة: وتوطن بلدة برير الواقعة على نحو ٢١ كيلاً شمال شرق

غزة. (٢٩) ويبقى أن نشير إلى أن احسان النمر في حديثه عن حمايل - أي عشائر - بيت

ايا ذكر السماعنة وذكر فروعهم فقال رحمه الله تعالى: (السماعنة ويقسمون إلى:

١- دار حمدان. ٢- ودار عقل. ٣- ودار سالم.

٤- ودار الصوص. ٥- ودار صالح الحسن.

ولهم أقارب في جهات متعددة في بيت طيحا (غزة) وفي بيت نثيف

والسواوير) (٢٩).

* وسم السماعنة: تسمُ قبيلة السماعنة في شمالي سيناء سمة المَحَلَّة وشكلها هكذا H وهو مثل وسم قبيلة العيايدة الجذامية النسب.

العقبة: راشد بن حمدان الأحوي المسعودي

الحواشي:

- (١) «سيناء الموقع والتاريخ». عبده مباشر وإسلام توفيق ص ٢٤.
- (٢) «تاريخ سيناء». نعوم شفيق ص ١٢٣.
- (٣) و (٤) و (٥) «موسوعة القبائل العربية». محمد سليمان الطيب. مجلد ١ ص ٦٠٠.
- (٦) «قبائلنا». أحمد موسى الفسفوس ج ٢ ص ٤٣.
- (٧) المصدر السابق ج ٢ ص ٤٨.
- (٨) «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» (قبائل العرب في القرنين السابع والثامن الهجريين). ابن فضل الله العمري. تحقيق دوروتيا كرافولسكي. ص ١٠٩ و ١١٠ وقد ورد الاسم هكذا السماعنة سقطت منه النون وهكذا ورد أيضاً في «العرب» سنة ١٦ ص ٦١٠ وورد في «المسالك» ذكر جماعة قرسة بن حمران من السماعنة والصواب قرشة بن جريان كما ورد في «العرب» سنة ١٦ ص ٦١٠.
- (٩) «التعريف بالمصطلح الشريف». ابن فضل الله العمري ص ١١٣ وورد فيه الاسم هكذا عدوة والصواب عدرة.
- (١٠) «نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب». القلقشندي ص ٣٢٣.
- (١١) المصدر السابق ص ٤٢٧، «صبح الأعشى في صناعة الانشاء». القلقشندي ج ٤ ص ٢١٣.
- (١٢) «نهاية الأرب» ص ١٣٨.
- (١٣) «قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان». القلقشندي ص ٦٦، «صبح الأعشى» ج ٤ ص ٢١٣.
- (١٤) «دفتر مفصل لواء عجلون» (طابو دفتري رقم ١٨٥). دراسة وتحقيق وترجمة د. محمد عدنان البخيت د. نوفان رجا الحمود. ص ١٢ و ٢٥٥ و ٢٨٢.
- (١٥) «تاج العروس». الزبيدي (سمع).
- (١٦) «تاريخ سيناء» ص ١٢١. (١٧) المصدر السابق ص ١٢٢. (١٨) المصدر السابق ص ١٢٣.
- (١٩) «أبناء إسماعيل». ج. و. موري (بالإنجليزية) ص ٢٥٢.
- (٢٠) «البدو». أو بنهايم (بالألمانية) ج ٢ ص ١٤١.
- (٢١) مجلة «الهلal» سنة ١٥ (١٩٠٧ م - ١٣٢٥ هـ) ج ٦ ص ٣٦٦.
- (٢٢) «تاريخ سيناء» ص ٢٦٣. (٢٣) «البدو» ج ٢ ص ١٤١ و ١٤٢.
- (٢٤) و (٢٥) و (٢٦) «موسوعة القبائل العربية» مجلد ١ ص ٦٠٠ - ٦٠٣.
- (٢٧) «قبائلنا» ج ٢، ص ٤٧. (٢٨) المصدر السابق ج ٢ ص ٤٩ - ٥٠.
- (٢٩) «تاريخ جبل نابلس والبلقاء». احسان النمر. ج ٤ ص ٢٨٢.

«الأمكنة والمياه والجبال والآثار»

لأبي الفتح نصر بن عبدالرحمن الأسكندري المتوفى بعد سنة ٥٦١ هـ

- ١٣ -

٥٨- بَابُ الْأَبِ وَأَلَاتٍ وَأَلَاتٍ (١)

أَمَّا - بِقَصْرِ الْهَمْزَةِ وَتَخْفِيفِ اللَّامِ وَآخِرُهُ بَاءٌ مَوْحِدَةٌ: شُعْبَةٌ وَأَسِيعَةٌ مِنْ دِيَارِ
مُزَيْنَةَ قُرْبَ الْمَدِينَةِ عَلَى وَزْنِ سَرَابٍ (٢).

وَأَمَّا جَمْعُ اللَّهِ: مَوْضِعٌ، وَقِيلَ: بَلَدٌ، وَقِيلَ: بِلْدَانٍ (٣).

وَأَمَّا الْأَاتُ: عَلَى وَزْنِ فَعَالَاتٍ: فِي شَعْرِ (٤).

٥٩- بَابُ الْإِلِ وَالْأَلِ وَالْآلَةِ (٥)

أَمَّا عَلَى وَزْنِ حِمَارٍ: حَبْلٌ أَوْ حَبِيلٌ عَنْ يَمِينِ الْإِمَامِ بَعْرَقَةَ، وَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ
بَكَّارٍ: إِلَّاكٌ: هُوَ الْبَيْتُ الْحَرَامُ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ (٦).

(١) لَيْسَ فِي كِتَابِ الْحَازِمِيِّ.

(٢) نَقَلَ بِأَقْرَبِ هَذَا بِنَصِّهِ دُونَ نَسْبِهِ، وَالْأَبُ هَذَا: وَادٍ لَا يَبْرَأُ مَعْرُوفًا، وَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ رَوَافِدِ وَادِي الصَّفْرَاءِ،
يَتَخَدَّرُ مِنْ نَوَاحِي الْأَشْعَرِ (جَبَلِ الْفِطْرَةِ) وَيَجْتَمِعُ بِوَادِي طَاشَا، حَتَّى يَفِيضَانَ فِي وَادِي الصَّفْرَاءِ فِي جِهَتِهِ
الشَّمَالِيَّةِ، وَسَكَانُ الْأَبِ مِنَ الْحَوَازِمِ مِنْ قَبِيلَةِ حَرْبِ.

(٣) أَوْرَدَهُ بِأَقْرَبِ عَنْ نَصْرِ بَدْوُنَ زِيَادَةَ.

(٤) فِي «الْمُعْجَمِ»: الْأَاتُ: بِوِزْنِ فَعَالَاتٍ، وَيَلْفِظُ عِلَامَاتٍ ذَكَرَ فِي الشَّعْرِ عَنْ نَصْرِ. وَكُتِبَ الْأَسْمُ بِالْفِ بَعْدَمَا
لَامُ الْفِ، فَالْفِ أُخْرَى مَهْمُوزَةٌ قِتَاءً، وَلَكِنَّهُ بِهَذِهِ الصُّورَةِ لَا يَكُونُ عَلَى وَزْنِ فَعَالَاتٍ أَوْ عِلَامَاتٍ.

(٥) لَمْ يَذْكُرِ الْحَازِمِيُّ الْأَسْمَ الْأَخِيرَ.

(٦) عِنْدَ الْحَازِمِيِّ: حَبِيلٌ عَنْ يَمِينِ الْإِمَامِ بَعْرَقَةَ، ثُمَّ أَوْرَدَ قَوْلَ الزُّبَيْرِ، وَعَقَّبَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَصَحُّ،
قَالَ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ:

وَتَسَدُّ الْقَوَائِلِينَ فَهُمُ الْإِنْسِ كَمَا نَطَّرَ الْحَجِيجُ إِلَى إِالِ

وَاخْتَلَفَ فِي إِالِ، هَلْ هُوَ جَبَلٌ بِالْحَيْمِ، أَوْ حَبْلٌ مِنْ رَمْلِ، وَهُوَ الْحَبْلُ الْمَعْرُوفُ الْآنَ بِعِرْقَةِ يَلْبُ بِجَبَلِهَا،
وَيَقِفُ الْإِمَامُ بِجَانِبِهِ.

وَأَمَّا أَلَالٌ عَلَى وَزْنِ أَحْمَرَ: مَوْضِعٌ بِالْجَزِيرَةِ (١).

وَأَمَّا أَلَاةٌ عَلَى وَزْنِ حُثَالَةٍ: مَوْضِعٌ بِالشَّامِ (٢).

٦٠- بَابُ الْأَمْهَادِ وَالْأَمْهَارِ (٣)

أَمَّا بِالْدَّالِ: أَمْهَادٌ عَامِرٌ (٤).

وَأَمَّا بِالرَّاءِ: ذَاتُ أَمْهَارٍ (٥).

٦١- بَابُ أَمْنٍ، وَأَمْرٍ، وَأَمْرٍ (٦)

أَمَّا بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَسُكُونِ الْمِيمِ وَآخِرُهُ نُونٌ: مَاءٌ فِي بِلَادِ عَطْفَانَ، وَقَدْ تُقَلَّبُ الْهَمْزَةُ يَاءً عَلَى عَادَتِهِمْ يَمُنٌ (٧).

وَضَبَطُ يَأْفُوتُ الْأَسْمَ بِوَزْنِ حَمَامٍ، وَأُورِدَ عَنِ ابْنِ فَرِيدٍ: حَبْلٌ رَمَلٌ بِعَرَفَاتٍ عَلَيْهِ يَقُومُ الْإِمَامُ، وَيُقْبَلُ: جَبَلٌ عَنِ يَمِينِ الْإِمَامِ، وَيُقْبَلُ: أَلَالٌ: جَبَلٌ عَرَقَةٌ نَفْسُهُ، ثُمَّ أُورِدَ الْأَسْمَ - بِكَسْرِ أَوَّلِهِ - قَائِلًا: وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ، وَأُورِدَ عَلَيْهِ شَوَاهِدٌ مِنَ الشُّعْرِ. وَانظُرْ عَنِ إِيَالِ «العرب» ص ٣٢، ص ٢٩٦ وما بعدها.

(١) هُوَ تَعْرِيفُ الْحَازِمِيِّ، وَفِي «المُعْجَمِ» بِوَزْنِ أَحْمَرَ، وَكَلْفِ عِلْعَلٍ: بَلَدٌ بِالْجَزِيرَةِ وَكَمْ يَزِدُ، وَيَقْصُدُ بِالْجَزِيرَةِ هُنَا: الْجَزِيرَةُ الْفَرَاتِيَّةُ.

(٢) لَمْ يَذْكَرْهُ الْحَازِمِيُّ، وَفِي «المُعْجَمِ» أَلَاةٌ بِوَزْنِ حَمَلَةٍ: مَوْضِعٌ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ:

لَوْ كُنْتُ بِالطَّبْسِيِّنِ أَوْ بِالْأَلَاةِ

ثُمَّ أُورِدَ كَلَامٌ نَصَرُ مَنْسُوبًا إِلَيْهِ.

(٣) لَيْسَ فِي كِتَابِ الْحَازِمِيِّ.

(٤) فِي «المُعْجَمِ»: الْأَمْهَادُ - جَمْعُ مَهْدٍ - وَيَوْمُ الْأَمْهَادِ مِنْ أَهَامِ الْعَرَبِ وَيُقَالُ لَهَا أَمْهَادٌ عَامِرٌ، كَأَنَّهُ مِنْ مَهْدَتِ الشَّيْءِ، أَيْ بَسَطَتْهُ. انْتَهَى.

وَالْمَهْدُ: بِضَمِّ الْمِيمِ: مَا انْخَفَضَ مِنَ الْأَرْضِ فِي سَهْوَةٍ وَاسْتَوَاءٍ، جَمْعُهُ مَهْدَةٌ وَأَمْهَادٌ.

(٥) فِي «المُعْجَمِ»: ذَاتُ أَمْهَارٍ: مَوْضِعٌ بِالْبَادِيَةِ، وَالْمَهْرُ: وَكَلْدُ الْفَرَسِ، وَالْجَمْعُ أَمْهَارٌ، وَكَمْ يَزِدُ.

(٦) عِنْدَ الْحَازِمِيِّ (بَابُ أَمْرٍ وَأَمْرٍ).

(٧) فِي «مُعْجَمِ الْبُلْدَانِ» كَلَامٌ نَصَرُ مَعَ زِيَادَةِ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

إِذَا حَلَّتْ بِيَمْنٍ أَوْ جَبَّارِ

وَأَضْيَفُ: لَا يَزَالُ يَمُنُ مَعْرُوفًا بِهَذَا الْأَسْمِ، وَفِي «المُعْجَمِ»: حَبْنُ مَاءٍ لِعَطْفَانَ بَيْنَ قَوْوٍ وَرَوَّافٍ، عَلَى الطَّرِيقِ

وَأَمَّا بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَالْمِيمِ وَأُخْرُهُ رَأَى: ذُو أَمْرٍ بَنَجْدٍ مِنْ دِيَارِ غَطَفَانَ، وَكَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ إِلَيْهِ لَجَمْعِ بَلَقَهُ أَنَّهُ بِهِ مِنْ مُحَارَبٍ، وَغَيْرِهِمْ فَهَرَبَ الْقَوْمُ مِنْهُ إِلَى رُؤُوسِ الْجِبَالِ، وَزَعِيمُهُمْ دُعُورُ بْنُ الْحَارِثِ الْمُحَارِبِيُّ، فَعَسَكَرَ الْمُسْلِمُونَ بِذِي أَمْرٍ، قِصَّةَ قَتْلِ دُعُورٍ (١).

بَيْنَ تَيْمَاءَ وَقَيْدٍ، وَأُورِدَ شَاهِدًا مِنْ قَوْلِ زُهَيْرٍ، وَقَوْلِ عَامِرِ بْنِ الطَّفِيلِ، وَقَدْ أُرْسِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَنَةِ سَبْعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ سَرِيَّةً إِلَى جَبَّارٍ وَيَمَنَ، حِينَ بَلَقَهُ أَنْ فَطَفَانَ جَمَعَ رَأْسَهَا عَيْبَةَ بْنَ حِصْنٍ جَمْعًا لَغَزْوِ الرَّسُولِ ﷺ، فَأُرْسِلَ بِشِيرِ بْنِ سَعْدٍ وَمَعَهُ الدَّلِيلُ حُسَيْلُ بْنُ نُؤَيْرَةَ الْأَشْجَمِيُّ، دَكِيلُ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى خَيْبَرَ، فَأَنْهَزَمَ جَمْعُ عَيْبَةَ وَقَتْلَ عَبْدُ لَهُ، وَأَصَابَتْ السَّرِيَّةُ إِسْلًا وَغَنَمًا، وَأَنْهَزَمَ عَيْبَةَ وَلَقِبَهُ الْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ مِنْهَزِمًا فَقَالَ: قَدْ أَنْ لَكَ يَا عَيْبَةَ أَنْ تُفْصِرَ عَمَّا تَرَى. انْتَهَى.

وَيَمَنُ: هَذَا لَا يَزَالُ مَعْرُوفًا بِاسْمِهِ - بِفَتْحِ الْيَاءِ وَإِسْكَانِ الْمِيمِ - مَاءٌ فَوْقَهُ بُؤَيْتَاتٌ قَلِيلَةٌ، قَلِيلَةُ السُّكَّانِ شَرْقَ الطَّرِيقِ.

وَتَقَعُ بئرَ يَمَنَ هَذِهِ شَرْقَ الطَّرِيقِ مِنْ خَيْبَرَ إِلَى تَيْمَاءَ قَبْلَ الْوُصُولِ إِلَى حَفِيْرَةِ الْإِبْدَا، فِي الْجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ مِنْهَا بِحَوَالِي ٣٠ كِيْلًا فِي الطَّرْفِ الشَّرْقِيِّ الشَّمَالِيِّ مِنْ جِبَالِ الْخَطْمِ، شَرْقَ حَمْرَاءِ الْبَدْيِ، وَقَبْلَ الْوُصُولِ إِلَى وَادِي قَوْمِ الْوَأَقِعِ شَمَالَ يَمَنَ، وَيَخُصُّ قَرْيَةَ مِنْ يَمَنَ.

أَمَّا رُؤُوفٌ: فَهِيَ جَبَلٌ لَا يَزَالُ مَعْرُوفًا بِقَعِ شَمَالَ يَمَنَ فِي الْجَهْرَاءِ (الْجَنَابِ) وَيَدْعُ وَادِي قَوْمِ جَبَلِ رُؤُوفٍ شَرْقَهُ (يَمَنَ) بِقُرْبِ الدَّرَجَةِ ١٦ / ٢٩ طُولًا وَ ٢٦ / ٢٦ عَرْضًا) وَ (رُؤُوفٌ بِقُرْبِ الدَّرَجَةِ ١٠ / ٣٩ طُولًا وَ ٥٨ / ٢٦ عَرْضًا).

(١) عِنْدَ الْحَازِمِيِّ: ذُو أَمْرٍ قَالَ الْوَأَقِدِيُّ: مِنْ نَاحِيَةِ النَّخِيلِ، وَهُوَ بَنَجْدٌ، ثُمَّ سَاقَ كَلَامَ نَصْرٍ، سَوَى جُمْلَةً: (قِصَّةُ قَتْلِ دُعُورٍ) وَأَرَاكَهَا مُفَحِّمَةً فِي كَلَامِ نَصْرٍ. وَفِي «الْمُعْجَمِ» نَقَلَ كَلَامَ الْوَأَقِدِيِّ وَبَعْدَهُ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثٍ مِنَ الْهَجْرَةِ لَجَمْعِ بَلَقَهُ أَنَّهُ اجْتَمَعَ مِنْ مُحَارَبٍ وَغَيْرِهِمْ، فَهَرَبَ الْقَوْمُ مِنْهُ إِلَى رُؤُوسِ الْجِبَالِ، وَزَعِيمُهُمْ دُعُورُ بْنُ الْحَارِثِ الْمُحَارِبِيُّ، فَعَسَكَرَ الْمُسْلِمُونَ بِذِي أَمْرٍ، ثُمَّ أُورِدَ رَجَزًا لِمَكَاشَةَ بْنِ مَسْعُودَةَ السُّعْدِيِّ، وَقَالَ: الْأَمْرُ فِي الْأَصْلِ الْحَجَّارَةُ تُجْعَلُ كَالْأَعْلَامِ، الْوَاحِدَةُ: أَمْرَةٌ، ثُمَّ ذَكَرَ أَمْرَ - بِإِسْكَانِ الْمِيمِ -: مَوْضِعٌ بِالشَّامِ، وَأُورِدَ شَاهِدًا مِنْ شِعْرِ الرَّأْعِيِّ.

وَيُظْهِرُ لِي أَنَّ ذَا أَمْرٍ هَذَا: يَقَعُ غَرْبَ الْحَنَّاكِيَّةِ، بِقُرْبِ وَادِي النَّخِيلِ، فَقَدْ نَقَلَ السُّمَّوْدِيُّ عَنِ الْأَسَدِيِّ قَوْلَهُ: ذُو أَمْرٍ: وَادٍ بِطَرِيقِ قَيْدٍ إِلَى الْمَدِينَةِ عَلَى نَحْوِ ثَلَاثِ مَرَاكِلٍ مِنَ الْمَدِينَةِ بِقُرْبِ النَّخِيلِ. انْتَهَى.

وَإِذَنْ فَهِيَ مِنْ أَوْدِيَةِ الْحَنَّاكِيَّةِ نَفْسِهَا، فِي أَعْلَاهَا كَمَا يُفْهَمُ مِنْ خَبَرِ الْغَزْوَةِ أَنَّ الْقَوْمَ هَرَبُوا إِلَى رُؤُوسِ الْجِبَالِ، أَيْ أَنَّهُمْ ارْتَفَعُوا فِي شِعَالِهَا الْوَاقِعَةِ شَمَالَ الْحَنَّاكِيَّةِ.

وَوَادِي النَّخِيلِ لَا يَزَالُ مَعْرُوفًا، يَقَعُ غَرْبَ الْحَنَّاكِيَّةِ (نَخْلٍ) بِنَحْوِ عَشْرَةِ كِيْلَالٍ، يَجْزِعُهُ الطَّرِيقُ الْمُنْتَهِي إِلَى الْمَدِينَةِ، وَفِي أَعْلَاهُ قَرْيَةٌ بِهَذَا الْاسْمِ، وَيَبْعُدُ عَنِ الْمَدِينَةِ بِنَحْوِ ثَمَانِينَ كِيْلًا.

وَأَمَّا بِتَشْدِيدِ الرَّأْيِ وَالْبَاقِي مِثْلُهُ: مَاءٌ قَرِيبٌ مِنَ الشَّامِ ذُو أَمْرٍ (١).

٦٢- بَابُ الْأَنْعَمِ، وَالْأَنْعَمِ (٢)

أَمَّا بَفَتْحِ الْعَيْنِ: جَبِيلٌ بَطْنٌ عَاقِلٌ بَيْنَ الْيَمَامَةِ وَالْمَدِينَةِ عِنْدَ مَنَعِجٍ وَخَزَازٍ، وَهُنَاكَ آخَرُ قَرِيبٌ مِنْهُ، يُقَالُ لَهُمَا الْأَنْعَمَيْنِ، وَيُصَغَّرُ أَنْعَمٌ (٣).
وَأَمَّا بِضَمِّ الْعَيْنِ: جَبَلٌ بِالْمَدِينَةِ عَلَيْهِ بَعْضُ بِيُوتِهَا (٤).

(١) عند الحازمي: أمرٌ من الشام، وفي «المعجم»: أمرٌ - بتشديد الراء - أفعلٌ من المرارة: موضعٌ في بَرِيَّةِ الشَّامِ مِنْ جِهَةِ الْحِجَازِ، عَلَى طَرَفِ بُسَيْطَةَ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ، وَعِنْدَهُ قَبْرُ الْأَمِيرِ أَبِي الْبَقَرِ الطَّائِي، ثُمَّ أُورِدَ شَوَاهِدٌ مِنَ الشُّعْرِ.

وَيُفْهَمُ مِنْ كَوْنِ الْمَوْضِعِ عَلَى طَرَفِ بُسَيْطَةَ، أَنَّهُ يَقَعُ شَمَالَ ثَبُوكَ، حَيْثُ الطَّرْفُ الْغَرْبِيُّ الشَّمَالِيُّ لِبُسَيْطَةَ، إِذْ كَانَ حُجَّاجُ الشَّامِ يَمْرُؤُونَ بِهِ قَدِيمًا، وَمَوْضِعُ بُسَيْطَةَ يُدْعَى الْآنَ الْعَرَافِضُ، وَالْقَاعُ أَبْضًا، وَهِيَ وَأَقِعةٌ شَرْقِيَّ حَالَةَ عَمَّارٍ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمُدَوَّرَةِ (سَرْحٌ قَدِيمًا) بِقُرْبِ حُدُودِ شَرْقِ الْأُرْدُنِّ.

(٢) لَمْ يَذْكُرْهُ الْحَازِمِيُّ.

(٣) نَقَلَ يَأْفُوتُ كَلَامَ نَصْرٍ بِنَصِّهِ وَكَمْ يَزِدُ، وَعَاقِلٌ: وَادٍ لَا يَزَالُ مَعْرُوفًا بِاسْمِ (العاقلي) شَمَالِ جَبَلِ خَزَازٍ، وَوَادِي مَنَعِجٍ الَّذِي هُوَ وَادِي دُخْنَةَ، وَالْأَنْعَمَانِ الْقَرِيْبَانِ مِنْ عَاقِلٍ يُعْرَفَانِ الْآنَ بِاسْمِ (الْفُشَيْعَيْنِ) تَنْبِيَةَ الْفُشَيْعِ، وَهُمَا جَبِيلَانِ صَغِيرَانِ يَقَعَانِ إِلَى الْجَنْوِبِ مِنْ مَدِينَةِ الرُّسِّ، عَلَى بُعْدِ عَشْرَةِ أَكْيَالٍ تَقْرِيْبًا، إِلَى الشَّمَالِ مِنْ وَادِي عَاقِلٍ (العاقلي) وَكِلَهُمَا ذَكَرُ فِي الشُّعْرِ الْعَامِيِّ، وَوَادِي الْعَاقِلِيِّ يَمْرُؤَانِ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ رَامَةَ، قَبْدَهُمَا إِلَى يَسَارِهِ، وَهُوَ مِنْ رَوَافِدِ وَادِي الرُّمَّةِ.

(٤) قَالَ يَأْفُوتُ فِي «المعجم»: الْأَنْعَمِ - بِضَمِّ الْعَيْنِ -: مَوْضِعٌ بِالْعَالِيَةِ، قَالَ جَرِيرٌ:

حَمِيَّ السَّدِّبَارِ بَعَاقِلٍ قَالِ الْأَنْعَمِ كَالسَّوْحِيِّ فِي رِقِّ الزَّبُورِ الْمُعْجَمِ
ثُمَّ أُورِدَ كَلَامَ نَصْرٍ مَنْسُوبًا إِلَيْهِ.

وَفِي «وَقَاءِ الْوَقَاءِ» نَقَلَ عَنِ الْمَجْدِ فِي تَعْرِيفِ الْأَنْعَمِ: أَنَّهُ الَّذِي بَنَى عَلَيْهِ الْمُزَنِيُّ وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّبِيعِيُّ، وَنَقَلَ عَنِ ابْنِ زَيْلَعَةَ فِي كَلَامِهِ عَلَى مَسْجِدِ الْمَنَارَتَيْنِ بِطَرِيقِ الْعَقِيقِ: أَنَّهُ الْجَبَلُ الَّذِي عَلَى يَسَارِ الْمَارِ أَوَّلِ الرَّقِيقَتَيْنِ لِلْقَاصِدِ لِلْعَقِيقِ، وَكَمْ يَذْكُرُ السُّمَّوْدِيُّ الرَّقِيقَتَيْنِ فِي مَوْضِعِهَا، وَقَالَ عَنِ مَسْجِدِ الْمَنَارَتَيْنِ: أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ صَلَّى فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي بَاصِلِ الْمَنَارَتَيْنِ فِي طَرِيقِ الْعَقِيقِ الْكَبِيرِ، قَالَ الْمَطْرِيُّ: وَهَذَا الْمَسْجِدُ لَا يُعْرَفُ، وَهُوَ يَلِي طَرِيقَ الْعَقِيقِ، ثُمَّ أَضَافَ مِنْ قَوْلِهِ فِي الْأَنْعَمِ وَهُوَ الْجَبَلُ الْأَحْمَرُ الَّذِي عَلَى يَسَارِكِ إِذَا مَرَرْتَ مِنْ أَوَائِلِ الرَّقِيقَتَيْنِ قَاصِدًا الْعَقِيقِ. إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَ.

أَمَّا بَيْتُ جَرِيرِ الَّذِي أُورِدَ يَأْفُوتُ فَيَبْدُو أَنَّهُ أَرَادَ الْجَبَلَ الْقَرِيبَ مِنْ عَاقِلٍ.

ديوان العرب

أنه متآلم، لا شكاة متظلم!! (١)

[استاذنا الأهرجي من أجله علماء العرب، الذي صلوا - في الآونة الأخيرة - بحرّ ما أحرقت به بغداد، مما اضطره ككثيرين غيره لمغادرتها إلى غير قصد، فناء تنقاذها الأمواج، متفلاً بين أقطار المعمورة الواسعة التي ضاقت عنه - وعن أمثاله من ذوي العلم والفضل، حتى طوحت به المصادير في بلاد قصبّة من بلاد العالم - كما وصف المتنبي:

ولكن الفتى المـرربى فيهِـا غريب الوجوه، واليد واللسان
وكلمة (ولكن) هذه وردت في غير موقعها المناسب، ففي هذه البلاد للعلم والعلماء لدى أهلها منزلة أمة منزلة، مما يمكن استاذنا الأهرجي بتأثير ما يحس ويشعر به مما اعتراه من ظلم ذوي قرياه:

وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضةً على المسرء من وقع الحسام المهند
ومما قاساه في وطنه الواسع من عدم اعتراف بفضلته، بل من عدم تمكنه من وجود مكان استقرار وإقامة، مع ما أصابه في وطنه من أذى وإهانة وتشريد، فتمكن أثناء إقامته في تلك البلاد القصبية - بعد أن أمياه التقليل والتنقل حتى بلغها، تمكن من التعبير عن بعض آثار ما اعتراه إبان غربته التي تجاوزت الآن عشرين عاماً، إذ النكبات والحوادث أقوى محك للصمود، ولإبراز الصفات المميزة للرجال، كأستاذنا الأهرجي، الذي لم يخضع أو يخضع أو يذل لشيء مما أصابه، بل استمر قوياً صامداً (٢)، غير أن شعوره الفياض الذي عبر عنه في رسالة بمشها لصاحب مجلة «العرب» بتاريخ ٢٧/٢/١٤١٩ هـ أثار في نفسه شجى فأراد لتخفيفه إشراك قراء المجلة بنشر بعض ما ورد في تلك الرسالة].

ولقد نكأت في رسالة أستاذي من الجراح ما كنت أظن أنه قد اندمل من أمر غربتي عن وطني، التي مرّ عليها حتى هذا اليوم الذي أكتب فيه تسعة عشر عاماً، وأحد عشر شهراً، وثمانية عشر يوماً، هذه الغربة التي دفعت ثمنها القاسي جداً لا لشيء إلا لأنني أحبُّ وطني بمقدار ما أحبُّ أمة العرب.

ولقد كافأني الاثنان - بلدي وأمتي - أن بُذت في هذا الصقيع، فالحمدُ لهما على ما أنعموا، والحمد لله قبلهما وبعدهما على ما قدر فلا اعتراض على حكمه الذي لا يرد، وهو القائل جلّ وعزّ وعلا: ﴿عسى أن تكسروا شيئاً وهو خير لكم﴾. ومؤلم وفوق المؤلم أن يطلب منّي أستاذي العلامة أنا العربي الصليب المسلم أن أؤرخ بالتاريخ الهجري الذي هو تاريخي، ثم لا أحسن ذلك إلا

بمساعدة (الكومبيوتر) ولكن إنا لله وإنا إليه راجعون.

أما بعدي عن وطني، وأحبابي الذي تحدثت عنه مُتفضلاً، فلو كان وحده
لهان، ولكنني كما قال شاعرنا الجوهري:
شاء هم الناسِ أحملُهُ فوق همِّي أن يُبلاث دمي
ولعلَّ ما يُصورُ مقدار ألمي مما أنا فيه ما كتبتُه من تسجيل مشاعري في شيء
أزعمُ أنه قصيدةٌ قلتها وأنا هنا هي:

غربة

غريبٌ شعركَ الأسـ	—ودٌ في هههه الشُّقره
وعبءٌ وجهكَ الأسـ	—مرٌ لولا سُحنةٌ حُرّه
فقد تُنظَرُ عن سهو	فتأسى أن ترى النظره
فمن يصطادُ لي أطيـ	فأحبابي، ولو مرّه؟
فقد دارت بي الدنـ	فما وازنت الدوره
وغنت لي أغاني الخـ	—بٍ لكن لم أر الخضره
فلي في كلِّ يومٍ منـ	—زلٌ يُبنى على غرّه
وسبحان السذي أنشأ	دارَ اثنين في (صُرّه)
وطوبى للمُخفِّينِ	فلا زاد، ولا وقُرّه
فمن كانت له أذنـ	فليسَمعُ شجى الكزفره
لبستُ صبايَ منفيـ	ولا ندم، ولا حسره
فرُحتُ أريقُ ماء العـ	—ر حيثُ الضيقُ والعُسره
وكنتُ أخافُ من عشـ	—راقٍ فزدتها عشره

وأضيقُ مُعَسَّرٌ مَنْ لَمْ يَصُنْ - مُتَعَمِّدًا - عُمُورَهُ
وإذ عاشرتُ أحلامي وأينَ مبالغاتُ الطــــ
ومساتِ أبي، ولم تلمسُ فمن يَنْفِضُ عن غُــــ
ومن يُدْفِي أَصْـالِي وَيَالِيَلِي الرِّصَاصِي
غريبَ الرُّوحِ لا تِيَّاسُ فما بلغَ الغِنَاءُ المُــــ
ولاوِ أَمْسِ عَصْفِ الرِّيبِ وَيَسْـدِرِي الطَّحْلُبُ الغَافِي
ويعرفُ يَوْمَنَا المَرَعُو لَسَوْفَ أَظْلُ فِي مَقَلِّ الصَّــــ
ولولا أَنَّهُ وَطَنِي فلمَ أَرِ مِثْلَهُ أَفْعَى
فشَرَّدَ كُلَّ ذِي شَرَفٍ وراهنَ أَن يَطْيِرَ حَمَّاماً
ومجنونٌ مَنْ اعتزلَ القُرا أقولُ - مُدِيَّتْ - لا أعني
غريبَ الرُّوحِ لا تحزنُ

وكان السند باد يرى
 ففيم تضيّقُ بالمنفى
 وفيم تخفافُ من روضِ
 ثم احككهُ لعلك وا
 أفق لي يا هـداك الله
 فهل أجدك لونُ الـوجـه
 أم أنك قد ظللت الأجمـ
 ترويضُ ناصع الخطرا
 لأنت أجلُّ من أن تتمم
 فحلق ثم زد حتى
 وفي الإنسان لي وطنٌ
 وكلُّ الأفقِ معراجٌ
 غريب الـوجـه لا تحزن
 فللدود الثرى لکنـ
 فماذا شعرك المستغر
 وضوء الروح في البصره
 كأنك جاهلٌ حره؟
 أيق لم تـدق عطـره
 جد في نظمه عـثـره
 واستحضر روى السكره
 هـ في مستنقع السمره؟
 نبي الروح والفطره
 تـ خوف عواقب الخطره
 ي نسراً إلى حفره
 ترى جنحك من جمـره
 فسيح قلبه زهـره
 فماذا قبـة الصخره؟
 فكل بالغ أمـره
 ما للأنجم الزهره
 ب اللون؟ ... وما السمره؟

بولندا: د. محمد حسين الأعرجي

الحواشي:

- (١) لعمارة بن علي الحكمي (٥١٥/٥٥٩ هـ) قصيدة بهذا المعنى نشرتها «العرب»، ص ٢، ص ٨٨٩.
- (٢) انظر ما نشرته جريدة «الرياض» [عدد ١١٠٢١ تاريخ ١٤١٩/٥/٥ هـ] عن كتاب «جهاز المخابرات في الحضارة الإسلامية» تأليف الدكتور الأعرجي.

مع القراء في أسنلتهم وتعليقاتهم:

حول نسب العميريين حكام مدينة سمائل العمانية

تعدُّ أسرة آل عمير التي حكمت مدينة (سمائل) في داخلية عُمان من أشهر الأسر الحاكمة في عمان خلال القرن العاشر، وأوائل الحادي عشر الهجريين، وفي أواسط القرن العاشر كان يحكم سمائل الأمير أبو الحسين علي بن سنان بن وشاح العميري، وورث الحكم من بعده أخوه عامر بن سنان، ومن أمرائهم في القرن نفسه أيضًا الأمير محمد بن ربيعة العميري، وابنه ربيعة بن محمد، أما في الربع الأول من القرن الحادي عشر فقد آل حكم سمائل إلى الأمير عمير بن حمير العميري الذي دخل في صراع مع السلطان سليمان بن مظفر بن سلطان النبهاني، أحد أمراء بني نبهان المتأخرين، وأوقع به هزائم متلاحقة، مما عجل بسقوط دولة بني نبهان، ثم دخل في حرب مع حاكم (صُحَّار) الأمير محمد بن مهنا بن محمد الهديفي، ولم يتورع عمير عن الاستعانة بالبرتغاليين لضرب خصمه اللدود حاكم (صُحَّار) وقد اشترك الحليفان في مهاجمة المدينة والقضاء على حاكمها الهديفي وذلك في شهر ربيع الآخر من سنة ١٠٢٥هـ.

وبعد مرور تسع سنين من هذا التاريخ قامت دولة اليعاربة في سنة ١٠٣٤هـ، وكان يحكم (سمائل) عندئذ الأمير مانع بن سنان بن سلطان العميري، وقد وقف هذا الأمير موقف العداء السافر من الإمام ناصر بن مرشد اليعربي، أول أئمة اليعاربة الذي كان يسعى لتوحيد بلدان عُمان تحت سلطته، تمهيداً للبدء في محاولة إجلاء البرتغاليين من سواحل عمان، وقد انتهى الأمر بمقتل الأمير مانع بحيلة دبرها بعض أعوان الإمام في تاريخ مجهول ولم تقم للعميريين بعدها قائمة.

والذي أود الإشارة إليه هو أن النسابة المؤرخ سالم بن حمود السيابي حينما تطرق لنسب آل عمير هاؤلاء نسبهم إلى عمير بن عامر بن صعصعة^(١) دون

ثبت، ومن المعلوم لدى علماء النسب أنه ليس لعامر بن صعصعة ولد يدعى بعُمير، وقد تنبه إلى هذا أستاذنا الفاضل الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري ونبّه إليه^(٢)، غير أنني اطلعت مؤخراً على ديوان لشاعر عماني من أهل القرن العاشر الهجري، وهو الشاعر أبو حمزة سالم بن غسان اللّواح الخروصي^(٣) وفيه ثلاث قصائد رثى فيها بعض أمراء آل عمير، ونسبهم فيها إلى قبيلة سدّوس (بطن من قبيلة بكر بن وائل الرّبعية) ففي قصيدة له هائية يرثي فيها الأمير أبا الحسين علي بن سنان العميري يقول:

ومَن (سدّوس) به شاعت مفاخرها يوم المفاخر أولاهها وأخراها
قد كان أصدقها قولاً وأحسنها فعلاً وأرسلها عقلاً وأوفاهها^(٤)
وفي مرثية أخرى في الأمير أبي الحسين يقول:

بك افتخرت (جديلة) في ثراها وأنتَ فلستَ تفخرُ بالرمّام
بكتك أبا الحسين (بنو سدّوس) وآلُ عميرة الشّمّ العظام^(٥)
وقال في رثاء الأمير محمد بن ربيعة العميري:

وليست به خُصّت (سدّوس) وألها (جديلة) بل عُمّت به البدو والحَضْر^(٦)
وسدّوس هو ابن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكّابة بن صععب بن علي بن بكر
ابن وائل.

وجديلة هو أحد أجداد بكر بن وائل فهو بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن
أفصى بن دُعْمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان.
ومن خلال تلك الأبيات نستنتج ما يلي:

١- كان نسب آل عمير في سدّوس متعارفاً عليه عندهم في القرن العاشر
الهجري، وإلا لما نسب الشاعر اللّواح أمراءهم إلى تلك القبيلة.

٢- جاء ذكرُ جدِّهم (جديلة) ليبيد الشوك حول تحديد (سدوس) حيث أن هناك أكثر من قبيلة عربية تحمل هذا الاسم، وبالتالي فإننا غدونا على يقين من أن سدوساً المقصود هو ابن شيبان بن ذهل من بكر بن وائل وليس هو سدوس الدارمي، ولا سدوس الطائي^(٧).

٣- ورد اسم (عميرة) بدلاً من (عمير) في أحد أبيات مرثية اللواح الميمية ليستقيم الوزن، فقد ذكر الاسم الأصلي في أكثر من موضع من القصيدة نفسها، ومن ذلك قوله في رثاء الأمير أبي الحسين:

لآل عمير بعد أبي حسين من الوافي بعهد الالتزام؟
ومن لنساء آل عمير حام متى تدعو الوغا عند الزحام؟
وقوله في مدح أخيه وخليفته عامر بن سنان:

به فخرت عمير واستطالت كما فخرت معداً بالتهامي
وقوله في مرثيته الهائية يمدح عامراً:

أمست عميرُ به في حفظ مؤتمن عن كل نائبة الأيام وقاها^(٨)
مدير متحف إمارة عجمان: علي بن محمد بن علي بن راشد المطروشي
الحواشي:

(١) السيابي: سالم بن حمود بن شامس «إسعاف الأعيان في أنساب أهل عُمان» منشورات المكتب الإسلامي سنة ١٣٨٤هـ، دون ذكر للطبعة، ص ٥٨.

(٢) الظاهري، أبو عبدالرحمن بن عقيل «أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء» نشر دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص ١١٨.

(٣) الطبعة الأولى من الديوان سنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، تحقيق محمد علي الصليبي، نشر وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان، والمرثي المذكورة تقع في آخر الجزء الثاني من الديوان الذي طبع في جزئين.

(٤) ديوان اللواح، ج ٢، ص ٢٧٩.

(٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٥٠، ٢٥١.

(٦) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٨.

(٧) انظر «الإيناس في علم الأنساب» للوزير المغربي الحسين بن علي، تحقيق: حمد الجاسر، نشر دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ط ١ سنة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص ١٦٩.

وكتاب «مختلف القبائل ومولفها» لمحمد بن حبيب البغدادي، المطبوع في ذيل كتاب «الإيناس»، ص ٢٩٢.

(٨) المصدر نفسه، ج ٢، والأبيات مقتبسة من المرثيات الثلاث المشار إليها.

الجبعان من الشُّطْر من بني عبدالله بن غطفان

إشارة إلى ما نشر في مجلة «العرب» س ٦، ص ١٦١ وكذلك س ٢٨، ص ٦٧١ وما نشرتموه في كتابكم «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» عن قبيلة بني عبدالله بن غطفان وتفرعها وبالأخص قبيلة (الشُّطْر) من الصعوب من بني عبدالله بن غطفان وذكر بطونها.

نفيدكم أن فخذ الجبعان هو أحد بطون قبيلة الشُّطْر من الصعوب من بني عبدالله ابن غطفان وهم (ذوي عطية) (العطاوية) (ذوي منير) وهما أخوان أبناء سمران بن عابد بن عوض بن عثمان بن عوض بن مبارك (الأجيب) وهم أبناء شاطر. نود ملاحظة ذلك ونشره عند إعادة طباعة الكتاب إن شاء الله.

جدة: فهد الشاطري

آل ثلاب فرع من العجاليين الأسرة المعروفة

نشكر مجلة «العرب» والقائمين عليها لحرصهم واهتمامهم، إلا أننا نعتب على المجلة حينما نشرت س ٣٣ ص ٧١٤ مقالاً تضمن خطأ سببه جهل أحد ابنائنا الذي غرَّرَ به وهو لم يتجاوز العقد الثالث من عمره هو عبدالرحمن بن حمد بن شافي آل ثلاب العجاليين، حينما وهم فأخرج آل ثلاب من قبيلة العجاليين. وهذا قول لم يسبقه إليه لا والده ولا جده، حيث أن ثلاب وهو رجل رافق حزام مع الملك عبدالعزيز - رحمه الله - في فتح الرياض، هو ثلاب بن فلاج بن سويد ابن سعد بن عجلان، فعجلان الجد الثالث لثلاب، فإذا كان ثلاب من ذرية عجلان - كما زعم الأخ عبدالرحمن - فمن أي أفخاذ الفرغان يعود؟! لأن عجلان قبل الفرغان، أما حزام بن خزام العجاليين فهو رجل مشهور، وأحد الذين رافقوا الملك عبدالعزيز في فتح الرياض وكتب التاريخ تشهد بذلك، وكذلك حكومتنا الرشيدة، وجميع الرجال، ولا أحد ينكر ذلك ولا صحة أن العجاليين جيران آل ثلاب، وليس من الممكن عقلاً أن اسم الجار يغلب على من

جاور كما ذكر ذلك عبدالرحمن في مقاله، واسم العجالين موجود قبل مولد
ثلاث، وكلمة العجالين واحدة، ومناصرتهم للدولة معروفة في مواقف كثيرة، ونحن
نعتز ونفتخر بذلك منذ بداية حكم الملك عبدالعزيز، ليس هذا مجال ذكرها.
وأما ثناؤكم على كتاب «تاريخ الأفلاج» فهو ثناء صادق، فهو من أجل ما
كُتِبَ عن المنطقة ولأن مؤلفه أدرك كبار السن وأخذ عنهم.
هذا ما أحببنا إيضاحه لئلا يلتبس على البعض، ونرجو من القائمين على
المجلة نشر هذا الإيضاح والله الموفق.

الأفلاج: عبدالعزيز بن حزام بن خزام العجالين

«العرب»: نأسف مجلة «العرب» أن تنشر شيئاً لا يتفق مع الحقيقة، أو يشير
شيئاً من التساؤل وعدم الرضا و «العرب» كغيرها من الصحف مهمتها نشر ما فيه
إبراز لمآثر قبائلنا ومفاخرها، ومن واجبها أن لا ينشر فيها أي شيء يتعرض لأية
قبيلة أو فرع من فروعها بما لا يتفق مع الحقيقة، ولقد أدرك المشرفون على
تحرير المجلة ما في مقال الأخ عبدالرحمن بن حمد بن شافي من تسرع، فحذفت
بعض ما جاء فيه، ولعلها كتبت إليه تؤنبه كيف يفتاب رجلاً توفي، وينال من كتابه،
ولماذا لم يبد رأيه حياله والرجل على قيد الحياة؟

وعلى كل حال فالإنسان محل للخطأ، وتأمل «العرب» أن تجد من قرائها من
ينبها دائماً إلى ما يقع فيها، لأنها تخدمهم وتسعى ما استطاعت السعي لإيضاح
ما يجب إيضاحه من تاريخهم والله الموفق.

حول أسرة العلويط

نشرت «العرب» س ٣٢ ص ٧٠٨ مقالاً حول نسب هذه الأسرة الكريمة،
فبعث الأخ عبدالله بن محمد العلويط تعقيباً على ما نشر، وأرفق به بعض
الشهادات مصدقة من بعض الجهات المختصة بأنهم من الوهبة من بني تميم.

ومجلة «العرب» لا تريد أن تشغل صفحاتها بالكلام فيما لا يفيد قرائها، ولهذا

فهي تكتفي بما سبق أن نشرته، وليست هي سجلاً للأنساب أو الطعن فيها، وإنما
تورد من ذلك ما يستفاد منه ولا يثير التساؤل والقال والقييل والله الموفق.

حول كلمة (اسباهي)

علق الأخ الأستاذ محمد العيساوي الشتوي على ما ورد في مجلة «العرب» في
مقال أستاذنا الدكتور إبراهيم السامرائي س ٣٣ ص ٤٤١ حول كلمة (اسباهي)
بما نصه: (لقد تتلمذت على الدكتور السامرائي الباحث الكبير في علم اللغة في
(معهد البحوث والدراسات العربية) التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة، وقد
درّس في جامعة تونس وجامعة صنعاء إلى جانب جامعات عربية أخرى. وأضيف
إلى ما ذكر أستاذنا السامرائي فأقول: إن (اسباهي) فارس فرسان الخليفة
العثماني، وقد عرفها العرب في بلدانهم إبان تبعيتهم للإمبراطورية العثمانية،
وعرفها العرب في الشمال الإفريقي، وأخذها الفرنسيون في أدبياتهم عن الشمال
الإفريقي، كما ذكروها في معاجمهم (Spahi) وفي جنوب تونس في بلاد قبلي،
والمرازيق وبنقردان وتطاوين وفي عهد الاستعمار الفرنسي، وكان الجنوب
التونسي يُحكم حكماً عسكرياً (بيرو عرب) يقولون عن شرطة الفرسان:
صبائحي، ومخازني، وسبائسي، ويجمعونها على (صبائحية) ومخازنية
وسبائية، ويقولون عن الشرطة التي تستعمل الإبل والمهاري (قومية).

أرجو بهذا التوضيح أن أكون قد قدمت شيئاً ذا بال في مجال خدمة لغتنا العربية.

طرابلس الغرب: محمد العيساوي الشتوي

تطبيع (خطأ مطبعي)

ورد في المقال المتعلق بآل رُمَيَّان - «العرب» - س ٣٣ ص ٧١٢ - بعض

الأخطاء المطبعية (تطبيع) هامو بيانها:

الصواب	الخطأ	الصفحة
ابناء محمد بن موسى	ابناء موسى	٧١٢
والضبيب والمزيد والصماعين أهل	والضبيب والمزيد أهل	٧١٣
والصمعاني	الطمعاني	٧١٣
الكلبية	الكلبية	٧١٣
الشماس	الشماسية	٧١٣
مبارك بن سابق	مبارك بن ثابت	٧١٣
الائل الكائن	الأثر الكائن	٧١٣

وقد نبه إلى هذا كل من صالح بن عبدالعزيز الرميان وعقيل بن محمد بن صالح الصمعاني.

حول أسرة الفرهود في منطقة الزلفي

نشرت «العرب» س ٣٠ ص ٧٠٦ مقالاً حول آل راشد والفرهيد بقلم محمد ابن عبدالله السيف، وقد كتب إلى المجلة بندر بن فهد الفرهود من الزلفي بتاريخ ١٤١٩/٤/٢ هـ تعقيباً طويلاً على ذلك ترى المجلة الاكتفاء بما يتعلق بأسرة الفرهيد في منطقة الزلفي منه، أما ما يتعلق بموضوع الإمارات في الزلفي وعلاقة وغيرهما، فأخبار الإمارات من الأمور المرتبطة بالنواحي الإدارية الرسمية، ولا يسوغ لـ «العرب» ولا لغيرها من الصحف أن تنشر منها شيئاً إلا ما توافق عليه الجهة المعنية بذلك. وهاهو نص ما كتبه الأخ بندر عن الفرهيد قال: هذا تفصيل موجز لذرية فرهود بن صالح:

أنجب فرهود ابنه علي ومن علي ذريته حمد وناصر ومنصور وعبدالمحسن أما الأخير فلم يعقب وأما ناصر فذريته آل ناصر في (الزلفي) و (علقة) وهم غير آل ناصر بن راشد بن حمد الراشد، ويعرف أغلبهم بآل فرهود ومنهم من يسكن (الكويت)، وأما منصور فذريته آل منصور في (علقة) ومنهم من يسكن (الكويت) أيضاً أما الشطر الثالث فهم آل حمد بن علي بن فرهود ويتفرعون إلى:

(أ) آل عبدالله بن حمد وذريته.

- ١- آل علي بن عبدالله: ويعرفون بآل فرهود، ومنهم التركي والرشيدي ومن التركي آل سلطان.
 - ٢- آل دهش بن عبدالله: ويعرفون بآل دهش وآل حمد.
 - ٣- آل محمد بن عبدالله: ويعرفون بآل فرهود.
 - ٤- آل ناصر بن عبدالله: ويعرفون بآل مشاري وآل حمد، ومنهم من يسكن (الكويت) وهم ذرية عبدالله بن ناصر ويعرفون بآل فرهود.
 - ٥- آل عبدالعزيز بن عبدالله: ويعرفون بآل عبيد ومنهم من يسكن (الكويت).
 - ٦- آل صالح بن عبدالله: ويعرفون بآل فرهود.
 - ٧- آل حمد بن عبدالله: ويعرفون بآل فرهود.
- (ب) آل عثمان بن حمد: ويعرفون بآل فهد نسبة إلى جدهم فهد بن عثمان بن حمد.
- (ج) آل عبدالرحمن بن حمد: ويعرفون بآل حمد وآل قنيطير.

[٢] ذكر الكاتب أن آل الزيد وآل ماجد المعروفين بآل ذكير من الفراهيد ولم يثبت ذلك وهذا مخالف تماماً لما ذكره الوجيه عبدالعزيز بن زيد الزيد^(٢) - رحمه الله - حيث إنه يعد نسبهم ونسب آل ذكير إلى ذرية محمد بن صالح بن

راشد - والناس مؤتمنون على أنسابهم - وأما آل الرشودي فهم أساعدة ولكن لا نعلم حقيقة انتسابهم للفراهيد ونترك ذلك لهم لإثباته أو نفيه.

[٣] ما ذكره الكاتب عن الإمارة في (الزلفي) و (عين ابن فهيد) و (خضيرا) و (أبا الدود) و (المعاقله) كلام لا غبار عليه . ولكن كيف يغفل عن ذكر إمارة (علقة) البلدة التي يسكنها فقد وجب أن يكون لها النصيب الأكبر من الحديث فهو أعلم بها من غيرها من القرى، وعلى العموم فقد كانت إمارة (علقة) مستقلة بكيانها عن إمارة (الزلفي) حتى العقود الثلاثة الأخيرة بعد التنظيم الإداري الجديد وما يثبت ذلك هو أن أميرها عبدالله بن صالح الفرهود قد ذهب نيابة عن أهل (علقة) لحضور مؤتمر الجمعية العمومية في نجد بالرياض الذي دعا إليه الملك عبدالعزيز - رحمه الله - لمبايعته على كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - في يوم الاثنين الموافق ٢٢ / ٥ / ١٣٤٧ هـ^(٣) بالرغم من حضور أمير الزلفي عبدالرحمن بن عطا الله^(٤) وكان أول أمرائها من الفراهيد هو عبدالله ابن ناصر بن علي بن فرهود، ثم الأمير دهش بن عبدالله بن حمد بن علي بن فرهود ثم أخوه الأمير محمد بن عبدالله الفرهود، الذي مكث في الإمارة سنين طويلة حتى دخلت (علقة) في آخر حياته تحت لواء الملك عبدالعزيز - رحمه الله - وهذا ما تثبته رسائل جلالته ووالده عبدالرحمن والموجودة بحوزتنا، هذا وبقيت إمارة (علقة) لآل حمد بن علي بن فرهود حتى وقتنا الحاضر.

الزلفي: بندر بن فهد الفرهود

الحواشي:

(١) نقلًا عن الشيخ فهد بن حمين الفهد عضو هيئة التدريس بقسم العقيدة كلية أصول الدين (سابقًا) تقاعد عام ١٤٠٩ هـ.

(٢) عبدالعزيز بن زيد الزيد - رحمه الله - من أهل التنومة بالأسياح توفي عام ١٤١٣ هـ.

(٣) «أصدق البنود في تاريخ عبدالعزيز آل سعود»، عبدالله الزامل، ص ٢٦٧.

(٤) نفس المصدر السابق.

* «الوافي بالوفيات» (ج ٢٩) تحقيق الأستاذ ماهر جرّار:

وقفات قصيرة: قال أحد المتقدمين: السيئة في نفسها سيئة، وهي من بيت النبوة أسوأ، فهل يصحُّ ترسُّمُ هذا بالقول: بأن الهناة اليسيرة، هي وإن كانت يسيرةً في نفسها إلا أنها عندما تقع ممن يُعتون بتحقيق التراث، من المتخصصين فيه، من أجلّة علمائنا لا تكون يسيرة، ومن هنا فسأبدي بعض ما عنَّ لي أثناء تصفُّحي لهذا الكتاب، مما هو من هذا القبيل لثقتي بما يتصف به الأستاذ الجليل ماهر جرّار من عمق إدراك، وحرص على أن يكون عمله بارزاً بخير صورة يمكن أن يبرز بها:

١- ص ٧: (ومحيي الدين بن العربي نزيل دمشق) وفي التعليق: (س: محيي الدين العربي): (س) يرمز بها إلى المخطوطة التونسية.

ليس من المناسب هنا إيضاح أن محيي الدين المدفون بدمشق يعرف باسم (محيي الدين ابن عربي) بدون (ال) التعريف، وهو محمد بن علي بن محمد بن عربي (٥٦٠/٦٣٨ هـ) الصوفي الحلوّلي المعروف، انظر ترجمته في «الوافي بالوفيات» - ج ٤ ص ١٧٣ -.

أما ابن العربي بالألف واللام فهو العالم المالكي الأندلسي المشهور محمد ابن عبدالله بن محمد الإشبيلي (٤٦٨/٥٤٣) من أجلّة العلماء له مؤلفات مشهورة في الحديث وفي الأحكام وغيرهما.

وقد فرّق بينهما صاحب «القاموس» انظر رسم (عرب) وما ورد في الأصل وفي الحاشية مؤهّم.

٢- ص ٢٦: (يعلى بن حمزة بن المطلب بن هاشم) يلاحظ هنا:

(١): حمزة بن عبدالمطلب، لا (حمزة بن المطلب).

(٢): وفي الهامش تعقيباً على قول المؤلف: (قال مصعب لم يعقب أحد).

إلى آخره وعلق المحقق: ولم أجد الخبر في «نسب قريش» لمصعب والنقل عن «الاستيعاب».

وأضيف إلى هذا: لم يرد لبني حمزة كلهم ذكر، ويبدو أنه سقط من النسخة المطبوعة التي حققها (ليني. بروفنسال) من كتاب «نسب قريش» فلم أر لهم ذكراً فيه، وقد ذكروا في غيره.

(٣): ذكر الحافظ ابن حَجَرٍ في «الإصابة» في (القسم الثاني) من حرف الياء في ترجمة يعلى بن حمزة بن عبدالمطلب ما نصه: (قال الزبير: لم يعقب حمزة إلا من يعلى، فإنه ولد له خمسة رجال لصلبه، لكنهم ماتوا ولم يعقبوا، وانقطع نسل حمزة بن عبدالمطلب). انتهى، فلعل ابن عبدالبر نقل عن كتاب «جمهرة نسب قريش» للزبير بن أخي مصعب فنسب الكلام إلى مصعب.

٣- ص ٣١: (في ترجمة الأحول: يعلى بن مسلم بن أبي قيس أحد بني يشكر ابن عمرو) إلى آخر الترجمة. وأشار المحقق الكريم إلى أن مصادر الترجمة هي «الأغاني» و «خزانة الأدب» و «أشعار اللصوص» للمؤرخي في مجلة «مجمع اللغة العربية بدمشق». وأضيف إلى هذا:

١- (أحد بني يشكر بن عمرو) اسم (يشكر) هذا تكرر في كثير من كتب الأدب ك «الأغاني» وعنه نُقل ما في «خزانة الأدب» وفي غيرهما من المؤلفات وخاصة المطبوعة، مما ورد فيه اسم هذا الشاعر، وصوابه الاسم (شكر) كما قال ابن الكلبي فيما جاء من «مختصر الجمهرة»^(١): وولد عمرانُ بن عديُّ بن حارثة ابن عمرو مزيقياء - عمراً، فولد عمرو وآلان وهو شكرٌ، وهم حيُّ بالسراة ولهم عددٌ وجلدٌ، وليس منهم بالعراق أحد. قال هشام: زعم الشرقيُّ أنه سمي شكرًا، لأنه مرَّ بقوم فأعطوه شكرًا، وهو الحملُ، قال ويقال: شكرٌ هو خزيمة) وفي الهامش: في «فتوح الشام» تأليف ابن الكلبي هذا: أن الطفيل ذا النور قاتل يوم اليرموك حتى قُتل، بعد أن قتل سبعة من الروم، وهو يقول:

قد علمت دوسٌ وشكرٌ تعلم^(٢). انتهى

ومثل هذا ورد في كتاب «النسب الكبير» لابن الكلبي^(٣).

وجاء في «القاموس وشرحه» رسم (شكر): وشكرٌ بالفتح لقبُ وآلان بن عمرو، أبي حيُّ بالسراة، وقيل هو اسم صنِّع بالسراة. انتهى

وفي رسم (وأل) نقل عن ابن حبيب قوله: وآلأن لقب شكر بن عمرو بن عمران ابن عدي بن حارثة.

وقد تحدث الهمداني في «صفة جزيرة العرب» عن قبيلة (شكر) هذه وأنها من سكان السراة بما لا أطيل بذكره، ولكنني أضيف أن كثيراً من مواضعها القديمة لا تزال معروفة في بلاها القديمة التي انتشرت فيها قبيلة (غامد) بقرب مدينة (بلجرشي) مثل جبل (حزنة) وجبلي (شدوين) مثنى (شدا) اللذين يشاهدان من سراة (بلجرشي) رأي العين في تهامة، وقد توسعت في الحديث عن قبيلة (شكر) هاؤلاء في كتاب «في سراة غامد وزهران» بما لا يتسع المقام لذكره، كما تحدثت عن الشاعر الأحول الشكري في مجلة «العرب»^(٤). في شهر رجب سنة ١٣٨٨ هـ منذ ثلاثين عاماً، وتحدثت عن تحريف اسم (شكر) في مقال لي نشر في «مجلة مجمع اللغة العربية» بدمشق^(٥) منذ نحو ثلاث سنوات، مما يتضح به أن كل ما ورد في المؤلفات قديمها وحديثها، ومنها المصادر التي أشار إليها المحقق في الحاشية عن الشاعر الأحول: أنه (من بني يشكر) خطأ، والصواب (من بني شكر)، ورواج الاسم الأول وشهرته سبب التصحيف. وأراني أطلت الكلام هنا والسبب كثرة ورود تصحيف في هذا الاسم، واستمرار ذلك منذ القرن الرابع حتى عهدنا.

٤- ص ٥٤: (فديوان الضياع بفتح ضاد، وديوان الخراج بغير جيم).

هذا البيت في الهجو ويقصد الشاعر أن ديوان الضياع بكسر الضاد جمع ضيعة وهو العقار والأرض المغلة والجمع ضيعة وضياع فهي عند هاؤلاء الكتاب الذين يهجوهم ديوان الضياع بفتح الضاد، ولهذا كان ينبغي أن يكون الاسم الأول بكسر الضاد لا بفتحها كما ورد في المطبوعة لأن كلمة بفتح ضاد يقصد بها الضياع وهو ما هجا به أولئك. فينبغي أن تكون (فديوان الضياع) يكون عندهم (الضياع).

٥- ص ٦٧: (إصلاح أغاليط أصحاب الحديث لأبي سليمان أحمد بن محمد الخطابي). لعل من المناسب إيضاح أن الاسم الصحيح للخطابي هذا (حمّد) بن محمد لا أحمد، وعلى هذا وردت ترجمته في «الأعلام» للزركلي

وقبله نقل عن كتاب «الوفيات» سَمِعَ فِي اسْمِ أَبِيهِ أَحْمَدَ وَالصَّحِيحَ حَمْدًا، وَذَكَرَ مَصَادِرَ أُخْرَى، وَفِي تَرْجُمَتِهِ فِي كِتَابِ «الْوَفَايَ بِالْوَفَايَاتِ» - ج ٧ ص ٣١٧ - حَيْثُ أوردَهُ فِي حَرْفِ الْأَلْفِ (أَحْمَدُ) نَقَلَ أَنَّهُ (سَثَلَ أَبُو سَلِيمَانَ عَنِ اسْمِهِ فَقَالَ: اسْمِي الَّذِي سَمِيَتْ بِهِ حَمْدًا، لَكِنِ النَّاسَ كَتَبُوهُ أَحْمَدَ فَتَرَكْتَهُ عَلَيْهِ، قَالَ: وَرِثَاءُ أَبُو بَكْرٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْبَلِيِّ فَقَالَ:

وَقَدْ كَانَ حَمْدًا كَأَسْمِهِ حَمْدَ الْوَرِيِّ شَمَائِلَ فِيهَا لِلشَّاءِ مِمَّا حَاحَ وَكِتَابَهُ «فِي أَغَالِيطِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ» مَطْبُوعٌ.

٦- ص ١٠٠: (فَلَوْ أَنِّي قَاضِي الْمَحْبِينَ.. وَأَخْرَجْتُ الْبَيْتَ (عَلَى كُلِّ) وَلَمْ تَرُدِ الْقَافِيَةَ وَلَيْسَ لَدِي الْمَصْدَرُ لِأَتَبَيَّنَ مِنْ عَدَمِ وَرُودِهَا فِيهِ أَوْ أَنَّهَا وَرَدَتْ فَسَقَطَتْ تَطْبِيعًا (أَيَّ خَطَأً مَطْبُوعِي).

٧- ص ٢١٩: (فِي تَرْجُمَةِ الْمَهْمَنْدَارِ: (الْحَمْدَانِيُّ الْمَهْمَنْدَارُ شَيْخٌ مُتَجَنِّدٌ) وَفِي الصَّفْحَةِ الَّتِي تَلِيهَا:

حَتَّى دِهَانِي وَعَيْنُ الشَّمْسِ فَاتِرَةٌ وَقَدْ جَذَّبْتُ بِذِيْلِ اللَّيْلِ مَا انْجَذَبَا وَهَذَا الْبَيْتُ فِي (مَخْطُوطَةِ د) هُوَ الصَّفْحَةُ الثَّانِيَةُ مِنَ الْوَرَقَةِ الـ (٩٨).

وَقَبْلَ ذَلِكَ فِي الصَّفْحَةِ ٢١٨ تَبْتَدِئُ الصَّفْحَةُ الثَّانِيَةُ مِنَ الْوَرَقَةِ الـ (٩٧) فِي الْمَخْطُوطَةِ (د) بِالْبَيْتِ:

إِذَا هَزَّتْ الرِّيحُ أُعْطِافَهُ تَمَائِلَ كَالْغُصْنِ الْمَائِلِ وَتَنْتَهِي هَذِهِ الصَّفْحَةُ بِكَلِمَةِ (مُتَجَنِّدٌ).

وَعَلَى هَذَا سَقَطَتْ صَفْحَتَانِ، الْأُولَى مِنَ الْوَرَقَةِ الـ (٩٨) فِيمَا بَيْنَ (شَيْخِ مُتَجَنِّدٍ) وَبَيْنَ (حَتَّى دِهَانِي). وَلَيْسَ لَدِي أَيُّ نَسْخَةٍ مِنْ نَسْخِ الْأَصْلِ، وَلَكِنِّي كُنْتُ نَقَلْتُ تَرْجُمَتَهُ مِنْ كِتَابِ «أَعْيَانِ الْعَصْرِ» الْمَخْطُوطِ الْقِسْمِ الثَّانِي مِنَ الْجُزْءِ السَّابِعِ رَقْمَ (١٠٩١) تَارِيخًا، نَسْخَةٌ (دَارِ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ) الْمَصُورَةُ وَنَصُّ مَا فِيهِ: الْمَعْرُوفُ بِأَبْنِ مَهْمَنْدَارِ الْعَرَبِ بَدْرِ الدِّينِ، كَانَ شَيْخًا مُجْتَمِدًا فَاضِلًا شَاعِرًا مُؤَرِّخًا، صَنَفَ تَصَانِيفَ مِنْهَا كِتَابٌ فِي الْأَنْسَابِ، وَمِنْهَا كِتَابٌ فِي الْبَدِيعِ، سَمَاهُ «الْأَيَّاتُ الْبَيْنَاتُ» أَنْشَدَنِي الشَّيْخُ الْعَلَامَةُ أَبُو الْوَيْلِيِّ الدِّينِ قَالَ أَنْشَدَنِي الْمَذْكُورَ لِنَفْسِهِ:

وليلة مثل عين الطَّيِّبِ وهو مَعِي
أرَدَفْتُهُ فَوْقَ دَهْمِ اللَّيْلِ مَخْتَفِيَا
وقطعتها أَمْنَا عن يقظة الرقبا
والصبح يُرَكِّضُ خَلْفِي خَيْلَهُ الشُّهْبَا
وبعد هذا البيت: (حتى دهاني).

ويبدو أن هذا ومعه كلام آخر هو الذي سقط من هذه المطبوعة.

٨- ص ٢٢١: (ملاوا الفضا فعن قليل لم ندع فوق البسيطة منهم من مُخْبِر)
وكلمة (الفضا) كذا ورت في المطبوعة بالألف المقصورة، ولكنها ورت
(الفضاء) بالألف الممدودة في كتاب «أعيان العصر» وبها يستقيم الوزن.

٩- ص ٣٧٠: (إذا لقال زهير حين يبصره هذا الجواد على العلات لا هرم)
وفي تعليق المحقق: (تضمن من شعر زهير بن أبي سلمى، ديوانه (دار
الكتب) ١٥٢).

ويعرف المحقق الكريم أن التضمن باصطلاح العروضيين إيراد نص قول
الشاعر الأول بيتاً أو شطره، والشاعر هنا لم يورد هذا البيت، وإنما اقتبس منه
المعنى، فنفى ما أورده زهير في هرم، وصرفه إلى ممدوحه الحسن بن سهل،
ونص بيت زهير:

إِنْ تَلَقَّ يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمًا تَلَقَّ السَّمَاةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا
الحواشي:

(١) مخطوطة راغب باشا في (اسطنبول) رقم (٩٩٩) وهي من مخطوطات القرن السابع الهجري، ومن أقدم
المخطوطات وأوثقها، انظر وصفها في مجلة «المجمع العلمي العربي» بدمشق سنة ١٣٧٠ هـ (١٩٥١ م)
المجلد الـ (٢٧) من ص ٤٠ إلى ٥١ -.

(٢) وبقية الرجز:

إِنِّي إِذَا الْأَبْيَضُ يَوْمًا مُظْلَمٌ وَعَوَّرَدُ النَّكْسُ وَقَسْرُ الْأَيْهَمُ
أَنِّي عَفْسَرٌ فِي الْوَقَاعِ صَبَّغَمُ

والمصدر «تاريخ فتوح الشام» تأليف محمد بن عبدالله الأزدي البغدادي المتوفى سنة ٢٣١ - ص ٢٢٤ - وما
بعدها، مطبعة سجل العرب في القاهرة سنة ١٩٧٠ م.

(٣) - ج ٢ ص ١٥٤ - ط. العظم.

(٤) السنة الثالثة - ص ١٨٣ - وما بعدها.

(٥) المجلد السابع والستين، الجزء الثالث سنة ١٤١٣ هـ.

السنين
الرائحة من الفهد - شارع حد المجلس
ص. ب. ١٣٧ القوس ١١٤١١
ماتسك والعدد ٤٦٢١٢٢٢
الإصلاحات بطق بساتها مع الإلهام

العرب
مجلة نضن بتاريخ العرب وأماهم وترأثم الفكرى
صاحبها ورئيس تحريرها، هذه الجلس

الإشراك السنوي
١٠٠ رسالة للأستاذ و ٢٠٠
الهندسة والمراشد المكتوبة
المراسلات باسم رئيس التحرير

ج ٤، ٣ - ٢٤ - رمضان، شوال، سنة ١٤١٩هـ - كانون ٢، شباط (يناير، فبراير) سنة ١٩٩٩م

إنه يوم الوفاء، والتعبير

عن صادق الحب والولاء!!

هذا اليوم الأغر المُحجَّل في غرة الزمان، المضيء على جبين الدهر، اليوم الخامس من شهر شوال عام ١٣١٩ للهجرة النبوية الكريمة الموافق لليوم الرابع والعشرين من برج الجدي عام ١٢٨٠ من السنة الشمسية وللرابع عشر من كانون الثاني عام ١٩٠٢ للميلاد^(١)، يوم استقر مُوحَّد الجزيرة، وموطَّد الأمن في ربوعها، ومعيد شباب دولة العدل والإصلاح والعلم والإيمان والاطمئنان، والألفة والتآخي، والتعاون على البر والتقوى، بين مختلف شعوبها وأقطارها، الإمام الباني المؤسس الملك عبدالعزيز - أسبغ الله على جدته شآبيب الرحمة والغفران، وأحله بجواره في فسيح جنانه - حين استقر في (الرياض) قاعدة مُلكه الميمون، بعد أن هَيَّا الله سبحانه - وله الفضلُ والمنُّ - له من أسباب التوفيق ما مكَّنه من القيام بما أعده للقيام به، من اتخاذ جميع الوسائل والأسباب، التي حقق بها على يديه الفوز والظفر، من إمداده برجال خُلِّص من أبناء أمته، وشعبٍ وَفِي فَتَحَتْ له الصفوة الممتازة من أبنائه الأفتدة قَبْلَ أن تفتح الحصون، وبذلك - بعد توفيق الله سبحانه - استطاع أن يُنشِئ هذا المُلك السعيد، الباذخ عِزَّةً وشموخاً، وذلك بتوحيد أقطار هذه البلاد الواسعة، توحيداً قائماً على أُسسٍ خالصة من الحب وصادق الولاء، دون استعمال وسائل

الاستيلاء بالقوة والقهر، وما أُجدرَ حكماً قام على تلك الأسس القوية بالبقاء والاستقرار، وما أحقَّ دولةً أنشئت على قواعد من العدل والإصلاح والتأخي والتآلف، بِقُوَّةِ الرسوخ والثبات والاستمرار.

حقاً إن الملك عبدالعزيز - وهو فرد من هذا الشعب الكريم، الذي شمله بعدله، فأخلص له الطاعة والولاء، وسارع للانقياد والسير تحت لواء قيادته، قد أبدى - منذ أن أسعفه الله وأسعده، فبدأ بحركاته المظفرة لجمع شتات هذه المملكة المُفَرَّقة المتمزقة - قد أبدى من صفات القائد الحكيم، وسياسة الحاكم العادل المنصف، وحنو الأب الكثير العطف والرعاية لأبناء بررة، يبادلونه حباً بحب، ورعاية، وعطفًا باستجابة صادقة، وانقياد تام دون رهبة، وعدلاً وصدقاً توجُّه للخير، بتساعد وتعاون، عن عمق إدراك، وثقة راسخة، وتطلُّع إلى ما سيعود ذلك كله بخير الثمار، وأعمهاً نفعاً، وبذلك كله - مع ما حباه الله به من خصائص القائد البصير - استطاع أن يبني هذه الدولة الشامخة الذرى، الثابتة الأركان، بعد أن خلَّفه أبنائه البررة، الذين تعاقبوا على إدارة دفة القيادة، بحكمة ومهارة وحسن تصرف، وصدق توجُّه وإخلاص - تعهدوا ذلك البناء بما يتطلبه من إصلاح، واستكمال ما لا بُدَّ له من استكمال وحفظ ورعاية، حتى بلغت هذه المملكة السعيدة بأولئك القادة المخلصين، وتؤازرهم وتساعدهم تلك الأفئدة المغمورة بالسعادة، المفعمة بصادق الولاء، وببالغ الاعتراف بالفضل، لأولئك القادة، الذين قادوا هذه الأمة، وشادوا هذه الدولة الميمونة، حتى برزت بتقدمها، وأمنها ورخائها، وانتشار العلم بين ربوعها، وشمولها بمختلف صنوف العدل والاستقرار، والاستفادة مما حفل به العصر من منتجات التقدم، والتطور العلمي التَّقْنِيّ، في جميع أوجه الحياة العامة - برزت تُغْبِط بين جميع الأمم.

فهنيئاً - في ذكرى يوم الباني المؤسس - لأولئك البناة، من القادة المخلصين
بشعب وفي، بادلهم أسمى العواطف بمثلها، وأحلَّهم - وداداً وحباً وتقديراً -
في سويداء القلوب وشغافها.

وهنيئاً لشعب بتلك الصفات، من الوفاء والعزة والكرامة، بأن يتولَّى قيادته
وتوجيهه قادة مصلحون، نحو معارج التقدم، من الحسن إلى ما هو أحسن،
بحكمة القائد المدرك، الحكيم بمتطلبات أبنائه، ممَّن تربطهم بقادتهم وشائج
الحب، وأواصر القُرْبى، قبل حوافز الأمال، التي تتطلب التشارك والتعاون،
ليتحقق بذلك أسمى الغايات وأنفعها، لهذه المملكة السعيدة بمواطنيها،
ومشاركيهم في العمل فيما يعلي شأنها ويسعد سكانها.

وليُبدِمِ المولى - جل وعلا - لهذه البلاد ما تنعم به من صنوف العزة
والكرامة، وما تتمتع من سعادة واطمئنان، وتأخٍ وتعاون على سبل الخير بين
جميع سكانها، وليُنعمَ عليها بالمزيد من ذلك وشموله، بدوام هذه الدولة
الميمونة، التي يربعاها ويتولَّى قيادتها ملك البلاد المفدى خادم الحرمين
الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - بمؤازرة إخوته البررة، والصفوة المختارة
من رجال دولته الأوفياء، الأمناء على ما أسندَ إليهم من تصريف شؤون بلادهم،
وخدمة أمتهم، إنه على كل شيء قدير.

حمد الجاسر

الحواشي:

(١) كما جاء في «تقويم أم القرى المقارن» الصادر عن وزارة المالية والاقتصاد الوطني، وورد في بعض
المصادر كـ «دائرة المعارف الإسلامية الكبرى» ج ١ ص ٥٣١ من أنه في ٤ شوال ١٣١٩ (تموز
١٩٠٢م).

آل مضيّان من شيوخ حرب

قرأت ما كتبه الأخ الصديق فايز بن موسى الحربي في مجلة «العرب» س ٣٣، ص ١٠٠ بعنوان (آل مضيّان شيوخ قبيلة حرب.. هاؤلاء الرجال أليسوا جديرين بالذكر؟) ومدار كتابته حول نقطتين وردتا في كتاب التاريخ للصف الثالث الثانوي. أولى النقطتين عدم ذكر آل مضيّان بين الإشارات المختصرة عن عدد من القادة الذين برزوا في عهد الدولة السعودية الأولى. وثانيتها موقف قبيلة حرب من حملة طوسون.

وبما أنني مؤلف الكتاب المذكور، وأني بذلك المتهم الأول أمام محكمة الأخ فايز، فقد رأيت من المستحسن إزالة ما قد يحدث لبساً عند بعض القراء؛ وبخاصة من لم يقرأوا تاريخ بلادنا قراءة متأنية. وقبل أن أبدأ تعليقي على الكتابة أود أن أشير إلى أنني أكنّ لآل مضيّان كل تقدير أكنّه لغيرهم من قادة عشائر هذا الوطن، وأكنّ لقبيلة حرب كل إجلال أكنّه لغيرها من قبائله. ثم إنني أود أن أشير إلى ما يأتي:

١- أن الكتاب مقرر لطلاب مرحلة ثانوية. ولو ذكر فيه جميع من كانوا أمراء أو قادة في العهد المتحدث عنه لكان في ذلك شطط وظلم لمن قرر عليه. ولهذا استحسنت الإشارة إلى عدد منهم؛ أمثلة لا استقصاء. وقلت في مستهل تلك الإشارة: (برز عدد من الأمراء وقادة الجيوش في عهد الدولة السعودية الأولى إضافة إلى القادة من الأسرة السعودية ذاتها. ومن هاؤلاء.. إلخ).

٢- أنه حين ورد في كتاب بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين»، الذي ترجمته إلى العربية (ص ٩٣) ما يفيد بأن قبيلة حرب اضطرت إلى الخضوع لسعود بن عبدالعزيز بعد استيلائه على مكة، سنة ١٢٢٠هـ، علق على ذلك في الهامش بقولي: (كان زعماء قبيلة حرب من آل مضيّان قد انضموا إلى سعود قبل استيلائه

على مكة مرة ثانية. فقد لعبوا دوراً كبيراً في إدخال المدينة المنورة تحت نفوذه في أول السنة التي بايع فيها الشريف غالب، وهي سنة ١٢٢٠هـ).

٣- أني قد اقترحت إطلاق اسم مسعود بن مضيّان على أحد شوارع الرياض، وكتبت ملخصاً عن جهوده التي تبرّر قبول اقتراحي. وكان ذلك قبل أكثر من عشر سنوات، عندما كنت عضواً في هيئة أنيط بها اقتراح أسماء لشوارع هذه المدينة.

أما بعد: فإنّ تعليقي سيتركز، بشكل أساسي، على خمسة أمور:

الأول: مناقشة ما أورده الأخ فايز في كتابته من حيث الصحة وعدمها.

الثاني: إيضاح جهود القادة الثلاثة من آل مضيّان: بادي، وبدأي، ومسعود.

الثالث: أمير آل سعود على المدينة المنورة.

الرابع: إيضاح جهود القادة اللذين ذكر الأخ فايز اسميهما بما يفيد بأن

جهودهما أقل من جهود أي واحد من آل مضيّان بصفة خاصة.

الخامس: موقف قبيلة حرب في المواجهة مع قوات طوسون.

الأمر الأول: ما أورده الأخ فايز من حيث الصحة وعدمها.

١- قال الأخ فايز (ص ١٠٢): (إن بادي بن مضيّان تولّى بعد أخيه (بادي)،

وكان له دور نشط وشهرة كبيرة في أحداث ضم الحجاز للدولة السعودية

الأولى..). ثم كرر هذه المعلومة بعد سطر واحد بقوله: (وكان لهذا الشيخ دور

بارز في حوادث ضم الحجاز إلى الدولة السعودية الأولى وخاصة خلال الفترة

ما بين ١٢١٧هـ حتى ١٢٢٠هـ حيث باشر قيادة القوات التي حاصرت المدينة

خلال تلك الفترة).

وقد وضع في نهاية الكلام السابق رقماً يفهم منه أنه سيشير إلى المصدر الذي

يوضّح الدور المذكور، وقيادة بادي للقوات السعودية التي حاصرت المدينة

خلال الفترة التي ذكرها. لكنه بدلاً من ذلك اقتصر على القول بأن أمانة مدينة الرياض أطلقت اسمه على أحد شوارع الدرعية اعترافاً بفضله.

إن الحديث عن العلاقات بين الدولة السعودية الأولى وقادة الحجاز منصب على العلاقات بين تلك الدولة وأشراف مكة، الذين منعوا أتباعها من الحج أكثر من نصف قرن، وبدأوا بحربها عسكرياً من سنة ١٢٠٥هـ. ومعلوم أن الحجاز لم تدخل كلها تحت الحكم السعودي إلا سنة ١٢٢٠هـ. وكانت المعركة التي غيرت مجرى القتال بين الطرفين، ونقلت الأشراف من موقع الهجوم إلى موقف الدفاع، هي معركة (الجمانية) التي حدثت سنة ١٢١٠هـ. وكان أبرز قائد سعودي فيها هادي بن قرملة، زعيم قبيلة قحطان. وإلى جانبه ابن ربيعان ومن تبعه من عتيبة، والدويش ومن تبعه من مطير، وعربان السهول وسبيع والعجمان، وربيح ابن زيد أمير جميع الدواسر، الحاضرة والبادية^(١).

أما المعركة التي انتصرت فيها القوات السعودية انتصاراً عظيماً على جيش الشريف غالب، وأجبرته على طلب الصلح والهدنة، فكانت معركة (الخرمة) سنة ١٢١٢هـ. وكان في طليعة تلك القوات هادي بن قرملة وأتباعه من قحطان، وربيح ابن زيد وأتباعه من الدواسر. ومما قاله ابن بشر عن نهاية تلك المعركة: (ولم تقم له (يعني الشريف) بعد هذه الواقعة العظمى قائمة، ولم يلبث بعدها أن صالح عبدالعزيز.. وأذن لهم بالحج. وقد أنشد في هذه الواقعة شعر كثير، ولكن ليس على اللفظ العربي. وقال راجح الشريف من قصيدة له فيها؛ وهي على لغة العامة:

جوناً (الدواسر) مع فريق (القحاطين) كلنا لهم بالمدّ ووقّوا لنا الصاع
(الأشراف) لانوا بعد ما هم قاسين والشق ما يرفاه خمسة عشر باع^(٢)

ثم كان انضمام عثمان المضايقي، الذي كان وزيراً وصهرًا للشريف غالب، إلى الدولة السعودية، عام ١٢١٧هـ، بداية النهاية لمقاومة ذلك الشريف؛ إذ اتخذ عثمان من (العبيلاء) مقرّاً له، وانضمت إليه قوات سعودية في طليعتها ابن

شكبان بأهل بيشة، وابن قطنان بأهل رنية وسبيع، وابن يحيى بأهل تربة، وهادي ابن قرملة بجيش من قحطان، وفئات من عتيبة وغيرهم، وسار بالجميع إلى الطائف فانتزعها من الشريف غالب وعيَّنه الإمام عبدالعزيز بن محمد أميراً لها وللحجاز^(٣). وبذلك مهَّد الطريق إلى مكة ذاتها. ثم تلا هذا حصار مكة بقيادة سعود بن عبدالعزيز. ولما انتهى موسم الحج انسحب منها غالب إلى جدة، ودخلها سعود في الثامن من المحرم سنة ١٢١٨ هـ بدون حرب.

ولقد كان للمعركة التي هزم فيها عبدالوهاب أبو نقطة ومن معه قوات الشريف غالب بين مكة وجدة أثر كبير في فقدان الأخير كل أمل في استمرار المقاومة. ولما حاصر عبدالوهاب وعثمان المضايقي ومن انضم إليهما من قوات سعودية مكة اضطر شريفها إلى طلب الصلح على مواجهة الإمام سعود ومبايعته. وكان في طليعة من دخل تلك البلدة المقدسة القائدان المذكوران^(٤).

إذا اتضح ما سبق ذكره فإن من المعلوم أنه لم تكن للأشراف سلطة على المدينة المنورة مثل سلطتهم على بلدان الحجاز الأخرى. وليس هناك من المصادر المتوافرة ما يفيد بأن جهود بداي بن مضيَّان تجاوزت دوراً مهماً في حصار المدينة، والاشترك مع زعيم جهينة، جابر بن جبارة، في انتزاع بلدة ينبع من ممثل الشريف غالب فيها عام ١٢١٩ هـ. على أن الشريف استعادها في العام نفسه.

٢- قال الأخ فايز (ص ١٠٢): (إن مسعود بن مضيَّان كان من أبرز قادة الإمام عبدالعزيز وابنه سعود.. وقد عيَّنه الإمام سعود أميراً على المدينة إلى أن قتل وهو يدافع عنها في أواخر سنة ١٢٢٧ هـ).

أما تعيين مسعود أميراً على المدينة فأمر ستم مناقشته فيما بعد. لكن كيف يقال إنه كان من أبرز قادة الإمام عبدالعزيز وهو لم يتولَّ القيادة إلا بعد وفاة أخيه بداي سنة ١٢٢٠ هـ، والإمام عبدالعزيز قتل سنة ١٢١٨ هـ؟

وآخر العبارة يفهم منه أن مسعوداً قتل وهو يدافع عن المدينة أواخر سنة

١٢٢٧هـ. والمصادر والمراجع تفيد أنه اعتقل بعد استيلاء قوات طوسون على المدينة، ثم أرسل إلى القاهرة، ومن ثم اسطنبول حيث قتل هناك في ٢٠/١٢/١٢٢٨هـ.^(٥)

٣- قال الأخ فايز (ص ١٠٣) لتبرير ترجيحه بأن مبايعة بادي وبداي ابني مضيان لعبدالعزیز بن محمد كانت سنة ١٢١٤هـ: (يذكر ابن بشر أن حرباً بعد مبايعتهم للسعوديين اتفقوا مع الإمام عبدالعزیز على فتح المدينة، فبنوا قصرًا في عواليها، وحاصروا المدينة، وأقاموا على ذلك سنين).

وهذا القول يفهم منه أن بناء القصر كان بمبادرة من قبيلة حرب، وأنها بقيت سنين محاصرة للمدينة في زمن الإمام عبدالعزیز. فماذا قال ابن بشر حقيقة؟ قال: (في أول سنة ١٢٢٠هـ بايع أهل المدينة سعودًا.. وذلك أن بادي وبداي ابني بدوي بن مضيان ومن تبعهما من عربانهما بايعوا عبدالعزیز.. فأجمعوا على حرب المدينة، ونزلوا عواليها، ثم أمرهم عبدالعزیز ببناء قصر فيها، فبنوه، وأحكموه، واستوطنوه، وتبعهم أهل قباء ومن حولهم، وضيقوا الحصار على أهل المدينة، وقطعوا عنهم السوابل، وأقاموا على ذلك سنين).^(٦) ومن الواضح أن بناء القصر المشار إليه كان بأمر عبدالعزیز. لكن الأهم من هذا أن عبارة (وقاموا على ذلك سنين) تشير إلى سنين قبل عام ١٢٢٠هـ، الذي أورد فيه ابن بشر الخبر. وهذه السنوات منها ما كان في عهد عبدالعزیز، الذي انتهى عام ١٢١٨هـ، ومنها ما كان في عهد سعود. فليس في العبارة دليل يرجح أن المبايعة حدثت سنة ١٢١٤هـ.

على أن ما ذكره الأخ فايز (ص ١٠٣) عن الوثيقة المؤرخة سنة ١٢١٥هـ، التي أشير فيها إلى مناوشة بادي بن مضيان للمدينة، واضح الدلالة على أن مبايعة لعبدالعزیز كانت في تلك السنة أو قبلها.

٤- قال الأخ فايز (ص ١٠٤) تحت عنوان استيلاء ابن مضيان على ينبع سنة

١٢١٩هـ: (لقد أدّى انضمام ابن مضيّان للسعوديين إلى زيادة حدة الصراع بين السعوديين والشريف غالب، شريف مكة، ولعبت قبائل حرب دوراً هاماً في توسع السعوديين غرباً في صراعهم مع الأشراف إلى أن انتهى الأمر بدخول الحجاز في تبعيتهم أخيراً. وما حادثة ينبع هذه سوى جزء من هذا الدور الذي قام به ابن مضيّان خير قيام).

لقد سبق الحديث عن موقف أشراف الحجاز من دعوة الشيخ محمد والدولة السعودية التي ناصرتها، منعاً لاتباعها من الحج، ثم قتالاً من سنة ١٢٠٥هـ، وعن تحوّل هاؤلاء الأتباع من الدفاع إلى الهجوم من سنة ١٢١٠هـ، ثم اضطرار الشريف غالب إلى مصالحتهم بعد معركة الخرمة سنة ١٢١٢هـ.

ولو سلّم بأن آل مضيّان ومن تبعهم من قبيلة حرب قد دخلوا تحت الحكم السعودي سنة ١٢١٤هـ - كما رجّح الأخ فايز - فإن من الواضح أن الصراع بين آل سعود والشريف غالب قد احتد قبل ذلك الدخول. ثم إن المصادر المتوافرة لم تشر إلى أي جهود لآل مضيّان في ذلك الصراع باستثناء دورهم المهم في حصار المدينة، التي لم تكن سلطة الشريف غالب فيها مثل سلطته في مناطق الحجاز الأخرى، ومشاركة بداي مع جابر بن جبارة، الزعيم الجهني، في انتزاع ينبع من نائب الشريف غالب سنة ١٢١٩هـ؛ علماً أن الشريف استعادها في السنة ذاتها، كما سبق أن ذكر. (٧)

٥- قال الأخ فايز (ص ١٠٥): (لم يذكر المؤرخون النجديون - وعلى رأسهم ابن بشر - شيئاً عن تعيين أمير المدينة من قبل السعوديين بعد استيلائهم عليها مع أن المصادر الحجازية تشير إلى أن الإمام سعوداً عين الشيخ بداي بن مضيّان أميراً على المدينة وعلى قبائل حرب المحيطين بها. ثم توفي بداي وحل محله مسعود بن مضيّان). وأحال القارى إلى ثلاثة كتب لثلاثة مؤلفين هم دحلان، وبوركهارت، والأخ فايز نفسه.

وأول ما يلفت النظر أنه لم يشر إلا إلى مصدر حجازي واحد هو كتاب دحلان. أما بوركهارت فمعروف أنه رحالة سويسري. وأما الأخ فايز فكتابه لا يعدّ مصدرًا؛ إضافة إلى أنه لم يشتمل على أكثر مما في مقاله. وعلى هذا الأساس فإن المصادر الحجازية التي ذكرها تحولت في الهامش إلى مصدر واحد.

على أن الأخ فايزاً لم يكن دقيقاً فيما قاله عن ابن بشر أو دحلان أو بوركهارت. إن ابن بشر لم يذكر اسم من أمره سعود على المدينة عندما تحدّث عن دخولها تحت حكمه سنة ١٢٢٠هـ، لكنه عندما ذكر أمراءها - وهو يتحدّث عن وفاته سنة ١٢٢٩هـ - قال: وكان أميره على المدينة النبوية حسن قلعي.^(٨)

أما دحلان فقد تحدّث عن إغداق قادة قوات محمد علي الأموال على القبائل الموجودة بين ينبع والمدينة، وتعاونها معهم حتى (ملكوهم الأرض وصاروا يسعون في خدمتهم وتقدمهم إلى أن أدخلوهم المدينة المنورة)^(١١)، ثم قال: (وقبضوا على ابن مضيّان الذي كان متأمراً في المدينة)^(٩).

والمهم من الكلام السابق هو:

أ- أن دحلان كان يتحدّث عن ابن مضيّان الذي كان موجوداً عند غزو طوسون للمدينة سنة ١٢٢٧هـ. وهو وإن لم يذكر اسمه الأول فمعروف أن المراد مسعود بن مضيّان. ولم يتحدّث عن ابن مضيّان الذي كان حياً عند دخول المدينة تحت حكم سعود سنة ١٢٢٠هـ؛ وهو بداي بن مضيّان.

ب- أنه لم يشر إطلاقاً إلى تعيين سعود أي رجل من آل مضيّان على المدينة عند دخولها تحت الحكم السعودي.

وأما بوركهارت فلم يذكر في المكان الذي أشار إليه الأخ فايز - وهو صفحة ١٢٣ - أن سعوداً عين بداي بن مضيّان أميراً على المدينة، وإنما ذكر ذلك في صفحة ٩٤. على أنه لم يذكر الاسم الأول لابن مضيّان. أما في صفحة ١٢٣ فقد ذكر أن سعوداً جعل مسعود بن مضيّان شيخاً لكل قبيلة حرب ووضع تحته عدداً

من القبائل الأخرى. ولم يشر في هذا الموضوع إلى أنه عينه أميراً للمدينة.

٦- قال الأخ فايز (ص ١٠٦): (لما وصل طوسون باشا بقوته أرض ينبع وبدأ يقيم معسكراته خارجها استعداداً للزحف صوب المدينة حدث أن فرقة سعودية مكونة من قبائل جهينة وحرب الموالين للسعوديين بقيادة كل من الشيخ جابر بن جبارة من شيوخ جهينة ومسعود بن مضيّان أغارت على العساكر واشتبكت معهم في وقعة جريئة).

وأحال القارىء إلى كتاب عبدالرحيم «محمد علي وشبه الجزيرة العربية»، ج ١، ص ٣١٣ / ٣١٤. ولم يذكر مكان الطباعة ولا سنتها ليتأكد من دقة نقله.

والمعروف أن كتاب الزميل عبدالرحيم، الذي يحمل العنوان المذكور، جزء واحد فقط، وبالرجوع إلى هذا الكتاب في الصفحتين المشار إليهما من طبعته الأولى في القاهرة سنة ١٩٨١م لم أجد شيئاً مما قيل. والحديث في هذا الكتاب، على أية حال، يتناول الأحداث الواقعة بين سنتي ١٢٣٤ و ١٢٥٦هـ.

ولقد تحدّث عبدالرحيم عن وصول طوسون إلى ينبع وما حدث بعد ذلك في كتابه «الدولة السعودية الأولى»، الذي طبع للمرة الثانية في القاهرة سنة ١٩٧٦م. وقد قال فيه بعد أن تحدث عن استمالة طوسون لبعض القبائل: (تمكنت القوات المصرية، بمساعدة القبائل التي انضمت إليها، من إنزال هزيمة قاسية بأول فرقة سعودية تلتقي بها تحت قيادة جابر بن جبارة ومسعود بن مضيّان اللذين أسرعوا إلى جانب الجيش السعودي الرئيسي).^(١٠)

ومن الواضح أنه هناك فرقاً بين مدلول ما قاله الأخ فايز؛ نقلاً - كما قال - عن عبدالرحيم وما قاله نفسه عبدالرحيم.

٧- قال الأخ فايز (ص ١١١): (ويؤكد محمد علي باشا نفسه استبسال المدافعين عن المدينة بقيادة مسعود بن مضيّان).

وأحال القارىء إلى وثيقة في فيلم بمكتبة الملك فهد.

والوثيقة التي أحال إليها سبق أن نشرها الدكتور عبدالرحيم في كتابه «من وثائق الدولة السعودية الأولى في عهد محمد علي»، المنشور في القاهرة سنة ١٤٠٣هـ. (١١) ومن يقرأ هذه الوثيقة يجد أن محمد علي لم يؤكد أن المدافعين عن المدينة كانوا بقيادة مسعود بن مضيّان.

أما أن مسعود بن مضيّان قد وقف مع من وقف من أتباع الدولة السعودية للدفاع عن المدينة فأمر ثابت. لكن ما ذكرته المصادر المختلفة لا يرجح أن الدفاع عن وسطها بالذات كان تحت قيادته.

تذكر الوثيقة التي أشار إليها الأخ فايز، أن جيش محمد علي حاصر المتحصنين في داخل القلعة البالغ عددهم أربعة آلاف جندي، وضيق عليهم الخناق بإطلاق المدافع وإلقاء القنابل عليهم.. وحيث أنهم ثبتوا.. حصر الاضطرار إلى حفر الألغام.. حتى سلّ الغزاة سيوفهم واقتحموا القلعة، فأفنوا هاؤلاء الطائفة الكريهة. ولم تذكر من كان قائد أولئك القوم.

ويقول بوركهات: (إن سعوداً وضع في المدينة حامية عسكرية من عرب نجد واليمن (والمقصود عسير) وسلّحهم بالبنادق.. وكان المسلحون بالبنادق من أولئك النجديين خاصة يشكلون خيرة فيالق الجيش الوهابي الذين تسند إليهم أصعب المهام). (١٢)

ويقول ابن بشر: (إن أتباع محمد علي حاصروا المدينة ونصبوا عليها المدافع والقنابر الكبار، وهدموا ناحية قلعة البلد، وحفروا عليها السرايب وثوروا فيها البارود. وكان فيها عدد كثير من جميع النواحي جعلهم سعود فيها وقت قفوله من الحج نحو سبعة آلاف رجل.. لكنهم ابتلوا بالأمراض المؤلمة. ثم إن العساكر المصرية كادوهم بكل كيد، وسدّوا عنهم المياه الداخلة في وسط المدينة، وحفروا سرداباً تحت سور قلعة المدينة وملأوه بالبارود، وأشعلوا فيه

النار، فانهدم السور فقاتلهم من كان فيها من المرابطة. ثم إن أهل المدينة فتحوا للروم باب البلد، فلم يدر المرابطة إلا والرمي عليهم من الروم داخل البلد.. فانحاز المرابطة.. إلى القلعة فاحتصروا فيها.. ونصب الروم عليهم القنابر والمدافع.. فكثرت فيها المرضى والجرحى، فطلبوا المصالحة بعد أيام، فأنزلوهم منها بالأمان.. وهلك في هذه الواقعة.. نحو أربعة آلاف رجل من عسير وأهل بيشة والحجاز وأهل الجنوب وأهل نجد.. وأمست الروم حسن قلعي وعذبوه بأنواع العذاب، وبعثوه إلى مصر). (١٣)

ومن الواضح أن ابن بشر لم يشر إلى قيادة ابن مضيّان للمدافعين عن وسط المدينة.

وقال بوركهارت - بعد حديثه عن نجاح قوات محمد علي في فتح ثغرة بسور المدينة نتيجة وضعهم لغماً تحته: (إن من لجأوا إلى القلعة من السعوديين قد استسلموا بأمان بعد انتهاء مؤنهم... وإنهم بعد أن خرجوا من المدينة طاردهم الأتراك وقتلوا من قتلوا منهم؛ وأغلب هاؤلاء من قبيلة عسير.. أما مسعود بن مضيّان.. فرغب ألا يقفل على نفسه داخل المدينة. وذهب مع أسرته وأربعين رجلاً من أتباعه إلى بيت في بستان كان قد حصّنه على بعد ساعة من تلك البلدة. ولما أخذت المدينة استسلم على شرط الأمان له ولأسرته وأتباعه الذين معه والاحتفاظ بأمّعتهم. وهبى لسكناه بيت في ضاحية المدينة حيث وضع أسرته وأشياءه. لكن لما استسلمت القلعة نهب الأتراك بيته، وقتلوا أبناءه ورجاله، وقيدوه بالسلاسل، وأرسلوه إلى ينبع. وفي أثناء مروره عبر بدر تمكن من الهروب تحت جناح الظلام إلى الجبال، ولجأ إلى بدو من حرب. لكن ذهب الأتراك أغرى هاؤلاء، فسلموه إليهم بعد ثلاثة أيام. ثم أرسل من ينبع إلى القاهرة، ومن ثم إلى القسطنطينة حيث قطعت راسه). (١٤)

وليس ضرورياً أن يقبل كل ما ذكره بوركهارت، لكن من الواضح أن روايته

تؤيد رواية ابن بشر بأن عبء الدفاع عن وسط المدينة وقع على كاهل الرجال الذي كانوا في قلعتها من مناطق مختلفة.

٨- قال الأخ فايز (ص ١١٤): (إن صح ما قيل عن إعطاء المخصصات لزعماء قبيلة حرب أثناء حملة طوسون باشا فيحتمل أن يكون المقصود به ما دفع من تعويضات عن مقتل الشيخ جزا الأحمدي من قبل وزير محمد علي في المدينة سنة ١٢٢٩هـ).

والاحتمال الذي ذكره بعيد. ذلك أن الجبرتي ذكر أن إعطاء المخصصات حدث قبل استيلاء طوسون على المدينة المنورة. وكان استيلاؤه عليها سنة ١٢٢٧هـ فلا يحتمل أن يكون تعويضات عن مقتل الشيخ جزا لأن قتله لم يحدث إلا سنة ١٢٢٩هـ حسب قول الأخ فايز نفسه.

الأمر الثاني: من كان أميراً لسعود على المدينة؟

قال بوركهارت؛ وهو يتحدث عن دخول المدينة تحت حكم سعود بن عبدالعزيز: إنه عين ابن مضيان حاكماً لها. لكنه قال: إن الرجل القوي فيها هو حسن القلعي، الذي ظلّ له بعض النفوذ تحت الحكم الوهابي.^(١٥) وقال - وهو يتحدث عن استسلام المدينة لقوات طوسون: إن سعوداً قد جعل مسعود بن مضيان شيخاً لكل قبيلة حرب، و وضع تحته عدداً من القبائل الأخرى.^(١٦) ولم يقل، هنا، إنه كان أميراً للمدينة، بل قال أيضاً: (إن حسن القلعي قد اغتصب حكم المدينة قبل أن يأخذها الوهابيون).^(١٧) وقال في كتاب آخر له: (إن حسن القلعي قد عين أغا على قلعة المدينة، فأصبح سيد المدينة دون منازع. ولما أدرك عدم جدوى مقاومته لسعود - بعد استسلام البدو المحيطين بها له - دخل تحت طاعته مقابل بقائه في منصبه. وظلّ حاكماً للمدينة من قبله إلا أنه لم يقترف المظالم التي كان يقترفها من قبل. ولما توجه طوسون، مرة ثانية، إلى المدينة بقوات أكبر من ذي قبل توقع حسن أن ينتصر، فتفاوض معه سراً - ووعده

طوسون بإبقائه على منصبه على أن يسهل لقواته الاستيلاء على المدينة).^(١٨)
وإذا اتضح اختلاف أقوال بوركهارت حول هذا الموضوع من مكان إلى آخر
تبين أن تلك الأقوال تحتاج إلى تمحيص.

قال الجبرتي - بعد أن ذكر إغداق رجال محمد علي الأموال على العربان
ومن ادعى أنه رئيس قبيلة حرب-: (والذي كان متأمراً في المدينة من جنسهم
استمالوه، أيضاً، وسلّم لهم المدينة).^(١٩)

وعبارة: (من جنسهم) قد يراد بها أنه من حرب، وقد يراد بها أنه من أتباع آل
سعود الذين كسبهم إغراء رجال محمد علي. ولذلك فليس فيها نص على أن
ابن مضيّان كان أميراً للمدينة ذاتها.

ومن السواضح أن دحلان قد نقل عن الجبرتي ما ذكره عن إغداق الأموال
وتأثيرها، وختم عبارته بقوله: (وقبضوا على ابن مضيّان الذي كان متأمراً في
المدينة).^(٢٠) وكلامه، على أية حال، ينصب على مسعود بن مضيّان. وليس فيه
نص على أن سعوداً قد عينه أميراً للمدينة.

أما ابن بشر فقد نص على أن أمير سعود على المدينة هو حسن القلعي.^(٢١)
وحين ذكر وفاة بداي بن مضيّان سنة ١٢٢٠ هـ، قال: إن سعوداً ولى أخاه مسعوداً
مكانه في بوادي حرب. وذلك يعني أن قيادتهما كانت في بوادي تلك القبيلة.

وأما مؤلف «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد عبد الوهاب»؛ وهو مؤلف
معاصر لكل من الإمام عبدالعزيز بن محمد وابنه سعود، فقط تحدّث عن دخول
المدينة تحت حكم سعود قائلاً: (وأمر (سعود) على أهالي نجد أن يقطعوا السبل
عن المدينة حتى يضايق أهلها ويدخلوا في دين الإسلام، وبقوا في حصار
المدينة نحو خمس سنوات إلى أن طاعت المدينة على يد سعود بن عبدالعزيز،
فنصره الله، وحكم بها رجل قلعي. والذي أودع اسمه القلعي بما أنه من أتباع
السلطان الذين في القلعة).^(٢٢)

وقال في موضع آخر: (وأما المدينة فهي تحت حكم حسن قلعي . وما حولها فهي من حكم ابن مضيّان من قبائل حرب). (٢٣)

ولعلّ الأرجح في هذه المسألة ما ذكره المؤلف الأخير؛ وهو أن المدينة نفسها كان أميرها القلعي، وأن ما حولها كان أميره ابن مضيّان.

الأمر الثالث: جهود القادة الثلاثة من آل مضيّان.

من المعروف أن قبائل حرب متعددة، وأن آل مضيّان كانوا قادة من قادة حرب. ولعلّ أول إشارة في المصادر المتوافرة عن بداية الاتصال بين فئة من حرب والدولة السعودية الأولى هي تلك الموجودة في تاريخ ابن غنام حين قال: (إن سعود بن عبدالعزيز أغار على عربان من مطير وحرب في مكان يقال له الشقرة، فأخذهم؛ وذلك سنة ١٢٠٦هـ). (٢٤)

وفي السنة التالية أغار حجيلان بن حمد، أمير القصيم، على بني عمرو من حرب. (٢٥) على أن دحلان أشار إلى إغارة أحد قادة الشريف غالب على قوم من حرب دخلوا (في دين الوهابي)، على حد تعبيره، قرب كشب؛ وذلك سنة ١٢١١هـ. لكنه ذكر أن كثيراً من تلك القبيلة جاءوا إليه في الحناكية. (٢٦) وفي السنة التالية أغار على قوم (موهبين) من حرب في عريق الدسم. (٢٧)

ولقد تحمّس كل من بادي بن مضيّان وأخيه بداي لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وانضمّا باتباعهما من حرب إلى الدولة السعودية، فأصبح لهما دور مهم في محاصرة المدينة المنورة. وتوفي بادي سنة ١٢١٧هـ، فتولّى القيادة بعده أخوه بداي، الذي ظل في طليعة المحاصرين لتلك البلدة، واشترك مع الزعيم الجهني، جابر بن جبارة، في انتزاع ينبع من ممثل الشريف غالب فيها سنة ١٢١٩هـ لمدة قصيرة. ومن المعروف أن المدينة استسلمت لسعود في سنة ١٢٢٠هـ. ولم تشر المصادر المتوافرة إلى جهود واضحة لأي من بادي وبداي باستثناء ما ذكره.

أما مسعود فقد تولّى القيادة بعد وفاة بداي، سنة ١٢٢٠هـ، وبعد دخول المدينة تحت الحكم السعودي، فيما يبدو، ولم تشر المصادر إلا إلى مساهمته مع آخرين في محاولة صد قوات طوسون باشا المتجهة إلى المدينة المنورة. وبذلك يتضح أنه - مع التقدير العظيم لجهود أولئك القادة الثلاثة من آل مضيّان فإن تلك الجهود، مساهمة في توسيع الحكم، أو دفاعاً عنه، كانت في محيط مواطنهم القريبة من المدينة المنورة، ولم تتجاوزهُ إلى مناطق أخرى.

الأمر الرابع: جهود القادة الذين أشير إليهم في كتاب «تاريخ المرحلة الثانوية». لقد أشير في هذا الكتاب إلى عشرة من الأمراء والقادة؛ أمثلة لا استقصاءً، كما سبق أن ذكر. وليس بين هاؤلاء العشرة من اقتصرَت جهوده في سبيل الدولة السعودية الأولى على منطقته فقط. بل كان لكل واحد منهم جهوده المتميزة في منطقته وخارجها. ولقد ذكر الأخ فايز اسمي عثمان المضايفي وعبدالوهاب أبي نقطة وكان جهود كل منهما لا تصل إلى جهود أي واحد من آل مضيّان الثلاثة: باداي وبداي ومسعود. وإذا كان قد اتضح مدى جهود هاؤلاء الثلاثة، رحمهم الله، فإن من المستحسن إيضاح جهود كل من عثمان وعبدالوهاب بإيجاز ليتبين للقارى إن كانت أقل من جهود آل مضيّان أو ليست أقل.

أولاً: عثمان المضايفي: كانت بينه وبين الشريف غالب صلة رحم، كما كان وزيراً له وقائداً من قادة غزواته. ومن ذلك قيادته غزوة في سنة ١٢٠٨هـ^(٢٨) ثم انضم إلى الدولة السعودية عام ١٢١٧هـ.

وكان انضمامه بداية النهاية لمقاومة الشريف غالب، وقد سبقت الإشارة إلى تزعمه قوات سعودية انتزعت الطائف من ذلك الشريف في ذلك العام مما مهد طريق القوات السعودية إلى مكة نفسها. وعيّنهُ الإمام عبدالعزيز أميراً للطائف والحجاز. بل إن بوركهارت قال: إنه عيّن أميراً لقبائل الطائف ومكة وما يليها شمالاً حتى منتصف الطريق إلى المدينة.^(٢٩) وفي سنة ١٢١٨هـ دخلت ثقيف

وقبائل أخرى في طاعته^(٣٠)، وفي سنة ١٢١٩هـ حاصر جدة - ومعه ابن شكبان - باثني عشر ألف مقاتل، كما صمد لحملة غالب على الطائف، ثم حاصر مكة^(٣١). أما في سنة ١٢٢٠هـ فقد هاجم جدة مرة ثانية^(٣٢)، ثم وصل إلى مشارف مكة في طليعة قوات تصل إلى ثلاثين ألفاً؛ منها خمسة آلاف بقيادة ابن شكبان، وعشرة آلاف بقيادة أبي نقطة. فاضطر الشريف غالب إلى المصالحة والدخول في طاعة الدولة السعودية.^(٣٣)

وفي سنة ١٢٢١هـ كان هو وأبو نقطة، وابن شكبان، وحجيلان بن حمد، وابن علي، وابن مضيان، وابن جبارة، بأتباعهم قرب المدينة المنورة - بأمر من الإمام سعود - لإرجاع أمير الحاج الشامي إلى بلاده خوفاً من أن يتآمر معه الشريف غالب.^(٣٤)

وفي سنة ١٢٢٤هـ كان أخو عثمان بأتباعه مع أبي نقطة لمحاربة الشريف حمود، حاكم جازان.^(٣٥) وفي سنة ١٢٢٥هـ حارب هو بأتباعه ذلك الشريف، وهزمه^(٣٦).

ولقد كان لعثمان جهود في صد حملة طوسون المتجهة من ينبع إلى المدينة، كما كان في طليعة قوات عبدالله بن سعود في معركة وادي الصفراء. يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن، الذي كان شاهد عيان لتلك المعركة: (أمر سعود ابنه عبدالله أن يسير إلى قتالهم (يعني أتباع طوسون) وأمرهم أن ينزل دون المدينة. فاجتمعت عساكر الحجاز على عثمان المضايقي، وأهل بيشة وقحطان، فنزلوا بالجديدة، فاختر عبدالله بن سعود القدوم عليهم والاجتماع بهم؛ وذلك أن العسكر المصري في ينبع، فاجتمع المسلمون في بلد حرب، وحفروا في مضيق الوادي خندقاً، وعبأوا الجميع. فصار في الخندق من المسلمين أهل نجد، وصار عثمان ومن معه من أهل الحجاز في الجبل فوق الخندق. فحين نزل العسكر أرزت خيولهم... ساروا على عثمان ومن معه في الجبل، فتركهم حتى قربوا منه فرموهم بما احتسبوهم وما عدوه لهم حين أقبلوا عليهم فما أخطأ لهم بندق، فقتلوا العسكر قتلاً ذريعاً...)^(٣٧)

وقد بذل عثمان جهوداً لمقاومة قوات طوسون بعد دخولها مكة واستيلاءها على الطائف إلى أن قبض عليه غدراً في العاشر من رمضان سنة ١٢٢٨ هـ، وأخذ إلى مصر. (٣٨)

وقد قال بوركهارت عن القبض عليه: إن الوهابيين فقدوا بذلك أنشط وأجراً موال لهم في الحجاز. (٣٩) ولمكانته طلب سعود الإفراج عنه مقابل ألف فرانسة. (٤٠)

ولقد تحدّث الجبرتي عن عثمان بقوله: (والمضايقي زوج أخت الشريف (غالب)، وخرج عليه وانضم إلى الوهابيين، فكان أعظم أعوانهم. وهو الذي كان يحارب لهم ويقاثل، ويجمع قبائل العربان ويدعوهم عدة سنين، ويوجه السرايا على المخالفين، ونما أمره واشتهر لذلك ذكره في الأقطار... ولما قبضوا عليه أحضروه إلى جدة.. ثم وصل إلى القاهرة. فضربوا المدافع من القلعة إعلماً وسروراً بوصوله أسيراً... فلما دخل عليهم (رجال الدولة في مصر) أجلسوه معهم فحدثوه ساعة... وهو يجيبهم من جنس كلامهم بأحسن خطاب، وأفصح جواب، وفيه سكون وتؤدة في الخطاب، وظاهر عليه آثار الإمارة والحشمة والنجابة ومعرفة مواقع الكلام حتى قال الجماعة بعضهم لبعض: (يا أسفي على مثل هذا إذا ذهب إلى اسلامبول يقتلونه). (٤١)

ثانياً: عبدالوهاب أبو نقطة: كان قد أتى إلى الدرعية، مع أخيه محمد، وبايعا الإمام عبدالعزيز، وأخذوا ينشران الدعوة في عسير. ولما توفي أخوه انفرد بالقيادة ووحّد تلك المنطقة. فأصبح أميراً لآل سعود عليها. وكان له دور مهم في العمليات العسكرية الموجهة إلى الشريف غالب سنتي ١٢١٩ هـ و ١٢٢٠ هـ. حتى اضطر الشريف إلى المصالحة ومبايعة الإمام سعود. وكان أهم شخصية دخلت مكة بعد الصلح؛ إذ تبادل الهدايا مع الشريف غالب وكان محلّ التقدير والإجلال. (٤٢) وقد قال عنه مؤلف «كيف كان ظهور شيخ الإسلام»: (قام مع ابن

سعود قومة عظيمة وقاتل أهل مكة حتى أسلموا (يعني دخلوا في طاعة الحكم السعودي). وجميع قومه إذا اجتمعوا بقدر مئة ألف، وخيله خمسة آلاف).^(٤٣) وقد يكون في هذا مبالغة.

وفي سنة ١٢٢٠هـ كان عبدالوهاب في طليعة قادة آخرين توجهوا - بأمر من الإمام سعود - لقتال أهل نجران بثلاثين ألف مقاتل.^(٤٤) أما في سنة ١٢٢١هـ فكان بأتباعه مع قادة آخرين قرب المدينة المنورة لصد حاج الشام، كما سبق أن ذكر.

وكان له دور كبير في إدخال منطقة المخلاف السليماني (جازان) تحت الحكم السعودي^(٤٥)، وإدخال مناطق من أراضي إمام اليمن الساحلية. وقد ربطت منطقة المخلاف السليماني به إدارياً فترة، ثم نجح الشريف حمود بالانفصال عنه والاتصال بالدرعية مباشرة. ولما حدث من ذلك الشريف ما يريب الإمام سعوداً، سنة ١٢٢٤هـ، أمر عبدالوهاب بمقاتلته. فدارت بينهما معركة قتل فيها عبدالوهاب، لكن نهايتها كانت انتصاراً لأتباعه الذين تولّى قيادتهم قريبه طامي بن شعيب.^(٤٦)

لعلّه مما سبق يتضح أن جهود كل من عثمان المضايقي وعبدالوهاب أبي نقطة لا تقل عن جهود أي قائد من آل مضيّان: بادي، وبداي، ومسعود.

الأمر الخامس: موقف حرب من طوسون.

من يتأمل تاريخ الدولة السعودية الأولى يجد أن من الحضرة والبدو الذين أصبحوا تحت حكمها من لم ينضموا إليها طواعية. ولذلك لم يكن غريباً أن وجد منهم من تخلّوا عن مساعدتها، أو انضموا إلى خصومها، عندما رأوا أن من مصلحتهم فعل ذلك.

والحديث الوارد في كتاب التاريخ للصف الثالث الثانوي عن موقف حرب من طوسون منصب فقط على الفترة الواقعة بين انهزام طوسون في معركة وادي الصفراء وتقدمه - مرة ثانية - من ينبع إلى المدينة. فماذا قالت المصادر القريبة زمنًا من وقوع تلك الأحداث؟

الواقع أن بوركهارت ذكر بأن بعض القبائل لم يمنعها من مساعدة طوسون، قبل معركة وادي الصفراء، إلا خوفها من بطش سعود، فقال: (إن البدويين ينبع والمدينة؛ خاصة حرب وجهينة، مهما كانت كراهيتهم للوهابيين ورغبتهم في العودة إلى المشاركة في الإتاوات والمكاسب من قوافل الحجاج الأتراك.. كانوا مذعورين من قوة سعود وبطشه. ولذا لم يجرأوا على الحركة مادام الأتراك لم يحصلوا على مكاسب حربية واضحة تعطيهم أملاً في نجاح حتمي إذا انضموا إليهم).^(٤٧)

لكن كلام بوركهارت، هنا، يبقى مجرد رأي خاص له. على أن طوسون تمكن من استمالة فئات من قبائل عدة - بينها الحويطات، وجهينة، ومزينة - قبل معركة وادي الصفراء.^(٤٨)

وقد قتل في تلك المعركة، التي حدثت في أواخر ذي القعدة سنة ١٢٢٦ هـ، عدد من قادة السعوديين بينهم هادي بن قرملة زعيم قبيلة قحطان. لكن قوات طوسون منيت بهزيمة عظيمة، كما سبق أن ذكر.

أما ما حدث بعد تلك المعركة، مما له صلة بالأمر المتحدث عنه، فقد قال الجبرتي: (وعرفه (أي الباشا) كبراء العرب الذين استمالهم.. أن الذي حصل لهم - (رجال طوسون من هزيمة) إنما هو من العرب الموهبين - وهم عرب حرب - والصفراء، وإنهم مجهودون... والوهابية لا يعطونهم شيئاً، ويقولون لهم: قاتلوا عن دينكم وبلادكم. فإذا بذلتهم لهم الأموال... ارتدوا... وصاروا معكم وملكوكم البلاد. فاجتهد الباشا في جميع الأموال... ولما وصل بونابرته إلى ينبع البر أخذ في تأليف العربان واستمالتهم، وذهب إليهم ابن شديد الحويطي ومن معه، وتقابلوا مع شيخ حرب، ولم يزالوا به حتى وافقهم، وحضروا به إلى بونابرته، فأكرمه وخلع عليه الخلع..) إلى أن قال: (وخص شيخ حرب بمفرده ثمانية عشر ألف فرانسة.. فعند ذلك ملكوهم الأرض. والذي كان متأمراً في المدينة من جنسهم استمالوه، أيضاً، وسلّم لهم المدينة).^(٤٩) ولا يلزم

من قوله (شيخ حرب) أن المراد مسعود بن مزيان. فقد يكون المراد شيخاً آخر من مشايخ حرب.

ونقل دحلان، فيما يبدو، عن الجبرتي ما قاله عن موقف حرب. ولذلك لا داعي لإيراد ما ذكره.

على أنه ورد في وثيقة مؤرخة في ٩ / ٥ / ١٢٢٧ هـ ما يأتي: (شرع في هذه الآونة في جلب العرب والعربان حيث خضع من عربان جهينة أكثر من نصفها، وانحل عقد عربان حرب فبدأوا يفدون إلى هنا. غير أن هذه المسألة تحتاج إلى كمية كبيرة من النقود والكساوي).^(٥١)

أما بوركهارت فقال: (أرسل محمد علي مبالغ كبيرة من المال إلى ابنه طوسون ليوزعها على مشايخ البدو المجاورين؛ آملاً أن يبعدهم عن الوهاية.. ونجح المحروقي بالذهب في كسب عدد كبير من قبيلة حرب؛ خاصة الفرعين القويين من تلك القبيلة: بني سالم وبني صبح، اللذين يحتلان ممر الصفراء والجديدة.. وفي أكتوبر من سنة ١٨١٢م (محرم ١٢٢٧ هـ) كان كثير من أفراد جهينة قد انضموا إليه.. فسار وعبر ذلك الممر، الذي سبق أن هزم فيه، بأمان حتى وصل إلى أسوار المدينة دونه اشتباكات).^(٥١)

وقال الرافي: (إن طوسون تلقى إمدادات مالية، بعد هزيمته في وادي الصفراء، فمهدت له السبيل للاستيلاء على المدينة، فتحرّك من ينبع قاصداً المدينة، وانضم إليه كثير من عرب جهينة وحرب، واحتل وادي الصفراء بدون مقاومة بفضل مؤازرة العرب الموالين له).^(٥٢)

والرافي، على أية حال، لم يكن معاصراً للأحداث التي كتب عنها. ولذا فإن ما كتبه ليس له وزن ما كتب معاصروها كالجبرتي وبوركهارت.

أما ابن بشر فقال: (أقبل أحمد بونابرت على العسكر، الذين في ينبع البحر مع أحمد طوسون، بعساكر كثيرة.. فضبطوا ينبع، وتبعهم بقية عربان جهينة،

واستالوا (هكذا) على ينبع النخل، ثم وادي الصفراء وبلدان بوادي حرب، ثم ساروا قاصدين المدينة، وسار معهم بوادي حرب). (٥٣)

ومن الواضح أن ابن بشر لم يذكر إغداق الأموال على القبائل. لكن الجبرتي أقرب زمنًا إلى مجريات الأحداث المتكلم عنها.

وبمقارنة المصادر المختلفة يترجح أن فثات - على الأقل - من حرب وجهينة قد انضمت إلى قوات طوسون؛ سواء كان ذلك بالإغراءات المالية والهدايا، أو لأسباب ذاتية أخرى. وهذا لا يتعارض مع كون مسعود بن مضيّان قد بقي مخلصًا للدولة السعودية. وربما بقيت معه فئة من حرب أيضًا.

ومن كل ما سبق ذكره يتبين ما يأتي:

١- أن ذكر القادة والأمراء العشرة في كتاب التاريخ للصف الثالث الثانوي هو ذكر لأمثلة وليس استقصاء لجميع الأمراء والقادة في الدولة السعودية الأولى. ذلك أن من الشطط، وتحميل الطالب ما لا يستطيع حمله أن يذكر الجميع.

٢- أن بعضًا - إن لم يكن كثيرًا - مما قاله الأخ فايز الحربي في انتقاده الكتاب المذكور غير دقيق.

٣- أن جهود القادة من آل مضيّان: بادي، وبداي، ومسعود - مع تقديرها - كانت محصورة في منطقتهم: منطقة المدينة المنورة.

٤- أنه ليس بين الأمراء والقادة العشرة الذين ورد ذكرهم في الكتاب المذكور من اقتصرت جهوده على منطقتهم، بل تجاوزتها إلى مناطق أخرى.

٥- أن جهود عثمان المضايقي وعبدالوهاب أبي نقطة، اللذين ذكرهما الأخ فايز بما يوحي أن جهودهما أقل من جهود آل مضيّان، جهود لا تقل عن جهود هاؤلاء، إن لم تزد عليها.

٦- أن الحديث الوارد في كتاب الثانوية عن موقف حرب وجهينة منصب على فترة معينة بين هزيمة طوسون في معركة وادي الصفراء ووصوله إلى المدينة بعد

تلك المعركة. وقد اتضح مع مقارنة النصوص أن فئات - على الأقل - من جبهة
و حرب قد استمالها طوسون في الفترة المتحدّث عنها؛ وإن كان مسعود بن
مضيّان بالذات ظلّ متصدياً له. رحم الله الجميع، وألهمنا الصواب.

عبدالله الصالح العثيمين

الحواشي:

- (١) عثمان بن بشر. «عنوان المجد في تاريخ نجد»، الطبعة الثانية من قبل وزارة المعارف، ١٣٩١ هـ، ج ١، ص ١٣٥.
- (٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥٢.
- (٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٦٢ - ١٦٥.
- (٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٨٤.
- (٥) محمد أديب غالب، «من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي»، دار اليمامة، ١٣٩٥ هـ، ص ١٥٠.
- (٦) ابن بشر، ج ١، ص ١٨٦.
- (٧) أحمد زيني دحلان، «خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام»، إعادة طباعة، استانبول، ١٤٠٠ هـ، ج ٢، ص ٢٨٤.
- (٨) ابن بشر، ج ١، ص ٢٣٧.
- (٩) دحلان، ج ٢، ص ٢٩٥.
- (١٠) انظر صفحة ٣٠٥ من كتابه المذكور.
- (١١) انظر، ج ٢، ص ٣٠٣ - ٣٠٥ من الكتاب المذكور.
- (١٢) بوركهارت، ص ٧٧.
- (١٣) ابن بشر، ج ١، ص ٢١٢ - ٢١٣.
- (١٤) انظر كتابه «مواد لتاريخ الروهابيين»، ترجمة عبدالله العثيمين، الرياض ١٤٠٥ هـ، ص ١٢٢ - ١٢٤.
- (١٥) المصدر نفسه، ص ٩٤. ومن الواضح أن لوريبر، وهو مؤلف متأخر العهد. قد أخذ عنه في كتابه «دليل الخليج»، الذي ترجمه مكتب أمير قطر ونشر دون ذكر لسنة الطباعة، ج القسم التاريخي، ج ٣، ص ١٥٩٤.
- (١٦) المصدر نفسه، ص ١٢٤.
- (١٧) «مواد»، ص ١٢٤.
- (١٨) بوركهارت، «رحلات في شبه جزيرة العرب»، ترجمة د. عبدالعزيز الهلابي ود. عبدالرحمن الشيخ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣ هـ، ص ٣٦٠ - ٣٦٢.
- (١٩) الجبرتي، ص ١٤١ - ١٤٢.
- (٢٠) دحلان، ج ٢، ص ١٩٥.
- (٢١) ابن بشر، ج ١، ص ٢٣٧. وانظر ج ٢، ص ١٨٧.
- (٢٢) مؤلف مجهول، «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب»، درسه وحققه وعلّق عليه عبدالله العثيمين، ط ٢، الرياض ١٤١٤ هـ، ص ٧٢.

- (٢٣) المصدر نفسه، ص ١٠٥.
- (٢٤) حسين بن غنام، «روضة الأفكار والأفهام لمرئاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام»، طبعة أبي بطين، القاهرة، ١٣٦٨هـ، ج ٧٢ ص ١٥٧، وانظر، أيضاً، ابن بشر، ج ١، ص ١١١.
- (٢٥) المصدر الأخير نفسه، ج ١، ص ١٣٠.
- (٢٦) دحلان، ج ٢، ص ٢٦٥.
- (٢٧) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٦٦.
- (٢٨) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٦٣.
- (٢٩) بوركهارت، مواد، ص ٨٧.
- (٣٠) دحلان، ج ٢، ص ٢٨١.
- (٣١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٨٢ - ٢٨٥.
- (٣٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٩٠.
-
- (٣٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٩١. وأشار إلى دخول عثمان وأبي نقطة إلى مكة بعد الصلح وابن بشر، ج ١، ص ١٨٣ - ١٨٤.
- (٣٤) المصدر الأخير نفسه، ج ١، ص ١٨٨.
- (٣٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٩٤.
- (٣٦) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٠٠.
- (٣٧) عبدالرحمن بن حسن، ضمن «الدرر السنية في الأجوبة النجدية»، جمع عبدالرحمن بن قاسم، الطبعة الثانية، الرياض ١٣٨٨هـ، ج ٩، ص ٢٢٣.
- (٣٨) ابن بشر، ج ١، ص ٢١٤ - ٢١٨.
- (٣٩) بوركهارت، مواد، ص ١٢٨ - ١٢٩.
- (٤٠) الجبرتي، ص ١٤٩ - ١٥٠.
- (٤١) المصدر نفسه، ص ١٤٩.
- (٤٢) ابن بشر، ج ١، ص ١٨٤.
- (٤٣) مؤلف «كيف كان ظهور شيخ الإسلام»، ص ١٢٥ - ١٢٦.
- (٤٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٨٦ - ١٨٧.
- (٤٥) انظر عن ذلك عبدالرحمن البهكلي، «نفع العود في سيرة دولة الشريف حمود»، تحقيق محمد العقيلي، دار الملك عبدالعزيز بالرياض، ١٤٠٢هـ، ص ١٢٧ - ١٣٨.
- (٤٦) ابن بشر، ج ١، ص ١٩٤.
- (٤٧) بوركهارت، مواد، ص ١١٤.
- (٤٨) طبقاً لوثيقة مؤرخة في ١١/٥/١٢٢٦هـ، عبدالرحيم، من وثائق...، ج ٢، ص ٢٩٨.
- (٤٩) الجبرتي، ص ١٤١ - ١٤٢. ولقد سبقت الإشارة إلى أن كلمة من جنسهم يحتمل أن يكون المراد بها من القبائل المذكورة أو من الوهابيين ويدخل ضمنهم القلمي.
- (٥٠) عبدالرحيم، «من وثائق»، ج ٢، ص ٢٦٢.
- (٥١) بوركهارت، «مواد»، ص ١٢٠ - ١٢١.
- (٥٢) عبدالرحمن الرافي، «عصر محمد علي»، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٣٧٠هـ، ص ١٣٦ - ١٣٧.
- (٥٣) ابن بشر، ج ١، ص ٢١٢.

نظرات في نظرات

النظرات النقدية التي ألقاها الأستاذ عباس الجراح على كتاب «حدائق الآداب» للأبهري، وأطلع قراء «العرب» مشكوراً عليها س ٣٣ (ص ص ٦٧١ - ٦٨٦)، كان جلها دقيقاً ومفيداً، وقد فلى (الناظر) الكريم العمل فلياً، وتأمل كل عبارة فيه بل كل لفظة، وذلكم ضرب من القراءة لأبد منه للتعاقد على اتقان الأعمال، وسد نقصه، وإصلاح خلله، والتخفيف من آثار الوهم والسَّهْو فيه.

ومن جيد تلك الملحوظات التنبيه على تكرار ترجمة محمد بن كناسه، وعلى إيراد اسم النوار زوج مالك بن زيد في ص ٧٣٩ على أنها زوج مالك آخر، وذكر «شعر العجير السلولي» ضمن مصادر التحقيق دون الرجوع إليه في تخريج بيتين له، ونسبة أبيات في الفهارس لصاحب «المختارات» التي وردت ضمنها (محمد ابن داود الأصبهاني)، والإشارة إلى أن (بهجة الحديثي) رجل لا امرأة، كما ظن في ص ٤٥٦ من الكتاب، وهنا يجد المحقق نفسه مديناً باعتذار للأستاذ بهجة عن هذا الخطأ غير المتعمد، فهذه أمور يجب تلافيتها، ومن الفوائد التي أتحننا بها صاحب النظرات الكريم ذكر قائل البيتين اللذين في ص ٦، وشرط البيت الذي في ص ٥٤. على أن بعضاً مما أورده هو مما يستحسن في التحقيق استحساناً ولا يؤخذ عليه، كما أن بعضه مما لا يتفق المحقق معه فيه.

ومحقق «حدائق الآداب» إذ يشكر الأستاذ عباساً على دقته وموضوعيته، وعلى ما ورد في مقالته من ثناء على العمل وتقدير للجهد المبذول فيه، يشير أدناه إلى ما لديه حول بعض ملاحظه خاصة من الفئة الأخيرة، محاولاً الاقتصار على ما لا يجد بدأً من الحديث عنه مرعاةً للاختصار:

١- ورد في (٣) ص ٦٧٢: (وأظن أن كتب قواعد التحقيق قد تحدثت كثيراً عن القضية التي أشار إليها الدكتور السديس ورجع فيها إلى مقدمة الكتاب الوارد

في هامش هذه الصحيفة) انتهى. وفي هذا إشارة ضمنية إلى عدم استحسان ما ورد في مقدمة التحقيق من اقتباس من كلمة للأستاذ إحسان عباس، عن ضرورة عدم الالتزام بالضبط الذي في المخطوطات، بل الرجوع فيه إلى المعاجم، ولا إخال ظناً الأستاذ في محله، فأين مواضع ذلك الحديث الكثير في كتب التحقيق؟ ثم إن سطرًا أو نحو سطر من كلام محقق كبير، ثري التجربة، طويل الممارسة، إن هو إلا قنديل هاد، ونور على نور، وإن علم مضمونه كبار المحققين من أمثال الأستاذ عباس، لأن صغارهم ومبتدئهم في حاجة إلى التذكير به، فكثير منهم لا يحدون قيد أنملة عما يلفونه في المخطوطات، ظناً منهم أن مجرد قدمها يُضفي عليها حُجِيَّةً قريبةً من القداسة، كما أن في كلمة ذالك العلامة ما يلجم ألسنة وأفلاماً عن المحقق، ويعفيه ويعفي القراء معه من عناء مناقشتها.

٢- لم تثبت في الكتاب صور من الصفحات الأولى والأخيرة من المخطوطات التي رُجِعَ إليها في التحقيق، كما لاحظ الأستاذ في الصفحة نفسها، لعدم تضخيم الكتاب الذي يُعدُّ كبير الحجم، ولعدم الاقتناع بكبير جدواها، وإن أُثبِتَتْ مثل تلك الصور في الطبعة الأولى، وأتباعاً لمنهج محققين كثيرين كمحمد أبي الفضل إبراهيم، وعبد السلام هارون، وأحمد شاكر، ومحمود شاكر، وحمد الجاسر، وعبد الستار فراج، مثلاً، إذ وُجِدَتْ كثيرٌ من تحقيقاتهم خلواً من أمثال تلك الصور.

٣- ورد في ص ٦٧٣: (النصُّ الوارد ص ٧٥ عن بعض الفُصحاء خرَّجه المحقق على كتاب «الفاضل» للمبرد باختلاف، وكان المفضلُّ والصحيح أن يخرجه على كتاب «الخيل» للأصمعي، ولأن المصنف ينقل عن كتابه) انتهى. قلت: هذا التعليل بحاجة إلى إثبات.

٤- أشار الأستاذ الجراح في (١) من الصفحة عينها إلى نصٍّ ثريٍّ قصيرٍ لخالد بن صفوان قائلاً: إن المحقق لم يُخرِّجْهُ. قال المحقق: الأقوال والنصوص

القصيرة النثرية مما ليس من المعتاد تخريجه، ماعدا بطبيعة الحال، الآيات والأحاديث، وربما أقوال الصحابة، فهي إن خُرِّجَتْ فحسنٌ، وإن لم تخرج فلا تثريب في ذلك، وهذا شيخ المحققين عبدالسلام هارون - رحمه الله - مثلاً، لا يخرج الجمل والأقوال النثرية التي يحفل بها «البيان والتبيين» ولو فعل لأثقل الكتاب أيما إثقال.

وبالمناسبة، هنالك عبارة أخرى لابن صفوان نفسه وردت في الصفحة السادسة من «الحدايق» مخرجة، وقد وردت مختصرة وباختلاف يسير في «البيان والتبيين» (١/ ٣٥٣)، ولم يخرجها هارون!

٥- في الصفحة عينها أيضاً (٣) نعتٌ لطبعة سعيد الخوري من «نوادر أبي زيد الأنصاري» بأنها (غير علمية)، والأدق وصفها بأنها قديمة، أما الطبقات غير العلمية فهي الطبقات التجارية التي لا تبالي بالناحية العلمية في النشر، وفيها إشارة إلى أن لفظة (ضنؤها) الواردة في «النوادر» في قول الراجز:

أَمْ حُورٍ ضِنُّوْهَا غَيْرُ أَمْرٍ

كانت بكسر الضاد لا بفتحها. قلت: لكن يجوز فيها الكسر والفتح. (لِيُنْظَرَ، مثلاً، «الصحاح - رسم (ضنا)، وبالمناسبة فإن كلمة (أمر) التي في آخر البيت ومعناها (مبارك)، ووردت في مقالة الأستاذ محرفة (ينظر جدول التطبيقات في ذيل هذا التعقيب)، وردت صحيحة في طبعة سعيد الخوري، وخطأ، في نشرة محمد عبدالقادر أحمد عن «النوادر» التي حث الأستاذ على اعتمادها في التحقيق وحدها (تنظر ص ٤٦٠ من «النوادر» تحقيق محمد أحمد) فقط ضُبُطت همزتها بالضم!!

٦- في (٤) من الصفحة نفسها أشار الكاتب الكريم إلى حديث ورد في الكتاب بأنه مروى في البخاري ومسلم، دون ذكر الجزء والصفحة، والكاتب بدوره لم يذكر الصفحة التي هو فيها من «الحدايق»، وقد يكون مشهوراً فلا موجب لتوثيقه.

٧- أشار الكاتب الكريم في آخر الصفحة نفسها إلى وجود آيات لم تُخرَج في ص ص ١٩٥، ٣٣٧، ٦٠٠. قلت: أما ص ص ١٩٥، و ٦٠٠ فلم ترد في المتن فيهما آيات، وإنما ورد في الأولى ذكرٌ للضريع، وأن الله ذكره في كتابه، فبيّن في الحاشية، أن ذلك في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيْعٍ﴾، وورد في حاشية الثانية قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ وموضع الآيتين من كتاب الله لا يحتاج إلى بيان، إلى كون ما في الحاشية لا التزام بتخريجه.

وأما الآية التي في ص ٣٣٧ فقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾، وهي، كذلك، يَعْلَمُ الصَّيِّبَةُ موضعها من كلام الله وإنما التخريج لما يَغْلِبُ على الظن عُسْرُ الاهتداء إلى مكانه لتيسيره، أليس كذلك؟! ولا ينبغي خضوعُ التحقيق خضوعَ قنٍ مغلوب على أمره لقواعد بشرية جامدة، وغير متفق عليها، بل أن يُسْمَحَ للعقل والنظر السليم بحيز فيه، فهل يُعْقَلُ أن يُخْرَجَ مثلاً قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ. إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ أو: ﴿مَلِكِ النَّاسِ. إِلَهِ النَّاسِ﴾ وأمثالها؟ لقد أغفل تخريج تكلم الآيات عمداً فمن يجهل موقعها من التنزيل؟ إن من يجهله لغير خليق بأن يُخْدَمَ، ولا اعتذار عن هذا.

٨- قال الأستاذ الجراح ص ٦٧٤: (من المفضل عدم إثقال الهوامش بالإحالة على المصادر الكثيرة التي وردت فيها الأبيات أو البيت بل يكتفي بالديوان أو المجموع الشعري للشاعر..).

قلت: مادام أنه (من المفضل) فلا ينبغي التحدث عنه، فهو نُقْلٌ وليس فرضاً، ثم إن هذه العبارة مطاطة، على أن في شأن الاكتفاء بالإحالة على دواوين الشعراء دون كتب التراث الأخرى التي تحوي شعرهم تفصيلاً، فإن كانت الدواوين قديمة صنعها علماء موثوق بهم مثل «شعر حاتم بن عبدالله الطائي وأخباره» لمُدرك الطائي، و «ديوان زهير بن أبي سلمى» صنعة ثعلب، وأمثالهما فنعم، يكتفى بالرجوع إليها، وأما إن كانت من جمع باحثين معاصرين فلا مانع من الاعتماد

على المصادر الأدبية التراثية الأخرى، وبعض الدواوين التي جمعها محققون معاصرون لا يَجْمُلُ الاكتفاءً بالتخريج عليها، لكثرة فوائدها كما يتجلى من الاستدراكات التي كثيراً ما نشرت في الدوريات والمجلات العلمية على مثل تلك الأعمال، ولعدم اتسام بعضها بالدقة و (العلمية) الحقيقية، ومن جانب آخر فإنه لمن قبيل التشدد النائي عن (التسديد والمقاربة) المطلوبين طلب الرجوع إلى جميع دواوين الشعراء، فيكاد لا يكون ممكناً كون جميع الدواوين في متناول الباحث، ومن شأن ذلك تعطيل التحقيق، أو إبطاء حركته، وهانحن الآن في المملكة - على سبيل المثال - نرغب في الاطلاع على كثير من الدواوين الجيدة التي صنعها عدد من أجلة الأساتذة العراقيين، كنوري حمودي القيسي - رحمه الله - وحاتم الضامن، وهلال ناجي، ويحيى الجبوري، فنجد بعضاً، وتُعِيننا الحيلة في نيل بعض، لظروف عديدة على رأسها الظرف الغريب الشاذ المؤلم التي تمرُّ به أرض الرافدين العزيزة، حسبنا الله على من تسبب فيه، ونعم الوكيل!

ثم أفضّل أن أرجع إلى ديوان جمعه معاصرٌ من أن أعود إلى مجموعة شعرية قديمة موثوق بها كـ «الأصمعيات» و «المفضليات» وشرحها، والحماسات، وشروحها، و «جمهرة أشعار العرب»، و «القصائد العشر» أو «السبع الطوال» الجاهليات، وشروحها؟

وبالمناسبة فإن جُلَّ ملحوظات الأستاذ عباس حول هذا الأمر، وكان من الخير إجمالها مع الفقرة الأنفة الذكر، والاكتفاء بصفحة واحدة عوض الوقوف عند كل بيت، وتكرار الكلام نفسه بأن هذا البيت لم يرجع فيه المحقق لديوان الشاعر إلخ ما أطال المقال بلا طائل في هذه الناحية.

وكذلك من التشدد - في رأيي - الإصرار على الرجوع دائماً إلى طبعة أخيرة جيدة للديوان، مع وجود طبعة قديمة جيدة أيضاً له، كما في «ديوان جران العود» (الملاحظة رقم ٨ ص ٦٧٤).

٩- ما ورد في (٦) ص ٦٧٥ من أن بيت الرؤاسي في مجموع شعره لا داعي
لذكره إذ إن المجموع نُشر بعد نُشر «الحدائق»!

١٠- البيت الوارد في ص ١١٩ من «الحدائق» والمتحدث عنه في (٧) من
الصفحة عينها وهو لقيس بن الحدادية رُجع في تخريبه إلى ١٢ مصدرًا، وعبارة
الكاتب الكريم توحى بأن المحقق نسبه إلى قيس دونما اعتماد على مصدر (لأنه
لم يرجع إلى شعره المنشور في «المورد».

١١- ورد في (١٠) من الصفحة نفسها إشارة إلى بيت للعجير السلولي ورد
في ص ٢٢٥ من «الحدائق»، وأنه لم يخرج على شعره المنشور في «المورد».
قلت: خُرِّجَ على مصدرين علميين، والعبارة توحى أيضًا بأنه لم يخرج ألبته،
وورد: (ثم ورد في الصحيفة بيت له لم ينسبه محقق الكتاب) انتهى، قلت: ليس
في الصحيفة ٢٢٥ بيت آخر للعجير، ولعل رقم الصفحة سقط سهوًا، فتكون
العبارة (ثم ورد في الصحيفة ٣٥٠ بيت.. إلخ)، لكن البيت الذي في تلك
الصفحة نُسبَ وخُرِّجَ على «الصحيح»، و«التهذيب»، و«مجمّل اللغة»!

١٢- ورد في السطر الأخير من الصفحة نفسها: (ولكن المحقق الكريم لم
يرجع - هكذا بالنصب - أو يشير، هكذا بعدم الجزم...)

١٣- ص ٦٧٦ قال الكاتب في فقرة (١٢) في سياق كلام عن البيت
المعروف جدًا جدًا: (لاته عن خلق..): (... يضاف إلى ذلك أن البيت ينسب
لأبي الأسود الدؤلي) انتهى، قلت: ولم يفت المحقق الإشارة إلى هذه المعلومة
بل قال في ح ٤ من ص ٢٤٧: (... ونسب في مصادر مختلفة لشعراء كثر منهم
حسان، وأبو الأسود الدؤلي، وسابق البربري، والطرماح)، ثم أحال إلى «فُرحة
الأديب» ص ١٣٤ حاشية المحقق!

١٤- طلب الأستاذ الجراح في فقرة ١٦ ص ٦٧٧ إضافة مصدرين إلى تخريج
بيتين لأحمد بن فارس ذكرهما المحقق في الحاشية. قلت: ما يذكره المحقق لا

داعي لتخريجه، وإن أشير إلى موضع واحد فهو فيه فذلك كاف، وللمحقق التمثل بما يشاء دونما تخريج، وإنما التخريج للأشعار التي في متن المصنف، وينطبق هذا على الملاحظة (٢٥) في الصفحة التالية إذ استشهد المحقق في ص ٤٧٠ بيت لبشرٍ فإذا بالكاتب يهبُ طالباً تخريجه!

١٥- في الملاحظة رقم ١٧ ص ٦٧٧ أيضاً أشار الكاتب الكريم إلى وجود البيت المعروف: (وإذا تكون كريمة...) غير مغزوء. وقال: إنه لضمرة بن ضمرة، وأحال إلى مجموع شعره في «المورد». قلت: قد رجع المحقق في تخريج البيت إلى ستة مصادر قديمة، وأشار إلى نسبه فيها إلى تسعة شعراء أحدهم ضمرة، فكيف، بعد ذلك، يجزؤ الأستاذ الجراح على القول بأنه (غير معزوء)؟ هذا غير مقبول إطلاقاً.

١٦- البيت الوارد في ص ٣٠٦ من «الحدائق» منسوب في المتن لخزيمة بن نهد في قصة مثل، ولا داعي لتخريجه كما صنع الكاتب في الفقرة (١٩) من الصفحة عينها.

١٧- سقط من الأحاديث النبوية في فهرسها حديث: «إذا استأثر الله بشيء فآله عنه»، كما لحظ الكاتب في الفقرة (١) ص ٦٨٠، لأنه لم يرد في المتن على أنه حديث، بل قولٌ مسبوق بصيغة التمريض (يقال) وحسب.

١٨- ورد ص ٦٨٠ أن (المسيح عليه السلام) لم يورد في فهرس الأعلام مع ذكره في ص ٣٧٤ من «الحدائق». قلت: لم يذكر لفظ (المسيح) اكتفاءً بالاسم عن اللقب، فالعجالة التي ورد فيها ذكر المسيح عليه السلام هي: (المسيح الصديق، ومنه قيل لعيسى بن مريم عليه السلام مسيح).

تُرى أتورد لفظة (مسيح)، وهي في العبارة لقبٌ نكرة، مع ورود الاسم كاملاً؟ لا ياسيدي!

١٩- ورد في الصفحة عينها: (لا داعي لذكر اسم الشاعر الكامل.. ينظر: ٧٦١ و ٧٨٠) قلت: ص ٧٨٠ فيها فهرس المصادر وليست مختصة بالشعراء، أما اسم الشاعر فلا أرى مانعاً من ذكره للفائدة.

٢٠- ورد في الصفحة عينها أيضاً: (عبدالله بن همام السلولي: ٢٢٥، ٣٩٠. الصواب: ٢٥٦، ٢٤٣). قلت: (بل الصواب: ٢٥٦، ٤٤٢)!

٢١- في ص ٦٨١ فقرة (١) قال الأستاذ عباس: إنه يرى أن يكون عنوان ثبت مصادر التحقيق (المصادر والمراجع) لا المصادر فقط، لوجود (مراجع) حديثة فيه، والمحقق لا يرى مانعاً من الاكتفاء بكلمة (المصادر) لقلّة ما أشار إليه من مراجع حديثة بينها، ويكون ذلك من باب (التغليب)، وهو أولى من التزام الدقة الحرفية في التعبير مما لا يتلاءم مع ما تتيحه لغتنا الجميلة من استخدامات متنوعة، وأسرار عجيبة.

٢٢- في الصفحة عينها فقرة (٤) حَبَذ (الناظر) الكريم ذكر سني وفيات المؤلفين إزاء أسمائهم في قائمة المصادر، بل رأى ذلك (ضرورياً جداً وواجباً) والمحقق لا يلزم نفسه بما لا يلزم به المحققون المعروفون أنفسهم في كل تحقيقاتهم، فذلكم أمرٌ حَسَنٌ وحسبُ.

٢٣- في بيان الأخطاء المطبعية ص ٦٨٤ والتي بعدها: س ٤ ورد: (٩ هامش ٩ غرهما)، وصوابه: (٩ هامش ٣ غرهما). وفيه تصويبٌ ورد خطأ، إذ كان الخطأ الأصلي في وضع نقطتين تحت الألف المقصورة من (أدنى) الواردة في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ التي استدل بها ص ٣٦١، فجاء التصويب [أدنى إلاً] بكسر الهمزة من (ألاً)، كما أنها في الكتاب لم تك مُسْقَطَةً الهمزة كما جاءت في البيان.

وفيه من بين تلك الأخطاء وردت (سمى) المذكورة في ص ٥٧٢ من (الحدائق)، وأن صوابها (سُمِّي). قلت: هذه لا خطأ فيها فهي فقط لم تضبط

بالشكل، أما نقطتا الياء فليس وضُعهما بلازم، وإنما يتحتم وضعهما عند خوف اللبس ولا لبس هنا.

وفي ذالكم البيان عَدَّ الأستاذ عباس الفعل (أُطْرَبُ) بفتح الراء الذي ورد في مطلع قصيدة سائرة في الآفاق للكميت هو:

طَرِبْتُ وما شوقًا إلى البيضِ أُطْرَبُ

عَدَّهُ خَطَأً بفتح الراء، وذكر أن الصواب بكسرها، وهذا وهم، والفعل (طرب)

من باب (فَرِحَ) المفتوح العين في المضارع، وهذا سهو منه عجيب، ولا أرى من داع للإحالة إلى المعاجم في هذه الحالة، لكن إن شاء فليراجع «الصحاح» أو «اللسان» (ط ر ب) على سبيل المثال.

هذا وقد وردت في البيان ألفاظٌ عدَّةٌ ليست الأخطاء التي اعترتها هي ما ظهرت عليها فيه مثل (الأفوه)، فلم تك في الكتاب بإسقاط الهمز وإسكان الواو، وإنما بفتح الفاء، وهذا وهم من الناسخ إذ حرك الفتحة من الواو إلى الفاء، ومثل (أمرى) لم ترد محذوفة الهمزة، و (يحي) لم ترد هكذا بل (يحيي) أي بوضع نقطتين تحت الألف المقصورة فكان على الكاتب، لاسيما وهو في ساحة النقد، الترام الحذر والحرص التام فيما ينبه إليه.

٢٤- ورد في ص ٦٨٦ س ٣: (يوضع رقم (٢) أعلى قافية البيت...) قلنا:

(نعم؛ لكن يوضع رقم لا (٢))!

٢٥- أخطاء مطبعية: ورد في المقالة عدد من الأخطاء المطبعية نوردها هنا لا

على سبيل المعاملة بالمثل، وإلا لكان ذلك غير لائق، بل لفائدة القارئ، ولتبيان أنه، حتى وهو مقال غايته إصلاح الخطأ في كتاب كبير، لم يخلُ من الخطأ، وذلك طبيعي، فلا أحد بقادر أن يكون كاملاً إلا الواحد الأحد، جلَّ وعزَّ، ولا أرى الشاعر وصدَّق حين رأى وجودَ (قادرين على الكمال) وعجب من نقصهم برغم ذلك، فما إنسانٌ بواصلٍ إلى مقام كمالٍ:

ص	خ	س	ص
للصَّفَانِي، بتخفيف الغين	للصَّفَانِي	٦	٦٧٢
ضِنُّوْهَا	صننوها	٥ من أسفل	٦٧٣
غَيْرِ أَمْرِ	غير آصر	٨ من أسفل	
الأهتبي	الأهتبي	٨ من أسفل	
٢١٨/٦	٨١٨/٦	٤	٦٧٥
الإيادي	الأيادي	١٠	
٦٩٥	٢٦٥	٣	٦٨٥

وختامًا يُحيي محقق «حدائق الآداب» الأستاذ الكريم عباسًا على جمّ تواضعه، ويأبى كلَّ الإباء جُمْلَةً (تحية الجدول للبحر المحيط) لأنها مُثْقَلَةٌ بمبالغة أفقدتها الملاءمة لشخصه الضعيف إلى ربه علمًا وعملاً، وبدنًا وروحًا، وقد أحسَّ بخجل شديد مُخرج، ونظره يقع عليها، لكنه لن يقول عن الأستاذ عباس بأنه (بحرٌ) أو (نهرٌ) فيحاكيه في غلُّوه، بل هو (ينبوعٌ متدفقٌ) أو (عدوٌّ لا انقطاع لمادة مائه). ثم هاهو المحقق، كما طلب الأستاذ عباس، يقبل جيّدَ (نظراته) قبولاً حسنًا، بل يسعد بها، ويعدُّ بأن يكون لها أثرٌ، إن شاء الله تعالى، في الطبعة الثالثة (لا الثانية، فالثانية هي محلُّ النظر)، وأما ما كان اعتياديًا فيقبله قبولاً اعتياديًا، وأما الضرب الثالث فلا يقبله، وقد بين رأيه هذه في هذه الكلمة، وعلى أيِّ حال، فمن رأي كانت هذه السطور المتواضع أن لا موجبَ لاسترضاء أحد، فالعمل العلميُّ مذانٌ تُلْفِظُهُ المطبعة لا يعودُ لكاتبه عليه سلطانٌ، بل يضحى منتجعًا مباحًا لكلِّ مُطلِّ فيه، ومضمارًا لكلِّ جارٍ، وقد قيل قديمًا: (من ألف فقد استهدف) ونضيف: وكذلك من حقَّق أو نقد.

والله تعالى الموفق.

د. محمد بن سليمان السديس

مِمَّا أَخَلَّتْ بِهِ الدَّوَابِين

(١)

أن تؤلف يعني تقرأ، وأن تقرأ قراءة مُتَمَعِّنَةٌ مُتَمَهِّلَةٌ، بمعنى أنك تلاحظ وتوازن فتراجع إلى هذا الكتاب أو ذاك، وإلى هذا الديوان أو ذالك، توازن بين ما تقرأ وما تجده فيهما، فيكون لك من كل ذالك ما ترعّم به أنك استدركتَ على الآخرين شيئاً من أعمالهم المشكورة.

وإذا قمتَ بكلِّ هذا فإني أحمدُ لك أن تقول: إنّه ليس لي في هذا المُستدرك على دواوين الشّعْر العربيِّ إلا أنني قرأتُ، فنسختُ فنشرتُ، أمّا ما سوى ذالك من ادّعاء علم أسألُ الله أن يقيني زهو الآخرين من ادّعاءه، وأسأله أن يرزقني نفعه، وإن زهد الآخرين في هذا الرزق، ولكن بالغوا في عرضه؛ فذالك ما أسأله أن يُجيب دعوتي فيه لخدمة لغة قرآنه الكريم المُعجِز.

وإذن فليس في في هذه المُستدرك إلا أنني قرأتُ فنسختُ فنشرتُ، وأرجو ألا يُحمّل أحدٌ عملي أكثر من هذا؛ لأنّه سيكون مُفْتَتِنًا على الحقيقة إذا فعل. على أنني تعمّدت إهمال ذكر أرقام الأجزاء، والصفحات في ذكر مصادري، واكتفيتُ باسم المصدر؛ وهذا شأنٌ قد درجتُ عليه منذ مُدَّة أدري فيه فسادَ ذمم الآخرين.

هذا ولم أرُتَب المُستدرك على نسق أو منهج وإنما سقته كما اتفق لي. وسأبدأ بشيخ الشعراء أبي الطيب المتنبي فأقول:

«ديوان المتنبي»: يقول ابن أيبك الصفديُّ في «الوافي بالوفيات»: (قال عليُّ ابن ظافر في الذيل على «بدائع البدائه»: حكى أبو الحسين المؤدّب، قال: كنتُ ببغداد في داري أنسخ شيئاً، فدخَلَ أبو الطيب رحمه الله تعالى فقلتُ: يا أبا الطيب إنَّ في شعرك كلَّ مליح، إلا أنك تذكر مصراعاً في معنى فتخرج في

المصراع الآخر إلى غيره؛ فقال لي: أين؟ قلت: في قولك: (لهوى القلوب سريرة لا تُعلم).

وانظرنا أن يتمَّ المصراعُ الآخرُ كشفَ السريرةِ فقلت: (عرضاً نظرتُ وخبِلتُ أني أسلم).

ما في هذا معنى يُطابق المصراع الأول. فخبجل من ذلك وتمشيتُ في الدار وأنا أنسخ، ثم عاد إليَّ وقال: اكتب:

لهوى القلوب سريرةٌ لا تُعلمُ كم حار فيه عالمٌ مُتكلِّمُ
والناسُ مختلفون في تحقيقه وصحيحه فيما أتوه توهمُ
كلُّ يقول، ولا يصحُّ قوله وعلى النجوم يُحيلُ من يتنجمُ
وإذا تفكَّر في الحقائق عاقلُ ضعفتُ قواه وخانه ما يعلمُ
ما فاتني من كلِّ علمٍ سره ومن الحقائق ما يُصان، ويكتمُ
والعلمُ بحرٌ، والقرائحُ ليلةٌ^(١) ومن العناء لسزومٌ ما لا يلزم

أقول: الوضعُ يشي بنفسه في الرواية، ولكن هذا لا يعني أن نهمل الأبيات تماماً؛ فقد يكون من المناسب - في الأقل - أن تُلحق الأبيات بـ «ديوان المتنبي» في باب المنسوب إليه، هذا ولم يذكر العلامة الميمني هذه الأبيات في «زيادات ديوان شعر المتنبي».

ويُستدرَك على ديوانه وعلى ما صنعه العلامة الميمني - تغمده الله برضوانه ورحمته - شطرٌ رواه له أبو بكر الخوارزمي في «الأمثال»، وهو قوله: (تُفرِّقُ بين المسلمين الدراهم).

وأبو بكر ممن يوثق به في رواية شعر المتنبي، فقد عاصره في بلاط سيف الدولة، وبلغ من حبه شعر أبي الطيب بحيث شرحه، كما يقول الشيخ يوسف البديعي في: «الصبح المنبي»... والصفدي في «الوافي بالوفيات».

«ديوان ديك الجن»: أقول: صنع الديوان الشيخ محمد بن طاهر السماوي، فمساها «المُلْتَقَط من شعر ديك الجن»، وقد رأيتُه في مكتبة آية الله الحكيم العامة بالنجف الأشرف، وطَبَعَهُ دون الاعتماد على ما جمع الشيخ السماوي - عليه رحمة الله ورضوانه - الأستاذان عبدالمعین المَلُوحِي، ومحيي الدين الدرويش، لأنهما لم يكونا يعلمان بما صنع الشيخ السماوي، ثم جمَعَهُ الدكتور أحمد مطلوب، وعبدالله الجبوري مُعْتَمِدَيْن على جمع السماوي، دون أن يُشيرَا إلى اسمه على صفحة الغلاف من جمعهما، وإنما اكتفيا بقولهما: (حَقَّقَهُ وَأَعَدَّ تَكْمَلَتَهُ الدكتور أحمد مطلوب، وعبدالله الجبوري).

أقول هذا لأنه كانت الأمانة تفضيهما أن يقولوا: «ديوان ديك الجن» صنعة: الشيخ محمد بن طاهر السماوي، حَقَّقَهُ وَأَعَدَّ تَكْمَلَتَهُ الدكتور أحمد مطلوب وعبدالله الجبوري). أمّا ما خرج به الديوان على الناس من أمر عنوانه فلا.

ثم صدر الديوان مرّة أخرى في بيروت عن دار الفكر اللبناني سنة: ١٩٩٠ بشرح وتقديم عبدالله المُهَنَّا، وصدر مرّة رابعة عن دار الكتاب العربي، بتحقيق وشرح أنطوان مُحَسِّن القوَال.

والحقُّ أنَّ ما جاء بعد طبعتي المَلُوحِي، ومطلوب وصاحبه ممّا يُعَدُّ في باب السرقة، فإن أحسنت الظنَّ فمن باب التجارة.

والمهمُّ في الأمر أن استدرك الأستاذ هلال ناجي على الديوان هذه القصيدة في كتابه: «المُستدرك على صنّاع الدواوين» وكان ينبغي أن يكون استدراكه كافياً، وألا أُعيد ذكرها لا سيّما ونحن نرجع إلى المصدر نفسه الذي هو: «جمهرة الإسلام..» لولا اختلاف قراءتي عن قراءته في بعض المواضع، مما يضطرني أن أُعيد قراءة القصيدة، فأقول: يقول ديك الجن كما رواه الشيرازي في «جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام» المخطوط:

سَهَامٌ لِحَاظٍ مِنْ قِسِيٍّ الْحَوَاجِبِ نَظْمُنَ الْأَسَى فِي الْقَلْبِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

غداة كتبنا في الخدود رسائلًا
تلوح على لباتنا ونحورنا
والسنا خرسٌ كأنَّ خلاخلًا
كفتك النوى عدل المعنى فأقصري
حناء الهوى بالشوق حتى كأنما
بيت على فرش الضنى متملأ
فريسة أشجان طريحًا بكفها
خليليَّ خان الصبر، وانقطع الكرى
خليليَّ عن عيني سلا أنجم الدجى
خليليَّ كم من لوعة قد كتمتها
وهتك سترًا في الحشا كان مسبلًا
فما أفصح الدمع السكوب إذا جرى
سأكحل عيني من بعيد بنظرة
وهل يمعني نظرة إن بلغتُها
وقل لعيني من بعيد تأمل
فعللت نفسي بالذي هو مقني
صفاء، وإخلاصًا، وبقيًا مودةً
وفي النفس منى قد طويت مآربًا
لها من مهة الرمل عين كحيلة
كأنَّ غلامًا حاذقًا خطَّ لها
أقباتي أمّا أنا فمُسالمٌ

بأطراف أقلامِ الدموعِ السّواكبِ
وتبعثها أجفنا نأنا للترايب^(٢)
حكينَ وعاحا للحسان الكواعب^(٣)
بما رمت فيه من فراقِ الحبابِ
بأحشائه للشوق لذع العقاربِ
قليلاً تسليه كثير المصائب^(٤)
وما بين نابي سبعا والمخالبِ
وقد أحكمت عينا ي رعي الكواكبِ
تُخبّر بتسفيد عريض المناكب^(٥)
فأعلنها دمعي لمقلّة صاحبي
على الشوق حتى عنفتني أقاربي^(٦)
وأظهره لطفًا لما في المغايب^(٧)
إلى نارها بالرغم من أنف راغبِ
ولو زهقت نفس الغيور المُخانب^(٨)
ولم أرض إلا حين عزت مطالبي
وأعرضت إعراض البغيض المُجانبِ
بعهد كريم واصل غير قاضبِ
إلى من إليها حاجتي، ومآربي
ومن خضرة الریحان خضرة شارب^(٩)
فجاء كنصف الصاد من خطّ كاتبِ
وأرضى بما ترضين غير محاربِ

ولكن لقومي عند قومك بُغيةٌ
 فإن تقتلني تبعثي الحربَ خدعةً
 فإن يخلُ لي وجهُ الحبيبِ فلأنني
 وإلا فإنَّ السُّرَّ عندي مَكْتَمٌ
 لئلا يرى الواشونَ قُرَّةَ أعين
 وقد زعموا أنني بغيرك مُغْرَمٌ
 ولا، والثنايا الغرُّ من فيك إنها
 تمجُّ مُدَامًا عتقت فتعنستُ
 على فرد رجلٍ قائمٌ غيرُ قاعد
 تمزقَ عنها الدهرُ من طولِ لبثها
 بجلبابِ قارٍ قد تجسَّدَ جسمُها
 ويغشاهما ثوبٌ رقيقٌ سداؤه
 طرفنا أباهَا في جيوشِ من الدُّجى
 فقامَ إلينا مُسرِعًا لسرورنا
 فقلتُ له: هاتِ المُدَامَ فإننا
 فشمَّرَ رُدْنِيه، وقامَ مُبادرًا
 فشدَّ على الأَقصى، فصرَّجَ خَصْرَهُ
 وأقبلَ يسعى بالزُّجاجةِ ضاحكًا
 كأنَّ سحيقَ المسكِ في جنباتها
 كأنَّ نسيمَ الكأسِ عندَ رداها
 كأنَّ دموعَ العاشقينَ تَرقرقتُ

وبينهمُ فيها قراعُ الكتابِ^(١٠)
 علينا فرؤي، وانظري في العواقبِ
 سأنشرُ ما أضمرتُ بينَ الحقائقِ
 دفينٌ على مرِّ الليالي الذَّواهبِ
 ولا يجدوا فينا معًا ما لعائبِ^(١١)
 وعنك عزوفٌ كالصدُوفِ المواربِ^(١٢)
 لكالغيثِ أدتهُ أكفُ السحائبِ^(١٣)
 بأحشاءِ شيخٍ عُدْملي كراهبِ^(١٤)
 له بُرنسٌ يعتدُّه في المناسِبِ
 ولم تتمزقَ في بلاءِ جلائبِ^(١٥)
 وآخرُ من طينٍ وليسِ بلازِبِ
 رقيقُ الحواشي من نسيجِ العناكبِ
 وأيدي الثُّريا في نواصي المغاربِ
 يُفدِّي ويحمينا كبعضِ الأقاربِ
 عكفنا عليها من صدورِ الرُّكائبِ
 إلى وُقْفِ شعثِ قيامِ نواصبِ
 بمثلِ جناحٍ من دمِ الجوفِ شاخبِ
 مُدلاً بها مُستبشراً غيرَ خائبِ
 إذا التمعتُ تفري رداءَ الغياهبِ^(١٦)
 تنسُّمُ عودٍ في صدورِ المُحاربِ^(١٧)
 بأكؤسها تجري على كلِّ شاربِ

لَمَا كُنْتُ إِلَّا مُقْصِدًا بِكَ مُغْرَمًا وَلَسْتُ إِلَىٰ أُنْثَىٰ سِوَاكَ بَرَاغِبٌ (١٨)
إِذَا فَرْمَانِي الْبَيْنُ عَنْ قَوْسِ هَجْرِكُمْ بِأَسْهُمِهَا ذَاتِ الشُّجُونِ الصَّوَابِ
فَقَلَّ كَرِي عَيْنِي لَهُمْ مُسَهَّدٌ وَفَكَرَ طَوِيلَ الذَّيْلِ بِالْقَلْبِ لَا عِبَ
وَيُسْتَدْرَكُ عَلَىٰ «دِيْوَانِ دِيكَ الْجِنِّ» شَطْرُ ذَكَرِهِ أَبُو بَكْرِ الْخَوَارِزْمِي فِي
«الْأَمْثَالِ» هُوَ قَوْلُهُ:

وَخَيْرُ الْقَرَابَاتِ الْمُوَدَّةُ وَالنَّصْرُ

وَيُسْتَدْرَكُ عَلَيْهِ بَيْتٌ ذَكَرَهُ أَبُو بَكْرِ الْخَوَارِزْمِي فِي «الْأَمْثَالِ» أَيْضًا هُوَ قَوْلُهُ:
وَأَقْوَامٍ أَعَزُّ مِنَ الْمَأْقِي تَرَكَتُهُمْ أَذَلُّ مِنَ الْخِصَافِ (١٩)
وَيُسْتَدْرَكُ عَلَيْهِ أَيْضًا أَنْ أوردَ الْمُحَقِّقَانِ فِي تَكْمِلَةِ الدِّيْوَانِ قَوْلَهُ:
بِأَبِي فَمُ شَهِدَ الضَّمِيرُ لَهُ قَبْلَ الْمَذَاقِ بِأَنَّهُ عَذْبُ
أَقُولُ: زَادَ عَلَى الْبَيْتَيْنِ اللَّذَيْنِ ذَكَرَهُمَا الْمُحَقِّقَانِ دَاوودَ الْأَنْطَاكِي فِي: «تَزْيِينِ
الْأَسْوَاقِ» بَيْتًا ثَالِثًا هُوَ قَوْلُهُ:

وَالْعَيْنُ لَا تُغْنِي بِنَطْرَتِهَا حَتَّىٰ يَكُونَ دَلِيلَهَا الْقَلْبُ
هَذَا وَقَدْ سَاقَ دَاوودَ الْأَبْيَاتِ الثَّلَاثَةَ دُونَ أَنْ يَنْسِبَهَا لِأَحَدٍ.
وَيُسْتَدْرَكُ عَلَى الدِّيْوَانِ أَيْضًا مَا وَرَدَ فِي «الدَّرِّ الْفَرِيدِ» مِنْ قَوْلِهِ:
مَنْ لَيْسَ يَدْرِي مَا يُرِي سَدُّ فَكَيْفَ يَدْرِي مَا تُرِيدُ؟
وَيُرْوَى: فَكَيْفَ يَفْهَمُ. وَقَالَ ابْنُ أَيْدَمِرٍ: إِنَّهُ مِنَ الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ.
وَيُسْتَدْرَكُ أَيْضًا قَوْلُهُ الْوَاردُ فِي «الدَّرِّ الْفَرِيدِ»:

وَأَقْتَحِمُ الْكُتَيْبَةَ لَا أَبَالِي إِذَا نَزَلْتُ بِمَا نَزَلَ الْقَضَاءُ
وَيُسْتَدْرَكُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ الْوَاردُ فِي «الدَّرِّ الْفَرِيدِ» أَيْضًا:
تَمَّتْ بِهَا مَا سَاعَفْتِكَ وَلَا تَكُنْ عَلَيْكَ شَجِي فِي الصَّدْرِ حِينَ تَبِينُ

وإن هي أعطتك الليان، فإنها
 وإن حلفت لا ينقض النأي عهدا
 لغيرك من خلانها ستلين
 فليس لمخضوب البنان يمين
 فعنوها وإن كانت وفيًا فإنها
 على قدم الأيام سوف تخون
 أقول: ثلاثة أبيات الأولى رواها أبو تمام في «الحماسة» بدون عزو، وسكت
 المرزوقي عن نسبتها في شرحه، وكذلك فعل التبريزي، ونسبها زيد بن علي
 الفارسي في شرحه إلى أبي دهب الجمحي.

ونسبها أبو بكر الخوارزمي في «أمثاله المولدة» إلى قيس بن الخطيم، ولم
 أجدها في ديوانه، وسكت الوشاء عن نسبتها إلى أحد في «الموشى».

وإذا صدقنا ما تتناقله المصادر عما وقع لديك الجن من خيانة جاريتيه مع
 غلامه، ومن قتله إياهما قلنا: إن الأبيات - أليق أن يقولها ديك الجن من أن
 يقولها قيس بن الخطيم أو أبو دهب الجمحي.

ويستدرك أيضاً بيت ورد له في «الدر الفريد»:

ولو قالت الأيام: هل لك حاجة لقلت لها: الأيسر حسود
 بقي أن أقول إن الأستاذ هلال ناجي قد سها في مستدركه على ديك الجن
 فاستدرك قوله:

ظلت مطايا الملاهي وهي واجفة بنا وظلت مطايا الورد والأس
 في موضعين من مستدركه: مرة تحت رقم: ٣٥، وأخرى تحت رقم: ٣٦،
 والحقيقة أن المقطعتين من قصيدة واحدة. وسأرتب المقطعتين مستعينا بابن
 أيدمر على النحو التالي:

واصل مدامك واهجر قالة الناس
 ورح إلى صدر ملهى خير جلاس
 إلى ثمار سرور في ثرى قدح
 في فتية غرر ليسوا بأنكاس
 باكرتها قبل إسفار الضحى بيدي
 فما تبلج حتى نكست راسي

ظَلَّتْ مطايا الملاهي وهو واجفةٌ بنا، وظلنا مطايا الورد والأس...

هذا ورواية البيت الرابع أجود عند ابن أيدمر مما هي عند سواه.

أبو الشمقمق: جمع ديوانه المُستعرب غوستاف غرونباوم، في كتابه: «شعراء عباسيون» وترجمه إلى العربية الدكتور محمد يوسف نجم، ويُستدركُ عليه ما رواه ابنُ المرزبان في كتابه «ذم الثقلاء»^(٢١) من قوله: (حدثنا عبدالمؤمن بن عبدالله، قال: قدم علي أبي الشمقمق ابنُ عمِّ له من البصرة زائراً، فأقام عنده أياماً [ودفع] إليه شيئاً، وخرج، فأنشأ يقول:

ألا يا أوخم الثَّقَلَيْنِ طرّاً
قَعَدتْ، كأنما الرحمان ربِّي
فلا تبغي الشخصوصَ، ولا تشكِّي
قعودك، ما قعدت، عليَّ عَمِّ^(٢٣)
فلا والله لا أنسأكَ حتى
ولو في جَنَّةِ كَنَّا جميعاً
إذا خَلَيْتُهَا، وخَرَجْتُ منها
قال: فلما أخذ ابنُ عمه الذي أعطاه، إذا ابنُ عمِّ له آخر وقد ورد عليه، فأقبل يتأملُهُ قبل جلوسه، ثم أنشأ يقول:

ألا يامعشرَ الثقلاء أنتم
إذا ما غابَ كانونُ فولَّى^(٢١)
كوانين [ولكن]^(٢٥) من حديد
أتى دهرٌ بكانونٍ جديدٍ
ثم جلس فتحدثا ساعةً، ثم ابنُ عمِّ له آخر ورد، وهما يتحادثان، فجلس، ثم أنشأ يقول:

ياثقيلان قد عرضتُ [نداءً]
أنتما معدنُ الرصاصِ فقوما
بهما]^(٢٧) طارفي وكلُّ تلادي
قد شكَا منكمُ إليَّ فؤادي

محمد بن حازم الباهلي: صنع ديوانه الدكتور محمد خير البقاعي، ومما
يُستدرَك عليه ما ورد في «ذم الثقلان» من قوله: قال: أنشدني ابن حازم:
لا زلتَ في غربة وفي سفرٍ حتى تحطَّ الرحالَ في سَقَرٍ (٢٨)
فبئس ضيفُ الكريمِ مغترباً وبئس جارُ الأقوامِ في الحَضَرِ
وقوله في الكتاب نفسه:

في غير ستر الله من سارا لا قَرَّبَ الله به الدارا
لَو سَخَطَ اللهُ على ناره لَعَذَّبَ اللهُ به النَّارا
وقوله في «تلقيح العقول» لبرية بن أبي اليسر الرياضي: (٢٩)

يا خاضبَ الشيبِ الذي في كلِّ ثالثة يعودُ
إنَّ النُّصُولَ إذا بدا فكأنَّه شيبٌ جَدِيدُ (٣٠)
ولهُ بديهة روعة مكروهُها أبداً عتيدُ
فدع المشيبَ كما أرادَ فلن يعودَ كما تُريدُ
وقوله في الكتاب نفسه:

يا أسيرَ الطَّمَعِ الكا ذبِ في ذُلِّ الهوانِ (٣١)
إنَّ عَزَّ اليأسِ خيِّرُ لك من ذُلِّ الأمانِ
ربَّما أعوزَ ذو الحِرمِ وأثرى ذو التوانِ
سامحِ الناسَ إذا غُرُوا تَنَلُ صَفْوَ الأمانِ
لو تَطَمَّعتَ بروحِ الي أسِ يا بدرَ الأمانِ (٣٢)
وقوله في المصدر نفسه:

رخيصُ: (كيف أنت) إذا التقينا
فإن يكن الرخيصُ تريدُ منهمُ
تجدُ منهمُ مُسالمةً وبراً
وغال عندهم صلةُ الصديقِ
فقف لهم على ظهر الطريقِ
وتسليماً يزيدُ على الحقوقِ

وروى ابن أَيْدَمِرٍ من شعره في: «الدرّ الفريد وبيت القصيد» أسوقها كما رواها.

قال ابن حازم الباهليُّ:

ما تصحبُ البازيَّ قُمريَّةً ولا عُرابَ الزرعِ خُطافُ
وقال:

من لم يكنْ لكَ مُنصفًا في الودِّ فابغِ بهِ بديلاً

وقال (وسماه أبا حازم)، وقد ورد منها ثلاثة أبيات في ديوانه، وهذا هو تمامها:

من يُخبِّبُ رُكَّ بَشْتِمٍ عن أخٍ فهو الشَتَاتِمُ لا مَنْ شَتَمَكُ

هو لولا كُلفَةُ الجَهِلِ لَمَّا بَلَغَ الغِييَّةَ عَمَّنْ هَضَمَكُ

كيفَ لم ينصركَ إذ كانَ أخًا ذا حفاظَ عند مَنْ قد ظَلَمَكُ؟

إنَّمَا رامَ بإعلامِ الذي نَمَّ فيه، فاعلمنْ، أن يُرغمَكُ

ذاكَ أمرٌ لم يُواجهكَ بهِ إنَّمَا اللومُ على مَنْ أعلَمَكُ

إنَّ ذا اللومِ إذا أكرمتَه حسبَ الإكرامِ حقًّا لزمَكُ

فأهنئه، إنَّه من لومِه إن تَسُمُّهُ بهوانِ أكرمَكُ

لكنَّ الحرَّ إذا أكرمتَه لم يُصغُرْكَ، ولكنَّ عَظَمَكُ

وقال:

والرُّزْقُ لا يأتي امرءًا نالَهُ بحيلةِ المرءِ ولا رفِقِهِ

وقال:

وجدتُ من الهوى نارًا تَلظى على كبدي وتلتهبُ التهابا

وداءُ الحبِّ أهونُ شديداً وداءُ الحبِّ يقتلُ من أصابا

وقال:

وربَّ عَيِّابٍ له منظَرٌ مُشتمِلُ الثوبِ على العيبِ

وقد ورد هذا البيت في مخطوطة «تلقيح العقول» بدون عزو، وروايته: ربَّ
عياب...

وذكر له جامع ديوانه قوله من ثلاثة أبيات:

وفعلتَ بي فعلَ المهلَّبِ إذ غمرَ الفرزدقَ بالندى الدثر
أقول: ورد عند ابن أيدمر قبله قوله:
ولقد جنحتَ إلى مسالمتي وركنتَ بعدَ تفاقمِ الأمرِ
وقال:

لا تكذبنُ فصلاً من جهلِ الكرامةِ في هوانه
وقال:

يزدادُ لؤماً على المديح كما يزدادُ نتنُ الكلابِ بالمطرِ
إنَّ الذي يرتجي نذاكَ لكالـ فغاسلٍ من ثوبه خراً بخـرٍ
وقال:

إذا ما امرؤٌ من ذنبه جاء تائباً إليك، ولم تغفر له فلك الذنبُ
وقال:

إذا ما دعوتَ الشيخَ: شيخاً هجوتَه وحسبُك مدحاً للفتى قولُ: يافتى
أشبههُ أيامَ الشبابِ التي مضتُ وأيامنا في الشيبِ بالفقرِ والغنى
وهما له، في «حلية المحاضرة»؛ والأول منهما له في «محاضرات الأدباء»،
وهما لمحمود الوراق في «بهجة المجالس»، وفي رواية الثاني منهما خلاف.
وهما في «تلقيح العقول» بدون نسبة. وقال:

الناسُ فيما أرى عندي بأنفسهم لا بالعيون، وبالأسلافِ والسكِّبِ
وقال:

إن كنتَ متخذاً خليلاً فتنقُ واتخذِ الخليلاً

والحرصُ داءٌ قد أضرَّ (م)
كم من عزيزٍ قد رأيتُ
فتجنَّبَ الشَّهَوَاتِ، واحـ
فلربُّ شهوةَ ساعةٍ
إضربُ بطرفِكَ حيثُ شئتَ (م)

وقال:

قد ذُقْتُني فوجدتني مُرًّا
سهلَ الخلائقِ ذا مُحَافِظَةِ
وإذا أرادَ هُزيمتِي رَجُلٌ
وإذا تجبَّرَ صاحبٌ وزها
وإذا استكانَ لدى الغنى ضرعٌ
وإذا تضيَّفني الزمانُ بصرفه
وإذا نبأ بي منزلٌ وجفأ
إنَّ القناعةَ ما علمتَ غني

وقال:

بان عن الأشكالِ في حُسنه
يُغنيكَ عن بدرِ الدُّجى وجهُهُ
كم قد تلهى بهوى غيره

وقال:

ما كان قُوتي يمون دون غدي
ربُّ فقيرٍ أعزَّ من أسدٍ

بمن تَـرى إلا قليلاً
ت، الحِـرصُ صيِّره ذليلاً
ـذُرْ أن تكونَ لها قتيلاً
قد أورثتُ حُزنًا طويلاً
فلن تَـرى إلا بخيلاً

وبلوتني فوجدتني حُرًّا
آبى الصَّغَارَ، وأمنعُ القَسْرَا
أبليتُ دونَ تهضمي عُذرا
يومًا عليَّ أعرثُهُ كبرا
يرجو جداهُ رمقتهُ شزرا
وكبا عليَّ قريتهُ صبرا [كذا]
عني تركتُ عراصه قفرا
والحرصُ يُورثُ أهله فقرا

فلم تقع عينٌ على شبيهه
والبدرُ لا يُغنيكَ عن وجهه
قلبي فأغـراهُ، ولم يُلـهيه

فليس بي حاجةٌ إلى أحدٍ
وربُّ مُثـرٍ أذلَّ من نَقـدٍ

والناسُ صنْفانِ في زمانِكَ ذا لو تبتغي غيرَ ذينِ لم تجدِ
هَذَا بخيلٌ وعندهَ سَعَةٌ وذا جوادٌ من غيرِ ذاتِ يدِ
ويروي ابنُ أيدَمَرِ نفسُهُ: (رب فقير) علي: (رب عديم)، ويروي: (وعنده
سعة) علي: (وعنده جدة). ولا يبعد أن تكون هذه الأبيات من مُقطّعه التي
وردت على الصفحة السابعة والأربعين من ديوانه. وقال:

سؤالُ الناسِ مفتاحُ عتيدٌ لبابِ الفقرِ فازهدْ بالسؤالِ

الجاحظ: جمع ديوانه الدكتور محمد جبار المعبيد في «شعراء بصريون من
القرن الثالث الهجري، دراسة ونصوص»، مط الإرشاد، بغداد، ١٩٧٧.

ويستدرك عليه ما ورد في «تلقيح العقول» الألف الذكر من قوله:

إني أرى شَجَرًا توردَ غصنُهُ أخلقُ به مُتوردًا أن يُثمرا
وإذا السماءُ تمخّضتْ برعودها وبروقها فجديرةٌ أن تُمطرا
وقوله:

ذكرتُ مواعيدَ الأميرِ ابنِ طاهرٍ ومثلُ العطايا في الأكفِ عداثُهُ
وركبتُ ما لم أرجهُ من عطائه فكنتُ كمن حانتْ عليه زكاته
وروى ابنُ أيدَمَرِ له شعراً غيرَ قليلٍ، ولكنني لم أستطع أن أشير إليه؛ لأنني لا
أمتلك الديوان هنا.

أبو يعقوب الخريمي: وصنع ديوانه أستاذي المغفور له العلامة الدكتور علي
جواد الطاهر، والدكتور محمد جبار المعبيد، وطُبع في دار الكتاب الجديد
ببيروت سنة: ١٩٧١.

ويُستدرك على الديوان ما ورد من قوله في «تلقيح العقول»:

يُريحُ أملهُ تعجيلُ نائله والنيلُ أروحهُ للقلبِ أروحهُ
يُعطي ابتداءً فإن يُضمِرْ لمعتمدٍ وعداً فليسَ إلى الإذكارِ يُحوجهُ

ومن قوله:

زانتُ يديهِ ثلاثٌ قلَّما اجتمعتُ
فحظُّها أربعٌ منِّي مُوقرةٌ؛
فيها ابتداءٌ، وتعجيلٌ، وإجزالٌ
حمدٌ، وشكرٌ، وتعظيمٌ، وإجلالٌ
وما قلته عن ابن أيدمر والجاحظ أعيدته هنا ملاحظاً أن الذي رواه من شعره
في «الدر الفريد» شيء كثيرٌ.

ابن أبي طاهر: وصنع الأستاذ هلال ناجي شعر ابن أبي طاهر فنشره في دار

الغرب الإسلامي ضمن «أربعة شعراء عباسيون» سنة ١٩٩٤.

ومما يُستدرَك عليه ما ذكره ابن أبي اليسر الرياضي في «تلقيح العقول» من
قوله:

سحائبُه لا البرقُ منها بخُلبِ
ولا وعدُه للسامعينِ بمُرْعِدِ
ومن قوله:

لقد هتَكَ الشبابُ الشيبَ جدًّا
إذا ما زاد عُمرُكَ كان نَقْصًا
كما هتَكَ الصبَاحُ دجى الظلامِ
ونُقْصانُ الحِياةِ مع التَّمَامِ
ومن قوله:

وفتَى خِلا من مَسالِه
أعطاكِ قبلَ سِؤالِهِ
ومن المروءةِ غيرُ خالِ
فكفالكِ مكَروهُ السِؤالِ
ومن قوله:

وبادرِ بمَعروفِ إذا كنتَ قادراً
ومن قوله:

وصدَّقوا في أقوالِ تقولِها
فإنَّ تصدِّي بلا جُرمٍ، ولا ترة
زوالِ اقتدارِ أو غنى عنكَ يذهبُ (٣٣)
ساعٍ، ولستُ لمن يسعى بمطواعِ
وتُولعي في ظلمًا أيَّ إيلاعِ
حُبًّا أقامَ هواهُ بين أضلاعي
فقد يرى الله أني قد أجنُّ لكم

ولستُ على ثقة تامّة من نسبة هذه الأبيات الثلاثة إلى ابن أبي طاهر؛ فقد رواها بريّة بقوله: (أخبرنا أبو محمد الأبحريّ، قال: وجد أبو العيّناء على أحمد ابن أبي طاهر لشيء بلغه عنه، فوافاه أحمد بن أبي طاهر؛ فقال له...); فمن أسلوب بريّة في كتابه ألا يُفرّق بين التمثّل، والقول. ويُستدرك عليه ما رواه ابنُ شمس الخلافة في مخطوطه: «كتاب الشعر» من قوله:

أَلَا حَبَّذا سَلَمَى، وَأَرْضٌ تُحَلُّها وَثُوبٌ عَلَيْها فِي الثَّيَابِ رَقِيقٌ
وَفِي القَلبِ مِنْ سَلَمَى الَّذِي ما دَرَى بِهِ عَدُوٌّ، وَلَمْ يَظْهَرُ عَلَيْهِ صَدِيقٌ
أَمّا قولُه تحت رقم: (٥٣):

إذا أبو أحمد جادت لنا يدهُ لم يُحمدِ الأجدانِ: البحرُ والمطرُ
ففيه شيثان، أولهما أن القول ليس خالص النسبة لابن أبي طاهر، فقد رواه ابن شمس الخلافة في: «كتاب الشعر» على أنه لابن أبي البغل الكاتب، وأثبت الدكتور حسين نصّار شيئاً منه في زيادات «ديوان ابن الرومي»، ونسبها ابن رشيق في «العمدة» إلى أحمد بن محمد الكاتب، ولا أعرف إن كان يقصد به أبا العباس ابن ثوابة أم أبا عبدالله؟ إذ كلاهما أحمد بن محمد الكاتب.

وإذن هي غير خالصة النسبة لابن أبي طاهر، ولو استوفى الأستاذ هلال تخريجها في مظانها لأدرك هذا - من دون شك - ولجعلها في المنسوب إليه، هذا ومن دأب الأستاذ هلال ناجي - كما يقول هو عن نفسه - الاستقصاء فيما ينشره (الأمر الذي يقطع الطريقَ على مَنْ يريدُ سلوكَ السبيلِ ذاته) (٣٤)، هذه واحدة، فأما الثانية فهي أنه ورد بيتان عند ابن شمس الخلافة لم يحوهما الديوان، ولكي يُتبيّنَ موضعهما من القصيدة فسأورد الأبيات التي أوردها ابن شمس الخلافة جميعاً وروايتها عنده مختلفة عما ورد في شعره.

يقول ابن شمس الخلافة: (وقال ابنُ أبي البغل:

إذا أبو قاسم جادت لنا يدهُ
فإن تراءى لنا يوماً بغرته
وإن مضى رأيه أو حُدَّ عزمته
من لم يمت قلقاً من خوف سطوته
ينال بالظن ما يعيا العيانُ به
كأنه وزمام الدهر في يده

هذا وقد رجع جامع شعره إلى «الدرُّ الفريد» ففاته أن يخرج طائفةً منه عليه،
ففي هذه القصيدة مثلاً رجع إلى ٣: ٢٣٠ وكان البيت الخامس منها قد ورد في
الجزء الثالث، والسابع في الجزء الخامس منه، والثامن في الجزء الأول،
والتاسع في الجزء الثاني.

ومرَّ على المقطعة: (١٥) فخرَّجها على «إرشاد الأريب»، وأخبار أبي تمام،
وهي في «الدرُّ الفريد» وفي روايتها خلافات مهمَّة.

وأثبت لابن أبي طاهر قوله تحت رقم: (٥٢) بيتين هما:

أما رجاء فأرجا ما أمرت به فكيف إن كنت لم تأمره ياتمر
بادر بجودك مهما كنت مقتدرًا فليس في كلِّ حالٍ أنت مقتدرٌ
مُخرِّجًا البيتين بقوله: «إرشاد الأريب» ١: ١٥٤.

أقول: لو رجع الأستاذ هلال رجوعاً مُتمعنًا إلى «الدرُّ الفريد» لوجد عند ابن
أيَّدمر فائدةً مهمَّة هي قوله:

(أما رجاء فأرجى ما أمرت به فكيف إن كنت لم تأمره ياتمر
بادر بجودك إمَّا كنت مقتدرًا فليس في كلِّ وقتٍ أنت مقتدرٌ

وهذا البيت يروى للبحثري وهو هنا تضمين). وعُدتُ إلى طبعة دار الكتاب
العربي من «ديوان البحثري»، فوجدتُ البيت الثاني مما يُنسبُ إليه. لذلك كان
مناسبًا أن يُشار إليه.

وأثبت لابن أبي طاهر مقطعته التي أولها:

وتاه سعيداً أن أعيّر رئاسةً وقُلِّدَ أمراً كان دون رجاله

تحت رقم (٩٤) وهي من خمسة أبيات، ولو كان رجوع إلى «الدر الفريد»
مُتمهلاً لخَرَجَها عليه، ولوجده يقول: إن الأبيات للبحثري، وتُروى لابن أبي
طاهر، ورجعتُ إلى «ديوان البحثري»، فوجدتُ أربعة أبيات منها له.

هذه أمثلةٌ على سبيل الاستشهاد لا الحصر ضربتُها مما فات الأستاذ هلال من
فوائد، وهو يعتمد «الدر الفريد» مصدرًا من مصادره.

بقيت هنالك أشياء أظنُّ أن إيرادها لا يخلو من فائدة. فمن هذه الأشياء أن قرَّرَ
الأستاذ هلال على الصفحة: ٢٧٩ صحة ما ذهب إليه الصوليُّ من (أنَّه صحفيُّ)
قائلاً: (... أراد أنه لم يدرس على عالمٍ أو شيخٍ بالذات،... [و] هذا صحيحٌ
عرفناه عند الحديث عن مصادر ثقافته...).

أقول: وعلى أن الأستاذ هلال يُقرُّ بأنَّ صاحبه صحفيٌّ إلاَّ أنه لم يتحرَّج أن
يسردَ علينا قائمةً بأسماء مَنْ روى عنهم، ونحنُ نعرفُ أن الرواية لا تكون إلاَّ
بالمشافهة كأن يقول الشيخ: حدثنا فلان فيحفظ عنه تلميذه هذا الحديث ثم
يرويه عنه بسنده للناس. فإذا كان ابنُ أبي طاهر صحفيًّا فكيف تهيأ له أن يروي؟
إنَّ ابنَ أبي طاهر وهو يزعمُ أنه روى لا يعدو أن يكون مُدلسًا.

ومع هذا، أحصى الأستاذ هلال ناجي مَنْ روى عنهم ابنَ أبي طاهر فقال: إنَّ
ممن روى عنهم محمد بن سعد ثم قال في الحاشية: («بلاغات النساء» ص ٥٥،
وورد باسم عبدالله بن أبي سعد في «البلاغات» ص ١٨٤ فلعلَّهما شخصٌ واحدٌ).

أقول: لا يُمكن بأيِّ حال من الأحوال أن يكونا شخصًا واحدًا، إذ هما
شخصان، فعبدالله بن أبي سعد هو: (أبو محمد الوراق: عبدالله بن عمرو بن

عبدالرحمن بن بشر الأنصاريّ، بلخيّ الأصل، سكن بغداد، وحدث بها... وروى عنه... ابن أبي الدنيا، ومحمد بن خلف بن المرزبان... ولد سنة: ١٩٧ هـ ومات سنة (٢٧٤)، فإذا عرفنا أنّ ابن المرزبان من معاصري ابن أبي طاهر، ومن أصدقائه لم يعسر علينا أن يكون ابن أبي طاهر قد روى عنه كما روى عنه صديقه ابن المرزبان، ولا أعرف بعد هذا كيف توحد اسم عبدالله بمحمد، ولا أعرف كيف توحد اسم عمرو بـ (سعد).

أما محمد بن سعد فغير بعيد أن يكون كاتب الواقدي صاحب «الطبقات»؛ فقد روى عنه ابن أبي الدنيا أيضاً، وكان لأحمد يوم توفي محمد ست وعشرون سنة. ومن الذين روى عنهم ابن أبي طاهر ممن لم يذكرهم الأستاذ هلال: علي بن خيار.

وكما أجهد الأستاذ هلال نفسه مشكوراً مفضلاً في تعداد أسماء من روى عنهم فقد أجهد نفسه أيضاً في تعداد أسماء كتبه، فأحصى منها أربعة وخمسين كتاباً، كان أربعة منها مما لم يذكره ابن النديم وياقوت.

أقول: وفاته كتاب آخر في هذه القائمة لم يذكره لا ابن النديم، ولا ياقوت، ولا ابن خير، وإنما ذكره الصفدي وهو كتاب: «من كان بسامراً [ء] من الكتاب والشعراء».

أما «رسائل ابن أبي طاهر» التي جمعها الأستاذ هلال من مصدرين لا ثالث لهما أعني: «ديوان المعاني»، و«جمهرة رسائل العرب»؛ فقد وجدته يوم كانت المصادر قريبة من يدي قد كتبت على آخر صفحة من الكتاب: أنه أخلّ بمجموعه برسالتين أوردتهما الجاحظ في رسائله، ولا أعرف الآن مقدار صحة ملاحظتي لأنه لو كانت الرسائل بين يدي لامتحنت ما قلت، ولا أشك في أنّ الأستاذ هلال سيفعل فإن وجدني على صواب أضاف هاتين الرسالتين إلى رسائله، وإن وجدني مخطئاً أشار إلى خطأي في استدراكهما.

وأعيد القول: إنَّ عملي لا يعدو أن يكون أنني قرأتُ فنسختُ فنشرتُ، وإنَّ ما
الأحظُّه لا يُنقِصُ من عمل الأساتذة الذين أستدرك عليهم.

(للبحث صلة)

جامعة آدم متسليفج - بولندا: د. محمد حسين الأعرجي

الحواشي:

(١) كذا هو صدر البيت. ولعلَّ صوابه: والعلمُ دهرٌ والقرائح ليلةٌ

(٢) في الأصل: للتوايب، وقد قرأها الأستاذ هلال في المستدرك: ٣٣١ لنوائب.

(٣) كذا هو عجز البيت في المخطوط، وقد قرأه الأستاذ هلال: حكينَ وشاحاً للحسان الكواعب. دون إشارة
إلى ما في الأصل. ولم أمتد إلى العلاقة بين الخَلخال والوشاح، ولا إلى صواب الكلمة، ولكن يغلب
الظنُّ أنَّ وعاحا محرّفةٌ عن: وحاشا، فكأنَّه قال: إنَّ السننَا حكين الخلاخل في الخرس، ثم استدرك فقال:
حاشا الكواعب أن يُحكَيْنَ.

(٤) كبير: غير معجمة في الأصل ورجحتُ قراءة: (كثير) لقوله: ... قليلاً تُسليه... هذا إلى أن الأستاذ هلال
قرأها القراءة نفسها، ولكن أثبت صدر البيت: بيتٌ على فرش القنا مُتملماً. والذي في المخطوط:
الضنى، وإلّا فما للعاشق والرماح؟

(٥) في المستدرك: تُخَيِّرُ؛ وينكر الوزنُ بهذا الضبط، ولعلَّه تطيعٌ.

(٦) في المستدرك: وهتك... ولا شك في أنه من جنبايات المطبعة، حتى ولو كانت مطبعة المجمع العلمي
العراقي!

(٧) ... وأظهره... غير معجمة في الأصل، مما جعل الأستاذ هلال في المستدرك: ٣٣١ يقرأها: وأظهره
لطفاً... المغايب. والصواب ما أثبتته بدالاتي: فما أفضح، والمغايب.

(٨) في الأصل: المحايب، ووضع الناسخ تحت الحاء علامة الإهمال وليس لها من معنى، وقرأها الأستاذ
هلال: المجانب، وبقراءته يكون في القصيدة إبطاء، والمخانب الأحمق المختلج الذاهب مرةً هنا ومرة
هناك، ومن معنيهِ المُتَكَبِّرُ.

ولا أعرف كيف تكون خُضرةُ الرياحان حُمرةً في الشُفة، وعندني أن الخضرة الثانية بمعنى السواد، أي: أن
شفتها لمياء.

(١٠) لم تُعجم الباء من بغية في الأصل، فقرأها الأستاذ هلال: نُغبة: والنغبة: الجرعة فلماذا يكون عليها قراع
الكتائب؟

«المجموع اللفيف» للأفطسي

[الأستاذ الدكتور جليل العطية من أبرز المعنيين بالتراث العربي، تحقيقاً، وبحثاً، ووصفاً، وقد عاصر عدداً من العلماء المهتمين به كالدكتور مصطفى جواد وغيره، وقد مكنته دراساته في هذا الموضوع ورحلاته التي زار خلالها أهم دور الكتب في العالم بأن يبرز في هذا الجانب في عهدنا الحاضر، وقد نشرت له جريدة «الشرق الأوسط» - ع ٧١٤٤ في ١٤١٩/٢/٢٦ - وصفاً لكتاب مخطوط هو «المجموع اللفيف» للشريف القاضي أمين الدولة محمد بن محمد بن هبة الله الأفطسي (٥١٨/٤٦٢)، والكتاب بخط المؤلف، اطلع عليه الأستاذ جليل العطية في (المكتبة الوطنية) في باريس برقم (A R ٣٣٨٨) ومن وصفه: أنه يضم أخباراً وحكايات وأشعاراً وطرائف انتقاها من مصادر ضاع أغلبها اليوم، ومما نشر عنه قوله:]

قبل أكثر من ثلاثين عاماً التقيت الدكتور مصطفى جواد في مكتب الدكتور يوسف عز الدين - الأمين العام للمجمع العلمي العراقي في بغداد، وكان مكتب الأخير مباءة لأهل العلم والأدب والظرف، فدار حديث حول نوادير المخطوطات العربية في المكتبات الأوربية، فأخذ بنا (الجواد) في مسارب وشعاب تتصل بتجربته الباريسية، فرجوته أن يزودني بقائمة تشتمل على أكثرها ندرة وأصالة، فضحك وسألني: أتحلم بزيارة مدينة (هوغو) و (موباسان)؟

● أجبته على طريقته: - لم لا ياسيدي؟ أليست الأحلام مجانية؟

بعد ذلك اللقاء الجميل بأيام سلمني ورقتين تضمنان قائمة بأسماء اثنتي عشرة مخطوطة مع معلومات مكتوبة بخطه الدقيق، المعنى به.

كان ضمن القائمة: «المجموع اللفيف» للشريف القاضي أمين الدولة محمد ابن محمد بن هبة الله الأفطسي، النسابة، بخطه رحمه الله (الرقم AR ٣٣٨٨).

وعندما يسر الله زيارة باريس والإقامة فيها بعد ذلك اللقاء بأكثر من عشر سنوات - مسحت المخطوطات العربية الموجودة في مكتبها الوطنية - (وهي اليوم تزيد على ثمانية آلاف) - تأكد لي صواب رأيي..؟ خططي بغداد الأول وفارسها المجلي. أما مخطوطة «المجموع اللفيف» للأفطسي فتقع في أكثر من مئتي ورقة - مكتوبة بخطه المتقن، الدقيق، وتضم أخباراً وحكايات، وأشعاراً وطرائف،

انتقاها من مصادر ضاع أغلبها اليوم - المخطوطة لا تحمل تاريخ النسخ، لكنها مكتوبة في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) أي قبل أكثر من تسع مئة سنة، وهي مضطربة الترقيم.

والغريب أن يتجاهل المؤرخون وأصحاب كتب الطبقات والسير مؤلف الكتاب، فلم أعثر له على ترجمة في المصادر المتداولة، إلا أن المقرئزي: (٨٤٥هـ - ١٤٤١م) تلافى هذا التقصير، فترجم له في موسوعته «المقفي» دار الغرب الإسلامي - بيروت ١٤١١هـ - ١٩٩١م - ج ٧: ص ٩٦ الرقم ٥١٨١، فقال: ولد بطرابلس في سنة اثنتين وستين وأربع مئة، وأخذ النسب عن (ابن بلقطة العلوي النسابة) بطرابلس (الشام) وكتب على طريقة (ابن مقله) وقدم القاهرة سنة إحدى وخمس مئة، ومدح الأفضل شاهنشاه الجمالي..

ونقل عن القاضي الرشيد في كتاب «جنان الجنان، ورياض الأذهان» ما نصه: من القضاة الأدباء، والشيوخ الظرفاء، شاهدته بمصر في سنة سبع عشرة وخمس مئة، فرأيت شخصاً كامل الأدوات، قد أحرز الفضل في كل الجهات، ومحلّه في أهل الأدب، يوازي محلّه في العلم والنسب.

وقال ابن عساكر: كان من أهل الأدب، وله معرفة بأنساب قريش، توجه إلى مصر، وكان قد قدم دمشق سنة اثنتين وتسعين وأربع مئة، وله ديوان ومن شعره:

أحبابنا لو سرّتمُ سيرة الهوى	لكنتم لقلبي مثلماً لكم قلبي
عتبتم وما ذنبي سوى البعد عنكم	وإني لأهواكم على البعد والقرب
فلا تجمعوا بين الفراق وعتبكم	ولا تجعلوا ذنب المقادير من ذنبي

والمرجح أنه توفي سنة ٥١٨هـ.

تجسد أهمية «المجموع الليفي» في أنه احتفظ لنا بنوادير نقلها من مخطوطات مفقودة، أهمها ما نقله من آثار الوزير المغربي أبي القاسم الحسين ابن علي [٣٧٠ - ٤١٨هـ] ولا صلة لهذا الوزير بالمغرب، بل هو عراقي، نُسب أحد أجداده - علي بن محمد - إلى المغرب، لأنه كانت له ولاية في الجانب

الغربي ببغداد.. وقد وُصف بالعلم والذكاء والدهاء قال الشيخ حمد الجاسر في مقدمة نشرته لكتابه «أدب الخواص» [منشورات النادي الأدبي في الرياض ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م]: ولعل تمكن ابن المغربي في اللغة هو الذي حمل المعري ليكتب إليه رسالتيه المعروفتين.. وهما «الرسالة الإغريقية» و «الرسالة المنيحية». وذكر (الشيخ الجاسر) في نشرته لكتاب «الإيناس في علم الأنساب» [منشورات النادي الأدبي في الرياض ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م] ما نصه: لقد اتجه (ابن المغربي) إلى التأليف في سن مبكرة، لقد أَلَّف كتاب «المنخل» وهو في الرابعة عشرة من عمره.

وخصّ الدكتور إحسان عباس (ابن المغربي) بكتاب عنوانه: «الوزير المغربي: العالم الشاعر، الناثر الثائر» دراسة في سيرته، وأوجه ما تبقى من آثاره [دار الشروق - بيروت - ١٩٨٨] وإضافة إلى هذا تحفل مخطوطة «المجموع اللفيف» بقصائد ومقطوعات شعرية قديمة غاب الكثير منها، عن الدواوين الشعرية التي صنعها المعاصرون لمن فقدت دواوينهم!

أهذا كل شيء؟!!

حسنا فلنقرأ معاً أشياء مما انتقيتها من هذه المخطوطة الفريدة:

- دعاء لقيام الليل: (اللهم إني في أمانك وضمائك ورجائك، لا تؤمنّي مكرك ولا تنسني ذكرك، انبهني لأحبّ ساعاتها إليك، حتى أقوم إلى طاعتك. أقوم إن شاء الله وقت كذا وكذا:

- آخر: (في صحة كلمة أشغلت):

أما ودعاء المحرمين عشيةً
لقد تركتني ما أرى رسم منزل
أقامت على قلبي رقيباً من الهوى
إذا قلت: داوى الصبرُ صدعاً ثنى الهوى
لعمرك ما يخفى وإن كان كاتماً
إذا ما علّوا بطحاء مكة أو جمعا
تهومته (؟) إلا سكبت به دمعا
وطيفاً على طرفي وأشغلت السمع
إلى كبدي حتى يجيد به صدعا
على صحبتي مابي إذا علّوا الجزعا

قال الوزير أبو القاسم (الحسين بن علي المغربي) مما نقلته من خطه: هذا شاهد على: أشغلت، وهو بخط قديم لشاعر قديم.

- إبراهيم بن المنذر قال: حدثني جعفر بن كثير قال: سمعت أبا عوانة الأنصاري، وهو يقول: إن للعقل جَمَامًا بالغدوات ليست له بالعشي.

- أنشد هزيم بن زيد اليربوعي ليزيد بن الطثرية - وطرحي من اليمن - وقال أبو محضة الأعرابي - هذه والله من مغنج الكلام:

بنفسي من لومرَ بَرْدُ بنانه على كبدي كانت شفاءً أنامله
ومن هابني في كل شيء وهبته فلا هو يعطيني ولا أنا سائله

- [أسطورة تل بني شقيق]: - في كتاب الموفق بالله إلى أهل الأمصار بخبر تل (بني شقيق) كتبه (الأصبهاني الكاتب): الحمد لله مقيم أعلام الحجة، مبيّن آثار القدرة، مُحدث بدائع الصنعة، قاهر الأمور بالعزّ والغلبة، مالك قلبها وتديرها بالحكمة، محيي النفوس بعد إمامتها وممضي الأمور في حالتي ابتدائها واعادتها.

إن الخبر ورد علينا، وكُتِبَ عمّالنا وصاحب بريدنا بكور كسُكر، أن تلاً يُعرف بتل بني شقيق انفرج عن سبع حفر، فيها أبدان ناس ووجدت غضة طرية، كأبدان الأحياء، عليها أكفان بيض لينة لها أهداب، وروائحها كروائح المسك، والسبعة الأبدان على هيئة واحدة، ومنهم شاب شعراني رأى رجل من أهل الناحية في منامه كأنه يقول له: قل لهذا العامل: أنا ابن خالد بن الوليد فليكشف عني، لينظر الناس من أمري إلى عجب، فصار إلى العامل فأخبره فأمر بكشف وجهه أو بدنه للناس، فوجدت جبهته صُحيحة، وكذلك أذناه، ومُسَّ خَدَّاهُ فإذا هما ألين من حدود الأحياء، وأكثر لحمًا، ووجد أنفه صحيحًا وكذلك منخراه وشفته وذقنه وحنكه، وهو أسمر اللون - كأنه في هيئة من قد خطَّ شاربه، وابتدت عنفقتة، وفي ذقنه سواد، ورأى الراؤون على شفته بللاً، كأنه إنسان قد شرب ماء أو تكلم فابتلَّتْ شفته، ورأوا شحمة أذنيه كما هي لم يذُبْ منهما قليل ولا كثير، وأشفار عينيه صحيحة، وكأنما قد كحل بكحل أشد سواداً من المداد، وفي خاصرته قرية من

الأضلاع، فردّ عليه الكفن، وغطّي وجهه، وكثر الناس عليه من النواحي فأمر العامل ببناء قبة عليه، فلم يتهبأ للفعلة العمل في بنائها لكثرة الناس واتصال البكاء. وجدت بخط الوزير (أبي القاسم المغربي) في الحاشية عند هذا الخبر: صحيح، وذكره ابن أبي الأزر في تاريخه، وكان في سنة ست وتسعين ومثتين. - من أمالي ابن دريد: من هاهنا من «أمالي ابن دريد»: [مما لا يوجد في القطعة المطبوعة بتحقيق السيد مصطفى السنوسي - الكويت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤].

عن جعفر بن كثير قال: دخلت حمّاماً بمصر يعرف بحمام التين، فبينما أنا فيه، إذ دخل رجل ما رأيت مثل جماله وجسمه لرجل، فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا جميل. فقلت: جميل بثينة؟ فقال: نعم. فقلت: قد ملأت بها بلاد الله تنويهاً، وصار اسمها لك - نسباً - وإني لأظنها حديدة العرقوب، دقيقة الظنوب، كثيرة وسخ المرافق. فضحك وقال: يا ابن أخي لو رأيتها لوددت أنك تلقى الله زانياً بها - مصراً غير تائب، ولو كبك الله على منخريك في النار!

- عن ابن سلام قال: أخبرني علي بن عثام أو من أخبره عنه قال: كان بالكوفة رجل يكنى أبا الشعثاء، عفيفاً مزّاحاً، وكان يدخل على سراة أهل الكوفة فمزح مع جارية لبعضهم وأخبرها أنه يهواها، وكانت شاعرة ظريفة، فقالت:

لأبي الشعثاء حُبُّ باطن	ليس فيه تهمة للمتهم
يا فؤادي فازدجر عنه وإن	عبثَ الحب به فاقعد وقم
جاءني منه كلام صائب	ورسالات المحيين الكلم
صلّ إن أحببت أن تُعطي المنى	يا أبا الشعثاء لله، وصم
ثم ميعادك بعد الموت في	جنة الخلد إن الله رحم
حيث نلقاك غلاماً ناشئاً	ناعماً قد كملت فيك النعم

- الحرمازي: قال: سمعت شبيب بن شيبة وذكروا أحسن ما قيل في النساء فقال قول الشاعر:

جارية أحسن من حلّيتها	والحلي فيه الدر والجوهر
وريحها أطيب من طيبها	والطيب فيه المسك والعنبر

- دخل ثابت بن عبدالله بن الزبير، على عبدالملك بن مروان فقال: ما (ثابت) من الأسماء؟ والله ما هو باسم رجل ولا امرأة! فقال: لا ذنب يا أمير المؤمنين للرجل فيما سمّاه أبواه، ولو كان اسمي إليّ لسميت نفسي (زينب)!

- يعرّض له بزینب التي يقال لها: زينب وكحكتان!

والتعريض بأبيه الذي كان يعشق زينب بنت عبدالرحمن بن هشام، وخطبها فقالت: لا أوسخ نفسي بأبي الذبّان!!

- ابن أبي دواد: قال دخلت على المعتصم فقال لي: يا أبا عبدالله: أتظن دعبل الخزاعي أنه يجد عندي من الاحتمال ما كان يجده عند المأمون؟ فقلت: وما ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال اخبرني عمي إبراهيم بن المهدي أنه هجاني!

قلت: يا أمير المؤمنين: دعبل أقل قدرًا وأوضع خطرًا من أن يبلغ بك الغضب هذا، وإبراهيم بن المهدي متهم في (دعبل) قال: ولم؟ قلت لأنه هجاه. قال: بماذا؟ قلت في قوله:

إن كان إبراهيم مضطعمًا بها فلتصلحن من بعده لمخارق
ولتصلحن من بعد ذلك لسرزور ولتصلحن من بعده للمارق
حتى يكون وليس ذلك بكائن يرث الخلافة فاسق عن فاسق

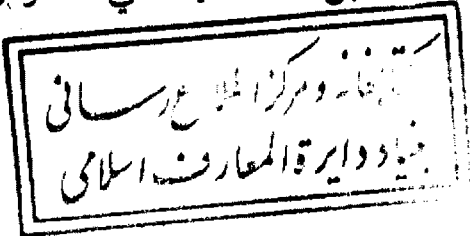
فضحك وقال: صدق دعبل! فخرجت من عنده فلقيت دعبلًا بالباب، فأخبرته قلت: لا تبق - بعد هذا - فلهق بالسند.

ومخارق وزرزور: مغنيان مشهوران، والرواية المشهورة للبيت الأخير تبدأ بـ(أنى يكون).

بخط الوزير المغربي: قال: والبديعي رجل منجم وصل إلينا في السنة التي حج فيها (حسنك) ووصل إلى بغداد - من خراسان - في سنة خمس عشرة وأربع مئة.

- الوزير أبو القاسم (المغربي): أنشدنا ابن دقاقة الهاشمي الحراني لنفسه

بمصر:



قالوا المُنَى هذيانُ النفس قلت لهم: لولا المُنَى لم يطب عيش المفاليس
 يارب ليل طويل بتُ فيه بها جَمُّ الشراء كأن المال في كيسي
 أعطي وأخذُ مسروراً ولو أخذت مني المُنَى بتُ في عُدْم وفي بسوس
 - قال الوزير المغربي: قال ثعلب مما نقل من خطه: الزُمِين: شهر.. والزمن:
 شهران والزمان أربعة أشهر.

- للمأمون:

عَرَفْتُ حَاجَتِي إِلَيْهَا فَضَنَّتْ وَرَأَتْ طَاعَتِي لَهَا فَتَجَنَّتْ

وإذا النفس رامت الصبر عنها ذكرت حسرة الفراق فحنت

لا تلو من غير نفسك فيها أنت حنَّتها عليك فجننت

- أبو علي البصير في عليُّ ابنه: الفضل بن جعفر وشعره وجمع ضمن كتاب

«شعراء عباسيون». - بيروت - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م - ولم أجد فيه هذه الأبيات:

ارحم أبا واحد يارب ليس له علقٌ سواه يرجيه ويدخرُ

عوضت من بصري لما فجعت به من لو أطاق فداه السمع والبصر

عزيت عني ولا عزيتُ عنك فإ ن العيش بعدك مرُّ، طعمه كدرُ

عدد الأميال والفراسخ والبرد والمشرفات بين العذيب ومكة: من رسالة إلى

الأستاذ أبي الحسن علي بن أحمد بن أبي خالد كتبها إليه أبو الحسن علي بن

الحسين الأمير - ابن أخت العصفري منقولة من خط الوزير أبي القاسم المغربي. -

إعلم - إيدك الله - أن البرد المنصوبة بين العذيب ومكة سبعة وخمسون بريداً،

وسبعة وخمسون مشرفاً بين كل بريد، ومشرف ستة أميال، فرسخاً من فراسخ

العرب، وتشتمل البادية من نخل العذيب إلى الرأميتين بمكة على مئتين وعشرين

فرسخاً، وهو منهل من وراء (قيد) ثمانية عشر ميلاً مكتوباً على بابه: هذا المنصف

فإن لم تقبل فارجع وعد!

- والشاهد بين العذيب ومكة: مسجد سعد، ومسجد الربذة وهي التي نُفي

إليها أبو ذر (الغفاري) رحمه الله، ومسجد الحسين بن علي صلوات الله عليهما

وقبر العبادي، وليس بمشهد، وله حديث يطول.

والعقاب بينهما: عقبة واقصة، وهي عقبة إبليس، عقبة الهردسة (؟) عقبة السويق، عقبة الذباب. عقبة المدرج.

- حبال الرمل بينهما: جبل زرود وهو أطولها، والمريخ. والعزير والهبير ومُضْرَط البخت أصعبها. وَعَلَّكَ تقول - أيها القاري المتصفح - إن الذي شرحته مشهور متداول، ومعروف متدارك، وإنما يذكر الغريب الشارد، وما الأمر كما ذهب إليه وهمك، وزاغ فيه ظنك. فلو ترك الناس أغراضهم من النظم والنثر والجد والهزل اعتماداً على السابقين الأولين لَمَاتت الحَوَاطِرُ، وسقطت الهمم، ولكن لكل جديد لذة - ولكل حديث بهجة، كما أن كل قديم يُسَام... فأنت إذا تأملت شعر امرئ القيس وجدته قد سبق إلى كل معنى نادر، وذهب بكل فضل باهر، ولا ترى اليوم اكسد من ديوان شعره بالعراق، وقد صارت الرغبة كلها في ديوان أبي فراس الحمداني والصنوبري وكشاجم والمنتبي وأشباههم من شعراء الوقت...

نقص العمر: أبو محمد عبد الوهاب بن الحسن بن جعفر الحاجب:

قلت لسألمي على بئذ مالي عنك لسومي فلم تلمني بخير
كيف أجزي صرف الليالي ببخل وأدخار وهنّ تنقص عمري
ظلوم تسبني! قال أبو القاسم المغربي - رحمه الله -

- أبو سالم ديسم بن شاذويه - ملك أذربيجان - وأنشدني أبي من شعره:

ظلوم تسبني ذُكِرَتْ بخير وتزعَم أنني مَلِقُ خبيث
وَأَن مودتي كَذِبٌ وزورٌ وَأني للذي أهوى بثوثُ
وليس كذا ولا رداً عليها ولكن الظلوم هو النكوث
رأت شغفي بها وشديد وجدي فملّثني كذا كان الحديثُ

قال لي أبي وكان أبو سالم هذا قد اتفق أن حصل عند سيف الدولة (أمير حلب) - رحمه الله - في بعض الضرورات التي دعتة... فلم يدخله قط سيف الدولة إلى مجلسه، لأنه لم يؤثر إجلاسه معه إلى سريره، حسب ما تقتضيه

مكانته من الملك، ولم ير نصب مرتبة ولا مطرح له على حدة، فكان لا يلقاه إلا على الطريق، فإذا لقيه خاطب (سيف الدولة) - رحمه الله - أبا سالم: يا أبا سالم، وخاطبه أبو سالم: أطال الله بقاء الأمير.

تعليق من كتاب «علوم القرآن» صنعة علي بن عيسى بن داود بن الجراح: علي بن عيسى بن الجراح الوزير: حدثنا أبو جعفر أحمد بن بديل بن قريش الكوفي بسرٍّ من رأى في جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومئتين. قال: حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان الضبي عن أبيه يبلغ به إلى أبي ذر - رحمه الله - قال: قال رسول الله ﷺ: «من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه».

- من الجزء الثاني: وقال أعرابي من بني حنيفة وهو بمرج:

مرّ الجراد على زرعي فقلت له: إلزم طريقك لا تُولع بإفساد
فقام منهم خطيبٌ فوق سنبلَةٌ إنّا على سفسر لا بُدَّ من زاد...
- وقال ابن هبيرة وهو يؤدب بعض ولده: لا تكوننَّ أول مشير، وإياك والرأي
الفطير، وتجنب ارتجال الكلام، ولا تشر على مستبد، ولا على وغد، ولا على
متلون، ولا على لحوح - وخف الله في موافقة هوى المستشير، فإن التماس
موافقته لؤم، وسوء الاستماع منه جناية.

- لديك الجن [ولم ترد في ديوانه المطبوع بطبعاته المختلفة]:

وإني لأستحييك إن أنطق الهوى وأن أتلّق الأمر الذي فيه سبّة
وأن أتلّق الأمر الذي فيه سبّة سأتطوي الهوى تحت الحشا طي نازح
وأن أتلّق الأمر الذي فيه سبّة فأصبر للهجران حتى تملّني
وأن أتلّق الأمر الذي فيه سبّة وأتعدّي خلسة اللحظات
عليك ولسو قطعنتي حسرات قضى وطراً إن لم تُبَحْ عبراتي
وادفع عنك الحق بالشبهات وادفع عنك الحق بالشبهات
باريس: جليل العطية

عقائد العرب وعاداتهم قبل الإسلام

في «غريب الحديث» لأبي عبيد

حفل كتاب «غريب الحديث» لأبي عبيد القاسم بن سلام الهَرَوِي المتوفى سنة ٢٢٤ للهجرة، بألوان من المعرفة، ومنها ما يتعلق بـ (عقائد العرب وعاداتهم قبل الإسلام)، و (حضارة الإسلام) ذلك أنه عرض - من خلال تفسيره لغريب الأحاديث التي اختارها - للحياة العربية قبل الإسلام بكثير من تفاصيلها وأوضاعها العقيدية، والاجتماعية، والاقتصادية، وعرض كذلك لكثير من مظاهر الحضارة العربية الإسلامية: كالملابس، والأواني، والنقود، والأوزان، والمكايل، والأبنية، والأثاث، وغير ذلك.

وهذه المادة التاريخية الحضارية، هي في رأينا ذات أهمية علمية قيمة، ذلك أن أبا عبيد استقاها من مصادرها الأصلية المتخصصة، مما كان له أثر في الحياة العلمية في عصره.

ويعزز قيمة هذه المادة العلمية العالية، أنها قد استُقيتُ مُحَقَّقَةً، وأُخذت بتحرّز المحدثين الأثبات، واللغويين الثقات، إذ كان أبو عبيد - رحمه الله - لغوياً، فوق كونه محدثاً، بل إماماً في اللغة والحديث، وقد شهد له بذلك من عاصره ومن تلاه من أهل العلم^(١)، كإسحق بن راهوية (ت ٢٣٧ هـ) شيخ البخاري، وابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) وغيرهما من أئمة الحديث واللغة.

وكان أبو عبيد يتناول الأحاديث بالنقد والتمحيص سنداً ومثناً، فلا يقبل روايتها إلا ممن له ثقة تامة به، من شيوخه الذين روى عنهم الحديث والفقهاء، فضلاً عن معلوماته الواسعة بحياة العرب العقيدية والاجتماعية قبل الإسلام، الأمر الذي لم يدع مجالاً لتسرّب أية معلومات غير سال، إلى كتابه الأصيل في موضوعه ومادته، وهو «غريب

وقد رأينا أن نتناول ما يتعلق بالموضوع الأول وهو (عقائد العرب وعاداتهم قبل الإسلام) وحده في عدد من أعداد مجلة «العرب» الغراء، مراعاة لما يناسب صفحات المجلة، ثم يتلوه ما يتعلق بحضارة الإسلام، في عدد تال له.

١ - العقائد والعبادات: لعل أهم ما أورده أبو عبيد من تاريخ العرب قبل الإسلام، ما كان يتعلق بعقائد القوم وعباداتهم، إذ كانت طائفة من الأحاديث التي فسّر غريبها، تتناول هذا الموضوع الهام، الذي حرص الإسلام بقيمه العالية ومفهوماته الجديدة، على تغييره تغييراً جذرياً، وإبدال به ما يلائم فكره ومثله السامية التي جاء بها.

(أ) فمن ذلك اعتقادهم أن المطر مُسَبَّبٌ عن (الأنواء)، التي هي جمع (نوء)، ويراد به عندهم: النَجْمُ يطلع أو يسقط^(٣)، فكانوا يعزّون نزول الغيث إليه، فيقولون: (مُطِرْنَا بنوء كذا)^(٤)، وهو أحد الثلاثة التي يُنهي عنها المسلم في الحديث، كما سنرى، وقد تجلّى بيان ذلك فيما ذكر أبو عبيد - في آثارهم الأدبية، كقول ذي الرُّمّة:

أصابَ الأرضَ مُنْغَمَسُ الثَّريَا بِسَاحِيهِ وَأَتْبَعَهَا طَلالًا
وقد علق عليه أبو عبيد^(٥) بقوله: (أراد أن المظر كان عند سقوط الثريا، وهو منغمسها - وإنما خص الثريا لأن العرب تقول: ليس شيء من الأنواء أغزر من الثريا، فأبطل الإسلام جميع ذلك).

وأورد في موضع آخر الحديث المروي عن النبي ﷺ: «ثلاث من أمر الجاهلية: الطعن في الأنساب، والنياحة، والأنواء»، ثم فسّر (الأنواء) تفسيراً مستفيضاً، مبيناً أنّها ثمانية عشر نجماً، وقال: (فكانت العرب في الجاهلية إذا سقط منها نجمٌ وطلع آخر، قالوا: لا بُدَّ من أن يكون عند ذلك مطر ورياح، فينسبون كل غيث يكون عند ذلك، إلى ذلك النجم الذي يسقط حينئذ، فيقولون: مُطِرْنَا بنوء الثريا، والدبران، والسّمّاك. فهذه هي الأنواء، واحدها (نوء)

وقد ذكرت العرب الأنواء في أشعارها فأكثر، حتى جاء فيها النهي عن النبي عليه السلام^(٦).

وهذا يعني أن عقيدة الجاهليين في تأثير النجوم، كانت تتسم بضرب من الأسطورية، فتعزو بعض ظواهر الطبيعة إليها، وتعدّها مؤثرة فيها، وذلك كالمطر الذي كانوا يرونه مسبباً عنها، على حين هو مسبب بأسبابه الطبيعية، التي جعلها الله مؤثرة فيه، كتصاعد بخار الماء من البحار والأنهار والبحيرات، وتكاثفه في الجو وسقوطه بعد ذلك غيثاً، بعد أن تسوقه الرياح إلى بلد ميّت، كما وصف القرآن^(٧)، وإلى حيث يشاء الله سبحانه.

(ب) ومن العقائد الأسطورية التي عرض لبيانها أبو عبيد، والتي كانت معروفة لدى الجاهليين (الهامة) و (الصفّر)، وقد ذكر في تفسير (الهامة): (أن العرب كانت تقول: إن عظام الموتى تصير هامة فتطير)، وبين أنه قول أبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ). وأبي عمرو الشيباني (ت ٢١٣هـ)، وأن الجاهليين كانوا يُسمّون ذلك الطائر الذي يخرج - بزعمهم - من هامة الميت إذا بلي، يسمونه (الصدّي).

ثم فسّر (الصفّر) بأنه (دوابّ البطن) وروى عن أبي عبيدة عن يونس بن حبيب عن رؤبة أنه (حية تكون في البطن تُصيب الماشية والناس)، وأنها (أعدى من الجرب عند العرب) فقال أبو عبيد بعد هذا: (فأبطل النبي عليه السلام أنها تُعدى)، يقصد أنه أبطل ذلك الاعتقاد، بالحديث المروي عنه ﷺ: «لا عدوى ولا هامة ولا صفر ولا غول»^(٨). وأوضح أن الحديث وتفسير أبي عبيدة له، دلالة على أن الهامة والصفّر من العقائد التي امتزجت بالوهم والأساطير لدى الجاهليين، وأن الإسلام - على لسان نبيه ﷺ - قد أبطله، وعمل على تبديل ما يتوهمه الناس إذ ذاك فيها. ويحمل الناس (الصفّر) اليوم على الدودة الشريطية وهي معدية ولكن ليس ثمة تناقض بين قوله ﷺ: «لا عدوى»، وبين الحديث

الآخر: «فُرَّعٌ عن المجذوم كما تفرُّ من الأسد» فكلاهما عند أهل العلم صحيح، ولكن يجمع بينهما (بأن هذه الأمراض لا تعدي بطبعها، ولكن الله جعل مخالطة المريض للصحيح سبباً لإعدائه مرضه، وقد يتخلف ذلك عن سببه، كما في غيره من الأسباب)^(٩).

(ج) وأشار أبو عبيد إلى (الْفُرْعَة) و (والعَتِيرَة) في تفسيره للحديث المروي عن النبي ﷺ: «لَا فُرْعَةَ وَلَا عَتِيرَةَ». فبيّن أنها (أَوَّلُ وَكَلْدُ تَلْدَةُ النّاقَةِ)، وأنهم (كانوا يذبحون ذلك لآلهتهم في الجاهلية، فنهوا عن ذلك). وبعد أن احتجّ بيت من الشعر لأوس بن حجر، فسّر العتيرة بأنها: (الرجبية، وهي ذبيحة كانت تذبح في رجب، يتقرّب بها أهل الجاهلية، ثم جاء الإسلام، فكان على ذلك حتى نسخ بعد)^(١٠).

وبذلك نعلم من تفسير أبي عبيد لهاتين اللفظتين، أنهما مرتبطنان بالعقائد الوثنية الجاهلية، وقد ربط بين بعض أمثال العرب السائرة وبين عادات الجاهلية العقائدية، فأورد بيتاً للشاعر الجاهلي المعروف الحارث بن حلّزة اليشكري، يذكر قوماً أخذوهم بذنب غيرهم، فيقول:

عَنَّا بَاطِلًا وَظَلَمًا كَمَا تُعْتَرُ عَنْ حِجْرَةِ الرَّبِيضِ الظُّبَاءُ
وفسّر (عَنَّا) بمعنى: اعتراضاً، و (كما تُعْتَرُ) أي؛ العتيرة في رجب وقال:
(وذلك أن العرب في الجاهلية، كانوا إذا طلب أحدهم أمراً، نذروا لئن ظفر به ليذبحن من غنمه في رجب كذا وكذا، وهي العتائر، فإذا ظفر به فربما ضنّ بغنمه - وهي الربيض - فيأخذ عددها ظبَاءً فيذبحها في رجب مكان الغنم. فكانت تلك عتائره، فضُرب هذا مثلاً، يقول - يقصد الحارث بن حلّزة -: أخذتمونا بذنب غيرنا، كما أخذت الظبَاءُ مكان الغنم)^(١١).

(د) وعرض أبو عبيد لتصوّر (أسطوري) آخر لدى الجاهليين، وذلك في ضوء الحديث المروي عن النبي ﷺ: «قَلَدُوا الخيلَ وَلَا تُقَلِّدُوهَا الأوتارَ»، فرجح أن المراد بالأوتار هنا: أوتار القسي، وكانوا يقلّدونها إياها مخافة العين، وبيّن أنه

المروي عن مالك بن أنس، فأمرهم النبي ﷺ بقطعها، معلماً إياهم أن الأوتار التي يضعونها كالقلائد للخليل، لا تردّ من أمر الله شيئاً^(١٢).

(هـ) وعرض أبو عبيد لتصوّر (أسطوري) آخر يتعلق بالجنّ، وطبيعة العلاقة التي تربطهم بالإنس في عقيدة الجاهليين، فأورد الحديث المروي عن النبي ﷺ، في النهي عن ذبائح الجنّ، وفسّر ذلك بأن يشتري المرء داراً، أو يستخرج عيناً أو نحوهما، فيذبح لها ذبيحة للطيرة، أو بعبارة أخرى: دفعاً لأذاها وشؤمها. قال: (وهذا التفسير في الحديث، ومعناه: أنهم يتطيّرون إلى هذا الفعل، مخافة أنهم إن لم يذبحوا ويُطعموا أن يصيبهم فيها شيء من الجنّ يؤذيهم. فأبطل النبي عليه السلام ذلك، ونهى عنه)^(١٣).

وهذا لاشكّ منبعثٌ من تصوّر خاطيٍّ، مؤداه أن للجنّ سلطناً على الإنس، ولهذا كان فريق من الجاهليين، إذا طرّفوا وادياً في الليل، تعوذوا بالجنّ الذي فيه؛ ظناً منهم أنها تحفظهم من الشرّ والسوء. وقد أخبر القرآن بذلك، فقال تعالى: ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجنّ فزادوهم رهقاً﴾^(١٤).

والمراد بذلك أنهم كانوا (يعتصمون ويستجيرون)^(١٥) بهم (وكان الرجل من العرب إذا أمسى في وادٍ قفر في بعض مسائره وخاف على نفسه، قال: أعوذ بسيّد هذا الوادي من سفهاء قومّه، يريد بذلك: الجنّ وكبيرهم. فإذا سمعوا ذلك استكبروا وقالوا: سدّنا الجنّ والإنس. فذلك (رهقهم)^(١٦)

وقد روي ذلك عن الحسن ومجاهد وقتادة، وكان هذا منهم على حسب اعتقادهم أن الجنّ تحفظهم، فزاد الجنّ الإنس إثماً على إثمهم الذي كانوا عليه من الشرك والمعاصي، وهو المروي عن ابن عباس أيضاً. وقيل: (رهقاً)، أي: طغياناً، وقيل: قرّقا وخوقاً، وقيل: شرّاً، وقيل: ذلاً وضعفاً^(١٧).

ومؤدى هذه التفسيرات واحد، إذ كلها تدل على تجافي أولئك المتعوّذين عن العبودية لله وحده سبحانه، إلى العبودية والخضوع لأحد مخلوقاته، وهم الجنّ.

ولذلك أزرى بهم «القرآن الكريم» - على لسان الجن - حين وصفهم بأنهم قد زادوهم بذلك التعوذ (رهقًا).

فيتبين لنا من الآية الكريمة والحديث الشريف، وما ورد فيها من تفسير، أن القرآن والحديث حرّرا الفكر العربي، بل والبشري بعامه، من أوهام الجاهلية، والتصورات الأسطورية، ليجعلا المرء عبداً لله وحده، ويُحرّراه تماماً من سلطان القوى والمخلوقات التي وراء الطبيعة، مما لا يقع تحت حسّ الإنسان أو بصره.

٢- العادات الاجتماعية: في غريب الحديث تصوير لكثير من العادات الاجتماعية، في مجتمع ما قبل الإسلام، وقد عرض أبو عبيد لطائفة من تلك العادات التي بقيت آثار منها في حياة الناس، في بعض البيئات، التي لم تتنور بكفاية، بما ورد في السنة من النهي، بحيث صارت عرفاً لديهم، يتوارثونه جيلاً بعد جيل، مع أنه من المحرمات التي جاء بها الشرع، وهذا كان مُتعارفاً عليه في مناطق من ريف العراق، وإن بدأ في السنين الأخيرة ينحسر، نتيجة للوعي الديني والاجتماعي معاً.

وكان أبو عبيد قد أورد ألواناً من تلك الأعراف والعادات الاجتماعية، معلقاً عليها، ومبيناً حكم الشرع - على لسان نبي الأمة ﷺ - فيها..

(أ) فمن ذلك ما يتعلق بعادات (الزواج)، وما يترتب عليها من سلوك الأسرة، أو أحد أفرادها في (المهر)، وذلك هو الذي يطلق عليه اسم (الحلوان)، الذي يُعدُّ من الألفاظ المشتركة في اللغة، إذ له أكثر من دلالة، تكشف عن كل منها القرائن الدلالية، من لفظية وحالية وعقلية، شأن أي لفظ آخر في العربية، وقد بين أبو عبيد هذه المعاني في ضوء تفسيره للحديث المروي عن النبي ﷺ، من أنه (نهى عن حلوان الكاهن). ففسّر (الحلوان) هنا بما يُعطاه الكاهن على كهانته، ثم بين معنيين آخرين له يشاركان المعنى الأول في دلالات اللفظ، فقال: (الحلوان: الرشوة.. يقال منه: حلّوت، أي: رشوت).

وبعد أن احتج بيت شعر، قال مبيّن المعنى الثالث: (والحلوان أيضاً: أن يأخذ الرجل من مهر ابنته لنفسه)، ثم بيّن أن (هذا عارٌ عند العرب)، واحتج له بقول امرأة تمدح زوجها: لا يأخذ الحلوان^(١٨) من بناتنا وهو ضرب من الرجز.

وبذلك وضع أبو عبيد أيدينا على أخلاقية اجتماعية عالية عند العرب قبل الإسلام، وهي إباء الأخذ من مهر البنت، لدى فريق من الناس، وهذا يشعر بلاشك بما لدى العربي من عزة النفس، والتسامي عن صفائر الأمور، ومنها: المادية، إذ كان يخشى أن يعيرَ بذلك فتتدنّى منزلته بين قومه وغيرهم من العرب. فلما جاء الإسلام الحنيف بقيمه السامية، صار ذلك جزءاً من الاعتقاد والسلوك، فمهر البنت حق شرّعه الشارع الحكيم لها، وليس لأحد أن يسلبها شيئاً منه، حتى الزوج نفسه، إلا بطيب نفس منها^(١٩).

(ب) ومن العادات الاجتماعية المتعلقة بالزواج ما يسمى بزواج (الشغار) الذي كان معروفاً قبل الإسلام عند العرب، وقد عرفه أبو عبيد بأن الرجل (يزوج أخته أو أخته، على أن يزوجه الآخر أيضاً ابنته أو أخته، ليس بينهما مهر غير هذا، وهي المشاغرة). ثم قال: (وكان أهل الجاهلية يفعلونه، يقول الرجل للرجل: شاغرني، فيفعلان ذلك فنهي عنه)^(٢٠).

ومراده بعبارة (فنهى عنه)، ما ورد في الحديث المروي عن النبي ﷺ أيضاً: «لا جَلْبَ ولا جَنَبَ ولا شِغَارَ في الإسلام» الذي أورده أولاً، ففسر غريبه، وهي الكلمات الثلاث: جَلْبَ، وَجَنَبَ، وشِغَارَ.

وهذا الضرب من الزواج، الذي عرفته الجاهلية، ومنعه الإسلام، لما فيه من الحيف على المرأة في التزويج، إذ يجري ذلك بدون رضاها وبغير المهر الذي يجب لها على الزوج، هذا الزواج قد عرف حديثاً في مناطق من ريف العراق، وهو الذي يسمونه (الصدق)، ثم بدأ ينحسر يوماً بعد آخر، نتيجة للوعي والثقافة الدينية والاجتماعية.

(ج) وأشار أبو عبيد إلى عادة (الوشم) قبل الإسلام، وهو ضرب من الزينة تتخذها المرأة إذ ذاك، فنهى عن النبي ﷺ، في حديث له لعن فيه (الواشمة والمستوشمة).

وكانت نساء في البيئات العربية، في العصر الحديث، ولا سيما الريفية منها، تشم أجزاء ظاهرة أو خفية من أجسامها، بقصد التزيّن، وهذا معروف أيضاً في الريف العراقي منذ عدة عقود، غير أنه ترك الآن - أو كاد - نتيجة لتطور الحياة الاجتماعية، وصدوف النساء عن هذه العادة التي هي من مخلفات الجاهلية، ومن العادات التي لا تلائم الوعي الاجتماعي والديني في العصر الحديث.

(د) ونبه أبو عبيد - رحمه الله - على ما كان للرق من صور قبل الإسلام، فبين أنه ضربان: (رق مملكة) و (رق قن)، وذكر لبيان ذلك أن الأشعث بن قيس ادّعى رقاب أهل نجران، وكان قد استعبدهم في الجاهلية، فلما أسلموا أبوا عليه، فخاصمهم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رقابهم، فقالوا: (يا أمير المؤمنين، إننا إنما كنا عبيد مملكة، ولم نكن عبيد قن). قال: فتغيظ عليه عمر وقال: (أردت أن تغفلني)، ورواه بعضهم: (أردت أن تعنتني).

ثم روى عن الكسائي - وهو أحد شيوخه الذين أخذ عنهم من الكوفيين تفسيراً لهذين الضربين من الرق، وهو أن (القن) الذي ملك هو وأبواه، و(المملكة) أن يكون قد غلب عليهم أحد فيستعبدهم، وهم في الأصل أحرار، ثم بين أبو عبيد أن عمر حكم فيهم بجعلهم أحراراً بلا عوض، لأنه إنما كان تملكاً وليس سباً^(٢٢).

٣- العادات الاقتصادية: وأشار أبو عبيد مراراً إلى ضروب من العادات الاقتصادية التي كانت سائدة لدى العرب قبل الإسلام، والتي حرم طائفة منها.

(أ) فمن ذلك ما يتعلق بالبيع، مثل (المحاكلة) و (المزابنة) اللتين ورد النهي عنهما في الحديث الذي عرض أبو عبيد لتفسير غريبه، فقد أورد الحديث، وهو

مروي عن النبي ﷺ، ثم فسّر (المحاكلة)، نقلاً عن غير واحد من أهل العلم: أن يباع الزرع في سنبله، وهو مُشْتَقٌّ من (الحقل)، وفسّر (المزبنة) ببيع التمر وهو في رؤوس النخل بالتمر، ثم علّل النهي في هذا الحديث بقوله: (وإنما جاء النهي في هذا لأنه من الكيل، وليس يجوز شيء من الكيل والوزن، إذا كانا من جنس واحد، إلا مثلاً بمثل ويداً بيد وهذا مجهول لا يعلم أيهما أكثر) (٢٣).

وهذا النوع الممنوع من البيع المسمّى في الاصطلاح الإسلامي: (المحاكلة) كان يمارسه في أرياف العراق الجنوبية خاصة، فريق من الناس، ممن يملك المال، فيشتري الزرع في حقله، قبل أن ينضج ويجف، ويصبح مهيئاً للحصاد، وهو المسمّى عندهم: (إلْخَضْرُ). وهي عادة مضرّة بالفلاح، وقد كادت أن تزول. وبين أبو عبيد أن النبي ﷺ، رخصَ في ضرب آخر يسمّى: (العرايا)، وقال: واحدها عَرِيَّةٌ، (وهي النخلة يعريها صاحبها رجلاً محتاجاً) بأن (يجعل له ثمرة عامها)، ولربّ النخل أن يشتري من المُعْرَى ثمرة تلك النخلة بتمر لحاجته إليه (٢٤).

(ب) وأشار أبو عبيد إلى ضرب آخر من البيوع الممنوعة في الإسلام، بناء على ما جاء في بعض الأحاديث، وهو بيع (المنابذة)، وفسّره بأنه على قول -: أن يقول الرجل للآخر: أنبذ إليّ الثوب أو غيره، أو أنبذه إليك، وقد وجب البيع بكذا وكذا. وفسّرت (المنابذة) - على قول آخر - أن يقول الرجل: إذا نبذت الحصاة فقد وجب البيع، وبين أنه معنى الحديث الآخر: (أنه نهى عن بيع الحصاة) (٢٥).

(ج) وشيبه بهذا البيع الممنوع في الإسلام، بيع (الملازمة)، وقد ذكر أبو عبيد أن فيه قولين أيضاً، أحدهما: أن يقول الرجل: (إذا لمست ثوبي أو لمست ثوبك فقد وجب البيع بكذا وكذا)، والآخر: (أن يلمس الرجل المتاع من وراء الثوب دون أن ينظر إليه فيقع البيع)!

وقد علّل أبو عبيد النهي عن هذين النوعين من البيوع بتعليل علمي، هو أنهما غير قائمين على قناعة المشتري والبائع الحقيقية، بل هما قائمان على انتظار

الصدفة، ولذلك قال معلقاً عليها: (وهذه بيوع كان أهل الجاهلية يتتاعون بها،
فنهى رسول الله ﷺ عنها؛ لأنها غررٌ كله) (٢٦).

(د) وأشار كذلك إلى نوع آخر من البيع المنهي عنه، وهو (المُخَاضِرَة)، وفسرها
بأن يباع الثمر قبل أن يبدو صلاحه، وهو خَضِرٌ بَعْدُ. قال: (ومثله حديثه الآخر ﷺ،
من أنه نهى عن بيع التمر بعد أن يزهر، أي قبل أن يَحْمَرَ أو يَصْفَرَ في نخلته) (٢٧).

(هـ) وأشار إلى ظاهرة (التَّحْمِيم) قبل ظهور الإسلام، وهي إمتاع المرأة بعد
تطليقها، وقال: (وكانت العرب تسميها التحميم) يقصد (مُتعة) المطلقة. واحتج
لذلك بقول الراجز:

أنتَ الذي وهبتَ زيداً بعدما هَمَمْتَ بالعجوزِ أن تُحَمِّمَها
وأشار إلى أن (التَّحْمِيم) هو (الإمتاع) في الإسلام، وبه نطق الكتاب المبين،
فقال تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتاعٌ بِالْمَعروفِ حَقًّا على الْمُتقين﴾ (٢٨) وبيّن أنه
واجب للمرأة التي تطلق قبل الدخول بها، ولم يُسمَّ لها مهر (٢٩)، وأنه مندوب
للتّي دُخِلَ بها، أو سُمِّي لها مهر، وطُلِّقتْ قبل الدخول بها، على أساس أن
الأولى لا نصيب لها من المهر؛ لأنه لم يُسمَّ لها مهر، أما الثانية والثالثة، فقد نالت
من المهر عند التَّطْلِيقِ، إذ للأولى تمامه وللثانية نصفه.

فيتبين ما سلف من كلام، أن كتاب «غريب الحديث» لأبي عبيد القاسم بن
سلام، قد تضمن كثيراً من العقائد والأحداث التاريخية، المتعلقة بحياة العرب
قبل الإسلام، وما طرأ عليها من تغيير في ضوء ما ورد في أقوال الرسول الأمين
محمد ﷺ، المبعوث رحمة لهذه الأمة الكريمة، وللبشرية كلها، مصداقاً لقوله
عز وجل: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (٣٠).

د. قاصد ياسر الزبيدي

كلية التربية - جامعة بغداد

الحواشي:

- (١) ينظر: «طبقات النحويين واللغويين» للزبيدي ١٩٩ - ٢٠٠، و«مقدمة ابن الصلاح» في علوم الحديث ١٣٧.
- (٢) «غريب الحديث» لابن قتيبة ١/١٥٠، بتحقيق د. عبدالله الجبوري، بغداد.
- (٣) و(٤) «لسان العرب» لابن منظور ١/١٧٠ بولاق.
- (٥) «غريب الحديث» ٢/٢٠٠، ط ١، حيدر آباد الدكن - الهند، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
- (٦) «غريب الحديث» ١/٣٢٠.
- (٧) وذلك قوله تعالى: ﴿وهو الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت﴾ فاطر: ٩. و ينظر في تفصيل ذلك كتابنا: «الطبيعة في القرآن الكريم» ص ٢٥٩، وزارة الإعلام - بغداد ١٩٨٠.
- (٨) «غريب الحديث» ١/٢٦ - ٢٧.
- (٩) «تدريب الراوي» للسيوطي ص ١٩٨، ط مصر ١٣٠٧هـ، وينظر: «شرح نخبة الفكر» لابن حجر ١٥، وينظر: «علوم الحديث ومصطلحه» للدكتور صبحي الصالح ص ١١١ - ١١٢، ط ٥ - بيروت.
- (١٠) «غريب الحديث» ١/١٩٤ - ١٩٥.
- (١١) «غريب الحديث» ١/١٩٥ - ١٩٦.
- (١٢) «غريب الحديث» ٢/١ - ٢.
- (١٣) «غريب الحديث» ٢/٢٢١.
- (١٤) سورة الجن: ٦.
- (١٥) «مجمع البيان في تفسير القرآن» ٢٩/٧٩. دار الحياة بيروت، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م.
- (١٦) «الكشاف» للزمخشري ٣/٢٧٥، مصطفى الباي، مصر، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.
- (١٧) «مجمع البيان» ٢٩/٨٠.
- (١٨) «غريب الحديث» ١/٥١ - ٥٣.
- (١٩) وذلك ظاهر في الآية ٤ من سورة النساء.
- (٢٠) «غريب الحديث» ٣/١٢٨.
- (٢١) «غريب الحديث» ١/١٦٧ - ١٦٨.
- (٢٢) «غريب الحديث» ٣/٣٤٢ - ٣٤٣.
- (٢٣) «غريب الحديث» ١/٢٣٠.
- (٢٤) «غريب الحديث» ١/٢٣١.
- (٢٥) و(٢٦) «غريب الحديث» ١/٢٣٤.
- (٢٧) «غريب الحديث» ١/٢٣٣.
- (٢٨) سورة البقرة: ٢٤١.
- (٢٩) «غريب الحديث» ٤/١٦.
- (٣٠) سورة الأنبياء: ١٠٧.

الشعراء الأمويون في العصر العباسي

(٢)

(العباسيون): تحدثنا في بحث سابق عن شعراء بني أمية، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، أولئك الذين عاصروا السنوات الأخيرة من دولتهم وعاشوا محنة سقوطها، وشهدوا مصارع أهلهم، وذاقوا مرارة الخوف والتشرد، وستحدث في هذا البحث عن شعرائهم العباسيين الذين ولدوا وعاشوا في ظل الدولة العباسية الجديدة.

١- العتبي: وأول هاؤلاء شاعر شُهر بالعصر العباسي، بلقب (العتبي) نسبة لجدّه عتبة بن أبي سفيان، وهو محمد بن عبدالله بن عمرو بن معاوية^(١)، من عامة الأمويين، وفرعهم السفياني الثاني، وقد ولد سنة ١٣٣ هـ، أي بعد سنة واحدة من قيام الثورة العباسية، على ما رجحه زميلنا الدكتور يونس السامرائي، في بحثه القيم عنه^(٢)، وهو من أهل البصرة، وكان وجيهاً موسراً مشتغلاً بالعلم والتأليف، وقد قضى معظم حياته بالبصرة لم يتصل بالعباسيين ووزرائهم، غير زيارة للمأمون أثناء إقامة قصيرة ببغداد، وهو قليل المديح متعفف عن الهجاء، يغلب على شعره الرثاء والعتاب، وقد استهلك معظم شعره في رثاء أبنائه السبعة الذين أهلكتهم الطاعون.

وليس في شعره رثاء لقومه ولا ذكر لهم غير بيتين يتيمين في الفخر بالأمويين ومجدهم التالد:

فإني من قومٍ كرامٍ أصولهم لأقدامهم صيغت رؤوس المنابر
خلائفٌ في الإسلام، في الشرك قادة بهم وإليهم فخرٌ كل مفاخر^(٣)

٢- أبو الأصبغ المَسْلَمي: ونتقدم إلى زمن المأمون والمعتصم، ويلقانا شاعر أموي من بيت الخلافة، هو أبو الأصبغ محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبدالملك ابن مروان^(٤)، ذكره المرزباني بقوله: (وهو شاعر محسن مكثراً)^(٥)، وكان يسكن

حصن جده مسلمة بديار مضر من بلاد الشام، معتزلاً للناس فيه، لم يدرك شيئاً من أيام بني أمية ولم يشهد سقوط دولتهم، ولم يقصد العراق ولا اتصل بأحد من خلفاء العباسيين ورجالهم، ويبدو أنه كان من وجوه الناس في بلده، وكان صديقاً ونديماً لعثمان بن الهيثم الغنوي، والي ديار مضر من قبل المعتصم، وله أبيات يعاتبه فيها إذ لم يعده في مرضه^(٦)، وكان فيما يظهر غنياً موسراً، معنياً على عادة الأمراء من أسرته، باقتناء كرائم الجياد، والمشاركة بها في حلبات السباق، رياضةً وفتوةً، فإذا سبقت خيله وزع جوائزه على خدمها وسياسها، واستنكف أن يمدَّ يده إلى شيء منها، وله في وصف الخيل قصيدة طويلة، تفرد المسعودي بذكرها، وقدم لها بقوله: (ولم نعلم أحداً من العرب في الجاهلية والإسلام، وصفَ خيلَ الحلبة العشرة، بأسمائها وصفاتها، وذكرها على مراتبها، غير محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان، وكان بالجزيرة بالقرية المعروفة بحصن مسلمة)^(٧).

ومن قوله في خاتمتها:

فرحنا بسبقِ شُهرنا به	ونيل به الفخرُ والمغنمُ
وأحرزن عن قصبات الرهان	رغائب أثقالها تقسم
نوزعها بين خُدامها	ونحن لها منهم أخدمُ
وإننا لنرتبط المعربا	ت في اللزبات فماترزمُ
فهنَّ بأكنافِ أبياتنا	صوافنَ يصهلن أو حومُ
برود من القصب موشية	وأكسية الخنز والملحمُ
ومن ورق صامت بسدره	ينوء بها الأغلبُ الأعصمُ
ففضت لنهبِ خواتيمها	وبدرتُنا الدهرَ لا تُختمُ ^(٨)

كان أبو الأصبغ رجلاً جريئاً ذا أنفة وكبرياء، يتعصب لقومه ويغضب للعرب، وله في ذلك قصة مع عبدالله بن طاهر بن الحسين، وهو من مشاهير قادة الدولة العباسية وأعيان ولايتها، من أسرة أعجمية، قديمة الولاء لخزاعة، متفانية في

خدمة العباسيين والولاء لهم، مكبرة للعرب حريصة على الإسلام، بعيدة عن الشعوبية، معادية لها، وقد طرد رجلاً أعجمياً جاءه بقصة فارسية قديمة اسمها وامق وعذره، ووبخه وقال له: (إننا قوم لا نقرأ غير القرآن وأحاديث الرسول ﷺ، ولا حاجة لنا لمثل هذا الكتاب، لأنه من تواليف المجوس، وهو مردود لدينا)^(٩) ثم أصدر أمره بإلقاء الكتاب في النهر، كما أصدر أمراً قبل هذا بحرق تواليف العجم وتصانيف المجوس حيثما وجدت^(١٠).

وكان عبدالله أديباً شاعراً فخوراً بنفسه وأسرته، تياهاً بخدماتهم الجليلة للدولة العباسية، وفي شعره قصيدة لامية، يفخر بها بأجداده مصعب ورزيق، وبأبيه طاهر بن الحسين وقلته للأمين، وفيها يقول:

مدمن الإغضاء موصولُ	ومديم العتب مملولُ
وأبي من لا كفاء له	من يساوي مجده قولوا
طحن المخلوع كلُّكُلُه	وحواليه المقواويلُ
قُطعت عنه تمائمُه	وهو مرهوب ومأمول ^(١١)

وقد استفزت هذه القصيدة شاعرنا الأموي، ورأى فيها فخراً للعجم على العرب، إذ قتلوا ملكاً عربياً بسيف أخيه وأمره، ولعله وجدها فرصة سانحة لشم أولئك الأعاجم الذين ساعدوا العباسيين في القضاء على دولة بني أمية.

فنقضها ورد عليها بقصيدة مطلعها:

لا يرعك القالُ والقيـلُ	كل ما بُلِّغْتَ تهـويلُ
-------------------------	-------------------------

يقول فيه هاجياً عبدالله، ساخراً منه ومن أهله، محرضاً المأمون عليه:

أيها النازي ببطنته	ما على طيـك تحصيلُ
قاتل المخلوع مقتولُ	ودم القاتل مظلـولُ
لا يُنجيـه مـذاهبـه	نهرُ بـوشنج ولا النيل
بأخي المخلوع طلت يداً	لم يكف في باعها طولُ

وبنعماء التي كُفرت
يا ابن بنت النار موقدها
أي مجد لك نعرفه
من حسين من أبوك ومن
من رزيق إذ تعدده
تلك دعوى لا يناسبها
ما جرى في عود أثلتهم
قدحت منه أسافله

فعلت تلك الأفـاعيلُ
ما لحاذيـه سراويل
أو نسيب لك بهلـول
مصعب، غالتهم غولُ
نسب في الخلق مجهول
لك آبـاء أراذيلُ
ماء مجد، فهو مدخولُ
وأعاليـه مهـازيلُ^(١٢)

قال أبو الفرج: (وهي قصيدة طويلة)، ورأى فيها تطرفاً لا مبرر له: (فأفرط في السب، وتجاوز الحد في قبح الرد، وتوسط بين القوم وبين بني هاشم فأربنى في التوسط والتعصب)^(١٣).

أما الشاعر نفسه فقد شرح دوافع هذا الرد بقوله: (ولمّا كان بلغني هذه القصيدة - أي قصيدة عبدالله بن طاهر - أنقنت المنافية، وقلت: يفتخر علينا رجل من العجم، قتل ملكاً من ملوك العرب، بسيف أخيه، يعني بذلك أباه طاهراً لمّا قتل الأمين بسيف المأمون، فرددت عليه قصيدته)^(١٤).

وهذا يعني أنه قال قصيدته عصبية للعرب وغضباً للخليفة المقتول الذي يجمعه به النسب إلى عبد مناف.

وعندما مرَّ عبدالله بن طاهر بالشام، في طريقه إلى مصر، والياً عليها سنة ٢١١هـ، حرص على زيارة الشاعر في حصنه، فلما لقيه عاتبه على رده، قائلاً: (يا أخي - جعلني الله فداك - قلت شعراً في قومي، أفخر بهم، لم أظعن فيه على حسبك، ولا ادعيت فضلاً عليك، وفخرت بقتل رجل، هو وإن كان من قومك، فهم القوم الذين نأرك عندهم، فكان يسعك السكوت، أو إن لم تسكت لا تغرق ولا تسرف)^(١٥).

وهذا، كما ترى، عتابٌ جميل، يقوله رجل دمثٌ مهذب، أدبته صحبة الملوك، وصقلته التجارب، وهو لا يعاتب رجلاً من عامة الناس، إنما هو أمير من أبناء الخلفاء السابقين، ليس ببعيد النسب عن الخليفة القائم آنذاك، وهو بعدُ شاعرٌ أنوفٌ متكبرٌ، في طبعه ميلٌ إلى الاستفزاز والتحدي، مع اتقان للهجاء وتفوق فيه، فرأى أن من حسن السياسة، تألف الشاعر وكسب وده، وتجنب استفزازه، ودفعه إلى معادته دفعاً.

فتلطف في عتابه، وكأنه يعتذر إليه من قصيدته تلك، مع اشفاق الشاعر من سطوة عبدالله واحتمال معاقبته له، إلا أنه لم يضعف أمامه، وإنما كلمه كما يكلم الرجل أنداده وأكفاه، وقد وصف ابن تغري بردي، لقاء الرجلين، بقوله: (مر عليه عبدالله بن طاهر في حصنه، واستنشده قصيدته، وقال له: ما حملك على هذا؟ قال الحصني: أنت حملتني بقولك:

وأبي من لا كفاء له من يساوي مجده قولوا
فلما فخرت على العرب، فخرنا على العجم)^(١٦).

وذكر أبو الفرج أن عبدالله عفا عنه ووهب له خراج بلده ثلاث سنين^(١٧)، وقال ابن المعتز: (فأفرغ بعد ذلك الحصني شعره في مدح آل طاهر)^(١٨) وهذا الذي سعى إليه عبدالله وقصده من حرصه على زيارة الشاعر، والتلطف في عتابه، ولم تذكر المصادر القديمة شيئاً مما قاله في آل طاهر، ولا أخباره وأشعاره بعد هذا، غير بيت واحد، ذكر المرزباني أنه من قصيدة له في الفخر (ذكر فيها خلفاء بني أمية ووجوههم)^(١٩) وهو قوله:

أما صفاتي فلها شانٌ ونماني الشيخ مروان
وأن معاصره محمد بن عبدالملك بن صالح العباسي، وكان ينزل قنسرين من أرض الشام، ردَّ عليه ونقض قوله، بقصيدة مطلعها:

بانوا فبان العيش إذ بانوا وأبدت المكنون أجفانُ
فخر فيها بنسبه الهاشمي العباسي قانلاً:

أنا ابن آل الله من هاشم حيث نما خيراً وإحسانُ

من نبعثة منّا نبي الهدى مؤرقة، والفرعُ فينانُ
بحيث خلفي السريحُ محسورةٌ والثقلان الإنس والجنانُ
أئمةٌ زهرٌ نجومُ الهدى بيضٌ على الأيام غرآنُ^(٢٠)

ولعل المرزباني وهم في نسبة البيت الذي عدّه مطلعاً لقصيدة العباسي، إذ هو خليقٌ أن يكون مطلعاً لقصيدة الأموي في ندب أهله ودولتهم، وأن عيشه بان بعد بينهم، وأبدت دموعه ما أخفاه من الحزن عليهم، ذلك أقرب إلى المعقول من نسبة البيت إلى رجل عباسي، مازال ملك أهله قائماً، وعيشه رغداً سعيداً في ظلهم، وليس عنده ما يدفعه إلى هذا الحزن المكتوم الذي تفضحه الدموع.

٣- أبو جعفر البشري: وقد عاصر أبا الأصبح المسلمي الحصني، شاعر أموي آخر، من أبناء عمه، يشبهه في الاسم، ويخالفه في الكنية واللقب، وهو أبو جعفر محمد بن يزيد البشري الجزري^(٢١)، من ولد بشر بن مروان بن الحكم، ذكره المرزباني بقوله: (جزري، من أهل مياً فارقين، قدم سرّاً من رأي، وأقام بها دهرًا، واتصل بعيسى بن فروخشا، وله في المتوكل مرث) ^(٢٢). وليس له شعر في أهله فخراً أو رثاءً، ولم يذكر المرزباني له غير مقطعتين في عتاب عيسى هذا، الذي يبدو أنه جفاه واحتجب عنه، قال في أولهما:

أتَرْضَى لي أن أرضى بتقصيـرك في برّي
وقد أخلقتُ في ودّك ما أخلقتُ من عمري
لعل الله أن يصنع لي من حيث لا تدري
فألقاك بلا شكر وتلقاني بلا عذرٍ^(٢٣)
وقال في الثانية، يعاتبه في حاجبه:

وأرى بالباب معترضًا ليس كشخائنًا فأشتمه
سفلةً يزورّ جانبه إنما الكشخان صاحبه^(٢٤)

وليس هذا عتاب رجل من عامة الناس لوزير من الوزراء، إنما هو عتاب النظراء

الأكفاء، وفيه نبرة غضب وترفع وحدة، توشك أن تحوله إلى هجاء وتوبيخ وتقريع، وقد تنبه ابن رشيق إلى هذا، فقال معلقاً على قصيدته الأولى فيه: (فهذا هو العتاب الممضّ والتوبيخ الذي دونه الجلد بالسوط، بل بالسيف)^(٢٥).

٤- أبو الغطاريف العثماني: ثم يلقانا من القرن الرابع شاعران أمويان، أما أولهما فنكرة مغمور، مرّ به الثعالبي مروراً سريعاً في ترجمة موجزة مبتسرة، وذكر من شأنه أموراً تثير الدهشة والعجب والاستغراب، فالرجل من أحفاد سيدنا عثمان (رضي الله عنه) ومن سلالة أسرة عريقة في التحضر، لم تعرف البادية ولم تعرف خشونتها وشظف عيشها، وإنما عاشت في حواضر العرب مكة والمدينة ودمشق، واشتهرت بالترف والتأنق في مأكليها وملبسها وسلوكها وأسمائها، يوم كانت البداوة غالبية على حياة العرب، وكان عهدهم بالتحضر قريباً، ثم تعجب إذ يلقاك في عصر غلبة الحضارة من القرن الرابع الهجري من أبناء هذه الأسرة الملكية، رجل يقال له أبو الغطاريف عملاق بن غيداق العثماني، ولست تدري أتعجب من هذه الكنية الغربية أم من هذا الاسم المنكر الذي لم نألف شبيهاً له بين أسماء الأسرة الأموية المترفة المتحضرة، أم تعجب من وصف الثعالبي له بأنه: (أعرابي جهوري متقعر في كلامه)^(٢٦) ثم إنه لا يسكن في بادية من بوادي العرب أو حاضرة من حواضرهم كما تتوقع من البدو والأعراب، إنما كان يقيم في نيسابور من بلاد العجم، ولعله كان يصطنع البداوة اصطناعاً ويتكلفها تكلفاً ليستطرف العجم ذلك من أمره، وينفق سوقه عندهم. ومن عجيب أمر هذا الرجل ووجوه التناقض في شخصه وسلوكه أنه كان (يقرأ القرآن بجهازة شديدة، ويشعر ويتعاطي الفواحش)^(٢٧) أموي أعرابي، كان أهله معدن الفصاحة وأمراء البيان، وهو يتقعر في كلامه وكنيته ثم يجمع بين قراءة القرآن وتعاطي الفواحش، وهو إلى ذلك (شاعر كثير الشعر)^(٢٨) ولكن لم يبق من شعره هذا الكثير كما يقول الثعالبي غير بيتين يتيمين يشير فيهما إلى فقره وسوء حاله، وأنه كان يدور

في سكك نيسابور بحثًا عن حفل أو وليمة يتطفل على أهلها، كما كان يفعل طفيل العرائس مولى جده عثمان، ومن نكد الدنيا أن يضطر رجل من سلالة الملوك إلى سلوك ما كان يفعله خدمهم ومواليهم، ثم يعلن ذلك في شعره ويصرح به، ثم لا يكون ذلك بين أهله وقومه ممن تعطفهم عليه القرابة والنسب المشترك، وإنما يفعل ذلك في بلاد العجم وعلى مرأى منهم، وفي ذلك يقول:

تلبس عملاق بن غيداق للشقا وللحزن والإفلاس أثواب حارس
يطوف بنيسابور في كل سكة خليفة مولاه طفيل العرائس^(٢٩)

٥- أبو الفرج الأصبهاني: وقد عاصر أبا الغطاريف، في القرن الرابع الهجري، شاعر أموي آخر، بلغ بعلمه وأدبه من الشهرة والخلود وذبوع الذكر، ما عجز عنه الكثيرون من أسلافه بملكهم وسلطانهم، ذالكم هو أبو الفرج علي بن الحسين، الأصبهاني أصلاً، البغدادي منشأ، المؤرخ الأديب، الشاعر العلامة، الراوية النسابة (كان من أعيان أدبائها (بغداد) وأفراد مصنفاتها، وله شعر يجمع اتقان العلماء، وإحسان ظرفاء الشعراء)^(٣٠).

وهو من أحفاد مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، وكان متشيعاً على مذهب الزيدية من الشيعة، يدل على ذلك كتابه في «مقاتل الطالبين» وآراؤه في السيد الحميري ودعبل الخزاعي أثناء ترجمته لهما في أغانيه.

وسيرته وذكر تأليفه مبسوطه في «اليتيمة» و«الوفيات» و«معجم الأدباء»، ومما قاله ياقوت في صفته: (العلامة، النسابة، الأخباري، الحفظة، الجامع بين سعة الرواية والحدق في الدراسة، لا أعلم لأحد أحسن من تصانيفه في فنها، وحسن استيعاب ما يتصدى لجمعه، وكان، مع ذلك، شاعراً جيداً)^(٣١).

وقال ابن خلكان: (وشعره كثير ومحاسنه شهيرة)^(٣٢).

ومع إشارة القدماء إلى كثرة شعره، وشهرة محاسنه، إلا أن ذلك الشعر لم يكن في مجمله من المختار النادر النفيس، ولم يحرص على التجويد فيه والاشتجار

به، ولم يصرف له جلّ همه ومعظم عنايته، إنما كان أحد اهتماماته الثانوية، ولوئاً من ألوان نشاطه الأدبي لا يكاد يذكر بجانب تفوقه العلمي في الحفظ والرواية والنقد والتأليف.

كان أبو الفرج أمويًا في نسبه ومتشيعًا في مذهبه، وقد حاول أن لا يجعل لأيهما سلطانًا عليه أو تأثيراً فيما كان يعالجه من أمور علمية في تأليفه التي جاءت آية على موضوعية الرجل وحياده ونزاهته وأمانته العلمية، وأنه لم يجعل للهوى سلطانًا على نفسه، ولم يخلط بين الموضوعية العلمية والعصبية الشخصية، لقومه أو مذهبه.

فلم يمنعه نسبه الأموي من تأريخ «مقاتل الطالبين» وما نالهم من أذى على أيدي أهله الأمويين وعلى أيدي العباسيين بعد ذلك، ولم يجد حرجًا من ذكر كثير من الشعر الذي هُجى به الأمويون، وما ذكره الشعراء من مظالمهم ومثالبهم، في «مقاتل الطالبين» و«الأغاني».

وبمثل هذه الروح الموضوعية وهذه الأمانة العلمية المحمودة، ذكر ابن المعتز قبل هذا، ما قاله الشعراء في هجاء أهله من العباسيين وثلبهم.

كما لم يمنعه تشيعه من التراجم الطوال المفصلة لعدد من الشعراء الذين أخلصوا الولاء للأمويين والعباسيين وحاججوا عن شرعية خلافتهم، وردوا على خصومهم من الشيعة ردًا عنيفًا، وكالوا لهم ما يكرهون من الهجاء والثلب، كما لم يمنعه تشيعه الزيدي الذي يترضى عن الصحابة، من الترجمة لعدد من شعراء الفرق الأخرى المناوئة لفرقة والمخالفة لها بالرأي، حتى أنه اضطر للاعتذار عن ترجمته للسيد الحميري بما كان شرطه على نفسه من الترجمة لكل من له شعر مغنى، وما ذلك إلا لضيقه بما كان يذكره السيد الحميري الكيسانى من ثلب لبعض الصحابة، مما يتعارض مع عقيدته الزيدية فيهم، (ولولا أن أخباره كلها تجري هذا المجرى، ولا تخرج عنه لوجب ألا نذكر منها شيئًا، ولكننا شرطنا أن نأتي بأخبار من نذكره من الشعراء، فلم نجد بُدًا من ذكر أسلم ما وجدناه له، وأخلاها من سيء اختياره على قلة ذلك) (٣٣).

وإذا كان كتاب «الأغاني» كتاباً خالصاً للعلم، لا تشوبه شائبة من عصبية لنسب أو لمذهب، إذ ترجم فيه لشعراء الأمويين وخصومهم، ولشعراء الشيعة وخصومهم. فإن كتاب «المقاتل» كان دون ريب تعبيراً عن حبه للطالبيين وولاء لمذهبه الزيدي، ومع أن هذا الحب وذالك الولاء، قد فرض بالضرورة على أبي الفرج فتوراً في عاطفته نحو أسلافه وإنكاراً لقسوتهم في معاملة الطالبيين، ومع أننا لا نفترض أن نجد في شعره رثاءً لهم بعد ثلاثة قرون من ذهاب دولتهم، كما أننا نستبعد أن يفخر بهم بعد أن وقف معظم شعره على مدح الوزير المهلبى وتملقه والتودد له^(٣٤)، وما كان أسلاف ذلك الوزير من آل المهلب إلا من صنائع أجداده الأمويين والموالين من أتباعهم.

وليس معقولاً لرجل يمدح المهلبى ويستجدي نواله، أن يفخر بأجداده الأمويين ويذكر ما كان لهم من عزّ وسلطان، وإذا كان تشيعه من جهة وخوفه من العباسيين من جهة ثانية واضطراره لمديح من لا يليق به من مدحه من جهة ثالثة، قد منعه جميعاً من ذكر نسبه الأموي والفخر به كما فعل سابقوه من الشعراء الأمويين، علانية وصراحة، فإن ذالك لا يعني انسلاخ الرجل عن جلده وتنكره لأهله، وعدم شعوره برفعة نسبه ومآثر قومه، ولكنه لا يصرح بذاك ولا يجهر به، إنما يلمح له تلميحاً ويومي له إيماء، إذا أحسّ من أحد تعالياً عليه أو استصغاراً له، ومن ذالك قوله معاتباً ابن العميد:

ولست في الغارب من دولة ونحن من دونك في المنسم
وقد ولينا وعزلنا كما أنت فلم نصغر ولم تعظم
تكسافات أحسواننا كلنا فصل على الانصاف أو فاصرم^(٣٥)

وفي البيت الثاني إيماء واضح إلى ما كان من ملك أهله وسلطانهم.

ومن مظاهر شعوره بنسبه الأموي أيضاً تأليفه لكتاب في نسب بني عبد شمس، وإرساله للخلفاء الأمويين بالأندلس، وعلاقته السرية بهم (وحصل له ببلاد الأندلس، كتب صنفها لبني أمية ملوك الأندلس، يوم ذاك، وسيّرها إليهم

سراً، وجاء الإنعام منهم سراً، فمن ذلك كتاب: نسب بني عبد شمس^(٣٦).

وقد ذكرنا في غير موضع من هذا البحث والذي تقدمه، أننا مدينون لأبي الفرج رحمه الله بكثير من أخبار شعراء بني أمية وأشعارهم، مما تجاهله غيره من المؤلفين، وتحامى الناس روايته وتسجيله وأثبتته هو عصبية لقومه.

ولسنا ندري على اليقين أكان أبو الفرج فقيراً مسكيناً لا يجد ما يأكله، أم أنه كان يتكلف ذلك ويتظاهر به، شرهاً وطمعاً، فقد ذكر القدماء كثرة ما ناله من عطايا المهلبى وما أرسله له الأمويون الأندلسيون من جوائزهم سراً، وما درّه عليه كتابه «الأغاني» من صلوات وجوائز، وهو مع هذا لا يتحرج في شعره من هجاء قاض طلب منه عصاً، فلم يعطه إياها^(٣٧)، أو من طلب حبر من القاضي التنوخي^(٣٨). أو من تذلل مهين للمهلبى لا يتحرج فيه من التصريح بخدمته له، ومن الإشارة إلى عُرِي بناته وبكائهن من شدة البرد وقسوته، ومن ذلك قوله من قصيدة فيه:

فداؤك نفسي هذا الشتاء
ولم يبق من نشبي درهم
يؤثر فينا نسيم الهواء
وأنت العماد ونحن العفأة
وقوله من قصيدة ثانية:

علينا بسلطاناه قد هجم
ولا من ثيابي إلا رمم
وتخرقها خافيات الوهم
وأنت الرئيس ونحن الخدم
وهذا الشتاء عسوفٌ عليّ
وسكان داري ممن أعمو
فهذي تحنُّ وهذي تئنُّ
كما قد تراه قبيح الأثر

لُ يلقين من برده كل شر
وأذمُّعُ هاتيك تجري درر^(٤٠)
وقد تقدمت الإشارة إلى ما كان يلقاه أبو وهب الأموي من برد الشتاء وقسوته، وكثرة ذكره ذلك في شعره^(٤١)، وبعد قرنين من الزمن ظهر شاعر أموي آخر، جعل من برد الشتاء وقسوته أيضاً موضوعاً لشعره، ووسيلة للاستجداء والاستعطاف.

ملاحظات عامة: ولعل القارىء الكريم قد لاحظ معي أن معظم من ذكرنا كانوا

من متوسطي الشعراء وصغارهم، عدا العتبي، وأنهم لم يصرفوا جلّ همهم للشعر وتجويده والعناية به، وإنما كان عندهم حلية وزينة واهتماماً ثانوياً، كما أنهم لم يشاركوا في أمر من أمور السياسة أو في أية ثورات أو خلافات سياسية، وابتعدوا عن الدولة، وانقطعت صلتهم بالخلفاء العباسيين ومجالسهم، وخلا شعرهم من مديحهم أو رثائهم أو استعطافهم أو ذكر ما يربط بينهم من النسب المشترك، كالذي وجدناه في أشعار المخضرمين منهم، ورضي بعضهم أن يكون في خدمة بعض ولاة الدولة ورجالها الثانويين كالبشري وأبي الفرج.

كما أنهم عاشوا حياتهم كسائر الناس وعامتهم، فكان منهم الموسر الوجيه كالعتبي وأبي الأصبع، وكان منهم من بلغ به الفقر وسوء الحال مما اضطره أن يكون حارساً وطفيلياً في بلاد العجم كعملاق بن غيداق.

ولاشك أن مضي زمن طويل على اندثار الدولة الأموية، وقلة من بقي من بني أمية وتفرقهم في البلاد، قد صرف الدولة العباسية عن تتبعهم ومراقبتهم والشك فيهم والخشية منهم.

كما صار ذلك بالنسبة لهم تاريخاً قديماً وماضياً غابراً، ولم تعد تشغلهم كثيراً مسألة رفعة نسبهم وأمجادهم السابقة، وقد خفف ذلك دون شك من شعورهم بالامتياز وما يصاحبه من نوازع الفخر والزهو أو الحزن والتفجع، فلم يعد الفخر بالنسب الأموي أو التفجع لما أصاب دولتهم، يظهر في شعرهم إلا نادراً، على خلاف كثرة ما وجدناه من ذلك في شعر المخضرمين: حتى لنظن أنهم كانوا يريدون نسيان ماضيهم ذاك أو تناسيه، وغاية ما يطمحون إليه أن يعيشوا بسلام في غمار الناس، كسائرهم وعامة رجالهم.

وليست هذه نهاية الأمويين ولا خاتمة شعرهم، إذ ظهر منهم في القرن الخامس شاعر ضخم ملأ الدنيا ضجيجاً بذكر أمية، ووقف شعره على الفخر بها وذكر ملوكها ومفاخرها، هو أبو المظفر الأبيوردي، الذي سنفرده له دراسة مستقلة متممة لهذه، والله المستعان، وله الحمد والمنة.

كلية الآداب - جامعة بغداد: د. محسن غياض عجيل

الحواشي:

- (١) انظر بحث الدكتور يونس السامرائي، «مجلة كلية الآداب» ١٩٨٩.
- (٢) نفسه ٤٣. (٣) نفسه ٦٠.
- (٤) «معجم الشعراء» ٣٥٥ و «الأغاني» ١٢/١٠٤.
- (٥) «معجم الشعراء» ٣٥٥. (٦) نفسه ٩٤.
- (٧) «مروج الذهب» ٤/٢٥٦. (٨) نفسه ٤/٢٥٧ - ٢٥٨.
- (٩) و (١٠) (عبدالله بن طاهر الأمير الشاعر) بحث للدكتور قحطان الحديشي، «مجلة الخليج العربي» العدد السادس ٣٠ نقلاً عن «تذكرة الشعراء» لدولت شاه.
- (١١) «طبقات ابن المعتز» ٢٩٩ وشعره لقحطان الحديشي.
- (١٢) «طبقات ابن المعتز» ٣٠٠ و «معجم الشعراء» ٣٥٦ و «الأغاني» ١٢/١٠٤، و الحاذان: الفخذان، وقدحت: أصابها القادح، وهو أكال يصيب الشجر.
- (١٣) «الأغاني» ١٢/١٠٤.
- (١٤) «النجوم الزاهرة» ٢/١٩٦. المنافية: نسبة إلى عبد مناف، ولعل معنى اتقنت المنافية: أي أنطقني عصبتي للمنافية. ورجل تقن: حاضر المنطق والجواب.
- (١٥) «الأغاني» ١٢/١٠٦. (١٦) «النجوم الزاهرة» ٢/١٩٧.
- (١٧) «الأغاني» ١٢/١٠٥. (١٨) «طبقات ابن المعتز» ٣٠١.
- (١٩) «معجم الشعراء» ٣٥٦. (٢٠) نفسه ٣٦٤.
- (٢١) نفسه ٣٩٨. (٢٢) نفسه ٣٩٨.
- (٢٣) نفسه ٣٩٨ و «العمدة» ٢/١٥٩. (٢٤) نفسه ٣٩٨.
- (٢٥) «العمدة» ٢/١٥٩. (٢٦) «اليتيمة» ٤/٤١١.
- (٢٧) نفسه ٤/٤١١. (٢٨) نفسه ٤/٤١١.
- (٢٩) نفسه ٤/٤١٢. (٣٠) نفسه ٣/١١٤.
- (٣١) «معجم الأدباء» ٥/١٤٩. (٣٢) «وفيات الأعيان» ٣/٣٠٨.
- (٣٣) «الأغاني» ٧/٢٣٠. (٣٤) «يتيمة الدهر» ٣/١١٤.
- (٣٥) «معجم الأدباء» ٥/١٥٧. (٣٦) «وفيات الأعيان» ٣/٣٠٨.
- (٣٧) «يتيمة الدهر» ٣/١١٨ و ١١٦. (٣٨) نفسه ٣/١١٨.
- (٣٩) نفسه ٣/١١٦. (٤٠) «معجم الأدباء» ٥/١٦٨.
- (٤١) «معجم الشعراء» ٤٨٤ وبحثنا السابق عن مخضرمي الشعراء الأمويين.

الشاعر أبو الفرج المخزومي (الببغاء) (*) وأدب القصة

القصة نمط أدبي رافق المسيرة الإنسانية على مرّ العصور، إذ تُنبع الحاجة من داخل الإنسان إلى أن يسجل تجاربه على صعيد الفرد أو الجماعة، فتنشأ القصة وتتطور بتطور هذه الحاجة، منذ قصة نشأة الخليقة وحتى زمننا هذا، والقصة عريقة لدى العرب، إذ تبدأ منذ أيام الجاهلية وأخبارها، التي انعكست عبر شعر ما قبل الإسلام^(١)، على أن للقصص في حياة العربي زمن الجاهلية وظيفّة حضارية مهمة، فلقد واجه أسرار هذا الكون وعبر عنها من خلال القصص بأسلوب متميز فيه الخرافة بالواقع، ولأنّ الإسلام قضى على كثير من الأساطير والخرافات، فإنّ ما بقي لنا من قصص العرب ذات الطابع الأسطوري قدرٌ يسير، تسلل إلى عصور ما بعد الإسلام، لأنه لا يتعارض مع تعاليم العقيدة الإسلامية^(٢) ويأتي الإسلام الحنيف فيحتفي بالقصة أسلوباً تربوياً شيقاً وفاعلاً، ولذلك نجد لفظ القصة أو ما يشتق منها من أفعال (يقصّ، نقصّ، أقصص... إلخ) يتكرر أكثر من ثلاثين مرة في «القرآن الكريم» وفي سورة القصص وحدها يتكرر لفظ القصة أو ما يشتق منها خمس مرات^(٣)، وفي العصور الإسلامية اللاحقة تزخر كتب التراث بالحكايات والقصص ذات الطابع الاجتماعي والديني والفلسفي والسياسي والذاتي... إلخ، بحيث تصعب الإحاطة بكل ذلك الفيض الزاخر من الحكايات والقصص.

وشاعرنا أبو الفرج عبدالواحد المخزومي المعروف بـ (الببغاء) (ت ٣٩٨هـ)^(٤) لم يقتصر نتاجه الأدبي على الشعر، وإن غلب عليه بل إنه كتب قصصاً ورسائل جديرة بالوقوف عندها، ولا سيما قصصه التي تعطي انطباعاً عن طبيعة الكتابة القصصية أواخر القرن الرابع الهجري، وسمات قصصه هي سمات مشتركة، تطبع أسلوب الكتابة يومذاك.

ويقف المحقق هلال ناجي عند الأقدمين والمحدثين، ممّن ذكروا قصصه

وأشادوا بها، فيذكر منهم أبا إسحاق الصابي الذي يخاطب شاعرنا بقوله:
فحُوشِيَتْ ياقُسُّ الطيور فصاحةً إذا أنشد المنظوم أو دُرِسَ القَصَصُ^(٥)
كما يورد رأي الدكتور زكي المحاسني في أن الشاعر أبا الفرج المخزومي
ممن جمع بين الصناعتين^(٦)، ويعده الدكتور زكي مبارك من أركان الحياة الأدبية
في زمنه^(٧).

ومجموع قصصه وعددها اثنتا عشرة قصة، تنحو منحى متنوعاً مما يتطلب
الوقوف عند كل قصة منها، وتقضي دوافعها ودلالاتها، ومن ثم استنباط السمات
العامّة لها، ولم يشأ الكاتب أبو الفرج المخزومي أن يضع عنوانات لقصصه،
لذلك سنشير إلى أرقامها وإلى خلاصة مكثفة لحدثها الأساسي، وخطوطها
الرئيسية، وحسبما يقتضيه السياق، فهذه قصته الأولى ينسبها إلى سلسلة من
الرواة، وعلى طريقتة في إيراد معظم قصصه (وجدت في كتاب أبي الفرج
المخزومي عبدالواحد بن نصر عن أبي القاسم عبدالرحمن بن العباس، قال:
حدثني أبو ساعدة بن أبي الوليد بن أحمد بن أبي دواد، قال: حدثني أبي، قال:
حدثنا إبراهيم بن رياح، قال: حدثنا أبو عبدالله أحمد بن أبي دواد قال: حدثنا
الوائق، قال: حدثنا المعتصم: أن قوماً ركبوا البحر...)^(٨) وعلى الرغم من
سلسلة الرواة الطويلة فإن قصته الأولى مما يتسلل إليها الخيال، وآثاره عليها
بيّنة، وهو مما يضيفي عليها طابعاً تشويقياً مؤثراً، لا سيما أن مضمونها يميل
صوب تحقيق المثال الخير، المستند إلى الدعاء وأثره في تحقيق الأمنيات فضلاً
عن النية الطيبة ونبيل السجايا، فبطل القصة (الشخصية الرئيسة) أرخص المال من
أجل الموعظة الحسنة حين اشترى الحكمة بمبلغ وفير من المال (عشرة آلاف
دينار)، ولم يكتف ببذل المال من أجل نيل الحكمة، بل التزم بها فقادته إلى
النجاة من الغرق في ذلك المركب، الذي حمله وجماعة معه، وأنقذه الدعاء من
ذلك الشيطان الشرير، فإذا به يتهاوى مثل كومة رماد، وقد تعلقت به الفتاة التي

أنقذها لحسن نواياه ونبل سجاياه، حين خلصها من مصير مظلم وأعادها إلى أهلها، وما معها من أموال سالمة، وطلبها من أهلها، فكانت زوجة سالحة، اقتسم معها بقية حياته حيث عاشا في يسر وطمأنينة، وهي نهاية تقليدية للقصة الشفهية التي تدخل في إطار القصص الشعبي الموروث عامة^(٩)، إذ يستثير بطل الحكاية - وهي نواة القصة وصورتها الأولى - ما يستثيره فيرحل تاركاً مكانه ومعرضاً ذاته لمجازفات لا حصر لها، وتظهر الأداة السحرية التي تخلصه من مأزقه، وتعينه على مواجهة البطل الشرير، الذي هو الشيطان في قصتنا، ولأن الشاعر البيغاء حسن المعتقد فإنه استبدل الأداة السحرية بالدعاء وحسن التصرف، اللذين محققا الشيطان، وهز ما شره وكيده، وهو تصرف حسن، وتشكيل جديد للأصل الحكائي، يتناسب وروح العقيدة الإسلامية.

وشبهه بهذه القصة بعض حكايات «ألف ليلة وليلة» فلقد اختطف العفريت فتاة إنسية في الثانية عشرة من عمرها، لبهاء وجهها، وفتنة ملامحها، في الليلة الثالثة عشرة^(١٠) ومثل ذلك الاختطاف يرد في الليلة الثامنة والستين بعد السبع مئة، فقد انطوت تلك الليلة على حكاية يختطف فيها ابن الملك الأزرق ملك الجان (دولة خاتون) ابنة ملك الهند^(١١)، وليس لدينا دليل على أن «ألف ليلة وليلة» أو بعض نصوصها كانت مدونة زمن أبي الفرج المخزومي، وأن أبا الفرج قد اطلع عليها، إذ لم ينتبه لألف ليلة إلا المتأخرون، ولكن روح تلك الحكايات يمتد إلى القرن الرابع الهجري، إذ توجد مثل هذه القصة أو ما يقترب من حدثها الرئيسي مكرراً بصيغ مختلفة، وأغلب الظن أن ناسخ «ألف ليلة» قد ضمها إلى لياليه لطرافة أجوائها، وقد خرجها محقق كتاب «البيغاء» هلال ناجي من كتاب «الفرج بعد الشدة» لأبي علي التنوخي^(١٢).

وتنحو قصته الثانية منحى آخر، إذ يؤرّخ من خلالها لبعض أحداث عصره، أو بما يسبق زمنه بقليل، بيد أنه لا يتناول الحدث التاريخي بوصفه مؤرخاً، بل ينحو صوب تأصيل التفاصيل والجزئيات، وبما يقرب الخبر من الحدث القصصي،

ولا نشك في أن شيئاً مما ذكره قد حصل فعلاً، وتناقلته كتب التاريخ، بيد أنه ينقله إلينا وأداته في ذلك لغة سلسلة جميلة، وتحذوه قدرة على الاسترسال، هي قدرة شاعر له ديوان شعر، تصدر هذا الكتاب الذي وقفنا على ثلثه الأخير، المتضمن قصص الشاعر البيّغاء، ومن ذلك صورة الشخصية الثانوية كما تدعى في القصص الفني، والمتمثلة بتلك الجارية السوداء، التي تظهر خادمة ومطربة وإنسانة وفيّة، إذ تحمي سيدها، وتُعينه في محنته، فمن شأن كتب التاريخ أن تذكر الحدث التاريخي دون ظلال وألوان، فإذا ما تسلّت الظلال والألوان إلى الحدث فإنه يدخل في باب آخر هو باب الفنّ، وفن القصة خاصة. وتشتمل هذه القصة على قصيدتين طويلتين، هما مما ورد في كتب التراث، وقد خرجهما المحقق هلال ناجي من كتاب «الفرج بعد الشدة»^(١٣)، ويدخل الشعر هنا في نسيج القصة إذ يعتمد حدث القصة الرئيسي عليه، فلقد استثير محمد بن يزيد الأموي حين سمع قصيدة عبدالله بن طاهر التي يفخر فيها بأبيه، فردّ عليها من غير أن يكون هو مقصوداً بسوء في القصيدة، ولكنه استاء من مبالغات الشاعر بأبيه وقومه، ولم يعلم بأنه سيكون في يوم ما تحت رحمة عبدالله بن طاهر وجيشه، فلما حصل ما لم يكن يتوقعه تهيأ للموت وهياً أسرته التي لم يستطع الهرب بها، وتفاجئنا القصة بنهاية أخرى غير التي استعد لها بطل القصة (الشخصية الرئيسة) إذ يحلّ عليه القائد عبدالله بن طاهر ضيفاً، ولكن يعفو عنه بل يجزل له العطاء، ويسمع قصيدته من فمه، ويردّ عليه معاتباً عتاباً سهلاً يسيراً، فيستأهل حينئذ أن يدخل في عداد الصافحين والعافين عند المقدرّة، وهي سمة أراد أن يبرزها الكاتب من خلال هذه القصة، ومثل هذه السمة يحرص العربي عليها ويبرزها عبر سيل من قصص التراث وحكاياته.

ولا تتعد قصته الثالثة عن نهج الثانية، إذ أنها تقوم على حدث تاريخي معروف، هو فتح (عموريّة) على يد الخليفة المعتصم، بيد أنّ الكاتب لا يركز عليه، بل يورده على أنه حدث خارجي، يحتضن حدث قصته الأساسي الذي

ينطوي على مفارقة يتحوّل فيها بطل القصة (الشخصية الرئيسة) من خائف مرتعب ينتظر موته إلى أمير، ويكون الأمير الذي كاد يبطش به متوسداً الثرى، إشارة إلى سرعة تغيير الأحوال، وتبدّل الأمور، بما لا يخطر على بال أحد.

وأما القصة الرابعة فإنها منسوبة لعصر هارون الرشيد، وربما اعتمد أبو الفرج في إيرادها على الأخبار المستقاة من أسلافه، وقد صاغها مع تفاصيل فنية، أحاط بها الشخصية الرئيسة في القصة، وهي شخصية أمير من بقايا أمراء بني أمية، وقد وصفه الكاتب بأنه شيخ رابط الجأش، بعيد الهمة، على الرغم من أن من جاء إليه هو خادم الخلفاء (منارة)، وبحسب الأخير أن الأمير الأموي يستهين به، ولا يحسب له ولمن أرسله حساباً، ولكن الحقيقة غير ذلك، إذ أن الرجل يعتقد فلسفة صحيحة عبر منطق السليم (إن كان سبق في قضاء الله تعالى... فلو اجتهدت الملائكة والأنبياء وأهل السماوات والأرض على صرف ذلك عني ما استطاعوا، فلم أتعجل بهم، وأتسلف الفكرة والغمّ فيما قد فرغ الله منه) (١٤). فيعجب به منارة، ويخفي ذلك عنه، حتى إذا ورد على الخليفة وقصّ عليه استهانة هذا الرجل به بوصفه رسول الخليفة، غضب الرشيد، وتغيرت ملامحه مما ينبئ بأن الخليفة سيقتله لا محالة، إلا أن منارة يعرج على منطلق الرجل، وأسلوبه في مواجهة الوشاية التي ألمت به، فإذا بلامح الخليفة تلين وتنبسط إثر توتر واحتدام، وإذا به ينصف الرجل ويعيده إلى أهله معزّزاً مكرماً على الرغم من أنه يعيش في كنف أعدائه ومنافسيه، ممّا يعطي عظة غالية، مفادها أن هذا الرجل قدر له أن يعيش ميسراً، على الرغم من غروب شمس دولته، وإشراق دولة أعدائه، ولكن الله حماه وأعادته إلى عزّه، مع أن كثيراً ممن يسيرون في ركاب الخليفة ودولته آنذاك لا ينهلون ممّا ينهل من ترف العيش وطيبات الحياة.

ومن طريف ما يذكر أن القصة التاسعة تقوم على النقيض من القصة السابقة. فإذا كان الأمير الأموي قد عاش منعماً في غير زمن قومه ودولتهم، فإن إبراهيم ابن المهدي قد كان مروّعاً خائفاً زمن خلافة ابن أخيه المأمون، ولقد ضاق ذرعاً

بمكمنه، فخرج في زيّ امرأة، وبعد سلسلة من الأحداث الثانوية، يجد إبراهيم نفسه وجهاً لوجه أمام الخليفة ابن أخيه، فيستعين بمنطقه ولغته وأدبه، فيعيّنه منطقته ويصغي إليه المأمون (يا أمير المؤمنين: إنّ وليّ الثأر محكّم في القصاص، والعمو أقرب للتقوى، ومن تناولته يد الاغترار بما مدّ له من أسباب الرجاء، لم يأمن عادية الدهر...) (١٥) ويسهم الشعر في إنقاذه إذ يتسلّل إلى قلب الخليفة المأمون وأحاسيسه، يقول إبراهيم بن المهدي:

ذنبِي إِلَيْكَ عَظِيمٌ وَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ
فَخُذْ بِحَقِّكَ أَوْلَا فَأَصْفَحْ بِحِلْمِكَ عَنْهُ
إِنْ لَمْ أَكُنْ فِي فِعْـالِي مِنْ الْكِرَامِ .. فَكُنْهُ (١٦)

ويستجيب المأمون لمنطقه وشعره حين يعفو عنه، ويشبه ويردّ إليه أمواله، وبذلك تعود مجازفته عليه بالخير والنجاح، وإنما قصد الكاتب القاصّ العفو عند المقدرة في هذه القصة أيضاً، بيد أنه ساقها بأسلوب مختلف عن القصة السابقة. وينسب أبو الفرج البيهق هذه القصة لنفسه، إذ يستغني فيها عن سلسلة الرواة، ولقد وجدت القصة ذاتها في «ألف ليلة وليلة» مع اختلاف طفيف في الأحداث الثانوية للقصة، وفي النصوص الشعرية المضمّنة، وقد انطوت عليها الليلة الثالثة والسبعون بعد المثتين وما بعدها (١٧)، وقد خرّجها المحقق من كتاب «الفرج بعد الشدة» (١٨). ممّا يدلّ على أن ناسخ «ألف ليلة وليلة»، قد ضمّها إلى لياليه لطرافتها.

ومن قصصه الذاتية قصته الأخيرة (الثانية عشرة). فالكاتب أبو الفرج بطلها وهو يرويها بعد وفاة سيف الدولة الذي كان له وفيّاً في حياته وبعد مماته (١٩)، وتقوم هذه القصة على حدث تاريخي، ينسج في داخله الحدث القصصي الخاص، الذي يكشف فيه عن طبيعة الأجواء التي عاشها الشاعر البيهق ذاته في صباه، اللّاهي. ويشير فيها إلى موهبته الشعرية المبكرة، وقوة تأثيرها وقصته هذه تذكّرنا بقصة ذاتية أخرى، يكون فيها أبو الفرج الراوي والبطل (الشخصية

الرئيسة) في آن واحد، وهي القصة السابعة، وتقوم على الرؤيا التي قد تصدق فتنبى بالمستقبل بعد ياس أبي الفرج من حياته، واستعداده للموت إثر ذلك المرض العضال الذي مكث في جسده ثلاثة أعوام، وتأتي رؤيا صديقه مبشرة له بالشفاء، إذ يقبل عليه ذات يوم متهلل الوجه، وقد أخبره عمار بن ياسر رضي الله عنهما في المنام بأن أبا الفرج العليل اليائس من الحياة سيعيش، وأن عليه أن يحذر على ابنه المعافى، وتحقق الرؤيا حين يقرأ أبو الفرج ويموت الشاب الغضُّ القوي، يحصل هذا في غضون أسبوعين اثنين فقط إشارة إلى سرعة حصول القضاء وحكمه.

وتقوم القصة السادسة على الرؤيا وصدقها أيضاً، وأبو الفرج هنا يوردها ويذكر سلسلة روايتها، وتكمن المفارقة فيها في أن الشخصيتين الرئيسيتين في القصة يريان رؤيا واحدة، المظلوم والظالم على حدّ سواء، فيتشجع المظلوم ويزدجر الظالم، ويعود إلى فطرته الخيرة ويمتنع عن قتل رجل يسعى من أجل رزقه، ويلحف في طلبه، إذ أن به حاجة لمثل هذا الإلحاف.

ويصوغ أبو الفرج قصته الثامنة بأسلوب شيق، وهي تشبه بصورة وبأخرى بعض حكايات «ألف ليلة وليلة» إذ تجد الفتاة الفاتنة المصون نفسها تحت وطأة الحاجة القاسية تمدّ يديها وتقول محاوررة الرجل الذي لامها على إظهار وجهها:

لم أبده حتى تقضت حيلتي فبذلته وهو الأعزُّ الأكرم
ويعزُّ ذاك عليّ إلا أنسه دهرٌ - يجورُ كما تراه ويظلم^(٢٠)

ويمضي الكاتب في إيراد ستة أبيات لا تخفى ركتها بيد أنها مقبولة في سياق القصة الطريف، وتحظى الفتاة بفضل جمالها وحسن منطقتها بأمير تعيش في كنفه، إثر سعي الراوي إلى التعريف بها، وما لحق بجمالها من حيف، ويعجبك في الفتاة اعتدادها بنفسها على الرغم من ظرفها القاسي، وما هذه الخاتمة إلا مكافأة للفتاة على صونها عفتها ولمنطقها وموهبتها الشعرية.

ويكون الراوي في القصة الحادية عشر مختلفاً عن قصصه الأخرى، فهو هذه المرة ممّن يثق بهم أبو الفرج، توخياً لواقعية القصة، وإشارة إلى حصولها الفعليّ الذي يدفع القارىء إلى التصديق بها، وما يهمنى الآن ليس حصولها الفعلي بل صدقها الفنيّ، المستمد من أسلوب صياغتها، وهي مما يدخل في إطار الطرافة وعدم التوقع، وبما يشبه لحظة التنوير في خاتمة المسرحية، ففي الوقت الذي لا يخطر على بالنا أنّ الشيخ المسنّ في القصة يمثل هذا الدهاء والمقدرة، على التصرف السريع الصحيح في المحنة، فإنّه يفاجئنا بخاتمة غير متوقعة لا نستبعد حصولها في عالم الواقع، إثر محاصرته من ثلاثين لصاً يطعمهم طعاماً لذيذاً، يغيبون إثر تناوله عن الوعي، وينجو هو ومن معه بأنفسهم.

ومما يلمحه القارىء من سمات عامة تطبع قصصه إنها صيغت بلغة نثرية غير مسجوعة، وغير مزينة بصور البيان، إلا ما ندر منها، أنّها لغة تكاد تكون مباشرة، ويأتي الشعر على هيئة قطع صغيرة. في غضون القصص، ويهتم أبو الفرج المخزومي بسلسلة الرواة في معظم قصصه، بيد أنه قد ينسب القصة لنفسه، فيكون بطلها حيناً وراويها حيناً آخر، أو أنه المرويّ له، ويكون راويها ممّن يثق بهم أبو الفرج، وثمة لازمة تتكرر في أكثر من قصة من قصصه هي (وجدت في كتاب أبي الفرج المخزومي...) (٢١). مما يدلّ على أن هناك كتاباً كاملاً ضمّ قصص أبي الفرج لم يصل إلينا منه إلا هذه القصص التي وقفنا عندها في هذه السطور (٢٢). ولقد تباينت قصصه قصراً وطولاً، وهو في كلّ ذلك يتوخّى إيصال فكرته المرتبطة بحدثه وشخصيّاته، فقد تبلغ القصة الواحدة سبع صفحات وربما تكون بضعة سطور فقط، وبعض قصصه وثيقة يستدلّ بها على أحداث حياته، ولا سيما قصته الأخيرة التي تحدث فيها أبو الفرج عن شبابه، وتنبثق عظة يصرّح بها الكاتب إثر كل قصة من قصصه، وقد لا يصرّح بها، فيستتجها القارىء، والعظة الخفية المتضمنة أبلغ وأقرب إلى روح الفن، من العظة المباشرة، بيد أننا لا ننسى السياق التاريخي لقصص أبي الفرج، وزمن منشئها وكاتبها مما يجعلنا نرى أن هذه القصص لها شأنها، وأنها جديرة بالدراسة، لأنها نمط نثري، يعكس طبيعة العصر

وملابساته، وإذا كان جانب الموعدة يطغى عليها، فإن ذلك ليس غريباً عن الأدب عامة في أجمل نماذجه، فهو يُمتع بقدر ما يعلم، ويُعلم بقدر ما يمتع، على أن لا تطفئ إحدى الوظيفتين على الأخرى^(٢٣). ولقد أمتعنا الشاعر أبو الفرج البيهقي وأضاف إلى ما نعرف عبر قصصه الشيقة. وثمة قصص شعرية لأبي الفرج وردت في ديوانه لسنا بصدها في هذه السطور المخصصة لقصصه النثرية.

بغداد: د. صبري مسلم

الحواشي:

- (*) البيهقي عبدالواحد بن نصر المخزومي المتوفى سنة ٣٩٨هـ - حياته، ديوانه، رسائله، قصصه - جمع وتحقيق: هلال ناجي، عالم الكتب، بيروت ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- (١) ينظر: منذر الجبوري، «أيام العرب وأثرها في الشعر الجاهلي» دار الشؤون الثقافية العامة ط ٢، بغداد ١٩٨٦، ص ٩٣.
- (٢) د. عز الدين إسماعيل «المكونات الأولى للثقافة العربية»، مطبعة الأديب، بغداد، ١٩٧٢، ص ١٢٥.
- (٣) محمد فؤاد عبدالباقي، «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم» دار إحياء التراث العربي بيروت ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م ص ٥٤٦.
- (٤) لقب بالبيهقي للثقة فيه، وقيل بل لفصاحته، ينظر: «البيهقي»، مقدمة المحقق ص ٨.
- (٥) «البيهقي»، ص ٢٠. (٦) نفسه، ص ٢٠.
- (٧) نفسه ص ٢١. (٨) نفسه، ص ١٣٣.
- (٩) د. نبيلة إبراهيم، «قصصنا الشعبي»، دار العودة، بيروت ١٩٧٤، ص ٥٣.
- (١٠) «ألف ليلة وليلة»، تحقيق محمد قطة العدوي، مطبعة بولاق، القاهرة ١٢٥٢هـ. أعادت طبعه بالتصوير مكتب المثنى، بغداد (بدون تاريخ) المجلد الأول ص ٣٧.
- (١١) نفسه، المجلد الثاني ص ٢٨١.
- (١٢) «البيهقي» ص ١٣٤. (١٣) نفسه، ص ١٤١. (١٤) نفسه، ص ١٤٦.
- (١٥) نفسه ص ١٥٥. (١٦) نفسه، ص ١٥٦. (١٧) «ألف ليلة وليلة»، ص ٤٤٨.
- (١٨) «البيهقي» ص ١٥٨.
- (١٩) نفسه، ص ١١ - ١٢ إظهار المحقق هلال ناجي في مقدمته إلى وفاء الشاعر لسيف الدولة.
- (٢٠) نفسه، ص ١٥٤.
- (٢١) نفسه، ص ١٣٣، ص ١٣٥، ص ١٤١، ص ١٤٢، ص ١٥٣.
- (٢٢) نفسه، ص ١٩ حيث أشار المحقق إلى ضياع كتاب قصص أبي الفرج في مقدمته.
- (٢٣) (أوستن وارين) و (رينيه ويليك)، «نظرية الأدب»، ترجمة: محيى الدين صبحي مطبعة خالد الطرابيشي، دمشق ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، ص ٣١.

د. علي جواد الطاهر ... وعلم التحقيق

يُعدُّ علم التحقيق من العلوم الحديثة والذي اهتمَّ بنشر الكتاب التراثي المخطوط بصورة علمية صحيحة.

وإذا كان المرحوم عبدالسلام محمد هارون هو أوَّل باحث عربي مُحدَث كَتَبَ في (تحقيق النصوص ونشرها) وتبعه آخرون. فإن هذا الفن لم يعدم من المسلمين الأوائل مَنْ كانت لهم إشارات مهمة عنه، وَحَوَتْ آثارهم قواعد هامة ودقيقة استنبطوها من قواعد رواية الحديث الشريف، ثم كان دور المستشرقين في تأصيل ذلك، فكتب أولهم. وهو الألماني (بركشتراسر Bergstasser) محاضرات، جُمعت في كتاب بعد وفاته، ثم (سوفاجه Souvaget) و (بلاشير Blachere) وغيرهم.

في ضوء ذلك لم يكن الأستاذ الدكتور علي جواد الطاهر غريباً عن هذا العلم المهم، بل مارسه وسبَّر أغواره، ولعلَّ تحقيقاته ونقوده على تحقيقات الآخرين دليل واضح على ما نقول.

ويبدو أنَّ حبه للتراث - منذ نشأته - وتخرجه في دار المعلمين العالية، (كلية التربية - اليوم) ثم رحلاته إلى القاهرة وباريس والرياض وبيروت.. وتلمذته على أساطين الباحثين من العرب والفرنسيين ثم علاقاته الواسعة بهم، وبغيرهم، أتاح له كل ذلك - الإلمام المنهجي بعلم تحقيق المخطوطات، في اطلاعه على ما كتبه قدماء العرب ومُحدِّثيهم، أو ما وَضَعَه مستشرقو الغرب، فجمع بذلك بين المنهجين.. وعرف لكلِّ حَقَّه وفضله وأصالته.

والطاهر - بعد أن درس ما كتبه سابقوه ومعاصروه وبعد أن قام بتحقيق عدد من الدواوين ونقَد كثيراً من كتب التراث - قام بإلقاء محاضرات في تحقيق النصوص على طلبة جامعة قسنطينة بالجزائر عام ١٩٧٨م، ثم على طلبة الماجستير والدكتوراه في جامعات بغداد والكوفة والمستنصرية وجامعة صنعاء وجامعة قطر، إلا أنه لم يَنْشُرْها وظل بعضها متناثراً فيما نشره وحققه.

وإذا طفقنا نبحث في تطبيقات علم التحقيق عنده، وجدنا أن أول كتاب حَقَّقَهُ هو «دُرَّةُ التَّاج من شعر ابن الحجاج»، وهي قصائد مختارة للأسخف من شعر الحسين بن عبدالله المعروف بأبن الحجاج الشاعر العباسي جمعها بديع الزمان الإسطرلابي (ت ٥٣٤هـ) ووزَّعها على ١٤٨ باباً، أما نسخته الوحيدة فقد حصل عليها من المكتبة الوطنية بباريس وتَفَقَّع في نحو (٢٠٠ ورقة) بخط العلامة اللغوي ابن الخشاب، وقد أفاد منها باطلاعة على عالم من الشعر، لم يكن يعلم بوجوده على هذه الصورة.. وهذا الكتاب هو الجزء المكمل من رسالة (الدكتوراه) من باريس، بإشراف (بلاشير Blacher) والتي نالها في شباط ١٩٥٤م، ويطلب الآن في دار الجمل - كولونيا، بألمانيا.

أما الجزء الأول من رسالته الأصلية، فكان بعنوان (الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي)، وقد طُبِع ببغداد بجزئين عام ١٩٥٨م - ١٩٦١، وأعاد طبعه بيروت في مجلد واحد عام ١٩٨٥.

وكتب بحثاً مطولاً عن (الخُرَيْمِي) في «مجلة مجمع اللغة العربية» بدمشق ١٩٦٦م، (وأعاد ببغداد، سلسلة الموسوعة الصغيرة ١٩٨٦م)، حتى إذا اطمأن إلى عمله جمع شعره، ونَشَرَهُ ببيروت عام ١٩٧١م، في نحو مئة صفحة، ثم أَرَدَقَهُ عام ١٩٧٦م بديوان (الطغرائي).

وللظاهر - بعدُ - جهود كبيرة أخرى في التراث مثل كتابه «محمد بن سلام وكتابه طبقات الشعراء»، عمَّان ١٩٩٥م وكتابه «المرزوقي - شارح الحماسة - ناقداً» بيروت، ١٩٩٥م، وكتابه «منهج البحث في المثل السائر» بغداد ١٩٨٨م، و«مصادر صناعة الكتابة» بغداد ١٩٩٥م.

ورأى الطاهر ضرورة اطلاع المحققين والدارسين على ما نشر من الدواوين أو المجاميع الشعرية المحققة، وجهد أن يذكر مشاركة العراقيين في نشر التراث الشعري العربي وتحقيقه، إذ شارك في تموز ١٩٧٣م في مؤتمر المستشرقين

الذي عُقد في باريس ببحث عنوان (نشر الشعر وتحقيقه في العراق)، وقد نشر (الفهرس) الخاص بأعمال النشر والتحقيق في مجلة «المورد» مج ٢، ع ٢، ١٩٧٤م، وفيه تناول جهود العراق في نشر الشعر تحقيقاً أو طبعاً أو أفستة (تصويراً)، ثم شرفني إذ جعلني مشاركاً معه في تأليف كتاب بهذا العنوان ويشمل ما نشره في مجلة «المورد» فصاعداً وقد رُتب على أساس الشعراء والمصنفين، مع الأخذ بنظام (الاحالات) وقدم إلى دار الشؤون الثقافية العامة لنشره.

وإذا ما ذُكر التحقيق ألحقَ معه (نقد التحقيق)، والطاهر ناقدٌ قبل كل شيء، وهكذا رآه الناس، وهكذا رأى نفسه وهو في ذلك لم يكن جامد الأسلوب أو غامضه، بل مزج المقالة بالنقد وإن شئت قلت: مزج النقد بالمقالة، في استرسال هادئ ورقيق، لا يخرج من قضية إلا وقد أتمَّ بحث جوانبها المنقودة، ثم قام الطاهر بتدريس (نقد التحقيق) لطلابه، بل إنه أوَّل من قام بتدريس (نقد التحقيق) في العراق، إذ درَّسه لستين في الثمانينات بجامعة بغداد، وتوقَّفَ الدرس، ولم يزاوله أحد غيره، من قبل ومن بعد، وهو درَّسُ يراه الطاهر (مهماً وجديراً بالبقاء).

ومن تلامذة الطاهر الذين زاولوا هذا النقد وأصبحوا الآن أساتذة: د. حاتم صالح الضامن ود. نعمة رحيم العزاوي ود. محمد حسين آل ياسين، وكان من ثمرات هذا الدرس أن قاموا بنقد الجزء الأول من ديوان «حيص بيص» الذي حققه الأستاذان مكي السيد جاسم وشاكر هادي شكر ببغداد ١٩٧٤، ونُشر النقد في مجلة «المورد» مج ٥، ع ٤، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٦م، كما قاموا بنقد كتاب «الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي» لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، بتحقيق د. محسن غياض ببغداد ١٩٧٣م، إذ نُشر النقد في مجلة «المورد»، مج ٦، ع ٣، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

علمًا بأن درَّسَ (التحقيق) - من قبل لم يخلُ من نقد للكتاب المدرس، من ذلك تدريسه للطبعة الأولى عام ١٩٥٢م، من كتاب ابن سلام الجُمحي (ت ٢٣١هـ)

بتحقيق الشيخ محمود محمد شاكر، والذي صدر بالقاهرة، بعنوان «طبقات فحول الشعراء» لطلبة الماجستير والدكتوراه، ثم الطبعة الثانية الصادرة عام ١٩٧٤ من الكتاب نفسه لطلبة الدكتوراه، وذلك في دورة عام ١٩٧٧ - ١٩٧٨ م.

وقد انتهى مع طلابه إلى فروق بين مطبوعة الشيخ محمود شاكر المخطوطتين اللتين وصلتتا إليه من الكتاب، وهما مصورة نسخة جسترستي Chester Beatty ومصورة نسخة عارف حكمة بالمدينة المنورة، على أمل تدارك أخطائها في طبعة الثالثة.

على أن ذلك لم يمنع من نقد الكتاب تطبيقياً في مجلة «المورد» (٣ : ١٩٧٩ م)، ثم في مقال آخر بين فيه هنات التحقيق، ثم نُشر المقالان على انهما فصلان في كتابه «محمد بن سلام وكتابه طبقات الشعراء»، وقد احتلا الباب الثالث منه.

وأهم الملاحظات التي أخذها عليه: تغيير عنوان الكتاب، بإضافة كلمة (فحول) إليه وتقسيمه إلى جزئين - سفرين - والتزيّد الكبير الذي أضافه المحقق إلى نصّ الكتاب، وثقته بالمخطوطة (جسترستي)، برغم العيوب الكثيرة فيها، وشرحه مالا حاجة إلى شرحه ثم إنه لم يضع فهرساً خاصاً بالمصادر التي رجع إليها، إضافة إلى أخطاء أخرى كثيرة في الضبط والرسم.

وفي دورة أخرى عرض الطاهر على طلابه «ديوان الخريمي»، للنقد، فكانت فوائد جمّة، ولا سيما قصيدة (بغداد) مازالت مدخّرة لطبعة ثانية.

ويمكن أن نجد في كتبه الأخرى صفحات أو فقرات تختص بعلم التحقيق ونقده، سلباً أو إيجاباً كما نلاحظ ذلك في «تحقيقات وتعليقات» و «تحقيقات عُرضيّة» و «كتب وفوائد» و «فوات المؤلفين» و «كتب محققة وفوائد» و «ملاحظات على وفيات الأعيان» و «أنت تقرأ» و «كتب وملاحظات»، وخبرته الكبيرة بالمخطوطات وأماكن احتجانها.

أما أهم مؤلفاته فهو «فوات المحققين» الذي صدّر ببغداد عام ١٩٩٠م، في نحو أربع مئة صفحة، وهو في الأصل، مقالاته التي كان قد نشرها في مجلات رصينة، كـ «المورد»، و «العرب»، و «الأديب»، و «المجمع العلمي الهندي» وفيه نقد نحو ثلاثين كتاباً لمحققين مشهورين، وقعوا في أخطاء كبيرة وكثيرة، لم تشفع لهم شهاداتهم أو منزلتهم من هذا النقد العلمي، لأن التحقيق - كما يقول الطاهر: (كيانٌ خاصٌ - لا يكفي فيه أن يكون المرءُ عالمًا وأستاذًا لينجح في مهمته)^(١).

منهجه: يمكن توضيح منهج الطاهر في نقد التحقيق، بما يأتي:

- ١- التقديم البسيط والموجز للكتاب ومحققه.
- ٢- كتابة النص الذي يراد نقده بأمانة ودقة، ووضعه بين قوسَي التنصيص، مع وضع ثلاث نقاط بين قوسين كبيرين دلالة على المحذوف منه.
- ٣- تقسيم الملاحظات على النص إلى: ١، ٢، ٣...، وإذا كانت هناك أكثر من ملاحظة على أحد الأرقام ويُقسم ذلك إلى: أ، ب، ج...
- ٤- بيان الأخطاء في اللغة والوزن والضبط والتخريج.
- ٥- بيان اختلاف الألفاظ والعبارات في النص المنقود، وذلك بالرجوع إلى المصادر الأخرى التي أوردت النص نفسه سواء في النثر أو الشعر.
- ٦- الموازنة بين أكثر من نشرة (إذا كانت للكتاب أكثر من نشرة واحدة) مع ذكر الجزء والصفحة، وزيادة في التخريج والتوثيق.
- ٧- بيان المطبوع ومكانه وسنته، إضافة إلى بيان المخطوط ورقمة المكتبة التي تحتجته.
- ٨- بيان أهمية ضبط الكلمات وما يحتمل وقوع الخطأ فيه من الأعلام والمدن بالرجوع إلى الكتب المتخصصة كـ «وفيات ابن خلكان» و «الأنساب» للسمعاني، أو معجمي الأدباء والبلدان لياقوت الحموي.

٩ - استخدام علامات الترقيم كالنقطة والنقطتين الرأسيين وقوسي الاقتباس، وقد يضع الطاهر علامة استفهام بين قوسين للدلالة على كلمة غامضة.

١٠ - من العبارات التي يستخدمها الطاهر هي: (ومن المناسب جداً) و(صحة كذا: كذا) و(لَمْ لَمْ يفعل كذا)؟ أو (هذا تمحل لا حاجة إليه)..

آراء وقضايا: ومن خلال الاطلاع على جميع ما كتبه د. طاهر في (علم التحقيق ونقده) ودراسته دراسة فاحصة استطعنا أن نحصر آراءه وملاحظاته على كُتب التراث المخطوطة والمحققة وهي آراء - على ما أرى - ستُغني المحققين والباحثين في تحقيق المخطوطات، وتجنبهم الوقوع في الهفوات التي وقع فيها من سبقهم وتقرب عملهم إلى الكمال.

إذا اشترط الطاهر في المحقق: الرغبة مع سلامة النيّة والإخلاص في العمل والشعور بالمسؤولية، وإذا قصد بذلك مَنْ رغب وصبر وبذل الوقت والمال، بقي من الناس مَنْ يرغب، ولكنه غير مخلص في عمله، إضافة إلى عدم الكذب أو التدليس على الآخرين، وأن يكون على معرفة تامة بالمؤلف كي لا يؤثر ذلك في أحكامه، مع وجوب عدم إضفاء صفات ليست في أدباء العصور المتأخرة، والتحقيق من غلواء إعجابه بالمؤلف أحياناً.

أما عنوان الكتاب فيجب عدم تغييره، من ذلك أن الشيخ محمود محمد شاكر نشر كتاب «طبقات الشعراء» لابن سلام وغيره إلى «طبقات فحول الشعراء»، ولم يقرب أحد زيادة كلمة (فحول) في العنوان. وأكد أنه إذا أراد المحقق أن يوضح دلالة العنوان للقارئ المعاصر فليكن، بعد أن يذكر العنوان الأصلي. ومن ذلك كتاب أبي النشاء الألويسي: «شهيّ النغم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحكم» إذ وضّعه د. محمد العيد الخطراوي عنواناً فرعياً وجعل العنوان الأصلي «عارف حكمة.. حياته ومآثره» وهو تصرف مخطوء، والعكس هو الصحيح.

وبيّن أنه يجب أن تكون مقدمة المحقق موجزة ومختصرة، وفيها وصف

كاملٌ للمخطوطة، وترجمة لصاحبها، وأن تُرَقِّم صفحاتها بحروف أبجدية تختلف عن أرقام الكتاب الأصلي، مع تصوير صفحة أو أكثر من صفحات المخطوطة تُثَبِّتُ مع المطبوعة لما في ذلك من دلالة علمية.

وبخصوص الإحالات والتخريجات أوضح الطاهرُ أنَّ المؤلفَ قد ينصَّ على كتاب ما - له أو لغيره - لذلك وَجَبَ على المحقق الرجوع إليه، إن كان مطبوعاً أو مخطوطاً وعدم الرجوع إلى المختصر منه، لأنَّ المختصر لا يُغني عن الأصل ولو كانت للمختصر هذه الأهمية لرجع إليه المؤلفُ نفسه، فالدكتور إحسان عباس في تحقيقه لـ «وفيات ابن خلكان» رجع إلى (أَباب) ابن الأثير - وهو المختصر - ولم يرجع إلى كتاب «الأنساب» للسمعاني، وهو الأصل. وقد ينقل المؤلفُ عن كتاب سبقه ويتعمد التعمية والكذب، ولا يشير إليه كما فعل القفطي في كتابه «المحمدون من الشعراء» عندما نقل عن العماد الأصفهاني (قسم الشعراء العراق) من «الخريدة» أو ابن العماد الحنبلي صاحب «شذرات الذهب» عندما ينقل أو يقتبس أو (يختلس) من «وفيات الأعيان»، فعلى المحقق أن يكون على اطلاع واسع بالمخطوطات ومعرفة السابق واللاحق و (السارق)، وبيِّن أهمية شرح الصولي لـ «ديوان أبي تمام»، لأنه أقدم الشروح، وذلك يُتيحُ لنا أحد أمرين:

الأول: معرفة الأصيل وتحديد السرقة، والثاني: يمكننا في حالة نشر الشروح كلها من الاكتفاء بالجديد فقط عن الشرح اللاحق، وذلك عندما تكثر الشروح ويكثر النقل (والسرقة) ويصعب نقل الشروح كلها لسبب وآخر^(٢).

وقد يكون للمؤلف أكثر من كتاب فيه حوادث متشابهة فكتاب «مظهر التقديس» للجبرتي تتكرر فيه كثير من الأخبار في كتابه الآخر «عجائب الآثار» - المعروف بتاريخ الجبرتي - وهذه فرصة نادرة لمن يحقق هذا الكتاب - أو ذاك - للمقابلة والتحقيق.

وأكد أنه لا يجوز للمحقق أن يذكر في المتن اسم السورة ورقم الآية عند ورود الآية القرآنية، بل يجب ذكر ذلك في الهامش، لأنَّ المتن خاصٌ بالمؤلف.

وأوضح أنه على المحقق أن يترىث و (يتحوط) لدى رواية خبر ما، في رجوعه إلى المصادر الأصلية، فابن النديم - على علمه - كان ورآفاً أكثر منه عالمًا، أما ياقوت فإضافة إلى تأخره فإنه ينقل الأخبار... ينقل فقط! (٣)

ورأى أن «البيان والتبيين» للجاحظ فقد تزامن تأليفه مع كتابه الآخر «الحيوان». وأوضح (أن التحقيق ليس عملاً سهلاً، وإنما هو استعداد ودربة وعلم وذكاء ونبهاة.. وحب للعمل) (٤).

قال عباس الجراح: وفي تحقيقه للشعر رأى الطاهر أنه إذا وجدَ المحققُ مقطوعةً تتفقُ مع بعضها في الوزن والقافية والغرض والنفس، وجبَ عدم جعلها في قصيدة واحدة، حذرًا من سوء التقدير وخوفًا من أن يجري الجمع على غير الصورة التي عملها الشاعر، لذلك يجب أن توضع المقطوعات تحت رقم واحد، يُوزع إلى أ ب ج، وقد طبّق هذا الرأي بوضوح في «ديوان الخريمي» فالقصيدة رقم ٩ قُسمت إلى ٩/أ، ٩/ب، وكذلك القصائد رقم ٢٣، ٣٢.. والقصيدة رقم ٤٧ قسمت إلى ثلاثة أقسام وقد سار على هذا المنهج الأستاذ عباس توفيق في جمعه وتحقيقه لـ «شعر أبي نُخَيْلة» (ت نحو ٢٤٥ هـ) إذ أشار إلى ذلك في مُقدمة عمله في مجلة «المورد» - بغداد، مج ٧، العدد ٣ - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م، ص ٢٤٩.

وفي «ديوان الخريمي» أيضًا يأتي الطاهرُ بجديد آخر وهو الخاص بالشعر المنسوب، ففتحَ بذلك بابًا جعل عنوانه (الشعر المنسوب إلى الخريمي وهو أولى به) وبين أنه استحدث هذا الباب الجديد لورود هذا الشعر على أنه له في مصادر أكثر عددًا وأهمية، وأنه أقربُ إلى نفسه في الجيد من شعره الصحيح النسبة إليه، وفي الأحداث التي يشير إليها ما يمكن أن يقوم دليلًا آخر، فالطاهر هنا جعل هذا القسم جزءًا لا يتجزأ من شعره الأصلي، وكان المحققون قبله - وبعده - يجعلون الشعر المنسوب بابًا واحدًا، سواء أحسوا بأنه له قطعًا أم لا!

وفي «ديوان الخريمي» جديد ثالث، فالظاهر أجازَ أن يُطلق على الشعر الذي نجمعه حديثاً لشاعر ما اسم (ديوان)، وإن لم تكن له نسخة خطيةً مجموعةً سابقاً، وذلك لأن الجمع في القديم يُسمَى (ديواناً)، إذن فجمع الشعر قديماً هو نفسه الجمع حديثاً، ويُعرف الفارق من الجامع وعصره، وذلك واضح في «ديوان الخريمي»، الذي لم تصلنا مخطوطة منه، بل جمعه من المصادر القديمة.

أما الزيادات التي يضعها المحقق بين معقوفتين، فبين (إن المعقوفتين لم تكونا في الأصل للزيادة المطولة الخاضعة لذوق المحقق في الاستحسان والحكم، وإنما كانتا زيادةً محدودة من كلمة أو كلمتين - أو أكثر قليلاً - بما يقوم عبارة...) (٤).

وبخصوص الحواشي والفهارس، رأى أن نتبنى للحواشي لفظة (الذيل) فهي كالذيل من القميص بالنسبة للمتن من الصفحة. وأما الفهارس الأعلام والمدن فمن الأفضل أن يطبع على عمودين في الصفحة وبحرف صغير لتقليل الكلفة والورق، وأن تكون مصنوعة بأمانة وضبط وإلا فالأفضل تركها.

وأوضح أنه لا بد من البحث عن مواد اللغة والنحو عند غير المشهورين بهما وفي غير كتبها المقررة (٥).

أما الأعلام فوجب تعريف غير المشهورين منهم، في ملحق خاص آخر الكتاب، أما المشهورون فمن العيب الكبير أن يُعرف بهم.

وشدّد على عدم التزام المحقق بشرح المفردات، لأن ذلك ليس من عمل المحقق لأن المحقق ليس باحثاً ولا دارساً ولا ناقدًا، وهذا هو الأصل في التحقيق لأن إمكانات المحقق غير إمكانات الباحث، وقد طبّق هذا الرأي في تحقيقه لـ «ديوان الطغرائي»، إذ خلت هوامشه في طبعته - من كل شرح.

ثم تأتي - بعد ذلك قائمة بالمصادر والمراجع تُوضع بعلمية، ولها طريقتان، الطريقة الأولى أن تُرتب على أساس أسماء الكتب، إذا كانت الإحالة عليها في الهوامش، والطريقة الثانية: أن تُرتب على أساس المؤلفين إذا كان الإحالة عليهم

في الهوامش، مع عدم إهمال كلمة (كتاب)، إذ تُدرَج جميع المؤلفات التي تبدأ بكلمة (كتاب) لأنها في أصل الكتاب في حرف الكاف.

وَوَقَّفَ عند قضية نشر كتاب واحد أكثر من مرة كما حدث لكتاب «الممتع». أو اختصاره لعبدالكريم النهشلي، الذي نُشر ثلاث مرات في مصر، وفي ثلاثة أعمال جامعية، ورأى في ذلك توزعاً للجهود، وما يتبع ذلك من الأضطراب والفوضى وغياب المسؤولية.

وتألم كثيراً للنيّات التجارية عند بعض المحققين ورُبَّ تحقيق أغنى عن تحقیقات. وكان السابقُ خيراً من اللاحق: كما حدث في نقده لما نُشر في «الأغاني» أو «طبقات الشعراء»..

صفاته: هذه هي أهم الآراء والقضايا التي ناقشها الطاهر، في تجربته الطويلة في علم التحقيق وتستطيع أن تبيّن في جهوده هذه الظواهر والنقاط التالية:

أولاً: الأناة والصبر: وذلك واضح جداً في عمله في (الطغرائي)، منذ أن جعله بحثاً برعاية المرحوم البصير عام ١٩٤٣م ثم نشر كتابين عنه: «لامية الطغرائي» عام ١٩٦٢م، و «الطغرائي حياته، شعره، لاميته» عام ١٩٦٣، وحتى نشره الديوان ببغداد عام ١٩٧٦م، استغرق ذلك نحو ربع قرن في تتبع مخطوطات الديوان التسع في المكتبات العربية والعالمية تصويراً ومراسلةً ومقابلةً واستشارة وكان يستطيع أن ينشره على نسخة واحدة أو اثنتين كما يفعل بعض المحققين ممن يؤثرون السهولة والسرعة، ولكن الطاهر لم يكن من جنسهم ولم تكن رسالته في الحياة مثلهم، بل آثر أن يمضي بهذا الأمر وذلك الجهد بصبر وروية، ليكون النتاج مثمراً وطازجاً وكذلك الأمر مع «ديوان الخريمي» الذي نشره عام ١٩٧١م، فطبعته الثانية لم تصل لحد الآن مع وجود إضافات مهمة ولكنه أخبرني قبل رحيله بأحد عشر يوماً أنه ينوي إعادة نشره مع ديوان (الطغرائي)! وكذلك الحال مع كتابه «محمد بن سلام وكتابه طبقات الشعراء» منذ أن دفعه للنشر عام ١٩٦٥م عندما كان يعمل في (كلية الآداب - بجامعة الرياض) وقد نشر فصولاً منه في بيروت وبغداد ودمشق والقاهرة، وحتى نشره بالأردن عام ١٩٩٥م.

ثانياً: الاشتراك في التحقيق: أكد الطاهر أن اشتراك أكثر من محقق في كتاب واحد يجعل العمل متكاملًا، والأمر جليٌّ في إشرافه الأستاذ محمد جبار المعبيد - الدكتور - حاليًا في تحقيق «ديوان الخريمي» و د. يحيى الجبوري في تحقيق «ديوان الطغرائي». و (كان قد اشترك معه من قبل د. رزوق فرج رزوق). وفكر في نشر «طبقات الشعراء» لابن سلام بالاشتراك مع المرحوم د. نوري القيسي بعد عثوره على نسخة (جسترتي) التي لم يطلع عليها الشيخ شاكِر في طبعته الأولى للكتاب، ولم يحدث التحقيق لظهور الطبعة الثانية.

وقُلْ مثل ذلك عن كتبه الأخرى: «ديوان الجعفري». «ديوان الجواهري» حُبًّا في تكامل العمل وجودته.

ثالثاً: الهدوء في المناقشة، والعلمية في الطرح: في مقالات الطاهر النقدية، نلمحُ سمة الهدوء والبساطة، مع الجِدَّة والعلمية في المناقشة وطرح الملاحظات، ونقداًته وملاحظاته على تحقيقات الدكتور إحسان عباس «وفيات الأعيان» لابن خلكان، عالية في الاستراك والدقة والهدوء، لأنها لم تأت من باب الإنتقاص وملاحقة الأخطاء، وقُلْ مثل ذلك عن ملاحظاته على «طبقات ابن سلام»، وأخطاء محققه الشيخ محمود محمد شاكر، في المقدمة والتمن، حتى إذا جاء ردُّ الشيخ محمود قاسياً وقاسياً جداً - في كتاب يرأسه، بعنوان «برنامج طبقات فحول الشعراء»، أصدره في القاهرة عام ١٩٨٠م - لم يغيّر الطاهر أسلوبه الهادي، بل لم يمنعه هجوم الشيخ محمود من أن يقول إنه (عالم علامة في أقل تقدير، في فهم الشعر وفهم الخبر وشرح الغريب، واستقصاء العلم).

بل كان على أعلى درجات حُسن الظن والاحترام، حتى وصّفَه بأن له: (لباقة الأديب ومعرفة العالم، وانصراف الباحث)^(٧)، وعندما حقّق د. عبدالفتاح محمد الحلو الجزء الأول من «ديوان الشريف الرضي» ببغداد ١٩٨٠م^(٨)، ناشد الطاهر وزارة الثقافة والأعلام دعوة الشيخ محمود شاكر، ومفاتيحه لشرح معاني أبيات الشريف الرضي عند نشر ديوانه ببغداد، وزاد على ذلك في مقال له بمجلة «الفيصل» سنة ١٩٨٥ إلى استثمار كنوزه، وإلى انتفاع الجامعات بعلومه^(٩). وكلّ ذلك بروية وهدوء في قول الحق.

ولكن يحدث أن يجد من المحققين أو الناشرين مَنْ لا يخدم الكتابَ والتحقيقَ، أو كما يقول الطاهر - (كأن يدعي أمراً وينكث لدى التنفيذ، وكأن (يكسل) عن أن يلم بالقواعد قبل الإقدام على التطبيق، وكأن يخضع للتاجر والتجارة.. ويحصل عند ذلك - كما هو طبيعيّ - أن تتغير اللّهُجة - حسب مقتضى الحال - خشية شيوع الكسب الحرام وذبوع شهادة الزور وفساد المنطق) ^(١٠)، وذلك واضح في ملاحظاته على نشر «الأغاني» في جزئه الأول الصادر عام ١٩٧٠م وعلى نشر الجزء السابع عشر منه، وما نُشر تجارياً من «طبقات ابن سلام»، وتحقيق الصيرفي لـ «ديوان عمرو بن قميثة»، على ما هو واضح في الباب الأخير من «فوات المحققين».

ولقد كانت أحكامه - تلك - دقيقةً وواضحةً أشاد بها مَنْ نَقَدَ تأليفهم وتحقيقاتهم، كالدكتور إحسان عباس والشيخ حمد الجاسر.

رابعاً: الطرفا: والطرفا جزء من شخصية الطاهر ونلمحها في ملاحظاته ونقداته، من ذلك أن مُحَقِّقِي «الملك الدائر» لابن أبي الحديد (ت ٦٥٦ هـ) المطبوع بمصر، لم يذكر اسم العلامة اللغوي أحمد بن يحيى الملقب: (ثعلب) في فهرس الأعلام - لا اسماً ولا لقباً - فعلق على ذلك بقوله: (وعلى هذا يضيع ثعلب في أحشاء الكتاب الضخم) ^(١١) وقوله عن أحمد أمين: (ومكانة أحمد أمين في النشر لا غبار عليها، أما في التحقيق فعليها غبار (كثيف) ^(١٢)).

خامساً: التواضع والأمانة: في معظم ما نشره الطاهر نجده يتكلم بضمير الغائب، كأن يقول: (قال صاحبُ المقالة)، أو (رأى الكاتب) - أو (وجَدَ الباحث) ... ويقصد بذلك نفسه، تواضعاً وتسامحاً، وهو أسلوبٌ عُرفَ به وشهر، وإذا ما أخذَ رأياً أو معلومةً من أي شخص كان، وإن كان طالباً عنده، ذَكَرَ اسمه أو كتابه. أمانةً وتواضعاً، وتلك أخلاقُ العلماء.

وبعد، فلم ينس الطاهر - وقد بينَ أخطاءَ علماء مشهورين كمحمد زغلول سلام وبدوي طبانة وأحمد الحوفي وحسن كامل الصيرفي ومحمد أبو الفصل ومحمد محيي الدين عبدالحميد ومحمود حسن أبو ناجي - أن يمتدح أعلاماً

خدموا التحقيق خدمةً كبيرةً، وأدوا الأمانة، كالمرحوم مصطفى جواد، إذ قال عنه: (عالم كبير مخلص جداً في تحقيقه، ولكن الفرص لم تواته، ولو كان في مصر لكان له شأن آخر)^(١٣).

ورأى أنه أعلم من ابن الصابوني صاحب «تكملة إكمال الأكمال»، وإن تحقيقه لذلك الكتاب أهم من الكتاب نفسه^(١٤) وأدرى في تعقيباته وأستدراكاته، إضافة إلى الأعلام الآخرين كعبد السلام هارون ود. صالح الأشر والشيخ حمد الجاسر... وغيرهم، في تعليقاته على تحقيقاتهم التي نشرها. أخلص إلى القول: إن الطاهر أضافَ عدَّةَ لبناتٍ مُهمَّةٍ إلى قواعد وأصول علم تحقيق المخطوطات تنظيراً وتطبيقاً، وسار على خطا من سبقه من جهابذة المحققين، وأفذاذ المستدركين، وتؤخذ آراؤه بالجدة والاهتمام، لما فيها من أصالة وروية وعلم. رحمه الله رحمةً واسعة.

والحمد لله رب العالمين^(*)

بغداد: عباس هاني الجراخ

الحواشي:

- (١) «فوات المحققين» ١٥٤ (بغداد، ١٩٩٠م).
 - (٢) «تحقيقات وتعليقات» ٣٧٩ - ٣٨٠ (بيروت، ١٩٩٠م).
 - (٣) مجلة «المورد» ٥٢ - ٥٤ (بغداد، ١: ١٩٩٣)، وأعاده في كتابه: «محمد بن سلام وكتابه «طبقات الشعراء»»، (عمان، ١٩٩٥م).
 - (٤) «جيم وسين» ٢١٧ (بغداد ١٩٩٧م).
 - (٥) «محمد بن سلام وكتابه طبقات الشعراء» ١٨٤.
 - (٦) «فوات المحققين» ٢٩٨.
 - (٧) مجلة «المورد» (٣: ١٩٧٩م). وأعاده في كتابه: «محمد بن سلام».
 - (٨) «أساتذني ومقالات أخرى» ١٨١ (بغداد، ١٩٨٧م).
 - (٩) مجلة «الفصل»، ٥٥ - ٥٦ (العدد ٩٦، السنة ٨، ١٩٨٥م).
 - (١٠) «فوات المحققين» ٧.
 - (١١) «فوات المحققين» ١٤٨.
 - (١٢) «فوات المحققين» ٢٩٦.
 - (١٣) رسالة من الطاهر إلى كاتب البحث في ٢٠/٢/١٩٩٤م.
 - (١٤) «مقالات» ١١٦ (بغداد، ١٩٦٢م).
- (*) ألقى مختصر هذا المقال في الندوة التكريمية للدكتور علي جواد الطاهر في مدينة الحلة - بابل، في ٢/١١/١٩٩٤م، بحضوره - رحمه الله -.

الشيخ محمد الحافظ (*)

(١٤١٨/١٣٣٥)

[حين قدمت المدينة المنورة يوم الخميس ٢١/٣/١٣٩٠هـ - ٧/٥/١٩٧٠)، أقمت فيها ذلك اليوم، وفي يوم الجمعة قمت بزيارة الأستاذ الأخ الشيخ محمد الحافظ أحمد علماء المدينة وأدبائها وقضااتها، وكان يسكن دارة جميلة مطلة على العقيق، في أطراف منازل آل الزبير المشهورة هناك وبقرب بئر عروة المشهورة التي يقول فيها السري بن عبدالرحمن الأنصاري:

كَفَّنُونِي إِنْ مِتَ فِي دِرْعِ أَرْوَى وَاغْسِلُونِي مِنْ بَشْرِ عَرْوَةَ مَاءِ
سَخْنَةٍ فِي الشِّتَاءِ، بَارِدَةً فِي الصَّيْفِ، سِرَاجٍ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ
ويقول فيها الزبير ابن بكار عالم قریش: (كان من يخرج من مكة وغيرها إذا مر بالعقيق تزود من ماء بئر عروة وكانوا يهدونه إلى أهاليهم، ويشربونه في منازلهم، قال الزبير: ورأيت أبي يأمر به فيغلى، ثم يجعله في القوارير، ويهدونه إلى الرشيد وهو بالرقعة)^(١).

ومع أن هذه هي المرة الأولى التي أجتمع فيه بالأستاذ الحافظ إلا أنني وجدت من سجاجة خلقه، وطيب نفسه، وسماحته وكرمه، مالم أجده في كثير من إخواني الذين طالت صحبتي لهم، وكنت زرتهم أنا وأخي الأستاذ محمد المنصور التركي، الذي أوضح لي ضرورة الحصول على كتاب لأمير (بدر) لكي يسهل لي طريق الوصول إلى (الجار)، وقد أيد الأستاذ الحافظ هذا الرأي، ووعدني بأن يتصل بوكيل أمير المدينة لهذه الغاية، وعرض علي القيام بزيارة عالم المدينة وأديبها وشاعرها الأستاذ السيد عبيد المدني (١٣٢٤/١٣٩٦هـ) فقمنا معاً بتلك الزيارة بعد المغرب، فوجدنا من لطفه وسعة علمه ما كنا نتوقع، بل فوق ذلك، واجتمعت بأخيه الأستاذ الكريم السيد أمين المدني (١٣٢٨/١٤٠٤هـ) من مشاهير أدباء المدينة، وكتابها، ومؤلف كتاب «العرب

في أحقاب التاريخ» الذي صدر جزؤه الأول عن «التاريخ العربي وباديته» سنة ١٣٨٥هـ، وجرت أحاديث شيقة حول تاريخ المدينة، وأيد السيد عبيد المدني القول بأن البريكة هي الجار قديماً، كما أيد ذلك الأستاذ الحافظ الذي زار المكان، ولفت نظري الأستاذ السيد عبيد - رحم الله الجميع - إلى أن الجار كان معروفاً، وكان ميناء للمدينة إلى قرب منتصف القرن الخامس الهجري، كما جاء في كتاب «سفر نامه»^(٢) لناصر خسرو.

وفي الساعة الثالثة من صباح السبت مررت بالأستاذ الحافظ في المحكمة، فرأى أن أرافقه للسلام على الأمير أو وكيله، ولكي نطلب كتاباً للأمير (بدر)، فكان ذلك، ووجدت من لطف وكيل الإمارة الأستاذ سعد الناصر السديري ما لا أنساه، وكتب الأمير (بدر) كتاباً أمره بأن يسهل لي مهمتي، وأن يقدم لي كل مساعدة أطلبها. ولقد كانت إقامتي في طيبة الطيبة على قصرها ذات فائدة كبيرة حقاً، فقد استفدت من الأستاذ الحافظ أشياء كثيرة، فكان مما سجلت من إفاداته:

١- وادي نغمى الوارد في خبر غزوة الأحزاب أن غطفان خيمت فيه، لا يزال معروفاً، ولكن البدو يسمونه النغمي، بكسر الميم لا بفتحها كما جاء في بعض الكتب القديمة وهم يعرفونه، وهو واد يقع شمال مطار المدينة بعد أن يسير المرء في طريق خبير، ويقطع منه ما يقارب ٢٠ كيلاً، فإنه يجزئ الوادي الممتد من الشمال إلى الغرب خلف أحد، بما يقارب ٣ أميال، وهذا الوادي يصب في الغابة، ويقرب مصبه فقر عينين تدعى أحدهما عين الزبير، والأخرى عين مهلهل، وفي هذا الوادي بطرفه من جهة الغابة بستان لوكيل أمير المدينة الأستاذ سعد الناصر السديري.

٢- بئر السائب الواردة في المؤلفات المتعلقة بالمدينة تعرف الآن باسم بئر السايبة بجوار جبل شباع، قرب وادي الشقرة.

٣- خلص جبل أحمر كبير متصل بورقان من جهة القبلة يفصل بينهما ثنيتان: ثنية ركوبة، وثنية الغاير، وسيل هذا الجبل يتجه مع وادي ملحمة، ووادي صوري - بفتح الصاد والسواو والراء - وهذا من أكبر روافد العقيق ويصب في النقيع

وسكانه الآن بطن من قبيلة عوف من حرب يدعون التراجمة، وكان قديماً لبني حسين الذين دخلوا في عوف.

٤- ويطلق اسم خلص أيضاً على جبل كان فيه محطة في المنصرف (المعروف الآن باسم المسيجيد) يصب في وادي الجي الذي يفضي إلى وادي الصفراء، وسكان خلص هذا المحاميد من بني سالم من حرب.

٥- حَوْرَة واد لا يزال معروفاً، ولكنه يسمى الآن حارة، على طريقة إبدال أهل البادية الواو ألفاً، وبجواره وادي يسمى حويرة، وهما بجهة الجفر، ويمتد طريق حورة من الفريش (فرش ملل قديماً).

وقدر لي بعد ذلك زيارة طيبة الطيبة مرتين على عجل، لم أتمكن خلالهما من أداء الواجب عليّ بزيارة الشيخ الحافظ، حتى فوجئت بخبر وفاته منذ فترة، إلا أنني لم أعلم به إلا منذ عهد قريب، حين طلبت من بعض الإخوة كتابة ترجمة لحياته، فكان ان استجاب لتحقيق رغبتني الأخ الأستاذ فايز بن موسى الحربي فكتب ما يلي:

● هو الشيخ محمد الحافظ بن موسى حميد، ولد في بلدة رايغ عام ١٣٣٥هـ، ونشأ بها في بيت والده الذي كان يجمع بين العلم والتجارة، وكان محمد هو الابن الوحيد لوالده.

● تلقى تعليمه الأول في المسجد النبوي الشريف حيث أتم حفظ القرآن الكريم وهو ابن تسع سنين على يد الشيخ حسن تاج، ثم درس التجويد وعلومه، والتحق بمدرسة العلوم الشرعية في القسم التحضيري ثم التحق بالمرحلة العالية حيث درس فيها أربع سنوات مختلف العلوم الشرعية والعربية، وبرع في النحو والصرف والبلاغة والأدب والتفسير وأصول الفقه وعلم الفرائض.

● حصل على شهادة مدرسة العلوم الشرعية سنة ١٣٥٤هـ بتفوق لفت نظر أساتذته واختير مدرساً بنفس المدرسة، كما اشتغل بالتدريس في المسجد النبوي.

● في عام ١٣٧٤هـ انتقل إلى القضاء بالمحكمة الشرعية الكبرى بالمدينة المنورة، وتدرج في مناصب القضاء حتى وصل إلى درجة قاضي تمييز إلى أن أحيل على التقاعد في ١٤٠٢هـ.

● أسهم الشيخ رحمه الله تعالى في الحركة الأدبية بالمدينة المنورة حيث ساهم في تأسيس ناد أدبي كان يقام بمنزل أحمد كردي بجوار مسجد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كما أسهم في تأسيس نادي المحاضرات الذي كان يعقد بالمدرسة الأميرية (المدرسة الناصرية)، كما كان له اسهامات في (أسرة الوادي المبارك الأدبية) التي تحولت فيما بعد إلى (نادي المدينة المنورة الأدبي).

● بالإضافة إلى تبحره في العلوم الشرعية والعربية يُعدُّ الشيخ محمد الحافظ مرجعاً في التاريخ الإسلامي القديم والمعاصر، وله حافظة قوية، وله اهتمامات كبيرة في تاريخ المدينة المنورة ومنطقة رابغ على وجه الخصوص.

● من أبرز مشايخه:

- الشيخ تاج الدين حسن، الشيخ الطيب الأنصاري، الشيخ محمد عبد الله التنبكتي، السيد أحمد الفيض آبادي وغيرهم.

● من أشهر تلاميذه:

- الشيخ أبو بكر الجزائري، الشيخ حماد الأنصاري، الدكتور محمد العيد الخطراوي، الشيخ عمر محمد، الشيخ علي الشاعر، الشيخ محمد ثاني، الأستاذ عبدالعزيز الربيع، الأستاذ حمزة قاسم، الشاعر ماجد الحسيني (١٣٤٢/١٨١٤هـ)، الشاعر محمد الرميح، محمد هاشم رشيد، الفريق الطيب التونسي وغيرهم.

● توفي الشيخ محمد الحافظ - رحمه الله - يوم الجمعة الموافق ١٢/٤/١٤١٨هـ عن عمر يناهز الـ ٨٣ سنة. وقد رثاه كثير من محبيه من العلماء والأدباء والشعراء، وقد ترك من الأبناء ثلاثة هم: موسى ومصعب وسفيان. كما ترك مكتبة كبيرة تزخر بأمهات الكتب والكثير من المخطوطات، كما يقول ابنه موسى.

● كان مثالاً للتواضع والخلق الكريم، وحب الإصلاح بين الناس، والإخلاص في عمله، فضلاً عما كان يتميز به من غزارة علمه، وسعة اطلاعه في العلوم الشرعية والعربية والأدب والتاريخ.

● من أبرز أعماله التي اطلعت عليها ولم يذكرها كل من كتب عنه حتى الآن فيما أعلم - عمله الرائد في تصنيف وتسجيل سجلات الضبط القديمة في المحكمة الشرعية الكبرى بالمدينة المنورة، وإعداد دفتر السجل العام لتصنيف محتويات السجلات، ولا يزال أثره ذلك باقياً ومدوناً في مقدمة كل سجل، وهو عمل جبار لا شك أنه استغرق الكثير من الوقت والجهد، ليغطي ذلك الكم الهائل من الوثائق والسجلات الشرعية التي تمتد من سنة ٩٦٣هـ إلى ١٣٦٨هـ. وقد زرتة رحمه الله عدة مرات بعد أن تقاعد من العمل، واستقر في بستانه في (عروة) بين المدينة وآبار علي، وقد وجدت أنه يحفظ الكثير من تاريخ الحجاز عموماً وتاريخ بلدة رابغ بشكل خاص، ولحسن الحظ فقد قمت بتسجيل بعض أحاديثه التاريخية أثناء زيارتي الأخيرة له عام ١٤١٣هـ^(٣).

الرياض: فائز بن موسى الحربي

الحواشي:

(١) «المغانم المطابة» ص ٤٣ و ٤٤.

(٢) ص ١١٠ - الطبعة الثانية (الترجمة العربية).

* ترجمته رحمه الله في كتاب «مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة، والموقع التاريخي الرائد» تأليف: د. محمد العيد الخطراوي ص ص ٥٩٤ - ٥٩٦، و «مدرسة طيبة الثانوية في ٥٠ عاماً» تأليف وإعداد محمد صالح البلهشي ص ص ٥٩٣ - ٥٩٤.

(٣) نشرة جريدة «المدينة» استطلاعاً موسعاً في عددها ١٢٥٤٩ الصادر يوم السبت ٢٠/٤/١٤١٩هـ، كما أفردت له جريدة «المسلمون» صفحة كاملة في عددها ٦٥٦ الصادر يوم الجمعة ٢٦/٤/١٤١٨هـ، ومقال بقلم موسى محمد الحافظ، مجلة «اقرأ» العدد (١١١٤) في ١١/٨/١٤١٨هـ (ص ٣٧). انظر ما نشر في كل من «عكاظ»: العدد (١١٣٢٨) الصادر يوم الجمعة ١٩/٤/١٤١٨هـ، (ص ٧) و «ملحق الأربعاء» بجريدة «المدينة» الصادر يوم الأربعاء ٢٤/٤/١٤١٨هـ ومقال الدكتور عاصم حمدان، ومقال على ثلاث حلقات للأستاذ عبدالفتاح أبو مدين في جريدة «البلاد» الأعداد (١٥٠٣٩)، (١٥٠٤٦)، (١٥٠٥٨)، السنة (٦٨).

الجعفريون: فروعهم ونبذة من أخبارهم

الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب المعروف بالطيار - رضي الله عنه - أشهر من أن يعرف به، وسيرته مبسوطه في كتب السيرة والتاريخ، وكذلك أبناؤه، وخصوصاً عبدالله الجواد المشهور. وقد فصل ذريته عدد من النسابين منهم الإمام أبو محمد بن حزم في كتابه «جمهرة أنساب العرب»، وابن عنبه في كتابه «عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب» وغيرهم.

وقد كان لعبدالله بن جعفر عشرون ابناً وقيل أربعة وعشرون، وممن اشتهر من ذرية جعفر الطيار علي بن عبدالله بن جعفر ويعرف بالزيني، لأن أمه هي زينب بنت علي بن أبي طالب من فاطمة الزهراء، وأخته الشقيقة أم كلثوم بنت عبدالله ابن جعفر، تزوجها الحجاج بن يوسف، فأمره عبدالملك بن مروان بطلاقها فطلقها. وكان علي الزيني هذا شريفاً كريماً من ذوي الأقدار وفيه يقول مساحق ابن عبدالرحمن:

أبا حسن إني رأيتك واصلاً لهلكي قريش حين غير حالها
سعت لهم سعى الكريم ابن جعفر أبيك، وهل من غاية لا تنالها؟

قال ابن عنبه: ^(١) والعقب من علي الزيني أحد أرحاء آل أبي طالب الثلاث - واحدها رحي - : بنو موسى العجون بن عبدالله المحض بن المحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب، و (الثانية) بنو موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، و (الثالثة) بنو جعفر السيد بن إبراهيم الأعرابي بن محمد الأريس (الرئيس) بن علي الزيني هذا. وعقبه من رجلين محمد الرئيس، وإسحاق الأشرف، وأمهما لبابة بنت عبدالله بن العباس. ومن ولد محمد الرئيس؛ إبراهيم الأعرابي كان من أجلاء بني هاشم وأمه امرأة من قريش، وفيه يقول أبو محمد عبدالله المحض بن الحسن بن علي بن أبي طالب يرثيه:

لا أرى في الناس شخصاً واحداً مثل مَيِّتٍ مات في دار الجمل
يشتري المجدَ ريحاً والعُلا وإذا مَما حُمِّلَ الثقلَ حمل
موت إبراهيم جَدِّي هَدَنِي وأشاب السَّراسِ مني واشتعل

وكذلك اشتهر منهم معاوية بن عبدالله بن جعفر، وكان وَصِيَّ أبيه، واشتهر ابنه عبدالله بن معاوية الشاعر الفارس، وقد تكلم فيه أناس كابن حزم والأصبهاني - من حيث روايته للحديث - لكن قال عنه الذهبي: (عبدالله بن معاوية روى عن أبيه، وعنه أخوه صالح وجويرية بن أسماء، وكان جواداً ممدِّحاً وشاعراً من أبناء الدنيا... وكان فصيحاً مُفَوِّهاً وشجاعاً جريئاً) انتهى «تاريخ الإسلام» ٩٧ / ٥، وكان قد ظهر سنة ١٢٥ هـ وفي أيام مروان بن محمد ودعا لنفسه وبايعه الناس وعظم أمره واتسعت مقدراته وملك (الجبيل) بأسره وكان أبو جعفر المنصور العباسي عامله على (ابذج) وبقي على حاله إلى سنة تسع وعشرين ومئة فأوقع عليه أبو مسلم المروزي الحيل حتى أخذه وحبسه في (هراة) ولم يزل محبوساً حتى توفي سنة ١٨٣ هـ (هكذا والأرجح ١٣٨ هـ). وقد جمع شعره الأستاذ عبدالحميد راضي. ومن شعره المشهور قوله:

لسنا وإن أحسابنا كرمت يوماً على الأحساب نتكل
نبي كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثلما فعلوا^(٢)

وأخوه الحسن بن معاوية، ولي مكة لمحمد بن عبدالله بن الحسن الملقب بالنفس الزكية أيام قيامه بالمدينة على أبي جعفر المنصور. ومنهم القاسم بن اسحاق العُرَيْضِي - نسبة إلى العُرَيْضِ موضع بقرب المدينة^(٣) - بن عبدالله بن جعفر، كان أميراً باليمن لمحمد النفس الزكية أيضاً. ومن ولده أبو هاشم داود بن القاسم، قال المسعودي وابن حزم: بينه وبين جعفر الطيار ثلاثة آباء ولم يعرف في ذلك الوقت أقدماً نسباً (أي أقل في عدد الآباء إلى الجد الأعلى) في آل أبي طالب وسائر بني هاشم وقريش منه، إذ أدرك أيام المستعين، وكان ذا زهد وورع

ونسك وعلم، صحيح العقل، سليم الحواس، منتصب القامة، وقد دخل بلاد المغرب وأقام بها مع إدريس بن عبدالله الكامل وابنه إدريس بن إدريس ثم عاد إلى المشرق.

وكانت للجعفرين في عهد بني العباس إمارة المدينة المنورة طيلة القرن الثالث الهجري وكذلك نواحيها في خيبر والجحفة (قرب رابغ) وفي وادي القرى (العلا) ونواحيها وفي بلاد جهينة حيث تقع بلدة (المروة)^(٤) وفي ودان (قرب مستورة) وفي ميناء الجار الذي كان ميناء المدينة في تلك الأيام (ويعرف الآن بالرايس). وقد كانت الفترة التي تولى فيها الجعفريون المدينة فترة غامضة، حتى التبس الأمر على كثير ممن قام بالتاريخ لها، فلم يوردوا أي ذكر لهم، أو اعتبروهم علويين، كما فعل أحدهم^(٥)، حين جعل الصراع الذي دار بين الجعفرين من جهة والحسينين والحسينيين من جهة أخرى صراعاً بين العلويين أنفسهم أي بين الحسينين، والحسينيين، رغم وضوح المرجع الذي نقل منه بما لا يحتمل التأويل. وذلك ما دعا الشيخ حمد الجاسر أن يتصدى لإلقاء الضوء على تلك الفترة الغامضة في سلسلة من المقالات («المجلة العربية»: صفر - ذي الحجة ١٤١٥ هـ) رغم قلة المصادر التي تبحث فيها بالتفصيل الكافي.

قال ابن حزم: (ومنهم: موسى وإسحاق ويعقوب، وسليمان وإدريس وأحمد والعباس وعبدالصمد، وحمزة وجعفر والقاسم والحسين بنو محمد بن يوسف ابن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب. ثم قال: ولي منهم إسحاق وسليمان وجعفر والقاسم المدينة وكانت بينهم وبين بني الحسن بن علي حروب عظيمة ودماء) انتهى. وقال ابن عنبه: (العقب من جعفر السيد بن إبراهيم الأعرابي، وهو أبو الأمراء في ولديه أبي علي محمد، وفيه العدد، وإبراهيم وكانا أميرين جليلين. فمن ولد أبي علي محمد بن يوسف: المحمديون بالحجاز وغيرها، وأبو عبدالله محمد بن محمد صاحب (المروة) وأبو عبدالله جعفر بن محمد بن يوسف صاحب (خيبر)، وإسحاق بن محمد بن

يوسف أمير المدينة، وهو الذي بنى سورها، ووقعت بينه وبين بني علي الفتنة العظيمة. وله بقية بوادي القرى، منهم محمد المدعو ضمرة بن الحسن بن إسحاق بن محمد بن يوسف. ومن ولد الأمير أبي علي محمد بن يوسف الأمير عبدالله بن الأمير إدريس بن الأمير إسحاق بن الأمير أحمد بن الأمير سليمان بن إسماعيل بن محمد بن يوسف. قال العمري: ولده أمراء وادي القرى إلى يومنا. ومنهم مفرح بن إسحاق بن أحمد بن سليمان بن محمد بن يوسف له عدة أولاد وبقية بالحجاز، وكذا لأخويه الحسن وعلي الأعرج أمير (خير)، وأخوه أحمد ابن إسحاق أمير (خير) أبو أمراء (خير) انتهى. وإسحاق بن محمد هذا الذي كان أول من بنى سور المدينة كما تقدم قد تصحف في «الروض المعطار في أخبار الأقطار» للحميري إلى إسحاق بن محمد الجعدي^(٦) بدل الجعفري ثم نقل عنه جل من جاء بعده هذا التصحيف. ونقل ياقوت في «معجم البلدان» في رسم (ودان) عن أبي زيد البلخي قوله: (وودان هذه من الجحفة على مرحلة وبينها وبين الأبواء - التي هي طريق الحجاج في غربها - ستة أميال وبها كان في أيام مقامي بها رئيس الجعفريين، أعني أولاد جعفر بن أبي طالب، ولهم بالفرع والسائرة ضياع كثيرة، وعشيرة وأتباع وبينهم وبين الحسينيين حروب ودماء، حتى استولت طائفة من اليمن يعرفون ببني حرب على ضياعهم فصاروا حرباً لهم فضعفوا) انتهى.

وبسبب الحروب التي كانت بين الجعفريين والحسينيين على المدينة جلا كثير من الجعفريين إلى صعيد مصر، وهم يعرفون هناك بالشرفاء الجعافرة، ويحترفون في غالب أحوالهم بالتجارة، كما يقول ابن خلدون. ويقول محمد مرتضى الزبيدي في كتابه المخطوط «الروض المعطار في نسب السادة آل جعفر الطيار»: (أما حسن أبو جميل، ويقال إن اسمه دحية فهو جد الجميلة بالصعيد، فيهم كثرة، وأكثرهم بإسنا وقنا وشرذمة منهم بأسبوط وقد رأيت منهم جماعة كثيرة بفرشوط وأسبوط، ومنهم السيد عبدالرحيم نقيب السادة بقنا الآن) انتهى.

وفي «البيان والإعراب» للمقريزي ص ٣٨: (ومن أولاد الأمير الكبير نجم الدين علي بن الأمير فخر الدين إسماعيل... الأمير حصن الدين ثعلب أمير الجعافرة، ورئيس القوم الذي أنف من سلطنة المماليك الأتراك، وثار في سلطنة الملك المعز أيبك التركماني، وكاتب الملك الناصر يوسف بن العزيز صاحب دمشق، وجمع عربان مصر فخرجت إليه الأتراك وحاربوه فقبض عليه وسجن بالاسكندرية حتى شنقه الظاهر بيبرس) انتهى.

والظاهر أنه لا يزال في صعيد مصر كثير من الجعافرة وان تداخلت أنسابهم مع جعافرة آخرين (بني جعفر الصادق) لقرب النسب، وتشابه الاسم، وتجاور الديار (انظر تعليق د. عبدالمجيد عابدين محقق «البيان والإعراب» هامش ص ٣٥). وللأستاذ أحمد لطفي السيد كتاب عن «قبائل العرب في مصر» جعل الجزء الأول منه تحت عنوان «العقيلات والجعافرة وقبائل أخرى» وخصص الصفحات من ٦٦ - ٧٥ للحديث عن الجعافرة، وصحح ما وقع فيه صاحب «صبح الأعشى» من اعتبار الجعافرة هاؤلاء ينتمون إلى جعفر الصادق وقال ص ٧١: (والصواب رواية المقريزي من أن الشريف حصن الدولة - كذا يقصد حصن الدين - كان عميد آل الطيار في مصر) انتهى. ومثل هذا أو قريب منه حصل لآل جعفر بالعراق فقد جاء في «القبائل العراقية» ليونس السامرائي (٢/٤٢٣، ٤٣٢، ٤٠٠) أن آل الطيار في آلوس وبغداد والموصل هم سادة حسنيون، لكنه قال عن آل عبدالجليل ما يلي: (بيكات) (الحلة) من سلالة أمراء آل الرشيدي في حائل، ويرتقي نسبهم إلى جعفر ابن أبي طالب رضي الله عنه وكبيرهم حاليًا السيد عمر موفق. ومنهم بالموصل آل عكاب (عقاب) العجل وكبيرهم حاليًا الشيخ ماجد عكاب العجل) انتهى.

أما في السودان فلا تزال جماعة تنتسب إلى جعفر بن أبي طالب تعيش في بلدة يقال لها (الدويم) بالنيل الأبيض.

ثم انتقلت طائفة من هؤلاء الجعافرة إلى بلاد المغرب في أواسط المئة الخامسة مع بني هلال وبني سُلَيْم، ويعرف هاؤلاء الجعافرة ببني مَعْقِل، قال ابن

خلدون: (كان دخول بني معقل المغرب مع الهلالين في عدد قليل لم يبلغوا المئتين، واعترضتهم بنو سليم فأعجزوهم، وتحيزوا إلى الهلالين منذ عهد قديم، ونزلوا بأخر مواطنهم مما يلي (ملوية) ورمال (تافليسات) انتهى. وذكر منهم الثعالبة والشبانات وبني حسان. منهم الشيخ محمد بن ناصر الدرعي صاحب الرحلة المشهورة، وقد ألف حفيده الشيخ أحمد بن خالد الناصري صاحب كتاب «الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى» كتاباً أسماه «طلعة المشتري في النسب الجعفري» طبع في المغرب. وقد فند فيه أقوال ابن خلدون في رد أنسابهم، وفي أنهم يعودون إلى مذحج وبني هلال، لأنهم على قوله أهل بادية وانتجاع، بينما الهاشميون ليسوا كذلك بل أهل إقامة وحضر. ومن الثعالبة الإمام أبو زيد عبدالرحمن الثعالبي، مؤلف «شرح ابن الحاجب» وغيره (ت ٨٧٥هـ)، (انظر «تاريخ الجزائر العام» ج ٢ ص ٢٧٢)، ومنهم الشيخ أبو مهدي عيسى بن محمد الثعالبي نزيل مكة المكرمة، وقد أخذ عنه كثيرون بالحجاز وبلاد المغرب وعرف به أبو سالم العياشي في رحلته حيث لقيه عام ١٠٧٢هـ (السابق^(٧): ١٦٩/٣) ومنهم عبدالعزيز الثعالبي أحد رواد النهضة والكفاح في تونس والوطن العربي وللأستاذ أنور الجندي كاتب عنه هو «عبدالعزيز الثعالبي رائد الحرية والنهضة الإسلامية».

وقد نزل طائفة من الجعافرة في (وادي القرى) وعلى رأسهم سعد بن نعمة بن سرور، من ذرية جعفر السيد بن إبراهيم الأعرابي إلى (السويط) بالشام، ثم في أوائل المئة الخامسة نزلوا إلى مصر، وإليهم نسبت قرية الجعفرية بالغربية، ولهم أعقاب إلى الآن بالشام، ومنهم علماء وقضاة بنابلس والقدس، هذا ما جاء في «الروض المعطار» للزبيدي. قد ترجم لمشاهيرهم السخاوي في «الضوء اللامع» وابن العماد الحنبلي في «الشذرات». ومنهم عبدالغني بن عبدالواحد بن سرور بن رافع المقدسي الإمام الحافظ المشهور صاحب التصانيف ترجمته في «تاريخ الإسلام» للذهبي ولد سنة ٥٤١ في (جماعيل) إحدى قرى نابلس وتوفي بمصر

عام ٦٠٠ هـ وهم على ما أورد الدباغ في كتاب «بلادنا فلسطين» يعرفون الآن بآل النقيب والحنبلي وهاشم، كان منهم إبراهيم باشا هاشم (١٨٨٦ - ١٩٥٨ م) قانوني من العلماء تولى مناصب قضائية في بيروت ويافا، بعد الحرب العالمية الأولى عين رئيساً لمحكمة الجنايات بدمشق، وترأس وزارة الأردن عدة مرات («الأعلام» للزركلي ج ١ ص ٧٣). وفي الأردن الآن عدد من البطون تنسب إلى جعفر بن أبي طالب كالثوابتة والجعافرة (من الحباشنة) والنعيمات (انظر «تاريخ شرق الأردن وقبائلها» لفردريك بيك، ط: ١٩٣٤ م: ص ٣٤٢ - ٣٤٧، ٣٥٩).

وفي «عمدة الطالب»: (وبنو الطيار بادية كثيرة حدثنا الشيخ تاج الدين أبو عبدالله محمد بن القاسم بن مَعِيَّة الحسني النسابة عن رجل منهم ورد (الحلة) أيام حكم الأمير سليمان بن مهنا بن عيسى أمير طيء أنه قال: نحن بنو جعفر الطيار بادية مع آل مهنا، نحو أربعة آلاف فارس، نحفظ أنسابنا وننكح في أعراب طيء ولا ننكحهم لكن أكثرهم يجهلون أنسابهم ولا يعرفون اتصالهم، ويكتفون بأنهم من ولد جعفر الطيار يعرف بعضهم بعضاً، ويفرقون بينهم وبين من لا ينتمي إليهم) انتهى، وقال أبو محمد بن حزم: (وعقب عبدالله بن جعفر كثير بالجحفة وأعراضها).

ومن بني جعفر الطيار الطيائرية وهم منتشرون في الحجاز ونجد، منهم آل الطيار شيوخ قبيلة (ولد علي) من عنزة، ولهم شهرة في نجد وبادية الشام منذ القرن التاسع الهجري، ومن مشاهيرهم كنعان الطيار الشاعر والفارس المشهور، ومن أحفاده اللواء محمد بن سلطان الطيار، وقد أخرج عنهم - خاصة ولم يتعرض لغيرهم - مؤخراً الأخ عبدالله بن عبَّار العنزي كتاباً سماه «موجز تاريخ أسرة الطيار وقبائل ولد علي». ومن أقربائهم آل الطيار مع قبائل عنزة في منطقة (تبوك) منهم الأستاذ فهد بن عائش الطيار، وهو موظف كبير في إدارة التعليم بمنطقة (تبوك) وأخوه الأستاذ محمد بن عائش الطيار مدير مكتب الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز أمير منطقة المدينة المنورة، ومنهم الجعافرة في بلد الأحساء بالمنطقة الشرقية من المملكة، وهناك بالأحساء أيضاً جعافرة آخرون

ينتمون إلى جعفر الصادق، ومنهم آل الطيار بالمدينة منهم محمد صالح الطيار قائد القلعة العسكرية، والحاكم الفعلي للمدينة في حوالي سنة ١١٧٧هـ (عارف عبدالغني: «أمراء المدينة المنورة» ص ٣٨٧) قتله أحمد شاهين باشا بالسُّم سنة ١١٨١هـ «تحفة المحبين» للأنصاري: ص ٣٣٨) كما كان منهم أحمد الطيار أحد وجهاء المدينة، الذي قابل مع حسن الألفي الأمير سعود بن عبدالعزيز - الأول - عام ١٢٢٠هـ واتفقا معه على فتح المدينة لاستقبال رسل سعود («أمراء المدينة»: ص ٤٠٠). وآل الطيار بالزلفي وغيرها منهم الدكتور عبدالله بن محمد الطيار وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية سابقاً.. ومنهم الطَّيْرَةُ بـ (خليص) واحدهم طيَّاري. وأخيراً منهم آل الطيار في وادي فاطمة، وانتقل جدهم إلى مكة المكرمة، منهم كاتب هذه السطور.

هذا ما استطعت تلخيصه مما وقع تحت يدي من مصادر فما كان فيه من صواب فمن الله، وما كان من خطأ فمن نفسي واستغفر الله من كل ذنب وأرجو ممن يجد خطأ - أو لديه معلومات أكثر حول هذا الموضوع أن يلتمس لي العذر بجهلي وليتفضل بالكتاب إليّ.

جدة: وزارة البترول والثروة المعدنية: جعفر بن أحمد الطيار

الحواشي:

- (١) في كتابه «عمدة الطالب» وهو مطبوع عدة مرات - «العرب» - .
- (٢) يروي هذان البيتان للمتوكل اللبثي وغيره كما في «معجم الشعراء» للمرزباني ص ٣٣٩ تحقيق الأستاذ عبدالستار فراج - «العرب» - .
- (٣) هو في الجهة الشامية الشرقية من المدينة وقد بلغه العمران الآن.
- (٤) المروة من أشهر القرى المعروفة في العهد النبوي وقد درست وانظر عن تحديد موقعها كتاب «بلاد ينبع».
- (٥) هو الدكتور عبدالباسط بدر في كتابه «التاريخ الشامل للمدينة المنورة».
- (٦) ص ٤٠١ في الكلام على طيبة.
- (٧) ورحلته المسماة «ماء الموائد» قد طبعت في جزئين وأعيد طبعها مصورة مع إلحاق فهارس لها وضعها الدكتور محمد حجي وهي من أنفس رحلات الحج وأغزرها فائدة. - «العرب» - .

أسرة العتيقي وبعض مشاهيرها

اطلعنا على مؤلف «السحب الوايلة على ضرائح الحنابلة» للشيخ العلامة محمد ابن عبدالله بن حميد النجدي رحمه الله تعالى. ولما كان هذا المؤلف من أهم المراجع التي يعتمد عليها الباحثون والمهتمون بسير علمائنا الأفاضل فإنَّ من الواجب علينا أن نشير إلى بعض الملاحظات والتي نعتقد أنها من الممكن أن تسهم في التحقيق القيم الذي قام به الأستاذ المحقق الدكتور عبدالرحمن بن سليمان بن عثيمين.

أولاً: لقد ورد في الجزء الثاني تحت رقم ٢٦٩ من الصفحة ٤١٧ اسم الشيخ سيف بن أحمد العتيقي. والحقيقة إنه سيف بن حمد العتيقي وهو العالم الذي ولد في بلدة حرمة وتوفي في المبرز بالأحساء في عام ١١٨٩هـ عند زيارة ابنه الشيخين محمد وصالح اللذين كانا برفقة معلمهما الشيخ محمد بن فيروز، ثم انتقل ابناه مع شيخهم محمد بن فيروز إلى بلدة الزبير. وقد سكنا الزبير فترة من الزمن ودرس الشيخ محمد بن سيف العتيقي في الزبير وسئل عن مسائل عديدة فأجاب عنها بأجوبة سديدة فانتفع بعلمه خلق كثير من تدرسه وفتاويه، وألف مؤلفات منها كتابه المسمى «نظم الجواهر في النهي والأوامر» وله منظومة في الآداب الشرعية مطلعها:

أرى المجد صعباً غير سهل التناول أيّسا شديداً معجزاً للمحاول
وهي منظومة طويلة. وقد استقرت عائلته في الكويت ثم حج وزار المسجد النبوي وطابت له الإقامة فيه بعد رحيل الحجاج وتوفي في المدينة المنورة في نهاية القرن الثاني عشر الهجري.

وأما ابن الشيخ سيف بن حمد العتيقي الثاني وهو الشيخ صالح بن سيف بن حمد العتيقي فقد ولد في حرمة في سدير عام ١١٦٣هـ ودرس على والده الشيخ سيف وعلى الشيخ محمد بن فيروز وقد استقرت عائلته أيضاً في الكويت وقد

كان لحفيدته منيرة بنت عبدالرحمن بن صالح العتيقي وقفاً في الحرم الشريف في مكة المكرمة في زقاق الحمام حتى عهد قريب وقد أزيل بعد توسعة الحرم المكي والوقفية في شعب بني عامر عند بئر الحمام وشهد على الوقفية أحمد بن محمد بن أحمد العامودي وصالح بن أحمد بن صالح باقبيس الحضرمي سنة ١٢٧٧هـ وقد أوقفت ناظرًا على الوقف بعد وفاتها عبدها أمان الحبشي، ومن بعد ذرية ابن أختها محمد بن عبدالله بن سيف بن حمد العتيقي والذي له مسجدًا مشهوراً بسوق الكويت في محلة المطران، والذي يعد من المساجد الأثرية في الكويت وقد تكرمت الحكومة السعودية بإعطاء بديل عن الوقف أرضاً في منطقة العزيزية في مكة المكرمة. علمًا بأن ورثتها المسؤول عن الوقف هو الدكتور صلاح بن عبداللطيف بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن سيف بن حمد العتيقي وهو أمين عام بعثة الحج الكويتية لعدة سنوات وحتى هذه السنة وكذلك رئيس جمعية الأطباء الكويتية.

ثانيًا: رقم ٢٧٠ في الصفحة ٤١٨ ورد اسم سيف بن محمد بن أحمد العتيقي واسمه الحقيقي هو سيف بن محمد بن حمد العتيقي وهو ابن شقيق الشيخ سيف ابن حمد العتيقي وقد استدرك هذه الأخطاء الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله التويجري في كتابه «الإفادات عن مافي تراجم علماء نجد لابن البسام».

ثالثًا: ورد في الهامش بصفحة ٤١٧ نقلاً عن الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى ذكر الشيخ محمد بن إبراهيم العتيقي والصحيح هو الشيخ إبراهيم بن محمد بن سليمان العتيقي المتوفى سنة ١٣١٥هـ وقد تولى القضاء في المجمععة وعن مقاطعة سدير حتى وفاته، وقد بقي بعض أحفاده في المجمععة وغادر بعضها الآخر إلى الكويت للالتحاق بأبناء عمومتهم الذين سكنوها منذ فترة طويلة.

علمًا بأن آل العتيقي لم تنقطع صلتهم بالعلم والتعليم حتى وقتنا هذا فقد تخرج على أيديهم كثير من العلماء في الكويت فمنهم على سبيل المثال لا الحصر الشيخ عبدالله الفارس (من أهل روضة سدير) والذي أخذ علمه عن يد

الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن سيف العتيقي في الكويت وأصبح الشيخ عبدالله الفارس من علماء الكويت المشهورين.

وقد برز عدد من آل العتيقي في مجال العلم منهم الشيخ عبدالعزيز بن محمد ابن عبدالعزيز بن محمد بن سليمان العتيقي وهو أيضاً حفيد الشيخ إبراهيم بن محمد العتيقي السابق ذكره من جهة الأم.

فقد قام الشيخ عبدالعزيز بفتح مدرسة في المجمععة وقد كان من تلامذته الشيخ عثمان الصالح. ثم افتتح مدرسة أهلية في البحرين وقد كان عضواً في لجنة تسليم جدة بعد فتحها على يد المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود طيب الله ثراه واستلامها من الشريف علي بن الحسين وتنفيذ اتفاقية التسليم سنة ١٣٤٤ هـ، ثم عمل مساعداً للأمير فيصل بن عبدالعزيز حاكم مكة المكرمة والحجاز في ذلك الوقت ونائباً له، كما كان عضواً في مجلس الشورى للهيئة التأسيسية لتنظيم أسس حكم الحجاز التي أسسها الملك عبدالعزيز في ذلك الوقت.

ثم عاد إلى الكويت ليتفرغ للتعليم وقد كرمته الدولة بتسمية مدرسة على اسمه (مدرسة عبدالعزيز العتيقي) بمنطقة الصليبخات بالكويت.

ولا يزال لأسرة العتيقي في الكويت نشاط ملموس في عمل الخير وبناء المساجد وفي خارجها لا يمكن حصرها في هذه العجالة وهم يبغون في ذلك وجه الله ومرضاته، فمنهم الأستاذ عبدالله بن سليمان العتيقي أمين عام جمعية الإصلاح الاجتماعي.

وأريد أن أنوه في هذا المقام بأن آل العتيقي ترجع أصولهم إلى قبيلة جهينة فهم العتيقي من بني حميد من بني سنان من جهينة في الحجاز وحول مدينة ينبع. وقد دب خلاف بين أبناء العمومة مما جعل بعض العتيقي يلتحقون بمصاهرة ونسب مع الحوازم من بني سالم من قبيلة حرب في وادي الصفراء بالمدينة المنورة، وقد نزع من هاؤلاء والد الشيخ سيف بن حمد العتيقي إلى نجد وباقي أهله إلى الكويت بعد ذلك، ولدينا نسخة في الكويت لوثيقة موقعة من الشريف

عبدالله بن جبارة والشريف عبدالله بن عبدالمعين بتاريخ يوم ستة من شهر شعبان سنة ١٢٥٩هـ تؤكد بأن آل العتيقي من جهينة والذين هم من بني حميد من بني سنان من جهينة هم أبناء عمومة مع آل العتيقي الذين من رجال العمرة من الحوازم من بني سالم من حرب.

وقد كان للعتيقي دور في تاريخ الكويت القديم والحديث فقد كان منهم عبدالله بن حمد بن عبدالمحسن العتيقي الذي كان مستشاراً وسكرتيراً خاصاً للشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت عندما جاء الإمام عبدالرحمن الفيصل آل سعود مع ابنه الملك عبدالعزيز آل سعود رحمهما الله وأقاما في الكويت حتى خروج الملك عبدالعزيز متوجهاً إلى الرياض لتوحيد المملكة العربية السعودية. ومنهم حفيد عبدالله بن حمد بن عبدالمحسن العتيقي وهو السيد عبدالرحمن ابن سالم بن عبدالله العتيقي وزير المالية والنفط سابقاً ومستشار حاكم الكويت حالياً الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير دولة الكويت.

ومنهم أيضاً الدكتور عماد بن محمد بن عبدالعزيز العتيقي حفيد الشيخ عبدالعزيز العتيقي الذي عمل عضواً في مجلس الشورى الذي أسسه الملك عبدالعزيز رحمه الله. والدكتور عماد يعمل حالياً أستاذاً وعميداً لكلية الهندسة والبتروك في جامعة الكويت. وغيرهم كثيرون وقد أردت في هذه الرسالة فقط توضيح مدى ارتباط آل العتيقي بالعلم والقضايا في منطقتنا في الجزيرة العربية وطننا الأم.

ملاحظة: ومن آل العتيقي راوية الحديث أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد ابن منصور العتيقي البغدادي الجهني والذي قدم دمشق وسمع بها وروى عنه جماعة وحدث سنه سبع وثلاثين وأربع مئة وتوفى في بغداد في صفر سنة إحدى وأربعين وأربع مئة في يوم الثلاثاء الحادي عشر منه «تاريخ دمشق» لابن عساکر. هذا ما وددت بيانه.

الكويت: المهندس حمد بن عبدالله سالم العتيقي

«أنساب الأشراف» للبلاذري

(مطبوعة الأستاذ محمود فردوس العظم)

- ٥ -

- ٤٣٥- ص ٣٦١: (الضحاك بن عميرة) وهو: (الضحاك بن عمير).
- ٤٣٦- وفيها: (البراءة من أبي بكر وعمر) وهي: (البراءة من أبي بكر وعمر وعليّ سواء) وبهذا تتم الجملة.
- ٤٣٧- وفيها: (وأوصى أن يقوم على أرضه) وهي: (وأوصى أن يقوم في أرضه).
- ٤٣٨- وفيها (أبلج أشعر صمغ شحمة أذنيه) وفي المخطوطة: (أبلج، شعره مع شحمة أذنيه).
- ٤٣٩- وفيها: (بلممول ممض) وهي: (بلممول مَضٌّ) ولها وجه في اللغة، فالملمول المَضُّ هو الملمول الحار أو المحرق، وفي هامش المخطوطة (ممض خ).
- ٤٤٠- ص ٣٦٢: (أمر النبي ﷺ وأبو بكر) وفي المخطوطة: (أمر النبي ﷺ وأبي بكر).
- ٤٤١- ص ٣٦٣: (إن ملجم قال) وهي: (أن ملجمًا قال).
- ٤٤٢- ص ٣٦٤: (بالصالحات من الأعمال محصور) وفي المخطوطة: (بالصالحات من الأعمال محبور).
- ٤٤٣- ص ٣٦٥: (جريًا إذا ما جاء) وهي: (جريتًا إذا ما جاء) وقد وضعت الهمزة فوق الألف وهي عادة الكاتب.
- ٤٤٤- وفيها: وفي آخر الصفحة بعد كلمة أمسك: (وقال مصقلة بن هبيرة: قضى وطراً منها عليّ فأصبحت إمارته فينا أحاديث راكب) وهذا البيت لم يرد في المطبوعة.
- ٤٤٥- ص ٣٦٧: (ماشيا والنجائب) وهي: (ماشيا وأنَّ النجائب).

- ٤٤٦ - ص ٣٦٩: (فقال أكره) وهي: (فقال: إنِّي أكره).
- ٤٤٧ - وفيها: (عن عبدالله بن مسلم الفهري): وهي: (عن عبدالله بن سلم الفهري).
- ٤٤٨ - ص ٣٧٠: (يا أمير المؤمنين ما ذكر مكرمة) وهي: (يا أمير المؤمنين ما ذكروا مكرمة).
- ٤٩٩ - ص ٣٧١: (إذا ما يريد الشر) وهي: (إذا ما يريدُ الشرُّ).
- ٤٥٠ - وفيها: (الحسن ريحانة من الدنيا) وهي: (الحسن ريحانتي من الدنيا).
- ٤٥١ - ص ٣٧٥: (فقال ابن عمه) وتكررت مرتين، وهي في المخطوطة: (فقال ابن عمر).
- ٤٥٢ - ص ٣٧٧: (هذا من ملاء منا) وهي: (هَذَا عَن مَلَأِ مِنَّا).
- ٤٥٣ - وفيها: (فقال رجل: هيا يا أبا ظبيان وقع المغيرة في الحسن فقال: ولم؟). وفي المخطوطة: (فقال رجل: يا أبا ظبيان وقع المغيرة في الحسن فسبهُ فقال: ولم؟).
- ٤٥٤ - ص ٣٧٨: (عن المقة عن ابن جعدبة) وهي: (عن الثقة عن ابن جعدبة).
- ٤٥٥ - ص ٣٨٠: (على مؤنته، وهي: (على مؤنّه).
- ٤٥٦ - ص ٣٨١: (ثم لزم الفرات حتى قطع الغلوية وجاز الفرات إلى دما ثم أتى أخنونية) وفي المخطوطة: (ثم لزم الفرات حتى قطع الفلوجة، وجاز الفرات إلى دما، ثم أتى الأحنونية).
- ٤٥٧ - وفيها: (وما أنا محتمل) وفي المخطوطة: (وما أنا بمحتمل).
- ٤٥٨ - ص ٣٨٢: (يعجزه ويضعفه) وهي: (يعجزه ويضعفه).
- ٤٥٩ - وفيها: (قطعة أجر) وهي: (قطعة أجرّة).
- ٤٦٠ - ص ٤٥٩: (أن يوثقه) وهي: (أن يوثق).

- ٤٦١ - ص ٣٨٣: (إلى الأخنونية) وهي: (إلى الأحبونية).
- ٤٦٢ - ص ٣٨٤: (خالد بن مغمر، وخالد بن المغمر) وفي المخطوطة في الموضوعين: (خالد بن معمر، وخالد بن المعمر).
- ٤٦٣ - وفيها: (لا تغروني في ديني) وهي: (لا تغروني من ديني).
- ٤٦٤ - ص ٣٨٥: (ويعطيه الرضى) وهي: (ويعطياه الرضى). وهو الصواب فالضمير يرجع إلى اثنين.
- ٤٦٥ - ص ٣٨٦: (ليشهدوا ويشهد عليه) وهي: (ليشهداً ويشهداً عليه).
- ٤٦٦ - ص ٣٨٨: (ورأيت إنما حقن الدماء خير من سفكها) وفي المخطوطة: (ورأيت أن ما حقن الدماء خير مما سفكها).
- ٤٦٧ - وفيها: (وان يكن ما صنعت حجة على ممن كان يتمنى) وفي المخطوطة: (وأن يكون ما صنعت حجة على من كان يتمنى).
- ٤٦٨ - وفيها: (حاتم بن أبي صغيرة) وهو: (حاتم بن أبي صغيرة).
- ٤٦٩ - وفيها: (وأما لجود حق بي) وهي: (وأما لجود بحق لي).
- ٤٧٠ - ص ٣٨٩: (ولما تاخذ لنفسك ثقة) وهي: (ولما تاخذ لنفسك منه ثقة).
- ٤٧١ - وفيها: (وإني طلبت بدم عثمان قتل الله قاتليه) وهي: (وإني طلبت بدم أمير المؤمنين عثمان فقتل الله قاتليه).
- ٤٧٢ - ص ٣٩٠: (وكان زياد يومئذ لعلي) وفي المخطوطة: (وكان زياد يومئذ عاملاً لعلي).
- ٤٧٣ - ص ٣٩١: (يزيد بن حمير) وهو: (يزيد بن خمير).
- ٤٧٤ - وفيها: (ان الناس يتقولون) وهي: (إن الناس يقولون).
- ٤٧٥ - وفيها: (بأتياس الحجاز) وفي المخطوطة: (يا أتياس الحجاز).
- ٤٧٦ - ص ٣٩٢: (فإنك من أخي ثقة سليم) وفي المخطوطة: (فإنك من أخي ثقة مليم).

- ٤٧٧- وفيها: (أهل الميت) وهي: (أهل الميت).
٤٧٨- ص ٣٩٣: (بيده هذا) وهي: (بيده هذه).
٤٧٩- وفيها: (وحكى لنا محمد بن صنيعه) وهي: (وحكى لنا محمد صنيعه).
٤٨٠- وفيها: (خلا ناحية الحسين) وهي: (خلى بأخيه الحسين).
٤٨١- وفيها: (أن لا تكون أول من عاب) وهي: (أن تكون أول من عاب).
٤٨٢- ص ٣٩٤: (عن ابن عوف عن أبيه) وهي: (عن ابن عوف عن أبيه).
٤٨٣- وفيها: (فكتب إليه زياد: أما بعد) وهي: (فكتب إليه زياد: فقد).
٤٨٤- ص ٣٩٥: (وليس الحسن مما يرمى بالرجوان) وهي: (وليس الحسن مما يرمى به بالرجوان).
٤٨٥- وفيها: (الأشعث بن قيس وأرغبها) وفي المخطوطة: (الأشعث بن قيس امرأة الحسن وأرغبها).
٤٨٦- ص ٣٩٦: (سلام بن مسكن) وفي المخطوطة: (سلام بن مسكين).
٤٨٧- وفيها: (فهذا مصير إلى الحق) وهي: (فهذا يصير إلى الحق).
٤٨٨- وفيها: (عن عباد عن هشام) وهي: (عن عباد بن عباد عن هشام).
٤٨٩- ص ٣٩٧: (فاد فنوني عند أبي) وهي: (فاد فنوني عند أمي).
٤٩٠- وفيها: (يدفن عثمان إلا في حش كوكب) وهي: (لا يدفن عثمان في حش كوكب).
٤٩١- وفيها: (إنك أسلمت أيام خير) وهي: (إنما أسلمت أيام خير).
٤٩٢- وفيها: (يا أخي لو أوصى أن يدفن) وهي: (يا أخي إنه لو أوصى أن يدفن).
٤٩٣- وفيها: (ولكنه استثنى) وهي: (ولكنه قد استثنى).
٤٩٤- ص ٣٩٨: (شرب شربة عسلة طائفية) وهي: (شرب عسلة صافية).

- ٤٩٥- ص ٣٩٩: (ويقال سنة خمسين) وهي: (ويقال في سنة خمسين).
- ٤٩٦- وفيها: (سعيد بن العاص بن أمية) وهي: (سعيد بن العاص بن سعيد ابن العاص بن أمية).
- ٤٩٧- ص ٤٠٢: (فما زلت مذنيته بكلالة) وهي: (فما زلت مذنيته بكأبة) وليس في البيت خلل.
- ٤٩٨- ص ٤٠٣: (حمول لأسياق) وهي: (حمول لأشناق): وأشناق الديات كما في كتب اللغة هي ما دون الدية من أرش الجراحات، فتلك الأشناق.
- ٤٩٩- ص ٤٠٣: (وعبدالله أمهما أم ولد) وهي: (وعبدالله أمهما ظمياء أم ولد).
- ٥٠٠- ص ٤٠٤: (فبينما هو يطوف عرضت له) وهي: (فبينما هو يطوف إذ عرضت له).
- ٥٠١- ص ٤٠٥: (يقول لبنيه: إياكم ومعادة الرجال) وفي المخطوطة: (يقول لابنه: إياك ومعادة الرجال).
- ٥٠٢- وفيها: (مكر حلیم ومباداة جاهل) وهي: (مكر حلیم أو مباداة جاهل).
- ٥٠٣- ص ٤٠٦: (حر أمك من أمير) وهي: (حرمك من أمير) كذا في المخطوطة وبه يستقيم الوزن.
- ٥٠٤- ص ٤٠٧: (دونك أمر قد دنت أشراطه) وهي: (دونك أمراً قد بدت أشراطه).
- ٥٠٥- ص ٤٠٨: (يا أبا محمد ارضى من ابنك) وهي: (يا أبا محمد إني ارضى من ابنك).
- ٥٠٦- وفيها: (أما اني لأطلبه) وهي: (أما إني لا أطلبه).
- ٥٠٧- وفيها: (ما تهنأنا) وهي: (مآنتهنأ).
- ٥٠٨- وفيها: (يريد بناؤها) وهي: (يريه بناءها).
- (للحديث صلة)

«الأمكنة والمياه والجبال والآثار»

لأبي الفتح نصر بن عبد الرحمن الأسكندري المتوفى بعد سنة ٥٦١هـ

- ١٤ -

٦٣ - باب الأنواض، والأبراص^(١)

أما - بالنون والواو وضاد مُعْجَمَة: في شعر^(٢).
وأما بالباء الموحدة وراء وضاد مُهْمَلَتَيْن: بين هرشي فالغمر^(٣).

٦٤ - باب أنخل وأنجل وأنجل^(٤)

أما - بضم الخاء المُعْجَمَة: ذات أنخل: واد ينحدر على ذات عرق أعلاه من نجد، وأسفله في تهامة^(٥).

(١) عند الحازمي: (باب أبواص وأنواص وأبراص).

(٢) لم يذكر الحازمي هذا الاسم، وفي المعجم: الأنواص - بالصاد المهملة - موضع في بلاد هذيل يروى بالنون والباء قال:

تُسْقَى بِهَا مَدَافِعُ الْأَنْوَاصِ

وَرَوَاهُ نَصْرٌ بِالضَّادِ الْمُعْجَمَةِ.

وقال الحازمي: أبواص بالباء الموحدة: في بلاد هذيل، قال أمية بن أبي عايد الهذلي:

لَمَنْ السِّدِّيَّارُ بَعْلِي فَالْأَخْرَاصِ نَالِ السُّودَّتَيْنِ قَمَجَمِجِ الْأَبْوَاصِ
قال السكري: ويروى الأنواص بالنون، وروى الأصمعي: الأوباص. انتهى.

(٣) أورد باقوت قول نصر غير منسوب، ولم يزد، والأبواص والأنواص والأوباص والأخراص مما يدل على عدم التيقن من صحة ضبطها لدى المتقدمين، وبيت أمية من قصيدة في «شرح أشعار الهذليين» وبلاد هذيل في تهامة حول مكة.

أما هرشي: فطرف حرة في الطريق بين مكة إلى المدينة، وهرشي لا تزال معروفة، منها ينحدر المتجه إلى المدينة في وادي الأبواء (الخرابية) والغمر يطلق على مواضع، ومن أقربها إلى هرشي واد من روافد نخلة الشامية، يعرف قديماً بغمر ذي كندة.

(٤) لم أره عند الحازمي.

(٥) أورد هذا ياقوت بنصه غير منسوب بدون زيادة، وذات عرق من مواقيت الإحرام، وتعرف الآن باسم (الضريبة) وهي أعلى نخلة الشامية أعلاها في نجد، وأسفلها في تهامة، ولذات عرق روافد من أودية كثيرة.

وَأَمَّا بِجِيمٍ مَفْتُوحَةٍ: مَوْضِعٌ قَرِيبٌ مِنْ مَعْدِنِ النَّقْرَةِ، قَرِيبٌ مِنْ مَأْوَانَ وَأَرِيكَ، وَيُرْوَى بِالْيَاءِ وَبِكَسْرِ الْهَمْزَةِ أَيْضًا^(١).

وَأَمَّا: بِحَاءٍ مُهْمَلَةٍ مَكْسُورَةٍ: بَلَدٌ مِنْ دِيَارِ بَكْرٍ، يُذَكَّرُ مَعَ سَعْرَتِ: بَلَدٌ آخَرَ هُنَاكَ^(٢).

٦٥ - بَابُ أَوْدٍ، وَأَوْدٍ، وَأَوْزٍ، وَأَوْزٍ^(٣)

أَمَّا بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَآخِرُهُ دَالٌ مُهْمَلَةٌ: خِطَّةٌ بَنِي أَوْدٍ بِالْكُوفَةِ^(٤).

وَأَمَّا كَالأُولَى إِلَّا أَنَّهَا مَضْمُومَةٌ الْهَمْزَةِ: مَوْضِعٌ فِي دِيَارِ بَنِي تَمِيمٍ بِنَجْدٍ، ثُمَّ فِي أَرْضِ الْحَزْنِ لِبَنِي يَرْبُوعِ بْنِ حَنْظَلَةَ قَالَ:

وَأَعْرَضَ عَنِّي قَعْنَبٌ وَكَانَمَا يَرَى أَهْلَ أَوْدٍ مِنْ صُدَاءٍ وَسَلْهَمَا
وَفِيهِ شَعْرٌ كَثِيرٌ^(٥).

(١) نَقَلَ يَأْفُوتُ هَذَا مُنْسُوبًا إِلَى نَصْرِ وَكَمْ يَزِدُ، وَالنَّقْرَةُ وَمَأْوَانُ وَأَرِيكَ لَا تَزَالُ مَعْرُوقَةً كُلُّهَا مَتَّفَاعِيَّةً فِي عَالِيَةِ نَجْدٍ، وَقَدْ وَرَدَ ذِكْرُ أَنْجَلٍ مَعْرُوقًا بِالْبَدِيِّ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ بْنِ تَوَلَّبٍ:

فَبِرْقَسَةَ إِزْمَامٍ فَجَنَّبًا مَتَالِعِ قَوَادِي الْمِيَاهِ فَالْبَسْدِي فَانْجَلُ
أُورْدَةَ الْبَكْرِيِّ، وَيَبْدُو أَنَّ الْأَسْمَ يُطْلَقُ عَلَى مَوَاضِعٍ، إِذَا سُمِّ الْأَنْجَلُ لَا يَزَالُ يُطْلَقُ عَلَى مَنْهَلٍ، يَقَعُ فِي جَانِبِ نُفُودِ السَّرِّ الشَّرْقِيِّ الْجَنُوبِيِّ، شَرْقَ بَلَدَةِ الْفَوَيْعِيَّةِ، وَهُوَ فِي مَنْطِقَتِهَا، وَلِلْأَنْجَلِ هَذَا ذِكْرٌ فِي الْأَشْعَارِ الْعَامِيَّةِ، وَهَذَا بَعِيدٌ عَنِ النَّقْرَةِ وَمَأْوَانَ.

(٢) نَقَلَ هَذَا يَأْفُوتُ غَيْرَ مُتَشَرْبٍ وَكَمْ يَزِدُ، وَالغَرِيبُ: أَنَّهُ لَمْ يَذْكَرْ سَعْرَتِ، فِي مَحَلِّهِ، وَهَذَا مِنْ بِلَادِ الْجَزِيرَةِ الْفَرَاتِيَّةِ.

(٣) عِنْدَ الْحَازِمِيِّ سَوَى (أَوْزٍ).

(٤) قَالَ الْحَازِمِيُّ: خِطَّةٌ: بَنِي أَوْدٍ مِنْ مَحَالِّ الْكُوفَةِ، نُسِبَتْ إِلَى بَنِي أَوْدٍ بْنِ... .

وَقَدْ يَنْسَبُ إِلَى الْخِطَّةِ بَعْضُ الرِّوَاةِ، وَعِنْدَ يَأْفُوتِ: نُسِبَتْ إِلَى أَوْدِ بْنِ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ ثُمَّ بَقِيَّةُ كَلَامِ الْحَازِمِيِّ، وَقَبْلَهُ: أَوْدٌ بَوْرَنٌ عَوْدٌ: مَوْضِعٌ بِالْبَادِيَّةِ، قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو، وَوَجَدْتُهُ فِي شِعْرِ الرَّاعِي الْمَقْرُوءِ عَلَى ثَعْلَبٍ فِي قَوْلِهِ:

فَأَصْبَحْنَا قَسْدًا وَرَكْنًا أَوْدًا فَاصْبَحَتْ فَرَاحُ الْكَثِيبِ طَلَعْنَا وَخَرَانَفْنَا

(٥) أَوْرْدَةُ الْحَازِمِيُّ بَنَصَهُ سَوَى جُمْلَةً (وَفِيهِ شَعْرٌ كَثِيرٌ) وَقَالَ فِي «مُعْجَمِ الْبُلْدَانِ» أَوْدٌ - بِالضَّمِّ ثُمَّ السُّكُونِ: مَوْضِعٌ فِي دِيَارِ بَنِي تَمِيمٍ، لِبَنِي يَرْبُوعِ بِنَجْدٍ فِي أَرْضِ الْحَزْنِ، ثُمَّ أَوْرَدَ الْبَيْتَ مُضِيغًا إِلَيْهِ شَاهِدَيْنِ أَيْضًا مِنَ الشُّعْرِ، وَقَالَ: كَذَا رَوَى فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ بِالضَّمِّ، وَيُقَالُ: هُوَ وَادٍ كَانَ فِيهِ يَوْمَ مِنْ أَيَّامِ الْعَرَبِ.

وَأَمَّا مِثْلُهُ وَذَالَهُ مُعْجَمَةٌ: مَدِينَةٌ مِنْ بِلَادِ أَرَانَ مِنْ فُتُوحِ سَلْمَانَ بْنِ رَبِيعَةَ، قِيلَ:
الصَّوَابُ بِوَاوٍ بَعْدَ الذَّالِ^(١).

وَأَمَّا بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَآخِرُهُ رَاءٌ مُهْمَلَةٌ: جَبَلٌ حِجَازِيٌّ أَوْ نَجْدِيٌّ، جَعَلَ الشَّاعِرُ
أُورًا أَوْ أَرًا لِلشُّعْرِ^(٢).

وَأَمَّا بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَآخِرُهُ رَاءٌ: صُقْعٌ مِنْ أَصْقَاعِ رَامَهْرُمَزْدُو قُرَى وَبَسَاتِينَ^(٣).

٦٦ - بَابُ أَوَالٍ، وَأَزَالٍ، وَأَرَاكَ^(٤)

أَمَّا بِالْوَاوِ وَآخِرُهُ لَامٌ: جَزِيرَةٌ فِي بَحْرِ فَارِسٍ مِنْ عَمَلِ الْبَحْرِيِّينَ.

= والبيت: (أعرض عني) من قصيدة لعميرة بن طارق اليربوعي في خبر طويل، أورده صاحب «النقائض» - ص ٥٣ - وقال في شرح البيت: أهل أود بنو يربوع وصداء في بلحارث بن كعب، وهم إخوانهم وعدادهم فيهم، وسلّمهم من خثعم، وسلّمهم في مذحج أيضا، ويوم أود: هو يوم الصمد، ويوم ذي طلح، على ما يفهم من كتاب «النقائض» - ٧٨١ - وقد فصل خبره في هذا الكتاب، ويبدو من نصوص المتقدمين أن أود: وأد في حزن بني يربوع بقرب ذي طلح، شرق الدهناء، فقد ذكر عمارة بن عقيل أن ذا طلح وأد في أود يصب في رقمة قلح، وهي خبراء من سدر على بطن قلح، وهي تأخذ ماء أجمع، والرقمة في أرض بني العنبر. انتهى، والرقمة المذكورة في أعلى وادي الحفر (قلح قديما) أسفل ذات العشر (أم عشر الآن) ويظهر أن وادي الأجردي وما اتصل به من الأودية كان يفضي إلى وادي الحفر، قبل أن تحجزه الرمال الممتدة من شرق الدهناء، وأنه هو ذو طلح، وانظر عن هذا وعن حزن بني يربوع «المعجم الجغرافي» (قسم شمال المملكة)، وعن رقمة قلح (قسم المنطقة الشرقية).

(١) أورده الحازمي سوي جملة: (قيل الصواب بواو بعد الذال) وأورد هذا ياقوت بحذف كلمة (قيل) وزاد: أود من قلاع قزوين مشهورة، وقال نصر: والصواب: بواو بعد الذال. انتهى.

(٢) لم يذكره الحازمي، وأورد ياقوت كلام نصر منسوبا إليه ولم يزد.

(٣) لم يزد الحازمي على هذا، وزاد ياقوت: رامهرمز بخوزستان.

(٤) عند الحازمي بتقديم الأخير.

وأوالٌ أيضاً: صنمٌ كان لبكرٍ وتغلبِ ابنيِ وأئلٍ (١).

وأما بالزَّاي: اسمُ مدينةِ صنعاء، ويجوزُ فيه كسرُ اللامِ وضمُّها (٢).

وأما بالراءِ المهملةِ وآخره كافٌ: فرعٌ من دونِ ثافلٍ، يتصلُ بغيقةِ قُربِ مكَّة،

قال الأصمعيُّ: أراكُ: جبلٌ لهذيلٌ، وذو أراكٍ في الأشعارِ (٣).

(١) قال الحازميُّ: أوألٌ بعدُ الهَمْزةِ وأو: قريةٌ بالبحرينِ، قال توبةُ بنُ الحميرِ:

مِنَ النَّاعِبَاتِ الْمَشِي نَعْبًا كَأَنَّمَا يُنَاطُ بِجِذْعٍ مِّنْ أَوَالٍ جَرِيرُهُمَا
النَّعْبُ: تَحْرِيكُ الرَّأْسِ مِنَ النَّشَاطِ.

وفي «المعجم» أوألٌ بالضمِّ ويروى بالفتح: جزيرةٌ يحيطُ بها البحرُ بناحيةِ البحرينِ، فيها نخلٌ كثيرٌ وليْمونٌ
وبساتينٌ، ثم أوردَ بيتَ توبة، وآخرَ لَتَمِيمٍ، وثالثًا للسُّمَهْرِيِّ العُكْلِيِّ، وأضاف: وأوألٌ أيضاً: صنمٌ كان لبكرٍ
ابنِ وأئلٍ، وتغلبِ بنِ وأئلٍ انتهى.

وأوألٌ ليستَ قريةً، كما ذكرَ الحازميُّ، ولكنها جزيرةٌ حولها جُرٌّ صغيرةٌ، وتُعرفُ الآنُ باسمِ (البحرينِ)،
كانت قديماً تُسمى أوألٍ، فنقلصَ اسمُ البحرينِ عن الإقليمِ الواسعِ، وأحصَرَ في هذه الجزيرةِ، وهي ذاتُ
عيونٍ وتخلٍ كثيرٍ.

(٢) كذا ذكرَ الحازميُّ، وذكرَ الهمدانيُّ أنَّ اسمَ صنعاء في الجاهليةِ أزال.

(٣) عندَ الحازميِّ: وادي الأراكِ قُربَ مكَّة، يتصلُ بغيقة، وأوردَ ياقوتٌ قولَ الحازميِّ غيرَ منسوبٍ، وأضاف
إليه قولَ نصرٍ منسوباً إليه، وأضاف شِعراً لامرأةٍ من غطفان:

إِذَا حَنَّتِ الشَّقْرَاءُ هَاجَتْ لِي الْهَوَىٰ وَذَكَرْتُ رِيَّ أَهْلِ الْأَرَاكِ حَيْنِيهِمَا

وأضاف: وقيلَ هو موضعٌ من نَمرةٍ في موضعٍ من عَرَقة، وقيلَ: هو من مَوَاقِفِ عَرَقةٍ بعضُهُ من جهةِ الشَّامِ،
وبعضُهُ من جهةِ اليَمَنِ، والأراكُ في الأصلِ شَجَرٌ معروفٌ.

وأضيف: يبدو أن الاسمَ يُطلقُ على أوديةِ وسعابٍ تُنبِتُ هذا النوعَ مِنَ النَّبَاتِ وَمِنْ أَشْهَرِهَا: وادي الأراكِ،
المعروفُ قديماً باسمِ وادي نَعْمَانَ الأراكِ، وهو وادي يقعُ جنوبَ عَرَقاتِ المَوَاقِفِ، ويَجْتَمِعُ سَيْلُهُ بِسَيْلِ وادي
عَرَقاتِ، ووادي عُرْتَه، وما اجتمعَ بهما، ثم يتجهُ مُغْرَبًا حَتَّى يَفِيضَ بِسَهْلٍ يَقْرُبُ السَّاحِلِ، سَاحِلِ الْبَحْرِ
جنوبَ جُدَّة.

وقولُ الأصمعيِّ عن جبلٍ هذيلٍ هو في كتاب «بلادِ العَرَبِ»، وبلادُ هذيلٍ بقُربِ مكَّة..

مع القراء في أسنلتهم وتعليقاتهم:

آل معمر من الوعلة

كتب الأخ الدكتور مسفر بن عبدالهادي بن مسفر آل معمر من نجران إلى مجلة «العرب» بأنه اطلع على ما نشر في «المجلة العربية» - عدد ٢٥٤ ربيع الأول ١٤١٩ - بما ملخصه: إن الوعلة ينقسمون إلى فرعين كبيرين، وهم: آل سليمان وآل حمد بن فاضل. والصحيح أنهم ينقسمون إلى ثلاثة فروع: آل سليمان، آل حمد بن فاضل، آل معمر، وبعد اطلاعي على المقال ذهبت للشيخ محمد بن ذيب وشرحت له الأمر وأخبرني بأنه نسيان منه، فقام بكتابة التعقيب الذي يوضح النقص لكم.

وقد كتب الأخ محمد بن ذيب المهان نائب شيخ شمل قبيلة آل فطيح في نجران بما خلاصته: أما ما حصل من قبلنا فهو نسيان قبيلة آل معمر وهي قبيلة من أبناء وعيل، قليلة العدد، حيث لم تتكاثر مثل قبيلة آل سليمان وآل حمد بن فاضل، لذا نأمل إدراجها ضمن قبائل الوعلة.

وذكر مما وقع في المقال من التطبيع (أخطاء مطبعية): آل أحمد بن حمد بن فاضل والصواب: حمد بن فاضل بدون أحمد، ومحمد بن حمدان بن زين والصواب محمد بن حمدان بن ريزة.

آل فلاح في الرس

كتب إلى «العرب» الأخ محمد بن صالح بن فلاح التميمي من الكويت بما خلاصته: لقد اطلعنا على مقال الأخ خالد بن مشاري في «العرب» - س ٣٢ ص ٢٨١ - حيث ذكر أن أسرتنا آل فلاح في الرس من الحمران من النواصر من بني عمرو من تميم. وعليه نفيدهم بأن هذا القول ليس له أساس من الصحة، والمذكور لم يتصل بنا لنفيده أن آل فلاح في الرس وصبيح والشنانة، من آل عمران من ذرية فرج الحميضي من بني العنبر بن عمرو بن تميم وأنهم انتقلوا من

الروضة في منطقة حاييل إلى منطقة القصيم، في الرس، صبيح، الشنانة. هذا هو الصحيح والصواب، ونظراً لكون والدي صالح بن فلاح التميمي - رحمه الله - كبير ورئيس هذا الفخذ من هذه الأسرة، رغب الجميع نشر هذا التعقيب. والخوض في أنساب الأسر بدون علم ودراية يحدث مشكلات وخلافات بين الناس.

عن آل فلاح من تميم: محمد بن صالح بن فلاح التميمي

حول كتاب «المختصر في سيرة سيد البشر ﷺ»

موقع (الجثجائة)

ورد في الكلمة المنشورة في جريدة «الرياض» - العدد ١١٠١٣ في ٢٧/٤/١٤١٩ العمود الثالث - في الحديث عن كتاب «المختصر في سيرة سيد البشر» تحديد موقع الجثجائة. وقد اطلعت في كتاب «جمهرة نسب قريش» للزبير بن بكار المتوفى سنة ٢٥٦هـ - وهو من أقدم وأجل من عني بتحديد المواضع المتصلة بالمدينة قال - ص ٦٨ الطبعة الأولى:- (وقال إسماعيل بن يعقوب التميمي ليحيى بن أبي بكر بن يحيى بن حمزة:

ماتَ مَنْ يُنْكَرُ الظُّلَامَةَ إِلَّا مَضْرَحِيٌّ يُسَدِّمُنُ الْجَثْجَائَةَ
لِعَلِّيَّ وَجَعْفَرَ ذِي الْجَنَّاخِ - مَيْنَ وَبنتِ النبي خَيْرِ الثَّلَاثَةِ
(الجثجائة): بادية من بوادي المدينة، أقصاها على سبعة عشر ميلاً، وأدناها على ستة عشر ميلاً، بالميل الصغير، بها منازل لآل حمزة وعباد بن ثابت، بني عبدالله بن الزبير، كان أتخذها عبدالله بن الزبير) انتهى. وهذا تحديد واضح، فأقصاها على سبعة عشر ميلاً من المدينة، وأدناها على ستة عشر ميلاً، وكانت منازل لآل الزبير الذين سماهم، ومعلوم أن المدينة في ذلك العهد لم تبلغ العقيق كما بلغته الآن ولكن عواليها التي فيها قباء تمتد بإزاء العقيق فلعل المقصود بذلك التحديد هذه الناحية التي هي أقرب الجهات إلى موقع الجثجائة.

آل جلعود في القرائن من الدهامشة من عنزة

كتب الأخ الأستاذ محمد بن عبدالله الجلعود من القرائن إلى مجلة «العرب» ينبه إلى أن اسم أسرته الكريمة (آل جلعود) لم يرد في كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» موضحاً أن هذه الأسرة من الدهامشة من عنزة، كأبناء عمومتهم في القصب المذكورين في الكتاب، ولا زالت بعض الأملاك القديمة مشتركة بين الأسرتين مثل (قصر أم سدره) و (قصر دويغر) في القصب وبرز من هذه الأسرة بعض العلماء وطلبة العلم ممن تولوا بعض الوظائف في (غسلة) من (القرائن) منذ فترة من الزمن، ويجد القارئ ترجمة لأحد مشاهيرها في موضوع آخر من المجلة.

حول سكان قرية الضلعة قديماً

كان الأخ عبدالله بن صالح بن محمد آل حمد قدم لصاحب مجلة «العرب» تفصيلاً واسعاً عن من أنشأ بلدة (الضلعة) في القصيم. وحيث إن ما قدمه الأخ عبدالله تعرض لكثير من الحوادث وأنساب الأسر وغيرها بصورة متداخلة، فقد رأت مجلة «العرب» أن تبعث بما كتب به إلى الشيخ محمد بن عبدالمحسن الفريح، وهو من أوثق من عني بأنساب جماعته أهل البكيرية وما يتصف به من سعة علمه، وحسن خلقه، فأفضل بكتابة ما هذا نصه: (فقد تلقيت خطابكم الكريم ذي الرقم (٢٢٣) في ٢٨ / ٥ / ١٤١٩ هـ المتضمن طلبكم الإفادة عن سكان الضلعة وأنسابهم وصلتهم بسكان البكيرية. وعليهم نفيكم بالآتي:

١- أبناء عثمان بن سويلم الذين قدموا إلى البكيرية ثلاثة هم علي ومحمد وسويلم وهم أول من استوطن البكيرية اشتروها من البكري عام ١١٨٥ هـ كما أرخ ذلك الجد فريح - رحمه الله .

فعلي مات وليس له ذرية وقد عصبه أبناء أخيه محمد، ومحمد من ذريته الآن محافظ البكيرية سليمان بن صالح بن إبراهيم بن صالح بن إبراهيم بن خضير بن محمد بن عثمان بن سويلم.

ومن ذرية سويلم الآن وكيل إمارة منطقة القصيم المساعد، علي بن سليمان ابن محمد - صار أميراً في البكيرية عشر سنين - بن علي بن محمد بن سويلم ابن عثمان بن سويلم.

وكذلك ابن عمهم الأمير الكريم الذي صار أميراً (٣٧) سنة من - ١٣٣١ هـ إلى ١٣٦٨ هـ - سليمان بن سويلم بن دخيل الله - وهو أول أمير في البكيرية تأمر فيها (٣٧) سنة - بن محمد بن عثمان بن سويلم - رحمه الله - .

وقد قدموا إلى البكيرية من الضلعة في التاريخ المذكور آنفاً.

٢- آل حمد المستفيض عندنا أنهم منهم وهم أمراء الضلعة سابقاً وهم من سبيع كما هو مستفيض عندنا واسم محسن جاءهم من قبل أخوالهم وبقاياهم الآن في البكيرية يقال لهم المحسن والعصل.

٣- عبدالله بن صالح - صاحب الكتاب - من مواليد الشيخية عام ١٣٣٣ هـ وقد حج معنا على الأقدام عام ١٣٥٦ هـ وهو الآن من سكان المدينة النبوية.

٤- الأسر السبيعية التي انتقلت من الضلعة هم:

١- اللحيان في البكيرية. ٢- الشيان في رياض الخبراء.

٣- السويلم في البكيرية. ٤- الربيعان والحواس في الشيخية.

٥- العقل في البكيرية وينتمون إلى عرينة ومنهم الشيخ العلامة عبدالرحمن ابن محمد المقوشي - رحمه الله.

٥- الأسر المذكورة آنفاً من سبيع من أفخاذ متفرقة ويدل على ذلك قول جدي فريح بن فواز بن حمد بن فواز آل سلمى العنبري رحمه الله (١١٩٨ - ١٢٧٠) - وهو من أهل العلم بالأنساب - قال عندما غادر البكيرية متجهاً إلى الخبواب:

محسن متى تنوي السفر بالرشودي حيثك شفي لي بنقل الوصايا
تلقي ديار معربين الجدود اللي لفوا به من (سبيع) عزايا
واختص لي منهم سلايل عبود قيدوم ربه ما يهاب المنايا

فإن قوله (عزايا) يدل على أنهم من أفخاذ متفرقة.

و (سلايل عبود) يقصد به علي اليوسف - من بني زيد - جاره في البكيرية وقد جرت له قصة مع الجحوش من بني علي الذين أغاروا عليه وهو يبحث عن الصيد، فاستعاذ منهم فلم يعيدوه فرماهم فكسر خلف أبو طيف، ولما رجع من الصيد وجده في مكانه لأن أصحابه ذهبوا وتركوه، فحمله على ظهره وجبر كسره، وأمر أخته نورة بالنظر في حاله، وعندما جبر كسره هوى نورة فخطبها وتزوجها فأنجبت ثلاثة أبناء من الشجعان هم زيد ومزيد ومحمد:

- فمحمد أنجب خلف - خاله الشيخ سليمان بن عبيد آل سلمى رئيس شؤون الحرمين سابقًا - رحمه الله - وأولاده أربعة موجودون الآن في البكيرية وأخوانهم الحمد.

- وأما مزيد فليس له عقب وأم عياله بنت محمد بن سويلم أمير البكيرية.

- وأما زيد فخلف علي وله سبعة أبناء، منهم في البكيرية خمسة وواحد في الرياض وعبدالله في المدينة النبوية.

ومن نشأتهم في البكيرية لم يأخذ الفرع الأخوة من أهل البكيرية، وبدأ صنيتان ابن محسن الفرع البكيرية أيام الربيع... ومحسن ابنه مولود سنة (١٣٠٣هـ) بجوار ابن عواد أمير الهلالية... ويوم عرجا سنة (١٣١٨هـ) رفض أبوه حضوره المناوشات بينهم وبين عتيبة لأن عمره آنذاك لم يتجاوز الخامسة عشرة.

ومحسن هذا له قصة مع أهل الخبراء عام (١٣٣٥هـ).

هذا ما تبين لي والحمد لله على نعمة الأمن الذي نعيشه وله الحمد على صفات كماله سبحانه وعلى نعمه الظاهرة والباطنة.

القصيم - البكيرية: محمد بن عبدالمحسن الفريح

العمر: ومض برق

يارِفاقِ الطريقِ ما العمرِ إلا
ومضَ بَرَقٍ مصيره للزوال
فيه أهلُ النَّهْيِ يـؤدُّونَ دوراً
ذا مفاد، من نسوة ورجال
والحظيُّونَ في الحياة أناس
أنجزوا معظمَ الأمورِ الجِزَالِ
يارعى الله كلَّ شهمٍ يُرَجَى
للملَمَّاتِ والحمولِ الثقالِ
فالتباري نَحْوَ المعالي فخارُ
يَجْتَبِي قانصوه منه المعالي
والمسارُ القويمُ من خير ما ينـ
جى، ويفضي إلى الطريقِ المثالي
هكذا تنقضي الحياة فحوضوا
غَمَرَهَا فارعين شُمَّ الجبالِ
عبدالرحمن بن عبدالله آل عبدالكريم

* «طب الفقراء والمساكين» لابن الجزار:

من منشورات مؤسستين تعنيان بنشر الكتب الإسلامية، إحداهما في (طهران)، والثانية في (كوالامبور) في ماليزيا، صدر كتاب «طب الفقراء والمساكين» تأليف أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد بن الجزار، المتوفى سنة ٣٦٨، وهو من أشهر العلماء المعنيين بالطب، له مؤلفات متعددة، ذكر بعضها الأستاذ الزركلي في «الأعلام»، ومنها هذا الكتاب، الذي قامت بتحقيقه الدكتورة وجيهة كاظم آل طعمة، وقدم له بالفارسية والإنجليزية كل من الدكتور مهدي محقق والدكتور سيد محمد نقيب العطاس، وطبع في طهران سنة ١٣٧٥ هـ. ش (١٤١٦ هـ. ق = ١٩٩٦ م).

جاء في التمهيد الذي قدمت به الدكتورة وجيهة هذا الكتاب ما ملخصه: إن الفكرة الشائعة عن المسلمين عدم إبداعهم في العلوم والفنون والثقافة، وأن هذا ربما كان صحيحاً في العهد المبكر للإسلام، حين كان هدفهم نشر الدعوة وتثبيت العقيدة، وبعد امتزاجهم بالأمم الأخرى أصبحوا يوجهون عنايتهم إلى فروع العلم المتعددة، بدافع ما أوجب الله عليهم من طلب العلم، وكلمة العلم شاملة للعلوم الدينية والدنيوية، أي كل علم ينفع البشر في جميع مراحل حياتهم، فكانت حصيلة جهودهم إشادة صرح حضاري زاهر، كان العامل الأول لبناء حضارة الغرب وتقدمه العلمي.

وكان ابن الجزار أحد الأطباء المسلمين الذين قاموا بمهمة نشر الثقافة العربية الإسلامية، كما يتجلى في جميع مؤلفاته التي خلفها، ومنها هذا العمل العلمي المسمى «طب الفقراء والمساكين» وهو اختصار لكتابه الواسع الانتشار «زاد المسافر وقوت الحاضر».

اتجهت هذه المحققة الفاضلة إسهاماً منها في نشر التراث الإنساني الذي خلفه علماء المسلمين بتحقيقه، إذ هو ذو أهمية خاصة لصلته بما تركه علماء الأندلس من ذلك التراث، كما أوضحت المحققة في مقدمتها، التي اتبعتها بكلمة عن

خصائص الفكر الإسلامي في شمال أفريقيا في (القيروان) وغيرها من المدن، ثم ألحقت ذلك بالحديث عن حياة ابن الجزار الذي تُرجمت كثير من كتبه إلى اللاتينية والعبرية، وسمت كثيراً من آثاره، وذكرت مواقعها، ووصفت النسخ المخطوطة التي عولت عليها في نشر هذا الكتاب، كما سردت محتوياته، مشيرة إلى أن الطب القديم الذي نقله وجدده الأطباء المسلمون مازلنا نستخدمه، إما بدواء مفرد أو بدواء مركب من أدوية مفردة، له أثره وفي العالم في السنوات الأخيرة من اتجه للتداوي بالأعشاب، مما نشأ عنه الاهتمام بالمؤلفات القديمة.

الكتاب كغيره من كتب الطب القديمة، التي نجد خلاصتها في «تذكرة داوود الانطاكي»، وفي نشره ما يسهم في خدمة التراث مع إدراك أن التراث العربي الإسلامي كله لا يزال بحاجة إلى استخلاص وتنقية واختيار، ومنها ما ورد في هذا الكتاب الذي قامت المؤسسات الإسلامية بنشره، بعد أن حققته هذه الأستاذة الفاضلة تحقيقاً علمياً دقيقاً، بحيث حاولت إحياءه بتفسير مفرداته، بمرادفاتها، مما يبرز جانباً مهماً مما بذلته من جهد، يتضح هذا من إيراد تلك المفردات المفسرة فيما يقرب من ثلاثين صفحة، ثم بذكر المصادر من عربية وفرنسية.

ولعل تسميته بـ «طب الفقراء والمساكين» لأنه حوى الأمراض المتداولة وأسبابها وأوصافها، والأدوية النافعة الزهيدة الثمن، التي يمكن للطبيب أن يعتمد عليها.

أما مقدمات المؤسستين الناشرتين للسيدتين الدكتور مهدي محقق من (طهران) والدكتور سيد محمد نقيب العطاس من (ماليزيا) فقد كتبتا باللغة الفارسية وكان الأولى وهما مقدمتان لكتاب عربي أن يكتبتا باللغة العربية لتتم الاستفادة منهما.

ولقد أفضل الأستاذ الدكتور السفير صباح محمد حسن زنكنة المندوب الدائم للجمهورية الإسلامية الإيرانية لدى (منظمة المؤتمر الإسلامي) في جدة بإتحاف مجلة «العرب» بنسخة من هذا الكتاب، وما أكثر ما يفضل به مما فيه اتجاه مشكور، لإيجاد الروابط العلمية وتقوية الأواصر بين طلبة العلم، بل بين جميع الإخوة في مختلف البلاد الإسلامية.

ويقع الكتاب في نحو (٢٦٠) صفحة بمقدماته بطباعة حسنة وصدر في (طهران).

ويرى أحد المعاصرين أن صفيَّ السَّبَاب هي تلك الأكمة الصخرية التي تُشرفُ على الخَرَمَانِيَةِ من الشَّرْقِ، وبقربها مَبِيعُ الجَمَالِ، وهو الفاصل بين المُحَصَّبِ والأَبْطَحِ، الأول من جهة مَنَى، والثاني من جهة المسجد الحرام، كذا قال وفي النفس من هذا شيء. أما كلمة (صفي) فأراها بكسر الصاد والفاء جمع صَفَاة، وأن الموضع كان ذا صخور أي صَفَاً، والمقصود هنا ضبط الاسم، أما تحديد الموضع فقد تَغَيَّرت معالم المواضع في مكة مما سبَّب جهل أكثرها، إلا أنَّ جهة هذا الموضع معروفة، فهو في أعلى الأَبْطَحِ، وحائط خَرَمَانَ يُعْرَف الآن بِاسْمِ (الخَرَمَانِيَةِ) بقرب مَحَلَّة (المعابدة) داخل عمران مكة.

سَقْفُ: (يَبَّة)

قال ياقوت في «معجم البلدان»: (سَقْفُ بلفظ سَقْفِ الْبَيْتِ: مِنْ جِبَالِ الْحِمَى، قال: إِلَى سَقْفِ إِلَى بَرَكِ الْغَمَادِ). انتهى.

كذا قال ياقوت، والمعروف أن هذا عَجَزَ بَيْتٍ مِنْ شَعَرٍ كَثِيرٍ فِي رِثَاءِ صَدِيقِهِ خَنْدَفِ الْأَسَدِيِّ:

وَأَنِّي قَائِلٌ إِنْ لَمْ أَزُرْهُ سَقَّتْ دَيْمُ السَّوَارِي وَالْغَوَادِي
مَحَلًّا أَخِي بَنِي أَسَدٍ قَتُونًا إِلَى يَبَّةَ إِلَى بَرَكِ الْغَمَادِ
فليس في قول كثير شأهداً على سَقْفِ، وأين سَقْفِ الَّذِي مِنْ جِبَالِ الْحِمَى فِي عَالِيَةِ نَجْدٍ مِنْ بَرَكِ الْغَمَادِ الَّذِي فِي تِهَامَةَ (البرك) الوادي المأهول، الذي لا يزال معروفاً.

أما يَبَّةُ فثنية معروفة ينحدر منها واد مشهور إلى تهامة، لا تزال الثنية مسلوكة وينطقها العامة (يَبَا) والوادي مأهول معروف، وقد قلت عن هذا الاسم فيما كتبت على كتاب «البلدان» للحازمي علَّقت به على قول البكري: (يَبَّةُ: قَرْيَةٌ مَذْكُورَةٌ فِي رِيسْمِ بَرَكِ) فقلت، ما ملخصه: ويقع وادي يَبَّةُ وينطق الآن (يَبَا) جنوب وادي القنفذة الذي هو وادي (قَتُونًا)، وفروع وادي يَبَّةَ الشمالية تكاد تلتقى بفروع وادي (قنونا) الجنوبية، تنحدر من سلسلة جبال السراة، ويمتد الوادي صوب الجنوب

الغربي حتى يصب في البحر، فيما بين (البرك) جنوباً و (القنفة) شمالاً وهو إليها أقرب (يقع وادي بية بين خطي الطول: ١٥ / ٤١ و ٠٠ / ٤٢ وبين خطي العرض: ٥٠ / ١٨ و ٢٥ / ١٩ تقريباً). وبرك الغماد هو بلدة البرك المعروفة، وسقف يطلق على مواضع كثيرة المعروف منها في نجد وهي بعيدة عن البرك.

سُوْقَة: (سُوْقَة)

قال البكري في «معجم ما استعجم»: (سُوْقَة - بضم أوله - على لفظ تكبير الذي قبلها: مَرَضِعٌ قد تَقَدَّمَ ذكره في رسم نَقْب وفي رسم نَسَاح). انتهى وأود في رسم نقب قال البعيث:

أَمْقَ رَيْقِ الإسْكَيْنِ كَأَنَّه وَجَارُ ضَبَاعٍ بَيْنَ سُوْقَةِ وَالنَّقْبِ
سُوْقَة: موضع هناك، وأراه أراد سُوْقِيَّةً، وهو مَوْضِعٌ باليمامة مذكور في رَسْمِهِ) انتهى.

- وأراه أراد سُوْقِيَّةً وهو مَوْضِعٌ باليمامة.

وقال في رسم نَسَاح: (قَالَ دُرَيْدٌ:

فَإِنِّي بَيْنَ غَوْلٍ أَنْ تَضَلُّوا فَحَائِلِ سُوْقَتَيْنِ إِلَى نَسَاحٍ) انتهى.
وقال ياقوت في «معجم البلدان»: (سُوْقَة أهُوَى: بالربذة، قَالَ ابْنُ هَرَمَةَ:

قَفَا سَاعَةً وَاسْتَنْطَقَا الرَّسْمَ يَنْطِقُ بِسُوْقَةِ أهُوَى أَوْ بِبِرْقَةِ عَوْهَقِ
تَمَاشَتْ عَلَيْهِ الرَّيْحُ حَتَّى كَانَهُ عَصَائِبُ مَلْبُوسٍ مِنَ الْعَصَبِ مُخْلَقِ):

وقال ياقوت أيضاً: سُوْقَة، بضم أوله وسكون ثانيه ثم فاء لَعَلَّهُ مِنَ السَّافَةِ - وهي الأرض بين الرَّمْلِ والجَلْدِ، والسَّافَةُ: الرملة الرقيقة، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: سُوْقَة

مَوْضِعٌ بِالْمَرُوتِ، وهي صَحَارَى وَأَسَعَةٌ بَيْنَ قُفَيْنِ أَوْ شَرْفَيْنِ غَلِيظَيْنِ، وَحَائِلٌ فِي بَطْنِ الْمَرُوتِ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: وَيُرْوَى سُوْقَة، وَكَذَا قَالَ ابْنُ حَبِيبٍ، وَقَالَ جَرِيرٌ:

بَنُو الْخَطْفَى وَالْخَيْلُ أَيَّامَ سُوْقَةِ جَلَّوْا عَنْكُمْ الظُّلْمَاءَ فَانْشَقَّ نُورُهَا
بِالْفَاءِ يُرْوَى، وفي شعر الرَّاعِي المَقْرُوءِ عَلَى ثَعْلَبِ:

تَهَانَفْتَ وَاسْتَبَكَكَ رَسْمُ الْمَنَازِلِ بِقَارَةِ أهُوَى أَوْ بِسُوْقَةِ حَائِلِ) انتهى

كل هذه الأقوال الثلاثة بما في بعضها من الخلط بين (سُوْفَة) بالفاء - الاسم الصحيح و (سُوْفَة) بالقاف ما يُعْجِمُ الصواب ويخفيه والاسم واحد، ينطبق على موضع لا يزال معروفاً: قَارَةٌ لَهَا أَكْمَتَانُ، ولهذا وصفها الهمداني في «صفة جزيرة العرب» بقوله: (بَطْنٌ حَائِلٌ بِلَدٍّ مِثْلُ يَدِ الْمُصَافِحِ، يَرَى فِيهِ الرَّكَّابَ مِنْ مَسِيرَةِ نِصْفِ نَهَارٍ، وَفِي أَعْلَاهُ سُوْفَتَانِ. انْتَهَى، وَتَقَعُ سُوْفَةٌ هَذِهِ فِي الشَّمَالِ الشَّرْقِيِّ مِنْ بِلْدَةِ (الْقُوَيْعِيَّةِ)، وَأَقْرَبَ الْمَنَاهِلِ مِنْهَا (الْحَرْمَلِيَّةُ) غَرْبَهَا بِنَحْوِ ٢٠ كَيْلًا، وَ (دَلْقَانَ) شَرْقَهَا، وَتَشَاهِدُ عَنْ بُعْدِ لَهَا رَأْسَانِ بَارِزَانِ، وَيَطْلُقُ الْإِسْمَ عَلَى الْقَارَةِ وَعَلَى مَا بِقَرْبِهَا مِنْ أَرْضٍ، وَعَلَى مَنْهَلٍ كَانَ بِقَرْبِهَا، وَمَوْضِعَ حَائِلٍ يُعْرَفُ الْآنَ بِاسْمِ (حَدَبَاءِ قَذْلَةَ)، وَالْمَرُوتِ مَعْرُوفٌ بِاسْمِهِ، صَحْرَاءُ وَاسِعَةٌ شَرْقَ حَائِلٍ، تَقَعُ سُوْفَةٌ (بِقَرَبِ خَطِّ الطُّولِ: (١٣ / ٤٥) وَخَطِّ الْعَرْضِ: (٢١ / ٢٤)).

ويرى بعض الباحثين أن (أهوى) المنهل الذي تضاف إليه (سُوْفَة) وهو من مياه بني نُمَيْرٍ قَدِيمًا، هو ما يعرف الآن باسم (دَلْقَانَ) وبعض مياه هذه القبيلة طمرتها الرمالُ رمال نفود (دَلْقَانَ).

أما قول ياقوت: أن سُوْفَة أهوى بالربذة فهذا ليس بصحيح، فبينها وبين الربذة مسيرة أيام للابل، والصواب: ما نقل من أنها في جَهَةِ (الْمَرُوتِ) الصحراء الواسعة التي لا تزال معروفة جنوب (الوشم) وشرق (العرض) وينطبق عليها قول أبي عبيدة.

سَيِّبَان: (شَيِّبَان)

قال ياقوت في «معجم البلدان»: (سَيِّبَان - بفتح أوله وسكون ثانيه ثم باء موحدة، وآخره نُون: السَّيْبُ مَجْرَى الْمَاءِ: وَجَبَلٌ مِنْ وَرَاءِ وَادِي الْقُرَى يُقَالُ لَهُ سَيِّبَان).

يبدو أن صاحب «المعجم» - رحمه الله - نقل هذا عن أحد كتابي نصر أو الحازمي فقد ورد في كتاب نصر في باب (سَيِّبَانِ وَسَيِّبَانِ) ونص كلامه: (وَمَا سَيِّبُهُ مَفْتُوحَةٌ وَبَعْدَ الْبَاءِ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ جَبَلٌ مِنْ وَرَاءِ وَادِي الْقُرَى) انتهى. ولكن صواب الاسم (شَيِّبَان) بالشين المعجمة كما في كتاب «بلاد العرب» - ٣٩٧ - ونصه: في

الكَلَامَ عَلَى وَادِي الْقُرَى -: (وَفَوْقَ ذَلِكَ الْعَوَالِي، وَهِيَ قُرَى، وَفَوْقَهَا الْحَجْرُ، وَعَنْ يَسَارِ ذَلِكَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَحْرِ جَبَلٌ يُقَالُ لَهُ شَيْبَانٌ، يَنْبِتُ بِهِ الْبَانُ وَالْحَبَّةُ الْخَضْرَاءُ، بِهِ النَّخِيلُ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ وَفِيهَا مَعَادِنُ الصَّفَرِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَأَمَّا الْمَعَادِنُ فَلِكُلِّ، وَأَمَّا مَا سِوَى ذَلِكَ فَلَبَلِي وَسَعَدَ اللَّهُ مِنْ قُضَاعَةَ) انْتَهَى، وَشَيْبَانٌ يُطْلَقُ الْآنَ عَلَى إِحْدَى قَلِيلٍ سَلْسَلَةِ جِبَالٍ تَدْعَى (هَضْبُ الزَّبَالَةِ) وَهِيَ فِرْعٌ مِنْ قَبِيلَةِ بَلِي، سَكَانُ هَذِهِ الْبِلَادِ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، وَيُظْهِرُ أَنَّ اسْمَ شَيْبَانٍ كَانَ يَشْمَلُ هَضْبَ الزَّبَالَةِ فَتَقْلَصُ الْاسْمَ وَانْحَصَرَ فِي إِحْدَى قَلِيلِهِ، وَهُوَ يَبْعَدُ عَنْ هَجْرَةَ (أَبُو رَاكَّةَ) نَحْوَ بَعْضَةِ عَشْرِ كَيْلَافًا (يَقَعُ جَبَلُ شَيْبَانٍ بِقَرْبِ خَطِّ الطُّولِ: ٣٧ / ٠٥ وَخَطِّ الْعَرْضِ: ٢٧ / ٠٠).

وَقَدْ سُمِّيَ هَذَا الْجَبَلُ فِي بَعْضِ النُّصُوصِ الْحَدِيثَةِ عَنِ التَّعْدِينِ (جَبَلُ الشَّرْمِ) وَقَدْ اسْتَوْضَحَتْ مِنَ الدُّكْتُورِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ آلِ غَبَّانٍ فَقَالَ: (الشَّرْمُ جَبَلٌ يَقَعُ عَلَى بَعْدِ ٣٥ كَيْلَافًا إِلَى الْغَرْبِ مِنْ مَدِينَةِ الْعُلَا، غَيْرَ بَعِيدٍ عَنْ مَسَارِ طَرِيقِ النَّجْدِ الَّذِي يَرْبُطُ بَيْنَ الْعُلَا وَالْوَجْهِ، وَأَقْرَبُ الْجِبَالِ الْمَشْهُورَةِ إِلَيْهِ جَبَلُ الْوَرْدِ، وَيُمْكِنُ الْوَصُولُ إِلَيْهِ عِبْرَ الطَّرِيقِ الْحَدِيثِ الَّذِي نَفَذَتْهُ وَزَارَةَ الدِّفَاعَ وَالطَّيْرَانَ لِلْوَصُولِ إِلَى مَوْقِعِ (رَادَارَاتِ جِبَالِ الْوَرْدِ) وَجَبَلِ الشَّرْمِ قَرِيبًا مِنْ وَادِي الْجَزْلِ أَيْضًا، وَتَفْصَلُ بَيْنَهُمَا مَسَافَةٌ ١٢ كَيْلَافًا تَقْرِيبًا، كَمَا أَنَّهُ يَبْعَدُ عَنْ مَدِينَةِ الْوَجْهِ قَرَابَةً ١٥٠ كَيْلَافًا عَلَى طَرِيقِ النَّجْدِ، وَهُوَ أَيْضًا قَرِيبٌ مِنْ مَسَارِ طَرِيقِ الْحَجِّ الْمَصْرِيِّ الدَّاخِلِيِّ، الَّذِي يَرْبُطُ بَيْنَ مَدِينِ وَوَادِي الْقُرَى، مَرُورًا بِشَغْبٍ وَبَدَا، حَيْثُ أَنَّهُ يَقَعُ عَلَى يَسَارِ الْمَقْرَحِ الْأَبْيَضِ الَّذِي يَرْدُ فِي الْمَصَادِرِ الْقَدِيمَةِ بِاسْمِ الْبَيْضَاءِ).

وَحُرِّفَ الْاسْمُ إِلَى (الشَّرْمِ) فِي بَعْضِ الْخَرَائِطِ الْحَدِيثَةِ، وَكَلِمَةُ الشَّرْمِ فِي لَهْجَةِ سَكَانِ الْجَهَّةِ مِنْ أَفْرَادِ بَلِي تَعْنِي السَّوَادَ الَّذِي يَتَكُونُ عَلَى الْقَدْرِ عِنْدَمَا يُوَضَعُ عَلَى النَّارِ، وَأَنَّ الْجَبَلَ سُمِّيَ بِهَذَا الْاسْمِ، لِأَنَّ صَخُورَهُ سَوْدَاءَ مِثْلِ شَرْمِ الْقَدْرِ، وَلْتَمِيِزَهُ بِلَوْنِهِ الْأَسْوَدِ فِي الْمَنْطِقَةِ الْمُحِيطَةِ بِهِ، وَبِهَذَا الْجَبَلِ أَثَارُ تَعْدِينٍ قَدِيمٍ.

سَيِّحَاطُ: (شَيْحَاطُ)

قَالَ يَاقُوتٌ فِي «مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ»: (سَيِّحَاطُ: كَذَا هُوَ بِخَطِّ ابْنِ الْمَعْلَى الْأَزْدِيِّ

في قول تميم بن مقبل:

إِنِّي أُتِمُّ أَيْسَارِي بِذِي أَوْدٍ مِنْ نَيْلِ سَيْحَاطِ ضَاخِي جِلْدِهِ فَرِعُ
انتهى.

وأوده البكري باسم (شَيْحَاط) بالشين معجمة - وقال: (إنه موضع بالطائف،
وذكر في رسم حداب بني شَبَابَة جمع حَدَاب، وهي جبال من السَّراة، ينزلها بنو
شَبَابَة من فهم بن مالك من الأزد، وليسوا من فهم عدوان وهذه الحداب وراء
شَيْحَاط، وشَيْحَاط من الطائف، وهذه الحداب أكثر أرض العرب عَسَلًا. روى
الأصمعي أن سليمان بن عبد الملك لما حجَّ فأتى الطائف، ووجد ريح النَّدغ،
كتب إلى والي الطائف: انظر لي عَسَلًا من عَسَل النَّدغ والسَّحاء، أخضِر في
السَّقاء، أبيض في الإناء، من حداب بني شَبَابَة) انتهى.

وصحح صاحب «تاج العروس» أن صواب الاسم بإعجام الشين وأورده
بكسرها. انتهى وفي «نوادير الهجري»: شَيْحَاط قال ابن مقبل:

من نَبْعِ شَيْحَاطٍ

وهو بلدٌ من غربي تَرْج، وفيه حصنٌ لبني مَخْزُومٍ) وقد أورد البيت كاملاً في
موضع آخر كما ورد في «ديوان ابن مقبل» ونصه:

يَا بِنْتَ آلِ شَهَابٍ هَلْ عَلِمْتَ إِذَا أَمَسَى الْمَرَاغِثُ فِي أَعْنَاقِهَا خَضَعُ
أَنِّي أُتِمُّ أَيْسَارِي بِذِي أَوْدٍ مِنْ فَرِعِ شَيْحَاطٍ صَافٍ لِيَطُهُ فَرِعُ
وأرى هذا الصواب، وأن الاسم بالشين المعجمة (شَيْحَاط).

وقال الأستاذ عاتق بن غيث البلادي في «معجم معالم الحجاز»: (شَيْحَاط
أحد روافد وادي لِيَّة الكبير، يأخذ سيل وادي ثَمَالَة وعمقان ثم يدفع في لِيَّة تحت
حصن مالك بن عوف الثقفي من الجنوب، وتقدم ذكر شَيْحَاط في حَدَابِ بَنِي
شَبَابَة، وأهلُه اليوم ثَقِيفٌ وفيه زراعة وقَرْي). انتهى

(للحديث بقية)

حمد الجاسر

الإسهام السعودي في نشر النصوص الأدبية القديمة وتحقيقها

(مرحلة الريادة)

[البحث الممتع الوافي الذي قدمه الأستاذ الدكتور أحمد بن محمد الضبيبي مدير (جامعة الملك سعود) سابقاً، وعضو مجلس الشورى الآن، لـ (المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين) أثناء انعقاده في (جامعة أم القرى بمكة المكرمة) في الفترة من اليوم الثاني من شهر شعبان ١٤١٩ هـ، إلى اليوم الخامس منه، وقد أتحف به (أبو عمرو)، قراء مجلته «العرب» مواصلة لما كان يتحفظهم به من أبحاثه القيمة^(*)].

لا يجد الباحث في تاريخ نشر التراث الأدبي القديم في العصر الذي سبق العهد السعودي رصيذاً يذكر في نشر الكتب الأدبية والنقدية القديمة من دواوين وغيرها. وذلك يتسق مع ما كان سائداً في ذلك العصر، من الاهتمام بالدراسات الدينية، عن طريق المآثور والمختصرات، التي اعتمد عليها الطلاب والمعلمون على حد سواء، وكانت عصب الدراسة في حلقات المشايخ - إلى جانب اكتفاء أدباء ذلك العصر بما يرد إليهم من مطبوعات خارجية وخاصة من مصر.

ولعل أهم ما نُشر من كتب النصوص الأدبية القديمة هو «ديوان ابن المُقَرَّب» الذي طبع بالمطبعة الأميرية بمكة المكرمة سنة ١٣٠٧ هـ طبعة حجرية على نفقة الشيخ عبدالله بن سعيد باخطمة، عدد صفحاتها ١٢٠ صفحة. ولم تعرف النسخة الخطية التي اعتمد عليها في الطبع. وقد وصفت هذه الطبعة لدى كل من اطلع عليها من الدارسين^(١) بكثرة الأخطاء المطبعية والإملائية، والاضطراب في الأبيات، والتداخل بين القصائد، والنقص. وقد كان عدد قصائدها ٨٣ قصيدة وعدد أبياتها ٣٨١٢ بيتاً^(٢).

كما نشر حسين عبدالله باسلامة مجموعة من أشعار الإمام الشافعي وأقواله المنشورة، في كتاب دعاه «الجوهر اللماع فيما ثبت بالسماع من حكم الإمام الشافعي المنظومة والمنشورة»، وطبع الكتاب في مصر بمطبعة كردستان العلمية لصاحبها فرج الله زكي الكردي سنة ١٣٢٦ هـ. ويشبه هذا الكتاب أن يكون ديواناً صغيراً للإمام الشافعي جمعه (باسلامة) أساساً من كتب أربعة مؤلفين كتبوا

ترجمات للإمام الشافعي في مؤلفات هم: فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) في كتابه «مناقب الإمام» وتاج الدين السبكي (ت ٧٦٣هـ) في كتابه «طبقات الشافعية»، والحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢) في كتابه «توالي التأسيس بمعالي ابن إدريس»، وأضاف إلى المادة التي أخذها من هذه الكتب ما التقطه من مؤلفات أخر لابن خلكان، والماوردي والأبشيهي، وغيرهم.

بَوَّبَ (باسلامه) الكتاب على ثلاثة أبواب. الأول جعله لنسب الشافعي، وتطرق فيه إلى ترجمة طويلة، في تسعة فصول استغرقت ٤٨ صفحة من مجموع صفحات الكتاب البالغة ١٢٠ صفحة. أما الباب الثاني فجعله للمنظوم والمنثور من كلامه، وقدم ما قاله نثرًا، ثم بَوَّبَ قوافي الأشعار حسب الحروف الهجائية. وفي هذا الباب أورد أشعار الشافعي من المصادر الأساسية التي ذكرناها آنفًا. وأعقب ذلك بتراجم لأصحاب هذه المصادر. وجعل الباب الثالث للأشعار التي التقطها من سائر المصادر التي ترجمت للشافعي وغيره، ورتبها أيضًا على حسب حروف الهجاء. وهي ليست كثيرة.

ويلاحظ أن بعض هذه الأبيات لم تثبت نسبته للإمام الشافعي، وبعضها لعله تمثل به مثل قوله:

متى ما تَقْدُ بالباطل الحقَّ يَأْبَهُ وإن قُدَّتْ بالحق الرواسي تَنْقُدُ
إذا ما أتيت الأمر من غير بابهِ ضللت وإن تقصد إلى الحق تهتدي^(٣)

فمن الثابت أنه ليس للشافعي، وإنما هو لقيس بن الخطيم في ديوانه^(٤) وقوله:
إني مُعْزِيكَ لا أني على ثقة من الخلود ولكن سنة الدين
فما المعزِّي بباق بعد صاحبه ولا المُعْزِي وإن عاشا إلى حين

فقد روى البيتان للإمام الأعمش (ت ١٤٨) ^(٥).

وحفل الكتاب بالأخطاء الطباعية وبعض النحوية أيضًا. ويتألف هذا الكتاب يمكن أن يُعَدَّ الشيخ حسين باسلامة أول من جمع أشعاراً قديمة ونشرها مطبوعة في مجموع من أبناء الجزيرة العربية في العصر الحديث.

وبعد توحيد الجزيرة على يد الملك عبدالعزيز - رحمه الله - كانت العناية - أول الأمر - متجهة إلى نشر الكتب الدينية، وخاصة ما يتعلق منها بالعقيدة والفقه، وعلوم القرآن والحديث، أما كتب الأدب فلم تكن الحاجة إليها ماسة في البيئة العلمية، التي كانت تعج بالحلقات في مكة والمدينة، والرياض وغيرها من المدن الكبيرة، لكن التطور الفكري السريع المتمثل بانتشار التعليم، وبدء التعليم العالي المنهجي، وافتتاح جامعة الملك سعود، وإنشاء المجلات الثقافية، وانفتاح المجتمع على البيئات العلمية الثقافية في البلاد العربية الأخرى.. كل ذلك جعل أنظار الباحثين السعوديين تنجس نحو التراث، وتكتشف كنوزه، وتفتش عن مصادره القديمة، ومنها مصادر النصوص الأدبية في الشعر والنثر وغير ذلك.

والناظر في حركة إحياء التراث في المملكة عموماً يلاحظ أن هذه الحركة قد مرت بمرحلتين متميزتين هما:

المرحلة الأولى: مرحلة الريادة. التي بدأ بالإرهاصات الأولى لنشر التراث وتطورت لتستمر إلى هذا العصر في أعمال الشيخ حمد الجاسر على وجه الخصوص.

والمرحلة الثانية: هي المرحلة المنهجية. تلك المرحلة التي كانت نتاج أعمال المتخصصين من أساتذة الجامعات، وطلاب الدراسات العليا فيها. ويمكن أن يؤرخ لهذه المرحلة بسنة ١٣٩٠ هـ حين بدأت الجامعات تمد حركة الإحياء بالثمار الناضجة في هذا المجال.

وسوف يتطرق هذا البحث لمرحلة الريادة على اعتبار أنها المرحلة السابقة تاريخياً كما أنها تتميز بخصائص معينة سنتحدث عنها لاحقاً.

ولعل أول كتاب نشر في هذه المرحلة المبكرة هو كتاب «عبث الوليد» لأبي العلاء المعري^(٦) الذي شرح فيه أبياتاً من شعر أبي عبادة البحتري، وقد نشره السيد أسعد طرابزونى، وأهداه إلى الملك عبدالعزيز (اعترافاً بما له من الأيادي البيضاء

على العلم والأدب)، وقد علق على مادة الكتاب الأديب محمد عبدالله المدني، ووقع الفراغ من التعليق عليه في الخامس من شهر شعبان سنة ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م. نشر الكتاب على نسخة خطية - في (المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة) - لم يذكر رقمها -، انتسخ الناشر منها نسختين فرعيتين، لم تغنيا المعلق عن العودة إلى الأصل. ثم أرسل الكتاب بعد التعليق عليه إلى السيد محمود الحمصي في دمشق، لطبعه في (مطبعة الترقى) فقام بمقابلة النسخة على نسخة المجمع العلمي العربي بدمشق المصورة عن نسخة دار الكتب المصرية، ورمز للاختلافات بين النسختين بحرق (ش).

وقد قدم المصحح للكتاب مقدمة أبان منها المشاق التي كابدها في التصحيح، وتقويم ما في الكتاب من خلل. كما حظي الكتاب بمقدمتين إحداهما للأمير شكيب أرسلان، الذي استنفذ مقدمته في الحديث عن شروح أبي العلاء: «اللامع العزيزي في شرح شعر المتنبي»، و «ذكرى حبيب»، و «عبث الوليد»، و «معجز أحمد». وذكر أن لديه نسخة من «شرح ديوان المتنبي» لأبي العلاء تحوي نصف الديوان، قال: (ويجب أن يكون هو «اللامع العزيزي») وذكر أنه لا يمكن أن يكون «معجز أحمد» لأن الأخير كما قال ابن خلكان على نمط «عبث الوليد». في كونه ليس شرحاً بالمعنى المتعارف، وأثنى في هذه المقدمة على ناشر الكتاب الشاب أسعد أفندي دربز نلي، الذي قام (بعمل عظيم، ونثل من أحسن كنانة عربية وجعبة أدبية نبالاً كانت مدفونة في طي النسيان.. فاستحق شكر هذه الأمة شرقاً وغرباً، وأن يُحييه كل ناطق بالضاد بعداً وقرباً) (٧).

أما مقدمة الدكتور محمد حسين بك هيكل فقد كتبها أثناء وروده المدينة المنورة تعليقاً على قسم من الكتاب أرسل إليه، وتحدث فيها عن أهمية توثيق نسبة المخطوطة إلى مؤلفيها، فإذا ما تأكد ذلك كان من الواجب نشرها وإذاعتها. كما تحدث عن النقد اللغوي لدى أبي العلاء، وانتمائه إلى زمن غير

زمننا. وتمنى أن يصنع الأدباء صنيع الأستاذ السيد أسعد طرابزونى في نشر ما يفنون عليه من مخطوطات. وضم الكتاب كلمة للناسر أبدى فيها وكعهُ بتصفح كتب الأدب، وصنّعه في نسخ نسختين من الكتاب، واختياره الشيخ عبدالله المدني مصححاً للكتاب^(٨).

لقد قام الشيخ المدني بقراءة الكتاب قراءة فاحصة، فشرح بعض المواد اللغوية، وفسر بعض القضايا التي أشار إليها المؤلف، وأكمل مطالع قصائد البحري، كما بين بحر القصيدة وقافيتها، وغرضها من مدح أو هجاء أو رثاء. وشرح معاني بعض الكلمات والأماكن. ولكنه لم يكن يخرجُ الشواهد إلا قليلاً، ولا يضبط النص بالشكل، كما لا يعود إلى ديوان الشاعر إلا لمأماً. أما مراجعته فكثيراً ما يهملها. وإذا ذكرها لم يشر إلى مواضع صفحاتها.. كما خلت النسخة من همزات القطع، ومن علامات الترقيم. ومع ذلك فقد اعترض المصحح على أبي العلاء في عدة مواضع وناقشه في بعض الاستعمالات، معتمداً على أقوال المتأخرين من النحاة.

ومما طبع في وقت مبكر «ديوان ابن مشرف»، نشره عبدالرحمن بن محمد بن قاسم في مطبعة أم القرى سنة ١٣٥٥هـ^(٩) وكانت هذه النشرة - فيما يبدو - طبعة اجتهادية لم تخضع لشروط التحقيق الحديث. كما نُشر «ديوان ابن المقرب العيوني» سنة ١٣٨٣هـ بتحقيق عبدالفتاح محمد الحلو، وعناية (مكتبة التعاون بالأحساء) وقد ظهر بصورة علمية جيدة، إذ روجع الديوان على عدد من النسخ الخطية إلى جانب مطبوعة الأميرية بمكة وطبعة الهند. وضبطت فيه الألفاظ، وفسرت بعض معاني ما استغلق منها، ثم اتبع الكتاب بفهارس علمية. ومع ذلك فقد أخلت هذه النسخة بكثير من الأبيات التي استوفتها طبعة المكتب الإسلامي بدمشق سنة ١٣٨١هـ، وذلك ناتج عن اعتماد المحقق على النسخ المصرية للديوان وحسب، ولم ينظر في النسخ الخطية الأخرى سواها^(١٠).

وفي وقت مقارب لطبعة «ديوان ابن المقرب» المحققة هذه، نشر محمد بن أحمد العقيلي ثلاثة مختارات من أشعار أربعة من شعراء جنوب الجزيرة العربية بالعناوين الآتية:

- «ديوان الشاعر القاسم بن هُتَيْمِل» (ت ٦٩٦ هـ)، دراسة وتحليل، ط ١، سنة ١٣٨١هـ / ١٩٦١م.

- «ديوان السلطانين» سليمان والخطاب ابني السلطان الحسن الحجوري، من شعراء القرن السادس الهجري، وطبع في (مطبعة الانصاف بيروت) سنة ١٣٨٤هـ.
- مختارات من «ديوان الجراح بن شاجر الذروي» شاعر المخلاف السليماني، طبع في مطابع الرياض سنة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.

إن معالجة الأستاذ العقيلي لهذه المجموعات الشعرية تكاد تتشابه من حيث تقديم النصوص وطريقة اختيارها، ووصف مخطوطاتها، وإذ أخذنا ما اختاره من «ديوان ابن هُتَيْمِل» مثلاً وقد أسماه «ديوان ابن هتيميل» ثم عاد في الطبعة الثانية وأسماه «مختارات من ديوان ابن هتيميل» فإننا نجد يذكر قصة حصوله على المخطوط الأصلي الذي اعتمده للنشر وهو مخطوط خاص كان لدى الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العقيل، قاضي أبي عريش الأسبق. الذي بعث إليه بنسخة الديوان وعلى الرغم من وجود عدد من النسخ لديوان الشاعر إلا أنه لم يعول على غير هذه النسخة، ووعد بدراسة الأخرى دراسة شاملة في المستقبل^(١١).

وبعد دراسة الديوان تبين له أنه مع كبر حجمه وعضوبة شعره.. (فإن في الديوان الكثير جداً من المديح. والمديح الخالص) ولذلك وبسبب اشتغاله بالعمل الرسمي، وبتأليف الجزء الثاني من كتابه «الجنوب العربي» فقد قرر أن يتبع الآتي:

١- أن يختار ما له دلالة تاريخية أو مسمى يتعلق بالمجتمع العام أو الخاص الذي عاش فيه الشاعر، أو المعترك السياسي أو الحربي - لعصره طبعاً - أو وجهة اجتماعية، أو فائدة أدبية.

٢- أن يحذف ما يمت إلى عصبية أو طائفية ضيقة، أو مبالغة غير مستساغة أو غلو غير محمود.

٣- أن يترك المديح الخاص الخالي مما أشار إليه أولاً.

٤- أن يقتصر على شرح الغريب بقدر الضرورة البيانية.

٥- أن يترجم للشخصيات التي مدحها الشاعر - مُتَحَرِّبًا الاختصار - لأن الإسهاب في ذلك من واجبات كتب التراجم والتاريخ.

٦- أن يقدم دراسة موجزة لحياة الشاعر تتناول نسبه والإطار الزمني، من الناحية التاريخية، والحكم والأمثال في شعره، والمواضع التي خلدها شعره، مع تحقيق البلدان التي وردت في أشعاره).

تلك هي الأسس التي أوجزها الأستاذ العَقِيلِي لاختياره الشعر ولدراسته للشاعر وشعره^(١٢).

وفيما يخص الدراسة فقد أوفى الناشر بكل ما وعد به فكان التركيز على الناحيتين التاريخية والجغرافية، وقد أغنى صفحات الديوان بكثير من المعلومات التاريخية التي يحتاجها مطالع الديوان. كما شرح بعض الألفاظ. أما الناحية الفنية فلم تأخذ منه أكثر من صفحة واحدة فبعد أن وصف شعر ابن هُتَيْمَل بالطلاوة وروعة الأصالة.. وذكر أوصافاً أخرى له قال: إن ذلك تضيق عنه هذه الدراسة الموجزة.

أما الشعر فلم يلتزم فيه ترتيب الديوان المخطوط، وإنما قسمه إلى خمسة أقسام:

١- المخلافات والتهاميات وجعلهما قسمين: أ- المديح. ب- المراثي.

٢- الرسوليّات، وهو ما قيل في الملوك الرسولين ووزرائهم ورجال دولتهم.

٣- الاماميات.

٤- الكنانيات وتشتمل على مدائح في أمراء حَلِي.

٥- الغزل.

وهكذا نجد الديوان حتى بعد أن نقاه ناشره من المديح الكثير فإن معظم شعره هو في المديح، وأقل ما نشر في الديوان من شعر كان في الغزل المحض، إذ لم نجد منه سوى ٨ صفحات من مجموع صفحات الديوان البالغ عددها ٢٨٤ صفحة.

وإلى جانب حذف بعض الأبيات والقصائد، فإن مما يلاحظ على الناشر إقدامه على تغيير بعض ألفاظ الشاعر، وإحلال ألفاظ أخرى بدلاً عنها بحجج مختلفة، منها كونها تعابير تُحْرَجُ في إيرادها مثل قول الشاعر:

شمائل وهَّاسِيَّةٌ غانميَّةٌ هي الفرع من روح النبوة والأصل
فقد أبدل (بروح النبوة): (روح الإمارة).

ومنها قول الشاعر:

أمنصور بن قاسم أنت أولى الـ مملوك ببرد جدك والقضيب
غيره بقوله: (لبس البرد منهم والقضيب).

وعلق على ذلك قائلاً: أصل البيت (وأورده) فأصلحناه بما تراه لأنه إذا كان البرد والقضيب من شارة الملك، فالنبوة ليست ملكاً. كما أراد الشاعر^(١٣).
والبيت:

درج فؤادك واعلم أنها نية (؟) تبلى هواك، وأثواب الهوى جدد
وضع كلمة (فرح) بدل كلمة (دَرَج) لأنها كما يقول غير مناسبة^(١٤).

لقد أدرجت هذه التعديلات في الطبعة الأولى دون الإشارة إليها. وقد أعاد الناشر طبع الكتاب سنة ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م وأشار إلى هذه التغييرات في ثنايا هوامشه. على أن الطبعة الثانية لا تمتاز عن الأولى إلا بتغيير العنوان إلى «مختارات من ديوان الشاعر القاسم بن علي بن هتيمل». كما وصف عمله على غلافها بأنه (دراسة وتحليل وتحقيق) وأضاف بعض الإضافات القليلة الهامشية،

وأبان ما كان قد غيّره من كلمات في أبيات الديوان؛ وزود الكتاب بفهارس للرجال، وأسماء الشعوب والقبائل، والطوائف والإمارات، والأماكن والبلدان، وفهرس للمحتويات وسمى كل فهرس من هذه الفهارس استبياناً^(١٣).

لقد خالف الشيخ حمد الجاسر الناشر في منهجه عندما كتب لكتاب العقيلي «الجراح بن شاجر الذروي شاعر المخلاف السليماني»، وبين أن الباحث حين يحاول أن يصل بين حلقات التاريخ بحاجة إلى أن يجد أثر كل عصر أمامه بدون أن يُغيّر أو يكيّف بالكيفية التي ينظر أهل عصرنا الحاضر إلى أنها هي الصورة الصحيحة التي يجب أن يكون عليها الأدب في كل عصر من العصور، ثم قال: (هنالك فرق بين أن ندرس الأدب على أنه وسيلة من وسائل حياة الأمة وتقدمها، وبين أن نقدم صوراً من صور الأدب لأية أمة من الأمم في ماضيها الذي لسنا مسؤولين عن خيره ولا شره، ولكننا مطالبون بأن نبرزه واضحاً كما كان)^(١٥).

ودرس حجاب بن يحيى الحازمي في كتابه «القاسم بن علي بن هتميل الضمدي» صنيع العقيلي فاستنكر منهجه في الديوان، وإقدامه على بتر القصائد، وقال: (إننا نعاتبه على الحذف والبتر الذي تعرضت له تلك القصيدة تطبيقاً لمنهجه الذي أشرنا إلى خلطه آنفاً، فحرم النصوص تدفقها، وحرّم الشاعرية تسلسلها، وتقطع بسببها نفس الشاعر، واهتزت صورة شعره، واضطربت خيالاتها ومعانيها)^(١٦).

ومع ذلك فإن مما يحسب للعقيلي في مجال نشر التراث الأدبي القديم ريادته في التعريف بشعراء كانوا مجهولين، ونشره مختارات كافية من هذه الدواوين، لدراسة شعرهم وعصورهم الأدبية. وإذا كانت هذه الدواوين لم تلق العناية المأمولة في التحقيق والمقابلة والضبط، فلعل جهوده تشجع آخرين على القيام بهذا العمل على أسس منهجية.

ومما هو جدير بالذكر أن «ديوان الجراح بن شاجر الذروي» قد حقق في

رسالة للماجستير سنة ١٤١٠هـ في كلية اللغة العربية وآدابها بجامعة أم القرى،
بتحقيق الطالب محمد أحمد محنبي^(١٧) ولم تنشر هذه الرسالة بعد.
وتبلغ مرحلة الريادة أوجها عند الشيخ حمد الجاسر الذي شارك منذ عهد
مبكر نسبياً في جهود متعددة ومتنوعة، تناولت النصوص الأدبية القديمة، وعلى
الأخص في المجالات الآتية:

- ١- جمع نصوص الشعر القديم لبعض الشعراء.
- ٢- نشر بعض الكتب الأدبية التراثية.
- ٣- الاستدراك على الأشعار المجموعة والمنشورة من قبل الجامعيين
والمحققين المحدثين.

هذا إلى جانب أن مجلة «العرب» التي أنشأها أصبحت منفذاً مهماً لنشر
المجموعات الشعرية الصغيرة العدد، من قبل الباحثين سعوديين وغيرهم. كما
أصبحت مجالاً لتبادل الرأي وقضايا الشعر العربي القديم.

ولعل أهم ما أسهم به حمد الجاسر أنه كان الرائد - على مستوى العالم
العربي - في جمع شعر ستة من الشعراء القدماء هم: عبدالله بن همام السلولي،
الصمة بن عبدالله القشيري، جحدر العكلي، يزيد بن الطثيرة، القحيف العقيلي،
محمد بن عبدالملك الفقعسي الأسدي.

وسوف نخص عمل الجاسر في كل مجموعة من المجموعات بحديث
مختصر أولاً ثم نعرض على أعماله الأخرى في هذا المجال.

- ١- شعر عبدالله بن همام السلولي (ت ١٠٠هـ): بدأ الجاسر نشر مجموعة
شعر عبدالله بن همام السلولي في مجلة «العرب» منذ السنة الأولى^(١٨) ثم أعاد
نشره في كتابه «مع الشعراء»^(١٩) وقد قدم لهذه المجموعة بدراسة عن قبيلة بني
سلول وبلادها، ومواضعها وشعرها، ثم تحدث عن حياة الشاعر وصلته ببني
أمية، وبعمال ابن الزبير، وعلاقته بثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي، وآراء
القدماء في شعره^(٢٠).

أورد الجاسر مجموعة شعر ابن همام مرتبة على القوافي حسب الحروف الهجائية، فبلغت عنده ٣٢ مقطوعة تضم ٨٨ بيتاً. ولم يدع الاستيعاب لكل ما هو موجود من شعر هذا الشاعر من كتب التراث، بل سمي مجموعته «مقتطفات» مقدماً لها بقوله: (وهذه مقتطفات من شعر عبدالله بن همام هي كل ما استطعت العثور عليه مما بين يدي من كتب الأدب والتاريخ، وهي على قلتها قد تضع أمام القارئ ملامح واضحة عن شاعريته)^(٢١).

وضع الجاسر عناوين للمقطوعات والقصائد، كما ضبط الشعر ضبطاً يكاد يكون تاماً. ولم يستوعب في التخريج بل اكتفى في كثير من الأحيان بمصدر واحد. وبعد حوالي عشرين عاماً من نشرة الجاسر، نشر الدكتور نوري حمودي القيسي مجموع شعر ابن همام السلولي في «مجلة المجمع العلمي العراقي»^(٢٢) وأشار فيه إلى مبادرة الجاسر، وكونها أول مبادرة لجمع شعر ابن همام ودراسة حياته، وعدها مقتطفات كما ذكر الشيخ الجاسر ثم قال: (وكان مجموع ما وقع بين يدي الأستاذ الجاسر مئة وسبعة أبيات وهو مجموع يحمد عليه في حينه، وقد توفرت لدي إضافات شعرية تغني حياته.. فكان عدد الأبيات التي جمعتها مئتين وأربعة وثلاثين بيتاً. ومن المؤمل أن يزداد هذا العدد بعد ظهور مجاميع شعرية، أو تحقيق مخطوطات تحتفظ بقصائد أو مقتطفات لشاعرنا)^(٢٣).

وعندما اطلع الجاسر على بحث الدكتور القيسي نشره بأكمله في مجلة «العرب»^(٢٤) وعقب على الدكتور القيسي بقوله: (أشار، رعاه الله، إلى أن مجموع ما وقعت عليه يدي من شعر ابن همام مئة وسبعة أبيات، والواقع أنها ثمانية وتسعون ومئة بيت، لا ينقص مما جمعه أستاذنا (يعني القيسي) سوى ستة وثمانين بيتاً. أضفت إليها في عمل أستاذنا ثمانية، ليصبح بين يدي القارئ ٢٤٢ بيتاً)^(٢٥).

وقد استدرك الجاسر بعد ذلك مقطوعتين على هذه النشرة تضمنان تسعة أبيات من كتابي «الفتوح» لابن أعثم، و«أنساب الأشراف» للبلاذري، ونشر

ذلك في مجلة «العرب»^(٢٦). وأخيراً نشر وليد محمد السراقبي شعر عبدالله بن همام السلولي مفرداً في دبي سنة ١٣٩٦ هـ، ولم نطلع على هذه النشرة.

٢- شعر الصمة بن عبدالله القشيري (ت ٩٤ هـ): الصِّمَّة القُشيري من شعراء العصر الأموي المقلين، الذين اشتهروا بالعشق، وعدوا من رموز الحب العذري، وقد ذكر صاحب «الفهرست» أن المفضل بن سلمة من أهل القرن الثالث قد صنع ديواناً له. ولكننا الآن لا نعرف شيئاً عن هذا الديوان.

وقد تصدى الشيخ حمد الجاسر لجمع شعر الصمة القشيري في محاولة هي الأولى من نوعها فجمع له ٢٣٧ بيتاً توزعتها قصائد ومقطوعات وبتف بلغت ٣٤^(٢٧). قدم الجاسر كعاداته لعمله بالحديث عن قبيلة الشاعر، وبين فضائلها اعتماداً على الهجري في كتاب «التعليقات والنوادر» ثم تحدث عن بلاد بني قشير، ضمن بلاد بني كعب بن عامر، التي من أشهر فروعها بنو عقيّل بن كعب، وبنو جعدة، وبنو قشير. وحدد مواقعها حسب المسميات الحديثة، وأطال في ذكر معالم هذه البلاد من أودية ومياه وقرى وحصون، ثم تحدث عن القبيلة من الناحية الاجتماعية والثقافية، وأورد قائمة لشعراء بني قشير، معتمداً على المتبقي من كتاب الهجري الأنف الذكر. وخص الشاعر بحديث عن نسبه، وصفاته، وعشقه، ثم عاد إلى موطنه فاستقصى المواضع الواردة في شعر الصمة الذي جمعه فبلغت عنده ٤٦ موضعاً حددها وتحدث عنها بشيء من التفصيل، وأشار إلى ما لم يهتد إليه منها.

لقد اعتمد الجاسر في جمع شعر الصمة على الهجري في «التعليقات» بالدرجة الأولى ولكنه مع ذلك لم يغفل المصادر الأخرى كـ «الشعر والشعراء» و «الأغاني» و «الأشباه والنظائر» و «اللاكي»، و «معجم البلدان» و «المنازل والديار» و «خزانة الأدب».

أما أشهر قصيدة للصمة القشيري تلك التي ضمت - كما قيل - أحسن أبيات

قيلت في الجاهلية والإسلام في الغزل وهي القصيدة العينية التي منها:

حننتَ إلى رِيَا ونفسك باعدت مزارك من رِيَا وشعبا كما معا
فما حسنٌ أن تأتي الأمر طائعا وتجزع أن داعي الصبا أوجعا

فقد اعتمد فيها على العلامة الشيخ عبدالعزيز الميمني - رحمه الله - في كتابه «الطرائف الأدبية» الذي جمع العينية من مصادر مختلفة، ولفق بين أبياتها. وقد أضاف الجاسر إليها بيتاً واحداً، وإن كان يشك فيه، ويراه مصنوعاً، كما فصل عنها بيتين رأى أنهما لا ارتباط لهما بالقصيدة^(٢٨).

وفي سنة ١٤٠١ هـ نشر الدكتور عبدالعزيز الفيصل مجموعة شعر الصمة القشيري، وأصدرها النادي الأدبي في الرياض^(*).

٣- شعر جحدر العكلي المحرزي: وجمع الشيخ حمد الجاسر مقطوعات وأبياتاً من شعر الشاعر الأموي جحدر بن معاوية العكلي المحرزي، وعدها نتفا لتوضيح منزلته للقارئ بين الشعراء يأمل أن يكون حافزاً لجمع شعره ودراسته دراسة وافية. نشرت المجموعة أولاً في مجلة «العرب» سنة ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦ م^(٢٩)، ثم أعاد نشرها في كتابه «مع الشعراء»^(٣٠).

لقد اهتم الجاسر بالتعريف بهذا الشاعر، فذكر الاختلاف في اسمه، وتحدث عن نسبه وقبيلته والخلط في ذلك، وفي المكان الذي ينتمي إليه، وخاصة نسبة ياقوت له في «معجم البلدان» إلى أرض اليمن، ونسبته إلى جشم بن بكر. ورجح أن يكون ما ورد في معجم ياقوت تصحيف من النساخ لكلمة (اليمامة)^(٣١). وتتبع أسماء الأماكن التي ذكرها جحدر في شعره فعدها منها ٢١ موضعاً عرف بها ليدل على أنه عاش في نجد، ثم تحدث عن عصره وحياته، مؤكداً أن كثيراً من الشعر المنسوب إليه قد نسب إلى غيره من الشعراء، وخاصة قصيدته النونية التي تبدأ في مجموعته بقول جحدر:

رأيت بذي المجازة ضوء نار تلالاً وهي نازحة المكان

وأورد منها ٢٩ بيتاً، فيها أبيات متداخلة مع أشعار آخرين. واعتمد فيها على ما جاء في «الحماسة البصرية» و «الأمالي»، و «متهى الطلب» وترك أمر التحقق من صحة المختلف فيه من أبياتها لمن عساه يحاول التوسع في دراسة شعر هذا الشاعر^(٣٢).

وأتبع الجاسر في نشرته هذه منهجاً سلكه في غيرها من المجموعات، يتلخص في ضبط ما يحتاج من الكلمات إلى ضبط، وهو قليل، وعدم استقصاء مصادر التخريج، وشرح بعض الألفاظ وأسماء الأماكن.

وفي الوقت الذي نشر فيه الجاسر ما وصل إليه من شعر جحدر نشر الباحث العراقي الدكتور نوري حمودي القيسي في بغداد مجموع شعر جحدر في كتابه «شعراء أمويون» الذي صدر سنة ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م وبلغ عدد الأبيات عنده ١٣٥ بيتاً، يضاف إليها أربعة أبيات جعلها مما نسب له ولغيره. وكما ترى فإن العدد الزائد على ما جمعه الشيخ حمد الجاسر لا يتعدى تسعة أبيات. مع اجتهاد الدكتور القيسي، ومحاولته استقصاء شعر هذا الشاعر في المصادر. ويلاحظ أن الدكتور القيسي قد أدخل في صلب شعر الشاعر كثيراً من الشعر المتنازع بينه وبين غيره من الشعراء، مع أنه أفرد لهذا الشعر قسماً لهذا الشعر قسماً خاصاً به.

٤- شعر القحيف العُقَيْلي (ت ١٣٠هـ تقريباً): وهذا شاعر أموي آخر هو القحيف بن خُمَيْر العُقَيْلي عاش في منطقة العقيق المعروفة الآن بـ (وادي الدواسر) كان صديقاً لشاعر آخر مشهور هو يزيد بن الطثرية، وقد عاشا معاً في تلك المنطقة من الجزيرة العربية. صنع له محمد بن حبيب ديواناً كان متداولاً بين علمائنا القدماء وآخر من اطلع عليه منهم الإمام الصغاني (ت ٦٥٠هـ) ونقل العلماء المتأخرون عنه^(٣٥).

نشر الجاسر مجموع شعر القحيف في مجلة «العرب»^(٣٦) معتمداً على نشرة المستشرق المسلم فريتس كرنكو F. Krenkow، أو سالم الكرنكوي، التي

صدرت في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية Journal of the Royal Asiatic Society في إبريل سنة ١٩١٣ م. وقد عرف الجاسر بعمل كرنكو. فذكر أنه أورد من شعر القحيف ٣٣ مقطوعة، ذكر بعد كل مقطوعة مصدرها، وترجم الشعر. فجاءت مقدمته في ٩ صفحات، ووقعت المقطوعات في إحدى وعشرين صفحة^(٣٧)، وجعل سبب إعادة النشر ما فات المحقق السابق من مصادر، ولم تكن عرفت في عصره، وفائدة اطلاع المعنيين على نشرة كرنكو (خاصة وأن كثيراً من الباحثين قد لا يتسنى له الاطلاع على تلك المجلة)^(٣٨).

نشر الجاسر ٢٥ مقطوعة اشتملت على ١١٣ بيتاً وثمانية أشطار من الرجز فيكون المجموع ١٢١ بيتاً.

أما الفروق بين نشرة حمد الجاسر ونشرة كرنكو فتتمثل في ٥ مقطوعات تشتمل على ٣٥ بيتاً، وذلك اعتماداً على إشاراته إلى النصوص التي نشرها كرنكو ورمز لها الجاسر بعلامة (ك) وقد لاحظ الدكتور شاكر الفحام في بحث له عن جمع شعر القحيف أن الجاسر قد أسقط تسعة أبيات من الشعر جمعه كرنكو، وخلص إلى أنه إذا أضفنا هذه الأبيات التسعة إلى ما جمعه الأستاذ الجاسر يخلص لنا من شعر القحيف ١٢٧ بيتاً^(٣٨). وقد أسقط الدكتور الفحام من شعر القحيف الذي نشره كرنكو والجاسر ثلاثة أبيات لم ير إضافتها إلى القحيف هي قول الشاعر:

فلولا السريُّ الهاشمي وسيفه أعاد عبيدالله يوماً على (عُكْلِ)
فهو كما يقول، لنوح ابن الشاعر جرير بن عطية بن الخطفي.

والبيتان:

فان تضربونا بالسياط فإننا ضربناكم بالمرهفات الصوارم
وإن تحلقوا منا الرءوس فإننا قطعنا رؤوساً منكم بالفلاصم

فهو في نظر الدكتور الفحام لرجل من بني حنيفة.

وبذلك يعد ما جمعه الشيخ حمد الجاسر ١١٨ بيتاً.

وبعد ما يقارب من عشر سنوات من نشرة الجاسر أعاد الباحث العراقي الأستاذ حاتم الضامن نشر شعر القحيف العقيلي في مجلة المجمع العلمي العراقي^(٣٩). وقد أشار إلى صنيع الجاسر بقوله: (وعلى الرغم من الفائدة الكبيرة التي قدمها نشر هذا الديوان، إلا أن الطبعة جاءت خالية من التخريج والدراسة، التي تعطي هذا الشاعر نصيبه، وذكر أنه أضاف إلى عمل الأستاذين كرنكو والجاسر واحداً وعشرين بيتاً، مع محاولة دراسة شعر الشاعر وحياته من خلال تحليل الأبيات، وإبراز الجوانب المتميزة في شعره، ويبقى فضل السبق لهما)^(٤٠).

وعندما اطلع الجاسر على عمل الضامن أعاد نشره في مجلة «العرب»^(٤١)، ووصف نشرته بأنها أجدى وأنفع من نشرته، وذكر تميز عمل الدكتور والضامن بتخريج الشعر^(٤٢).

كما نشر حمد الجاسر في العدد نفسه تعقيب الدكتور شاكر الفحام على نشرة شعر القحيف بن خُمير العقيلي بتحقيق حاتم الضامن، وهو بمثابة دراسة مفصلة لعمل المحققين الثلاثة. خلص منها إلى أن النشرات الثلاث احتوت من شعر القحيف الذي يقبله ما يأتي:

نشرة كرنكو ٩٩ بيتاً.

نشرة حمد الجاسر ١١٨ بيتاً.

نشرة حاتم الضامن ١٣٩ بيتاً.

واستدرك على الضامن بعض فوائت التخريج كما أضاف إلى الشعر المجموع بيتاً واحداً عده من فوائت هذا الشعر.

٥- شعر يزيد بن الطثرية (ت ١٢٦هـ): ومما سبق الشيخ حمد الجاسر بجمعه على مستوى الوطن العربي أيضاً، محاولته جمع شعر يزيد بن الطثرية وقد نشر مجموعته في مجلة «العرب» أولاً سنة ١٣٨٧هـ^(٤٣) ثم أعاد نشرها في كتابه «مع الشعراء»^(٤٤).

ويزيد كما هو معروف شاعر أموي غزل، يعد في الشعراء العذريين، ويقرن اسمه بصديقه وقريبه الصمّة القشيري. وكان له ديوان عند الأسلاف بروايات مختلفة، فمن جمع شعره أبو عمرو الشيباني، وعلي بن عبدالله بن سنان الطوسي، ويحيى بن المنجم، وأبو الفرج الأصبهاني ولم يصل إلينا من هذه الدواوين شيء^(٤٥).

قدّم الجاسر لهذا المجموع من الشعر مقدمة قصيرة، وعلى غير عادته لم يتطرق إلى ذكر الأماكن الواردة في الشعر وتحديدها. ولعله اكتفى بما ذكره منها عند تقديمه لمجموع شعر الصمة القشيري. وقد جمع الجاسر ٢٧٥ بيتاً من شعر يزيد في ٥٨ قصيدة ومقطعة وبيتاً مفرداً. غير أن من الممكن أن يسقط من هذه المجموعة ما يأتي:

١- الرواية الأخرى للبيتين اللذين قالهما يزيد في صديقه قطري بن بوزل وقد أورد الجاسر رواية الأغاني ورواية الهجري^(٤٦).

٢- أبيات العينية المنسوبة إلى الصمة القشيري وقد أورد منها ثلاثة أبيات^(٤٧).

٣- الأبيات التي أولها:

فلما قضينا من منى كل حاجة ومَسَّحَ بالأركان من هو ماسح
فقد أضافها إلى يزيد بن الطثرية معتمداً على قول ضعيف في مصدر متأخر
نسبياً هو «معاهد التنصيص» (١٣٤ / ٢) وهي من الشعر المتنازع.

أتيح لشعر يزيد بن الطثرية أن يظهر في نشرة ثانية أخرجها الباحث العراقي الأستاذ حاتم الضامن سنة ١٩٧٣ م (١٣٠٣ هـ) وقد نشر الدكتور نوري حمودي القيسي ملحوظات على هذه النشرة في مجلة «العرب»^(٤٨) انتقد فيها جنوح الضامن إلى الجانب التاريخي في دراسته، وعدم الاستفادة من شعر الشاعر من الدلالة على حياته، وتحدث عن ظاهرة اختلاط شعره، وهي ظاهرة بارزة تكاد تشكل ثلث قصائده. كما تناول طريقة المحقق في تخريج الأبيات وترتيب هذا التخريج وغير ذلك.

ثم أتيح لشعر يزيد بن الطثرية أن يخرج في نشرة أخرى سعودية تعد الثالثة في سلسلة مجموعات هذا الشعر بتحقيق الدكتور ناصر بن سعد الرشيد وذلك سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م وليس هذا مكان الحديث عنها.

٦- شعر محمد بن عبد الملك الفقعسي الأسدي (من رجال القرن الثاني الهجري): محمد بن عبد الملك الفقعسي الأسدي أحد الشعراء الفصحاء، والرواة الأعراب الذين كانوا يترددون على حضارة الخلافة في العصر العباسي، وقد عُرف أيضاً بالتأليف ونسب إليه كتاب «مآثر بني أسد وأشعارها» وهو كتاب لم يصل إلينا وذكر صاحب «الفهرست» أن له ديواناً يقع في مئة ورقة، ولكن ديوانه فقد كما فقد كثير من دواوين شعرائنا القدماء.

حاول الشيخ حمد الجاسر أن يكشف عن شخصية هذا الشاعر بالحديث عن قبيلته وموطنه وبيئته العلمية، وأن يجمع ما يمكن العثور عليه من شعره^(٤٩)، فوصل إلينا من شعره القليل - كما يرى الجاسر، وقد كونت المجموعة التي استطاع جمعها من شعره ٦٤ بيتاً من الشعر و ١١ شطراً من الرجز في ٩ مقطوعات، تناولت معظمها حينه إلى بلاده وبعض المدائح. وقد اقتصر الجاسر من مصادره على «معجم البلدان» (مواد: أحد، عرفة، صارة) و «معجم ما استعجم» للبكري (مادة: حمى فيد) و «جمهرة نسب قريش» للزبير بن بكار، و «بلاد العرب» للغدة الأصبهاني، و «الورقة» لابن الجراح و «الوافي بالوفيات» للصفدي، وفاته الرجوع إلى «أمالي القالي» في القطعة التي أوردها وأولها: (٥٠)

سقى الله حياً بين (صارة) و (الحمى) (حمى فيد) صوب المدجنات المواطر
فقد جاء فيها بيت أخلت به المقطوعة التي أوردها الشيخ حمد، وهو بيت يأتي بين البيتين الثالث والرابع في مجموعته ونصه:

حذاراً على القلب السذي لا يضره أحاذرٌ وشكّ البين أم لم يحاذر^(٥١)
لم يشذ الجاسر عن منهجه الذي اتخذه في جمع شعرهاؤلاء الشعراء، فقد

وضع لكل نص وإن كان بيتاً واحداً عنواناً، ولم يعن بضبط الألفاظ جميعها، ولم يستزد من مصادر التخريج.

٧- نونية الكميت الأسدي: ومن النصوص التي نشرها الشيخ حمد الجاسر لأول مرة عن أصل مخطوط نونية الكميت بن زيد الأسدي، التي نظمها للفخر بن نزار وذكر مناقبهم وتفضيلهم على بني قحطان، وقد اشتعل بسببها أوار العصبية والبغضاء بين العدنانيين والقحطانيين، ورد عليها الشعراء اليمانيون بقصائد عدة سميت بـ (الدوامغ).

نشر الجاسر القصيدة في «العرب»^(٥٢) عن مصورتين لمخطوطتين يمانيتين متقاربتين النسخ. فرغ من نسخ الأولى منهما سنة ٦٢٣ هـ، والأخرى سنة ٦٢٦ هـ وصورت الأولى بعثة جامعة القاهرة، والثانية صورها معهد المخطوطات العربية. والقصيدة برواية أبي رياش أحمد ابن أبي هاشم اليمامي (ت ٣٣٩ هـ) وهي طويلة وما وجد منها في المخطوط ٢٨٣ بيتاً.

ضبط الجاسر القصيدة بالشكل التام، ولم يقابل الأبيات على مصادر التراث الأدبي قائلاً: (ولم أجد نفسي بمراجعة كتب الأدب لمقابلة أبيات القصيدة، أو الاستزادة من أبيات لم ترد، لأن الدكتور داود سلوم الذي عني أشد عناية بجميع شعر الكميت ونشره، لم يترك زيادة لمستزيد.. لهذا اكتفيت بالإشارة في الهوامش إلى ما جمع من أبيات القصيدة، ورمزت لذلك بحرف (د)^(٥٣) والواقع أن الدكتور داود سلوم قد أورد ٨٧ بيتاً منها جمعها من المصادر اتضح للجاسر أن ثمانين بيتاً منها تتفق مع أبيات القصيدة.

وقد أعاد الدكتور داود سلوم مع زميله الدكتور نوري حمودي القيسي نشر عمل الجاسر بإذنه في كتابهما «شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي»^(٥٤).

٨- القصيدة المفحمة لمحمد بن الحسن الكلاعي: ونشر الجاسر بعد قصيدة الكميت من المخطوط اليماني نفسه المنسوخ سنة ٦٢٦ هـ قصيدة باسم «القصيدة

المفحمة» لمحمد بن الحسن الكلاعي يرد بها على الفضل بن تاروح الرومي، وهي قصيدة في الانتصار لقحطان، وتكاد تكون في معظم أجزاءها منظومة تاريخية مبنية على قصص القدماء وأساطيرهم، حول الأقوام والأمم، مع الفخر بالقحطانيين قبل الإسلام وبعده^(٥٥).

قام الجاسر بنشر القصيدة بلا تعليق، ولم يخل نشرها من بعض الأخطاء في الضبط، ولعل معظمها تطبيع كما اتبع فيها الأسلوب الإملائي الوارد في المخطوطات مثل فتا (فتى) و (بنا) بنى مما لا يتفق والإملاء السائد.

٩- أقوال ابنة الخُسّ الإيادية: وجمع الجاسر من التراث الأدبي القديم مجموعة من أقوال ابنة الخُسّ الإيادية تلك الشخصية الجاهلية الأسطورية التي تنسب إليها كثير من الأقوال المنظومة والمنثورة.

ففي بحث له في «العرب»^(٥٦) تحدث الجاسر عن الومضات الفكرية التي اصطبغت بها أقوال هذه الشخصية، وأورد شيئاً من الأشعار المنسوبة إليها، ثم جمع قدرًا صالحًا من الأقوال الثرية التي استقاها من مصادر التراث المختلفة، وأكثرها من كتب الأمثال. ولعل ذلك أول جمع لأقوال هذه الشخصية النسائية الجاهلية في العصر الحديث.

١٠- كتاب «أدب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها وأيامها»: هذا كتاب يجمع بين النصوص الشعرية والنثرية لحسين بن علي بن الحسن الوزير المغربي المتوفى سنة ٤١٨ هـ وهو من كتب الأمالي التي تخلط النصوص الأدبية بعدد من المعارف الأخرى في اللغة والنسب والتاريخ. وقد وصف الشيخ حمد الجاسر بأنه: (يُعدّ - إذا صح أن مؤلفه تمكن من إكماله وفق الخطة التي رسمها في مقدمته - من أوسع الكتب التي ألفت عن الشعر العربي من حيث الاختيار والجمع، وذكر تراجم مشاهير الشعراء من أخبار القبائل وأنسابها)^(٥٧).

والكتاب نسخة فريدة في (المكتبة العامة بمدينة بورصة) التركية وهو يحوي القسم الأول من الكتاب. ولم يذكر الناشر رقم المخطوط، وإن استوعب وصف النسخة مفصلاً.

لقد ضبط الجاسر ما رآه محتاجاً للضبط من الكلمات، ونبه على بعض الكلمات الغامضة. وترجم بعض الأعلام ومنهم بعض المشاهير، كعمر بن عبدالعزيز (ص ٧١) ولم يخرج الأبيات والأقوال على ما درج عليه علماء التحقيق المحدثون، ولعل ذلك داخل - في نظره - في إطار الإطالة التي يقول عنها: (ولم أر الإطالة في ذلك، ولم أستوعب، إذا الكتاب مؤلف للخاصة) مع أنه علق على كلمة المؤلف بشأن اختصاص الكتاب بالمتوسط في الأدب بقوله: (ولك أن تتصور منزلة المتوسط في الأدب في ذلك العصر، وتقرن تلك المنزلة بمنزلة (المتدكتر) في عصرنا، ولن تستقيم لك المقارنة)^(٥٨). قلت: وهذا أدعى أن يُبذل جهدٌ في إيضاح كثير من غوامض الكتاب، التي قد لا يدركها خاصة عصرنا، وإن اقتضى ذلك بعض الإطالة.*

١١- النصوص الشعرية في «التعليقات والنوادر» للهجري: كتاب «التعليقات والنوادر» لأبي علي هارون بن زكريا الهجري، من رجال القرنين الثالث والرابع الهجريين، كتاب موسوعي، يضم الأدب والأخبار واللغة والأنساب^(٥٩) غير أنه لم يصل إلينا منه سوى قطعتين إحداهما في (دار الكتب المصرية)، والأخرى في (مكتبة الجمعية الآسيوية في كلكتة بالهند) وتقع القطعتان في نحو ألف صفحة^(٦٠).

وعلاقة الجاسر بهذا الكتاب علاقة قديمة، فقد بدأ الانتفاع بالقطعة المصرية منه منذ وقت مبكر. فلدى نقده لنشرة عبدالسلام هارون لكتاب عرام بن الأصبغ السلمي «أسماء جبال تهامة» سنة ١٩٥٣م نجده يرجع فيما كتبه إلى الهجري في «التعليقات». وقد نشر نقده آنذاك في «مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق»^(٦١).

وقد عاد حمد الجاسر إلى «التعليقات والنوادر» بعد ذلك في مناسبات كثيرة، وخاصة فيما استدركه من معلومات جغرافية أو أنساب أو نصوص أدبية.

وأخيراً قام الشيخ حمد الجاسر بترتيب معارف الكتاب وضم بعضها إلى بعض، وصنف عمله في أربعة أقسام هي:

القسم الأول: وقد خصه للحديث عن المؤلف وعصره والكتاب، وطبعته العراقية، التي تتبعها بالنقد في أكثر من ٩٠٠ موضع.

القسم الثاني: الشعر والرجز. القسم الثالث: اللغة والمواضع.

القسم الرابع: النسب والفهارس المفصلة للكتاب.

ويهمنا من هذا المخطوط - في هذا المجال - القسم الثاني منه الخاص بالشعر والرجز. وقد بدأ بنشر هذا القسم في مجلة «العرب». في الجزئين الثالث والرابع من السنة الخامسة والعشرين سنة ١٤١٠ هـ. وبعد ذلك بستين أصدر ذلك القسم في مجلد خاص ضمن الأقسام الأربعة التي ذكرناها آنفاً.

مهّد الجاسر للشعر في «التعليقات» بتقسيم الشعراء حسب القبائل التي أوردها الهجري في قوائمه، وذلك بذكر اسم كل قبيلة مقسمة إلى فروعها المختلفة، ويندرج تحت اسم كل فرع الشعراء الذين ينتمون إلى هذه القبيلة، مقسمين حسب الحروف الهجائية. ثم بدأ بإيراد اسم كل شاعر منهم مع ذكر كل ما أورده له الهجري من شعر. وحسب إحصاء الجاسر، فإن هذا القسم يحوي نحو ٤٢٥ شاعراً كما يحوي نحو ٥٤١٥ بيتاً من الشعر.

على أن الجاسر قد أورد في هذا المجموع أسماء كل الشعراء الذين ذكرهم الهجري، ولو لم يورد لهم شعراً. كما أضاف إلى الشعراء أسماء آخرين، استقاها من مختصرات كتاب عبدالله بن علي اللخمي الرُّشَاطِي (ت ٥٤٢ هـ) المسمى «اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار» مثل مختصر الأشبيلي والبلبليسي والفساسي لما اتضح له اعتماد الرشاطي على كتاب «التعليقات والنوادر» للهجري^(٦٢) وقد أضاف إلى مواد الكتاب ما جاء في

هامش مخطوطة كتاب «معجم الشعراء» للمرزباني لأن الحافظ مغلطاي، كاتب النسخة، كان قد اطلع على كتاب الهجري.

فصل الجاسر بين الشعر والرجز، ثم فصل داخل كل قسم بين الشعر المنسوب وغير المنسوب. ونهج في نشرته هذه الضبط الكامل للنصوص، وترجم بعض الشعراء، وعرف ببعض الأماكن، وأورد بعض اختلافات النسخ وما يوجد في هوامش المخطوطات من زيادة.

وقد كتب الأستاذ محمد يحيى زين الدين مراجعة لهذا القسم صحح فيها بعض ما ورد في هذا القسم من أشعار الرجز خاصة، وأضاف بعض الأخطاء ذات الصلة بها في المصادر المختلفة. كما خرج بعض هذه الأبيات (٦٣).

١٢- استدراقات حمد الجاسر على النصوص الشعرية القديمة المنشورة: مما يسترعي الانتباه حقاً لدى الدارس لجهود الشيخ حمد الجاسر في مجال نشر التراث تلك اليقظة المستمرة التي ترافقه في مسيرته العلمية، التي تجعله يتابع دائماً ما قدم أو قرأ واستوعب، من نصوص التراث، سواء كانت هذه النصوص أدبية أم غيرها. فهي مختزنة في ذهنه وماثلة أمام عينيه، فما أن يقرأ شيئاً جديداً يضيفه أو يرى خبراً يفيد، حتى يسارع إلى تدوين ذلك في مجلة «العرب» أو غيرها من المنافذ التي ينشر فيها بحوثه، مسجلاً إضافته الجديدة.

وفيما يخص النصوص الشعرية تمثل الإضافات العلمية لديه في تلك الزيادات التي يستدرکها بين الحين والآخر مستقلة، أو من خلال نقده لبعث أعمال الباحثين الآخرين. وكثيراً ما تأتي هذه الزيادات من اطلاع الباحث على نصوص جديدة، وردت في مخطوطات لم تكتشف إلا مؤخراً، أو فات المحققين الانتباه إلى هذه النصوص في مظانها الميسورة.

وإليك عرضاً لأهم هذه المستدركات:

أ- استدرارك على ديوان الوأواء الدمشقي: في سنة ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م كتب الجاسر تعليقاً على نشرة سامي الدهان لديوان «الوأواء الدمشقي». ذكر فيه أنه اطلع على نسخة مخطوطة من «ديوان الوأواء» في مكتبة الأمير مساعد بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود في الرياض. وقد قابل نشرة الدهان على هذه المخطوطة فوجد في هذه المخطوطة السعودية خمسة أبيات ليست في المطبوعة. ثم وصف هذه النسخة السعودية وصفاً موجزاً وذكر أنها نسخت سنة ١٢٦٢هـ (٦٤).

ب- استدرارك على ديوان زيد الخيل الطائي: أصدر الدكتور نوري حمودي القيسي «ديوان زيد الخيل الطائي» سنة ١٩٦٨م فكتب الجاسر مراجعة له، تناولت نشأة الشاعر ونسبه ووالدته وأبناءه وبعض ما ورد عن حروب طيء وأيامهم. ثم استدرك على الشعر المجموع أبياتاً عددها اثنا عشر بيتاً استمدتها من مخطوطة «الدامغة» للهمداني، ومن «الكامل» لابن الأثير، ومن كتاب «الإيناس» للوزير المغربي، مخطوط المتحف البريطاني (٦٥).

ج- استدرارك على شعر ليبد بن ربيعة العامري: كان لاطلاع الشيخ حمد الجاسر على مخطوطة عمانية تضم مجموعة من الدواوين المخطوطة محفوظة في دار المخطوطات والوثائق في مسقط برقم ٣٣٢ / ١ ز، أثر في الاستدرارك على بعض الدواوين المطبوعة لبعض الشعراء، ومن هاؤلاء ليبد بن ربيعة العامري الذي حقق ديوانه الدكتور إحسان عباس. فقد وجد في المخطوطة مقطوعات من شعر ليبد لم ترد في ديوانه المطبوع تقارب سبعين بيتاً. أوردها في ١٣ قطعة وأتبعها بأبيات وردت في كتاب «شرح الدامغة» للهمداني يتعلق بخير أسر الشاعر في نجران. وعدتها ستة أبيات. وذكر أنها بحاجة إلى التثبت لكونها من الأشعار التي ترد في المؤلفات اليمنية ولا توجد في المصادر التي بأيدينا (٦٦).

د- استدرارك على شعر بشر بن أبي خازم الأسدي: وهذا استدرارك على «ديوان شعر بشر بن أبي خازم الأسدي» تحقيق الدكتور عزة حسن، مستمد في الأساس

من المخطوطة العمانية، التي أشرنا إليها آنفاً. وقد درس الجاسر هذه المخطوطة من حيث اشتمالها على عدد من الدواوين، منها «ديوان بشر بن أبي خازم». وسطرّ الفروق بينها وبين طبعة الدكتور عزة حسن، ولاحظ بعض الزيادات في النسخة المطبوعة، كما نشر ما لم يرد فيها من الشعر، وقد بلغ ٢٢ قصيدة ومقطوعة مع أخبارها. ومما نشره مقدمات لبعض القصائد الموجودة في الديوان. وذكر في آخر البحث أن الدكتور عزة حسن استدرك ذلك في طبعة ثانية معتمداً على مخطوطة أخرى شبيهة بالمخطوطة العمانية، وهي مخطوطة (باش أعيان) في بغداد، ولكن أضاف بأن هنالك قصائد أخرى وردت في المخطوطة التي اطلع عليها، ولم ترد في إضافة الدكتور عزة حسن. وانتهى إلى أن المخطوطة العمانية تحوي زيادات من شعر بشر تمثل نحو ٦٧ بيتاً (٦٧).

هـ- استدرك على كتاب «مجمع الذاكرة أو شعراء عباسيون منسيون» للدكتور إبراهيم النجار: في مراجعة لكتاب الدكتور إبراهيم النجار «مجمع الذاكرة، أو شعراء عباسيون منسيون» أبدى الشيخ حمد الجاسر عدة استدراقات على النصوص معتمداً في معظمها على كتاب «التعليقات والنوادر» للهجري. تتمثل فيما يأتي:

أ- استدرك على قصيدة الأحيمر السعدي الرائية الواردة في الجزء الثالث التي أولها:

لئن طال ليلى بالعراق لربما أتى لي ليلى بالشأم قصير
فقد أضاف الجاسر إليها ٦ أبيات فأتى المؤلف، وردت في «معجم البلدان» لياقوت.

ب- بائية ابن الدمينة التي ذكر المؤلف أنها كانت (غير متماسكة ولا مطردة في اتساق): تمنى الشيخ حمد الجاسر لو أن المؤلف اطلع على القصيدة في كتاب «التعليقات والنوادر» فهي تتكون فيه من ٩١ بيتاً.

ج- شعر ناهض بن ثومة الكلابي، أورد له النجار ٩٩ بيتاً في سبع مقطوعات، مع أن الهجري صاحب «التعليقات والنوادر» أورد له ١٣٣ بيتاً دون المكرر، ولم يرد منها في كتاب الدكتور النجار سوى سبعة أبيات، ويخلص الجاسر بهذا إلى أن ما تم العثور عليه من شعر ناهض يصل إلى ٢٣٢ بيتاً. ثم أورد الأبيات الزائدة على عمل الدكتور النجار ومنها قصيدة من ١٣٣ بيتاً لم يرد منها في كتاب النجار سوى ٥ أبيات، ثم ذكر جميع ما كتبه النجار عن ناهض والأشعار التي وردت في كتابه بتعليقاته وتخريجاته. وبذلك كوّن الجاسر مجموعاً لشعر ناهض بن ثومة الكلابي الذي وصل إلينا^(٦٨).

و- استدراك على شعر عبدالله بن العجلان النهدي: كان الدكتور نوري حمودي القيسي قد نشر بحثاً عن الشاعر عبدالله بن العجلان النهدي، ضمن ما عثر عليه من شعره في مجلة «العرب»^(٦٩) فاستدرك عليه الجاسر ما ورد في كتاب «التعليقات والنوادر» للهجري. سواء من مخطوطة الكتاب أو من كتاب «الواضح المبين في ذكر من استشهد من المحبين» للحافظ مغلطاي الذي نقل عن الهجري، مما لم يرد في هذا المجموع. وهو يمثل متفرقات من الأبيات تنتمي إلى قصيدة بائنة لعبدالله بن العجلان النهدي، وروايات لبعض ألفاظها. وبلغ عدد الأبيات الكاملة الواردة في التعليقات ٥ أبيات^(٧٠).

ز- استدراك على ديوان عدي بن الرقاع: استدرك الجاسر بعض الأبيات على ديوان عدي بن الرقاع العاملي الذي حققه الدكتور نوري حمودي القيسي والدكتور حاتم الضامن. وأضافا إليه بعض ما لم يرد في الديوان وكان مما استدركه الجاسر ما يأتي:

٣- أبيات وردت في كتاب «مختصر جمهرة النسب» لابن الكلبي مخطوطة مكتبة راغب باشا في استانبول.

٤- أبيات في كتاب «حدائق الآداب» للأبهري تحقيق الدكتور محمد

السديس، وهذه الأبيات الأربعة يرى الجاسر ارتباطها بالأبيات الواردة في ذيل الديوان ص ٥٩ - ٦٠.

٣- أبيات أخرى في «حدائق الآداب» للأبهري. ثم ذكر أن الدكتور الضامن قد اطلع على ما تقدم، وأوضح أنه بصدد إعادة طبع الديوان وإضافة أبيات عشر عليها أخيراً من شعر عدي أطلعه عليها فنشرها الجاسر في مجلته^(٧١).

ح- استدرارك على ديوان حميد بن ثور الهلالي: للدكتور رضوان محمد حسين النجار مستدرك على بعض دواوين شعراء العرب المطبوعة، نشره في «مجلة معهد المخطوطات العربية»^(٧٢). وقد جعل قسماً منه للاستدرارك على شعر حميد بن ثور الهلالي الذي نشره الشيخ عبدالعزيز الميمني سنة ١٣٧١هـ / ١٩٥١م، وكان عدد الأبيات التي فاتت هذه الطبعة عند الدكتور النجار ١٨ بيتاً. وقد استدرك الشيخ حمد الجاسر مجموعة من الأبيات، لم ترد في الديوان أو مجموعة النجار بلغت ١٨ بيتاً. استمدها من كتاب «التعليقات والنوادر» للهجري. ولاحظ الجاسر أن اسم هذا الشاعر ورد في «التعليقات» في عدة صور مثل حميد الجمال، وحميد الجمال بن رور (تصحيح ثور) الهلالي، وحميد بن ثور الأتبعي^(٧٣).

ط- استدرارك على ديوان الحطيئة: نشر ديوان الحطيئة في طبعات عدة، أولاً طبعة المستشرق (جولدزيهر) في أواخر القرن التاسع عشر، كما نشر ثانية في القسطنطينية سنة ١٣٠٨هـ (١٨٩٠م) ومرة ثالثة بمصر بعناية الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي سنة ١٩٠٥م. وفي سنة ١٩٥٨م أخرج نعمان محمد أمين طه نشرة للديوان اعتماداً على مخطوطة عاطف أفندي، ولكنه غير فيها وبدل وقدم وأخر ورتب القصائد ترتيباً مغايراً لسا توضع عليه المحققون^(٧٤). ثم أعاد نشر الديوان على الطريقة الصحيحة، وهي نشر المخطوط بصورته الأصلية وذلك سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م. والمخطوط الذي نشره برواية ابن السكيت (ت ٢٤٦هـ) وشرحه.

وقد كتب الشيخ حمد الجاسر بحثًا تحدث فيه عن ديوان الحطيئة مخطوطًا ومطبوعًا. وازن فيه بين المطبوع بتحقيق نعمان أمين طه، وشعر الحطيئة في مخطوطة يمنية اطلع عليها عند الأستاذ خير الدين الزركلي وآلت أخيراً إلى (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية).

في هذه الموازنة تطرق الجاسر إلى ما أخلت به المخطوطة من شعر الحطيئة وما أخلت به المطبوعة من شعره وأخباره مما هو موجود في المخطوطة اليمنية. مع دراسة مستفيضة لسرواة الشعر والخبر وشراح الديوان في المخطوطة والمطبوعة. واستدرك على المطبوعة ٢٤ بيتاً، إلى جانب بعض الأخبار التي ذكرت في النسخة المخطوطة، مما يلقي بعض الأضواء على حياة هذا الشاعر^(٧٤).

١٣ - من اسمه عمرو من الشعراء: من اسمه عمرو من الشعراء كتاب يترجم للعمريين في الشعر العربي حتى عصر مؤلفه وضعه محمد بن داود بن الجراح (٢٩٦هـ) وقد نشر سابقاً بتحقيق المستشرق (بروي) سنة ١٩٢٧م في فيينا وليبزيج.

وقد اطلع الجاسر على مخطوطة له في مكتبة فاتح في استانبول ضمن مجموع بخط يوسف بن لؤلؤ بن عبدالله، نسخة سنة ٦١٤هـ وهي مخطوطة فريدة لا ثانية لها. وقد بدأ الجاسر في نشر هذا الكتاب منذ المجلد الرابع من مجلة «العرب»^(٧٥). ولكنه ما لبث أن توقف عن ذلك بعد أن نشر من الكتاب خمس حلقات.. وعلل ذلك فيما بعد - بأن توقفه كان بسبب علمه أن أحد المستشرقين قد نشر الكتاب^(٧٦).

كتب الجاسر للكتاب مقدمة مستفيضة، تحدث فيها عن المؤلف وأسرته وحياته ومؤلفاته وشعره وطريقته في تأليف الكتاب، ومصادره ومن أخذ عنهم من مجلة العلماء والرواة.

لم يزد عمل الجاسر في هذه النشرة على إثبات الأصل كما هو، ولم يعتن فيها بالضبط كما هي عادته في بعض ما نشر من نصوص. أما التخريج فلا يكاد يذكر. ولم يخل النص من التطبيع.

وقد نشر الكتاب بعد ذلك الدكتور عبدالعزيز المانع سنة ١٤١٢هـ / ١٩٩١م معتمداً على المخطوطة نفسها. وليس هذا موضع الحديث عنه.

وبعد فإن أعمال الشيخ حمد الجاسر في نشر النصوص الشعرية المخطوطة وجمع بعضها من المصادر المختلفة، والاستدراك على ما صنعه هو أو الآخرون، يمثل جهداً ريادياً قد لا يعرفه الكثير من الباحثين، الذي عرفوا الجاسر مهتماً بالجانب الجغرافي والتاريخي في التراث. مع أن هذا الجانب الأدبي يمثل ملمحاً لا يقل أهمية في مسيرة الجاسر المعرفية والتأليفية.

خاتمة: إن الناظر في هذه المرحلة التي أسميناها (مرحلة الريادة) في نشر التراث الشعري وتحقيقه يجدها تتميز بسمات خاصة عن المرحلة التي تبعها.

١- وأول هذه السمات ذلك العشق الذي نجده يملك قلوب أولئك النفر الذين تصدوا لنشر التراث وتحقيقه. فالطرابزونى والعقيلي وحمد الجاسر، كل واحد منهم كان لديه من الحب لهذا التراث ما جعله يبذل الغالي والنفيس في سبيل إخراجه إلى الناس. معتمداً على مجهوده الفردي في الأغلب الأعم.

٢- والثاني أن مطبوعات هذه المرحلة قد لا تستكثر من النسخ الخطية، فإذا تهيأت نسخة راقية للناشر أخرجها إلى الناس. وهذا الحكم بالطبع لا يشمل كل ما نشر، وإن كان ذلك الأغلب الأعم.

٣- أن الشروح والتعليقات تتفاوت بتفاوت الناشرين والمصححين علمياً وتجربة. كما أنها لا تمثل حائلاً يقف دون إخراج الكتاب إذا ما تهيأت سبل إخراجه.

٤- أن تخريج الأشعار على المصادر المختلفة ليس هدفاً من أهداف النشر، ولا غاية يعمد إليها الناشر. وفي حالة الشيخ حمد الجاسر نجده يرى في كثير منها إطالة لا داعي لها.

٥- الفروق بين النسخ، أو بين النسخة المخطوطة وما ورد في مصادر التراث

الأخرى لا يؤكد عليه كثيراً. وفيما عدا بعض أعمال الشيخ حمد الجاسر فإننا لا نكاد نجد لها أثراً.

٦- ضبط النص لا يتخذ سبيلاً واحداً، فقد تحظى بعض النصوص بالضبط الكامل. وقد يكون الضبط جزئياً، فيكون الشكل لما يُشكل وحسب. وأحياناً تخلو النصوص من الضبط.

٧- الفهارس الفنية بأنواعها على أهميتها لا تكاد توجد في معظم كتب هذه المرحلة. وإذا وجدت فهي لا تتسق مع ما تواضع عليه المحققون المعاصرون من شروط.

٨- أن تخصص الباحثين واهتماماتهم الفكرية قد انعكست على النصوص التي حققوها، مخطوطة أو مجموعة فاستخدمت النصوص لإيضاح كثير من الموضوعات التي شُغل بها المحققون كالموضوعات التاريخية، لدى الأستاذ محمد العقيلي، والجغرافية لدى الشيخ حمد الجاسر. ولذلك لم تحظ الناحية الفنية في هذه النصوص بالمعالجة المتوقعة التي تكشف الإبداع أو تعالج قضاياها.

أحمد بن محمد الضبيب

الحواشي:

(*) مجلة «العرب» س ٢، ص ٣٤٢ و ١٠٥٢ و ١١٢٢ و س ٣، ص ٨٨٢.

(١) انظر في وصف هذه الطبعة، «ديوان ابن المقرب» تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو، نشر مكتبة التعاون بالأحساء سنة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م ص ١٢. وانظر وصفها وموازنة مع الطبعة الهندية سنة ١٣١٠هـ في: سمران العسران، «ابن المقرب حياته وشعره» ط ١، الرياض، مطابع الرياض سنة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨، ص ٢٩. وانظر حديثاً مفصلاً عن مخطوطات الديوان ومطبوعاته الخمس في: علي بن عبدالعزيز الخفيري «علي بن المقرب العيوني، حياته وشعره» بيروت، مؤسسة الرسالة سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ص ١٠١ وما بعدها. وأحمد موسى الخطيب، «شعر علي بن المقرب العيوني»، دراسة فنية، الرياض، دار المريخ سنة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٨٧ وما بعدها.

(٢) تضم طبعة المكتب الإسلامي للديوان ١٣٨١هـ / ٩٧ قصيدة عدد آياتها ٥٣٢٩ بيتاً. أما طبعة عبدالفتاح الحلو سنة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م فقد ضمت ٩٨ قصيدة عدد آياتها ٥٢٦٢ بيتاً. وقد توصل الدكتور أحمد

- موسى الخطيب باتبه مخطوطات ديوان ابن المقرب إلى عدد يبلغ ٥٤٢١ بيتاً من شعره. انظر كتابه: «شعر علي بن المقرب العيوني، دراسة فنية» المشار إليه في الهامش السابق.
- (٣) حسين عبدالله باسلامة، «الجوهر اللماح بما ثبت بالسماع من حكم الإمام الشافعي المنظومة والمنثورة، الثابتة بالأسانيد الماثورة»، القاهرة، مطر كردستان العلمية سنة ١٣٢٦هـ، ص ٦٥ و ٦٦.
- (٤) انظر «ديوان قيس بن الخطيم»، تحقيق د. ناصر الدين الأسد، ط ١، القاهرة، مكتبة دار العروبة، ص ٧٤.
- (٥) ابن خلكان، «وفيات الأعيان»، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت، دار صادر، سنة ١٩٧٢م، ٤٠٣/٢.
- (٦) أبو العلاء المعري، «عبث الوليد، شرح ديوان البحري»، علق عليه محمد عبدالله المدني، نشره أسعد طرابزونى الحسيني، مطبعة مصورة، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، بلا تاريخ.
- (٧) نفسه، ص ١٠.
- (٨) نفسه، ص ١٧.
- (٩) لم نطلع على هذه الطبعة، واعتمدنا في تاريخ الطبع على عبدالفتاح الحلوى، شعراء هجر، الرياض، دار العلوم، سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص ٩٩.
- (١٠) انظر بعض الفروق بين طبعات الديوان في الهامش رقم (٢) أعلاه.
- (١١) «ديوان الشاعر القاسم بن علي بن هتميل، دراسة وتحليل»، ط ١، القاهرة، دار الكتاب العربي بمصر سنة ١٣٨١هـ / ١٩٦١م، ص ٥.
- (١٢) نفسه، ص ٤.
- (١٣) محمد بن أحمد العقيلي، «مختارات من ديوان الشاعر القاسم بن علي بن هتميل»، دراسة وتحليل وتحقيق، ط ٢، جازان، مطابع جازان، سنة ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م، ص ٣٩. هامش رقم (١).
- (١٤) نفسه، ص ١٤٦، الهامش رقم (٢).
- (١٥) محمد بن أحمد العقيلي، «الجراح بن شاجر الذروي، شاعر المخلاف السليماني»، الطبعة الأولى، مط. الرياض سنة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م، ص ٢٩.
- (١٦) حجاب بن يحيى الحازمي، «القاسم بن علي هتميل الضمدي»، ط ١، مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي الأدبي، مطابع الصفا سنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٨٦.
- (١٧) زيد الحسين، «دليل الرسائل الجامعية»، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، رقم ٤٠٢٩.
- (١٨) «العرب» مج ١، سنة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م، ص ٣٧، ١٥٧، ٦٤٨، ١١٥٤.
- (١٩) نفسه، ص ١٧ - ٣٦.
- (٢٠) حمد الجاسر، «مع الشعراء، مختارات ومطالعات»، منشورات النادي الأدبي في بريدة، الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ص ١٧ - ٦٤.

(٢١) - نفسه، ص ٣٧.

(٢٢) نوري حمودي القيسي، عبدالله بن همام السلولي، حياته وما تبقى من شعره، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٣٧ ج ٤ ربيع الأول سنة ١٤٠٧هـ/ كانون الأول ١٩٨٦م، ص ١٨٣ وما بعدها.
(٢٣) نفسه.

(٢٤) «العرب»، مج ٢٣، ج ٣ و ٤ (رمضان وشوال سنة ١٤٠٨هـ) ص ص ١٥٠ - ١٨٢.

(٢٥) «العرب»، المجلد نفسه، ص ١٥١. (٢٦) «العرب» مج ٢٥/ ١٣٦.

(٢٧) «العرب»، مج ٢، ج ٢ شعبان ١٣٨٧هـ/ تشرين الثاني ١٩٦٧م، ص ص ١٢٧ - ١٧٥. وحمد الجاسر، مع «الشعراء» ص ص ٦٥ - ١١٣.

(٢٨) حمد الجاسر، «مع الشعراء»، ص ١٩٨.

(*) انظر الحديث عن الشاعر في «العرب» ص ٢ ص ١٢٧.

(٢٩) حمد الجاسر، جحدر العكلي، خبره وشعره «العرب»، مج ١١، ج ١ و ٢ رجب - شعبان سنة ١٣٩٦هـ/ يوليو - أغسطس سنة ١٩٧٦م، ص ص ٧٣ - ٩٥.

(٣٠) حمد الجاسر، «مع الشعراء»، ص ص ١١٥ - ١٣٧.

(٣١) نفسه، ص ١١٧. (٣٢) نفسه، ص ١٣٠.

(٣٣) نفسه، الصفحة نفسها.

(٣٤) نوري حمودي القيسي، «شعراء أمويون»، القسم الأول، الموصل، مطابع دار الكتب للطباعة والنشر بجامعة الموصل، سنة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م ص ص ١٥٩ - ١٩٢.

(٣٥) انظر، د. شاكر الفحام، (المجموع من شعر الفحيف العقيلي) مجلة «مجمع اللغة العربية» بدمشق، مج ٦٢ سنة ١٩٨٧م، ص ٦١٧.

(٣٦) «العرب»، مج ١ ج ٥، ذو القعدة سنة ١٣٨٦هـ/ شباط ١٩٦٧م، ص ص ٤٠٦ - ٤١٧، و ج ٦ (آذار سنة ١٩٦٧) ص ص ٥٥١ - ٥٥٧، و ج ١٢ ص ١١٥٥. ثم نشره في كتابه «مع الشعراء» ص ص ١٧٣ - ١٨٧.

(٣٧) حمد الجاسر، «مع الشعراء»، ص ١٧٤.

(٣٨) شاكر الفحام، (المجموع من شعر الفحيف العقيلي)، مرجع سابق، ص ٦٢٢.

(٣٩) مجلة «المجمع العلمي العراقي»، مج ٣٧، ج ٣، ص ص ٢٢٢ - ٢٥٣.

(٤٠) انظر «العرب»، مج ٢٣/ ٦٠٨ - ٦٠٩.

(٤١) «العرب»، مج ٢٣، ج ٩ و ١٠، الربيعان ١٤٠٩/ تشرين الثاني وكانون الأول ١٩٨٨، ص ص ٦٠٢ - ٦١٩.

(٤٢) نفسه، ص ٦٠٢.

(٤٣) «العرب»، مج ١، ع ٩، ربيع الأول سنة ١٣٨٧هـ/ حزيران ١٩٦٧، ص ص ٧٩٦ - ٨٥٣.

(٤٤) حمد الجاسر، «مع الشعراء»، ص ص ١٣٩ - ١٧٢.

(٤٥) انظر: على محاسنة، (نظرات في شعر يزيد بن الطثيرة) مجلة «أبحاث اليرموك» (سلسلة الآداب

واللغويات) مج ١١ ع ١ سنة ١٩٦٣ ص ص ١٨٧ و ١٨٨.

(٤٦) حمد الجاسر، «مع الشعراء»، ص ١٥٧.

(٤٧) نفسه، ص ٢٦٢ - ١٦٣.

(٤٨) «العرب»، مج ٨ ج ٧ و ٨ محرم وصفر سنة ١٣٩٤هـ/ فبراير - مارس ١٩٧٤ م ص ص ٥٧٠ - ٥٧٥.

(٤٩) «العرب»، مج ١ ع ١١، جمادى الأولى سنة ١٣٨٧هـ/ آب ١٩٦٧ م ص ص ٩٩٩ - ١٠٠٧ ثم إعادة

نشره في كتابه «مع الشعراء»، ص ص ٢٢٢١ - ٢٢٩.

(٥٠) «مع الشعراء»، ص ٢٢٧.

(٥١) علي بن إسماعيل القالي، كتاب «الأمالي»، القاهرة، مط. السعادة، سنة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣ م، ١/ ١٨١.

(٥٢) «العرب»، مج ١٣، ج ٩ و ١٠، الربيعان ١٣٩٩هـ/ مارس - إبريل ١٩٧٩ م ص ص ٦٨٧ - ٧٧٠.

(٥٣) «العرب»، المرجع نفسه، ص ٧٠٣.

(٥٤) داود سلوم ونوري حمودي القيسي، «شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي»، بتفسير أبي رياش أحمد

ابن إبراهيم القيسي، بيروت، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤ م، ص ص ٢٣٧ - ٣١٥.

(٥٥) «العرب»، مج ١٣/ ٢٧٨ - ٣٠٣.

(٥٦) «العرب»، مج ١، ج ٩، ربيع الأول ١٣٨٧هـ/ حزيران سنة ١٩٦٧ م، ص ص ٧٩٤ - ٨٠٨.

(٥٧) الحسين بن علي المغربي، «أدب الخواص»، أعده للنشر حمد الجاسر، الرياض، منشورات النادي

الأدبي بالرياض بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠ م، ص ٩.

(٥٨) نفسه، ص ٤٦.

(٥٩) انظر عرضاً ملخصاً للكتاب في: حمد الجاسر، «التعليقات والنوادر»، القسم الأول، ط ١، الرياض،

١٤١٣هـ/ ١٩٩٢ م، ص ١٥٩ وما بعدها.

(٦٠) انظر وصف القطعتين؛ المرجع السابق، ص ٢٢٩ وما بعدها.

(٦١) «مجلة المجمع العلمي العربي» بدمشق، مج ٢٨، ج ٤، المحرم سنة ١٣٧٣هـ/ تشرين الأول سنة

١٩٥٣ م، ص ٥٩٥.

(٦٢) - حمد الجاسر، «التعليقات والنوادر»، القسم الرابع، ص ٥١١.

- (٦٣) محمد يحيى زين الدين (التعليقات والنوار، زيادة في بعض الأراجيز) «العرب» مج ٣١، ج ١ و ٢، رجب - شعبان سنة ١٤١٦هـ / ديسمبر - يناير سنة ١٩٩٦م ص ص ٨٤ - ١٠١.
- (٦٤) «مجلة المجمع العلمي العربي» بدمشق، مج ٢٦، ج ٢، سنة ١٣٧٠هـ / نيسان ١٩٥١م، ص ص ٣١٤ - ٤١٥.
- (٦٥) «العرب»، مج ٩، ج ٧ و ٨، محرم وصفر سنة ١٣٩٥هـ / فبراير - مارس ١٩٧٥م، ص ص ٦٠٧ - ٦١٢.
- (٦٦) حمد الجاسر، (من شعر لبيد بن ربيعة العامري عن مخطوطة عمانية كانت مجهولة) «العرب»، مج ٢٣، ج ٥ و ٦، ذوا القعدة والحجة سنة ١٤٠٨هـ / يوليو - أغسطس سنة ١٩٨٨م، ص ص ٣٦٠ وما بعدها.
- (٦٧) حمد الجاسر (شعر بشر بن أبي خازم الأسدي في مخطوطة عمانية كانت مجهولة)، «العرب»، مج ٢٣، ج ٧ و ٨، محرم وصفر سنة ١٤٠٩هـ / ايلول - تشرين أول ١٩٨٨م، ص ص ٤٤٢ - ٤٨٠.
- (٦٨) حمد الجاسر، (شعر ناهض بن ثومة الكلابي)، «العرب»، مج ٢٥، ج ١ و ٢، رجب - شعبان سنة ١٤١٠هـ / فبراير - مارس ١٩٩٠م، ص ص ١ - ٢٤.
- (٦٩) نوري حمودي القيسي، (عبدالله بن العجلان النهدي، حياته وما تبقي من شعره)، «العرب»، مج ٢٤، رجب - شعبان سنة ١٤٠٩هـ / فبراير - مارس ١٩٨٩م، ص ص ١ - ٢٤.
- (٧٠) حمد الجاسر، (عبدالله بن العجلان النهدي)، «العرب»، مج ٢٥، ج ٥ و ٦، ذوا القعدة والحجة سنة ١٤١٠هـ / يونيو - يوليو سنة ١٩٩٠م، ص ص ٤١٢.
- (٧١) «العرب»، مج ٢٥، ج ٢، رجب وشعبان سنة ١٤١٠هـ / فبراير - مارس ١٩٩٠م، ص ص ١٣٢ - ١٣٥.
- (٧٢) رضوان محمد حسين النجار، (المستدرک علی دواوين شعراء العرب المطبوعة)، القسم الثاني، «مجلة معهد المخطوطات العربية» بالكويت، مج ٣٠، ج ٢، ذوا القعدة ٤٠٦ ربيع الآخر ١٤٠٧هـ / يوليو - ديسمبر سنة ١٩٨٦م، ص ص ٦٨٧ - ٧٢٤.
- (٧٣) حمد الجاسر، (حميد بن ثور الهلالي، نظرة في نسبه وشعره)، «العرب»، مج ٢٥، ج ٧ و ٨، محرم وصفر سنة ١٤١١هـ / أغسطس - سبتمبر سنة ١٩٩٠م، ص ص ٥٥٥ - ٥٦١.
- (٧٤) «ديوان الحظيئة»، تحقيق نعمان أمين طه، ط ١ القاهرة، مط. المدني، سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ٣.
- (٧٥) حمد الجاسر، (شعر حظيئة، مطبوعاً ومخطوطاً) «العرب»، مج ٢٣، ج ٦ و ٧، ذوا القعدة والحجة سنة ١٤٠٨هـ / يوليو - أغسطس سنة ١٩٨٨م، ص ص ٢٨٩ - ٣٢٦.
- (٧٦) «العرب»، مج ٤، ج ٣، رمضان ١٣٨٩هـ / ديسمبر ١٩٦٩م، ص ص ١٩٣ - ٢٠٩. ومج ٤ ج ٤ شوال سنة ١٣٨٩هـ / يناير ١٩٧٠م، ص ص ٣٣٥ - ٣٣٨. ومج ٤ ج ٥، ذوا القعدة سنة ١٣٨٩هـ / فبراير سنة ١٩٧٠م، ص ص ٤٢٥ - ٤٢٦. ومج ٤ ج ٦، ذوا القعدة سنة ١٣٨٩هـ / مارس سنة ١٩٧٠م، ص ص ٦٣٦ - ٦٤٦. ومج ٤ ج ٨، صفر سنة ١٣٩٠هـ / مايو سنة ١٩٧٠م.
- (٧٧) «العرب»، مج ٢٧، ج ٣ و ٤، رمضان - شوال سنة ١٤١٢هـ / مارس - ابريل سنة ١٩٩٢م، ص ص ٢٧٨.

مع المرزوقي في «مصنفاته»^(١)

قبل أن أبدأ الكلام على المصنفات أبسط ما دعاني إلى درسي هذا فأقول: كان لي معرفة بوجود مخطوط صغير في (خزانة المتحف العراقي) وسم بـ «كتاب ألفاظ الشمول والعموم» للمرزوقي، وهو مما نقل من كتب (خزانة الأب أنستاس ماري الكرمللي). قلت: إن المخطوطة صغيرة، ولكنها دُعيتُ كتاباً. كما جرى غير واحد من المصنفين الأقدمين، فسمّوا رسائلهم الموجزة أو أبواب تصانيفهم (كتباً). وقد عرفنا شيئاً من هذا في كتب وصلت إلينا.

وقد انتسخت لنفسي هذه المخطوطة وحملتها معي في رحلتي إلى (باريس) في أواخر سنة (١٩٤٨م)، وقد نظرت فيها، وعلّقت عليها، فرأيت بعد سنين أن أضمتها إلى مجموع وسمته بـ «رسائل في اللغة»، وأنا في هذه التسمية قد عدلت عن وسمها (كتاباً)^(٢)، وقد أشار إلى هذا الدكتور علي جواد الطاهر - رحمه الله - في (تمهيده)، ص ٢١ من كتابه «المرزوقي شارح الحماسة ناقداً»، وسأعود إلى هذا عند الكلام على الكتاب.

وأعود بعد هذه الأسطر إلى «أمالى المرزوقي» فأقول: لم أكن أعرف عن هذا الكتاب حين نشرت «ألفاظ الشمول والعموم» سنة (١٩٦٤م)، إلا ما ورد في ترجمته من أن له كتاباً هو «أماليه»، حتى إذا نشره الأستاذ يحيى الجبوري وجدت فيه رسالتي التي حملتها معي قبل ربع قرن إلى باريس، لقد وجدتها فصلاً من هذه «الأمالى» بتمامها وكمالها، وهذا يعني أن ذهاب الدكتور علي جواد الطاهر إلى أن «ألفاظ الشمول والعموم» ناقصة الآخر محض ظنٌ.

لقد توفر للأستاذ يحيى الجبوري أصول «أمالى المرزوقي» المخطوطة، فشرع في عمله، فأحسن صنعته. أقول: والمرزوقي في «أماليه» هذه صاحب (أدب).

وقد يكون لي أن أف على كلمة (أدب) لأقول: إنها من الكلم التي ذهب فيها

الأقدمون إلى فوائد كثيرة، تتجاوز الذي لنا نحن أهل هذا العصر، فهي تفيد ما هو نحو وصرف واشتقاق، وما نتوسع فيه قليلاً، فنضيف إليه اللغة، ونتجاوزه قليلاً فندرج فيه ما هو صنعة معجمية، وعلى هذا لم يكن الشعر والنثر وما يتصل بهما مما هو (بيان وبديع) وسائر مواد البلاغة، وما يكون فيها من نظرات في (النقد)، بعيداً عن الفوائد الأخرى التي بسطتها.

إن المرزوقي (أديب) وهو صاحب أدب في هذا المعنى الواسع، الذي ما أراني قد استوعبته وأنا لا أذكر القرآن والحديث، وما يكون مما هو من ملاك العلم فيهما، ولن تعدم أن تجد في هذا ما يكون من التاريخ، ألا ترى أن «الكامل» للمبرد هو (كامل)، بما أراد له صاحبه الذي لم يبتعد عن تاريخ الخوارج وشعرائهم ورجالهم.

وأعود إلى المرزوقي وأنا أجيلُ النظر في «الأزمة والأمكنة» فأجد فيه من الفوائد التاريخية مما أشارت (أوابد) العربية، وقد يكون لي في هذه (الأوابد)، أن أفق على فوائد أجدها في كتب (الأنواء).

لقد كان من مواد «الأمالي» هذه: باب المعتل الفاء المضمومة، وباب المعتل العين، وباب ما اعتل لامه، وباب ما اعتل فاؤه ولامه، وباب التضعيف وباب المهموز.

وتجاوز هذا الذي قد يكون من النحو، وقد يكون من اللغة إلى شيء آخر هو من الصنعة المعجمية، مما يتصل بـ (البارحة)، ودلالاتها واستعمالها.

ومن هذه الصنعة المعجمية قول القائل: كل هاؤلاء أصحابك، وكلُّ أصحابك هاؤلاء. ومن هذه: (الإمرُّ) واستعمالها ودلالاتها، وما (الأسطوانة والأقحوانة)، وبناء (مفعولاء).

وقد يكون من «أماليه»، ما يتصل بـ (لغة التنزيل) فقد وقف على قوله تعالى:

﴿حتى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾.

ومن هذا ما كان له في قوله تعالى: ﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً﴾، وقوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين﴾، وقوله تعالى: ﴿قد أنزل الله إليكم ذكراً رسولاً﴾، وقوله: ﴿وما يُشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾، وقوله تعالى: ﴿وكُلَّ إنسانٍ أَلَمَناهُ طائِرُهُ في عَنقِهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وإذا أَرَدنا أن نُهْلِكَ قَرْيَةً﴾.

وقد يكون من هذه الصنعة في «أمالیه» في (مسألة من الأثر): «طول الصلاة وقصر الخطبة مثنة من فقه الرجل».

ومن هذا: حديث أم زرع.

ومن هذه «الأمالی المرزوقية» مسائل نحوية منها: مسألة: سأل بعضهم عن قول القائل: (أحمل المال أولَ أولٍ) وإعرابه.

ومنها: قال سيبويه: ليس في الكلام فعلٌ وصفاً إلا في حرف من المعتل.

ومسألة في إعراب: شرط فعل التعجب أن يكون في الثلاثي لا غير...

ومسألة في إعراب: خلق الله الزرافة يديها أطول من رجليها....

ومسألة إعراب: من أين جاز أن يقال: عاماً أولٌ ولم يجز شهراً أولٌ.

ومسألة إعراب: في ليلة من جمادى ذات أندية....

أقول: ومن هذا بيت وإعرابه:

أَمِنْ رَسْمِ دَارِ مَرَبِّعٍ وَمَصِيفٍ لِعَيْنَيْكَ مِنْ مَاءِ الشُّؤُونِ وَكَيْفُ

وفي هذه «الأمالی» الطريقة شيء من (الغريب والنوادر وأمثال)، وفوائد أخرى.

أقول: وكان هذه «الأمالی» تؤلف كتاباً برأسه، فهل يكون لنا أن نعدَّ

(اختياراته) الشعرية كتاباً آخر؟

قد يكون هذا، وذلك أن الذي وقف من الأوائل على هذه «الأمالي» اللغوية قد ألحق بها (الاختيارات).

وأما (الاختيارات) فقد قال فيها المحقق الدكتور يحيى: (وقد حفظ في جملة مختاراته الشعرية أشعاراً لم تحوها الدواوين والكتب، وهي من باب النادر والنفيس، وقد حفظ كذلك أبياتاً من قصائد أخذتُ بها الدواوين المصنوعة أو المجموعة، وكذلك روايات للأشعار انفرد بها، وتفسيرات للمشاكل من الأبيات تنبّه إليها، وانفرد بتوجيهها، ومن الأشعار التي انفرد بها أو أضافها إلى الروايات السابقة:

١- قصيدة محمد بن مسلمة لم تذكرها كتب الأدب والمجموعات الشعرية.

٢- قطعة لعبدالقادر ردّ فيها على قصيدة محمد بن مسلمة.

٣- قصيدة لجميل بثينة لم يرد منها في ديوانه غير بيتين.

٤- أبيات من قصائد مشهورة ينفرد بها، وليست في الدواوين أو المجموعات

الشعرية.

أقول: وقد كان مع (إضافاته)، تصحيحات لما اشتهر من قراءات، ومنه شيء في شعر سُحَيْمِ عبد بن الحسحاس وغير هذا.

وأختم هذا الموجز فأقف على مصطلح «الأمالي» فأقول: قد يكون أصل «الأمالي» ما أملاه الشيخ على جماعته الذين أخذوا عنه، وكان الكلمة جمع المصدر (إملاء) ولا أراها جَمْعَ (أملية)، ذلك أني لا أجد هذا المفرد في مصطلحهم القديم، وكان الذي ذهب إلى هذا حملها على نظائرها كقولك في أمنية وأضحية: أمانى وأصاحي، وإني لأميل إلى أن بعض ما كان من «الأمالي» ليس إلا شيئاً مجموعاً، وكأنني أرى هذا المجموع من علم المرزوقي في اللغة والنحو والأدب وغير ذلك، ثم الاختيارات الشعرية الذي وُسم بـ «أمالي المرزوقي» مما جمعه، وضم أجزاءه بعضها إلى بعض.

ولي بعد هذا أن أخلص إلى الكتاب الثاني وهو «المرزوقي شارح الحماسة ناقدًا» فأقول: لقد عرفت كما عرف أخي علي جواد الطاهر «شرح الحماسة» للتبريزي، وأفدتُ منه، كما أفاد غيري، حتى إذا كان للأستاذين أحمد أمين وعبد السلام هارون نشر هذا «الشرح للحماسة» للمرزوقي سنة ١٩٥٣ أدركت فوائد جديدة.

وقد يكون من المفيد للقارئ وأنا أبسط مالمديّ من كتاب أخي الطاهر «المرزوقي شارح الحماسة ناقدًا» أن أعرض لشيء مما أثبتته الأستاذ أحمد أمين. قال: (قرأت أوّل عهدي بالأدب «شرح ديوان الحماسة» هذا للتبريزي، فلم يعجبني، لأنّ التبريزي لغويّ أكثر منه أديبًا وناقدًا، فكنت أقرأ الشرح أحيانًا، وأنا متعطش جدًّا لأفهم معنى بيت فلا أجده، لأنّ الشارح انصرف إلى شيء آخر، ثم عثرت على نتف للمرزوقي فرأيتها تسدّ هذا النقص، ثم قرأت شرحه على مشكلات أبي تمام، فرأيته إمامًا عظيمًا لا يتهرب من المشاكل، ولكن يتصدّى لها، فوددت أن لو عُثِرَ على شرحه لديوان الحماسة ونُشر، لأنه يكمل نقص التبريزي، فلما عُثِرَ عليه، وجدته فوق ما أتوقع، ووجدت له مقدمة في النقد لم أر مثلها في اللغة العربية، فكم كنا نقرأ في كتب الأقدمين عن (عمود الشعر) ولا نفهم معناها، حتى شرحها المرزوقي شرحًا دقيقًا وافيًا، وكم له من حسنات أخرى غير هذه، فأخراجه للقراء يسدّ ثلماً ويكمل نقصًا.

وقد اشتركت في إخراجه مع الأستاذ المحقق عبد السلام هارون، والحق يقال إنه كان له حظٌّ في نشره أكبر من حظي، فله الشكر على ما بذل من جهد في إخراج الكتاب، وفي نسبة ما ورد في الشرح إلى قائله، والتعريف بأعلام الشعراء وغيرهم، وتصحيح ما حصل فيه من خطأ الناسخ، ووضع فهارسه الفنية، فالله يجزيه عنا وعن الأدب خير الجزاء).

أقول: وقد أثبت الأستاذ علي جواد الطاهر مشاركة أحمد أمين هذه في تحقيق الكتاب، وإقراره بما كان من حظّ الأستاذ هارون فيه، وأنه أربى كثيراً على ما كان منه، فاستحق الشكر لما قام به وأنجزه.

وإذا كان هذا هو ما أثبته أحمد أمين وإقراره بما كان منه، وما كان من الأستاذ هارون أفلا يكون هذا مانعاً ألا يذهب أخي - رحمه الله - في النيل من أحمد أمين تلميحاً وتصريحاً فيقول في «تمهيده» ص ١٨: (صدر الشرح من لجنة التأليف والترجمة والنشر)، التي يرأسها أحمد أمين، وعن مطبعتها عام ١٣٧١هـ / ١٩٥١م - ١٣٧٢ / ١٩٥٣ بأربعة أجزاء كتب على غلافها (نشره أحمد أمين [و] عبدالسلام هارون...) ومعروف جيداً أن الفعل الحقيقي في التحقيق الجاد المثمر الدقيق يرجع إلى عبدالسلام هارون، الذي ورد اسمه ثانياً، ولم تأت المعرفة استنتاجاً لما يعلمه الناس من بعد أحمد أمين عن عالم التحقيق، واستغلاله منصب الرئاسة في اللجنة، وإنما اقترب الاستنتاج الصحيح بمقدمة قصيرة لأحمد أمين قال فيها: (وقد اشتركت في إخراجه مع الأستاذ المحقق عبدالسلام محمد هارون....).

أقول: وقد مرّ قبل أسطر كلام أحمد أمين الذي نوّه فيه بفضل الأستاذ هارون، غير أنني أقول أيضاً: ألم يشفع هذا الأدب لأحمد أمين فنكف أقلامنا ونكبحها فلا ننال من أهل الفضل، ثم كيف لنا أن ننكر معرفة أحمد أمين في التحقيق، وهو المؤرخ الذي عرض للخبر التاريخي الإسلامي القديم في تصانيفه الإسلامية، وهي تؤلف موسوعة؟ ألم يحقق «الإمتاع والمؤانسة» مع الأستاذ هارون؟ وإني لواثق أن جهده في هذا الكتاب يعدل جهد الأستاذ هارون إن لم يتجاوزه، ذلك أن مادة «الإمتاع والمؤانسة» أدبية تاريخية، وهي من خاص ما يملكه أحمد أمين. ثم إن الأستاذ أحمد أمين أستاذ في النقد الأدبي في (كلية الآداب) من (جامعة فؤاد الأول) القديمة، وقد يكون بين الأحياء في عصرنا من أخذوا هذه المادة في

تلك الكلية، وله في هذه المادة (كتاب)، مطبوع، ولهذا ليس لقائل أن يقول ما قاله أخي الأستاذ الطاهر - رحمه الله - : إنه بعيد عن التحقيق، وأهل العلم من المصريين وغيرهم يعرفون هذا.

وليس لنا أن نقبل كلمة (الاستغلال) بأيحاءاتها الحديثة، ونبذ بها الأستاذ أحمد أمين - رحمه الله - .

وكان أخي الأستاذ الطاهر - رحمه الله - قد ذكر في (مقدمته) ص ٧: (صدر [أي الكتاب] بأربعة أقسام (أجزاء) مع تصدير أحمد أمين بصفتين ونصف، وتقديم عبدالسلام محمد هارون بتسع عشرة صفحة.....).

أقول: وقد أشاد الدكتور علي جواد الطاهر - رحمه الله - بجهد الأستاذ عبدالسلام هارون في (مقدمته) و (تمهيده)، كما أشاد بما صنعه أهل الجدّ في نشر ما يتصل بالمرزوقي، وما كان منهم ولا سيما العراقيين، في نشر ما يتصل بأبي تمام من أخباره وأشعاره، وما كان للمرزوقي من نصيب غير «شرحه للحماسة»، وحق هاؤلاء جميعاً على أهل العلم الوفاء لهم ولما كان منهم.

ولي أن أعود إلى (مقدمة) الأستاذ عبدالسلام هارون وما أثبتته فيها من قيمة المرزوقي، وما كان من صنعة أبي تمام الشاعر العالم في «حماسته».

لقد أثبت الأستاذ هارون قول التبريزي في أبي تمام في «شرحه» فقال: أبو تمام قصد عبدالله بن طاهر بخراسان فمدحه وأثابه، وعاد من خراسان يريد العراق، فلما دخل العراق اغتنمه أبو الوفاء بن سلمة، فأنزله وأكرمه، فأصبح ذات يوم وقد وقع ثلج عظيم قطع الطريق، ومنع السابلة فغمّ أبا تمام ذلك، وأخرج صدره... على حين سرّاً ذلك مضيفه أبا الوفاء، فأقبل على أبي تمام وقال له: وَطَّنْ نَفْسَكَ عَلَى هَذَا الْمَقَامِ، فَإِنَّ هَذَا الثَّلْجَ لَا يَنْحَسِرُ إِلَّا بَعْدَ زَمَانٍ، وَأَحْضِرْهُ خَزَانَةَ كِتَابِهِ فَطَالِعْهَا وَاشْتَغَلْ بِهَا، وَصَنَّفْ خَمْسَةَ كُتُبٍ فِي الشَّعْرِ مِنْهَا: «كتاب

الحماسة»، و «الوحشيات» [ودُعيت الحماسة الصغرى] وهي قصائد طوال.

وقال التبريزي أيضاً: إن أبا تمام ألف حماسته في هَمَذان، وحمله عنه رجل إلى أصبهان^(٣)، فأقبلَ أديباؤها عليه، ورفضوا ما عداه من الكتب المصنفة في معناه، فشهرَ فيهم، ثم فيمن يليهم...^(٤).

وقد أثبت الأستاذ هارون في (مقدمته) ص ٣ من كلام المرزوقي في أبي تمام، قال: (هذا الرجل [أي أبو تمام] لم يعمد من الشعراء إلى المشتهرين منهم دون الأغفال، ولا من الشعر إلى المتردد في الأفواه، المجيب لكلّ داع، بل اعتسّف في دواوين الشعراء جاهليهم وإسلاميهم ومولّدهم، واختطف منها الأرواح دون الأشباح، واخترف الأثمار دون الأكمام، وجمع ما يوافق نظمه ويخالفه، لأنّ ضروب الاختيار لم تخفّ عليه، وطرق الإحسان والاستحسان لم تستترّ عنه، حتى إنك تراه ينتهي إلى البيت الجيد فيه لفظة تشينه فيجبر نقيصته من عنده، ويبدل الكلمة بأختها في نقده، وهذا يبين لمن رجع إلى دواوينهم فقابل ما في اختياره بها).

وقال الزمخشري في أبي تمام:^(٥) وهو [أي أبو تمام] وإن كان مُحَدَّثًا لا يُستشهدُ بشعره في اللغة، فهو من علماء العربية، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه، ألا ترى إلى قول العلماء: الدليل على هذا بيت الحماسة فيقنعون بذلك لو ثوقهم بروايته وإتقانه).

وقد بسط الأستاذ هارون في (مقدمته) موازنة بين شرحي التبريزي والمرزوقي فقال: (المرزوقي متقدّم فقد توفي سنة ٤٢١ هـ، والتبريزي متأخّر فقد توفي سنة ٥٠٢ هـ، وبين وفاتيهما إحدى وثمانون سنة، وشرح المرزوقي أكبر الشروح [لقد كان للحماسة ثلاثون شرحاً أولها شرح الصوليّ المتوفى سنة ٣٣٥ هـ، وآخرها شرح بهاء الدين عبدالقادر بن لقمان، وقد طبع في الهند سنة

١٢٩٩هـ] وفيه عناية باللغة والاشتقاق، وفيه نحو وتصريف دون إصراف، لكنه قد فاته كثير من أخبار الشعر ومناسباته، والكلام على أسماء الشعراء واشتقاق أعلامهم، وهما الميزتان اللتان امتاز بهما التبريزي عليه، والتبريزي في هذه الناحية قد أفاد من «شرح أبي رياش» للحماسة، ويبدو أن كتاب أبي رياش لم يقع للمرزوقي حتى يمكنه الانتفاع به، كما صنع التبريزي، ومن الناحية الأخرى قد أفاد من شرح أبي هلال العسكري، ومن «المبهج» لابن جنّي).

أقول: في هذا الذي بسطه الأستاذ عبدالسلام هارون من أمر الموازنة بين شرح التبريزي وشرح المرزوقي فائدة تعلم منها أن التبريزي على تعويله على شرح المرزوقي الذي سبقه كان له إضافات وزيادات تبعده عن أن يكون (سارقاً)، كما ذهب إلى هذا الأستاذ الطاهر - رحمه الله - .

وعلى هذا كان على الأستاذ هارون أن يخفف من عبارته في كلامه على المرزوقي الذي ورد فيه شيء نزبه التبريزي وهو قوله في (مقدمته)، أيضاً: (والمرزوقي ذو عبارة رصينة متخيرة يتكلف لها، الصنعة حيناً، ويعمد حيناً آخر إلى السجع الهين).

ومن عجب أن التبريزي ينقل عبارته هذه ذات الطابع الخاص، ولا يجهد قلمه في نسبة العبارة إليه في القليل النادر، بل إنه في مقدمة كتابه لم يشر إلى إفادته منه، مع أن الموازن بين الشرحين يدهشه التقارب الشديد بين عبارات التفسير واتجاهاته، ثم لا يرتاب في أن التبريزي كان في جمهور شرحه عالية على المرزوقي)، ومن عجب أيضاً أن التبريزي ينعى على هاؤلاء الذين يهملون نسبة أقوال أهل العلم إلى أصحابها، فيقول في تفسير الشطر الثالث من الحماسية ٨٩ [هي الحماسية ٨٨ عند المرزوقي]: قال المرزوقي: وذكر بعض المتأخرين [يعني ابن جنّي] ولم ينصفه حيث لم يُسمّه في كتابه.

وقد علّق الأستاذ عبدالسلام هارون: (مما هو جدير بالذكر أن المرزوقي لم يصرّح باسم ابن جنّي، وكأنه كان يستضعفه ولا يرى مكانه، وتكاد تكون عبارة (قال بعضهم) في «شرح المرزوقي» يقصد بها ابن جنّي فحسب، وليس يذكر هذه العبارة إلا في مقام الاعتراض في أغلب الأمر).

وقال أيضاً: (ويمتاز شرح المرزوقي بمقدمته النفيسة الجريئة، التي تُعدُّ وثيقة هامة في تاريخ النقد الأدبي، نقد الشعر ونقد النثر، ضمّنها مسائل تتعلق بموازنة النظم والنثر أيهما أشرف وأعلى قدراً...).

وكلمة أخرى في هذين الشرحين: أن متن «الحماسة» فيهما يخالف بعضه بعضاً، في الرواية وعدد الأبيات، وفي ترتيب المقطوعات، وترتيب الأبيات، بله عدد المقطوعات، وقد لاحظت أن المرزوقي لم يروِ الحماسية التي أولها:

أقول لها وقد طارت شعاعاً
من الأبطال ويحك لن تُراعي
وترتيبها عند التبريزي الرابعة عشرة، ونتج عن ذلك أن نجد المقطوعات التي تلي المقطوعة الثالثة عشرة يزيد رقمها واحداً عند التبريزي، على حين نجدها برقم أدنى عند المرزوقي، أي أن الحماسية برقم ١٥ عند التبريزي يقابلها رقم ١٤ عند المرزوقي... وهلمّ جراً.

أقول: مع إقراره وثقتي بأن التبريزي قد أفاد من شرح المرزوقي كثيراً جداً بل عوّّل عليه في «شرح» لا أراني أتشدّد فأقسو عليه كما فعل قليلاً الأستاذ، وكما تعسّف الأستاذ الطاهر وظلم التبريزي فنزّهه بـ (السارق) وسأتي إلى هذا.

وأتحولُ إلى كتاب «المرزوقي شارح الحماسة ناقداً» لأخي الأستاذ علي جواد الطاهر فأقول: إنه من ذخائر العلم الذي يتّسم بالدرس الجاد، الذي يشير إلى إخلاص كاتبه، غير أن لي في هذا الكتاب النفيس وقفتين:

الأولى: تتصل بوسم المرزوقي بالناقد، ولا أقول: إنه ليس ناقداً فالنقد في

شرح المرزوقي للأبيات وتفسير الكلم واضح كل الوضوح، غير أنني وجدت مواد الكتاب فكان فيها: خروج الخبر عن مقتضى ظاهر، وخروج الإنشاء على مقتضى ظاهره، والتشبيه، والمجاز، والاستعارة والمثل والكناية والتعريض، والمطابقة والمقابلة، والاتفات، والاعتراض، والنظم، والترابط بين الأبيات، العروض والقافية ومصطلحات الشعر، الأحكام....

أقول: إن في جملة هذه المواد نظرات نقدية، نبيئها في توجه المرزوقي إلى مادته، فليس جزافاً أن ينعت المرزوقي بالناقد. ولكن أقول أيضاً: إن جملة هذه المواد تدرج في علوم البلاغة في الأصل، وجلُّها موادُّ بلاغية في علم المعاني وعلم البيان، وإن لم نعدم أن نجد فيها شيئاً نقدياً يتصل بالقافية، وغير هذا من موادَّ عرَض لها أهل البلاغة.

فهل لنا أن نلغي هذه المواد العلمية الأصيلة، ونذهب إلى صفة في هذه المواد هي النقد، فنذهب لننعت المرزوقي ونبعده عن الحيز البلاغي؟
وإني لأؤكد ما كان لدى المرزوقي في شرحه هذا من النظر النقدي.

والثانية: تتصل بالمقدمة والتمهيد، وقد كان في كل منهما علم أتصف بالجد والإخلاص، غير أن الأستاذ الطاهر حين عرض للمرزوقي اقتضاه الأمر أن يعود إلى شرح التبريزي ورأى ما كان من إفادته من شرح المرزوقي فهاله الأمر، ودفعه إلى نبز التبريزي بـ (السارق).

وهو المغتصب لعلم المرزوقي، وقد دفعه إلى حماسته في الذهاب إلى هذا النبز للتبريزي ما وجد القليل منه لدى الأستاذ هارون في (مقدمته)، ولم يفد مما ذكره هارون من أن التبريزي قد كان له شيء اختلف فيه عما كان من المرزوقي.

أقول: ومما جاء في مقدمة الأستاذ الطاهر قوله في التبريزي: (٦) (ومن عجب أيضاً أن التبريزي مع ذلك ينعى على هاؤلاء الذين ينسبون نسبة أقوال أهل العلم إلى أصحابها...) وأن ما سرقه من المرزوقي في شرحه «ديوان أبي تمام» لا يقل

وضوحاً عما فعله في «شرح الحماسة».

خاتمة: أقول لمن يذهب إلى السرقة في عصرنا، وإلى نسبة هذه السرقة للأقدمين بعضهم من بعض: ألا يتعجلوا في هذا الأمر، فقد عرفنا هذا فاشياً لدى القدماء.

أقول: ماذا نقول مثلاً إذا وجدنا الإمام السيوطي يصنّف كتاب «الاقتراح» في أصول النحو، وهو يصرّح أن هذه المادة لم يُسبَقَ إليها، ولكننا نجد مادة هذا الكتاب بنصّها وفصّها في كتاب الأنباري «الإغراب في جدل الإعراب»^(٧)، ومثل هذا الكثير الكثير.

ورحم الله الأستاذ علي جواد الطاهر الذي خدم العلم خدمة صادقة.

د. إبراهيم السامرائي

الحواشي:

(١) «شرح الحماسة» للمرزوقي (حققه أحمد أمين وعبد السلام هارون، «أمالي المرزوقي» (تحقيق الدكتور يحيى الجبوري)، دار الغرب الإسلامي ١٩٩٥م، «المرزوقي شارح الحماسة» ناقدًا للدكتور علي جواد الطاهر، الدار المتحدة للنشر والتوزيع ١٩٩٥م.

(٢) أقول هذا تعليقاً على ما كتبه الدكتور علي جواد الطاهر - رحمه الله - الذي جاء فيه: جاء الكتاب بـ ٢٤ صفحة وخمسة سطور. ولا أراها تامة أو تامة الآخر، لأن الدكتور إبراهيم السامرائي ينص على أن الذي نشره (كتاب...)، ولا تطلق كلمة الكتاب على (٢٤) صفحة، وإلا فهي رسالة، ثم إنها ليست تامة الآخر....

(٣) للأستاذ الجليل العلامة مصطفى جواد في مجلة «المجمع العلمي العراقي» ١٩٧٠ مبحث واف وسمه بـ «أصفهان مركز من مراكز الحضارة العربية» عرض فيه لأهل العلم في مختلف الفنون.

(٤) عن «المرزوقي شارح الحماسة ناقدًا» ص ٣.

(٥) «الخزانة» (ط. بولاق) ٤/١.

(٦) «المرزوقي شارح الحماسة ناقدًا» ص ٤.

(٧) «الإغراب في جدل الإعراب»، حققته الأستاذ سعيد الأفغاني في دمشق ١٩٥٣. ولو كان الأستاذ الأفغاني - رحمه الله - قد وقف على هذا لكان له أن يجعل كتاب «الاقتراح» أصلاً مع الأصول التي اعتمدها في التحقيق.

مِمَّا أَخَلَّتْ بِهِ الدَّوَابُّ

(٢)

يحيى بن حكيم الغزال: جمع ديوانه الدكتور محمد رضوان الداية، ونشرته دار الفكر المعاصر في بيروت، بالاشتراك مع دار الفكر بدمشق سنة: ١٩٩٣. ويُستدرك عليه أنه قال: (وقال:

يُعَرَفُ عَقْلُ الْمَرءِ فِي أَرْبَعٍ مَشِيئُهُ أَوْلَهَا وَالْحَرَكَ
وَدَوْرُ عَيْنِيهِ وَالْفَاطِظُهُ بَعْدُ عَلَيْهِنَّ يَدُورُ الْفَلَكُ)

ثُمَّ خَرَجَ الْبَيْتَيْنِ مِنْ «بَهْجَةِ الْمَجَالِسِ».

أقول: البيتان أيضاً في «تلقيح العقول» ورواية الأول منهما:
علامة الأحمق في أربع

والبيتان من ثمانية أبيات في «العقد الفريد» لابن عبد ربه الأندلسي، وهي:

يُعَرَفُ عَقْلُ الْمَرءِ فِي أَرْبَعٍ	مَشِيئَتُهُ أَوْلَهَا وَالْحَرَكَ
وَدَوْرُ عَيْنِيهِ وَالْحَاطِظُهُ	بَعْدُ عَلَيْهِنَّ يَدُورُ الْفَلَكُ
وَرَبَّمَا أَخْلَفْنَ إِلَّا الَّتِي	آخِرُهَا مِنْهُنَّ سُمِّيْنَ لَكَ
هَذَا دَلِيلَاتٌ عَلَى عَقْلِهِ	وَالْعَقْلُ فِي أَرْكَانِهِ كَالْمَلِكِ
إِنْ صَحَّ [صَحَّ] الْمَرءُ مِنْ بَعْدِهِ	وَيَهْلِكُ الْمَرءُ إِذَا مَا هَلَكَ ^(١)
فَانظُرْ إِلَى مَخْرَجِ تَدْبِيرِهِ	وَعَقْلِهِ، لَيْسَ إِلَى مَا مَلَكَ
فَرَبَّمَا خَلَطَ أَهْلُ الْحِجَى	وَقَدْ يَكُونُ النَّوْكَُ فِي ذِي النَّسْكَ
فَإِنْ إِمَامٌ سَأَلَ عَنْ فَاضِلٍ	فَادُلُّ عَلَى الْعَاقِلِ لَا أُمَّ لَكَ ^(٢)

أبو هفان: وقد صنع ديوانه الأستاذ هلال ناجي، وسمّاه «الصبابة من شعر أبي هفان» في العدد الأول من المجلد التاسع من مجلة «المورد» العراقية الصادر عام

١٩٨٠، ثم استدرك على صنعه مرتين، مرة في مجلة «المورد» - كما ذكر هو -
وأخرى في «المُستدرك على صنّاع الدواوين».

ويُستدرك على صنعه بأكمله ما رواه بريّة بن أبي اليسر الرياضيّ في «تلقيح
العقول» من قوله: (وسئل المبردُ عن الكرم فقال: الكرم السخاءُ، أما سمعتَ قول
أبي هفّان حيث قال^(٣)):

ليس الكريمُ سوى عديمِ الدرهمِ وصديق كلِّ فتى أديبٍ مُقدمٍ^(٤)
لا تسألنَّ عن امرئٍ ما أصلُهُ وانظرِ إلى أفعاله ثمَّ احكِّمِ
لا تسألنَّ عنه أيصبرُ في الوغى واسأل: أيصبرُ تحتِ ثقلِ المغرمِ؟

والبيتان الثاني والثالث في «كتاب الشعر» لابن شمس الخلافة من دون عزو.
ويستدرك عليه ما ورد في الكتاب نفسه من قوله: (وذكر أبو هفّان قال: كنا
نسمر عند معقل [أخي] أبي دلف القاسم بن عيسى، أنا وابنُ وهيب، فرأيتُ الثريا
قد طلعت؛ فقلتُ [من الكامل]:

فإذا تُذكرتِ المكارمُ مرةً في مجلسٍ أنتم به فتتبعوا)
وأريد أن ألاحظ أن البيت لا ينسجمُ وطلوع الثريا، هذا إلى أن المؤلف نفسه قد
روى الحادثة روايةً أخرى في قوله: (وذكر أبو هفّان، قال: كنا نسمر عند معقل
[أخي] أبي دلف القاسم بن عيسى، أنا وابنُ وهيب، فرأيتُ الثريا قد طلعت؛ فقلتُ:
أما ترونَ الثريا؟ كأنها عقدُ زيار)

فقال ابن وهيب: وينبغي القول: أن ابنَ ظافر الأزدي في «بدائع البدائع»، وهو
ينقل أحيانًا عن مصدرنا، وصحّف المحققُ اسمَ مؤلفِ مصدرنا على: يزيد بن
أبي اليسر في الكتاب جميعًا، أقول: إن ابنَ ظافر روى الخبر الثاني أعني: أما
ترون الثريا، عن دعبل الخزاعي وليس عن أبي هفّان.

أبو علي البصير: صنع ديوانه الدكتور يونس أحمد السامرائي، فنشره أول مرة

في مجلة «المورد» العراقية في العدد: ٣، ٤ من المجلد الأول، فاستدركتُ عليه أشياء فيه نشرتها في العدد ٢ من المجلد الثاني، من المجلة نفسها، وكان العدد قد صدر سنة: ١٩٧٣، ثم نشر الأستاذ هلال ناجي مُستدركاً ثانياً في مجلة «المورد» عام: ١٩٨٦ وأنا في الغربية؛ فلم يذكرني، ولم يُشر إلى عملي، وكأنه يستدرك على صنْع الدكتور السامرائي أوّل مرّة، ثم لم يكتف بهذا، وإنما أعاد بعض ما استدركته على الناس، وكأنّه هو الذي اكتشفه^(٥). وإن عجبت فاعجب أن الدكتور السامرائي نشر عمله مرّة ثانية في «عالم الكتب» ببيروت تحت اسم: «شعراء عباسيون» وأنّه حين أشار في إعادة صنعه الديوان إلى تلك المقطوعات التي استدركتها، وأعاد استدراكها الأستاذ هلال نَسبها إليّ وإلى الأستاذ ولعله كان يقصد بذلك: أنها استدركت فما معنى الإعادة؟^(٦) ولكنه نسب عملي ذات مرّة إلى الأستاذ^(٧) وحده دون أن يذكرني.

وأعجب من هذا أن الصديق الدكتور السامرائي سكت - في بعض الأحيان - عمّا أضفتُ إلى المقطعات التي نشرها، فنسبَ الإضافة إلى المصدر الذي رجعتُ إليه، وليس إلى الذي دلّ عليه: كأن يقول على سبيل المثال: «الظرائف واللطائف» بدلالة فلان^(٨) لا أن يقول - كما فعل - «الظرائف واللطائف»، ثم يسكت.

وعلى أية حال هذا حديثٌ لا أريد أن أفيض فيه، ولكن أريد أن يجد لي القارئ من خلال إثارته عذراً في إهمالي ذكر أرقام الصفحات من مصادري هنا.

وإذن يُستدرك على شعر أبي عليّ البصير قوله الوارد في: «الوافي بالوفيات» وقد كتب بهما إلى صديقين من أولي الأمر محبوبين:

مَنْ كَانَ حَبْسُكُمْ أَنْسَاءُ عَهْدِكُمْ	فَلَسْتُ عَهْدِكُمْ مَا عَشْتُ بِالنَّاسِي
وَكَيْفَ يَسْلُوكُمْ مَنْ لَمْ يَجِدْ عَوْضًا	مَسْتَخْلَفًا عَنْكُمْ مَنْ سَاطَرَ النَّاسِ
إِذَا تَذَكَّرْتُ أَيَّامِي الَّتِي سَكَلْتُ	قَطَعْتُ فِي إِثْرِهَا نَفْسِي بِأَنْفَاسِي
أَيَّامَ آوِي إِلَى طُودٍ، وَمَنْعَتِهِ	أَرْكَانُهُ بِكَمَا عَالِي الذُّرَى رَاسِي

أشكو إلى الله ليلاً بت أسهره كأن أنجمه شددت بأمراس
وقرحة في سواد القلب ليس لها إلا تجدد تلك الحال من أس
ويستدرك عليه أيضاً ما ورد في «المشموم والمشروب» للسري الرفاء، وقد
كنت رجعت إليه مخطوطاً:

ألا ربّما كأس شربت سلافها على صوت أوتار، فصاح الترنم
لها منظر يخفى على العين رقة ويلطف أن يحظى به المتوسم
سرت بأقاصي الجسم حتى كأنها يشاركها في بعد مسلكها الدم
ويستدرك عليه أيضاً ما ورد في المصدر نفسه من قوله:

ربّما ربّما شممت ثيابي فحسبت النسيم مني عيبرا
ربّما حرّك الشباب قسامي فتوهّمت في العظام فتورا^(٩)
ويستدرك عليه أيضاً ما ورد في المصدر نفسه قوله:

موردة طافت فأحيت جوانحاً قفاراً جفاها الخصب والعيشة الرغد
مذاقتها شهد، ونكهتها ندى وعيشتها رغد، وصبغتها ورد
وما الخلد في الدنيا بعمر تطيله ولكنما عمر السرور هو الخلد
والأبيات في «الدر الفريد» أيضاً.

ويستدرك عليه أشياء مما ذكره ابن أيدمر في كتابه: «الدر الفريد وبيت
القصيد». فقد روى له قوله:

وإذا ننگ رلي أخ تاركته في حسن مس
وصرفت عنه مودتي فأرحت نفسي
وقوله:

إذا كنت لا تدري ولم تك بالذي تسائل من يدري فكيف إذا تدري

جهلتَ فلم تعلم بأنك جاهلٌ
إذا جثتَ في كلِّ الأمورِ بغُمَّةٍ
فمن لي بأن تدري بأنك لا تدري؟
فكنْ هكذا أرضاً يطاها الذي يدري
وأنتَ لا تدري بأنك لا تدري!

أقول: أورد الدكتور حاتم صالح الضامن ثلاثة الأبيات الأولى بزيادة بيت رابع في شعر الخليل بن أحمد الفراهيدي من كتابه: «عشرة شعراء مقلّون»، أقول: أوردها على أنها للخليل بن أحمد الفراهيدي نقلاً عن الأماشي الخميسية. وقوله:

أضحى أبو العيناء يبكي على
أيامٍ كان الناسُ في غفلةٍ
مافات من أيامه الخاليه
عنه، وكانت سُـ... (١٠)
حتى امتحنّاهُ فلا شاعرٌ
يُعرفُ بالشُّعرِ ولا راويه
أكثرَ من تفخيمه لفظه
كأنمـ... من.....
أم الذي يُعطيه شيئاً سوى
ما يطلبُ الأجرَ به زانيه

وجاء في شعره تحت رقم (٨٥) مما كنتُ استدرّكته قوله:

يا أبا العيناء لا تغـ
فزاد ابنُ أيّدمر عليه قوله:

لا تُكلِّفْ نفسَكَ الشـ
شيء الذي لـ [م تبيّن] (١١)

واطلبِ الرُّزقَ كما يطلبُهُ مَنْ ليس يُحسِنُ

وقوله:

إن كان ذكرُ أبي العيناء دُنسي
أظهرتُ من عيبـ [ه]....
فقد نهضتُ بحقِّ الدينِ والحسبِ
ومثله بمتون العِلْمِ [والأ]د [ب] (١٢)

وقوله:

إنَّ الزمانَ الذي يُضحّي الفتى وله
فضلٌ على الناسِ فيه خيرٌ أزمانه

هذا وهنالك أبياتٌ ذكرها الدكتور يونس، وبإمكانه أن يخرّجها على «الدر
الفرید» ومن هذه الأبيات ما روايته أجود من مثل قوله، وأنا أمثل ولا أستقصي،
كما ورد في الديوان:

فعليك السلام تسليمَ من لا يضمنُ الدهرَ بعدها أن يعودا
فقد روى صاحبُ «الدر» أربعة أبيات من هذه القصيدة، فكان البيت الأخير
بروايته:

فعليك السلام تسليمَ من لا يُضمِرُ الدهرَ بعدها أن يعودا
و (يُضمِرُ) - كما هو واضح - أجودُ من (يضمنُ)، هذا إذا لم تكن: (يضمن)
قد حرّفتَ عن: (يُضمِرُ).

وهنالك بيتان كنتُ قد استدركتُهُما على الدكتور السامرائي على أنهما له هما
قوله:

إفعلِ الخير ما استطعتَ وإن كسا نَ قليلاً فلن تحيطَ بكُلِّه
ووجدتُهُما في «الدر الفرید» منسوبين لعبدالله بن طاهر.

ووجدتُ ابنَ أيّدمر يروي لمن سمّاه أبا عليّ الكاتب، وغير بعيد أن يكون هو
البصير نفسه، أقول وجدته يروي له قوله:

هذا به جنّة الطغيان من حُمق إن لم يكن مسّه مسّ من الخبَلِ
في دير هرقلَ خلق منه أعقلُ في الأغلال مكتبلاً وغيرَ مكتبَلِ
ومن تكن متعةُ الأباء مولدهُ والأُمُّ تلكَ يكنُ في غاية المثلِ
ما يعرفُ الخيرَ من شرّ فيتبعهُ ولا يُفرّقُ بين الشاءِ، والإبلِ

وقلتُ: غير بعيد أن يكون أبو عليّ الكاتب هو البصير نفسه؛ لأنني وجدتُ
ابن أيّدمر يكاد يكون في كتابه شخصيتين علميتين، إحداهما واثقةٌ مما تروي كأن
يقول: (ونقلتُ من خط ابن شمس الخلافة، أو من خط ابن السكّيت، أو من

ديوان الإمام عليّ صنعة المرزباني)، وثانيتها تنسخ ما ورد في المصادر من دون ذكر لها فإن سمى المصدر المنقول عنه عليّ بن محمد الحماني: محمد بن عليّ نقل عنه ما قال، وإن سمّاه أبا الحسن العلويّ اكتفى بالكنية دون الاسم، وإن ورد صاحبُ الزنج على أنه صاحبُ البصرة كرّر ذلك، وهكذا؛ مما يجعلني لا أستبعد أنه نقل مقطّعة البصير عن مصدر سمّاه: أبا عليّ الكاتب.

وأريد قبل أن انتهي من البصير أن أصحح للأستاذ هلال ناجي في مستدركه على صنّاع الدواوين، وللدكتور السامرائي في شعر البصير، وقد نقل السامرائي عن هلال ثقةً به، أريد أن أصحح لهما إيرادهما البيت القائل:

وأجزى القروضَ بأمثالها فخيراً بخير، وشرّاً بشرُّ
ضمن مقطّعة على أنّه لصاحبنا البصير، فأقول: إنه ليس له؛ وإنما هو لبكر بن عبدالعزيز العجليّ حفيد أبي ذئف، وهو في ديوانه من قصيدة مطلعها:

طلابُ العلى بركوبِ الغرر ولا ينفعُ المُشفقين الحاذرُ
وقد ضمّنه البصيرُ. هذا إلى أن مطلع قصيدة بكر، والبيت المعنيّ من أمثال المولّدين في القرن الرابع.

للجلّاج الحارثي: وقد جمع ديوانه، ونشره ببغداد الأستاذ زكي ذاكر العاني، واستدرك على جمعه الأستاذ هلال ناجي^(١٣)، وكان من جملة ما استدرك قصيدته الطائيّة التي مطلعها:

لئن كنتَ إن ساد ابنُ عمك ساخطاً لكُثِرَ على ما قد رأى تتسخطُ
وفاته من القصيدة بيتٌ أورده أبو بكر الخوارزمي في كتابه: «الأمثال» رغم أنّه كان من مصادر استدراكه، وهو قوله:

وتدخلُ فيما ليس يعينك شأنهُ فأنتَ يدٌ في كلِّ قدرٍ ومِسْوطُ
وفاته أيضاً قوله الواردُ في المصدر نفسه:

لا تياسنّ مضيئاً أن ترى سعةً وربّما اتسع الأمرُ الذي ضاقا^(١٤)

وفاته أيضاً قوله في المصدر نفسه قوله. (فعاشر الناس على ما ترى).
ثم فاته - وهذا عندي من العجب - أن اضطرب في أمر الحارثي فاستدرك
على العاني بقوله: (وقال عبدالملك بن عبدالرحيم الحارثي:
يلقى السيوف بوجهه وبنحره ويقيم هامته مقام المغفر)
مُحِيلاً فِي تَخْرِيجِ الْبَيْتِ عَلَيَّ: «شرح المقصورة الدرّيدية» لابن هشام اللخمي
بتحقيق مهدي عبيد جاسم ص: ١٥٠، رسالة ماجستير بالرونيو.

قال كُلُّ ذَلِكَ فِي الصَّفْحَةِ: ٢١٣ من كتابه: «المُستدرك على صنّاع الدواوين»
وكأنه نسي ما كان قال على الصفحة: ١٦٢ وهو يستدرك على ديوان علي بن
محمد الحمّاني: (قال الحمّاني يمدحُ:

يلقى السيوف بوجهه وبنحره ويقيم هامته مقام المغفر...)
فأورد في استدراكه على الحمّاني أربعة أبيات، وليس بيتاً واحداً كما صنع
وهو يستدرك على «ديوان اللجلاج الحارثي». وهكذا ترى أن الأستاذ هلال
ناجي - أطال الله في عمره - قلم برأسين، فرأسٌ يستدرك بيتاً واحداً من «شرح
المقصورة الدرّيدية» على أنه للجلّاج الحارثي، ورأسٌ آخر يستدرك على «ديوان
الحمّاني» البيت نفسه مُضِيفاً إليه ثلاثة أبيات على أنهما جميعاً للحمّاني. وهنئنا
لمن يعلم لأيهما الأبيات، وكم عدتها؟

أقول: إن ما استدركه على شعر الحمّاني شيءٌ غير مُستدرك على الإطلاق؛ لأنَّ
صانعه وهو كاتب هذه السطور - قد ذكر الأبيات سبعة لا أربعة في باب الشعر
المنسوب إلى الحمّاني^(١٥)، فما معنى الاستدراك؟ هذه واحدة، فأما الثانية فهي أن
المقطعة برمتها كما جاءت في «الرحلة العبدريّة» التي حقّقها الأستاذ أحمد بن جدو،
وطبعتها كلية الآداب الجزائرية هي من خمسة وثلاثين بيتاً، فما معنى الاستدراك؟

وسأقول: إنَّ «الرحلة العبدريّة» لا تصلُّ إليها كلُّ يدٍ حتّى ولو كانت يدُ الأستاذ
هلال ناجي نفسها، فما بالك إذا قلتُ لك: إنَّ المقطعة نفسها قد وردت في «نهاية

الأرب» المباح لكل الناس إلا لمن هو مثلي من الغُرباء، وعدتها اثنا عشر بيتاً على التمام والكمال، لا تزيد ولا تنقص؟ منسوبة إلى حسّان بن ثابت، وإنه نسبها ابن عتبة إلى صاحب الزنج، وإذن فما معنى الاستدراك مرة ثانية؟ أقول هذا مرة رابعة وخامسة وسادسة سائلاً تساؤل العارف الذي لا يريد أن يبوح بما يعرف^(١٦).

هذا إلى أن ابن أيدمر الذي اعتمده الأستاذ هلال مصدراً أوحد في نسبة الأبيات إلى الحماني قد اضطرب في نسبتها، فإذ نسب الأبيات الأربعة إليه فخذع به الأستاذ، عاد فنسب بيتين منها إلى من أسماه: الغساني.

وعجبٌ وفوق العجب أن رجع الأستاذ هلال ناجي إلى «الدرّ الفريد وبيت القصيد»: يستدرك به عليّ ما فاتني من شعر الحماني، وأنه لم يتنبه إلى ما يُستدرك عليّ حقاً من قبيل ما ورد في المصدر المذكور من قوله يصف - كما يبدو - القلم:

في كفه صارمٌ لانت مضاربُهُ	يسوسنا رغباً إن شاء أو رهبا
السيفُ والرّمحُ خُدامٌ له أبداً	لا يبلغان له جُداً ولا لعبا
يرضى فيرضيهما عن كلّ مُجترمٍ	ويغضبان على ذي النّصح إن غضبا
تجري دماءُ الأعادي بين أسطُرهِ	ولا يُحسُّ له صوتٌ إذا ضربا
فما رأينا مداداً قبل ذلك دمّاً	ولا رأينا حُساماً قبل ذا قصباً

ومهما يكن من أمر فهذا استطرادٌ ما كنتُ لأنساق إليه لولا اشتراك الحماني واللجلاج الحارثي في قصيدة لم تصح نسبتها لأي منهما، ولولا أنني لاحظتُ على الأستاذين هلال ناجي، ونوري القيسي أن الذي يهمهما في استدراكهما على عباد الله أن يجدا قولاً نسبه أحدهم إلى هذا الشاعر، لكي يُثبتاه استدراكاً، أما أن يتقصياً، وأن يرجعا إلى مصادر أخرى يستفتيانها فلذلك شيء آخر لا ينبغي لك أن تُطالبهما به، لأنه فوق طاقتهما، وأرفع من نيتيهما، وقد سقتُ لك نماذج، وسترى نماذج أخرى فيما سأعرضُ إليه من استدراقات.

(للحديث صلة)

بولندا: محمد حسين الأعرجي - جامعة آدم متسليفج

الحواشي:

- (١) في الأصل، وهو طبعة دار الكتاب العربي: إن صح المرء من بعده.
- (٢) في الأصل: فإن إمامٌ سأل.. وينكسر الوزن بإثبات الهمزة.
- (٣) الثاني وحده في «الصبابة» من شعر أبي هفان: ١٩٨ عن «ثمار القلوب»: ٥٦٠، والثاني والثالث في مخطوطة كتاب «الأدب»: ٣٣ وبدون عزو، وروايتهما:
- لا تنظرنَّ إلى امرئٍ ما أصله
.....
لا تسألنَّ به أبيضرُ في الوغى
.....
- (٤) لا أستبعد أن تكون (مقدم) مصحفة من: (مُعَدَم) رغم إجماع النسخ، فما للأديب وللإقدام؟
- (٥) ينظر العدد المذكور من مجلة «المورد» العراقية: ٢٥١ وقارن بما ورد في «المستدرك على صناع الدواوين» لـهلال ناجي ونوري حمودي القيسي: ٦٣.
- (٦) ينظر «شعراء عباسيون» ٢: ٢٦٣.
- (٧) ينظر «شعراء عباسيون» ٢: ٢٨، و«المورد»: ع ٢، مج ٢٥٠: ٢ و«المستدرك على صناع الدواوين»: ٦٥. وأعني بهذه الحاشية إضافتي للديوان قول البصير:
- أبا جعفر إنَّ السَّوْلَايَةَ إنَّ تَكُنْ
مُبْلِسَةٌ قَسُومًا فَانْتَ لَهَا نُبْلُ
- (٨) ينظر «شعراء عباسيون» ٢: ٢٥١، ٣٠٤، ٣٠٩ - ٣١٠، ٢٩٦ وقارن «بالمورد»: ٢٥، ٢٥.
- (٩) يغلب على الظن أن الشباب مُحَرَّقة عن: الشراب.
- (١٠) مطموس في الأصل. وكلُّ ما وضعتُ مكانه نقاطاً من الأبيات فهو مطموسٌ. ولا يبعد أن تكون السين المضمومة بقايا: سوَّقه...
- (١١) لم يبق في الأصل من قوله: (لم) إلا لآماً مفتوحة ورأس الميم. فاجتهدتُ في قراءتها. (١٢) العجز برمته غير واضح في الأصل، وقد اجتهدتُ في قراءته.
- (١٣) ينظر «المستدرك على صناع الدواوين»: ٢٠١ وما بعدها. واعتمدتُ في ذكر المعلومات عن الديوان على المستدرك.
- (١٤) هو في الأمثال قوله: الحارثي: وربما اتسع الأمر الذي ضاقا
وفيها لا تياسنَّ مضيفاً أن ترى سعة
وقد لُفِّتْ رَوايَتَهُ فَأَثْبِتُ البَيْتَ كَمَا أَثْبِتُهُ.
- (١٥) ينظر شعرة في مجلة «المورد»: ع ٢، مج ٣: ١٩٧٤: ٢١٨.
- (١٦) هناك حديث طويلٌ صدرتُ به «ديوان الحِمَّاني» عن مُستدركِ الأستاذ هلال ناجي عليه، وسيصدر هذا الحديث في الطبعة البيروتية من الديوان.

ملاحم المرأة في «شعر الشنفرى الأزدي»

قراءة بيانية

تظل المرأة معينا لا ينضب للشعر على مرّ العصور، وقلما تخلو قصيدة من ذكر المرأة زوجة حبيبة أو أمًا أو أختًا أو ابنة أو... وإذا كانت قصيدة الغزل في الشعر العربي تركز على المرأة مهادًا لها، فإن الأغراض الأخرى لا يمكن أن تنأى عن ذكر المرأة في سياقات شعرية متباينة. ومن الطبيعي أن يستعين الشاعر بالأدوات الفنية كي يرسم صورة المرأة ومن تلك الأدوات الصورة البيانية بأنماطها الثلاثة: (الصورة التشبيهية، والصورة الاستعارية والصورة الكنائية)^(١). حيث يستثمرها الشاعر كي يعزّز ملاحم المرأة سواء أكانت تلك الملاحم تخصّ شكل المرأة الخارجي أم بواطنها وأعماقها.

وعلى الرغم من أن طبيعة حياة الشاعر الشنفرى الأزدي المقترنة بارتداد الأهوال واقتحام الصحاري طلبًا للثأر. حيث تنأى به عن عالم المرأة وأجواء البيت الأمن فإنها وردت في شعره بحيث أعطت صورة واضحة لرؤية الشاعر إليها وفي حالات شتى تتناسب مع السياق الشعري الذي ترد فيه.

وتفصح السطور اللاحقة عن فاعلية الصورة البيانية في الكشف عن ملاحم المرأة كما رآها الشاعر الشنفرى، سواء أكانت تلك الملاحم نفسية تعتمل في أعماق المرأة وتعبّر عن سريرتها أم حسيّة تنم عن شكل المرأة الخارجي وسماتها الجمالية.

وتستأثر المرأة بمقدمة قصيدة الشنفرى التائية. ولأن الصحراء مما يكثر فيها الترحال طلبًا للزرق، فإن مشهد الوداع مما يستهلّ به الشاعر قصيدته حين يقول:

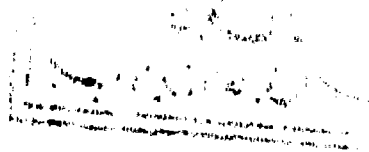
وما ودّعتُ جيرانها إذ تَوَلَّتْ	ألا أم عمّرو أجمعتُ فاستقلّت
على حين أعناق المحط أظلت	لقد سبقتنا أم عمّرو بأمرها
فتامت قلوبًا فاستعلت فَوَلَّتْ	بعيني ما أمست فبانت فأصبحت

طمعتُ فقلها نعمة الدهر وكت
 إذا ذُكرت ولا بذات تَقُلَّتْ
 إذا ما مَشَّتْ ولا بذات تَلُفَّتْ
 على أمها، وإن تكلمك تَبَلَّتْ
 حكي، ولا سبابة قبل سُبَّتْ
 إذا ذكر النسوان عَفَّتْ وجلت
 ماب السعيد لم يسأل أين ظلت
 بريحانة ريحت عشاء، وطلت
 لها أرج ما حولها غير مُسنت
 فلو جن إنسان من الحسن جنت
 لجارتها إذا الهدية قلت
 إذا ما بيوت بالمذمة حُلت^(٢)

فياندمي على أميمة بعدما
 فياجارتي وأنت غير مُليمة
 لقد أعجبني لا سقوط فناعها
 كأن لها في الأرض نسيًا تقصه
 لعمرك ما إن أم عمرو برادة
 أميمة لا يخزي ناهًا حليلها
 إذا هو أمسي أب قرة عينه
 فبتنا كان البيت حُجر حولنا
 بريحانة من بطن (حليّة) أمرعت
 فدقت وجلت واسبكرت وأكملت
 تبات هدو الليل تهدي غبوقها
 يحل بمنجاة من الذم بيثها

يستهل الشاعر نصه الشعري بصورة كناية انتظمت البيت الأول عبرت عن
 تكتم (أم عمرو) على رحيلها. وأنها فاجأت جيرانها ومحبيها بقرارها هذا.

ويأتي البيت الثاني كي يؤكد المعنى الذي نمت به هذه الصورة البيانية فتنبثق
 من قول الشاعر: (سبقتنا أم عمرو بأمرها) كناية عن أنها لم تستشر أحداً في
 قرارها. وأن جيرانها لو علموا بنا رحيلها فلربما استطاعوا أن ينشوها عنه.
 وتعكس الكناية المتضمنة في قول الشاعر: (على حين أعناق المطي أظلت)
 ملمحاً من ملامح تلك البيئة الصحراوية وهو التهيو لحمل الأمتعة والمغادرة
 الوشبكة للمكان وما يصاحب ذلك من جلبة وأصوات. فضلاً عن أنها تشي
 بازدحام المكان بالمطي بحيث (أظلت) المكان، إفصاحاً عن ثراء تلك المرأة.
 وينطوي استهلال الشاعر لصورتيه الكنائيتين بـ (لقد) على إحياء الشاعر لذاته



بأن نبأ الرحيل قد تحقق لا محال ولا مجال للعدول عنه.

وبعد أن أقرَّ الشاعر بأن أمر رَحِيل (أم عمرو) لا مناص منه، بدأت الذكريات تتداعى إلى مخيلته، فنجدته يستذكر أزمان حضورها في قوله (أمست)، و(أصبحت) كناية عن الألفة التي توضع بها قيمة الجوار تلك القيمة الاجتماعية السامية التي صانتها تلك المرأة بما تحمل من أخلاق نبيلة. وينطوي قول الشاعر: (فتامت قلوبًا فاستعلت فولت) على كناية تشي بتعلق مَنْ حول أم عمرو بها حد العشق والوله. فكأن قلوب جيرانها ومحبيها قد صارت حين شيوع نبأ رحيلها عليلَةٌ واهنة. وبذلك فإن هذا البيت قد تضمّن حالتين متضادتين الأولى: حضور أم عمرو وما تثيره من غبطة في النفوس. والأخرى غيابها وما يعقبه من حسرة ولوعة، ويكشف استهلال الشاعر بيته الشعري (بعيني) عن تعزيز لمشاعر الحزن التي قد تفضحها العيون وهي ترقب رحيل تلك المرأة الأثيرة إلى القلوب.

ويصرح الشاعر في البيت الرابع باسم تلك المرأة (أميمة) دون كنيثها (أم عمرو) حيث تتوحد أميمة في خيال الشنفرى بالنعمة، حين ينسج صورة استعارة تصريحية تغيب تحت ظلالها أميمة (المستعار له) لتحل النعمة (اللفظ المستعار) محلها في قوله: (نعمة الدهر ولت) إفصاحًا عن قدرة تلك المرأة على أن تهب حياة الشاعر بملامحها الحسية ونبل شمائلها ألوانًا زاهية وإحساسات مبهجة، بيد أن رحيلها المفاجئ، قد غيّب كل تلك الإيحاءات فبدت حياته شاحبة مجدبة. وتأتي تلك الاستعارة في سياق مناجاة الشاعر لذاته المتفجّعة على رحيل تلك الإنسانية إذ يأمر ذاته (فقلها) كي تتسق مع واقع حدث الرحيل. وتجلي الاستعارة المكنية التي اسبغت الحياة الإنسانية على الندم (المُستعار له) فيناجيه الشاعر ويناديه في مطلع البيت (ياندمي) رغبة الشاعر في أن يخفّف وطأة الحدث على ذاته المرهفة. وقد ساعد حرفا المد (الألف والياء) على أن يفرغ الشاعر من خلالهما آهته الحبيسة.

ويستثمر الشاعر قدرة النداء على استيعاب الآهات الكامنة في الصدر، لذلك يستهل بيته الشعري الخامس بأسلوب النداء إذ يقول مناجياً تلك المرأة (يا جارتني) ناسجاً صورة كناية انتظمت البيت نمت عن صفات هذه الجارة وخلالها التي جعلها بمنجى عن اللوم والعتاب إذ تنأى مكانتها بين النساء عن مواضع الذلل والرذيلة.

ويفصح الشاعر في البيت السادس عن إعجابه بتلك المرأة قائلاً: (لقد أعجبتني). وأن ذلك الإعجاب مستند إلى سمات قد استحسناها الذوق العربي وعبر الشاعر عنها بقوله: (لا سقو طقناؤها إذا ما مشت) إذ كنى الشاعر عن حيايتها وحرصها على أن تخفي فتنها وجمالها تحت ذلك القناع كي تبعد الأنظار عنها. وفي ذلك إشارة ضمنية إلى عفتها وإلى القيم النبيلة التي تحملها بين طيات روحها. وينبثق من قوله: (ولا بذات تلفت) صورة كناية أخرى عززت الكناية الأولى وأضافت إليها مكملاً جديداً هو اتزانها حين سيرها وثقتها بنفسها.

ويتوغل الشنفرى في البيت السابع في ذكرياته عن أميمة إذ تتقصى ريشته أسلوب سير تلك المرأة وهي تختط طريقها بين الناس، إذ يروقه أن يصوغ صورة تشبيه تمثيلي يفصح عن إطرافها في السير وغضها بصرها. فتتقرن في مخيلته بالتي تبحث في الأرض عن شيء أضاعته (لها في الأرض نسيًا تقصه) ويسبغ المشبه به (لها في الأرض نسيًا تقصه) على المشبه (أميمة) دلالات الحركة السريعة المستمدة من لهفة الإنسان المبتلى بالفقد ورغبته في العثور على ما فقده.

ويقسم الشنفرى في البيت الثامن على أن أم عمرو قد استكملت مواصفات المرأة ذات السمائل الكريمة حين ينسج كناية تتجلى من خلالها تلك المرأة بمكانتها السامية بين أترابها واتزانها في الفعل والقول على حد سواء، فهي ليست تمامة (حكيم) وليست بذئثة اللسان سليطته (سبابة). وليست موضع استهانة (ولا... قبل سبت).

ومثلما تتقصى الصورة البيانية سمات تلك المرأة بين جاراتها ورفيقاتها، فإنها تلتبث عند الوشيجة الحميمة التي تربط تلك المرأة بزوجها، حين تنسج صورة كنائية تنتظم البيت التاسع تشي بقدرة أميمة على إشاعة البهجة في روح زوجها لما تتمتع به من خلال العفة وسجايا الاتزان والسمو.

وتنتظم البيت العاشر كناية تعكس طبيعة حياة الرجل يومذاك إذ يضطر إلى أن يترك داره وحليلته انصرافاً لشأن من شؤون الحياة التي تفرضها طبيعة البيئة ومتطلباتها المتعددة من رزق أو صراع أو... أو... تنم هذه الكناية عن سمة الإخلاص فضلاً عما يثيره حضور أميمة (الحليلة الصالحة) من إحساسات الغبطة في ذات زوجها إثر رحلة مضية تعقبها عودة سعيدة. ويضفي قوله: (قرة عينه) و (مآب السعيد) دلالات الحبور التي يشيعها حضور سمة الإخلاص وهي تُعزِّز الثقة بين الزوجين. تلك الثقة التي لا يتسلل الشك إليها حين غياب الزوج لأيما سبب من الأسباب.

ويسهم التجسيم الاستعاري^(٣) في البيت الحادي عشر في الكشف عن سمات جديدة لتلك المرأة. إذ تتجلى أميمة - على أرض الاستعارة التصريحية- ريحانة، إفصاحاً عن أن سجايها توضع حيث تحل، فقد تثير في النفس الأريحية والغبطة. لقد أسبغ اللفظ المستعار (ريحانة) على المستعار له (المرأة) دلالاته المقترنة بالغضارة والنعومة واللون الزاهي والعطر الزاكي فضلاً عن العنفوان والتجدد. وتضع ريشة الشنفرى على تلك الصورة البيانية لمسة فنية أخرى إذ تتوج تلك الريحانة (المرأة) بإكليل من الطل (طلت) تعزيزاً لملامح الجمال الأخاذ فيها. ولأن زمن المساء تنظف به جذوة النهار وتخلد الأصوات للصمت لذلك اصطفاه الشاعر (عشاء). حينئذ يصفو الذهن وتأمل النفس الأشياء فتبدو تلك الشمائل أكثر تألقاً حيث تزيل عن النفس همومها ومتاعبها. ويعزز تكرار اللفظين (ريحانة) و(ريحت) حضور حاسة الشم، فضلاً عن المهاد الإيقاعي الذي يخدم السياق الشعري.

وتظل تلك المرأة (المستعار له) تنهل من الريحانة (اللفظ المستعار) إحياءات متجددة، فنجد الشاعر الشنفرى يستهل بها بيته الثاني عشر حيث يروق له أن يتأمل تلك الريحانة (المرأة) فيشير إلى مهادها (موضع حلية) الذي ترعرعت فيه و (أمرعت). وقد بثت الاستعارة المكنية الحياة الإنسانية في حلية (المستعار له) بقريئة اللفظ المستعار (بطن) فبدت أما (المستعار منه) تكريساً للصلة الحميمة بين الأرض الخيرة وعطاء تلك المرأة. بيد أن الشاعر لم يشأ أن يفرد أميمة عن جاراتها وإن تميزت عنهن إذ انبثقت من قوله: (لها أرج ما حولها غير مسنت) كناية عبرت عن إن تلك السجايا التي رمز لها بـ (الأرج) المنتشر لم تكن توضع على أرض جرداء (مسنت) بل إنها تتواشج مع نظائرها من البيوت التي ضمت بين جنباتها نساء كتلك المرأة.

وبعد أن يستوفي الشاعر السجايا السامية لأميمة مركزاً على سمة العفة والوفاء. فإنه يقف وقفة ضافية على السمات الحسية لتلك المرأة وبأسلوب شعري مكثف هو سمة من سمات القصيدة العربية. ويعكس قوله (دقت) كناية مَعْبَرَةٌ عن ملمح جمالي هو دقة الخصر ورهافته. في مقابل قوله: (جلت) الذي يتضمن كناية ثانية تشي بملمح جمالي آخر يستسيغه الذوق العربي آنذاك وفي قوله: (اسبكرت) كناية ثالثة تنم عن طول شعرها واسترساله وغزارته بل إن الشاعر يصفها بالكمال من حيث جمال ملامحها (أكملت) وبذلك ينسجم شكلها مع جوهرها. ولكي يعزز الشاعر الملامح الخارجية لتلك المرأة فإنه يشفع هاتين الكنائيتين بكناية ثالثة طريفة انتظمت قوله (فلوجن إنسان من الحسن جنت) إفصاحاً عن أن فتنها تكاد تذهب العقل وتخلب الأبواب فضلاً عن أن تلك الفتنة لا مثيل لها.

ويحذق الشاعر في اختيار كنياته الدالة مستفيداً من عبقرية الكناية في التعبير فلقد أطبق البلغاء على أن الكناية أبلغ من الإفصاح بالذكر^(٤) إذ لا يصرح الشنفرى في البيت الرابع عشر بسمة الكرم التي شاء الشاعر أن ينسبها إلى تلك

المرأة، بل يصوغ صورتين كناثيتين تنتظم الأولى قوله: (تبات هدو الليل تُهدى غَبوقها) وتشع الأخرى من قوله: (إذا الهدية قلت). أوحى الأولى بإيثارها جارتها على نفسها ونمت الأخرى عن مواسم الجذب التي قد تعصف بالبيئة العربية فيشحّ الزاد. وتتلاحم هاتان الكنايتان كي تشيا بأن أم عمرو تمد يد المساعدة في أحلك الظروف وأصعبها. وقد أضفى لفظ الغبوق (وهو ما يشرب في العشي) دلالات ذوقية على اللوحة الشعرية تعزز حاجة جارتها لما يسدّ الرمق في مثل تلك الظروف.

ويتلبث الشنفرى في البيت الخامس عشر عند (البيت) الذي يضم بين جنبيه أميمة، ويردّد أصداء صوتها ويحتضن خطواتها الدائبة بين ظهرانيه. وقد سرت سماتها النبيلة إلى كيان البيت كله. ويأتي الشاعر كي يصوغ نمطا معينا من الكناية هو الكناية عن نسبة^(٥) حيث لم ينسب الشاعر تلك السمات إلى أميمة مباشرة بل كنى عن ذلك بأن ألحقها بالدار التي تسكنها تعزيزاً لسجاياها التي أشاعت القيم العربية السامية في تلك الدار. وثمة استعارة مكنية في قول الشاعر: (بيوت بالمذمة حلّت) جسّمت المذمة (المستعار له المعنوي) أرضاً (المستعار منه المحسوس) بقريئة الفعل المستعار (حلّت) وحرف الجر (الباء) إفصاحاً عن أن البيت الذي تكون سيدته موضع الذمّ ستسري سماتها إلى المكان الذي تقيم فيه. ولا يخفى التضاد بين ضفتي الرشاد والضلال في هذه اللوحة الشعرية. وقد شكّلت الألفاظ المكررة (يحلّ، حلّت)، و (بمنجاة من الذم، بالمذمة) (بيتها، بيوت) مهاداً إيقاعياً يتناسب مع السياق الشعري من جانب، ومن الجانب الآخر فإنها أوحى بأن أميمة، وبوعي منها، تختار صفة الرشاد المترعة بالخير والحمد تعبيراً عن فطرتها الطيبة.

وكما رسم الشنفرى صورة المرأة المثال (أم عمرو) فإنه رسم لوحة شعرية أخرى تقع على النقيض من تلك الصورة في قوله مخاطباً امرأته:

إذا أصبحتُ بين جبالٍ (قَو) و (بيضانِ القرى) لم تحذّرني

فإِما أن تودّينا فنرعىُ أمانتكم، وإِما أن تخونني
سأخلي للظعينة ما أرادت ولستُ بحارس لك كل حينٍ
إذا ما جئت ما أنهاك عنهُ ولم أنكر عليك فطلّقتيني
فأنت البعلُ يومئذ فقومي بسوطك لا أباك فاضربيني^(٦)

يستهل الشاعر لوحته الشعرية بذكر موضعين هما (قو، وبيضان القرى) كنى بهما عن بعده عن داره. وفي ذلك إشارة ضمنية إلى طبيعة حياته التي تتطلب منه الغياب المتواصل عن البيت. ويمهد الشاعر بذلك لصفات تلك المرأة مستثمراً جواب الشرط غير الجازم (إذا أصبحت... لم تحذريني) كناية عن أن حذر تلك المرأة منه مرهون بوجوده معها وغياب ذلك الحذر مع غيابه.

ويحار الشاعر إزاء تلك المرأة في البيت الثاني فيخيّرُها بين أمرين احتضنها أسلوب الشرط مرة أخرى في إطار صورة كنائية عبّرت عن الرغبة في استمرار العودة بينهما بحضور الوفاء والإخلاص. ورفضه تلك المرأة بغيابها. وقد نمّ قوله (وإِما أن تخونني) عن سخطه عليها.

وينتقي الشنفرى في البيت الثالث من بيئة الترحال والسفر (الظعينة) كي تكون قسيماً استعارياً لتلك المرأة حين ينسج استعارة تصريحية تفسح عن أن الشاعر لا يتمسك بتلك المرأة أو يجبرها على أن تبقى في كنفه. وإنما يترك لها فرصة الانطلاق إلى رحاب أخرى إذا ما شاءت ذلك. وتعزز الكناية التي تضمنها قوله (ولستُ بحارس لك كل حين) رفضه لتلك المرأة وفضلاً عن أنها تؤكد غياب الشاعر الدائم عن داره لطبيعة حياته التي اختطها لنفسه فهو طالب ثار. يضاف إلى هذا، أن ثمة إشارة ضمنية إلى غياب إحساسات الثقة التي تمنحها تلك المرأة لزوجها الغائب.

ويتفاهم إحساس الشاعر بالريبة والشك إزاء تلك المرأة في رسم لها صورة ساخرة انتظمت البيتين الرابع والخامس إذ يصرح قائلاً: (إذا ما جئت ما أنهاك

عنه... فطلقيني) وكان الشاعر يعبر عن انقلاب الموازين إذ تحل هي في إهاب الرجل ويحل الشنفرى في إهاب تلك الحليلة التي لم تصن بيتها وزوجها. وفي ذلك كناية عن الخنوع والاستسلام للذين لا يتناسبان وطبيعة الشنفرى السماء، ويمضي الشاعر في إكمال صورته الطريفة في البيت الخامس حيث تحذو هذه الصورة حذو الطرفة في نسيجها إذ يصوغ الشاعر تشبيهاً بليغاً يستهل به بيته الشعري إذ يقول: (أنت البعل) ووجه الشبه الذي يجمع بين طرفي التشبيه حليلته (المشبه) والبعل (المشبه به) هو التسلط ومجافاة فطرة المرأة وأنوئتها ويستكمل الشنفرى صورته الساخرة إذ يأمر تلك المرأة أن تحمل سوطاً وتضربه (فاضريني) بدل من أن يفعل هو ذلك إثر مخالفتها إياه واستهانتها بالقيم النبيلة التي يحترم الشاعر المرأة إذا ما تحلت بها.

وثمة حدث مؤلم كان له أبلغ الأثر في حياة الشاعر إذ تتفق الروايات على إنه كان غريباً وأن فتاة تجرأت عليه وصفعته على وجهه، جهلاً منها لنسبه لذلك يقول مفتخراً بنسبه ومشيراً إلى هذا الحادث. وأدائه في هذه الصورة البيانية الدالة:

ألا ليت شعري والأمانى ضلّةً بما ضربت كف الفتاة هجينها
ولو عملت قعسوس أيام والدي ووالدها ظلت تقاصر دونها
أبي ابن خيار الحجر بيتاً ومنصباً وأمي ابنة الأحرار لو تعرفينها
إذا قلت بعض القول بيني وبينها تؤمّ بياض الوجه مني يمينها^(٧)

يطالعنا التشبيه البليغ في البيت الأول بقول الشاعر: (الأمانى ضلّة). ويضفي المشبه به (ضلّة) على المشبه (الأمانى) دلالات التخبط والضياع. ووجه الشبه الذي يجمع بين طرفي التشبيه المعنويين هو غياب قدرة الشاعر على تحقيق الأمانى إذ أنه وجدها قد (ضلت) عن سبيلها وارتطمت بواقعه المرير ومثلما أكده في سياق نصه الشعري. وقد كانت صفة تلك الفتاة للشاعر تتضمن تنبيهاً أكيداً على أن أمانيه قد كانت محض سراب، إذ أن صفعتها التي أشار إليها قوله

(ضربت كف الفتاة هَجِينَهَا) تكشف النقاب عن الحقيقة التي جعلت شخصية الشاعر تنمو باتجاه آخر وكما تشير المصادر التاريخية^(٨).

ويشي البيت الثاني بأنفة الشاعر وكبريائه وهو يحاول أن يداري ذلك الجرح الذي أحدثته الفتاة في نفسه. فيصبُّ جام غضبه عليها بأن يصف خلقها الذميم (قعسوس) ويبرر فعلتها بأنها تجهل نسبه ولذلك استخدم الشاعر، وبوعي منه، أسلوب الشرط غير الجازم وبالأداة (لو). وكنى عن وقائع والده المشرفة باللفظ (أيام) وهي مما لا يصل إلى ذراها والدا الفتاة. لذلك ستبدو تلك الفتاة ضئيلة (تقاصر) حين تعرف نسب الشاعر وهي صورة كنائية تشي بعظمة نسب الشاعر إزاء ضآلة نسب الفتاة.

ويمضي الشاعر في فخره بنسبه إذ يجد الشاعر في ذلك الفخر تعويضاً نفسياً عما ألمَّ به من إهانة جسيمة لإحساسه بذاته واعتداده بنفسه. وتتنظم البيت الثالث صورة كنائية تشي بسمو مكانة أبيه وعلو منزلة أمه، مما ينفي كونه (هَجِينًا) (ابن أمة) كما ظنَّت تلك الفتاة، فضلاً عن أن الشنفرى يعطي انطباعاً مؤكداً بأن العربي يفخر بأمه وأبيه على حد سواء. وأن الانتساب لا يكون للأب وللأعمام حسب وإنما يكون للأم وللأخوال أيضاً. وإنَّ أي غمزٍ لأحدَ الجانبين ممَّا يضير بالنسب ويشينه.

وينحصر إحساس الشاعر بالفخر في خاتمة نصه الشعري، حيث يتذكر رغبته في التقرب من تلك الفتاة. فيعتف نفسه على انسياقه مع عواطفه فينسج صورة كنائية انطوى عليها قوله: (إِذَا قُلْتُ بَعْضَ الْقَوْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا) نَمَّتْ عَنْ انْفِرَادِهِ بِتِلْكَ الْفَتَاةِ وَإِفْصَاحِهِ عَمَّا يَخَالِجُ رُوحَهُ. بيد أن الشاعر يكرّر صدى الصفعة في خاتمة لوحته حيث يكشف الشطر الثاني من البيت أن الصفعة كانت اختصاراً لنظرة الفتاة إليه وازدراؤها له.. كما أنها كانت بمثابة طعنة سدّتها إلى روحه جهلاً منها بنسبه الرفيع الذي كنى عنه بـ (بياض الوجه).

ويوجه الشاعر في سياق شعري آخر حديثه إلى المرأة كاشفاً عن رؤيته إزاء الحليلة التي يصطفئها لنفسه إذ يقول:

لا تحسبيني مثل مَنْ هو قاعدٌ على عُثَّةٍ أو واثقٌ بكساد
إذا أنفلتتْ مني جوادٌ كريمَةٌ وثبتُ فلم أخطيُ عنان جوادِي^(٩)

يكفي الشاعر عن المرأة التي يرفضها ولا يقبلها حليلة له بـ (العثة) مرة
وبـ (الكساد) مرة أخرى. وتشي لفظة (العثة) بأكثر من دلالة فهي قد تعني أن الشاعر
لا يرضى بأن تكون حليلته عجوزاً واهنة بل شابة مترعة بالعنفوان. وربما قصد أنه
لا يرتضيها بذيئة أو حمقاء بل متزنة العقل والمنطق. وربما انتقى هذه اللفظة (عثة)
كي يكشف عن الملامح الخارجية والنفسية للمرأة المرفوضة. ولا يتمسك الشاعر
بـ (الكاسدة) من النساء كناية عن أنه ينتقى أفضل النساء وأعلاهن مكانة.

ويبرهن الشاعر لتلك المرأة التي يوجه الحديث إليها في البيت الآخر على
ذلك متخذاً من الاستعارة التصريحية وسيلة فنية إذ تحل المرأة المثال (المستعار
له) في إهاب جواد كريمه (اللفظ المستعار) إفصاحاً عن أصالتها ورشاقته
وعنفوانها وهو ما يطمح الشاعر إليه في المرأة المنتقاة حليلة له. وتشع من قوله
(لم أخطيُ عنان جوادِي) كناية تشي بطابع شخصيته التي تفرض على المرأة
اطاعته واحترامه. لقد استوحى الشاعر هذه الصورة من البيئة العربية إذ عقد الصلة
بين المرأة والفرس. وليس غريباً على الشنفرى أن يستعير من الجواد الكريمة ما
يعبر به عن المرأة المصطفاة، فكثيراً ما يقرن الشاعر الجاهلي بين المرأة والفرس،
ووجه الشبه بينهما في الأغلب هو الرشاقة وطول الشعر والشباب^(١١).

وترد المرأة وطبيعة صلة الشنفرى بها في سياق فخر الشاعر بنفسه حيث يقول
في موضع آخر:

ولا جِبًّا أكهَى مُرَبِّ بعُرسِهِ يطالعُها في شأنِهِ كيفَ يفعل^(١٢)
يرفض الشاعر أن يقترن بصفات تجافها البيئة العربية وواقع صحرائها
القاحلة، ومنها إنه لا يرضى بأن يلزم داره هرباً من مضمار الصراع والحرب

ومقارعة الفرسان مكنياً عن ذلك بالفاظ تشكل قوام صورة كناية وهي (جباً) و(أكهى) و (مربّ بعرسه) إذ أن حياته وهو الفارس الهمام يحتاج جرأة وتحفزاً وترحالاً دائماً، مع تحدّ متواصل لأعدائه. ويكني عن استعداده بشخصه وبرأيه دون رأي زوجه بقوله: (لا... يطالعهما في شأنه كيف يفعل (أو هو يذكر هذه الصورة البيانية في موضع الرفض والسخرية إشارة إلى أن ثمة من يفعل ذلك ولكن الشنفرى يرفضه إنسجاماً مع مكونات شخصيته.

ويروق لخيال الشاعر أن يستحضر صورة أخرى من وحي البيئة العربية. بيد أنها مما ترفضها القيم الأصيلة إذ يورد الشنفرى صورة كناية للرجل الذي يتخلّق بأخلاق النساء في قوله:

ولا خالف دارية متغزل يروحُ ويغدو داهناً يتغزل^(١٣)
فهو يكني عن اعتداده بنفسه وسمو أخلاقه حيث ينأى عن التهافت على عشق النساء والتغزل بهن في الغدو والرواح. وهو ينكر هذا على من يفعل ذلك. وفي قوله: (داهنا يتكحل) كناية أخرى تشي بسخط الشاعر على المتشبهين بالنساء من الرجال في استخدام الكحل والدهن للزينة. إذ إن الفارس (الشنفرى) يرى أن تلك الأفعال تقلل من شأن الرجل، لذلك نجده يستهل بيته الشعري بقوله صراحة عن هذا النمط من الرجال بأنه فاسد (خالف) يحلوه له أن يقبع في داره (دارية) على أن يقتحم سوح الوغى.

ويتخذ الشاعر من المرأة لائمة لا يرضيها نهجه في الحياة وانصرافه إلى الوغى ومقارعة الفرسان فيجيبها قائلاً:

دعيني وقولي بعد ما شئت إنني سيغدَى بنعشي مرّةً فأغيب^(١٤)
يشع فعل الأمر (دعيني) كناية تشي ببرم الشاعر بتلك المرأة التي أكثرت اللوم فهي كما يراها تسعى إلى أن تجرّه باتجاه الحياة المستقرة المستكينّة، التي لا

تناسب مع طبيعة شخصيته من جانب، ومع طبيعة الصحراء العربية التي تفرض مثل هذه الحياة من الجانب الآخر. وفي قوله: (وقولي بعد ما شئت) كناية أخرى عن صفة اعتداد الشاعر برأيه. بحيث لا يكثر بلوم اللائمة وحديثها الذي أطالت فيه، واختصره بقوله (ماشئت). ويأتي الشطر الثاني من البيت كي يكشف النقاب عن نهج الشاعر وما اختطه لنفسه من أسلوب في الحياة وفي إطار كناية عبرت عن صفة الشجاعة واستهانته بالموت مادام لا يحدث إلا مرة واحدة في حياة المرء. وقد أسبغت الأفعال (دعيني) و (قولي) (شئت)، و (يُغدي)، و (أُعَيَّبُ) على اللوحة البيانية حركة تناسب وشدة رفض الشاعر لمنطق تلك اللائمة وتمسكه بالصراع وأجوائه المتسرعة بالعنفوان.

وربما لعبت المرأة دوراً مناقضاً لتلك اللائمة إذ تحرض الشنفرى على القتال والثأر في قول الشاعر مخاطباً إياها:

كَأَنَّ قَدْ فَلَا يَغْرُرُكَ مَنِي تَمْكِنِي سَلَكْتُ طَرِيقًا بَيْنَ (يَرْبِغُ) فَ (السرد) (١٥)
حيث يكني عن تمهله في إدراك ثأره وتفكيره في الوسائل التي توصله إلى عدوه فيقتص منه، بقوله (يغررك مني تمكني). وهو يثبت لها ذلك عبر الشطر الثاني من البيت.

ويحلو للشاعر أن يوصل إلى مسامع المرأة (سعاد) إحدى وقائعه إذ يقول:
أَلَا هَلْ أَتَى عِنَّا سَعَادٌ وَدُونَهَا مَهَامُهُ بِيَدِ تَعْتَلِي بِالصَّعَالِكِ (١٦)
مما ينم عن أن انتصاره لا يتم ما لم يكن موضع حديث النساء وإعجابهن وقد كنى عن ذلك بحديثه مع سعاد التي اتخذ منها محاوره له ومصغية لحديثه.

ويكشف أسلوب التحضيض وأسلوب الاستفهام اللذان استهل بهما صورته الكنائية عن رغبة الشاعر في جذب الاهتمام والتشويق لسماع ما سيقوله لسعاد ورفيقاتها من أخباره.

وتسائر والدة الشاعر بأكثر من لوحة شعرية فهاهي الصورة البيانية تعكس
أهات تلك الأم المفجوعة بفقد ولدها (أخ الشاعر) وفي ذلك يقول:

لَيْسَ لَوَالِدَةٍ هَمُّهَا وَلَا قِيلُهَا لَا بُنْهَاسَا: دَعُ دَعِ
تَطُوفُ وَتَحْذَرُ أَحْوَالَهُ وَغَيْرُكَ أَمْلِكُ بِالْمَصْرَعِ (١٧)

ينسج الشاعر صورة كنائية تنم عن حرص الوالدة على ولدها من خلال أكثر
من عبارة (قيلها لا بنها دع دع)، (تطوف)، (تحذر أحواله) فهي تنهاه عما يورده
الهلاك وتبالغ في تحذيره، بيد أن هذا لا يحول دون حدث مصرعه وقد كني عن
هذا بقوله: (وغيرك أملك بالمصرع).

وثمة موقف آخر يقفه الشنفرى شبيه بهذا الموقف حين يُقتلُ والده فيستثير
هذا الحدث جزع والدته حيث تخرج ساعية إلى ديار قومها بني فهم تولول
وتنوح. فيقول الشنفرى في ذلك:

تُولُولُ أَنْ عَلاهَا دَهْرُهَا بِرَيْبِ الْمَكَارِهِ بِالْأَرْوَعِ
وَكَلُّ أَمْرِي عَاشَ فِي غَبْطَةٍ يَصِيرُ إِلَى الْحَدَثِ الْأَشْنَعِ
فَأَقْسَمْتُ أَبْرَحُ ذَا غَارَةٍ تَغَرَّرُ بِالنَّفْسِ فِي الْمَكْرَعِ (١٨)

يطالعنا الفعل المضارع (تولول) بما فيه من إحياء صوتي يشي بالنوح وهو
يفضي إلى الاستعارة التشخيصية التي تؤنس الدهر (المستعار له) فيتجلى منتصراً
يكيل لها من المكاره ما هو الأشدّ وقعاً (الأروع). ويكني الشاعر في البيت الثاني
بقوله (وكل امرئ عاش في غبطة) عن الحياة الهائثة التي عاشتها أمه في كنف
أبيه. بيد أن الشاعر يشفع هذه الكنائية بكناية أخرى تشي بما آلت والدته إليه في
خاتمة مطافها إذ تستحيل بهجتها شؤماً إثر ذلك الحادث المروع. ولأن الشاعر
يؤمن بأن الحياة الرغيدة لا بدّ أن يعقبها الحزن إذن لا بد له من أن يسير على وفق
النهج الذي اختطه لنفسه، وهو أن يقارع الخصوم ويحضر الوغى طلباً لثأر والده
وهو المعنى الذي أوحى به الكناية المتضمنة في بيته الأخير.

وربما يعكس الشاعر رؤيته إزاء النوح والبكاء حين يصوغ صورة استعارة
تصريحية تحل من خلالها الحمامة (المستعار له) في إهاب النائحة (اللفظ
المستعار) إذ يقول:

ونائحة أوحيتُ في الصبحِ سمعها فريعَ فؤادي واشمازَ وأنكرا^(١٩)
ويكشف قوله (أوحيت) و (ريع) (واشماز) و (أنكرا) عن تطير الشاعر من
صوت النواح الذي هو قرين الموت ودلالاته الكنائية في حين يعج قلبه
بالعنفوان والحياة. ويطبع اللفظان (نايحة) و (سمعها) هذه الصورة البيانية بطابع
سمعي بين.

ويخلق عالم الشنفرى المشحون بأجواء الترحال والصراع لوحات بيانية تشي
بتلك الإلفة التي خلقتها طبيعة حياته المريرة الخالية من البهجة والمسرة. فنجده
يألف وحش الصحراء.. وحين تتلبث ريشته لتسبع الظلال الفنية على لوحة
الظباء (الأراوي) فإنها تقترن في مخيلته بالعدارى الحسان إذ يقول:

ترودُ الأراوي الصَّحْمُ دوني كأنها عذارى عليهنّ الملاء المُذِيلُ
ويَرُكُدْنَ بالأصال حولي كأنني من العُصْمِ أدنى يتحى الكَيْحِ أعقل^(٢٠)

ينسج الشاعر في البيت الأول صورة تشبيه مرسل عاقدا من خلال أداة التشبيه
(كأن) الصلة بين الأراوي (المشبه) والعدارى (المشبه به) ووجه الشبه الذي
يجمع بين طرفي التشبيه هو الجمال والرشاقة كما أضفى اقتران لون الظباء السود
المائلة إلى الصفرة (الصَّحْم) بالملاء المذيل سمة لونية طبعت الصورة التشبيهية
بطابع بصري. ويشكل تكرار حرفي الراء والواو في لفظي (ترود) و (الأراوي).
وتكرار حرف النون ثلاث مرات في لفظي (دونى) و (كأنها). وتكرار حرفي
الميم واللام في (الملاء) و (المذيل) تصعيداً نغمياً يخدم السياق الشعري ويسبغ
إيقاعية محببة على التشبيه.

وتتقصى الصورة البيانية الوشيحة الحميمة التي تربط الشاعر بتلك الأراوي (المشبه) فنجد الشاعر في البيت الثاني يكشف عن طبيعة تلك الصلة إذ يقول: (كأنني من العصم) حيث يصوغ الشاعر صورة تشبيهية مرسله أخرى وبأداة التشبيه ذاتها (كأن). يحل الشاعر (المشبه) تحت ظلالها في إهاب وعل (أعصم) (المشبه به) تعزيزاً لأجواء المودة التي تربطه بتلك الطباء وهو يرى فيها أنيساً لوحده في ليل الصحراء المخيف حيث تألفه الطباء وتغتبط لحضوره بينها. وتسبغ الألفاظ (الأعصم)، و (أدفي)، و (أعقل) على المشبه (الشاعر) دلالات القوة والرشاقة. وقد تنبه القدامى إلى طرافة العلاقات الخفية في مثل هذه التشبيهات، فالقزويني يذكر الاستطراف ويقول عنه: (والاستطراف.. أن يكون المشبه به نادر الحضور في الذهن)^(٢١).

وبعد، فقد أحاطت الصورة البيانية بسمات المرأة كما رآها الشاعر الشنفرى. فثمة الأم والجارة والحليلة والثكلى والنائحة و... وهناك المرأة المثال التي تلتزم بقيم البيئة العربية وتقاليد السامية. كما أن هناك المرأة المتمردة على تلك المثل الخيرة. ولقد كشف شعر الشنفرى عن اهتمام بين بجمال خلق المرأة وعضوبة سريرتها أكثر من جمال شكل المرأة وتناسب ملامح وجهها وجسدها التي قد يقف عندهما وقفة مركزة عارضة. وربما كانت المرأة أداة فنية يحاورها الشاعر أو يمهد بحديثه عنها لموضوعه. وربما شكلت المرأة قسيماً تشبيهاً أو استعارياً لصورته البيانية الدالة.

غلبت الكناية على تشبيهات الشنفرى واستعاراته وكثيراً ما استثمر الشاعر الكناية عن صفة، وقلماً استخدم الكناية عن نسبة. وتتنوع أنماط التشبيه في نصوصه الشعرية التي تقصت ملامح المرأة فهناك التشبيه المرسل والبليغ والتمثيلي. وتأتي الاستعارة في المرتبة الأخيرة حيث تطغى الاستعارة التصريحية على الممكنية. ويتسلسل تأثير الحواس الخمس إلى نسيج الصورة البيانية فتطبع إحدى الحواس صورته الكنائية أو التشبيهية أو الاستعارية بطابعها.

ويسبغ تكرار بعض الألفاظ وأصوات حروفها في بناء الصورة البيانية تصعيداً
نغمياً يخدم السياق الشعري.

بغداد: د. وجدان عبدالإله الصايغ

الحواشي:

(١) ينظر: د. حنفي شرف «التصوير البياني»، مكتبة الشباب، ط ٢، القاهرة ١٩٧٣، ص ١٩. وينظر كذلك:

د. وجدان عبدالإله الصايغ «الصورة البيانية في شعر عمر أبي ريشة»، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٧ ص ٣١.

(٢) «شعر الشنفرى الأزدي»، لأبي فيد مؤرج بن عمرو السدوسي، تحقيق: د. علي ناصر غالب، مطبوعات
مجلة «العرب»، الرياض ١٩٩٨ م، ص ٩٥ - ٩٦.

(٣) ينظر: سيد قطب، «التصوير الفني في القرآن»، دار المعارف، القاهرة (دون تاريخ)، ص ٦٣، كما ينظر:
د. وجدان عبدالإله الصايغ «الصورة الاستعارية في شعر الأخطل الصغير» رسالة دكتوراه مكتوبة على
الآلة الطابعة، قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة الموصل ١٩٩٥ فصل التجسيم الاستعاري،
ص ٦١ وما بعدها.

(٤) «الغزويني» الإيضاح في علوم البلاغة» تحقيق: محمد عبدالمنعم خفاجي، منشورات دار الكتاب اللبناني،
ط ٥، ج ٢، ص ٤٦٨.

(٥) ينظر: السكّاكي، «مفتاح العلوم»، تحقيق: أكرم عثمان، دار الرسالة بغداد ١٩٨١، ص ٦٣٨.

(٦) «شعر الشنفرى»، ص ١٠٨. (٧) نفسه، ص ٥٥.

(٨) ينظر: نفسه، ص ٥٤ وما بعدها. (٩) نفسه، ص ١١٣.

(١٠) الفيروز آبادي، «القاموس المحيط» دار الفكر، بيروت (دون تاريخ)، مادة (ع ث ث).

(١١) د. عبدالإله الصايغ، «الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام»، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٢،
ص ٢٣٠.

(١٢) «شعر الشنفرى» ص ٧١. (١٣) نفسه، ص ٧١.

(١٤) نفسه، ص ١١٠. (١٥) نفسه، ص ٦٢.

(١٦) نفسه، ص ١١٧. (١٧) نفسه، ص ١١٠.

(١٨) نفسه، ص ١١٦. (١٩) نفسه، ص ٦٣.

(٢٠) نفسه، ص ٨٩ - ٩٠.

(٢١) «الغزويني»، «التلخيص في علوم البلاغة» تحقيق: عبدالرحمن البرقوقي ط ٢، المكتبة التجارية، ط ٢،
القاهرة ١٩٣٢، ص ٢٦٥.

مخطوطة كتاب «المثالب» المنسوب لابن الكلبي

(دراسة للكاتب والكتاب)

مقدمة في كتب المثالب والمناقب: هذا كتاب سمعت باسمه مضافاً للعرب قبل عشرين عاماً، أو أكثر من ذلك قليلاً، وكنت شديد الضيق به وبمؤلفه، شديد الكره لهما، والعجب منهما، وكان مما يحيرني حقاً من أمر هذا الكتاب، هو كيف ولماذا يؤلف رجل كلبي من العرب كتاباً في مثالب قومه؟ ما مصلحته في هذا؟ وما دافعه إليه؟ ثم يكتب هذا في بلد عربي في ذروة مجد العرب وسلطانها، وليس في وقت ضعفها وتكالب الأمم عليها، ثم لا يجد من يحرق هذا الكتاب ويعاقب صاحبه، إنما ينقل ويستنسخ جيلاً بعد جيل، وتحفظ به المكتبات، ويشير إليه المفهرسون. وهب أن هذا الرجل كان ساقط المرءوة، حقير النفس، لم يجد حرجاً من شتم قومه وثلبهم، فكيف يُفسرُ إذن أنه لم يكن بدعاً في هذا، وإنما كثر من شاركه فيه من العرب مثل الهيثم بن عدي الطائي، وعوانة بن الحكم الكلبي، وأحمد بن محمد العدوي القرشي، وأبي عمر العمري القرشي، وأبي الفرج الأصبهاني الأموي القرشي، هاؤلاء جميعاً من العرب ولكل منهم، كتاب أو أكثر في المثالب^(١)، ومثلها أو أكثر في المناقب؛ مناقب العرب عامة أو مناقب قبيلة من قبائلهم أو علم من أعلامهم^(٢).

فلو تركنا العرب جانباً، لوجدنا مثلهم ممن ألف في مثالب العرب، من الموالي والأعاجم كأبي عبيدة معمر بن المثنى وأبي الحصين الأصبهاني وعلان الشعبي. فإذا صرفنا ذلك منهم إلى كراهية العرب والشعبوية، وهو مما لا يمكن استبعاده عن بعضهم، فكيف تفسر كثرة ما ألفه هاؤلاء الأعاجم في مناقب العرب ومآثرها، كيف تفسر أن يكون لأحمد بن محمد العدوي القرشي كتاب في المثالب وآخر في الرد على الشعبي. وأن يكون لأبي عبيدة المولى كتاب في المثالب وآخر في مآثر العرب، وكتاب في مثالب باهلة وآخر في مناقبها، وأن يكون لعلان الشعبي كتاب في مثالب العرب، وكتابان في فضائل كنانة وفضائل ربيعة.

أ يكون هاؤلاء العلماء قد بلغوا من التجرد العلمي والموضوعية العلمية والحياد في البحث والتأليف إلى مثل هذه المثالية العلمية الرفيعة في التجرد عن نوازع التعصب القبلي والقومي.

كل هذه الأسئلة المحيرة، دفعتني دفعاً إلى استعارة مخطوطة هذا الكتاب من مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب.

ورغم ضيقي بالكتاب وكراحتي له، وإحساسي أنه يمثل استفزازاً لتعصبي الطبيعي للعرب، كما يتعصب كل إنسان سوي لقومه وأهله عادة، فطرة الله التي فطر الناس عليها. وعصبية الرجل لقومه - أي قوم - ما يحمد له ومن كمال المروءة فيه. وبروح عدائية مستفزة بدأت قراءة الكتاب، وشيئاً فشيئاً هدأ الغضب وخفَّ الاستفزاز وسكنت الكراهية، وإذا بالكتاب أهون أمراً، وأقل شراً مما توهمت، وأن عنوانه لم يكن دقيقاً تماماً في الدلالة على ما فيه، وفوجئت أن لا جديد في معظم ما ذكره الكتاب، وأني قرأت كثيراً من مادته في كتب التاريخ القديم وكتب الأدب عامة، وأنه من المعارف العامة الشائعة المتداولة.

والحق أن التأليف في المثالب عامة، ومثالب هذه القبيلة أو تلك، أمرٌ كثير التأليف فيه، طوال العصر العباسي، وهو عندهم مرافق للتأليف في مناقب العرب عامة والقبائل والأفراد، وقد رأيت كيف أن الرجل يؤلف في الموضوعين كليهما، فيضع كتاباً في مثالب العرب، وآخر في مناقبها، وكتاباً في مثالب تميم وآخر في مناقبها.

إذن فالمسألة ليست مصروفة عندهم إلى التعصب للعرب أو التعصب عليها، إنما هي موضوعات صالحة للكتابة، وقد توفرت مادتها عندهم من شعر العرب وأخبارها، ثم أنني وجدت ذلك خاصة عند الأخباريين وعلماء النسب، أولئك العلماء الذين وقفوا جهودهم على البحث في أنساب العرب وأخبار قبائلها، وسير المشهورين من أعلامها، وهي أمور تتصل بدراسة الشعر وشرحه،

ولهجات القبائل، وعلم الجرح والتعديل في دراسة الرجال، فتجمع عندهم من ذلك مادة صالحة كثيرة في مناقب الأفراد ومثالبهم، وكلما استفاضت شهرة قوم وعلت مكانتهم، كثرت أخبارهم وذاع ما شهروا به مما يُحمدون به ويُذمُّون عليه، يستوي في ذلك الأفراد والقبائل والأمم، ومن هنا جاء هذا الاهتمام الاستثنائي بقريش، وكثرة ما ذُكر من مناقبها ومثالبها، التي هي في الحقيقة مناقب ومثالب المشهورين من رجالها.

ولا ننكر أن العرب جنس من البشر وأمة من أممهم، لها حسناتها وسيئاتها، التي هي مجموع حسنات المتتمين لها وسيئاتهم، وليس ذلك وقفًا على العرب خاصة، إنما هو أمر عام في جميع الأمم والشعوب والأفراد، ولا نعلم أمة على وجه الأرض مبرأة من العيوب، وأنها حسنات كلها، إنما ذلك من صفات الملائكة، كما لا نعلم أمة خلوا من المحامد والحسنات.

إذن فللعرب مفاخر ومناقب ومآثر، يجدها من يبحث عنها مسجلة مدونة في أخبارها وآثارها وأدبها، ولها مثالب كغيرها من الأمم، يجدها من يبحث عنها أيضاً في أخبارها وأدبها.

فالذين كتبوا في مناقب العرب، لم تدفعهم إلى هذا عصبيتهم لها، وبعضهم قوم من الأعجام، والذين كتبوا في مثالبها، لم تدفعهم عصبيتهم عليها، وبعضهم من أبنائها. إنما هم قوم بحثوا وألفوا في الأنساب والسير والتاريخ فتجمع لهم من هذا وذاك مادة صالحة في المناقب والمثالب، فجعلوا من ذلك كتباً مستقلة وضرباً من التأليف لم ينكره عليهم منكر، ولم يجدوا في أنفسهم منه حرجاً، وهم، بعد، لم يخترعوا مقياساً للمناقب والمثالب لا علم للناس به، إنما ساروا في ذلك على ما سارت عليه العرب في مثاليها الخلقية، وفيما حمدته من أخلاقها وعدته من مناقبها، وما كرهته من أخلاقها وعدته من المثالب، مع اختلاف المعايير الأخلاقية في المحمود والمذموم بين البادية والحاضرة، وبين

عصر وعصر، ومن ذلك مثلاً أن الصناعات والحرف مذمومة في البادية، مُستنكفٌ من مزاولتها، وهي ليست كذلك في الحواضر، ومن ذلك أن الزنا والربا وشرب الخمر ولعب الميسر، من المذموم المحرم في الإسلام، ولم يكن كذلك في الجاهلية، إنما كان الرجل يفخر بذلك ويباهي، ويراها دليلاً على الوجاهة والفتوة.

ثم ما يكون شعر المديح والفخر والرثاء عند العرب غير سجل لمناقب الأفراد والقبائل، وما يكون شعر الهجاء غير مسجل لمثالب الأفراد والقبائل، وما تكون نقائض جرير والفرزدق غير مناقب تميم ومثالبها، وما تكون نقائض جرير والأخطل غير مناقب تميم وتغلب ومثالبهما، وما يكون شعر حسّان في الردّ على المشركين ومديح الرسول ﷺ وأصحابه، غير مناقب قريش ومثالبها. ثم ما يكون شعر المفاخرات العدنانية القحطانية، غير سجل مناقب العرب ومثالبها، لا يغادر الشاعر منها شيئاً ولا يتحرج من ذكر ما يقبح ذكره، ومن ذلك قصيدة الكميت المشهورة في مناقب العدنانيين ومثالب القحطانيين، وقصيدتا أبي نواس ودعبل في مناقب القحطانيين وذم العدنانيين.

وإذن ما الذي فعله المؤلفون في المناقب والمثالب غير اعتمادهم على ذلك الشعر وما يؤزره من الأخبار، وكل ذلك مشهور معروف متداول، لم يأتوا بشيء من عندهم، ولا أذاعوا ما خفي على الناس أمره، واستترت حقيقته، ثم إنهم لم يقتصروا في ذلك على العرب وحدهم، إنما تجاوزوا ذلك إلى ما توافرت مادته العلمية عندهم، مع شغف خاص بالمتناقضات من الأمور، وعلى هذا كتب الجاحظ في مناقب الترك وفضل السودان على البيضان، وهاشم وعبد شمس، ومفاخرة الجواري والغلمان، وذم النبيذ ومدحه، ومناظرة الكلب والديك في المحمود من أمرهما والمذموم... إلخ.

مؤلف الكتاب: وبعد هذه المقدمة وقبل استعراض الكتاب والتعريف به، لا بد من الوقوف على سيرة مؤلف الكتاب وآثاره:

هو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي^(٣)، قال ياقوت في صفته (النسابة، العلامة، كان عالماً بالنسب وأخبار العرب وأيامها ووقائعها ومثالبها)^(٤). وكان أبوه مثله عالماً مفسراً أخبارياً نسباً، وقد أخذ عن أبيه معظم مروياته وعن محمد بن سعد كاتب الواقدي وعن الهيثم بن عدي.

ثم ذكر مجموعة من مؤلفاته في الأنساب والأخبار والمناقب والمثالب^(٥). وأشهرها من المطبوع المتداول كتاب «الأصنام» الذي حققه أحمد زكي باشا، وأثنى على علم صاحبه ودقته وشدة تحريه وتورعه في النقل، وقال فيه: (وإنما نعتقد أنه من جهابذة العلماء الذين تفتخر بهم الحضارة العربية، في تقييد كثير من الشوارد والأوابد، وفي تدوين طائفة كبيرة من المعلومات التاريخية والجغرافية، وأنا لا أدري كيف أجمع أهل الحديث على تجريح هشام مع أنه كثير الاحتياط في نقل الأخبار، يدل على ذلك مبدؤه الذي كان يعبر عنه بقوله (الإسناد في الخبر مثل العلكم في الثوب)^(٦) وكتاب «أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارهما»، وقد نشره أيضاً العلامة الأستاذ أحمد زكي باشا. (وذلك عام ١٩٤٦). ونشره قبله المستشرق دلافيدا بليدين عام ١٩٢٨ مع كتاب «أسماء خيل العرب» لابن الأعرابي. ونشره بعده د. نوري القيسي ود. حاتم الضامن ببغداد عام ١٩٨٥ ثم بيروت عام ١٩٨٧).

وأول من ألف في الأنساب محمد بن السائب والد المؤلف، وأكمل ابنه عمله وأتمه في كتاب «النسب الكبير» المعروف بـ «جمهرة النسب»^(٧) والذي نشره الأستاذ عبدالستار فراج في الكويت سنة ١٩٨٣، ثم نشره تامة الدكتور ناجي حسن بيروت عام ١٩٨٦). واختصره ياقوت الحموي بكتابه «المقتضب من كتاب جمهرة النسب». وقد حققه ونشره وقدم له زميلنا الدكتور ناجي حسن، مشيراً في مقدمته إلى مخطوطات «جمهرة النسب» وأماكن وجودها^(٧). ويبدو

أنه لم يطلع على نشرة المرحوم عبدالستار فراج للكتاب. كما نشر الدكتور محمد حميد الله للمؤلف كتابه الفريد «أسواق العرب»^(٨).

وقد أبدى عدد من العلماء القدماء إعجابهم بالمؤلف وكتبه، كابن خلكان الذي وصف كتاب النسب بقوله: (لم يُصنف في بابه مثله)^(٩) وياقوت الحموي الذي قال: (لله درّه، ما تنازع العلماء في شيء من أمور العرب، إلا وكان قوله أقوى حجة، وهو مع ذلك مظلوم، وبالقوارص مكلوم)^(١٠).

وقد هاجمه علماء الحديث بشدة، وأنكروا حمل الحديث عنه، واتهموه بالكذب والتلفيق، كالإمام أحمد بن حنبل الذي قال فيه: (كان صاحب سير ونسب، ما ظننت أن أحداً يُحدّث عنه)^(١١) وقال الدارقطني والذهبي وابن العماد: إنه متروك الحديث^(١٢)، مع اعترافهم أنه كان حافظاً أخبارياً علامة. وقال السمعاني إنه (يروى الغرائب والعجائب والأخبار التي لا أصول لها)^(١٣).

كما اتهمه أبو الفرج صراحة بالكذب والتدليس غير مرة، وقال إن الأخبار التي ذكرها عن دريد بن الصمة (موضوعة كلها، والتوليد بين فيها وفي أشعاره)^(١٤) ثم قال: (وهذا من أكاذيب ابن الكلبي)^(١٥) وذكره ثالثة بقوله: (ولعل هذا من أكاذيب ابن الكلبي)^(١٦) ومع هذا فإن كتاب «الأغاني» طافح بكثرة نقوله عنه.

وقد ذكره الجاحظ بين علماء النسب، ونقل عنه كثيراً في «الحيوان» و«البيان والتبيين»، إلا أنه شكك في صحة مروياته عن قريش وصدر الدولة العباسية ودعوتها، مقابلة بما سمعه من إبراهيم بن السندي مولى العباسيين عن أعيان البيت العباسي ووجوهه (من وجهاء العباسيين وأعيانهم عبدالملك بن صالح والعباس بن محمد واسحق بن عيسى... إلخ، وهاؤلاء كانوا أعلم بقريش وبالذروة وبرجال الدعوة ومن المعروفين برواية الأخبار، وكان إبراهيم بن السندي يحدثني من هاؤلاء بشيء هو خلاف ما في كتب الهيثم بن عدي وابن الكلبي، وإذا سمعته علمت أنه ليس من المؤلف المزور)^(١٧).

وقال في موضع آخر: (ولقد تتبع أبو عبيدة النحوي وأبو الحسن المدائني وهشام بن الكلبي والهيثم بن عدي، أخباراً قد اختلفت، وأحاديث قد تقطعت، فلم يدركوا إلا قليلاً من كثير، وممزوجاً من خالص، وعلى كل حال فإننا إذا صرنا إلى بقية ما رواه العباس بن محمد وعبد الملك بن صالح.. عرفنا بتلك البقية كثرة ما فات، وبذلك الصحيح، أين موضع الفساد، مما صنعه الهيثم بن عدي وتكلفه هشام بن الكلبي)^(١٨).

ولعل القارئ الكريم قد لاحظ أن تكذيب الرجل وعدم الثقة فيه، لم يقتصر على مروياته من الحديث الشريف، وهو يعلم أن موقف علماء الحديث المتشدد له ما يبرره تماماً، وهو ليس مقصوراً على ابن الكلبي وحده وإنما هو موقف عام من جميع رواة الأخبار والسير، ولكن ذلك شمل أيضاً مرويات الرجل في الشعر والأخبار التاريخية.

وقد عزا الأستاذ (بروكلمان) هذا الموقف المتشدد منه إلى المنهج الجديد الذي اتبعه الرجل في جمع مادته وكتابتها، وقال: (وكان أعظم الفضل في حفظ هذه الأخبار والآثار، يعود إلى الكلبيين محمد بن السائب وابنه أبي المنذر هشام ابن محمد وعنهما أخذ المتأخرون... واقتفى هشام بن محمد خطوات أبيه، وسار على أثره، وحاول أن يتم ما جمعه، بالبحث والتنقيب في الآثار التي كانت لا تزال باقية بكنائس الحيرة، ليستكمل بذلك، تاريخ اللخمين ومشاهدتهم، وصنف ما وصل إليه من ذلك، وكان هذا المنهج غير المؤلف في البحث، سبباً في إثارة التهم وتوجيه المطاعن إليه من قبل المعاصرين، وعلى الرغم من أنه لم يفقد حماة متحمسين للدفاع عنه، فقد وصمه آخرون بأسوأ التهم، من مجافاة النقد الصحيح والخبر الوثيق، بل وسموه كذلك بالكذب، ولكن البحث الحديث قد أكد كثيراً من أقواله التي وجه إليها معاصروه التشكك المريب والنقد اللاذع)^(١٩).

والحق أننا لا نستطيع تكذيب الرجل في كل ما رواه، لا سيما تلك المرويات

الموثقة شعراً والأخرى التي استفاض ذكرها في جميع كتب التاريخ والأدب، ولم يتفرد هو بروايتها، مثل حديثه عن زنا امرئ القيس وربا العباس بن عبدالمطلب واختلاف الناس في والد زياد بن أبيه، وما كان يمارسه بعض مشاهير الصحابة من حرف وصناعات، ومقابلة هند أم معاوية في جماعة من النسوة رسول الله ﷺ وعشرات غيرها من أخبار وقصص معروفة متداولة.

ولانستطيع تعديله تعديلاً مطلقاً في كثير من مروياته عن الجاهلية الأولى، وما نسبه إلى كثير من المغمورين الذين لا نعرف شيئاً من أخبارهم وسيرهم.

وصحيح أنه يسند كل خبر يورده إلى الرواة الذين سمع عنهم، ولكن الصحيح أيضاً أن بعض أولئك الرواة لم يكونوا فوق مستوى الشبهات، وأنهم متهمون مثله في أمانتهم وموصومون بالكذب والتلفيق.

وقد توفي أبو المنذر سنة ٢٠٤هـ وترك وراءه مئة وخمسين مصنفاً، ضاع معظمها بين سمع الأرض وبصرها.

كتاب «المثالب» لابن الكلبي: كذا ذكر عنوان الكتاب مفرداً بلفظة (المثالب) غير مضاف إلى العرب، في أعلى الورقة الأولى من مخطوطة الكتاب^(٢٠)، وكذلك ذكره من ترجم لصاحبه من القدماء كابن النديم وابن خلكان وياقوت الحموي^(٢١)، وكذلك ذكر ابن النديم كتب أبي عبيدة وعلان والهيثم بن عدي وأحمد بن محمد العدوي القرشي، في المثالب مفردة غير مضافة إلى العرب أو غيرهم^(٢٢). بينما ذكر غيرها مضافة إلى من ألفته فيه، مثل مثالب ربيعة للهيثم ومثالب ثقيف لأبي الحصين، ومثالب باهلة لأبي عبيدة ومثالب أبي نواس لابن عمّار الثقفي^(٢٣).

ومعنى ذلك أن أحداً من أولئك المؤلفين لم يسم كتابه مثالب العرب صراحة ولم ينسبه إليها، ولم يشر أحد إلى كتابنا هذا مضافاً إلى العرب غير (بروكلمان)^(٢٤) قصداً أو سهواً وهو مخالف للعنوان الذي أراده المؤلف لكتابه،

إذ هو لم يقصد فيه العرب عامة، وإنما ذكر مثالب المذكورين فيه خاصة دون سواهم. وهم أفراد من العرب وليسوا جميعهم.

والحق أن إبراز المناقب والمآثر هو الطابع الغالب على مؤلفاته، وعنواناتها تدلّ دلالة صريحة على ذلك، وهي أحلاف العرب، والمنافرات، وبيوتات قريش، وفضائل قيس عيلان، وبيوتات ربيعة، وشرف قصي بن كلاب وولده في الجاهلية والإسلام، وألقاب قريش، وربيعه، وقيس عيلان، واليمن، وملوك كندة، وبيوتات اليمن، والمعرقات من النساء من قريش، والمعمرون، وأديان العرب وأحكامها، ووصاياها، وأزواج النبي ﷺ، والوفود، ومن فخر بأخواله من قريش^(٢٥).

ويقع كتاب «المثالب» (نسخة كلية الآداب) في ٦٨ ورقة مطبوعة على الآلة الكاتبة، وهي منقولة عن نسخة الآثار التي تقع في ١٣٢ صفحة، ناقص الآخر، غير تام، مضطرب المقدمة، وقد سقطت مجموعة أوراق من منتصفه، (بعد ص ٩٤ و ص ١١١).

وقد كتب بخط حديث، نسخ قسمه الأول السيد حسين جميل، ونسخ قسمه الثاني السيد إبراهيم الدروبي البغدادي، في ٢٠ شباط سنة ١٩٥٠، نقلاً عن نسخة محفوظة في مكتبة الآثار ببغداد، رقمها (١٣٠)، ولا يوجد تاريخ نسخ ولا إشارة إلى ناسخ مخطوطة الآثار الأولى. وقد كتبت هذه المعلومات على ظهر آخر ورقة من مخطوطة كلية الآداب.

وذكر الأستاذ (بروكلمان) وجود نسخة من هذا الكتاب مع نسخة من كتاب «المثالب» للهيثم بن عدي عند الأستاذ (كرنكو) وأن هذه النسخة منقولة عن مجموعة أحمد زكي باشا، وهي ترجع إلى النجف^(٢٦). ورجح أنها منقولة عن كتاب «الموفقيات» للزبير بن بكار. وقد أنكر الزميل الدكتور سامي العاني قول (بروكلمان) هذا، وقال إنه لم يجد ما يؤيده عند مقابله مخطوطة المثالب بالموفقيات^(٢٧). وصحيح أنه لا يوجد شيء من المثالب فيما طبعه الدكتور العاني

من الموفقيات، والتي تمثل القسم السادس عشر إلى التاسع عشر من أصل تسعة عشر قسمًا، ولعل (بروكلمان) قد اطلع على ما نظنه مفقودًا من مخطوطات الأقسام الخمسة عشر الباقية من الكتاب، ورأى فيها ما يؤيد قوله ذلك.

ولا نعلم من روى هذا الكتاب عن مؤلفه، ولم نجد له ذكرًا في ثناياه، وقد بدأ بمقدمة مضطربة وكلام غير مفهوم عن أنساب العرب، على هذا النحو: (قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي: العرب وأنسابها، الحارث بن حلزة اليشكري ابن العذري من بني الحرث بن لأي من قضاة، قبله البكري والأخزر التغلبي وعبد ربه الجهني... بن يرعب التيمي ومحمد بن السائب الكلبي قال: أنبأ أبو ح... قال حدثنا هشام عن أبيه عن أبي الصالح قال: كان في قريش أربعة يتحاكمون إليهم ويقبل قولهم... إلخ) (٢٨).

ثم يأتي بعد هذا الكلام المضطرب حديث عن علماء النسب القرشيين، وقصة نسب بني سامة بن لؤي (*)، ثم يبدأ الباب الأول من الكتاب من الورقة ٨ وعنوانه باب التجارات، ولا نجد علاقة واضحة بين الحديث عن الأنساب وما يتلوه من التجارات.

وقد حاول المؤلف أن يسير في كتابه على منهج من التقسيم والترتيب لمواده، فجعله أبوابًا، أولها باب التجارات ثم قسمه أقسامًا على أنواعها، وذكر مع كل نوع أسماء من يتعاطاه من الناس، وقد اقتصر فيه على رجال قريش خاصة ومشاهير الصحابة الأجلاء، ومن أمثلة ذلك قوله: (من كان يبيع البز: أبو بكر وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وعبدالرحمن بن عوف. ومن كان عطارًا: أبو طالب وأبو عبيدة بن الجراح وهشام بن المغيرة، وعبدالله بن جدعان، ومن كان يختلف في التجارات عمر بن الخطاب في تجارات بني عدي وأبو أمية المخزومي.. إلخ) (٢٩).

ثم يستمر الحديث على هذا النحو في ذكر أصحاب الصناعات من قريش من النبالين والخصافين والقيون الذين يعملون السيوف، والمعلمين والخياطين والجزازين والحجامين والديباغين والمرابين والمغنين. حتى الورقة ١٩.

ومع أن الرجل لم يشر إطلاقاً بكلمة مثلبة أو مثالب إلى هذه المهن، إلا أن ذكرها في كتابه هذا يدعو إلى العجب والاستغراب، ولم نسمع أحداً من العرب عدَّ التجارة والتعليم مهناً مستهجنة، وقد كان الرسول الأعظم ﷺ يختلف في تجارة السيدة خديجة رضي الله عنها.

وكل ما ذكره من المهن والصناعات مما يحمده أهل الحواضر ولا يجدون بأساً في مزاولته، وقد كانت قريش من أهل الحواضر، ولم تكن بادية تستنكف هذه المهن وتترفع عنها، والغريب حقاً أنه لم يذكر الزراعة والحياكة بين المهن المذمومة، مع ورود ذلك في شعر العرب وآثارها، والأغرب من هذا كله أن يطبق الرجل المتحضر هذا مقياس البدو الأخلاقية على أهل الحاضرة في ما هو حسن وما هو قبيح من الأعمال.

ثم ينتقل من التجارات والصناعات إلى أمر بعيد عنها كل البعد، فيتحدث عمّن سرق وقُطعت يده في الجاهلية والإسلام، ثم يتلو ذلك باب البغائين والمخنثين ومن يضرب الدف. ثم يتحدث عن الأدياء من قريش وغيرها من العرب والزناة من قريش في الجاهلية ومن أشرف العرب مثل امرئ القيس وعامر بن الطفيل^(٣٠)، ثم ذكر من شرب الخمرة من قريش.

وهو في مسألة الزنا وشرب الخمرة إنما يطبق مقياساً إسلامياً عدّها من الرذائل المحرمة، ولم تكن معدودة كذلك في الجاهلية، وإنما يحاكم الناس بمقاييس عصرهم وأعرافه، وليس بمقاييس العصر الذي جاء بعدهم ولم يدركوه. ثم يستطرد من ذلك إلى ما حرمه الإسلام من نكاح الجاهلية، وإلى قصص مقحمة من المشهور المعروف كقصة مسافر بن عمرو مع النجاشي والسحرة، ومبايعة هند أم معاوية ونسوة معها لرسول الله ﷺ وينتقل من هذا إلى ذوات الرايات وأمهاتهن ومن ولدن، وقد كُنَّ جميعاً من الجوارى والإماء المملوكات من العبيد والسبي من أمم أجنبية، ليس فيهن واحدة من العرب،

وأسماءهن معروفة في كتب التاريخ والأخبار ويتلو ذلك أسماء المولودين من سفاح، وأسماء أولاد الزنا الذين شرفوا من العرب ويذكر فيهم النعمان بن المنذر والحطيئة وعامر بن الطفيل والفرزدق وروح بن زنباع^(٣١).

ثم يبدأ باب الأمهات (الورقة ٤٩) السوداوات والجواري، يتلوه أبناء الحبشيات من قريش ومن الأمويين والعباسيين والعلويين وسائر العرب، وأبناء النصرانيات الروميات والسنديات والنبطيات واليهوديات.

وغير أن يعد هذا من المثالب ثم يصم العباسيين به، في أيامهم وسلطانهم. ثم باب الحمقى من قريش والعرب وقصصهم ونواديرهم في هذا، ومن وفد منهم على الخلفاء، وحديث عن زواج المتعة ونهي عمر عنه، وعودة ثانية إلى المنجيين من قريش ومن العرب والحمقاوات من النساء.

وأعتقد أن كتاب ابن الكلبي ينتهي بعد هذا الحديث عند الورقة ٧٢.

إذ يبدأ من الورقة ٧٣ وما بعدها حديث معاد مكرور لما سبق ذكره من معلومات، مثل أسماء أشرف المعلمين وفقهائهم، ومن كان قينًا من قريش وأسد وتميم وسليم وخزاعة، ثم باب أدعياء الجاهلية ومن ولد على فراش أبيه.

وهذا كله مما تقدم الحديث فيه، ثم يتلوه باب من دفع الإسلام ثم أقرب به، وباب أبناء الودائع الأشرف، أي من كانت أمة وديعة عند رجل فحملت منه، ثم باب الشدادين من الأشرف وهم الزناة، حتى الورقة ١١٠، وكل ما ذكر بين الورتين ٧٣ - ٨٣ من كلام الهيثم بن عدي، وأعتقد أنه منقول عن كتابه في المثالب، وأن الناسخ أراد كتابة نسخة واحدة ملفقة من كتابي الرجلين، وهو ما يفسر التكرار في الموضوعات، والاقتصار على اسم الهيثم وعدم ذكر اسم هشام الكلبي في هذه الأوراق، ويبدو أن النقل كان عن نسخة متأخرة الرواية، فنحن نعلم أن هشام بن محمد الكلبي توفي سنة ٢٠٤هـ على ما رجحه ابن خلكان،

وتوفي الهيثم بن عدي سنة ٢٠٧هـ. ثم نجد الراوية المجهول لهذا الكتاب، يشير في الورقة ٧٥ منه إلى تاريخ قراءته لكتاب الهيثم بعد تسعين سنة من وفاته، قال: (قرأتُ على أبي الحسن علي بن أحمد بن الخليل الأنصاري الكاتب يوم الأربعاء لليلة خلت من شهر رمضان سنة ست وتسعين ومائتين...).

ثم يبدأ الناسخ عودته إلى كتاب هشام مرة أخرى من الورقة ٨٤ وينقل عنه طائفة من شعر حسان وقصصاً عن محاكمة عمر للمغيرة بن شعبة ومخاصمة أبي بكر لأخيه زياد بن أبيه، وأخباراً عن جنازة المغيرة، يتلوه ذكرٌ لبعض المنجبات من النساء، وكل ذلك استطراد لا علاقة له بموضوع الكتاب، ثم يتلوه ذكرٌ للضعفاء من قريش، وقصة لابن أبي عتيق مع الشيبني سادن الكعبة المشرفة، وقصة معاوية بن مروان وريان بن أنيف الكلبي والد زوجته، وفي آخر ورقة من الكتاب، وهي الورقة ١٣٢ كلام ناقص مبتور يتلوه بياض، وهو: (وقال الضحاك ابن زمل: استخلف عبد الملك أخاه معاوية على دمشق فخرج متزهاً...).

وهكذا ينتهي الكتاب ناقصاً ساقط الأول والآخر، كما بدأ مضطرب المقدمة غامضها.

ملاحظات على الكتاب: وبعد هذا التعريف الوافي بموضوعات الكتاب وأبوابه وعنواناته، لعل القارئ الكريم يشاركني الرأي في الملاحظات الآتية:

١- إن الرجل تحدث عن بعض العرب لا عن جميعهم وخصّ قريشاً بمعظم حديثه لشهرة رجالها واستفاضة أخبارهم ودقائق سيرهم.

٢- لم يذكر كلمة مثلبة ولا مثالب في كل الكتاب عدا عنوانه، ولم يذكر رأياً شخصياً له ولم يناقش شيئاً مما ذكره مؤيداً أو معارضاً، وكل ما في الكتاب منقول عن الرواة، وأكثر من نقل عنهم أبوه عن أبي صالح عن ابن عباس، وكذلك روى عن أبي عبد الرحمن المدني عن محمد بن إسحق، وعن أبي

السائب المخزومي عن الزهري عن سعيد بن المسيب وعن خالد بن سعيد وعوانة بن الحكم والهيثم بن عدي.

أما روايات الهيثم بن عدي فقد جاء معظمها عن معروف بن خربوذ^(٣٢).

٣- لم يكن الرجل مؤلفاً بالمعنى المعروف، وإنما كان جماعاً للأخبار من أفواه الرواة، ومسؤوليته في هذا مسؤولية الراوي لكلام غيره.

٤- لم يقل إن هذا الذي ذكره من المثالب يمثل وجهة نظره الشخصية، وإنما عكس آراء الناس في هذا بمقاييسهم المختلفة بدوية وحضرية ودينية. فحاسب الحضرة بمقاييس البدو وحاسب الجاهليين بمقاييس الإسلام، كما خلط بين الأعمال والأخلاق.

٥- اعتمد على الشعر كثيراً في الاستشهاد على ما يقول، لا سيما شعر الهجاء، وهو شعر لا يتخذ دليلاً على خلق المهجو، ويحتمل الكثير من الكذب والتهويل والمبالغة، وإن كان يدلّ دون شك على الأخلاق المذمومة التي تؤذي من تنسب إليه بمعايير عصره وأعرافه.

وكان الشعر غزيراً في كتابه هذا، كما هو في كتابيه عن الأصنام وأنساب الخيل، وكان أكثر استشهاداً بشعر حسّان ويتلوه شعر عثمان بن الحويرث وعتيبة الأسدي ويعلى بن المنبّه وعبدالرحمن بن حنبل وذو الرمة وجريير وأبي طالب وأمّية بن خلف والأخطل وجارية بن بدر والأقيشر وأبي قتيبة الأموي والأعشى.

٦- إن كثيراً مما ذكره لا دليل عليه من الشعر، وليس من مآثور الأخبار ومشهورها، وهو يتصل بأناس مغمورين من الجاهليين، ولا يمكن التأكد من صدقه أو كذبه، على تساوي ذلك فيه، لقلّة قيمته وعدم جدواه.

٧- يبدو أنه نقل بعض موضوعات هذا الكتاب، من كتبه الأخرى المؤلفة فيها، وهي المنافرات، والمعرقات من نساء قريش، وأمّهات الخلفاء، ومناح

أزواج العرب، وأديان العرب وحكام العرب، وصنائع قريش، وأخبار زياد بن أبيه، وكتاب السمر.

٨- في الكتاب كما ذكرنا سابقاً كثير من المفاجرات والقصص التي ذكرت استطراداً وترويحاً، وهي كلها من المشهور الذي ذكرته كتب الأدب الأخرى، وليست له علاقة واضحة بموضوع الكتاب، وإنما أقحمت عليه إقحاماً.

٩- إن هذا الكتاب، عدا ما فيه من شعر، ربما كان بعضه غير منشور حتى الآن، أو أن فيه ما قد يُستدرك على المنشور من شعر هذا الشاعر أو ذاك.

أقول: إن الكتاب قليل القيمة، ضئيل الفائدة، عنوانه أكبر من محتواه، وهو لا يقدم جديداً للباحثين، إذ أن معظم ما فيه منشور مفرق في كتب التاريخ والأدب العامة وفي سير المشاهير وكتب الأنساب والألقاب. ومما يُغني عنه تماماً في موضوعه من الكتب المنشورة^(٣٣)، كتاب «المردفات من قريش» للمدائني «ومن نُسب إلى أمه من الشعراء» لمحمد بن حبيب و«تحفة الأبيه فيمن نُسب إلى غير أبيه»، لمجد الدين الفيروز آبادي.

وكان محمد بن حبيب أبرز تلامذة ابن الكلبي، وأكثرهم أخذاً عنه واعتماداً عليه، ولا نغالي، أن نقول: إن معظم مادة كتابي «المحبر» و«المنمق» وأخبارهما، منقولة عن كتب ابن الكلبي. فقد نقل عنه في «المحبر» فيما يزيد على العشرين موضعاً^(٣٤). وأشار محقق «المنمق» في مقدمته إلى كتب ابن الكلبي التي نقل عنها ابن حبيب^(٣٥)، في موضوعات مختلفة من الكتاب^(٣٦). ولم يشر محقق «المنمق» إلى كتابنا هذا، بين مصادر ابن حبيب، لأنه لم يره ولم يطلع عليه.

وقد أغار ابن حبيب على كتاب «المثالب» هذا، ونقل منه اثني عشر موضوعاً في كتابيه السالفين، نقلاً حرفياً أو بتصرف، وهو يشير إلى ابن الكلبي مرة، ويغفله أخرى، وهذه الموضوعات هي:

رقم الصفحة	النقل عنه في المنمق ورقم الصفحة	عنوان الموضوع في المثالب ورقم الصفحة	النقل عنه في المعبر ورقم الصفحة
-	٤٨٣	حكم المفاخرات	١
٣٢٨	٥٣٠ نقلًا حرفيًا	من قطعت يده في سرق	١١ - ١٢
-	٤٩٥	المحدودون من قريش	١٧
-	٤٦١	حديث مسافر بن عمرو و هند	١٩
٣٠٦	٥٠٣ نقلًا حرفيًا	أبناء الحبشيات من قريش	٣٠
٣٠٥	٥٠٨	أبناء النصرانيات	٣٢
-	٥٠٥ نقلًا حرفيًا	أبناء السنديات	٣٢
-	٥٠٥	أبناء النبطيات	٣٣
-	٥٠٦	أبناء اليهوديات	٣٣
٣٧٩	٤٨٩	الحمقى من قريش	٣٤ - ٣٧
٤٧٥ نقلًا حرفيًا	-	أسماء أشرف المعلمين وفقائهم	٣٨
١٦١	٤٨٧	زنادقة قريش	٥٧

١٠- وأظن أن هذه النسخة ليست كتابًا واحدًا، وإنما هي مجموع ملفق من أربعة كتب، ثلاثة منها لابن الكلبي والرابع للهيثم بن عدي، وأن الناسخ اختار شيئًا من كل كتاب، ثم ضم بعضها إلى بعض على النحو الآتي:

أ- الأوراق (١ - ٧) في الحديث عن الأنساب منقولة عن أحد كتب ابن الكلبي في الأنساب.

ب- الأوراق (٨ - ١٨) في الحديث عن تجارات قريش وصناعاتها، منقولة عن كتاب «صنائع قريش»^(٣٧) لابن الكلبي.

ج- الأوراق (١٩ - ٧٢) والتي تبدأ بمن سرق وقُطعت يده في الجاهلية

والإسلام، منقولة عن كتاب «المثالب» لابن الكلبي، وهو معظم الكتاب.
د- الأوراق (٧٣ - ٨٣) والتي تبدأ بأسماء أشرف المعلمين وفقهائهم،
منقولة عن كتاب «المثالب» للهيثم بن عدي.

هـ- الأوراق (٨٤ - ١٣٢) نهاية الكتاب، والتي تغلب عليها القصص
والمفاخرات، ربما كانت عودة لكتاب «المثالب» لابن الكلبي، أو منقولة من
كتاب آخر من كتبه الكثيرة في المفاخرات والمنافرات.

١١- كما أظن أيضاً أن الراوية المجهول الذي روى هذا الكتاب عن ابن
الكلبي، والذي لم تذكر غير كنيته مبتورة في الورقة الأولى، على هذا النحو:
(قال أنبأنا أبو ح... قال: حدثنا هشام عن أبيه).

فلم نعرف من اسم ابنه غير حرفه الأول، وهو الحاء (ح)، أقول ربما كان هذا
الراوية المجهول، هو نفسه أبو الحسن علي بن الصباح بن الفرات الكاتب، الذي
روى كتاب «الأصنام» عن ابن الكلبي وقرأه عليه سنة ٢٠١هـ، كما هو مذكور في
الورقة الخامسة من الكتاب المذكور، الذي نشره المرحوم أحمد زكي باشا، وليس
معقولاً بالطبع أن يكون هو الذي قرأ على أبي الحسن علي بن أحمد بن الخليل
الأنصاري سنة ست وتسعين ومئتين، كما ورد في ص ٧٥ من مخطوطة الكتاب،
لطول الفترة الزمنية بينهما، وهي خمس وتسعون سنة، ولعله أحد الرواة المتأخرين
للكتاب. كما يمتنع أن يكون أبا الحسن محمد بن العباس الحنبلي راوية كتاب
«المنمق»، عن أبيه عن أبي سعيد السكري عن ابن حبيب، لأنه ولد سنة
٣٠١هـ^(٣٨)، أي بعد قراءة الكتاب على الأنصاري بخمس سنوات، والله أعلم.

كلية الآداب، بغداد: د. محسن غياض عجيل

الحواشي:

(١) «الفهرست» ١٠٨، ١١٢، ١٢٤ و «وفيات الأعيان» ٣/٣٠٨.

(٢) «الفهرست» ٥٩، ١١٨.

(٣) «معجم الأدباء» ٧/٢٥٠، «وفيات الأعيان» ٦/٨٢ و «الفهرست» ١٠٨.

(٤) «معجم الأدباء» ٧/٢٥٠. (٥) نفسه ٧/٢٥١.

- (٦) «مقدمة الأصنام» ١٥.
- (٧) [العرب: النسب الكبير] و «جمهرة النسب» كتابان اثنان متغايران، والخلط بينهما مما وقع من مفرسي الكتب، ولا يتسع المجال للتفصيل.
- (٧) مقدمة «المقتضب» وانظر بروكلمان ٣/٣١ - ٣٢.
- (٨) بروكلمان، «تاريخ الأدب العربي» ٣/٣٢.
- (٩) «وفيات الأعيان» ٦/٨٢.
- (١٠) «معجم البلدان» ٢/١٥٨.
- (١١) و (١٢) و (١٣) مقدمة «الأصنام» ٢/١٤.
- (١٤) مقدمة «الأصنام» ١٥ و «الأغاني» ١٠/٤٠.
- (١٥) «الأغاني» ١٠/٤٠.
- (١٦) مقدمة «الأصنام» ١٥.
- (١٧) «البيان والتبيين» ١/٣٣٥.
- (١٨) نفسه ٣/٣٦٦.
- (١٩) «تاريخ الأدب العربي»، بروكلمان ٣/٣٠ - ٣١.
- (٢٠) في مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب نسختان برقم ١٢٤ و ٢٠٥.
- (٢١) «الفهرست» ١٠٨ و «معجم الأدباء» ٧/٢٥١ و «وفيات الأعيان» ٦/٨٤ و عجيب حقاً أن يقول المرحوم العلامة أحمد زكي باشا في «الأصنام» ٦٩ (انفراد ابن النديم بذكره).
- (٢٢) «الفهرست» ٥٩، ١١٢، ١١٨، ١٢٤.
- (٢٣) «الفهرست» ١١٢، ١٥٢، ١١٨، ١٦٦.
- (٢٤) «تاريخ الأدب العربي» ٣/٣٢.
- (٢٥) «الفهرست» ١٠٨ - ١٠٩.
- (٢٦) «تاريخ الأدب العربي» ٣/٣٢، ٣٤ ولم يشر المرحوم أحمد زكي إلى وجود هذه النسخة عنده أو إلى عثورها عليها، وإنما ذكر أنه لم يعثر بعد طول تعب وتنقيب في خزائن كتب تركيا ومصر وأوروبا إلا على مختصر جمهرة النسب و «الأصنام» و «أنساب الخليل»: «الأصنام» ٢٣. ولعله عثر عليها، بعد نشره لهذا الكتاب سنة ١٩١٤ ونقلها كرنكو عنه.
- (٢٧) «الأخبار الموفقيات» ٢١.
- (٢٨) الورقة الأولى.
- (*) نقل الأستاذ المرحوم عبدالستار فراج في حواشيه على «جمهرة النسب» لابن الكلبي نصوحاً عن كتابه «المثالب» (مخطوطة دار الكتب)، انظر حواشي «الجمهرة» ١/٤٢٨ - ٤٣٤.
- (٢٩) الورقة ١٠.
- (٣٠) الورقة ٢٩.
- (٣١) الورقة ٥٥.
- (٣٢) معروف بن خربوذ: بفتح الخاء وتشديد الراء المفتوحة، وضم الباء الموحدة، مولى من أهل مكة، وثقة أكثر أصحاب الحديث (انظر «تهذيب التهذيب» ١/٢٣٠ - ٢٣١).
- (٣٣) نشرها المرحوم العلامة عبدالسلام هارون في «نوادير المخطوطات»، مصر ١٩٧٢.
- (٣٤) انظر على سبيل المثال، «المحبر» ١: ٥، ١٢، ٤٠، ١٣١، ١٦٠، ٢١٩، ٢٥٦، ٢٩٦، ٣٢٨، ٣٨٢، ٣٩٢، ٣٩٣.
- (٣٥) «المنقح»، مقدمة المحقق ١٠.
- (٣٦) انظر «المنقح» ٣٢، ٣٤، ٣٩، ٤٤، ٤٤٩، ٤٥٣.
- (٣٧) «معجم الأدباء» ٧/٢٥١.
- (٣٨) «المنقح»، مقدمة المحقق ١٣.

حول أصل مخطوطة هذا الكتاب: أستاذنا محسن غياض عجيب أشار في بحثه الممتع عن كتاب «المثالب» إلى عدد من النسخ، وكنت ممن رغب الاطلاع عليه منذ زمن فصورت لي منه بواسطة أستاذنا الدكتور علي جواد الطاهر نسختان، إحداهما قديمة مصورة عن النسخة الأصلية والأخرى حديثة منقولة عنها، وكنت قد عرفت شيئاً عن أصل الكتاب، وأن الشيخ محمد بهجة الأثري - رحمه الله - عنده نسخة بخطه، وفي أحد هوامش المخطوطة الأصلية - التي سأحدث عنها فيما بعد - تعليق له حول أم أحد أجداد النبي ﷺ، فلما زرت بغداد سنة ١٣٦٨ وقابلته رغبت منه الاطلاع على نسخته، فانتهرني بشدة كيف رغب الاطلاع على كتاب - ثم تناوله وتناول مؤلفه بالوقية، ولكنني أرجعت ثورته تلك إلى عدم تمكني من معرفة شيء عما تحويه مكتبته، كما بدا لي من الدكتورين مصطفى جواد، وحسين علي محفوظ - والله يتولى الجميع بعفوه - .

أما المخطوطة الأصلية فقد كانت من كتب الشيخ محمد بن طاهر السماوي (١٢٩٣ / ١٣٧٠) وهو ممن عرف بالعلم والأدب في العراق، ثم انتقلت إلى الشاعر معروف الرصافي، فلما زار الكاتب المشهور أمين الريحاني أهده تلك النسخة، وحين أتى شيخ العروبة أحمد زكي باشا لبنان عرج على (الفريكة) قرية الريحاني، وبين الرجلين تعارف، فقدم له تلك المخطوطة وكتب في طرفها كلمة إهداء قال فيها (تذكراً لزيارته الفريكة) وبعد وفاة الأستاذ أحمد زكي باشا عُثِّبَ بمكتبته، ونقل بعضها إلى (دار الكتب المصرية) ومنها تلك المخطوطة. وأذكر أن مما اشتريته من الكتب - المجلد الأول من كتاب «فوائد الارتحال ونتائج السفر، في تراجم رجال القرن الحادي عشر». اشتريته من كتبي يدعى حسين حجاج، كان يعرض كتبه في مدخل مسجد بقرب (دار الكتب) بأربعة جنيهات، ولها إذ ذاك وزنها، وكان من الكتب التي استنسخها شيخ العروبة، مختاراً له أجود الورق، بخط النسخ الواضح بأكبر مقاس، ذي هوامش واسعة، تتسع لما يريد كتابته فيها، والأصل في (مكتبة علي أميري) في اسطنبول، وقد صور نسخة منه مع ما صور من نفائس التراث التي أحضرها للقاهرة. ومخطوطة (دار الكتب) من «المثالب» قد اختلفت كتابة كثير من العبارات في أغلب الصفحات، ويتخللها خلل في الترتيب ونقص، بحيث من الصعب قراءتها قراءة قوية.

وقد أخبرني الأستاذ موسى الموسوي، وهو من المهتمين بشؤون المخطوطات أن كتاب «المثالب» لابن الكلبي قد طبع في (إيران) عن أصول من مكاتب طهران وغيرها.

جيميّة أبي وجزة السعديّ

[العرب: انظر عن أبي وجزة س ٣٠، ص ٤٤٨، ٦٢١، ٧٦٩]

أبو وجزة يزيد بن أبي عبيد (أو بن عبيد)، من بني سليم، نشأ في بني سعد فغلب عليه نسبهم. سكن المدينة، وتوفي بها سنة ١٣٠هـ. وهو شاعر، محدث، مقريّ، من التابعين.

وكنت قد نشرت له، قبل عشرين سنة، قصيدة نادرة من كتاب «منتهى الطلب من أشعار العرب» لابن ميمون البغدادي المتوفى بعد سنة ٥٨٩هـ وفرغت من جمع شعره عام ١٩٧٨، وأشارت إلى ذلك في المجلد الثامن - العدد الثالث من مجلة «المورد» الصادرة سنة ١٩٧٩.

وزار بغداد أحد الناشرين، ودفعت إليه شعر أبي وجزة لطبعه في بيروت، فأعلمني في رسالة أنه نقل مطبعته إلى الكويت، ثم انقطعت أخباره.

ووقفت على هذه الجيميّة التي انفرد بروايتها أبو العباس ثعلب، المتوفى سنة ٢٩١هـ، في «أماليه» المخطوطة (الصفحات ٢١٣ - ٢٢١) وهي في واحد وستين بيتاً، وليس منها في المطبوع باسم «مجالس ثعلب» غير بيت واحد.

وكنت، ومازلت، ضنيناً بهذه القصيدة، ولم تخرج مني إلا إلى شيخنا الجليل محمود محمد شاكر، رحمة الله عليه، فقد خاطبني بالهاتف طالباً مني القصيدة، فأعلمته بأنني دفعت شعره إلى الطبع، فوعد بعدم نشر شعره، وكان صادقاً كما عهدناه. وطلبها مني أخي الحبيب المحقق الثبّت الدكتور عادل جمال سليمان، حفظه الله تعالى، ليعتمد عليها في تقويم الجيميّة التي جاءت في كتاب «المنتخب في محاسن أشعار العرب» وقد أهدى إليّ نسخة من هذا الكتاب النفيس، شاكرًا له فضله.

ونشر أحد الباحثين من دمشق شعر أبي وجزة عام ١٩٩٠، وسلخ القصيدة الحائية التي تقع في تسعة وثلاثين بيتاً المنشورة بتحقيقي في مجلة «المورد» عام ١٩٧٩ من غير إشارة إلى ناشرها، وجاء جمعه لشعر أبي وجزة ناقصاً ومتعجلاً، مما دفع أخي الكريم الدكتور عبدالمجيد الإسداوي للاستدراك عليه في مجلة «العرب» الغراء.

واليوم أنشر جيمية أبي وجزة كما جاءت في «أمالي ثعلب» المخطوط،
ودفعت شعره ثانية إلى الطبع، بعد أن فقدت الأمل في نشره، وأنا في حل من
الاتفاق الذي مضى عليه أكثر من أربع عشرة سنة.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

اللهم اغفر لنا، وارحمنا، ويسر لنا كل عسير، وجنبنا الخطأ والزلل، في القول
والعمل، إنك أنت السميع العجيب.

قال المصنف ولا حصر ولا إطلاق له قاله القائل لا يوحى
بأذن أو إسماء قد أفوت بالانتاج كالوشم أو كإسماء الكائنات
انتاج موضح
بكل ما عجزت عن إتيانها من كل داره فجلد انتاج
أعجز غلط في الأرض وهو رواف كحل مسير متحقق
أو كإسماء ما دخل وما جرى منه وكما قيل في حال الترتيب
أو ذى بها كل ما كلف الضمير منه وكما قيل في حال الترتيب
صالحين واللامعاريها كالجبروت والشمس
بأبواب تنبؤة
وقد نلاحظ فيها إسماء مسبقاً والذرة من جذبه ثمة وإسماء
مسبقاً في ثمة
لما عجزت عن بيانها ببيانها ولا حصر
بأبواب تنبؤة كالجبروت والشمس

قال: وأنشدني لأبي وَجْزَةَ:

- ١- يا دارَ أسماءَ قد أفوتُ بأنشاجِ
كالوشمِ أو كإمامِ الكاتبِ الهاجِ
أنشاج: موضع.
- ٢- بكلِّ أمعزَ منها غيرِ ذي وَحَجِ
أمعز: غلظ في الأرض. وَحَج: رفاق: هَجَل: متسعٌ منخفصٌ.
أوحاج: مداخل ومجَار.
- ٣- أودى بها كلُّ رجاف الضحى هزمِ
عصاف لنخال التُّربِ نَسَّاجِ
كالحبْرِ في زُبُرٍ لَيْسَتْ بِأَمْجَاجِ
بأَمْجَاج: مُنحَوَّة.
- ٤- فما تَبِينُ بِهَا إِلَّا مَعَارِفُهَا
بأَمْجَاج: مُنحَوَّة.
- ٥- وقد تُلَاقِي بِهَا أَسْمَاءَ مُسَقِبَةَ
مُسَقِبَةَ: قَرِيبةً.
والدَّهْرُ فِي جِدَّةٍ مِنْهُ وَإِبْهَاجِ
- ٦- تَلَقَى عَنَانِي حُبٌ بَيْنَنَا نَشِبِ
بِلا قَضَاءِ لُبَانَاتٍ وَلا حَاجِ
كصَعْدَةِ الغَابِ فِي نَجْلِ وَإِذْراجِ
للعينِ فِي طُرَّةٍ كَالشَّمْسِ مِنْهَاجِ
- ٧- أَيامَ أَسْمَاءِ رُعبُوبٍ خَدَلَجَةٌ
فِي طُرَّةٍ: فِي حُسْنِ.
- ٨- مِنَ السَّمَانِ الخِماصِ الغِيدِ مَالِثَةٍ
فِي طُرَّةٍ: فِي حُسْنِ.
- ٩- إِذِ الشَّبَابُ بِهَا وَالْحُسْنُ فِي نَهْرِ
مِنَ المَعِيشَةِ حُلُوِ العَطْمِ نَجَّاجِ
طالَتْ عَلَيهِنَّ طُولاً غَيْرَ مَجْجَاجِ
تَقَاوَدَتْ: اتصَلت. عَمَمًا: طُولاً. مَجْجَاج: مُضْطَرَب.
- ١٠- تَقَاوَدَتْ عَمَمًا حَتَّى إِذَا رَضِيَتْ
مِنَ المَعِيشَةِ حُلُوِ العَطْمِ نَجَّاجِ
طالَتْ عَلَيهِنَّ طُولاً غَيْرَ مَجْجَاجِ
وَحَفِ النَّبَاتِ لِدُهْنِ البانِ مَجْجَاجِ
تُعْمِي: تُغَيِّبُ.
- ١١- تُعْمِي المَدَارِي فِي جَوْنِ غَدائِرُهُ
أَسْمَاءَ رِثْمِ أَلوفِ الظِّلِّ مِخْوَاجِ
مِخْوَاج: أَي أُخْوَجَ إِلَيْهِ.
- ١٢- وَالعينُ وَالجيدُ مِنْ ظَبِي أَعَارَهُمَا
مِخْوَاج: أَي أُخْوَجَ إِلَيْهِ.

١٣- تَفْتَرُّ عَنْ أَفْحُونَ صُبْحَ سَارِيَةٍ أَضْحَىٰ بِرَايَةِ فَيْحَاءَ مِشْرَاجِ
تَفْتَرُّ وَتَنْكَلُ: تَبْسُمُ. فَيْحَاءُ: وَاسِعَةٌ. مِشْرَاجُ: طَيِّبَةُ الرِّيحِ، مِنَ الْأَرْجِ.

١٤- كَأَنَّ رَيْقَتَهَا بَعْدَ الْكُرَى اغْتَبَقَتْ

١٥- أَسْمَاءُ ذَلِكَ مَا أَسْمَاءُ جَانِبِهَا
عَنِ السَّدَنِ بِأَغْلَاقٍ وَإِشْرَاجِ
مَا أَسْمَاءُ: تَعَجَّبُ. وَإِشْرَاجُ: أَيُّ مُمْتَنَعَةٍ.

١٦- تَنْفِي اللَّثَامِ عَلَى مَا فِي اللَّثَامِ كَمَا
يَنْفِي الزَّيُوفَ عَزِيزٌ عَاقِدُ التَّاجِ
أَيُّ: لَا يَقْبَلُهَا.

١٧- سَقِيًّا لِأَسْمَاءِ وَاخْضَرَّتْ مِرَاتِعُهَا

١٨- عَلَى نَوَىٰ مِنْ نَوَاهَا لَا ثَلَاثِمْنَا

١٩- يَا صَاحِبِي أَنْظِرْ أَهْلَ تُونِسَانَ لَنَا

٢٠- عَدُونَ مِنْ حَجَبِ الْجَوْنِيِّنَ أَوْ حُقْبِ

٢١- أَسْمَاءُ بَانَتْ وَلَمْ تُنْجِزْ مَوَاعِدَهَا

٢٢- فَسَلَّ أَسْبَابَ شَوْقٍ مِنْ مَوَدَّتِهَا

بِبَاقِلٍ: أَوَّلُ مَا طَلَعَ نَابَهُ. وَسَاجُ: يَسِجُ فِي سَيْرِهِ.

٢٣- جَهْمُ الْمَقْدُ أَسِيلُ الْخَطْمِ مُتَّسِقِ

مُحْتَجِبُ: جَانِبَاهُ غَيْرِ مِدْرَاجِ

جَهْمُ الْمَقْدُ: وَاسِعُ مَوْضِعِ الزُّورِ. مُحْتَجِبُ عَظِيمُ الْجَنِينِ.

٢٤- لَاعٌ يَكَادُ خَفِيضُ النَّقْرِ يُفْرَطُهُ

مُسْتَرْبِعُ لِسْرَى الْمَوْمَاءِ هَيَّاجِ
لَاعُ: شَهْمُ النَّقْرِ: الزَّجْرُ. يُفْرَطُهُ: يُجَاوِزُهُ الْحَدَّ. هَيَّاجُ: سَيَّارُ.

٢٥- يَرْضِيكَ عَفْوًا فَإِنْ رَفَعْتَ هَزَّتَهُ

رَفَعْتَ مِنْ رَبِّدِ التَّبْغِيلِ هِمْلَاجِ
عَفْوًا: مِنْ غَيْرِ زَجْرٍ. هَزَّتَهُ: سَيَّرَتْهُ سَرِيعًا. مِنْ رَبِّدٍ: خَفِيفٌ.

هِمْلَاجُ: إِسْرَاعُ الْبَغْلِ.

٢٦- على مَرَادِي سَمَحَاتِ أَنْفِنَ بِهِ وَجُوجُؤِ مَائِرِ الضَّبَّعَيْنِ مَوَاجِ
مرادي: قوائم. أنفن: ارتفعن.

٢٧- مَقَارِبِ حِينَ يَحْزَوُوزِي عَلَى جَدَدِ
مُقَارِبٌ: سُرِيْعُ الْخَطْوِ. جَدَدٌ: طَرِيقٌ. رَسَلٌ: سَهْلٌ.

٢٨- يُوَلِي الشَّلِيلَ وَمَا مَسَّتْ وَلَيْتَهُ
الشَّلِيلُ: الْحَلْسُ. وَلَيْتَهُ: الَّتِي عَلَى عِزِّهِ.

كراديس: أعضاء. وأنباج: الوَسَطُ.

٢٩- كَأَنَّمَا الرَّخْلُ مِنْهُ فَوْقَ مُبْتَقِلِ
مَعَاجٌ: سُرِيْعٌ. مُبْتَقِلٌ: حِمَارٌ وَخَشٍ. مَكْدَحٌ: يَرَعَى الْبَقْلَ مِنَ النَّشَاطِ.

٣٠- يُصَدِّعُ الْعُونُ أَنْدَابَ الْعُلُوجِ بِهِ
الْعُونُ: جَمْعُ عَانَةٍ. وَالْأَنْدَابُ: الْآثَارُ. وَالْعُلُوجُ: الْحَمِيرُ.

وَقَضَاءُ: أَفْنَاهُ وَأَنْقَدَهُ. بَتَعْدَاءُ: مِنَ الْعَدُوِّ. وَتَشْحَاجٌ: يَعْنِي صِيَاحَهُ.
يُقَالُ: شَحَجَ الْحِمَارُ: إِذَا صَاحَ.

٣١- شَدَّتْ مُنَازَلَةُ الْأَفْرَانِ مَرَّتَهُ
مَا حَازَ: مَا جَمَعَ. مِنْ قَدْ: مِنْ وَاحِدٍ. وَأَزْوَاجٌ: جَمَاعَةٌ.

٣٢- فَاثُورًا لَا حَقَّةَ قُبَا أَيَّاطَلُهُ
فَاثُورًا: ضَمَّرَ. أَيَّاطَلُهُ: خَوَاصِرُهُ. خَاطِي: مَكْتَنَزٌ.

الْخَصَائِلُ: اللَّحْمُ. نَهْدٌ: عَالِي سَمِينٍ. مَجْمَاجٌ: رِخْوُ الْيَدَيْنِ.

٣٣- ظَلَّ بَدُوٌّ مِنَ الرَّثَقَاءِ يَلْفَحُهُ
بَدُوٌّ: فِلَاةٌ، وَهِيَ أَرْضٌ وَاسِعَةٌ. الرَّثَقَاءُ: مَوْضِعٌ.

وَالْفَيْهِ: أَتَانِيهِ. بِالْفَاجِ: مَوْضِعٌ.

٣٤- يَعْصِينَ أَلْمَى قَضِيْفًا مِنْ تَنَاصِبِهَا فِي يَوْمِ نَجْمٍ مِنَ الْجَوَازِءِ وَهَاجِ
يَعْصِينَ: يَجْتَمِعْنَ. أَلْمَى: ظَلٌّ. تَنَاصِبُهَا: تُقَابِلُهَا.

فِي يَوْمِ نَجْمٍ: فِي يَوْمِ حَرٍّ. وَهَاجٍ: لَهُ وَهْجٌ.

٣٥- حَتَّى إِذَا حَلَّ شَرْقِيٌّ عَسَاكِرُهُ مَافِي قَوَادِمِ سُقْطِيئِهِ مِنْ أَفْرَاجِ
شَرْقِيٍّ: اللَّيْلِ. عَسَاكِرُهُ: مَشَارِبُهُ. سُقْطِيئِهِ: جَانِبِيئِهِ. مِنْ أَفْرَاجٍ: جَمَعَ فُرْجَةً.

٣٦- وَقَدْ تَذَكَّرَ عَدَاً مِنْ أَبَاطِنِهِ مُسْتَوْرِدًا ذَا عَلاَجِيْمٍ وَدُرَاجٍ
أَبَاطِنُهُ: مَوَاضِعُ. عَلاَجِيْمٍ: ضَفَادِعُ. وَدُرَاجٍ: هَوَامٌ.

٣٧- مِنَ الْأَبَاطِنِ أَسْرَاهُ دَوِيٌّ هَزِمَ مُجَلْجَلٌ قَسْرِدَ الْأَسْنَاءِ نَشَاجٍ
مِنَ الْأَبَاطِنِ: مَوَاضِعُ. هَزِمَ: سَحَابٌ. مُجَلْجَلٌ: صَوْتٌ.
قَرْدٌ: جَعْدٌ. الْأَسْنَاءُ: الْأَعَالِي. نَشَاجٌ: مَصَوْتٌ.

٣٨- فَاحْتَازَ بِيَضَاءٍ مِثْلَ السَّحْلِ مَا نَعَتْ مِنْهُ صِبَاحَهَا قَدْ اعْتَلَّتْ بِارْتِاجِ
بِيَضَاءٍ: أَتَانٌ. السَّحْلُ: ثَوْبٌ أَيْبُضٌ.

٣٩- قَدْ شَقَّهَا خُلُقٌ مِنْهُ وَقَدْ قَفَلَتْ عَلَى مِلَاحٍ كَلَّوْنَ الْمِشْقِ أَمْشَاجِ
شَقَّهَا: جَهَدَهَا. قَفَلَتْ: انْطَوَتْ. مِلَاحٌ: مَاءُ الْفَحْلِ.

أَمْشَاجٍ: اخْتِلَاطُ الْبِيَضِ بِالْحُمْرَةِ. وَيُرْوَى: قَدْ شَقَّ خُلُقٌ مِنْهَا.

٤٠- كَأَنَّ صَوْتًا حَدَاها وَالْقَرِينِ بِهِ تَرْجِيْعٌ مُغْتَرِبٌ نَشْوَانٍ لَجْلَاجِ
الْقَرِينُ: الْأَتَانُ الْمُقَارِنَةُ لَهُ. نَشْوَانٌ: سَكَرَانٌ. لَجْلَاجٌ: لَا يَبِينُ كَلَامُهُ.

٤١- نَقَبُ الْأَشَاهِبِ فَالْأَخْبَارُ مَجْمَعُهَا وَاللَّيْلُ سَاقِطَةٌ أُرْوَاقُهُ دَاجِ
الْأَشَاهِبُ: مَوَاضِعُ.

٤٢- حَتَّى إِذَا مَا إِبَالَاتٌ جَرَّتْ بُرْحًا وَقَدْ رَبَّعْنَ الشَّوَى مِنْ مَاطِرٍ مَاجِ
رَبَّعْنَ: وَقَفْنَ. الشَّوَى: الْقَوَائِمُ. مَاطِرٌ: السَّرِيْعُ.

٤٣- صَلَّاهُمَا هَزَجٌ هَزَجٌ خَصَائِلُهُ سَيِّمًا الْجَوَادِ عَلَيْهِ الْخَائِفِ النَّاجِ صَلَّاهُمَا: تَبَعَهُمَا. سَيِّمًا: عَلَامَةٌ. النَّاجِ: السَّرِيعُ.

٤٤- كَأَنَّهُ وَهَمًا لَا يَثْبِيانَ لَهُ كَأَنَّهُ: يَعْنِي الْحِمَارَ. وَهَمًا: الْآتَانِينَ. أَعْطَاكَ مِنْكَفَتِي هَيْجٌ وَإِمْجَاجٌ مِنْكَفَتِي: سَرِيعٌ. إِمْجَاجٌ: شِدَّةُ الْعَدُوِّ.

٤٥- يَامُومٌ صَحْمَاءٌ مُخْمَرٌ مُخَدَّمُهَا صَحْمَاءٌ: قِطَاةٌ. مُخَدَّمُهَا: سَاقُهَا. كَأَنَّمَا عَطَّقْتَ خَزَأً بِدِييَاجٍ

٤٦- بَاتَتْ بِمَنْزِلَةِ هَوْلٍ عَلَى حَذَرٍ ٤٧- ثُمَّ اغْتَدَّتْ وَغَدَا نَزُّ مَلَاذِمُهَا ثُمَّ اغْتَدَّتْ الْقِطَاةُ، وَغَدَا فَرخٌ خَفِيفٌ.

٤٨- يَرْجُو مَرَاتِعَهُ مِنْ عَاذِبٍ أَنْقٍ مِنْ عَاذِبٍ: سَحَابٌ. أَنْقٍ: حَسَنٌ. آثَارَ مُرْتَجَزٍ حَيْرَانَ لَجَلَاجٍ حَيْرَانَ: مُقِيمٌ. لَجَلَاجٌ: يَذْهَبُ وَيَجِيئُ.

٤٩- وَخَائِفٌ لِحِمَا شَاكًا بِرَائِنُهُ لِحِمًا: صَقْرًا. شَاكًا: حَادٍ مَخَالِبِيَّةً. بَرَائِنُهُ: مَخَالِبِيَّةٌ. قَاطِمٌ: عَاصٌ. وَفَقِيئٌ: سَوَارِيئٌ. مِنْ عَاجٍ: لِأَنْطَوَاءٍ مَنقَارِهِ.

٥٠- مَا زَلْنَ يَنْسُبْنَ وَهَنَا كُلِّ صَادِقَةٍ ٥١- حَتَّى سَلَكَنَ الشَّوَى مِنْهُنَّ فِي مَسَكِّ سَلَكَنَ: أَدْخَلْنَ. الشَّوَى: الْقَوَائِمُ. جَوَابَةٌ: سَحَابَةٌ. مَهْدَاجٌ: سَرِيعٌ.

٥٢- تَنْحَازُ مِنْهُنَّ فِيهِ أُمَّةٌ خُلِقَتْ تَنْحَازُ: تَتَنَحَّى. مِنْهُنَّ: مِنَ الْقِطَاةِ. أُمَّةٌ خُلِقَتْ: يَعْنِي الضَّفَادِعَ. حُذًا: لَا أذْنَابَ لَهَا، فِي حُلُوقِهَا أَطْوَاقٌ.

٥٣- يَخْرُمْنَهُ فِي قَنَا جُوفٍ عَلَى أَفْدٍ شَتَّى جَمِيعٌ نِهَاجٌ غَيْرُ أَفْلَاجٍ قَنَا جُوفٍ: يَعْنِي حُلُوقَهُنَّ. عَلَى أَفْدٍ: عَلَى عَجَلٍ. شَتَّى: هُنَّ فِرَقٌ، وَهُنَّ مُجْتَمِعَاتٌ. أَفْلَاجٌ: غَيْرُ مُتَفَرِّقِينَ.

٥٤- كَأَنَّمَا عَطَّقْتَ خَزَأً بِدِييَاجٍ حَتَّى الصَّبَاحِ وَمَا هَمَّتْ بِإِدْلَاجِ إِصْعَادِهِ كَهَوَاهُ رَاهِبٌ رَاجٍ كَهَوَاهُ: كَتْرُولُهُ. رَاجٌ: فِي السَّرْعَةِ.

٥٥- يَرْجُو مَرَاتِعَهُ مِنْ عَاذِبٍ أَنْقٍ مِنْ عَاذِبٍ: سَحَابٌ. أَنْقٍ: حَسَنٌ. آثَارَ مُرْتَجَزٍ حَيْرَانَ لَجَلَاجٍ حَيْرَانَ: مُقِيمٌ. لَجَلَاجٌ: يَذْهَبُ وَيَجِيئُ.

٥٦- بَاتَتْ بِمَنْزِلَةِ هَوْلٍ عَلَى حَذَرٍ ٥٧- ثُمَّ اغْتَدَّتْ وَغَدَا نَزُّ مَلَاذِمُهَا ثُمَّ اغْتَدَّتْ الْقِطَاةُ، وَغَدَا فَرخٌ خَفِيفٌ.

٥٨- يَرْجُو مَرَاتِعَهُ مِنْ عَاذِبٍ أَنْقٍ مِنْ عَاذِبٍ: سَحَابٌ. أَنْقٍ: حَسَنٌ. آثَارَ مُرْتَجَزٍ حَيْرَانَ لَجَلَاجٍ حَيْرَانَ: مُقِيمٌ. لَجَلَاجٌ: يَذْهَبُ وَيَجِيئُ.

٥٤- وهُنَّ بِالْعَيْنِ مِنْ ذِي صَارِخٍ لُجْبٌ هَوْلٌ وَنَوَاحَةٌ بِالمَوْتِ مِرْجَاجٌ
وهُنَّ: الحميرُ. لُجْبٌ: سَهَامٌ. وَنَوَاحَةٌ: قَوْسٌ.

٥٥- شَدَّتْ مَطَاً عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي أَوْدٍ مُقَارِبٌ كَنَسَا اليَعْفُورَ حَمَلَاجٌ
شَدَّتْ مَطَاً: ظَهَرُ. أَوْدٌ: عَقْدٌ. كَنَسَا: عَرَقٌ. اليَعْفُورُ: ظَبْيٌ. حَمَلَاجٌ: مُلْتَفٌ.

٥٦- حَتَّى إِذَا مَا قَضَيْنَ النَّحْبَ وَأَنْصَرَفَتْ
قَضَيْنَ: الحميرُ. طَخِيَاءٌ: ظُلْمَةٌ.

النَّحْبُ: الحَاجَةُ مِنَ المَاءِ. السَّاجُ: الطَّيْلَسَانُ.

٥٧- شَاكَتْ رُغَامِي قَدُوفَ الطَّرْفِ خَائِفَةٌ هَوْلَ الجَنَانِ نَزُورٌ غَيْرِ مَخْدَاجٍ
شَاكَتْ: ثَبَّتْ بِالسَّهَامِ. رُغَامِي: زِيَادَةُ الكَبِدِ. الجَنَانُ: المُسْتَر.

غير مَخْدَاجٍ: لَا يَنِمُّ لَهَا وَكَدٌ.

٥٨- حَرَّى مَوْقَعَةَ هَاجَ البَنَانُ بِهَا
حَرَّى: عَطَشِيٌّ. مَوْقَعَةٌ: بِهَا آثَارٌ.

هَاجَ البَنَانُ بِهَا: عَضَّ الحميرُ عَلَى أَصَابِعِ الرَّامِي. عَلَى خَضَمٍ: يَعْنِي نَهْرٌ.

٥٩- فَاغْتَالَهَا الأَجَلَ الآتِي وَأَسْلَمَهَا
يَعْنِي: قَتَلَهَا. مُنْعَاجٌ: مُنْعَطَفٌ.

٦٠- مُقَلَّصٌ زَبَدُ الأَوْصَالِ شِيَعَةٌ
مُقَلَّصٌ: يَعْنِي الحِمَارَ. رَبَدٌ: عَارِي الأَوْصَالِ، قَفُولٌ وَضَامِرٌ.

يَعْبُوبٌ: عَدُوٌّ سَرِيعٌ. أَعْلَاجٌ: جَمْعُ عُلْجٍ، يَعْنِي الحميرَ.

٦١- كَانَتْهُ وَشِيَاطِينُ المِرَاحِ بِهِ قَدَحٌ بِكَفِّيٍّ مُلَقَى الفَوْزِ فَلَاجٌ
المِرَاحُ: النِّشَاطُ. وَقَدَحٌ: سَهْمٌ. الفَوْزُ: القَامِرُ. فَلَاجٌ: عَالٍ ظَاهِرٌ.

أ. د. حاتم صالح الضامن

كلية الآداب - جامعة بغداد

نظرات نقدية في كتاب:

«شرح مقصورة ابن ذرير» لابن خالويه (ت ٣٧٠هـ)

حظيت مقصورة ابن ذرير الأزدي (٣٢١هـ)، التي منها:

إِمَّا تَرِي رَأْسِي حَاكِي لَوْنُهُ طَرَّةٌ صُبْحٍ تَحْتَ أَذْيَالِ الدَّجِي
باهتمام النقاد والبلاغيين في القديم والحديث، وتعقبوها بالشرح والإعراب
والتخمين، حتى بلغت شروحها - فقط - ثمانية وعشرين شرحاً، بين كبير
وصغير، لم يُطبع منها إلا القليل.

ولعل من تلك الشروح المهمة للمقصورة، شرح ابن خالويه، الحسين بن أحمد
(ت ٣٧٠هـ)، وقد حققه الأستاذ محمود جاسم محمد الدرويش، مصدر ضمن
كتاب: «ابن خالويه وجهوده في اللغة» مع تحقيق كتابه: «شرح مقصورة ابن ذرير»،
وصدر ببيروت ١٩٨٦م، وأعيد طبعه ببغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٠م.

وهذا الكتاب - في الأصل - رسالة (ماجستير) من جامعة بغداد، وقد نُشر
وقد نال الدرويش الدكتوراه، ورجعنا هنا إلى طبعة بغداد.

قرأت الكتاب قراءة مستفيد مُستمتع، وكانت - أثناء ذلك - تستوقفني
ملاحظات تخص الكتاب والتحقيق معاً، فرأيت أن أجمعها وأوردها على هيئة فقر
مبوبة لتندع في هذا المقال النقدي، تحية لابن خالويه، ولجهود محققه الكريم.

أولاً: الدراسة: ١ - أورد في التمهيد ص ٩: أن وفاة (ابن النديم) هي: ٣٨٠هـ.
قلت: والراجع أنها ٣٨٥هـ، وقال بذلك علماء أفاضل.

وفي ص ١٠ لم ترد سنة وفاة (العالمي). قلت: هي ١٣٧١هـ.

٢ - عند حديث المحقق عن مذهب ابن خالويه (ص ٢٠) أكد أنه شافعي
المذهب أخذاً بآراء من ترجموا له، وحينما جاء إلى العالمي ونقل رأيه المخالف
إلى ما ذهب إليه وقرره، أتهمه بالتعصب، وزعم أن رأيه في تشييعه (يدل على

بطلانه وفساد ما ذهب إليه!

قلت: إنَّ الموضوعية في البحث أمر مطلوب وواجب، خصوصاً إذا ما استند الباحثُ إلى أصول وقواعد تتفق مع الحقيقة، ولم يكن له رأي مسبق يريد أن يطبقه قسراً على ما يريد، لأنَّ اتهام المحقق للعلامة العاملي قضية لا يقرها البحثُ الجاد. فلورَجَعَ إلى كتاب ابن خالويه الآخر: «إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم» (ص ١٢٠) ولو قرأ ما كتبه المستشرق كرنكو (سالم الكرنكوي) في نهاية الكتاب نفسه (ص ٢٤٦)، لتبين له صحة ما ذهب إليه العاملي، بل إنَّ الدرويش لو دَرَسَ بتأنَّ. «شرح ابن خالويه على المقصورة» وهو الكتاب الذي يحققه (في الصفحات: ٣٢٨، ٤٤٤، ٤٥٩، ٤٧٤، ٤٩٢، ٤٩٤) لأدرك أنه لم يكن شافعياً، وكيف يكون كذلك، وهو يعلِّقُ على رأي للإمام الشافعي (ص ٤٢١) بقوله: (ولا يصح ذلك عندي)؟!

٣- بخصوص كتاب «البديع في القراءات السبع» (ص ٣٦)، والذي قال الدرويش: إنه لم يقف عليه. أقول: هو كتاب في القراءات الثمان، وقد حققه جايد زيدان مخلف، ونال به الدكتوراه من جامعة بغداد ١٩٨٦ - ١٤٠٦ هـ.

أما شروح مقصورة ابن دريد، فقد ذكر المحقق: شرح الجواليقي (ت ٥٤٠ هـ). قلت: وقد حققه د. حاتم الضامن. ود. عبدالمنعم أحمد صالح، ونُشر في مجلة «المورد» - مج ١٦ - العدد ٣ - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م. وذكر: شرح المهلبي (ت ٥٦٠ هـ).

قلت: وقد حققه الدرويش نفسه، ونشره منجماً في مجلة «المورد» ١٩٨٥ م - ١٤٠٥ هـ.

لقد كنا نأمل أن تدون هذه المعلومات المهمة في أصل الكتاب خصوصاً أنه طبع بعد سنوات من نيل محققه لـ (الماجستير).

٤- ورد في (ص ٢٦): (أثر الكتاب في اللاحقين عليه)، قال فيه: (... إنَّ العلماء قد استفادوا من شرح المقصورة لابن خالويه، ولكني لم أجد منهم من ذكر شرح المقصورة إلا السيوطي... ونقل الجواليقي...). قلت: ذكر المحبِّي (ت ١١١١هـ) في كتابه «جنى الجنتين» (ص ١٢٠): (وفي شرح الدرديّة لابن خالويه: الأسودان: العسل والحرة).

وهذا النصُّ واردٌ في (ص ١٢٠) من «شرح المقصورة»، في شرح البيت (٥٣).

ثانيًا: تخريجُ النصوص: اهتم المحققُ بتخريج نصوص الكتاب: الشعرية والنثرية، وقد رأينا أن نُسهمَ معه في تخريج نصوص أخرى وردت في الكتاب، مع بعض التعليقات النقدية الضرورية.

١- (ص ٢٦١) بيتان من الرجز.

قلتُ: البيت الثاني لأبي العتاهية في: شعره ٥٧٩، «شرح نهج البلاغة» (٢٨٧/١٩) والغريب أن هذه الأسطار وردت ثانية (ص ٥٥٤)، ولم يشرِ المحققُ إلى ورودها أوّل مرة.

٢- الأبيات الأربعة (ص ٢٦٦) في «الحوار العين» (٢٧٦)، عدا الثاني.

٣- ص (٢٦٨): وقال ضبيعة القيسي.. وأورد قصيدة له.

قلت: أ- الأبيات في: «حلية الفرسان» (١٨٠).

ب- صواب اسمه: ضبيعة العبسي، فهو من بني مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس. يُنظر: «تاج العروس»: (غرر) و«أسماء خيل العرب» للغندجاني.

٤- (ص ٢٤٩): ورد كلام للحسن بن وهب.

قلتُ: النصُّ في: «البديع» لابن المعتز ٢٤٥، «التذكرة الفخرية» للإربلي ٣٣٠، «التذكرة الحمدونية» للحمادوني ١٤٩ (مجلة «المورد» مج ٥، العدد ٥، ١٩٧٧م).

٥- (ص ٢٠٢) البيت في: «وفيات الأعيان» ٦/ ٣٣٠ لبشر بن قُطبة الأسدي.

٦- (ص ٥٣٧) ورد بيتان نسبهما المؤلف لابن دُرَيْد.

قال عباسُ الجراح: هما في «ديوانه» (٥٢) (ط. تونس)، ولديك الجن في «ديوانه» (١٨١) ولابن المعتز في شعره (٣/ ٣٣٣) (ط. بغداد).

على أن الدروش أهمل ما علّقه ناسخ مخطوطة النجف التي رمز لها بـ (ن)، من أن البيتين لأبي نواس، نقلاً عن كتاب «الشراب» لابن المعتز.

إن هذه الإشارة المهمة كانت تستوجب رجوع المحقق إلى كتاب: «فُصُول التماثيل في تباشير السرور»^(١) الذي نُشر نشرة غير علمية في مصر ١٩٢٥ م، والبيتان واردان فيه.

ونُشر نشرة رديئة ببغداد ١٩٨٩ م، والبيتان فيه ص ٥٠، وفي السنة نفسها صدرَ عن (مجمع اللُّغة العربية بدمشق) في نشرةٍ علميةٍ دقيقة، والبيتان فيه (ص ٨٦ - ٨٧).

٧- الأبيات الثلاثة اللامية (ص ٥٣٨)، غير المعزوة، يُضاف إلى تخريجها: «التذكرة الفخرية» ٣١٥، «التشبيهات» لابن أبي عَوْن ١٧٤، «نهاية الأرب» ٤/ ١١٦.

٨- ص ٥٤٠، وَرَدَ الْبَيْتُ الْآتِي:

يحملنَ أوعية المدام كأنما يحملنها بأكارع النفران

قلت: هو في «حياة الحيوان» (٢/ ٣٦٣) «مختصر كُنَايَاتِ الْأَدْبَاءِ» للجرجاني (٩٦)، «اللسان» (نغر) بلا عزو، وينظر: «ديوان السّريّ الرّفاء» (٢/ ٨٣٠) (ط. بغداد ١٩٨١ م).

٩- (ص ٥٤٨ - ٥٤٩)، وَرَدَ بَيْتَانٌ لِلنَّظَامِ.

قلت: هما له في: «شرح مقامات الحريري» (٤/ ٢٣٩)، علماً بأنّ د. عدنان عبّيد العليّ حَقَّقَ شعره ونَشَرَهُ بالبصرة عام ١٩٩٠ م، ولأبي نواس في «ديوانه» ٩٢.

١٠- ص ٥٥٠ وَرَدَّ بَيْتَان لَابِن مُقْبَل.

قلت: البيتان نُسبا للمُسيَّب بن علس في: «التذكرة الفخرية» (٣٣١ - ٣٣٢)،
«فصول التماثيل» (ط. دمشق) ١٢٣، ومجموع شعره في مجلة «المورد» ١:
١٩٩٢ م. ويُنظر «المعاني الكبير» (١/٤٤٧).

١١- (ص ٥٥٠) نفسها، جاء بيتان لخداش بن زهير.

قلت: ولم يخرجهُ المحققُ على ديوانه الذي حققه ونشره د. يحيى الجبوري
بدمشق ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

ثالثاً: المصادر والمراجع: أ- اعتمد الدرويشُ على بعض النُشرات لعدد من
المصادر التي رَجَعَ إليها، على الرَّغم من صدور نشرات علمية لها، على النحو
الآتي:

١- اعتمد على نشرة المرحوم د. نوري القيسي لكتاب «الخيال» للأصمعي
(ت ٢١٦ هـ)، برغم صدور طبعة جديدة بتحقيق الأستاذ هلال ناجي في مجلة
«المورد» - مج ١٢ - العدد ٤، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م.

٢- رجع في تخريج «شعر وضاح اليمن»: إلى نشرة د. رضا حبيب السويسي،
على الرغم من صدور جمع وتحقيق جديد للدكتور حنا جميل حداد، نُشر في
مجلة «المورد» - ١٩٨٤ م - ١٤٠٤ هـ.

٣- اعتمد على نسخة خطية مُصورة من معجم «العين»، على الرغم من صدور
نشرة علمية للكتاب بتحقيق المرحوم الدكتور مهدي المخزومي ود. إبراهيم
السامرائي، أصدرتها وزارة الإعلام، وطبعت ببغداد وبعض العواصم العربية.

٤- رجع إلى طبعة القاهرة - مط الاستقامة لكتاب «الفهرست» لابن النديم،
مع وجود نشرة طهران، (١٩٧١ م) بتحقيق محمد رضا تجدد المازندراني، ثم
نشرة د. مصطفى الشويمي ١٩٨٥ م.

٥- رجع إلى «شعر الخوارج» للدكتور إحسان عباس، مع أنه أصدر طبعةً جديدةً باسم «ديوان شعر الخوارج».

٦- رجع إلى «ديوان ذي الرمة» - نشرة (كارليل هنري هيس)، ١٩١٩م، على الرغم من صدور تحقيق د. عبدالقدوس أبو صالح، عن مجمع دمشق بثلاثة أجزاء.

٧- رجع إلى طبعة اليسوعيين الكاثوليكية ١٨٩٤م من «نوادير أبي زيد»، برغم صدور تحقيق د. محمد عبدالقادر أحمد بيروت ١٩٨١م.

٨- رجع إلى طبعة ١٢٩٩هـ من كتاب «خزانة الأدب» مع أن المرحوم عبدالسلام محمد هارون نشر الكتاب نشرةً علميةً.

٩- كتاب «الاعتضاب» للبطليلوسي، اعتمد على طبعة بيروت ١٩٠١م، على الرغم من صدور طبعة بتحقيق المرحوم مصطفى السقا ود. حامد عبدالمجيد بالقاهرة، ثم صدرت ببغداد ٨١ - ١٩٨٢م، بثلاثة أجزاء.

١٠- رجع إلى طبعة مختار الدين أحمد لكتاب «الحماسة البصرية»، والمفضل الرجوع إلى طبعة د. عادل سليمان جمال.

١١- رجع إلى «أشعار أبي الشيص» - ١٩٦٧م، بتحقيق د. عبدالله الجبوري، على الرغم من أن المحقق نفسه أصدر الطبعة الثانية من الديوان بعنوان: «ديوان أبي الشيص وأخباره» بيروت، ١٩٨٤م.

١٢- اعتمد على طبعة النجف ١٩٧٢ من «التذكرة السعدية»، مع صدور الطبعة الثانية المنقحة في ليبيا - ١٩٨١م.

ب- أوهام وفوات في ذكر الكتب:

١- المسلسل: ... التيمي، الصواب: التيمي.

٢- «الامتاع والمؤانسة»: ... أحمد الأمين، الصواب: أحمد أمين.

٣- «شعر الخليل»: ... ضياء الدين الجبوري، الصواب: ... الحيدري^(٢٣)

٤- «المثلث في اللّغة»: تحذف عبارة: جامعة بغداد.

٥- «الجواهر المضئية»، الصواب: «الجواهر المضئية».

٦- «القلادة السمطية»: الصواب: «مختصر شرح القلادة السمطية» وحقه أن

يُوضَع في حَرَف الميم، وقد تكرر هذا الوهم في جميع الصفحات التي ورد فيها اسم هذا الكتاب.

٧- «دراسات في الأدب العربي» لـ (غرو نباوم) قلت: يضاف بعده ترجمة

د. إحسان عباس وزميلاه.

٨- «العبر فيمن غبر» للذهبي، الصواب: «العبر في خبر مَنْ غبر».

٩- «الوحشيات» (الحماسة الصغرى)، الميمى...

قلت: الصواب: لأبي تمام (ت ٢٣١هـ)، بتحقيق الميمى!

«يتيمة الدهر»... تحقيق محيي عبدالحميد، الصواب الدقيق: محمد محيي

الدين عبدالحميد.

- أَخَلَّت القائمة بـ «شعر يزيد بن مفرغ الحميري»، تحقيق د. داود سلوم، إذ

رَجَعَ إِلَيْهِ الدَّرُوش ص ٤٢١، وأنَّ المفضَّلُ الرجوعُ إلى ديوانه بتحقيق

د. عبدالقدّوس أبو صالح، بيروت ١٩٧٥ و ١٩٨٢م.

إنَّ معرفة المصادر والمراجع أمرٌ مهمٌّ جدًّا يدلُّ على علمية وخبرة وطول

دربة، لا تتأتَّى للجميع.

رابعاً: فواتُ الكتاب: فاتَ المحقِّقُ الكريمُ - إضافةً إلى ما ذكرنا - عددًا من

الأُمُورِ العِلْمِيَّةِ المهمَّةِ، منها:

١- «شرح مقصورة ابن دريد» عني بنشره عبدالله الصّاوي بالقاهرة، ١٩٥١م.

وكتاب «شرح المقصورة» لعبيد الوصيف محمد، من علماء الأزهر، القاهرة،
١٩٣٩ م.

وهذان الكتابان - أيضاً - مما أخلَّ به الثَّبْتُ الذي وَضَعَهُ لِشَرَّاحِ المقصورة،
ص ٩٩ - ١٠٢.

٢- الكتاب على ضخامته ليست فيه فهارس مهمة وضرورية تكون مفاتيح
لمباحث الكتاب، وهي: الأعلام - الأشعار - اللُّغة - المواضيع - الأمثال.

٣- الأخطاء المطبعية لم يخلُ الكتابُ منها على الرغم من تصحيح المحقق
لبعضها، منها: ص ١٨٦: أبو الشيبز، و ص ٢٢٤: أخبشوا، و ص ١٧٤: بارسل
النبي... وسمل أغنيهم، قلت: الصواب - على التوالي - : أبو الشيبز، أخبشوا،
فأرسل النبي.. وسمل أعينهم. مع شطب السَّطر الثامن: ص ٣٥٩ لأنه زائد،
ووضع عبارة (شرح) في أعلى العنوان ص ١٥٥.

وبعد: فقد كانت هذه ملاحظات نُقديَّة وفوائد على تحقيق كتاب: «شرح
مَقْصُورَة ابن دريد» لابن خالويه، أردنا - من خلالها - مشاركة د. الدرويش في
خدمته للكتاب واحتفائه به، وعسى أن يكون لها مكان في الطبعة الجديدة منه،
خدمةً لتراثنا العربي الكبير.

عبَّاس هاني الجِراخ

العراق - بابل - الحلة - ص. ب ١٨١

الحواشي:

(١) نشرنا عامي ١٩٩٢ و ١٩٩٥ م ملاحظات على طبعة بغداد من الكتاب، ثم أضفنا الكثير من الملاحظات
وأودعناها كتابنا: «في نقد التحقيق»، ولدينا ملاحظات على طبعة مجمع دمشق أرسلناها إلى «مجلة
مجمع اللغة العربية» بدمشق.

(٢) نشر المرحوم ضياء الدين الحيدري «شعر الخليل بن أحمد الفراهيدي» بمشاركة الأستاذ حاتم صالح
الضامن ببغداد ١٩٧٣ م. ثم عاد الضامن فأسقط اسم المرحوم الحيدري عند نشره هذا العمل في: «شعراء
مقلون» ١٩٨٧ م، و «عشرة شعراء مقلون» الموصل ١٩٩٠ م، ولم يبيِّن للقارئ سبب انفراذه بالعمل.

«السفينة المجموعة في نسبة بعض القاطنين

في وادي حضرموت المبارك ومساكنهم»

تأليف السيد أحمد بن الحبيب بن حسن العطاس

(١٢٥٧/١٣٣٤هـ)

(١)

تمهيد : كان رئيس تحرير هذه المجلة قد رغب من الأخ عبدالله صالح حداد اختيار رسالة أو كتاب مختصر في التعريف بسكان حضرموت، القطر الحبيب من بلادنا، فأفضل وصور هذه الرسالة التي ترى مجلة «العرب» في نشرها تقوية للروابط والصلات بيننا وبين إخواننا في تلك البلاد، وقد قدم الأستاذ عبدالله ترجمة موجزة لمؤلفها، كما أوضح ضبط نطق أسماء المواضع الواردة في الرسالة، اعتماداً على نطقها لدى أهل المنطقة، وكما وردت في المعاجم والكتب التاريخية، وها هو نص ما كتب به:

ترجمة المؤلف: هو أحمد بن حسن بن عبدالله العطاس العلوي، ولد بـ (حريضة) بوادي دوعن في (حضرموت) في رمضان سنة ١٢٥٧، عاش منذ طفولته ضريراً، عوضه الله بنور البصيرة، فنشأ ولديه قدرة استيعابية وإدراكاً طيباً وفهماً واسعاً، وحفظاً جيداً لكل ما يسمع، أشار إلى ذلك كل من ترجمه، ودرس في أول أمره في كتاب بلده على يد المعلم فرج بن عمر سباح، ثم درج على أخذ علوم القرآن والفقه على يد شيوخ بلده، وسعى إلى تثقيف نفسه، بالاعتكاف على القراءة، وقام برحلات إلى الحجاز ومصر وبقاع كثيرة داخل اليمن، ومنها رحلته الهامة بوادي دوعن، والتي حاول فيها أنه يحل الخلافات الناشئة مع بعض قبائل الوادي والحكومة القعيطية القائمة آنذاك، وقد كتب هذه الرحلات الثلاث، تلميذاه علوي بن طاهر الحداد ومحمد عوض بأفضل في كتب مخطوطة، نشرت فيما بعد مع ترجمته لنجله علي بن أحمد. وقد أعطى المترجم جل اهتمامه لجمع أكبر عدد من المخطوطات عن تاريخ حضرموت واليمن، ومختلف العلوم والآداب، قل نظيرها في المنطقة، وقد أشار إلى هذه المكتبة وإلى ما تحويه من مخطوطات نادرة، أكثر من أرخ لحضرموت، ولا زالت إلى اليوم يشار إليها بالبنان، ويندر أن لا يزورها الباحثون العرب والأجانب وذوو الاهتمام من اليمنيين.

وإضافة إلى كلامه المنشور الذي جمعه بعض تلامذته ورحلاته الثلاث، ألف هذه الرسالة التي نحن بصددنا والمعروفة بـ «رسالة العطاس في الأنساب». وقد كتب بعض المؤرخين نقداً لبعض ما ورد فيها من أنساب لساكنيها، - انظر كتاب «الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها» لتلميذه علوي بن طاهر الحداد.

توفي - رحمه الله - في ٦ رجب سنة ١٣٣٤ (٨ مايو ١٩١٦م)، وقد ترجمه أكثر من مؤرخ، ومما ألف في ترجمته: «عقود الألماس بمناقب أحمد بن حسن العطاس» جمعه تلميذه علوي بن طاهر الحداد في جزءين طبع سنة ١٩٤٩م، و«ترجمة شيخ الإسلام أحمد بن حسن بن عبدالله العطاس» بقلم ابنه علي، نشرته (دار الضياء) في القاهرة سنة ١٩٥٩م مع رحلاته إلى مكة ومصر ووادي دوعن في (حضرموت) و «ذخرة الأكياس في مناقب أحمد بن حسن العطاس» تأليف محمد عوض بالحنان، ذكره صاحب «مصادر الفكر الإسلامي في اليمن» عبدالله محمد الحبشي، «تاريخ الشعراء الحضرميين» تأليف عبدالله بن محمد السقاف، مطبعة (العلوم) في مصر الجزء الرابع ص ١٠١ إلى ١١٠، «لوامع النور، نخبة من أعلام حضرموت» تأليف أبو بكر العدني المشهور، نشرته مكتبة (دار المهاجر) صنعاء، الجزء الأول ص ٢٢٠ إلى ٢٣٨.

ضبط أسماء القرى والوديان: الواردة في الرسالة مع نطقها الصحيح لدى أهل المنطقة، وكما ورد في المعاجم والكتب التاريخية وحسب صفحات المخطوطة:

- ١- بِالْحَافِ، الْمَجْدَحَةِ، عَيْنَ بَا مَعْبَدَ، جَرَوَانَ.
- ٢- عَيْنَاتِ، الْقَرْيَةِ، بَيْتِ جُبَيْرِ، الْعُرْفَةِ، اللَّسْكَ، تَارِبَةَ، تَرَيْسَ، الْغُرْفَةَ، ذِي أَصْبَحَ، خَلَعِ رَاشِدَ، مُوشِحَ، خُمُورَ، حَرِيضَةَ، نَفْحُونَ، خَنْفَرَ، عَنَقَ، بُوْرَ.
- ٣- عَمْدَ، الْمَشْهَدَ، سَدْبَةَ، الْهَجْرَيْنِ، خَيْدُونَ، صَيْفَ، الْعَرَسَمَةَ، حَوْفَةَ، الدُّوْفَةَ، الْجَحِي، الْجَبِيلَ، بَضَّةَ، الْقَرَيْنِ، الرَّشِيدَ، الْخُرَيْبَةَ، وَادِي حَمَمَ، كَنِينَةَ.
- ٤- الصُّومَعَةَ، الرَّيْضَةَ، الْحَزَمَ، دَمُونِ، الْجَدْفِرَةَ، مِسْطَةَ، حَبَانَ، رَخِيَةَ، الْجَبُوبَ.

٥- حَبْرَة، مَرِيْمَة، بَرَاوَة، مَنُوب.

٦- إلكسِر، لَحْرُم، فَضْح، لَحْمَاس، شَرَّاح، بَحْرَان، القُفْل، شَرِيُوف، الظَاهِرَة، السَّفُولَة، عَنبِيْدَة، رَيْبَعَة، القُوْهَة، خَرْبَة القَمَازِيْن.

٧- سَرِيْوَاة، حُمَّة، البَطِيْح، تَبْرَعَة، المَيْزَعَة، النَعِيْر، رِيْدَة الصِّعْر، المَنِظْرَة، قَبْضِيْن.

٨- رِيْدَة الدِّيْن، يَغْل.

٩، ١١- القَطْن، حُوْرَة، جِبَل الكُوْر، حَوِيْرَة، العَرَش، كَلْبُوت، المِذِيْب، العَجَل، لَبْنَة، حُرُوبَة، لُجْرَات.

١٢- السَّيْطَان، السُّوْط، جَرْدَان، دُهُر.

١٣، ١٤- سَنَاء، سَيْحُوت، المَشَقَاص، سَاه.

١٥- عَنْدَل، بَرُوم، الحَفِيْرَة، مَدُوْرَة، تَوَلْبَة.

١٧، ٢٣- مَدُوْدَة، التَّقَعَة، السَّفِيْل، الجَوِيْب، الجُول، الحُوْطَة، الرُّوْضَة، الجُوف السُّوم.

٣٠، ٣١- عَمِقِيْن، أَنْف خُطْم، المُحْتَرِقَة، صِيْف، مَحْرَمِيَّة، حِبُوْضَة، العَجِر.

وصف مخطوطة الرسالة^(*): مؤلفها توفي في عشر الأربعين من القرن الماضي، فهو قريب من عصرنا، وهذه الرسالة لم يرد في آخرها تاريخ لنسخها، إلا أنه ليس من المستبعد أن تكون بخط مؤلفها، إذ في آخر صفحة منها: (بانا مل الفقير إلى ربّه) ثم ختم يبدو أنه باسمه تاريخه ١٣٢٤ وقد تكون الأولى ليست بخطه. وهاهو نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فهذه فوائد جمعناها، ومن خطوط الثقات نقلناها، ولمن استهداها منا
أهديناها، وأثبتناها كما وجدنا، وأضفنا إليها من الفوائد ما أضفناها، وهي
مختصرة في نسبة بعض القاطنين في وادي حضرموت المبارك، ومساكنهم، والله
المأمول وإليه الاستناد، وعليه الاعتماد وإليه المرجع والمعاد.

فصل: إعلم أن وادي حضرموت مخلاف من مخاليف اليمن، وهو شرقي
(عدن) وهو ممتد من مرسا بالأحاف والمجدحة وعين بامعبد إلى سيحوت،
وعرضه من البحر إلى جردان وجمال مأرب، وهو مشتمل على مدن وقرى،
وحصون ومزارع ونخيل، وذُبُور وبه آثار قديمة بنيت، وكتابات في بعض
الأماكن بالكتابة القديمة منقوشة في الحجارة، [٢] وتلك الكتابة توجد في أماكن
كثيرة، وقطأنه آل بيت النبي ﷺ وهم (آل باعلوي) الحسينيون الشرفاء السنيون،
ونسبهم معروف عند الخاص والعام، ويتنسبون إلى السيد الشريف العارف بالله،
والمهاجر إلى الله من العراق والبصرة، إلى مكة والمدينة واليمن، أحمد بن
عيسى بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي
زين العابدين بن الحسين السبط ابن أمير المؤمنين علي، وأم الحسين فاطمة
الزهراء ابنة سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد بن عبد الله ﷺ. حتى استقر هو
وأولاده بوادي حضرموت بتريم وعينات والقرية وبيت جبير والعرفة وما والاها.
واللُسك وتاربة وبُور وسيون وتريس والعرفة وذي أصبح وخلع راشد وموشح
ونواحيه وشبام وخُمور وحريضة ونواحيها، ونفحون وخنقر وعنق [٣] وعمد
والمشهد وسدبة والهجرين وقيدون وصيف، والوادي ليسر^(١) من دوعن
العرسمة وصبيخ وحوقة والدوفة والجحي وفي اليمن، الجبيل وبلاد الماء
وقارة المحظار والقرين والرشيد والخريبة والرباط وغير ذلك من المنازل التي
اشتمل عليها الوادي، وما والاها مثل وادي حمم والشحر والمكلا وكنينة وحجر
وغيل باوزير، وغيل ابن يمين وغير ذلك من المنازل رضي الله عنهم.

أما (تريم) فهي المدينة الجامعة لهم ومنها تفرقت قبل السادة إلى الوادي

المذكور وغيره من الأفاق، كالحرمين الشريفين، واليمن والهند وجاوة ومصر،
وتفصيل أنسابهم وتعيين محلاتهم فهي مذكورة في الكتب المؤلفة في تراجمهم
كـ «المشعر» و «الغرر والقرطاس» و «الجوهر» و «العقد النبوي» و «فيض
الأسرار» وغير ذلك من كتب المناقب.

فصل: أما آل العيدروس فهم في (تريم) وثبي [٤] والصومعة والريضة وتاربة
وتريم وبور والحزم والشحر وغير ذلك.

وأما آل شهاب ففي تريم ودمون.

وأما آل عطاس ففي حريضة والمشهد وعمد وعنق والجذفرة ونفحون وسدبة
والصيف وموشح واللسك والهجرين وصبيخ والخريبة وبضة والشحر والمكلا
وحجر وغير ذلك.

وأما آل الشيخ أبو بكر بن سالم فهم في عينات ومشطة وتاربة وسيون والغريب
وخمور وعمد وقارة المحظار والجبيل وحبان ورخية وبيحان وغير ذلك.

وأما آل الحبشي ففي خلع راشد وسيون وتاربة وخنفر والرشيدي وغير ذلك.
وأما آل طه بن عمر وآل علي بن عبدالله آل السقاف فهم في سيون.

وأما آل الكاف ففي تريم والهجرين وعمد والجبوب.

وأما آل البار ففي القرين والخريبة وتريم.

وأما آل الصافي [٥] ففي الرباط.

وأما آل الجفري ففي تريس وجبرة ودوعن وغير ذلك.

وآل بيتي بكينة.

وأما آل الحداد فهم في حاوي تريم وقيدون والقرين.

وآل سميظ بتريم وشبام وتاربة.

ومن أراد الاستقصاء عليه بالكتب المؤلفة في ذلك والشجرة التي جمعها

السيد الشريف العالم المحقق المدقق المتقن عبدالرحمن بن محمد المشهور فإنه جمع فيها قبائلهم وبلدانهم فجزاه الله خيراً.

أما السادة آل المشهور الحسن فهم ذرية الشريف يوسف بن عابد في سيون ومريمّة، وآل الجيلاني آل برآوة وميفعة.

وآل محمد نور بالهجرين.

وآل شعيب بالهجرين فالجميع ينتسبون إلى الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

وأما السادة آل بلخي بدوعن ومثوب وآل علوي بن ناصر بدوعن إلى موسى ابن جعفر الصادق.

فصل: وأما الأعراب القاطنون في الوادي [٦] فهم نهد ومرة وكندة وهمدان وحمير ونوح والعوامر وآل باحربي وبنو تميم والمناهيل والمهرة.

فصل: أما نهد فمساكنهم الكسر وماوالاه من المنازل فهم في لحروم وقصح والخماس وشرّاح وبحرّان والقفل والقارة وشرّيوف والظاهرة وقعوطة ومثوب والسفولة وعنبيدة وربيعة والفوهة وخربة القمازين ويقال لهم روضان وهم آل عامر بن فضلة.

وقبائل روضان آل ثابت وآل عجاج وآل مقيزح وآل منيف وآل عبدالله وآل بدر فهاؤلاء روضان.

وأما المقاريم والظلفان فهم الشراشرة وآل عبري وآل حويل وآل كوير وآل جذنان وآل مخلاه وآل شرماني.

وأما بنو يزيد فهم بنو شبيب والحمضان والرماة والقمازين فهاؤلاء بنو نهد.

فصل: وأما بنو مرة فهم الجعدة ومسكنهم وادي عمد [٧] ومجزعته فهم في نّفحون والسيلة ونواحيها والجدفرة وسريوأة وحمة عنق والبطيح والنغير وعمد ونواحيه وتبرعة.

والميّزعة فهم آل هلابي وآل غانم والمراضيح وآل شمالان وآل لجذم
والروامصة آل الشبية وآل عامر بن علي وآل سليمان بن علي، وآل حمد بن علي،
والصقره هاؤلاء قبائل مرة.

فصل: وأما كندة فمسكنهم الآن ريذة وهم قبائل كثيرة ويجمعون في آل
محمد بالليث وآل علي بالليث، وغيرهم من قبائل كندة مفرقين في الوادي.
ومن كندة أيضاً بنو تجيب بهينن وابن مرتع وآل محفوظ وآل عفيف وآل
الفخر بالمنيطرة وآل سعيد الجميع بالهجرين.

والصدف بريذة الدوم، وآل مهدي بقبضين ومنهم المشايخ آل الشيخ علي
باراس بدوعن وحجر والجبال وآل باسودان بدوعن، وآل بابقي بدوعن والشحر
واليمن [٨] وقبلان آل باسودان. وآل بابقي في مدجح.

ومن كندة أيضاً ابن دغار بحجر ودار في آل مخاشن بالقارة وباجمال وبالكثير
وباحفين وابن حميد بتريس ونواحيها، وباقيس بزاهر ودوعن وباكرمان بالخربة،
وباسبيت منخوب وبابحير وبصعر بدوعن وبايومين والياس بريذة الدين.

فصل: وأما همدان فهم آل كثير ومسكنهم بين شبام وسيؤن ومريمة في القارة
ويغل وباطن السرير وسيؤن ومريمة وماوالاها من البقع، وبعض منهم في الجبال
في ند آل كثير ويقال لهم الشنافة وهم آل جعفر بن الضويمر وآل جعفر بن طالب
وآل عامر بن سالم بن يمان، وآل طالب بن مرعي بن يمانى فهاؤلاء قبائل همدان.

وأما بيت الدولة أولاد السلطان بدر بن عبدالله أبو طويرق فقليل إن نسبهم في
همدان [٩] وقيل غير ذلك، وذكر الياس المكي أنهم في بني ظنة ونحن نورد
نسبهم الذي حرره السيد الشريف أحمد بن عبدالرحمن العيدروس فقال في
نسبة السلطان بدر المذكور نقلاً عن سيدي زين العابدين بن عبدالله بن شيخ
العيدروس فيما نقله عن تاريخ حنبل وغيره من أهل الفضل وأهل حضرموت
فقال: بدر بن عبدالله بن جعفر بن عبدالله بن علي بن عمر بن جعفر بن بدر بن
محمد بن علي بن كثير بن ظنة بن حرام بن عامر المكنى حرام بن عمر بن سبا

الأكبر بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن النبي هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، قلت: وقال عمر بن علي بارسول في رسالته غير ذلك فليححر ثم قال: إنما سردت هذه النسبة لأن الأصح من أنه من بطون بني ظنة وأول من انتظمت له الولاية في جهة حضرموت أعني السلطان بدر [١٠] بن عبدالله لما تحققوا على نسبه سبعة من ساداتنا آل أبي علوي [.....].

فأقام الله السلطان بدر المذكور في تلك السنة وأيده ونصره وطرق جميع جهة حضرموت واستولاهما من ظفار إلى عين بامعبد نحو ثلاثة أشهر وعشرة أيام حتى بلغت ولايته أربعين سنة، وكان يقول: ثلاث خصال افتخر بهم على الملوك: (لا يوجد في ملكي سارق ولا محتاج ولا زاني) انتهى، وبعض من قبائل آل كثير في النجد من الجبال فهاؤلاء قبائل همدان.

فصل: وأما حمير فهي قبائل كثيرة وهم يافع ويتسبون في حمير الكبرى ومسكنهم شبام والقطن والشحر والمكلا والهجرين وحورة، ومنهم الجمعدار عوض بن عمر القعيطي وهو المتولي في هذه الأماكن وإليه يرجع أمرها [١١] وجميع الأماكن هذه تحت حكمه ومن حمير سيبان وهم عكبري وبنو حسن وسومحي وحامدي وأهل كور الخامعة والمراشدة والقشم والحالكة وآل باخشوين ومسكن سيبان جبل الكور، ودوعن الوادي الأيمن وليسر وحويرة ونواحيها ووادي العرش ووادي حمم وكلبوت والمذنب ووادي المحمدين والحجاري وما حوالها والنقعة والزعفرانة والعجل.

وأما نوح فهو اسم جامع لسيبان الجميع ويطلق على بني محمد وآل باصبارة وآل بارشيد ومسكنهم حجر ووادي المحمدين ولبنة بارشيد وماوالها من الجبال ومنهم أيضاً باعراقي وباجبير دوعن وبياحي حجر وبياحي حروبه ودوعن وآل المعلم محمد وبابطين لجرات وآل علي بن سالم حريضة ودار من آل رباع وبن حترش الفوهة وبن عدوان القرن [١٢] وباعشرة وبلعين وباحميش وباحكيم القرن ويقال ان باحكيم هلالى وسيأتي شيء من ذلك.

ومن حمير أيضاً المشاجرة وقبائل السلطان والدين إلا من داخلهم من القبل المفرقة.

وأما قبائل السوط آل بلعبيد فهم آل بالجهم وباهيصمي وهو الراس وباسباع وباكرش وباحيان وباعبدالله دو عن وجردان وابن حيدرة وكربي ومسيعى وباوهال وباتينمه وسيأتي شيء من ذلك.

فصل: وأما العوامر فمسكنهم تاربة وما حواليتها والنجد من الجبال والرملة ما بين حضرموت وعمان وقبائلهم الحطاطبة والكسابيب وآل خمير وآل عبد الباقي ومعرفة بيوتهم فصلها صاحب «سبائك الذهب».

وأما آل باجري يقال أنهم من قبائل غسان ومسكنهم عرض بُور.

فصل: وأما بنو تميم والمناهيل فمسكنهم ما بين تريم ونواحيها [١٣] وقبر نبي الله هود إلى سنا وما حواليتها.

وأما المهرة اليمن فهم في سِيحُوت والغِيضة والمشَقَاص ويتسبون بنو تميم والمناهيل في بني ظنة والمهرة إلى قضاة وسيأتي شيء من ذلك.

وأما قبل مدحج فهم الحموم ومسكنهم جبال الشحر وساه والغيل إلى حضرموت.

(للبحث صلة)

الحواشي:

(*) ورد في الرسالة كتب ومؤلفون هي: «المشروع الروي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي» لمحمد بن أبي بكر الشلي (ت ١٠٩٣)، «غرر البهاء الضوي في مناقب السادة بني بصري وجرير وعلوي» لمحمد ابن علي خرد (ت ٩١٠)، «القرطاس بمناقب الحبيب عمر العطاس» لعلي بن حسن العطاس (ت ١١٧٢) مخطوط، «الجوهر الشاف في فضائل ومناقب السادة الأشراف من آل أبي علوي وغيره من الأولياء العرّاف» مخطوط في مجلدين لعبدالرحمن بن محمد الخطيب (ت ٨٥٥)، «العقد النبوي في مناقب أهل البيت المصطفوي» في تراجم الأعيان من أهل حضرموت (مخطوط) لشيخ بن عبد الله بن شيخ العبدروس (ت ٩٩٠)، «فيض الأسرار» لعبدالله باسودان (ت ١٢٦٦).

(١) أي (الأسير).

«أنساب الأشراف» للبلاذري

(مطبوعة الأستاذ محمود فردوس العظم)

- ٦ -

- ٥٠٩- ص ٤٠٩: (فلا أدري أين هما) وهي: (فما أدري أين هما).
- ٥١٠- ص ٤١٠: (أنسٌ غَرائز) وهي: (أنسٌ غَرائزُ) - بالراء ولعل ما هنا تطبيع.
- ٥١١- ص ٤١١: (عبدالله بن حسن بن علي) وهو: (عبدالله بن حسن بن حسن بن علي).
- ٥١٢- ص ٤١٢: (فكلم المنصور في رده، واستبطأ المنصور زيادا) وفي المخطوطة: (فكلم المنصور في ردهً فَرَدَهُ، واستبطأ المنصور زياداً).
- ٥١٣- وفيها: (من بعد ما ظهرا) وهي: (من بعد أن ظهرا).
- ٥١٤- ص ٤١٣: (عبدالعزیز بن عبدالمطلب) وهو: (عبدالعزیز بن المطلب).
- ٥١٥- وفيها: (قدم إلى البصرة) وهي: (قدم البصرة).
- ٥١٦- ص ٤١٤: (ونشرب هذا الماء حتى) وهي: (ونشرب هذا الماء البارداً حتى).
- ٥١٧- وفيها: (واصطفاء أمواله) وهي: (واصطفاء ماله).
- ٥١٨- وفيها: (ودعا المنصور بعقبة بن سلم) وفي المخطوطة: (ودعا المنصور بعقبة بن أسلم).
- ٥١٩- وفيها: (عبدالله ومن أخذه معه) وفي المخطوطة: (عبدالله ومن أخذَ معه).
- ٥٢٠- ص ٤١٥: (فلم يزل عبدالله محبوساً) وفي المخطوطة: (فلم يزل عبدالله بن حسن محبوساً).
- ٥٢١- ص ٤١٧: (فأقبل حتى بيت عاتكة) في المخطوطة: (فأقبل حتى أتى بيت عاتكة).
- ٥٢٢- وفيها: (فحبس على بابه) وهي: (فجلس على بابه).
- ٥٢٣- ص ٤١٨: (فراح سلجم ينادي) وهي: (فكان سلجم ينادي).

٥٢٤- ص ٤١٩: (حتى أكتب وأهل بيتي) وهي: (حتى أكتب إلى موالي هناك وأهل بيتي).

٥٢٥- ص ٤٢٠: (وكتب المنصور) وفي الأصل: (قالوا: وكتب المنصور).

٥٢٦- وفيها: (فإن تبت ورجعت قبل أن أقدر) وهي: (فإن تبت ورجعت من قبل أن أقدر).

٥٢٧- ص ٤٢١: (وأوفى بالعهد) وهي: (وأولى بالوفاء بالعهد).

٥٢٨- ص ٤٢٣: (انويا أمير المؤمنين العفو، قال) وهي: (انويا أمير المؤمنين العفو تظفراً، قال).

٥٢٩- ص ٤٢٥: (عبدالله بن المسور بن مخرمة) وهي: (عبدالله بن جعفر بن عبدالله بن المسور بن مخرمة).

٥٣٠- وفيها: (لا طاقة بمن ترى) وهي: (لا طاقة لك بمن ترى).

٥٣١- وفيها: (ويقول: إني محرج مظلوم) وهي: (ويقول: ويحكم إني محرج مظلوم).

٥٣٢- وفيها: (مرة في خروجي ومرة). وهي: (مرة في خروجي وبعده).

٥٣٣- ص ٤٢٦: (وقتل بيده اثني عشر رجلاً) وفي المخطوطة: (وقتل بيده اثنا عشر رجلاً).

٥٣٤- وفيها: (بشثة شطوبة) وهي: (بشقة شطوية). وفي كتب اللغة: الثوب الشطوي هو ثوب منسوب إلى شطا، اسم قرية بمصر، وإذن فلا حاجة للحاشية، المتعلقة بـ (شطب).

٥٣٥- وفيها: (فأصابت منكبيه فأثختته) وهي: (فأصابت منكبه فأثخنه).

٥٣٦- وفيها: (الألوية المنصورية) وهي: (الألوية المنصوبة) وفي الهامش - (المنصورية خ) -.

٥٣٧- ص ٤٢٧: (تنكته أطراف مزو حداد) وهي: (تنكته أطراف مَرُو حداد). والمَرُو: حجر أبيض صلب أطرافه حادة معروف بالبادية، وعلى هذا فما في الحاشية خطأ.

- ٥٣٨- ص ٤٢٨: (أرسل محمد بكذا) وهي: (أرسل محمد إلي بكذا).
- ٥٣٩- وفيها: (صبيحة تسع عشر ليلة) وهي: (صبيحة تسع عشرة ليلة).
- ٥٤٠- وفيها: (أتاه كتاب المنصور بالعرج) وفي المخطوطة: (أتاه كتاب المنصور بخروج إبراهيم بن عبدالله بن حسن بالبصرة، وأمره بالقدوم عليه، ويقال: بل أتاه كتاب المنصور بالعرج).
- ٥٤١- ص ٤٢٩: (محمد بن عبدالله فأمننا) وهي: (محمد بن عبدالله فأومئنا).
- ٥٤٢- وفيها: (وجه من الحق لا جب) وهي: (وجه من الحق لا حب).
- واللاحب الواضح وليس (لا جب) كما فسر المحقق.
- ٥٤٣- وفيها: (هذا من الشر لعبة) وهي: (هذا من الشر نغبة) وفي الهامش (لعبة).
- وفيها: (تناصي المنايا) وهي: (تناضي المنايا).
- ٥٤٤- وفيها: (وما تقضني ماضيات التجارب) وهي: (وما نفعني ماضيات التجارب).
- ٥٤٥- ص ٤٣٠: (ذكر أمر محمد وإبراهيم) وهي: (ذكر له أمر محمد وإبراهيم).
- ٥٤٦- ص ٤٣١: (له حد لله جد) وهي: (له حد وجد).
- ٥٤٧- ص ٤٣٢: (بغداد يرتاد له) وهي: (بغداد وهو يرتاد له).
- ٥٤٨- وفيها: (تأخذكم من لقائهم وجل) وهي: (يأخذكم من لقائهم وجل).
- ٥٤٩- ص ٤٣٣: (فما لسقت لامراه كتفا) وهي: (فما كشفت لا مرآة كنفًا).
- ٥٥٠- وفيها: (وقال السدي بن شاهك) وهي: (وقال السدي بن شاهك).
- ٥٥١- وفيها: (وأنته ريشانة قيمة جواريه) وهي: (وأنته ريشانة قيمة جواريه) وعلى السنين علامة الإهمال.
- ٥٥٢- ص ٤٣٤: (خراش) وهي في المخطوطة (خداش) في الموضوعين.
- ٥٥٣- ص ٤٣٥: (مصعب بن عبدالله وغيره) وهي: (مصعب بن عبدالله وغيرهما) وهو الصواب، لأن الضمير يرجع إلى راويين.
- ٥٥٤- وفيها: (فاخرجوا إلى ابن أبي الربيع) وهي: (فاخرجوا إلى ابن أبي الربيع).
- ٥٥٥- ص ٤٣٦: (وتفرق السود.... وقبض على كل رجل أسود) وهي: (وتفرق السود.... وقبض كل رجل على أسود).

- ٥٥٦- ص ٤٣٧: (المغيرة بن الفرع) وهي: (المغيرة بن الفرع).
- ٥٥٧- ص ٤٣٨: (إلى غيلة بن مرة) وهي: (إلى نُمَيْلَة بن مرة).
- ٥٥٨- وفيها: (ابن عبد شمس بن سعد) وهي: (ابن عَبْشَمْس بن سعد) وهذا هو المعروف باسمه.
- ٥٥٩- وفيها: (تكرر المغيرة بن الفرع) وهو (المغيرة بن الفرع) بالزاي كما تقدم.
- ٥٦٠- ص ٤٣٩: (وأراد قثم بن العباس ... أن يخرج في اليمامة) وهي: (وأراد قثم بن العباس ... أن يخرج عن اليمامة).
- ٥٦١- ص ٤٤٠: (يمضي على هيئته) وهي: (يمضي على سُنَّه).
- ٥٦٢- ص ٤٤١: (عقبة بن سلم) وهي: (عقبة بن مسلم).
- ٥٦٣- ص ٤٤٣: تكرر اسم المغيرة بن الفرع وفي المخطوطة: (ابن الفرع) بالزاي كما تقدم.
- ٥٦٤- ص ٤٤٤: (ثم امتدَّ فخرج) وهي: (ثم آمنه فخرج).
- ٥٦٥- وفيها: (عامر بن إسماعيل المسلمي) وهي: (عامر بن إسماعيل السلمي). وفي الهامش (المُسْلِي خ) -.
- ٥٦٦- ص ٤٤٥: (على الكلاء بالمشط) وهي: (على الكلاء بالشَّط).
- ٥٦٧- وفيها: (جاء إبراهيم ملكا) وهي: (جاء إبراهيم لِيُزِيلَ ملكا).
- ٥٦٨- وفيها: (وأُتِيَ المنصور بالقيمية) وهي: (وأُتِيَ المنصور بالتَّيْمِيَّة).
- ٥٦٩- ص ٤٤٦: (غدا أريحيا عاشقًا للمكارم) وهي: (غدا أريحيا في الرجال الأكارم).
- ٥٧٠- وفيها: (مثل ابن ناظم) وهي: (مثل ابن فاطم).
- ٥٧١- ص ٤٤٨: (والبدن إن كبت لتنعير) وهي: (والبدن إذ كَبَّتْ لِتَنْحِيرِ) وبعده سقط بيت نصه في المخطوطة:
- لقد أتاك العدى عني بفاحشة منهم فرَوْهَا بِإِسْرَافٍ وَتَكْثِيرِ
- ٥٧٢- ص ٤٤٩: (عند السدي بن شاهك) وهي: (عند السندي بن شاهك) وتقدم.

٥٧٣- ص ٤٥١: (والله ما احدك ولا أعتد بك) وهي: (والله ما أعتدك ولا أعتد بك).

٥٧٤- ص ٤٥٢: (ومرة لم يحفل بفضل أبي بكر) وهي: (ومرة لم تحفل بفضل أبي بكر). ومرة هنا ليس كما علق المحقق ابلّيس بل قبيلة.

٥٧٥- ص ٤٥٣: (كان الحسن اكبر من الحسين) وهي: (كان الحسن أسنَّ من الحسين).

٥٧٦- وفيها: (أبي الحوراء السعداء السعدي) وهي: (أبي الحوراء السعدي).

٥٧٧- وفيها: (لقد قمت وما أعقل) وهي: (لقد قمت إليه وما أعقل).

٥٧٨- ص ٤٥٥: (وهذا أبو موسى جعفر) وهي: (وهذا أبو موسى بن جعفر).

٥٧٩- ص ٤٥٦: (الا أن تضاهوا وتنقضوا ما كان، فإننا) وهي: (إلا أن تضاموا فتنقضوا، فأما نحن فإننا).

٥٨٠- ص ٤٥٧: (وهو ابن ام ذيبان) وهي: (وهو ابن أم دينار).

وفي الهامش (ذيبان خ).

٥٨١- وفيها: (محمد بن بشر الهمداني) وهي: (محمد بن بشر الهمداني وفوق الكلمة (صح).

٥٨٢- ص ٤٥٨: (وتطلعهم إليه وقد لقوا) وهي: (وتطلعهم إليه، وأن قد لقوا).

٥٨٣- ص ٤٥٩: (وكان رجال من أهل العراق، واشحان أهل الحجاز) وهي: (وكان رجال من أهل العراق، وأشرف أهل الحجاز). كما أثبت الشيخ المحمودي، في مطبوعته وليس خطأ، وتفسير المحقق بعيد عن المقصود.

٥٨٤- وفيها: (واكمن عنه الثرى) وهي: (وأكمن عنه كُموُن الثرى).

٥٨٥- وفيها: (فإني متى أنكرك ومتى تكدني أكدك) وفي المخطوطة: (فإني متى أنكرك تُنكرني، ومتى تكدني أكدك).

(للبحث صلة)

حمد الجاسر

الشيخ العلامة محمد الحافظ بن حميد

[نشرت «العرب» س ٣٤، ص ٢٥٥ ترجمة للشيخ الحافظ - رحمه الله - بقلم الأستاذ فايز الحربي، وبعدها تلت شاكراً ومقدرة من تلميذه الحسين بن حيدر الهاشمي، ترجمة فيها إضافات مفيدة، وما هي]:

اسمه: هو محمد الحافظ بن موسى بن حميد، وحميد كما ضبطناه من فيه بفتح الحاء المهملة وكسر الميم بعدها ياء ساكنة، والحافظ لقب لُقِّبَ به مشايخه لكونه حافظاً لمتون كثيرة وعلوم عديدة.

ولد في ربيع عام ١٣٣٥ هجرية.

تلقى العلم أول ما تلقاه في ربيع حيث كانت تمر برايع قوافل الحجاج والمعتمرين والتجار برأً وبحراً، فلربما كان في القوافل عالم بل إمام، فقد كان أبوه يضيف العلماء وينهل من ينابيع علمهم، حتى ظهرت على الابن علامات النجابة وإمارات الاستجابة، فانتقل به أبوه إلى المدينة، والحقه بمدرسة العلوم الشرعية، فتخرج من القسم الابتدائي بتفوق عام ١٣٥٤ هـ - فعين مدرساً فيها في العام ذاته، وإنه لكذلك إذ حل عليه عام ١٣٧٤ هـ فعين قاضياً بالمحكمة الشرعية بالمدينة المنورة حتى أحيل إلى التقاعد في عام ١٤٠٢ هـ.

وكان يأخذ العلم عن المشايخ حتى في غير المدرسة، وذلك إما في المسجد النبوي وإما في دار أحد المشايخ، أو من خلال المجالس العلمية.

فمن مشايخه في مدرسة العلوم الشرعية والمسجد النبوي:

١- العلامة أمين الطرابلسي الأزمرلي، وكان علامة في الحساب والفرائض، بل إمام في هذا كله، وقد أجاز له اجازة رواية أيضاً.

٢- العلامة محمد الطيب الأنصاري.

٣- العلامة حسين أحمد المدني، وقد أجاز له اجازة رواية ودراية.

٤- العلامة أحمد الفيض أبادي.

٥- العلامة محمد عبدالله المدني التمبكتي.

- ٦- الشيخ رشيد بن أحمد الصديقي.
- ٨- العلامة المحجوب المالكي، وقد أجاز له إجازة رواية أيضاً.
- ١٠- العلامة الثعالبي وقد أجاز لها إجازة رواية مراسلة.
- ١١- الملك محمد إدريس بن محمد المهدي السنوسي ملك ليبيا، أجاز له إجازة رواية، ولم يدرس عليه.
- ١٢- الإمام محمد الطاهر بن عاشور القرشي، وقد أجاز له كذلك رواية مصنفاته.
- ١٣- العلامة محمد الطيب بن محمد الطاهر بن عاشور، وقد أجاز له إجازة رواية، وقد زار المدينة فأقعه على كرسيه في المسجد فكان يلقي الدروس مدة إقامته بالمدينة، وأعظم ذلك منه.
- ١٤- العلامة زكريا الكاندهلوي. ١٥- العلامة الطيب الديوبندي.
- ١٦- وأجاز له العلامة عمر حمدان المحرسي شفاهاً وهو صغير. وأجاز له كثير غير هاؤلاء، ودرس على كثير غير هاؤلاء كالشيخ عمر برّي المدني وغيره. وكان للشيخ تلاميذ كثير أكثرهم قد نبغ وانتهى فمن هاؤلاء:
- ١- الأديب الكبير عبدالعزيز الربيع وكان من أخص تلاميذه به.
- ٢- الأستاذ الوزير علي بن حسن الشاعر.
- ٣- الأستاذ الأديب محمد هاشم رشيد.
- ٤- الشيخ حماد بن محمد الأنصاري. ٥- الشيخ محمد ثاني بن علي.
- ٦- الأديب الكبير عبدالفتاح أبو مدين، وكان من أبر تلاميذه به.
- ٧- الدكتور عبدالله بن بكر أبو زيد. ٨- الشيخ أبو بكر بن جابر الجزائري.
- ٩- الدكتور محمد العيد الخطراوي. ١٠- ماجد الحسيني.
- ١١- الأستاذ الجليل الشيخ حمزة بن محمد قاسم.

١٢- الدكتور أسامة عبدالرحمن. ١٣- الدكتور عمر بن محمد فلاتة.

١٤- كاتب هذه الأسطر حسين بن حيدر الهاشمي، فقد كنت آخر تلميذ درس وتخرج من عنده وأجاز له اجازة دراية ورواية.

كان الشيخ قاضياً وفتياً وفرضياً لغوياً مؤرخاً راوية حافظاً عالماً بالشعر قديمه وحديثه فصيحاً ونبطياً، عالماً بأسماء المواضع لاسيما معالم المدينة، وعنه أيضاً أخذت أنساب القبائل المعاصرة. إلا أنساب الأشراف فلم يكن فيها بذاك.

كان مشهوراً بالدهاء والفتنة والذكاء، فما رأيت أدهى ولا أذكى منه ولا أحفظ. كان له أثر في نهضة الحركة التعليمية في المدينة وتنشيطها، وكان يشجع طلاب العلم على طلبه، وكان يُحَبَّبُ لتلاميذه قراءة المجلات والصحف لاسيما المجلة الأدبية مجلة الحديقة.

استدراك: ولما زار طه حسين المدينة المنورة وزار المآثر والمعالم كان الذي يرافقه هو الشيخ محمد الحافظ، قال شيخنا: لقد وقف طه حسين على قبر عمر وقفة طويلة معبراً عن اشتياقه لرؤية تلك المشاهد والمعالم فقال مثلاً فرنسياً، فقال له الشيخ: إن في العربية ما يغني عن هذا المثل الذي سبق العرب إلى معناه! فاستوضح منه طه حسين. فقال الشيخ: ذلك أن امرأة كانت تطوف حول البيت وتنشد:

تَحَمَلْتُ مَا لَوْ قَدْ تَحَمَلْتُ بَعْضَهُ جِبَالٌ (حَنِينٌ) أَوْ شَكْتُ تَتَصَدَعُ
فَاضَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ ثُمَّ رَدَدَتْهَا إِلَى نَاطِرٍ فَالْعَيْنِ فِي الْقَلْبِ تَدْمَعُ
فَسُرَّ طَه حُسَيْنٌ لِسَمَاعِ ذَلِكَ.

● توفي الشيخ في يوم الجمعة ١٢/٤/١٤١٨ هـ هذا ما تيسر ويمكن الرجوع لترجمته في كتاب «مدرسة العلوم الشرعية» لمحمد العيد الخطراوي.

حسين بن حيدر

«الأمكنة والمياه والجبال والآثار»

لأبي الفتح نصر بن عبدالرحمن الأسكندري المتوفى بعد سنة ٥٦١هـ

- ١٥ -

٦٧- بابُ أين، وأير، وأير^(١)

أما بفتح الهمزة بعدها ياءٌ ثم نونٌ: قريةٌ قرب إضمِ وبلادِ جهينة، بين مكة والمدينة، وإلى المدينة أقرب، وهناك عيونٌ.

وقيل: أينُ مدينةٌ في أقصى المغرب.

وقيل بدله بينٌ وأنه موضعٌ قريبٌ من الحيرة^(٢).

(١) ليس في كتاب الحازمي.

(٢) قال ياقوت في المعجم: أين وهو بين، وقد ختم به هذا الكتاب، وفي كتاب نصر، ثم أورد كلامه كله ولم يزد.

وأورد ياقوت في المعجم: قال الزمخشري: بين: عين بواد يقال له حورتان، وهو اليوم لبني يزيد الموسوي من بني الحسن، وقال غيره: بين اسمٌ وأد بين ضاحك وضويحك، وهما جبلان أسفل الفريش، ثم ذكر مرور الرسول صلى الله عليه وسلم في طريقه إلى بدر بمحيط ثم البتراء، وصفق ذات اليسار فخرج على بين، ثم على صحيرات اليمام، ونقل عن نصر: بين ناحية من أراض المدينة على بريد منها وهي منازل أسلم من خراعة، ونقل عن ابن هرمة:

أدار سليمى بين بين فمتغمر
أبني فما استخبرت إلا لتخبري

وأضاف: بين: اسمٌ بئر بوادي عبائر أيضاً.

وأضاف السهودي في «وفاء الوفاء»: بعد ذكر ضاحك وضويحك جبلان أسفل الفرش قال: وسئلها يصب في حورتين، وأثر العين والقرية اليوم موجود هناك، وكان بها قواكه كثيرة، حتى نقل الهجري: أن بين بلد فاكهة المدينة، وكانت تعرف من قريب بقرية بني زيد، فوقع بينهم وبين بني يزيد حروب، فجلى بنو زيد عنها إلى الصفرَاء وبنو يزيد إلى الفرع فخرت، وكانت منازل بني أسلم قديماً، وأضاف السهودي: ومحجة بين طريق الفقرة التي في شامي الجماعات، لأن بين على يمين مدفع مرين، وبين ملل، ومرين طريق، أي يسلك هناك، ويريد مرين بطرف عبود إلى آخر ما ذكر.

ويفهم من أقوال المتقدمين: أن بين هذا بقرب جبل عبود فيما بينه وبين الفريش. وجبل عبود معروف، يشاهده المتجه من المدينة في طريق مكة، قبل أن يصل إلى الفريش على يمينه (يقع هذا الجبل بقرب خط الطول: ١٧/ ٣٩ وخط العرض: ١٨ / ٢٤).

وَأَمَّا بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَالْيَاءِ وَآخِرُهُ رَاءٌ: نَاحِيَةٌ مِنَ الْمَدِينَةِ يَخْرُجُونَ إِلَيْهَا لِلزُّهْمَةِ (١).
 وَأَمَّا بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ بَعْدَهَا (٢) ثُمَّ رَاءٌ مُهْمَلَةٌ: جَبَلٌ نَجْدِيٌّ (٣).
 وَإِيرُ بَنِي الْحَجَّاجِ مِنْ مِيَاهِ بَنِي نُمَيْرٍ (٤).

٦٨- بَابُ الْأَيْسَنِ، وَالْأَيْسَرِ، وَالْأَنْسَرِ، وَالْأَشْتَرِ، وَالْأَشِيرِ (٥)

أَمَّا بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَبَعْدَهَا يَاءٌ تَحْتَهَا نَقْطَتَانِ وَسَيْنٌ مُهْمَلَةٌ ثُمَّ نُونٌ: مَوْضِعٌ أَحْسِبُهُ مِنْ دِيَارِ الْيَمَامَةِ (٥).

وَأَمَّا كَالأَوَّلِ إِلَّا أَنْ سِينُهُ مَفْتُوحَةٌ وَآخِرُهُ رَاءٌ: فِي شِعْرِ ذِي الرِّمَّةِ (٦).

- (١) لَمْ يَزِدْ يَأْقُوتُ عَلَى كَلَامِ نَصْرٍ غَيْرِ مَنْسُوبٍ، وَلَا اسْتَبْعَدُ أَنْ هَذَا تَصْحِيفُ ابْنِ (بَيْنِ) الْمُتَقَدِّمِ.
 (٢) كَذَا وَرَدَ فِي مَخْطُوطَةِ كِتَابِ نَصْرٍ، وَأَرَاهُ هُوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ يَأْقُوتُ فِي «الْمُعْجَمِ»: إِيرُ: مَوْضِعٌ بِالْبَادِيَةِ كَانَتْ بِهِ وَقْعَةٌ، وَقِيلَ: إِيرُ جَبَلٌ بَارِضٌ غَطَفَانِ، وَأُورِدَ مِنْ شِعْرِ زُهَيْرٍ:
 فَإِنَّ لَكُمْ مَاقِطَ غَشَائِبَاتٍ كَيْتُومٍ أَضْرَبُ بِالرُّؤْسَاءِ إِيْرُ
 وَأُورِدَ شَاهِدًا مِنْ شِعْرِ الشَّمَاخِ. وَفِي «مُعْجَمٍ مَا اسْتَعْجَمَ»: إِيرُ: بِكَسْرِ أَوَّلِهِ وَرَاءَهُ مُهْمَلَةٌ عَلَى بِنَاءِ فِعْلٍ، مِثْلَ غَيْرِ. قَالَ يَعْقُوبُ: إِيرُ: جَبَلٌ بَنِي الصَّارِدِ بْنِ مِرَّةَ، وَأَنْشَدَ الْمَرْزُوقُ بْنُ ضَرَارٍ:
 لِيَأْبَهُ بِكُنْدِيدِ حَمَارِ ابْنِ وَقِيعِ رَأَى الْكَبِيرِ فَاشْتَأَى مِنْ عَتَائِدِ
 قَالَ: وَعَتَائِدُ: هَضَابٌ أَسْفَلَ مِنْ إِيرِ لِبَنِي مِرَّةَ.
 (٣) لَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا يَأْقُوتُ، وَبِلَادَ بَنِي نُمَيْرٍ هَاؤُلَاءِ مُجَاوِرَةٌ لِبِلَادِ بَاهِلَةَ فِي نَوَاحِي عَرْضِ الْفُوتَيْعِيَّةِ. وَلَكِنَّهُ فِي بَابِ الْهَمْزَةِ مَعَ الْبَاءِ قَالَ: الْأَبْرُ: يَضْمَتَيْنِ: مِنْ مِيَاهِ بَنِي نُمَيْرٍ، وَيَعْرِفُ بِأَبْرِ بَنِي الْحَجَّاجِ.
 (٤) فِي كِتَابِ الْحَاذِمِيِّ: (بَابُ أَشْتَرٍ وَأَشِيرٍ).
 (٥) عِنْدَ يَأْقُوتٍ: اسْمٌ لِبَطْنٍ وَأَدٍ بِالْيَمَامَةِ، لِبَنِي عُبَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ، وَالْأَيْسَنُ: هَذَا السَّوَادِيُّ لَا يَزَالُ مَعْرُوفًا، تَجَاوَزَهُ عُمَرَانُ مَدِينَةَ الرَّيَّاضِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ، وَقُرُوعُهُ مِنْ مَرْتَفَعَاتٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الدَّرْعِيَّةِ، وَيَتَجَّهُ نَحْوَ الْجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ حَتَّى يَصُبَّ فِي وَادِي حَنِيفَةَ، وَقَدْ شَمَلَهُ الْعُمَرَانُ.
 (٦) أَصَافُ يَأْقُوتُ:

بِحَيْثُ نَاصِيِ الْأَجْرَعَيْنِ الْأَيْسَرِ

وَهَذَا مِنْ أَرْجُوزَةٍ طَوِيلَةٍ فِي الدِّيَوَانِ يَصِفُ فِيهَا الرُّسُومَ الدَّائِرَةَ مِنْ مَنَازِلِ مِيٍّ وَبَعْدَهُ:

فَهَجْنٌ وَقَسْرًا وَأَقْسَرًا لَا يُجَبَّرُ

وَجَاءَ فِي الشَّرْحِ: نَاصِي: وَأَصَلَ. وَالْأَجْرَعَانُ: رَمْلَتَانِ. وَالْأَيْسَرُ: مَوْضِعٌ وَالْوَقْرُ: الصَّدْعُ فِي الْعَظْمِ. وَلَعَلَّ الْمَوْضِعَ فِي الدَّهْنَاءِ.

وَبِالْتُّونَ لَجَمْعِ نَسْرٍ، رَضَمَاتٌ صَغَارٌ فِي وَضَحِ حَمَى ضَرِيَّةٍ، وَهُوَ فِي الْأَشْعَارِ
بِالنَّسَارِ، وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ: الْأَنْسَرُ: بَرَاقٌ بِيضٌ بَيْنَ مَدْعَا وَالْجَنَجَانَةِ مِنَ الْحَمَى،
وَلَيْسَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ خِلَافٌ^(١).

وَأَمَّا بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ ثُمَّ شَيْنٍ مَنقُوطَةٍ سَاكِنَةٍ وَتَاءٍ عَلَيْهَا نُقْطَتَانِ وَآخِرُهُ رَاءٌ: بَلَدٌ
قَرِيبٌ مِنْ هَمْدَانَ^(٢).

وَأَمَّا مِثْلُهُ إِلَّا أَنَّ شَيْنَهُ مَكْسُورَةٌ بَعْدَهَا يَاءٌ تَحْتَهَا ثَنَانٌ: حِصْنٌ عَظِيمٌ بِالْمَغْرِبِ
كَانَ مِنْهُ شَيْخُنَا الْحَافِظُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ الْأَشِيرِيِّ الْأَنْصَارِيِّ^(٣).

(١) أورد ياقوت كلاً من نصر بنصه، وقبله: الأنسر - بضم السين - ماء لطية دون الرمل قرب جبلين، وبعد
كلام نصر: والرَضَمَاتُ جَمْعُ رَضَمَةٍ: وَهِيَ صُخُورٌ يُرَضَمُ بِبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ، وَفِي كَلَامِ الْهَجَرِيِّ عَلَى حَمَى
ضَرِيَّةٍ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ جَبَلَ نَضَادٍ فِي شَرْفِي النَّيْرِ، وَأَنَّ سَبِيلَهُ فِي رَادٍ يُقَالُ لَهُ ذُو بَحَارٍ قَالَ: ثُمَّ الْجِبَالُ الَّتِي تَلِي
نَضَادَ مِنْ جَانِبِهِ الْأَنْسَرُ، وَهِيَ أَبَارِقُ ثَلَاثَةٌ، بِأَسْفَلِ الْوَضْحِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا النَّسْرُ الْأَسْوَدُ، وَالْآخَرُ النَّسْرُ
الْأَبْيَضُ، وَالثَّلَاثُ النَّسِيرُ، وَهُوَ أَصْفَرُهَا، وَهَذِهِ الْأَجْبَلُ هِيَ النَّسَارُ وَالْأَنْسَرُ، وَهِيَ فِي حُقُوقِ غَنِيٍّ، وَقَدْ
ذَكَرْتَهَا الشُّعْرَاءُ. أَنْتَهَى

وَالْأَنْسَرُ: لَا تَزَالُ مَعْرُوفَةٌ، وَلَكِنْ يَنْطَفُئُهَا بَعْضُ الْعَامَّةِ بِالصَّادِ - الْأَنْصَرُ -، وَهِيَ أَبَارِقُ تَقَعُ فِي سَهْلٍ مِنْ
الْأَرْضِ تَبَرُّزُ لَهَا رُؤُوسٌ كَرُؤُوسِ الْجِبَالِ الصَّغَارِ، ثَلَاثَةٌ تَقَعُ شِمَالِ بَلَدَةِ الْبَجَادِيَّةِ وَتُرَى مِنْهَا بِالْعَيْنِ
الْمُجَرَّدَةِ، وَلَيْسَتْ بَعِيدَةٌ عَنْ جَبَلِ نَضَادٍ، وَلَهَا ذِكْرٌ كَثِيرٌ فِي الشُّعْرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ، وَهِيَ فِي مِثْلَةِ إِمَارَةِ
الدَّوَادِمِيِّ (وَتَقَعُ الْأَنْسَرُ بِقُرْبِ حَظِّ الطُّولِ: ٣٢ / ٤٣ وَحَظِّ الْعَرْضِ: ٢٥ / ٢٤).

وَمَدْعَا: مَنهَلٌ قَدِيمٌ اخْتَلَفَ فِي ضَبْطِ الْأَسْمِ بَيْنَ الزَّيِّ وَالذَّالِ (مَدْعَا) وَلَيْسَ مَعْرُوفًا هَذَا الْمَنهَلُ، وَيَرَى
الْإِسْتَاذَ سَعْدُ بْنُ جُنَيْدٍ: أَنَّ أَوْصَانَهُ تُنطَبِقُ عَلَى مَنهَلِ الْقَاعِيَةِ الَّذِي أَصْبَحَ الْآنَ مَكَانًا مَاهُولًا فِي الْجَنُوبِ
الْغَرْبِيِّ مِنَ الْأَنْسَرِ غَرْبَ قَرْيَةِ الْبَجَادِيَّةِ.

(٢) عِنْدَ الْحَازِمِيِّ: اشْتَرَى: بَلَدٌ قَرِيبٌ مِنْ نَهَاوَنْدٍ، خَرَجَ مِنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَحَدَّدَ ياقوتُ الْمَسَافَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
نَهَاوَنْدٍ بِعَشْرَةِ فَرَاسِخٍ، وَأَطَالَ ياقوتُ الْكَلَامَ عَنْهُ، وَذَكَرَ بَعْضَ الْمَسْئُورِينَ إِلَيْهِ.

(٣) عِنْدَ الْحَازِمِيِّ: أَشِيرٌ: حِصْنٌ عَظِيمٌ بِالْمَغْرِبِ، كَانَ مِنْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيُّ الْأَشِيرِيُّ، وَفِي
«الْمُعْجَمِ» أَشِيرٌ: مَدِينَةٌ فِي جِبَالِ الرَّبْرِ فِي طَرَفِ أَرْبَيْقَةِ الْغَرْبِيِّ مُقَابِلَ بَجَايَةِ فِي الْبَرِّ، وَذَكَرَ طَرَفًا مِنْ
تَارِيخِهَا، وَقَالَ: وَمِنْ أَشِيرٍ هَذِهِ الشَّيْخُ الْفَاضِلُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَشِيرِيِّ إِمَامُ أَهْلِ الْحَدِيثِ =

٦٩- باب أَيْجٍ، وَأَنْجٍ، وَأَمْجٍ (١)

أَمَّا بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ بَعْدَهَا يَاءٌ سَاكِنَةٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ: بَلَدٌ بِفَارَسَ مِنْ كُورَةَ دَارَ
أَبْجَرْدَ، مِنْهُ أَبُو مُحَمَّدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ الْأَيْجِيِّ النَّحْوِيُّ، أَكْثَرَ عَنِ ابْنِ دُرَيْدٍ (٢).

وَأَمَّا بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَتُونِ سَاكِنَةٍ: نَاحِيَةٌ مِنْ أَعْمَالِ الزَّوْزَانَ بَيْنَ الْمَوْصِلِ
وَأَرْمِينِيَّةٍ (٣).

وَأَمَّا أَمْجٌ مَفْتُوحٌ الْهَمْزَةَ بَعْدَهَا مِيمٌ مَفْتُوحَةٌ: بَلَدٌ مِنْهَا حُمَيْدٌ الَّذِي أَمْجٌ دَارُهُ،
دَخَلَ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، قِيلَ مِنْ أَعْرَاضِ الْمَدِينَةِ (٤).

= والفقه، والأدب بحلب خاصة، والشام عامة، ثم ذكر استدعاء الوزير ابن هبيرة له، وقد تقدم الخبر في
ترجمة نصر، وذكر أنه مات في بقاع بعلبك في سنة ٥٦١هـ.

(١) عند الحازمي (باب أَيْجٍ وَعَنْجٍ وَأَمْجٍ وَأَبْجٍ).

(٢) هو تعريف الحازمي، وقد ذكر ياقوت: أَيْجٍ وَلَمْ يَضْبُطِ الْأِسْمَ، وَقَالَ: بَلَدَةٌ كَثِيرَةُ الْبَسَاتِينِ وَالْخَيْرَاتِ فِي
أَفْصَى بِلَادِ فَارَسَ كَانَتْ فِي جَزِيرَةِ كَيْشَ، وَكَانَتْ قَوَائِمُهَا الْجَيِّدَةُ تُجْلَبُ مِنْهَا إِلَى كَيْشَ، وَهِيَ مِنْ كُورَةَ دَارَ
أَبْجَرْدَ، وَأَهْلُ فَارَسَ يُسَمُّونَهَا إِيكَ تَمَّ ذَكَرَ الْأَيْجِيُّ النَّحْوِيُّ الرَّأْيِي عَنِ ابْنِ دُرَيْدٍ.

(٣) عند الحازمي نَاحِيَةٌ مِنْ أَعْمَالِ الزَّوْزَانَ.

(٤) عند الحازمي، وَزَادَ يَاقُوتُ وَهُوَ الْقَائِلُ:

سَمَّيْتُ الْمُدَّامَ فَلَمْ أَفْلِحْ وَعُوتِبْتُ فِيهَا فَلَمْ أَسْمَعْ
حُمَيْدُ الَّذِي أَمْجٌ دَارُهُ أَخُو الْخَمْرِ ذُو الشَّيْبَةِ الْأَصْلَحِ
عَلَاةُ الْمَشِيبِ عَلَى جِبْهَتَا وَكَانَ كَرِيمًا فَلَمْ يَنْزِعْ

وَأَصَافَ يَاقُوتُ: شِعْرًا أَتْبَعَهُ بِقَوْلِ ابْنِ الْكَلْبِيِّ: أَمْجٌ وَعُرَّانُ: وَادِيَانِ يَأْخُذَانِ مِنْ حَرَّةِ بَنِي سُلَيْمٍ وَيُفْرَعَانِ فِي
الْبَحْرِ، ثُمَّ أورد قصة في شعر غني به، وورد ذكر أَمْجٍ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْكُتُبِ. وَوَادِي أَمْجٍ هَذَا قَرْنَةُ ابْنِ الْكَلْبِيِّ
بِعُرَّانِ لَا يَزَالُ مَعْرُوفًا، وَلَكِنْ بَغْيَرُ هَذَا الْأِسْمِ فَهُوَ بَعْدَ أَنْحَدَارِهِ مِنْ حَرَّةِ بَنِي سُلَيْمٍ يُسَمَّى سَايَةً، لِإِذَا انْحَدَرَ
سَمِّيَ الْمَرْوَانِي، ثُمَّ يُسَمَّى بَعْدَ ذَلِكَ الْخُورَارَ - بِالْحَاءِ الْمُعْجَمَةِ - وَيَتَّصِلُ بِخَلْبِصَ، وَأَسْفَلُهُ قَرِيبٌ مِنَ
الْبَحْرِ يُسَمَّى ثَوْلَ، وَفِي الْوَادِي قُرَى وَمَزَارِعٌ وَسُكَّانٌ، وَهُوَ فِي الطَّرِيقِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ بِقُرْبِ مَكَّةَ.

(وَهُوَ بِقُرْبِ حَظِّ الطُّولِ: ٣٠ / ٣٩ وَحَظِّ الْعَرْضِ: ١٥ / ٢٢).

جدة الخضراء

وافى ربيعك بالبشير
 وافاك يحلم باللقا
 فاستقبلي ركب السربيع
 وتقدمي في حلّة الـ
 يا جدة الخضراء يا
 يا درة البحر الحفي
 عشق الضفاف يبثها الـ
 ويطرح الرمل الهوى
 ما أن تتيه إزاءه
 وتميل عن آهاته الـ
 إلا وأمهر حسنها
 يا (جدة) أسرى الجما
 يعتام أجمل ما تجود
 ألق السنن الفضي
 والليل يستبق الصباح
 متدفقا صعداً على
 فتسمي عبّق العبير
 ويستحث خطى المسير
 بمهرجان للزهور
 أعراس فاتنة الحضور
 ألق الصباح على الثفور
 بها يتيه على البحور
 نجوى على مرّ العصور
 ويميل شوقاً للصخور
 زهواً كربات الخدور
 حرى بإيقاع مثير
 ماشاء من غالي المهور
 ل لها بأعطاف البُدور
 به الليالي في الشهور
 من بدرٍ أطلّ من السُور
 كأنه شلال نور
 (نافورة) الضوء البهير

لله حَسُنكَ (جـدـة) والبـدرُ يسـفـرُ للظـهورِ
 خَضِلْ كَأَيَّامِ الصَّبَا في العـمـرِ منـقـطـعِ النـظـيرِ
 تيهي دلالاً واستثيري خبءَ المشاعرِ في السطورِ
 الشعـرُ صـخـرةٌ قـادِحِ والحـسـنُ يـقـدحُها فـتـورِ
 شَتَّانَ مَا بَيْنَ الْجَمَالِ صـنـيـعةِ اللهِ القـديـرِ
 ونتاجِ فَنَّانِ بَصُورِ ما تـرى عـيـنَ الخـيـرِ
 من نورِ هاتيكِ العيسو نِ تـشـعُ بالسـحـرِ المـثـيرِ
 يَهْتَكْنَ أَسْرَارَ الْقُلُوبِ ب فتـصـطـلي تحتَ الصـدورِ
 أَيْنَ (المـبـاخـرُ) عـامـراتِ بـالنـفـيسِ من البُخـورِ
 من ذاكِ الأرجِ النـديِّ يَفُوحُ من عـبـقِ الزـهورِ
 إِنِّي أَسِيرُكَ (جـدـة) غـلبَ الجـمـالُ على شـعـورِ
 وأهـاجَ حـسـنِكَ خـاطـري فـتـعـهـدي حـالَ الأسيـرِ
 ألقى إليكِ بـروحِهِ وأتـاكِ مـجـهـولَ المـصـيـرِ
 هيهاتَ عنكِ إلى سـواكِ ولسِ غـيـرِكَ من سـمـيـرِ
 إلَّا بـ (بـغـدادِ) ولستُ إزاءَها بالمـسـتـخـيرِ^(١)

جدة: الدكتور زاهد محمد زهدي

الحواشي:

(١) يشير الشاعر هنا إلى حبه لمدينة بغداد التي استمرت غربته عنها عشر سنوات وما تزال مستمرة، وقد بلغت الآن ثلاث عشرة سنة.

(آل مبارك) في الأحساء من بني تميم

[انظر «العرب» س ٨، ص ٦٦٧]

نشرت «العرب» س ٣٣، ص ٧٠٦ وما بعدها - مقالاً للأخ محمد الفهد التميمي من (حائل) تحدث فيه عن هذه الأسرة الكريمة آل مبارك في الأحساء بأنهم وآل ماضي من تميم من بني عدي من بني العنبر من بني عمرو، من تميم ومنهم في قفار.

وورد في كتاب «علماء نجد خلال ثمانية قرون» للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام - ج ٢، ص ١٧٢ - كلام يتعلق بنسب هذه الأسرة. وأثناء مطالعتي لما كتب الشيخ عبدالله البسام أكرمني بالزيارة أخي الأستاذ أحمد بن علي آل مبارك فرغبت منه إبداء رأيه في الموضوع، فأفضل بكتابة هذه الكلمة:

(أنا أحمد بن علي المبارك أكتب ما عندي عن أصل أسرة آل الشيخ مبارك، ومن لديه معلومات أكثر فأرجو منه أن يضيفها إلى ما أكتبه من ذاكرتي.

إن الذي سمعناه من أسلافنا أن منازلهم الأولى كانت في (قفار) الواقعة في شمال نجد وعلى مقربة من (حائل).. ولكن حدث بين بني تميم - وهم أهل تلك الجهة - حروب بسبب توالي القحط ونضوب الآبار، وكان اتجاه الفخذ الذي ينتمي إليه آل مبارك (واسمهم آل قاسم ثم آل حمد) إلى (روضة سدير) التي كان شيوخها في تلك الحقبة - ولا يزالون - (آل ماضي)، وآل قاسم من أقرب تميم إلى (آل ماضي) ولكن - أيضاً - حدث في (روضة سدير) شيء من التزاحم على الآبار وتوالى عليهم القحط سنوات، فهاجر عدد كبير من سكان (روضة سدير) إلى شرق نجد؛ البعض اتجه إلى العراق والبعض اتجه إلى (الأحساء) والبعض جاوز البحر إلى (فارس).

وكان نصيب (آل قاسم)، ثم (آل حمد)، أن نزحوا إلى الأحساء.

و (قاسم) المذكور له ولدان: محمد وعلي، وقد رُزق محمد ولدًا أسماه (مباركًا) وكذلك رُزق علي أولادًا أحدهم سمّاه (مباركًا). ومبارك الأخير الذي ينتسب إلى (علي) مات والده وهو دون البلوغ ولكن جده (قاسمًا) كان حيًّا، فاعتنى به ووجهه - بعد أن حفظ القرآن الكريم - إلى دراسة الفقه والحديث على علماء الأحساء، وكانوا على مذهب الإمام مالك بن أنس - إمام دار الهجرة - منهم الشيخ محمد بن كثير والشيخ أبو بكر بن غنام وغيرهما. ونبغ في العلم. ورُزق الشيخ مبارك - هذا - أولادًا سبعة، وهكذا تكونت أسرة (آل مبارك) التي تنتمي إلى (بني عمرو، من تميم) ومن أراد مزيدًا من هذا فليرجع إلى ما كتبه الشيخ حمد الجاسر وغيره من الباحثين.

قال ذلك وأملاه الفقير إلى مولاه أحمد بن علي آل الشيخ مبارك، في ٢١ شعبان سنة ١٤١٩هـ).

التبييض والتسويد في منى

من العادات الشائعة وقت الحج إلى عهد قريب في أيام التشريق في منى قيام أناس يسيرون بين منازل الحجاج، وينادون بأرفع أصواتهم: (بَيِّضُ الله وجه فلان) ويذكر بعض محاسن الرجل، أو: (سَوَّدَ الله وجه فلان) ويذكر بعض المساوىء.

ومن الأمثال الشائعة عن هذا قولهم: (بَيِّضَاهُمْ ما تُلادي سوداهم) وأصل المثل أن أحد شيوخ قبيلة الشيبانين سمع مناديًا إذ ذاك يقول: (سَوَّدَ الله وجه فلان) وسمّى الشيخ المذكور، ثم أعقبه آخر يقول: (بَيِّضُ الله وجه فلان) وذكر بعض محاسنه، يعني الشيخ نفسه، فقال بلهجته البدوية: (يا لآد ما تُلادي بآضَاهُمْ سوداهم؟) وفصيح هذه الجملة: (يا أولاد ألا تقابل ببيضاؤهم سوداءهم؟) وهذه العادة متوارثة منذ القدم، فقد روى الزبير بن بكار في كتاب «جمهرة نسب قريش» - ص ٨٢٢ - طبعة مجلة «العرب» ما نصه: (وكان آل عبدالله بن عبدالله

ابن عمر بن الخطاب - إذا خاصمهم أحد من بني عمهم في ولاية الصدقة ينزعون بعبدالعزیز ويقولون: نبايض بعبدالعزیز عَدَاً بِمَنَى).

وفسر الزبير كلمة (نبايض) بقوله (نفاخر به) في أيامه البيض وأخباره البيض. وكذا كثير من العادات العربية التي لا تزال باقية إلى عهد قريب.

حول الشيخ الحافظ

ورد في الترجمة التي كتبها الأستاذ فايز بن موسى الحربي عن الشيخ محمد الحافظ في «العرب» ٣٤ ص ٢٥٥: (من أبرز أعماله التي اطلعت عليها ولم يذكرها كل من كتب عنه حتى الآن - فيما أعلم - عمله الرائد في تصنيف وتسجيل سجلات الضبط القديمة في المحكمة الشرعية الكبرى بالمدينة المنورة، وإعداد دفتر السجل العام لتصنيف محتويات السجلات، ولا يزال أثره باقياً ومدوناً).

وقد لاحظ الأستاذ فايز بسبب تشابه اسم الشيخ محمد الحافظ بالشيخ علي حافظ وقوع خطأ فيما أورد، فنسب للأول ما هو من عمل الأخير أي أن تصنيف السجلات وإعداد دفتر السجل العام في محكمة بالمدينة المنورة قام به الشيخ علي حافظ، الذي عمل في المحكمة قبل الشيخ محمد، فتولى ذلك العمل، والشيخ علي حافظ هو الصحفي المشهور الذي أسس هو وأخوه عثمان جريدة «المدينة المنورة».

الغنام من آل حماد من تميم

لقد ورد في صفحة ٦٧٦ في كتاب «جمهرة أنساب الأسر»: الغنام في المستجدة بمنطقة حائل من الحمران.. وفي صفحة ٦٧٧ ورد: (آل غنام في الأحساء...) إلخ وأود التوضيح لأنه بهذا الشكل يظن القارى أنهما لا يمتان إلى بعضهما بصلة. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نود توضيح خطأ آخر وقع فيه الشاعر الكبير ابن صقيه في كتابه «بنو تميم في بلاد الجبلين» ثم نُقل الخطأ إلى «الجمهرة». وهو ذكر أن آل غنام الذين في المستجدة من الحمران.

والإشكال الذي وقع هو أن أهل المستجدة أغلبهم من الحميران أو كلهم من الحميران إذا استثنينا آل غنام، ولو سأل سائل عن أهل المستجدة لأجيب أن أهلها (الحميران) لأنهم الأكثر، وهم أهلها وهذا شيء معروف يؤدي إلى الاعتقاد أن من ليس من المنطقة وليس عنده معرفة بالأنساب يظن أن كل سكان المستجدة من الحميران بما فيهم آل غنام كما وقع من (ابن صقيه) وقد قيل: أهل مكة أدرى بشعابها.

وآل غنام من آل حماد من آل منذر من بني العنبر من عمرو، من تميم كانوا جميعاً في (قفار) ومحلة آل غنام في قفار تسمى (آل حماد) يسكنونها هم وبقية آل حماد، وبلدة (قفار)، محلات وكل محلة تسمى باسم أهلها. ولقد جاء في كتاب «نبذة تاريخية عن نجد» لضاري بن فهد الرشيد - ص ٧٦ - أنها محلات وكل قبيلة تنسب إليهم محلتهم.

وآل غنام من أكبر وأقدم أسر بني تميم، وأكثرهم هلك في الوباء المشهور في (قفار) ومنهم من انتقل إلى بعض الأقطار المجاورة ومنهم من عاد إلى (القارة) الموطن الأول لآل حماد، ثم إلى الأحساء وأكثرهم انتقل إلى (شعيب الحفن) بمنطقة حائل، وهم أول من أحياء ثم انتقل أغلبهم إلى (ضرغط)، وبعد ذلك عاد بعضهم إلى (الحفن) ثم (المستجدة) و (الروضة) ومنهم من انتقل إلى (رياض الخبراء) أقسامهم.

١- آل مبارك في الأحساء، وهم ذرية مبارك بن علي بن محمد بن قاسم بن حمد بن سلطان آل غنام.

٢- آل (أبو بكر) في الأحساء منهم الشيخ المؤرخ حسين بن غنام.

٣- الناصر في (ضرغط) ومنهم الدخيل الله في حائل وهم ذرية ناصر بن راشد بن سالم بن رشود آل غنام.

٤- الشلاش في (المستجدة) في منطقة حائل، وهم ذرية شلاش بن رميزان ابن ضيف الله بن عبدالله بن عقيل بن ثنيان آل غنام.

٥- المنصور في (الروضة) بمنطقة حائل.

٦- الغنام في (المستجدة).

٧- الغنام في (رياض الخبراء) بمنطقة القصيم.

٨- العلي في (قفار) وآخرهم عبدالله العلي الغنام جد عبدالعزيز الخوير لأمه (انقرضوا).

٩- الدلاك في (قفار) وآخرهم (قوت الدلاك) جدة علي الحمود السبهان (انقرضوا).

١٠- البزيع كانوا في (قفار) و (الشعب) و (ضرغط) وحائل منهم مؤسس حي البزيعي في مدينة حائل بعدما أنشأ مزرعتين ثم باعهما وانتقل إلى (قفار) وجميع البزيع انقرضوا ولم يبق إلا رجل واحد اسمه محمد بن غنام البزيع وابنه.

١١- القبيل في (ضرغط) وهم ذرية محمد بن قبيل.

١٢- الحامد كانوا في (الروضة) ثم (ضرغط) وهما رشيد وعلي الحامد رشيد خلف محمد وحامد والذرية لهما، أما علي فخلف بنات وقد انقطع عقبه.

١٣- الحبيّب في (الروضة) بمنطقة حائل.

١٤- العيسى في (الرّس) بالقصيم.

دخيل بن فهد الناصر

الجبعان من الشطر

ورد في «العرب» س ٣٤ ص ١٣٤ في الكلام على فخذ الجبعان: (وهم من ذوي عطية العطاونة) خطأ من كاتب الرسالة، والصواب: ذوي عطية وذوي منير وهما أخوان أبناء سمران بن عابد بن عوض بن عثمان بن عوض بن مبارك الأجييع الشاطري، وكذلك ذوي عصيم هم من الجبعان من الشطر.

* «عمدة الصفة في حل القهوة» للجزيري

يلاحظ أولاً أن اسم (القهوة) كان يطلق لغة على الخمر، لأنها تُقهي شاربها عن الطعام، أي تذهب شهوته، ثم بعد ذلك أُطلق على ما يشرب الآن من الثمر المسمى بـ (البن) ثمرًا أو قشرًا مطبوخًا، وقد تكلم عنه بعض الأطباء في مؤلفاتهم، فقال داوود الأنطاكي في «التذكرة»^(١): بُنُّ: ثمر شجر باليمن، يفرس حبه في آذار (مارس) وينمو ويقطف في آب (سبتمبر)، ويطول نحو ثلاثة أذرع على ساق في غلظ الإبهام، ويُزهر أبيض، يخلف حبًا كالبنّاق، ربما تفرطح كالباقلاء، وإذا قُشر انقسم نصفين، وأجوده الرزين الأصفر، وأردأه الأسود، وهو حار في الأولي، يابس في الثانية، وقد شاع برده وبيسه، وليس كذلك، لأنه مرٌّ، وكل مرٌّ حارٌّ، ويمكن أن القشر حار، ونفس البن إما معتدل أو بارد في الأولى، والذي يعضد برده عفوصته، وبالجملة فقد جُرّب لتجفيف الرطوبات والسعال البلغمي، والنزلات، وفتح السدد وإدرار البول، وقد شاع الآن اسمه بـ (القهوة)، إذا حمص وطبخ بالغا وهو يسكن غليان الدم - إلى آخر ما ذكر -.

وعندما شاع انتشار شرب البن في مكة في القرن التاسع الهجري قوبل بنكير شديد من العلماء، حتى قام بعض الأمراء بهدم الأمكنة التي كان الناس يجتمعون فيها لشراب القهوة، وبتكسير أواني الشرب، وبإتلاف حبوب البن، وبمعاقبة من يتعاطى شرب القهوة، فكان هذا الأمر مما شغل الناس في ذاك العهد، شغلًا حمل كثيرًا من العلماء إلى التأليف فيه، ومن أمتع تلك المؤلفات كتاب صاحبنا الجزيري هذا، ألفه سنة ٩٦٦ وتقع المخطوطة التي اطلعت عليها في نحو ١٧٠ صفحة صغيرة، وقد كتبت في ١٦ رمضان سنة ١٠٧٩، والكتاب ملخص من مؤلف لأحمد بن عبدالغفار المالكي - نزيل طيبة - مع زيادات عليه، يقع في سبعة أبواب، الأول: في معنى القهوة وصفتها، ومن أي بلدة كانت انتشارها، الثاني: في سياق المحضر الذي كتب في شأنها، بمكة، وشرح المرسوم الوارد جوابًا، وذكر فتاوى العلماء بالحل والحرم. الثالث: في إبطال دعوى الإنكار لها، وأنها من الشراب الطهور. الرابع: في إبطال القول بحرمتها. الخامس:

موجب الحرمة لا في ذاتها، بل من تعاطيها بالأوصاف الخارجة عنها. السادس: في نكت متفرقة، وفوائد تتعلق بها. السابع: في بعض ما رُوي من النظم لبعض أعيان العلماء في حلِّها، وفي هذا الباب قصيدة من نظم المؤلف لعل في إيراد مطلعها ما يغني عن الكلام عن منزلته في هذا الفن.

أضوء أنس بدأ يهدي لذي كرم أم نار قهوة قشر في دجا الظلم؟^(٢) في ٤٣ بيتاً أوردها في كتاب «الدرر الفرائد المنظمة» وذكر هذا الكتاب، وأشار في ذكر حوادث سنة ٩٦٨ - إلى طرف مما جرى من الحوادث حول القهوة في القاهرة.

ومن هذا الكتاب نسخة في (مكتبة البلدية) في الإسكندرية مخطوطة سنة ٩٧٨ هـ رقمها: (ن ١١٢٨ ب).

وكتاب الشيخ عبدالقادر^(٣) «عمدة الصفوة» قام (المجمع الثقافي) في مدينة (أبو ظبي) بنشره، بتحقيق الصديق الأستاذ عبدالله بن محمد الحبشي، ونشر عام ١٤١٦ هـ (١٩٩٦ م) في طباعة حسنة في (١٨١) من الصفحات.

ويعد الكتاب من المؤلفات الظريفة التي يستمتع بما جاء فيها من ترويح فكري ذهني أثناء تناول القهوة، وأذكر أن بعض أدبائنا قد نقل نماذج منه في أحد مؤلفاته حديثاً، كما أذكر أن مما كان يستظرفه الناس عند اجتماعهم لشرب القهوة في القرن الماضي، وكان ذلك يستغرق أكثر أوقاتهم، وخاصة منهم من يمتهن الفلاحة في الفترات التي تتخلل أعمالهم، فكان مما يستظرفون سماعه رسالة تعرف باسم «تحفة القهوة» كنت أحفظ شيئاً منها لكثرة نقلي لها كتابة حين يطلب مني ذلك، ولا أعرف من وضعها ولا شيئاً عنها الآن.

وقد أضاف المحقق الفاضل على الكتاب حواشي مفيدة في بعض التراجم وتخريج بعض النصوص وإيضاح أسماء وكلمات بحاجة إلى إيضاح.

الحواشي:

(١) ج ٢ ص ٨٦ طبعة الحلبي سنة ١٣٧١.

(٢) كان المستعمل للشرب قشر البن لا الحب، يحمص قليلاً ثم يدق ويغلى على النار، إلى عهدنا، ولا يزال يستعمل في جنوب الجزيرة وهو ألطف شرباً، وأحب عند كثير ممن جرب شرب القهوة حباً وقشراً.

(٣) توسعت في ترجمته في مقدمة تحقيق كتاب «الدرر الفرائد المنظمة» في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، من ص ٩ وما بعدها ورجحت أنه توفي في عشر الثمانين بعد التسع مئة.

التصنيف في أسماء المواضع الواردة في الأخبار والأشعار

(٢٥)

الشَّراة: (الشَّراة)

قال ياقوت في «معجم البلدان»: (الشَّراة: صُفْعٌ بِالشَّامِ بَيْنَ دِمَشْقَ وَمَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمِنْ بَعْضِ نَوَاحِيهِ الْقَرْيَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِالشُّمَيْمَةِ الَّتِي كَانَ يَسْكُنُهَا وَلَدُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ فِي أَيَّامِ بَنِي مُرَوَانَ، وَفِي حَدِيثِ سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ: بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ عَلَى جَبَلٍ مِنْ جِبَالِ الشَّرَاةِ، كَذَا ذَكَرَهُ أَبُو الْقَاسِمِ الدَّمَشْقِيُّ وَقَالَ: كَذَا نَقَلْتَهُ مِنْ خَطِّ أَبِي الْحَسَنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْفَرَاتِ الشَّرَاةِ، بِالشُّيْنِ الْمُعْجَمَةِ، وَكَانَ صَحِيحًا مِنَ الْخَطِّ مُحْكَمًا الضَّبْطِ).

كلام ياقوت مُصِيبٌ فِي تَعْرِيفِ الشَّرَاةِ - بِالشُّيْنِ - وَلَكِنْ الْخَطُّ وَقَعَ فِيهَا نَقْلٌ مِنْ حَدِيثِ سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ: (بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ عَلَى جَبَلٍ مِنْ جِبَالِ الشَّرَاةِ، كَذَا ذَكَرَهُ أَبُو الْقَاسِمِ الدَّمَشْقِيُّ وَقَالَ: كَذَا نَقَلْتَهُ مِنْ خَطِّ أَبِي الْحَسَنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْفَرَاتِ الشَّرَاةِ، بِالشُّيْنِ الْمُعْجَمَةِ، وَكَانَ صَحِيحًا مِنَ الْخَطِّ مُحْكَمًا الضَّبْطِ).

وَقَدْ نَبَّهْتُ عَلَى هَذَا الْوَهْمِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» حَيْثُ نَسَبَ سَوَادَ إِلَى الشَّرَاةِ بِالشُّيْنِ وَالصَّوَابُ نَسَبُهُ إِلَى الشَّرَاةِ بِالشُّيْنِ وَكَانَ مِمَّا قُلْتُ: (وَسَوَادٌ أَزْدِي دَوْسِي وَكَلِمَةُ (السَّدُوسِي) تَصْغِيْفُ الدَّوْسِيِّ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ السَّرَاةِ بِالسُّيْنِ الْمَهْمَلَةِ، قَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الإصَابَةِ»: سَوَادٌ بْنُ قَارِبِ الدَّوْسِيِّ أَوْ

السدوسي، ثم كرر الدوسي وقال فيما أورد في ترجمته: دخل رجل من دوس يقال له سواد بن قارب على النبي ﷺ ثم ذكر الخبر الذي أورده ابن منظور عن ابن عساكر. وبين يدي الآن مخطوطة كتاب «المبعث والمغازي» للحافظ قوام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي (٥٤٨ / ٥٣٥ هـ) وقد أورد ذكر سواد في كتابه (الورقة الـ ٣٢ ب) وذكر قصته وقال عنه: (هو رجل من أهل اليمن له فيهم شرف وموضع) انتهى، وبنو دوس الذين منهم سواد من زهران من الأزدي لا يزالون معروفين في بلادهم السراة، وهم من أشهر القبائل.

كما وهم الحافظ ابن حجر حيث ظنه سدوسياً ولكنه لم يعجزم بل سمّاه الدوسي أولاً.

شُرُومٌ: (سُرُوم)

قال ياقوت في «معجم البلدان»: (شُرُومٌ: قرية كبيرة عامرة باليمن فيها عُيُونٌ وكُرُومٌ وأهلها همدان وهم لُصُوصٌ يقطعون الطَّرِيقَ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْهُجَيْرَةِ خمسة وعشرون ميلاً، قال الحارث بن عمرو الجزلي:

قَالَ سَعِيدُ جَمْرَةَ غَالِيَّةٍ وَسَفْحِي شُرُومٍ بَيْنَ تِلْكَ الرَّجَائِمِ).

صواب الاسم (سُرُوم) وقد تكرر هذا كثيراً في «صفة جزيرة العرب» ويُطلق الاسم على مواضع متقاربة منها: سُرُومُ الْعُقْدَةِ وسُرُومُ الْعَيْنِ وسُرُومُ الْفَيْضِ، وتسمى سُرُومُ الطَّرْفَاءِ، وهذه كانت من بلاد جَنْبِ، وهُنَاكَ سُرُومٌ فِي الْجَوْفِ سُكَّانُهَا نَهْمٌ، وَبَنُو عَبْدِ، وسُرُومُ الْفَيْضِ هِيَ الْقَرْيَةُ مِنَ الْهُجَيْرَةِ كَمَا يُفْهَمُ مِنْ كَلَامِ صَاحِبِ «صِفَةِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ» - ص ٣٣٩ - وسُرُومُ السَّرْحِ سُكَّانُهَا مِنْ بَنِي جَمَاعَةَ مِنْ حَوْلَانَ. وليس بين أهل تلك المواضع التي تُسَمَّى سُرُومٍ مِنْ هَمٍّ مِنْ هَمْدَانَ وَلَكِنْ مِنْ حَوْلَانَ وَمِنْ مَذْحِجٍ. أما سُكَّانُهَا الْآنَ فَهَمٌّ مِنْ بَقَايَا مَذْحِجٍ مِنْ قَحْطَانَ، وَالْجَزَلِيِّ هَذَا لَا أَعْرِفُهُ، وَلَكِنِّي أَمِيلُ إِلَى أَنَّ النِّسْبَةَ لَيْسَتْ صَحِيحَةً، وَقَدْ يَكُونُ وَرَدَ هَذَا الْاسْمُ فِي أَحَدِ مُؤَلَّفَاتِ الْهَمْدَانِيِّ.

شَفَفٌ: (سَقْف)

قال ياقوت في «معجم البلدان»: (شَفَف - بالفتح، والسكون، وأصله بالتحريك: وهو تَلٌّ بِالسِّيِّ قُرْبَ وَجْرَةِ، وهو أحد الشَّغْفَيْنِ المذكورين قبله، وهما رَابِيَتَانِ يُقَالُ لَهُمَا شَغْفَيْنِ).

وأورد الهمداني في «صفة جزيرة العرب» - ص ٣١١ - ما نصه:

لَمَّا بَسَدَا شَغْفٌ بِأَعْلَى السِّيِّ وَحَضَنٌ مِثْلُ قَرَا الزُّنْجِيَّ

وقد عَلَّقْتُ على قول الهمداني: لعله (سَقْف) فهو جُبَيْلٌ في السِّيِّ المعروف الآن باسم (رُكْبَةَ) ثم رأيت أحد المعاصرين وهو الأستاذ عاتق بن غيث البلادي، قال عن هذا: سَقْفٌ بكسر السَّينِ المهملة وسكون القَافِ، وآخره فاء: ضُلَيْعٌ حائِزٌ في سهل رُكْبَةَ يسار الطريق من الطائف إلى نجد. انتهى وقد يكون الأخ عاتق سمع النُّطْقَ الذي ذكر، والذي سمعته هو بفتح السين، واسم سَقْفٌ يَنْطَبِقُ على تَلٍّ - أو رابية - كالجبل غير المرتفع بالسِّيِّ، والسِّيُّ هو الجانب الجنوبي مما يعرف الآن باسم (رُكْبَةَ) وَوَجْرَةٌ أَعْلَى رُكْبَةَ.

وقد أورد ياقوت في «المعجم» في رسم (شَغْفَيْنِ): هما شَغْفَانِ المذكور قبل هذا وأورد المثل فيهما، وشَغْرًا لِرَجُلٍ من بني إنسان من جُشَمٍ من هَوَازِنِ يقول فيه:

سَرَّتْ مِنْ جَنُوبِ العَرَفِ لَيْلًا فَأَضْبَحَتْ بِشَغْفَيْنِ مَاهِدًا بِإِدْلَاجِ أَعْبُودِ وَعَلَّقَ على هذا قائلًا: شَغْفَيْنِ: أَكْمَتَانِ بِالسِّيِّ بينهما وبين العَرَفِ مسيرة أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ. انتهى

إن كان المراد بِسَقْفٍ ما أوضحت فيما تقدم فقد يكون بجواره أَكْمَةٌ فَقَرْنَا مَعًا باسم سَقْفَيْنِ، فَهُمَا القَرِيبَانِ مِنَ العَرَفِ - بالسراء المهملة لا بالزاي - ولكن المسافة بين سَقْفٍ هذا وبين العَرَفِ لا تعدو أحيانًا يسيرة فضلًا عن أن تبلغ مسيرة ليل، فَالعَرَفُ لا يزال معروفًا في أَعْلَى (رُكْبَةَ)، ولم يذكر ياقوت العَرَفِ هذا، وإنما ذَكَرَ العَرَفِ - بضم العين - موضعًا آخر، وكذا البكري في «معجم ما استعجم» وما أكثر ما فاتهما من الأسماء هم وغيرهما من اللغويين.

والعرفُ أكيماً مرتفعات تُعدُّ من أبرز المعالم في أعلى (رُكْبَة) .. (ويقع بقرب خط الطول: ٥١ / ٤٠ وخط العرض: ٢٢ / ٢٢).

وسَفَف: أكيمة أصغر منهما تقع في الجنُوب الشرقي منهما على أميال.

صَفْر: (صَفْر)

قال ياقوت في «معجم البلدان»: (صَفْر - بالتحريك علم مرتجل لجبل قرب عبود) وقال في الكلام على عبود: (قال الزمخشري: عبود وصَفْر جبلان بين المدينة والسيالة ينظر أحدهما إلى آخر وطريق المدينة تجيء بينهما) انتهى.

وقال في رَسْم (صَفْر): (صَفْر - بفتح أوله وثانيه: يقال: صَفِر الوطْبُ يَصْفَرُ صَفْرًا أي خَلا، فهو صَفِرٌ: جبلٌ يَنجُدُ في دِيَارِ بني أسد، وصَفْرٌ أيضًا: جبلٌ أحمرٌ من جبالِ مَلَل، قرب المدينة، هكذا رواه أبو الفتح نصر، وقال الأديبي: صَفْرٌ - بالتحريك بلفظ اسم الشهر - جبلٌ بِفَرَشٍ مَلَلٍ كان منزلُ أبي عُبيدة بن عبد الله بن زَمْعَةَ بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى جدُّ ولد عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب عنده وبه صخرات تعرف بصخرات أبي عُبيدة، قال محمد بن بَشِيرِ الحَارِجِي يَزِيئُهُ:

إِذَا مَا ابْنُ زَادِ الرُّكْبِ لَمْ يَمَسِ نَازِلًا فَفَا صَفْرٍ لَمْ يَقْرَبِ الْفَرَشَ زَائِرٌ

ولهذا البيت إخوة نذكرها مع قصة في باب الفرش من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى، وقال ابن هرمة:

ظَعَنَ الْخَلِيْطُ بَلْبُكَ الْمُتَقَسِّمِ وَرَمَوْكَ عَن قَوْسِ الْخَبَالِ بِأَسْهُمِ
سَلَكُوا عَلَى صَفْرٍ كَأَنَّ حُمُولَهُمْ بِالرَّضْمَتَيْنِ ذُرَى سَفِينِ عَوْمِ) انتهى

وهذا الجبل الواقع بقرب جبل عبود لا يزال معروفًا، وفي «وفاء الوفاء»: (صَفْر - بلفظ الشهر الذي يلي محرم - : جبل أحمر بفرش مَلَلٍ، يقابلُ عبودًا، الطريقُ بينهما، وبه بناءٌ كان للحسن بن زيد، ويقفاه رَذَهَةٌ يقال لها رَذَهَةُ العَجُوزَيْنِ،

وَالْعَجُوزَيْنِ: هَضْبَاتٌ هُنَاكَ كَانَ يَسْكُنُهَا أَبُو عَيْبَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ) إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَ.
 وَجَبَلٌ صَفَرٌ لَا يَزَالُ مَعْرُوفًا، وَلَكِنَّهُ يُنْطَقُ بِإِبْدَالِ الصَّادِ سِينًا (سَفَرٌ) وَكَذَا تَنْطِقُ
 الْعَامَّةُ. وَهُوَ جَبَلٌ أَحْمَرٌ غَرْبَ الْفَرَّاشِ. يَدْعُهُ طَرِيقُ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ يَمِينًا، وَيَبْعُدُ
 عَنِ الطَّرِيقِ مَسَافَةَ يَسِيرَةٍ (وَيَقَعُ بِقَرْبِ خَطِّ الطُّولِ: ٢١ / ٣٩ وَخَطِّ الْعَرْضِ: ٢٣ /
 ٢٤) وَقَدْ كَتَبَ اسْمَهُ فِي إِحْدَى الْخَرَائِطِ (الْأَسْفَعِ).

وَجَبَلٌ عَبُودٌ يَحْفُتُ بِهِ الطَّرِيقُ إِلَى مَكَّةَ يَدْعُهُ عَنِ يَمِينِهِ، وَالْمَسَافَةُ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ
 وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ تَقَارِبُ أَرْبَعِينَ كَيْلًا.

تكملة بحار

ضَايِنُ: (الضَّائِنُ) ضَايِنٌ - بِكَسْرِ الْبَاءِ بَعْدَهَا تَوْنٌ، عَلِيٌّ

قَالَ الْبَكْرِيُّ فِي «مَعْجَمٍ مَا اسْتَعْجَمَ»: (ضَايِنٌ - بِكَسْرِ الْبَاءِ بَعْدَهَا تَوْنٌ، عَلِيٌّ
 وَزَنْ فَاعِلٌ، قَالَ الْحَزْبِيُّ فِي بَابِ الْمُثَنَّى: الضُّمْرُ وَالضَّائِنُ: جَبَلَانِ، وَإِذَا جُمِعَا
 قِيلَ: ضُمْرَانِ، وَهَمَا فِي شِقِّ بَنِي تَمِيمِ).

صَوَابُ الْاسْمِ (الضَّائِنُ) بِالْيَاءِ الْمُثَنَّى التَّحْتِيَّةِ وَقَدْ تَنْطِقُ هَمْزَةً، قَالَ عَنْهُ يَاقُوتُ:
 الضَّائِنُ مِنْ جِبَالِ بَنِي سَلُولٍ، جَبَلَانِ: جَبَلٌ يُقَالُ لَهُ الضَّائِنُ وَأَخْرَجَ لَهُ الضُّمْرُ،
 فَيُقَالُ لَهُمَا الضُّمْرَانِ، وَأَطَالَ الْكَلَامَ عَنْهُ فِي رِسْمِ (ضُمْرٌ) - بِضَمِّ أَوَّلِهِ وَسُكُونِ ثَانِيهِ
 وَأَخْرَجَهُ رَاءً، وَنَقَلَ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ: الضُّمْرُ وَالضَّائِنُ عِلْمَانِ كَانَا لِبَنِي سَلُولٍ يُقَالُ
 لَهُمَا الضُّمْرَانِ. إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَ. وَأَصْلُ هَذَا فِي كِتَابِ «بِلَادِ الْعَرَبِ» - ص ١٢٨
 وَنَصَهُ: (ثُمَّ إِقْبَالَ الرَّمْلِ قَصَدَ الضُّمْرُ وَالضَّائِنُ، فَلَهُمْ مَاءٌ يُسَمَّى قُنَيْعًا لِبَنِي
 قُرَيْظَةَ، وَلَهُمُ السَّعْدِيَّةُ مَاءَةٌ، وَبَنِي رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مَاءَةٌ يُقَالُ لَهَا الدُّبَّةُ. وَالضُّمْرُ
 وَالضَّائِنُ عِلْمَانِ، وَفِي أَحَدِهِمَا الْخِضْرَمَةُ وَفِي الْآخَرِ مَخْضُورًا، وَكَانَا فِيمَا مَضَى
 لِبَنِي سَلُولٍ (وَهُمَا) فِي قِبْلَةِ مَعْدِنِ الْأَخْسَنِ). انْتَهَى

وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ - ص ١٥١ -: (وَأَنْشَدَ حِثْرِي فِي الضُّمْرَيْنِ، وَهُمَا
 الضُّمْرُ وَالضَّائِنُ قَالَ:

لَقَدْ كَانَ بِالضُّمْرَيْنِ وَالنَّيْرِ مَعْقِلٌ وَفِي نَمَلَى وَالْأَخْرِجَيْنِ مَنِيعٌ

وقال نَاهِضُ بْنُ ثُوَمَةَ:

تَقَمَّ الرَّمْلُ فَالضُّمْرَيْنِ وَابِلُهُ وبالرَّقَاشَيْنِ مِنْ إِسْبَالِهِ شَمَلٌ
قال العامري: الضُّمْر والضَّائِنِ كانا فيما مَضَى لِلسُّؤْلِ، وهما جبالان لبني
كلاب، وهما قِبْلَةٌ مَعْدِنِ الْأَحْسَنِ) انتهى.

وقال الأستاذ سعد بن جنيدل في (قسم عالية نجد) من «المعجم الجغرافي»: (الضُّيَيْتَةُ أوله ضاد معجمة مكسورة ثم ياء مثناة ساكنة ثم نون موحدة بعدها ياء ثانية مشددة مفتوحة ثم هاء: جبل أسود كبير، يقع جَنُوبَ الْعَلَمِ، وجنوب قَرْيَةِ (الْخَاصِرَةِ) وبقربه في الشرق منه جبل أسود يدعى (أُمُّ حُقُوفٍ) ويحفُّ بهما من الجنوب نفودُ الصَّحَّةِ، وهذان الجبلان كانا قديمًا يُسَمَّيانِ الضُّمْرَ والضَّائِنَ، لأن ما ذكره المؤرخون في تحديد الضمْر والضَّائِنِ ينطبق عليهما.

وورد مع ذكر الضُّمْرَيْنِ ذِكْرُ السَّعْدِيَّةِ وهي قريبة منهما تدعى في هذا العهد سَعْدَةٌ. وورد في الشواهد ذكر النَيْرِ والأخْرَجَيْنِ وَنَمَلَى، وهذه الجبال بعضها قريبٌ من بعض، وكذلك ذُكِرَ معهما الرَّمْلُ، ويقصد به النُّفُودُ القريب منها، نفود الصَّحَّةِ). انتهى ويبدو أن النابغة الجعديّ يعني هذا الجبل حين قال:

إلى نَعِجٍ مِنْ ضَّائِنِ الرَّمْلِ أَعْفُرًا

وفي اللغة: يقال رملة ضائنة وهي البيضاء العريضة.

وهذه المواضع التي ذكر الأستاذ سعد من عالية نجد الجنوبية (تقع فيما بين خطي الطول: ٤٠ / ٤٣ و ٤٥ / ٤٣ وبين خطي العرض: ١٠ / ٢٣ و ١٥ / ٢٣) وأبار الصَّحَّةِ تقع (بقرب خط الطول: ٤٢ / ٤٣ وخط العرض: ١٢ / ٢٣) ونفود الصَّحَّةِ يقع على مقربة من الأبار شمالها بمسافة قصيرة.

(للحديث صلة)

حمد الجاسر

إسهام المملكة في نشر التراث وتحقيقه

(١)

تمهيد: يمثل التراث جذور الأمة الثقافية التي تصوغ هويتها، وتستمد منها قوتها ونماءها وعناصر وجودها في الحياة. وإحياء التراث لا يزدهر إلا في بيئة علمية واعية، تعرف أهميته وتدرك مبلغ الحاجة إليه من جهة، وتستطيع الانتفاع به ونشر ما يفيد منه بين الناس من جهة أخرى.

ولقد ارتبط العلم بالدولة السعودية منذ عام ١١٥٧هـ، عندما تم الاتفاق التاريخي الذي عقد بين أمير الدرعية محمد بن سعود وبين الشيخ محمد بن عبدالوهاب رائد الإصلاح الديني في الجزيرة العربية، وكان هذا الاتفاق أساساً للالتزام الدولة الجديدة بالعلم، إذ إن نشر العقيدة الصحيحة لا يتم إلا عن طريق بيئة تشجع على العلم وترعاه. ولما كانت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب تقوم على أصول ومبادئ تخالف السائد في البيئات الإسلامية في ذلك العصر، فقد أصبحت بيئة هذه الدعوة بيئة دعوية توعوية تقوم على شرح مبادئها للناس، وتتصدى للدفاع والحجاج عن الأفكار التي تقوم عليها الدولة الجديدة.

ولهذا فإن اتصال هذه الدعوة بمنابع العلم ومصادر المعرفة، وتصديرها لفكرها ما كان له أن يتم إلا عن طريق العمل الدائب لتحويل تلك البيئة عمّا كانت عليه من ركود إلى بيئة علمية متحركة نابضة بالحياة.

ولم يكن التعليم وإشاعة العلم في مثل هذه البيئة ترفاً أو محاولة لتحقيق مستوى أعلى من الرفاه للناس بقدر ما كان ضرورة يقتضيها موقف هذه الدولة التي جوبهت دعوتها بالمعارضة من فئات كثيرة داخل الجزيرة وخارجها، والتي بدأت معركتها سلمياً - أول الأمر - عن طريق الإقناع وإرسال الرسائل، وتفنيد الأقاويل بالردود، ثم ما لبثت أن اتخذت الوسائل العسكرية سبيلاً لتحقيق أهدافها، كي تعم دعوتها أرجاء الجزيرة العربية، وتنتقل من مرحلة الدعوة المسالمة إلى مرحلة الفرض والاحتواء السياسي.

والناظر في التاريخ لتلك الفترة المبكرة من حياة الدولة السعودية ينتابه شعور مؤداه أن الجميع في حاضرة الدولة كانوا مجتهدين للعلم ومقبلين عليه، فقد كانت دروس الشيخ محمد بن عبد الوهاب التوعوية العامة، وخاصة فيما يتعلق بالعقيدة، أشبه بالدروس الإلزامية التي يحضرها الجميع من أجل تصحيح مفاهيم العقيدة، ولا يتخلف عنها أحد إلا بعذر. ومن المعروف أن هذه الدروس، سواء كانت تلقى من قبل إمام الدعوة أم من قبل أبنائه وتلاميذه، كانت تلقى في المساجد في الدرعية وغيرها بعد الصلوات، حتى (عرف التوحيد الصغير والكبير) على حد تعبير ابن بشر^(١).

والناظر في أهم كتابات الشيخ ومؤلفاته يجدها تنحو هذا المنحى التوعوي السهل الذي يقصد به إيقاظ العامة، وشرح مبادئ العقيدة الصحيحة.

ولقد كانت هذه إحدى المستويات العلمية التي تناولتها حلقات العلم في الدرعية، وهناك مستويات أرفع منها يقصدها طلاب العلم للتعلم في المسائل العقدية والفقهية، حتى كثرت الهجرات إلى الدرعية وازداد سكانها من طلبة العلم، الذين يشير ابن بشر إلى أنهم عاشوا (في أضيقت عيش وأشد حاجة، وابتلوا ابتلاء شديدًا، فكانوا في الليل يأخذون الأجرة ويحترفون، وفي النهار يجلسون عند الشيخ في دروس الحديث والمذاكرة)^(٢).

وفي عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود (ت ١٢١٨ هـ) نجد الإمام يكتب - على ما يرويه ابن بشر - إلى (أهل النواحي بالحض على تعلم القراءة وتعليم العلم وتعلمه، ويجعل لهم راتبًا في الديوان، ومن كان ضعيفًا يأتي إلى الدرعية ويقوم بجميع نوابه)^(٣).

وكان الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد (ت ١٢٢٩ هـ) عالمًا أخذ العلم مع والده عبدالعزيز على الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكان لا يترك الدروس والمباحثة حتى في مغازيه فكان يستصحب معه جملة من العلماء، وأثناء الغزو كان الناس يجتمعون عنده للدرس بين العشائين كل يوم إلا قليلًا^(٤).

وفي عهده اتسعت حلقات العلم، فلم تعد قاصرة على المسجد بل رتب دروسًا ثلاثة؛ أحدها عام يعقد في السوق الرئيسة للبلد عند الصباح، وقد وصف ذلك ابن بشر وصفًا مستفيضًا باهرًا إذ حضره بنفسه، وكانت القراءة فيه مرة في «تفسير ابن جرير الطبري»، ومرة في «تفسير ابن كثير»^(٥). أما الثاني فيبدأ بعد صلاة الظهر في قصره في موضع معد لذلك يشبه المدرجات، ويقرأ فيه «تفسير ابن كثير» و«رياض الصالحين». وأما الدرس الثالث فيكون بعد صلاة المغرب في مكان آخر هو سطح مجلس الظهر، وفيه يقرأ «صحيح الإمام البخاري»^(٦).

ويسير الإمام عبدالله بن سعود بن عبدالعزيز آخر أئمة الدولة الأولى مسيرة أبيه سعود في مجالس العلم^(٧).

كما كان يجتمع المسلمون عند الإمام تركي بن عبدالله (ت ١٢٤٩ هـ) للدرس، وتقرأ في مجلسه كتب التفسير والسير، وكتب الحديث، كما يقرأ أحيانًا كتاب «السياسة الشرعية» لشيخ الإسلام ابن تيمية^(٨).

ويحضر ابن بشر مجلسًا للدرس يقيمه الإمام فيصل بن تركي سنة ١٢٦٢ هـ أثناء غزوه لحزام بن حثلين يتصدى للتدريس فيه الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، كما يحضر ابن بشر درسًا للإمام نفسه عند غزوه أهل القصيم في مخيمه، فيكون وصوله إليه بعد العصر أثناء اجتماع المسلمين في الصيوان الكبير للدرس، ويذكر أن الذي ألقى الدرس هو الشيخ عبداللطيف بن الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، ويعجب المؤرخ كثيرًا إذ يقول: (فتعجبت من فصاحته وتحقيقه وتدقيقه، كأن بين يديه كتاب التفسير كالقرطبي وابن جرير أو أبي حيان وابن كثير)^(٩).

ونخلص من هذا إلى أن تقليدًا قد تأسس لدى أئمة آل سعود، مؤداه أن تكون دروس العلم والاستماع إلى العلماء من مقتضيات الحياة العامة، التي لا يتأخرون عنها في حضر أو سفر أو سلم أو حرب.

ولقد كان من أهم ملامح ازدهار العلم في الدولتين السعوديتين الأولى والثانية كثرة العلماء وكانوا في الأغلب على صنفين:

الأول: علماء موسوعيون كانوا على صلة بمنابع الثقافة العربية التراثية، فلم يقتصر تحصيلهم على علوم العقيدة والفقه، وإنما كانت لهم جهود في تحصيل علوم الحديث والتفسير وعلوم العربية وبعض المنطق، وكانت لبعضهم مشاركات أدبية، وغالبًا ما يكون هاؤلاء نتاج تأهيل تعدى البيئة النجدية، أو بيئة الجزيرة العربية. فتتلمذ بعضهم على علماء الحجاز أو الأحساء أو العراق أو الشام أو مصر.

ومن هاؤلاء العلماء الموسوعيين الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فقد امتدت رحلاته العلمية إلى الحجاز والأحساء والعراق. مما زاد في حصيلته العلمية المتصلة بالتراث، وإذا كان لم يبد في تأليف الشيخ الكثير من مصادره العلمية، بسبب انشغاله بالتأليف لل العامة، أو عدم اكرائه بذكر المصادر إلا نادرًا، فإننا لا نعدم الإشارات إلى فكر يعتمد على الكتب الأصول في التراث الإسلامي أكثر من اعتماده على كتب المتأخرين، ولعل ذلك يظهر أكثر في رسائله التي يبعثها إلى علماء عصره والتي يشرح فيها موقفه. ففي رسالة منه إلى الشيخ عبدالله بن محمد بن عبداللطيف عالم الأحساء، يتحدث الشيخ عن ذم تقليد العلماء، واتخاذهم أربابًا من دون الله، ويطلب منه أن ينظر في كلام أهل العلم مثل الحافظ الذهبي، وابن كثير، وابن رجب، ثم يقول: (وان لم تتبع هاؤلاء، فانظر كلام الأئمة قبلهم كالخافظ البيهقي في كتاب «المدخل»، والخافظ ابن عبدالبر، والخطابي، وأمثالهم قبلهم، كالشافعي وابن جرير وابن قتيبة وأبي عبيد. فهاؤلاء إليهم المرجع في كلام الله وكلام رسوله وكلام السلف. وإياك وتفاسير المحرفين للكلم عن مواضعه، وشروحهم فإنها القاطعة عن الله وعن دينه، تأمل ما في كتاب الاعتصام للبخاري، وما قال أهل العلم في شرحه) (١٠).

إن هذا النص يدل على أن الشيخ لم يكن محدود النظر - وخاصة فيما يتعلق بالعقيدة - في مصادر معينة، بل كان يستمد معارفه من منابع تراثية عريقة على الرغم من ندرة تلك المصادر، وقلة تداولها بين الناس في ذلك العصر.

ومن العلماء الموسوعيين الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب وابنه الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن. فقد كانت إقامتهما في مصر مدة طويلة من الأسباب التي جعلتهما يتصلان بالمصادر الكثيرة. مما أغنى اهتماماتهما العلمية.

والصنف الآخر صنف لم يغادر البيئة المحلية واقتصر في تأهيله على تحصيل علوم العقيدة والفقه. وهاؤلاء هم أكثر العلماء الذين كانوا يعيشون في فترة الدولتين السعوديتين الأولى والثانية.

ولسنا بسبيل بسط الحديث عن هاؤلاء العلماء أو أولئك، لكننا نرى أن من مستلزمات هذه البيئة النشطة علمياً أن يزدهر فيها تداول الكتب، وخاصة كتب التراث، ولسنا نزعم أننا في هذه العجالة سنوفي الموضوع حقه بشأن تداول الكتب في فترة الدولتين الأولى والثانية، ولكن حسبنا أن نشير إلى أن أعمال الوراثة والنسخ كانت رائجة في ذلك العصر، وكثيراً ما نجد في تراجم العلماء ما يميزون به من حسن الخط، وما حصلوه بخطوطهم من الكتب القيمة، ففي السنة التي انتقل فيها الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى الدرعية توفي العالم الشيخ محمد ابن ربيعة العوسجي قاضي بلدة ثادق وقال عنه ابن بشر: (كان فقيهاً وحصل كتباً كثيرة بخطه)^(١١).

ويشير ابن حميد في «السحب الوابلة» في ترجمة حميدان بن تركي الخالدي من علماء عنيزة إلى أنه (حصل كتباً نفيسة أكثرها شراء من تركة شيخه (عبدالله بن عضيبي) ومن تركة أخيه منصور بن تركي، فقد كان حسن الخط، كتب كتباً جلييلة مع ما اشتراه)^(١٢).

وفي عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد يشير (بوركهات) إلى أن (السلفيين بالذات كانوا يبحثون بصفة خاصة عن كتب التاريخ) ويقول: (وقد سمعت هذه الملاحظة ذاتها تتكرر في المدينة، وخلال إقامتي في دمشق التي تعد أشرى أسواق الكتب في الشرق وأرخصها لأن الأوربيين لا يترددون عليها إلا قليلاً، سمعت أن بعض رجال من أهل بغداد بعثهم سعود زعيم السلفيين، قد اشتروا كثيراً من كتب التاريخ. وعندما أغار عبدالوهاب أبو نقطة على موانئ اليمن حمل منها عددًا كبيرًا من الكتب وأرسلها إلى الدرعية)^(١٣)، ويشير في موضع آخر إلى كتب حملها السعوديون من المدينة^(١٤).

لقد كان البحث عن الكتب خارج نطاق الجزيرة العربية من الأهداف الأساسية التي جعلها الحكم السعودي والعلماء السعوديون في ذلك الوقت نصب أعينهم. فما أن تلوح الفرصة للاتصال بيئة تزدهر فيها صناعة الكتاب حتى يقتنصها العلماء والحكام للحصول على المصادر العلمية من الكتب التي كانت مخطوطة في الغالب. وكما أشار (بوركهات) يشير الجبرتي إلى أن مبعوثي الإمام عبدالله ابن سعود إلى محمد علي باشا (وهما عبدالله بن محمد بن بنان وعبدالعزيز بن حمد سبط الشيخ محمد بن عبدالوهاب) قد دخلا الجامع الأزهر (وسألا عن مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، وعن الكتب الفقهية المصنفة في مذهبه... واشترى نسخًا من كتب التفسير والحديث مثل «الخازن» و«الكشاف» والبعثي والكتب الستة المجمع على صحتها وغير ذلك)^(١٥).

ويذكر ابن بشر أن الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن عبدالوهاب عندما عاد من مصر ١٢٦٤ هـ أحضر معه كتبًا كثيرة^(١٦)، ولاشك أن والده الشيخ عبدالرحمن بن حسن الذي سبقه في القدوم من مصر سنة ١٢٤١ هـ قد أحضر معه كتبًا مشابهة.

ولقد كان للتداول النشط للكتاب أثر كبير في تكوين مجموعات الكتب التي

نست بشكل ملحوظ لدى بعض العلماء مما أدى إلى ظهور خزائن للكتب هيأها العلماء لأنفسهم ولطلابهم.

ففي أخبار رحلة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى المدينة المنورة واجتماعه بشيخه العالم الشيخ عبدالله بن إبراهيم بن سيف (ت ١١٨٩ هـ) من أهل المجوعة قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: (كنت عنده يوماً فقال لي: أتريد أن أريك سلاحاً أعدته للمجوعة؟ قلت نعم. فأدخلني منزلاً عنده فيه كتب كثيرة. فقال: هذا الذي أعدناه لها)^(١٧).

وكان للدرعية مكتبة عامة يرتادها طلاب العلم^(١٨)، كما نجد عددًا ملحوظًا من المكتبات الخاصة في نجد التي احتفظ بها العلماء لأنفسهم أو أوقفوها على طلاب العلم. مثل مكتبة آل عبد الجبار التي تضخمت وتوارثها علماؤهم^(١٩)، ومكتبة الشيخ صالح بن عبدالله البسام (ت ١٣٠٧ هـ)، ومكتبة صالح بن حمد البسام^(٢٠)، ثم خلف هاؤلاء علماء كونوا مكتبات ذاع صيتها حتى عهد الملك عبدالعزيز مثل مكتبة الشيخ حمد الفارس (ت ١٣٤٥ هـ) ومكتبة الشيخ سليمان المزيني (ت ١٣٦٣ هـ)^(٢١).

عهد الملك عبدالعزيز:

يعد عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود استمرارًا طبيعيًا للنهج الذي سارت عليه الدولة السعودية منذ نشأتها في تشجيع العلم، ومؤازرة طلابه وعقد مجالسه، وإنشاء مدارسه، والاحتفاظ بمصادره. وتأليف الكتب التي تشرح الدعوة السلفية وترد على أعدائها وتداول الكتب الأصول التي تعتمدها الدعوة السلفية.

ولقد جاء عهد الملك عبدالعزيز في بداية عصر اتساع المعلومات، وسهولة انتشارها عن طريق الطباعة التي كانت سائدة في مراكز الهند ومصر والشام، فكان أن انتفع الملك المؤسس بهذه الوسائل الحديثة في نشر كتب العقيدة السلفية، وإحياء مذهب الإمام أحمد بن حنبل، والإفادة من مصادر التراث الأخرى في التفسير والحديث، وما تمس إليه حاجة طلاب العلم.

أ- نشر الكتب قبل توحيد المملكة:

تميّز عهد الملك عبدالعزيز بفترتين إحداهما: تلك التي سبقت دخوله مكة المكرمة سنة ١٣٤٣هـ والثانية: بعد دخوله مكة وتوحيده المملكة.

وفي الفترة الأولى اعتمد الملك المؤسس على مطابع خارج البلاد من أجل نشر كتب التراث بين مواطنيه، على الرغم من تواضع واردات الدولة في ذلك العهد المبكر.

وكانت الهند في مقدمة البلدان التي تولت طبع كتب التراث للملك عبدالعزيز والواقع أنها كانت في مقدمة البلدان التي اتصلت بالدعوة السلفية منذ عهد مبكر، وقد توثقت هذه الصلات بالرحلة إليها من قبل بعض علماء السلفية، كالعلامة الشيخ سعد بن عتيق الذي سافر إلى الهند في نهاية القرن الثالث عشر الهجري سنة ١٢٩٩هـ واجتمع بعلمائها، وقرأ على بعضهم، واستقر بها تسع سنين، وكذلك الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ الذي سافر إلى الهند سنة ١٣٠٩هـ.

وليس من السهل معرفة الزمن الذي بدأ في نشر الكتب السلفية والمذهب الحنبلي في الهند، ولكن من المرجح أن يكون ذلك قد تم في بداية القرن الرابع عشر الهجري، إذ إن أقدم كتاب اطلعنا عليه من مطبوعات الهند باهتمام أحد أبناء الجزيرة العربية هو كتاب «دليل الطالب» في الفقه الحنبلي للشيخ مرعي بن يوسف المقدسي وقد طبع سنة ١٣٠٧هـ باهتمام إبراهيم المنديل البصري مسكناً والنجدي أصلاً ومذهباً في (المطبعة الحيدرية) في بمبي، وقد طبع كتاب «التوحيد» للشيخ محمد بن عبدالوهاب سنة ١٣٠٨هـ وبعده بعام طبع كتاب «منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس» للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ (بطبعة ديرسات) في بومبي. ثم طبع بعد ذلك بعامين كتاب «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» للعلامة الشيخ

عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ بـ (المطبع الأنصاري) في بلدة دهلي سنة ١٣١١هـ، كما طبع في السنة نفسها كتاب «مدارج السالكين لابن القيم»، ويليه كتاب «الإيمان» لابن تيمية في المطبعة نفسها. وفي سنة ١٣١٣هـ طبعت هذه المطبعة كتاب «إحكام الأحكام شرح أحاديث سيد الأنام» للشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد، وعلى غلاف الكتاب أعلنت المطبعة عن كتاب «إعلام الموقعين عن رب العالمين» لابن القيم وكتاب «الرد على المنطقيين» لابن تيمية، و «مجموعة التوحيد النجدية»، و «مجموعة الحديث»، وكان الإعلان بالأوردية مما يدل على انتشار هذه الكتب بين الهنود أنفسهم.

وقد تتابع النشر من خلال مطابع الهند في ثلاثة مراكز، تمثلها في الغالب:

١- مدينة بمبي وهي أكثر المدن نشرًا للمطبوعات السلفية، إذ نشطت فيها أربع مطابع هي:

أ- المطبعة المصطفوية. ب- مطبعة ديرسات.

ج- مطبعة كلزار حسني. د- المطبعة الحيدرية.

٢- مدينة دهلي حيث يوجد المطبع الأنصاري والمطبع المجتبائي.

٣- مدينة امر تسر حيث مطبع «القرآن والسنة».

صدرت عن هذه المطابع معظم مؤلفات الدعوة السلفية، وخاصة ما يتعلق منها بالردود التي سطرها علماء الدعوة من أمثال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، والشيخ سليمان بن سحمان، كما طبع الملك عبدالعزيز بعض مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، و «تاريخ ابن غنام» وغير ذلك.

أما في مصر فقد كان بعض الموسرين من أبناء الجزيرة من محبي عقيدة السلف والمنتسبين إلى مذهب الحنبلي يقومون بطبع كتب المذهب. وأقدم ما أطلعنا عليه كتاب «المآرب بشرح دليل الطالب» للشيخ عبدالقادر بن عمر الشيباني وهو شرح لـ «دليل الطالب» في الفقه الحنبلي للشيخ مرعي بن يوسف

المقدسسي الكرمي، وقد صدر في مجلدين طبعا في مصر سنة ١٢٨٨ هـ، وكانت هذه الطبعة على ذمة الشيخ علي بن محمد بن إبراهيم من أهالي الكويت.

وفي مطلع القرن الرابع عشر بزغ نجم تاجر من أضخم تجار الجزيرة العربية وأكثرهم تأثيراً في هذا المجال هو مقبل بن عبدالرحمن الذكير، الذي كان مقيماً في البحرين فتجرد لنشر بعض كتب الفقه الحنبلي الضخمة، ولعل أهمها كتاب «كشاف القناع عن متن الإقناع» للشيخ منصور بن إدريس البهوتي الحنبلي (ت ١٠٥١ هـ) الذي طبع في (المطبعة الشرفية) سنة ١٣١٩ هـ وقد وزع مجاناً على طلبة العلم. كما نشر «فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (ت ٧٢٨ هـ) فيما بين عامي ١٣٢٦ و ١٣٢٩ هـ، وكتابي «إعلام الموقعين» و «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» لابن القيم. كما نشر رسالة للشيخ سليمان بن سحمان بعنوان «تأييد مذهب السلف وكشف شبهات من حاد وانحرف ودعى باليماني شرف» وذلك سنة ١٣٢٢ هـ وهو رد شعري أعقبه بيان عن عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وما يراه أتباعه.

وتبرز في أواخر هذه الفترة التي سبقت دخول الملك عبدالعزيز مكة المكرمة دار كان لها أثر كبير في نشر تراث الدعوة السلفية وكتب الفقه الحنبلي، تلك هي (دار مجلة المنار) لمنشئها السيد محمد رشيد رضا.

كان السيد محمد رشيد رضا - وهو تلميذ للشيخ محمد عبده - سلفياً قبل أن يتصل بالملك عبدالعزيز، فمنذ بداية العقد الثاني من القرن الرابع عشر الهجري - عندما أنشأ مجلة «المنار» - كانت الأفكار الإصلاحية تظهر بشكل واضح في مجلته، كما أنه سبق أن نشر كتباً في الفقه الحنبلي منذ أوائل العشرينيات الهجرية، فقد نشر كتاب «المقنع» للشيخ موفق الدين بن قدامة (ت ٦٢٠ هـ) على نسخة وصفت بأنها جميلة الخط، كتبت سنة ١٢٢٧ هـ على نفقة أحد المحسنين. وقد بين السيد رشيد

رضا بأن علاقته بالفكرة السلفية لم تأت بسبب اتصاله بالملك عبدالعزيز، وإنما سبقت ذلك بمدة طويلة، وأنه أول ما عرف الصورة الحقيقية لعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأنه وأتباعه قوم مصلحون كان ذلك بعد قدومه إلى مصر، وأول رجل سمع منذ ذلك هو محمد مسعود بك المصري الكاتب المشهور، ثم اطلع على ما كتبه مؤرخ عصر ظهورهم الشيخ عبدالرحمن الجبرتي الأزهري، وما كتبه محمود فهمي المهندس المصري في تاريخ «البحر الزاخر» وما كتبه صاحب «الاستقصا في تاريخ المغرب الأقصى» ثم ما كتبه الشيخ عبدالباسط الفاخوري مفتي بيروت في كتابه «تاريخ الإسلام»، وقد عجب كيف تجرأ على مدح أتباع الدعوة السلفية في عهد السلطان عبدالحميد، ثم رأى شيخه الشيخ محمد عبده في مصر يثني على كتابي الشيخ محمد بن عبد الوهاب: كتاب «التوحيد»، وكتاب «كشف الشبهات» ووجد رأيه موافقاً لرأي محمد بك مسعود^(٢٢).

ومن المعروف أن السيد محمد رشيد رضا قد حج سنة ١٣٤٤ هـ، وفي ذلك الوقت قابل الملك عبدالعزيز، وأفاد من رحلته تلك بالإطلاع على مخطوطة في (مكتبة الحرم الملكي) لـ «تفسير ابن كثير» كانت مكتوبة في عصر المؤلف ومقابلة على أصله، وقد اعتمدها لطبع التفسير فيما بعده^(٢٣).

طبعت (مطبعة المنار) أمهات الكتب في مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وأعادت طبع كثير من كتب الدعوة السلفية، وكانت مطبوعات الملك عبدالعزيز أهم ما طبع من تلك المؤلفات وخاصة ما أمر بطباعته قبل بلوغه مكة. فقد بدئ في عام ١٣٤١ هـ بطبع كتاب «المغني» لموفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة (ت ٦٢٠ هـ) شرح مختصر أبي القاسم عمر بن الحسين الخرقى (ت ٣٣٤ هـ) في الفقه الحنبلي. وهو كتاب موسوعي كبير في فقه المذاهب جميعاً. كما نشر كتاب «الشرح الكبير» لشمس الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن محمد بن أحمد ابن قدامة (ت ٦٨٢ هـ) شرح به «متن المقنع» لموفق الدين عبدالله بن قدامة

صاحب «المغني». ومما نشرته هذه المطبعة للملك عبدالعزيز «تفسير ابن كثير»، و «تفسير البغوي»، ورسائل وفتاوي لابن تيمية، مثل «التوسل والوسيلة»، و«إغاثة اللهفان في طلاق الغضبان» له وطبعت من مؤلفات ابن القيم «مدارج السالكين» في ٣ أجزاء، و «شرح عقيدة السفارين»، و «الأداب الشرعية» لابن مفلح المقدسي سنة ١٣٤٨ هـ ومن تراث علماء الدعوة نشرت «إرشاد الطالب إلى أهم المطالب» للشيخ سليمان بن سحمان، و «الهدية السنوية» له، و «الرسائل والمسائل النجدية» ومجموعة متون.

وستحدث عن بعض هذه المطبوعات مفصلاً عند الحديث عن مجالات النشر والتحقيق.

ب- نشر الكتب بعد توحيد المملكة:

بعد بلوغ الملك عبدالعزيز مكة سنة ١٣٤٣ هـ امتلكت الدولة أول مطبعة لها ممثلة في (مطبعة أم القرى) التي خلفت (المطبعة الأميرية العثمانية)، وقد أجريت على هذه المطبعة إصلاحات كثيرة، ولحقها تطوير كبير كي تقابل الطلب المتزايد على نشر الكتب السلفية بالدرجة الأولى، واحتياجات العلماء من أبناء البلاد من جهة ثانية.

ولعل أول ما نشرته هذه المطبعة في هذا العهد هو «مجموعة التوحيد» التي انتهى طبعتها في نهاية شوال سنة ١٣٤٣ هـ، أي بعد أقل من ستة أشهر من دخول الملك عبدالعزيز مكة المكرمة، وقد صدرها يوسف ياسين بمقدمة أشار فيها إلى حرص الملك عبدالعزيز على توعية الناس، من منطلق الحاجة إلى هذا الكتاب الذي رأى أن ينشر ليقراه الخاص والعام^(٢٤).

ثم تولت هذه المطبعة نشر مجموعة من أهم المجموعات السلفية، تضم رسائل ومسائل لعلماء نجد من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الوقت

الذي جمعت فيه، تلك هي مجموعة «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» التي جمعها الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، كما نشرت «كتاب الزهد» للإمام أحمد بن حنبل.

وغير الكتب الدينية نشرت المطبعة كتبًا أخرى، مثل «تاريخ أحمد بن محمد ابن لعبون» سنة ١٣٥٧هـ، إلى جانب تلبيتها احتياجات الدولة من المطبوعات وطباعة بعض مؤلفات المعاصرين التي لا تعيننا في هذا البحث.

وشارك (مطبعة أم القرى) مطابع أخرى في مكة، كـ (المطبعة الماجدية) التي أصدرت سنة ١٣٥٢هـ، «تاريخ مكة» للأزرقى بتحقيق رشدي الصالح ملحقس. و(المطبعة السلفية) التي كان من مشاريعها أول تأسيسها (١٣٤٧هـ) نشر عشر رسائل من تراث السلف الصالح بعنوان «مجموعة الرسائل السلفية»، كما أخرجت كتاب «عنوان المجد في تاريخ نجد» لعثمان بن بشر وكتاب «السنة» للإمام أحمد بن حنبل سنة ١٣٤٩هـ. و (المطبعة العربية) التي نشرت «حاشية الأجرومية» لعبدالرحمن بن محمد بن قاسم.

غير أن النشر خارج المملكة لم ينقطع، فقد استمرت مصادر الهند ومصر والشام في إمداد البلاد بالكتب المطبوعة على حساب الدولة والناشرين الأفراد.

ومع ذلك فإن الملك عبدالعزيز لم يكن يقتصر تشجيع نشر التراث عنده على ما كان يطبعه على حسابه من هذه الكتب، وإنما كان يشتري أعدادًا كبيرة من المطبوعات التي تخدم أهداف الدعوة السلفية، أو تفيد طلاب العلم في مجال الفقه الحنبلي، مما أدى إلى رواج كثير من هذه الكتب، وازدياد حركة نشرها. وقد أشارت إلى ذلك افتتاحية أحد أعداد «أم القرى» الصادرة سنة ١٣٤٧هـ بعنوان (الدين يقضي على الأمية، مئة ألف نسخة ونيف من الكتب يطبعها جلاله الملك) ومما قاله الكاتب فيها: (ولا نغالي إذا قلنا: إنه قلما يصل بريد إلى العُقير

مرفأ نكد فف الخلفف... أو كدة مرفأ الككاز فف بكر القلزم لا فكممل بفن مشكوناته طرفوذا من الككب المطبوعة الوارءة باسم ءفوان كلاله الملك الكاص لءوزفعها مكجانا، ابءغاء مرضاة الله وكبا بنشر الكفاة)^(٢٥).

وبءاء «أم القرى» فف افءاحفة العءء ٢١٩ (٢٧ رمضان سنة ١٣٤٧هـ) بففراء قوائم لما طبع على كساب الملك المؤسس. وقال الككاتب: (أراء الملك عبءالعزفز أن ففشر ءءعوة إلى ءءفن الكالص فف سائر الأمصار، فاسءشار العلماء فف ففر الككب الكف ففبغف نشرها بفن الناس لفعمل كفهء فف ءوففرها، فءكرء له الككب الكف ءبفن كففقة ءءوفءء، ومنها ما هو مطبوع، ومنها مالم فطبع، فاشءرى من المطبوع مءاء الككب والألوف، ومالم فطبع منها أمر بطبعه وءوزفعه)^(٢٦).

وكان عبءالملك عبءالعزفز - رحمه الله - مءابعا لكركة نشر الككب ءءراثفة، كما كان على علم بمكخطوطاء بعض الككب الكف فءوق إلى نشرها، وأماكن وءوءءها. ففف كءفء أجراه معه الشفخ عبءالعزفز الرشفء صاءب مككلاء «الكوفء» سنة ١٣٤٨هـ ءمنى الشفخ عبءالعزفز على الملك أن ففشر «ءفسفر ابن ءفمفة»، فرء علىه الملك بأنه كان راغبا كل الرغبة فف طبع هذا ءفسفر، ولكنة لا فعلم أفن فوءءء، فرء علىه الشفخ عبءالعزفز بأن الشفخ مكءء كسفن نصفف أكره أنه فوءء فف (عكا) من مءن الشام. فقال الملك: (لا فبعء أن فوءء هناك أو فف مككاب الشام وففرها، لكنة إذا ما وءء لا فوءء إلا مكخروما). ءم فكشف الملك عن مشروع فف كافة الأهمفة وهو أن من المكءمل أن ءوءء الككب الكف فرغب نشرها فف مككباء أوروبا، إذا لم ءوءء فف مككباء الشرق، ولءالك فإن (فف العزم إرسال شكص من أهل العلم والمعرفة إلى أوروبا لفعء عمما ففهم، وسنصكبه بءوصفاء ءسهل علىه مهمءه، كلما وءء شفئا مما فرءء أخذه، ولو بالفءوكراف ءم بعءه إلفنا)^(٢٧).

وهذا يعني أن مشروع الملك عبدالعزيز كان طموحًا بحيث يشمل البحث عن المخطوطات خارج البلاد العربية وفي أوروبا على وجه الخصوص، وإحضار هذه المخطوطات، أو إحضار صور منها، ثم طبعتها وتوزيعها على الناس، وهو تفكير سبق كثيرًا المحاولات العربية الرسمية المعاصرة لجلب المخطوطات بالتصوير من خارج البلاد العربية.

وكان عهد الملك عبدالعزيز إرهابًا بظهور نهضة طباعية في المملكة، ازدهرت فيما بعد لتغطي مدن المملكة الرئيسة، وتأزرت الجهود فيها على نشر التراث وتحقيقه ضمن مسارات مختلفة، وتبع ذلك إنشاء مؤسسات تابعة للدولة تعنى بالتراث فلم يعد الديوان الملكي كما كان في عهد الملك المؤسس هو الذي يتولى الطباعة والتوزيع، وإنما أسندت المهمة إلى رئاسة القضاء ثم إلى الرئاسة العامة للافتاء والشؤون الدينية (التي تغير اسمها فيما بعد إلى الرئاسة العامة للافتاء والدعوة والإرشاد)، وأنشئ سنة ١٣٧٦ هـ ما سُمي بالمستودع العام للكتب والمطبوعات، التابع لهذه الرئاسة، وأصبحت هذه الرئاسة توزع كتب الدعوة السلفية والكتب الدينية الأخرى التي تطبع على حساب المملكة، أو التي تطبعها أو تقتنيها حسب ما تراه، وذلك استمرار لما كان يقوم به الديوان الملكي أيام الملك عبدالعزيز - رحمه الله - .

ويدخل ضمن المسار الحكومي ما قامت به مؤسسات الدولة الأخرى مثل الوزارات التي كانت تهتم بالطباعة أو الاقتناء مثل (وزارة المعارف) و (وزارة الإعلام) ولكن أهم مسار حكومي يمكن أن يكون ذا أثر كبير في إحياء التراث في المملكة. وتشجيع تحقيقه ونشره هو قطاع الجامعات، التي كان إنشاؤها فتحًا جديدًا لنشر التراث في المملكة، وخطوة مهمة لتوطين التحقيق العلمي وازدهاره.

(للبحث صلة)

د. أحمد بن محمد الضبيب

الحواشي:

- (١) ابن بشر، عثمان، «عنوان المجد في تاريخ نجد»، تحقيق، عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، ط ٤، الرياض، دار الملك عبدالعزيز سنة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ - ١٨٢ / ١.
- (٢) نفسه، ٤٣. (٣) نفسه، ٢٧٦ / ١. (٤) نفسه، ٣٤٣ / ١ و ٣٤٥.
- (٥) نفسه، ٣٤٨ / ١. (٦) نفسه، ٣٥٠ / ١. (٧) نفسه، ٤٢٢ / ١.
- (٨) نفسه، ١١٢ / ٢ - ١١٣. (٩) نفسه، ٢٣٥ / ٢ و ٢٥٦.
- (١٠) «الدرر السننية في الأجوبة النجدية»، ط ١، مط. أم القرى سنة ١٣٥٢هـ / ٢٣ / ١.
- (١١) ابن بشر، «عنوان المجد»، ٤٧ / ١.
- (١٢) ابن حميد، محمد بن عبدالله، «السحب الوايلة على ضرائح الحنابلة»، تحقيق عبدالرحمن بن سليمان العنمين، ط ١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٨١ - ٢٨٣.
- (١٣) بوركهارت، جون ليس، «رحلات في جزيرة العرب» ترجمة عبدالعزيز صالح الهلابي، وعبدالرحمن عبدالله الشيخ، ط ١، بيروت، مؤسسة الرسالة سنة ١٤١٣هـ، ص ١٩٦.
- (١٤) نفسه، ص ٣٥٨.
- (١٥) غالب، محمد أديب، «من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي»، ط ١، الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، سنة ١٣٩٥هـ، ص ١٧٥.
- (١٦) ابن بشر، «عنوان المجد»، ٤٣ / ٢.
- (١٧) نفسه، ٣٥ / ١.
- (١٨) ابن بسام، عبدالله بن عبدالرحمن، «علماء نجد خلال ستة قرون»، ط ١، مكة المكرمة، مطبعة النهضة الحديثة، بلا تاريخ، ٢٩٣ / ١.
- (١٩) نفسه، ٢٥٥ / ١. (٢٠) نفسه، ٣٥٨ / ٢ و ٣٤٥. (٢١) نفسه، ٢٣٥ / ١ و ٣٠٨.
- (٢٢) مجلة «المنار» مج ٢٨ ج ١، ص ٣، ووازن بمقدمة محمد رشيد رضا لكتاب «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان»، القاهرة، مط، المنار سنة ١٣٥١هـ، ص ٢٨.
- (٢٣) ابن كثير، «فضائل القرآن»، ذيل الجزء التاسع من «تفسير ابن كثير» والبغوي، القاهرة، مط. المنار، سنة ١٣٤٧هـ، ص ٩٥.
- (٢٤) «مجموعة التوحيد»، مكة المكرمة، مط. أم القرى سنة ١٣٤٣هـ، المقدمة.
- (٢٥) «أم القرى»، العدد ٢١٤، ٢١ شعبان سنة ١٣٤٧هـ، ص ١.
- (٢٦) «أم القرى»، العدد ٢١٩، ٢٧ رمضان سنة ١٣٤٧هـ، ص ١.
- (٢٧) مجلة «الكويت» مج ٢، ج ١٠، سنة ١٣٤٨هـ، ص ٣٨١.

مِمَّا أَخَلَّتْ بِهِ الدَّوَاوِين

(٣)

ابن بسام: صُنِعَ ديوانه مرَّتين، صنعه في المرَّة الأولى الدكتور مزهر السوداني، ونشره في «المورد» العدد الثاني من المجلَّد الخامس عشر الصادر عام: ١٩٨٦، واستدرك على هذا العمل الأستاذ هلال ناجي، ثمَّ صنعه مرَّةً ثانية الدكتور يونس أحمد السامرائي، ونشره في الجزء الثاني من كتابه: «شعراء عباسيون».

ويلاحظ على نشرة السامرائي بادئ ذي بدءٍ أنَّها لم تنتفع بمستدرك الأستاذ هلال، ولعلَّ عمل الدكتور السامرائي قد سبق المستدرك ففوت عليه إضافة ما صحَّ أنه لابن بسام من شعرٍ.

أقول هذا لأنني لاحظتُ أن استدراك الأستاذين هلال ناجي، ونوري القيسي في كتابهما: «المستدرك على صنَّاع الدواوين» فيه الكثير من العجلة، وعدم الثبوت، فمن آيات ذلك - وأنا أمثل ولا أستقصي - أن ورطاني وهما يستدركان عليَّ ما فاتني من شعر الحماني بنسبةٍ شعرٍ ليس له. فقد وجدتهما ينسبان إلى الحماني نسبةً مطمئنة قوله:

ألم ألك يومَ الرَّوْعِ أوَّلَ طاعينٍ وإن كنتُ وسطَ الحيِّ كنتُ لهم مُزنا^(١)

ثمَّ أحالاً المُستدرك على: «الدر الفريد» ٢: ٢٣٢. وإذ رجعتُ إلى «الدر» وجدته يقول: (علي بن محمد صاحب البصرة) فلم يكن بوسعي أن أحذف البيت - وأنا أصحح تجارب الطبع - وأضع الفهارس، فاضطرتُّ إلى التصحيح في الحاشية. أمَّا الورطات الأخرى التي أراد أن يورطاني بها - دونما قصدٍ منهما - فقد نجوتُ منها لأنني كنتُ على علمٍ بأن ما يرويان ليس للحماني. وقد فصلتُ ذلك في مقدِّمة الديوان؛ إذ أوقفْتُها على مناقشة المستدرك على ديوان الحماني.

أعود إلى رأس أمري فأقول: ما زلتُ أطمحُ أن يُرزق «ديوان ابن بسام» طبعة أخرى يُفيد فيها الدكتور يونس من مستدرك الأستاذ هلال عليه، على أن يُنقَّر

بنفسه في صحّة النسبة. فقد وجدتُ الأستاذ هلالاً وهو يستدرك على الدكتور
السودانيّ صنّعه «ديوان عليّ بن محمد بن بسام» يقول على الصفحة: ١٣ إنّ مما
فاته قول ابن بسام:

يُحِبُّ المَدِيحَ أَبُو ثَابِتٍ [كذا] ويفرّق من صِلِة المَادِحِ
كَبَكْرٍ تُحِبُّ لَذيذَ النِّكاحِ وتفرّق من صَوْلَةِ النّاكِحِ
والأدباء والمتأدّبون جميعاً يعرفون أنّهما لإبراهيم بن هرمة، وقد وردا في ديوانه
بطبعته النجفيّة والمدمشقيّة، وأن روايتهما: ... أبو خالد لا أبو ثابت...

ووجدته يقول على الصفحة: ١٢ (قال ابنُ بسام وتروى لعبدالصمد بن المُعذّل:

تجاوز نِسبَةَ المولى وأصبح يدّعي العَرَبَا...)
أقول: هذه الأبيات قد رواها أبو الفرج الأصبهاني في «الأغاني» بقوله: (كان
عليّ بن الخليل الكوفي صديق من الدهاقين يعاشره ويبرّه، فغاب عنه مدّة
طويلة، وعاد إلى الكوفة، وقد أصاب مألأ ورفعة، وقويت حاله؛ فادّعى أنّه من بني
تميم، فجاءه عليّ بن الخليل فلم يأذن له، ولقيّه فلم يُسلم عليه، فقال عليّ...:

يروح بنسبَةَ المولى ويصبح يدّعي العَرَبَا...)
هذا وعدتها ستة عشر بيتاً في «الأغاني»، أي: بزيادة أربعة أبيات عمّا ورد في
المستدرك نقلاً عن مخطوطة «المناقب والمثالب».

ونسب إلى ابن بسام على الصفحة: ١٦ البيتين القائلين:

لأشكرنك معروفًا هممت به إنّ اهتمامك بالمعروف معروفُ
ولا أذمك إن لم يمضيه قدرٌ فالشيء بالقدر المحتوم مصروفُ

أقول: البيتان لابن حازم الباهليّ في «ديوانه»: ٧٣، وشطرٌ منهما له في
«الأمثال» للخوارزمي، والبيتان له في «المنتحل»، و «مجموعة المعاني»، و «نهاية
الأرب»، وللاستزادة في أمر نسبتها تُنظر حاشية الدكتور البقاعي في صفحة
الديوان المذكورة.

آتي بعد هذا إلى ما وجدته من شعرٍ منسوبٍ لابن بسام لم أجده لا في ديوانه
صنعة السامرائي ولا في «المستدرک على صنّاع الدواوين». وإذا أقول: لم أجده
فيهما فإنّ هذا يعني أنها غير موجودة في نشرة الدكتور السوداني، لأن الدكتور
السامرائي أفاد مما ذكر الدكتور السوداني ماليس في مجموعته فأدرج عمل
السوداني فيه، إذا آتي إلى ما نُسب لابن بسام فأقول: لستُ أزعّم لنفسي - وما
ينبغي لي - أن كل ما أُوردُ من شعرٍ هو لابن بسام تحقيقًا، وإنما أزعّم لها أنني
وجدتُ هذا الشعرَ منسوبًا إليه في «الدرّ الفريد وبيت القصيد»، وما أقوله عن ابن
بسام أقوله عن كل ما أستدرک.

أورد الدكتور يونس لابن بسام قوله:

ما للنساء وللكتبا بة، والعمالة والخطابه
هذا لنا، ولهّنّ منا (م) أن يتنّ على جنابه
وأقول: تمام الأبيات كما هي في المصدر المذكور:

قل للمُقَدّم في الريا سة والسياسة والكتابه
ماذا رأيت إذ اصطنع ست العُرفَ عند بني ثوابه؟
لا سيّما هذي المُخنّ ثة التي تُدعى: لُبابه
ما للنساء

وقال البسامي:

مُحَبَّبٌ في قلوبِ الناسِ كُلَّهُم فكلُّ قلبٍ إليه مائلٌ كِلْفُ
وقال البسامي:

من سرّة العيّد الجدي دُ فقد عدمتُ به السرورا
كان السوروزُ يتمُّ لي لو كان أحبابي حُضورا
وقال البسامي:

وإن كنت تبغي البرّ فاقطع زيارتي ففي الناسِ إخوانٌ جفاؤهم برّ

وقال البسامي:

وَدَّعْتُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَعْلَمُوا
وَاسْتَحْسَنُوا ظُلْمِي فَمَنْ أَجْلِهِمْ
وَرُحْتُ وَالْقَلْبُ بِهِمْ مُغْرَمٌ
أَحَبُّ قَلْبِي كُلِّ مَنْ يَظْلِمُ

وقال البسامي:

قَدْ قَلْتُ لَمَّا أَنْ قَضَى نَحْبَهُ
يَا مَلِكَ الْمَوْتِ تَسَلَّمْتَهُ
لَا رَدَّكَ الرَّحْمَانُ مِنْ هَالِكٍ
مَنَّا فَسَلَّمَهُ إِلَى مَالِكٍ

وأنشد ابنُ بسام:

أَسْمَعْنِي الْمَكْرُورَةَ ثُمَّ اشْتَفَى
يَقُولُ: سُكْرٌ وَمِزَاجٌ جَرَى
ثُمَّ انشَى بِالْعُذْرِ الْفَاضِحِ
وَالصُّدُقِ لِلسُّكْرَانِ وَالْمَازِحِ

وقال ابنُ بسام في عليِّ بن الجهم يهجوهُ:

أُمَّ عَلِيٍّ لِمَ وَلِدْتِيهِ
لَيْتَكَ إِذْ جِئْتَ بِهِ هَكَذَا
مُضْمَخًا بِالْكِبَرِ وَالتِّيهِ؟
أَكَلْتِهِ لَمَّا خَرَيْتِيهِ

وقال ابنُ بسام:

أَنْتِ الَّذِي طَوَّقْتَنِي نِعْمًا
وَرَدَدْتَ مِنِّي الرُّوحَ لِلجَسَدِ
وَرَوَى الدُّكْتُورُ السَّامِرَائِي قَوْلَهُ مِنْ مُقَطَّعَةٍ تَحْتَ رَقْمِ: (١٥١):

وَلَا خَيْرَ فِي اللَّفْظِ الْكَرِيهِ اسْتِمَاعُهُ
أَقُولُ: رَوَيْتَهُ فِي «الدَّر» هِيَ:

وَلَا خَيْرَ فِي لَفْظِ كَرِيهِ سَمَاعُهُ
وَقَالَ البَّسَامِيُّ:

سَأَلْتُ بِالفِرَاقِ صَبًّا وَمَا يُنْـ
هُوَ بَيْنَ الحِشَا صَدُوعٌ، وَفِي الأَعْدِ
بِئْهَا بِالفِرَاقِ مِثْلُ خَيْرِ
بَيْنَ مَاءٍ، وَجَمْرَةٌ فِي الصَّدُورِ
وَأُورِدُ الدُّكْتُورُ يُونُسَ تَحْتَ رَقْمِ (١٠) ثَلَاثَةَ آيَاتٍ مَطْلَعُهَا:

لساني بالثناء عليك رطبُ وبالْمكروه إن أحببتَ غضبُ
أقول روى ابنُ أَيْدَمِرِ الأبياتِ سِتَّةً لا ثلاثةٌ وذكرَ مناسبتها فقال: (كان ابنُ
الفياض يُكاتب البسّاميَّ الشاعرَ، فنقصه في بعض مكاتباته من الدعاء؛ فكتب
البسّاميُّ إليه:

لساني بالثناء عليك رطبُ وبالْمكروه إن أحببتَ غضبُ
وأنتُ مُخَيَّرٌ فاختَرُ فإنيّ لِمَا أحببتَ من أمرٍ مُحبُّ
فكم من مرّةٍ قد ضاقَ رزقي فأنكرُ نيتي، والرّبُّ ربُّ
نقصتني الدّعاء، وذاك شيءٌ على مثلي من الأحرارِ صعبُ
وكنتُ أقولُ إن أقصرتَ فيما^(٢) أوْمَلُكُ: عَذرتُ، وذاك كِذْبُ
فإن عاودتني فأقمتُ يوماً فما لك إن أسأتَ إليّ ذنبُ

وأريد أن ألاحظ أن قوله: (ابن الفياض) ربّما كان مُصحّفاً عن: أبي الفياض
سوار بن أبي شراعة.

وقال عليُّ بنُ محمّدِ البسّامي:

فوض إلى الرحمان، واصبر لِمَا تأتي به أحكامُه واقنع
هذا ما وجدتهُ في «الدر الفريد»، وهنالك فيه وفي سواه من شعره الذي ضمّه
ديوانه ما يحسنُ أن يُخرَجَ عليه؛ ولكن لم أشأ لنفسي أن أنوبَ عن الأستاذِ الفاضلِ
الدكتور السامرائي؛ فهو أعرفُ بابن بسّامٍ مِنّي، وأقدرُ على تلافي ما يقعُ فيه كلُّ
من انتصب لعملٍ مشكورٍ مثل عمليّه.

بقي لديّ شيءٌ لا أرى أن أسكتَ عنه يتعلّقُ بكلامِ الله تعالى هو أن الدكتور
الفاضل قد قال مُعلّقاً على قول ابن بسّام في الإمامِ عليّ بن أبي طالب ومكانته
من رسولِ الله ﷺ:

صيّره هارونَ في قومِه لعاجلِ الدُّنيا وللدينِ

أقول: قال الدكتور يونس السامرائي مُعلِّقًا: (يُرِيدُ قَوْلَهُ تَعَالَى: أَنْتَ مَنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى). ثم بلغ من اليقين بصحة قوله أن علّق على قول ابن بسّام:

فارجع إلى الأعراف حتى ترى ما فعل القوم بهارون
فقال: (لم نجد في سورة الأعراف عن هارون سوى قوله تعالى: ﴿وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المُفسدين﴾).

أقول: لو كان قوله ﷺ: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» من كلام الله لكانت مذاهب أهل السنة برمتها باطلة، وهذا ما لم يقل به أحد من المسلمين، ولا يقول به عاقل. إنما القول من حديث رسول الله. وأتذكر أنني قرأت في «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد - يوم كنت في العراق وأنا لا أملك الكتاب الآن لأحقق ما أتذكر - قوله بعد أن ساق الحديث: (إن صحَّ حديثُ المنزلة فعليُّ أفضلُ الصحابة). والحديث مروى في «جامع السيوطي» من طريقين: سعد، وجابر نقلًا عن «صحيح مسلم» والترمذي. وقال ناصر الدين الألباني وهو يُخرجه: (صحيح).

وضاح اليمن: وقد صنع ديوانه الدكتور رضا الحبيب السويسي في كتابه: «وضاح اليمن، الشاعر وقصته...» ونشرته كلية التربية في جامعة طرابلس بليبيا سنة: ١٩٧٤.
وقلت: إنَّ الدكتور رضا قد صنع ديوانه تجزؤًا، وإلا فإن الدكتور رضا اعتمد في صنعته مصدرًا واحدًا هو كتاب «الأغاني» قائلًا عنه: (مُسْتَخْرَجٌ جَمِيعُهُ مِنْ كِتَابِ «الأغاني» ٦: ٢٠٩ وما بعدها حيث لا يوجد منه ما يُذكر في غير هذا المرجع [كذا]...) (٣).

أقول: وردت ثلاثة أبيات من قوله:

حَتَّامَ نَكْتَمُ حَزْنَنا حَتَّامًا وَعِلامَ نَسْتَبْقِي الدَّمْعَ عِلامًا

في «وفيات الأعيان». وورد بيتان من قوله:

تَرْجَلٌ وَضَّاحٌ وَأَسْبَلٌ بَعْدَما تَكْهَلُ حِينًا فِي الكَهولِ وما احتلم

فيه أيضًا. وكان يحسن أن تُخَرَّج تلك الأبيات عليه.

وروى له أبو تمام في «الحماسة» قوله:

لا قُوَّتِي قُوَّةُ الرَّاعِي قِلائِضُهُ يَاوِي إِلَيْهِ يَاوِي الْكَلْبُ وَالرُّبْعُ
ولا العسيفُ الَّذِي يَشْتَدُّ عَقْبَتَهُ حَتَّى يَبِيَّتَ وَبِاقِي نَعْلِهِ قِطْعُ
لا يَحْمِلُ الْعَبْدُ فِينَا فَوْقَ طَاقَتِهِ وَنَحْنُ نَحْمَلُ مَا لَا تَحْمِلُ الْقَلْعُ
مِنَّا الْأَنَاةُ وَبَعْضُ الْقَوْمِ يَحْسِبُنَا أَنَا بَطَاءٌ وَفِي إِبْطَانِنَا سَرْعُ

وأورد الدكتور السويسي لوضاح ثمانية أبيات تحت رقم (١٩)، وكان يحسن به أن يرجع إلى «حماسة أبي تمام» فقد روى بيتين مما ورد في شعره بصورة مختلفة، وأضاف إلى الأبيات بيتين جديدين. وسأثبت المقطعة كما رواها أبو تمام:

مِن مَبْلَغِ الْحَجَّاجِ عَنِّي رِسَالَةٌ فَإِن شِئْتَ فَاقْطَعِي كَمَا قُطِعَ السَّلَا
وَإِن شِئْتَ أَقْبِلْنَا بِمُوسَى رَمِيضَةٍ جَمِيعًا فَقَطِّعْنَا بِهَا عُقَدَ الْعُرَى
وَإِن قَلْتُ: لَا، إِلَّا التَّفَرُّقَ وَالنَّوَى فَبُعْدًا، أَدَامَ اللَّهُ تَفَرِّقَةَ النَّوَى
فإِنِّي أَرَى فِي عَيْنِكَ الْجَذَعَ مُعْرِضًا وَتَعْجَبُ أَنْ أَبْصُرْتَ فِي عَيْنِي الْقَذَى

هذا وقد ورد البيت الأخير في «الدر الفريد» له أيضًا.

أما المقطعة رقم (٨) فقد ورد منها بيتان في «التذكرة السعدية».

وسأنتقل ما وجدت في «الدر الفريد» من شعر منسوب إليه فأقول: إن ابن أيديمر عرّف به فقال: (حاشية: هو وضاح اليمن بن إسماعيل بن عبد كلال بن داوود بن أبي أحمد اليماني).

ويلفت النظر في أسماء آبائه أن من سمّاه ابنُ أيديمر داوود هو: داؤد عند أبي الفرج الأصبهاني.

وقال وضاح اليمن:

وقائِلِيهِ وَاللَّيْلُ قَدْ صَبَغَ الرَّبِّي بِصَبْغِ تَغَشَى كُلَّ حَزْنٍ وَفَدَدِ

أرى بارقًا يبدو من الجوسقِ الذي به حلُّ ميراثِ النبيِّ مُحَمَّدٍ
أضاءت له الآفاقُ حتَّى كأنَّما رأينا بنصفِ الليلِ نورَ ضحى الغدِ
فظلَّ عذارى الحيِّ ينظمن حوله ظفَّاريَّةَ الجَزَعِ الذي لم يُسرِّدِ
فقلتُ: هو البدرُ الذي تعرفينه فإلا يكن فالنور من وجهِ أحمدِ

أقول: وهم ابنُ أيَّدِمِر في نسبة هذه الأبيات إلى وضاح اليمن؛ إذ هي في «العمدة» للوضاح لأبي بُدَيْلِ الوضاح بن محمد التميمي الفقيه، وقد تصحَّفت كنية الشاعر ولقبه فيه، وكذلك هي إلا البيت الرابع منها له «في الجُمان في تشبيهات القرآن»، وأحمد المذكور في البيت الأخير هو الخليفة المستعين. والجوسق: هو جوسق سامراء، وميراثُ النبي محمد ﷺ دليل قاطع على أنَّ الأبيات ليست لوضاح اليمن، إذ لم تكن وراثته النبيِّ قضيَّة مُلتهبة على ألسن الشعراء في العصر الأمويِّ، وإنَّما التهبت بها الألسنُ أيام بني العباس. هذا والوضاح التميمي من شعراء الشيعة الذين ترجم لهم ابن شهر اشوب في: «معالم العلماء» فعده من المُتكلِّفين، والمُتكلِّفون عنده أوطأ درجات السُّلم في التشيع لأهل البيت.

وقال وضاح اليمن بن إسماعيل:

إنَّ طرفي مُمازحٌ ولساني وضميري عن الفسوقِ عفيفُ
هذا ما عثرتُ عليه عرضًا دونما استقصاء مما أخلَّ به شعرُ وضاح اليمن، فليس من وكدي أن أعيد صناعةَ ديوانه، وإنَّما أردتُ أن أُنبِّه إلى ما اعتور الديوان من خللٍ في صناعته.

أبو دلف العجلي: وصنع ديوانه الدكتور يونس أحمد السامرائي، ونشره في الجزء الثاني من كتابه: «شعراء عباسيون».

وقبل أن أستدرك على الديوان أقول: إنَّه سبق أن جميع شيئًا من «شعر أبي دُلف» المُستعربُ الهنديُّ محمد بن يوسف السورتي، فجعلَه لحقًا بديوان حفيده:

بكر بن عبدالعزيز العجلي، وكان ذلك سنة ١٣٣٢ - ١٩١٤. وقد ذكر الدكتور
يونس أن لبكر ديواناً منشوراً ناقلاً تلك المعلومة عن (كارل بروكلمان) ولكنه -
كما يغلب على ظني - لم ير الديوان.

وترتب على عدم رؤيته الديوان أن نسب شيئاً من شعر الحفيد أعني بكرًا إلى
جدّه أبي دُلف مُتابعًا في ذلك بعض المصادر التي لم يتنبّه أصحابها إلى أن الحفيد
والجدُّ مُتَّجِدَان في الكُنية؛ فكُنية القاسم بن عيسى أبو دُلف، وكُنية بكرٍ كذلك.

وأريد أن أفصل رأبي فأقول: روى ابن طيفور المتوفى سنة: ٢٨٠هـ،
والمسعودي المتوفى سنة ٣٤٦هـ والحصري القيرواني المتوفى سنة ٤٥٣هـ
بعض ما في ديوان بكر من شعرٍ على أنه لجدّه أبي دُلف العجلي، مما جعل
الدكتور يونس أحمد السامرائي يتابعهم - وهو يصنع «ديوان أبي دُلف» - فيُدْرَجُ
شيئًا من شعر بكرٍ في ديوان جدّه. فقد نسب إليه قوله مُتابعًا ابن طيفور:

قطعت عن لقائك الأشغال وهمومٌ على الفؤاد ثقأل
في بلادٍ يذلُّ فيها عزيزُ الـ قومٍ حتى ينالَه الأندالُ
حيث لا رافعٍ لسيفٍ عن الضـ يم، ولا للكماةٍ فيه مجال^(٤)
ومُقامُ الكريم في بلد الهـ ن إذا أمكن الرحيلُ محالُ

وهذا الذلُّ الذي يتحدّث عنه أبو دلفِ الجدُّ لا ينسجم ووقائع حياته. ولا بدُّ أن
يكون ابنُ طيفور أو من روى عنه قد أدرك أن حديث أبي دُلفِ عن ضيمٍ لحقه، ولم
يستطع دفعه - وهو الأمير، الشجاع، الفاتكُ العزيز - حديثٌ لا يُسيغه العقل، ولا
يكادُ، فاضطرَّ أن يُمهّد لهذا الضيمِ بقوله: (.. كان أبو دُلف أيام المأمون مُقيمًا
ببغداد، وكانت معه جاريةٌ أفادها من بغداد، فاشتاق إلى الكرج فخطبها في الخروج
معه إلى الكرج فأبث عليه، فقالت: بغدادُ وطني، فلما عزم على الرحيل تمثل (...).

ولا أعرفُ - لدى الحقِّ - وجه الضيم الذي لقيه أبو دلفِ في إباء جاريته أن
تخرج معه إلى الكرج، هذا إذا صحَّحت الحادثة أصلًا، بحيثُ يستذكر معه سيفه

والفرسان الكماة، وبحيث يتصور أن بغداد برمتها صارت بلد ذل لا يُقيم فيه عزيز، حتى لكان الخليفة المأمون نفسه بهيبته، وقواده، وجنده، وشروطه يحمي هذه الجارية المملوكة لأبي دلف من أن يُرغمها سيدها على الخروج معه إلى بلده. ولعل الذي صنع هذه الرواية قد أدرك أنه لا ظل لهذه الجارية في المقطعة، فأضاف إليها قوله:

وسلامٌ عليك يا ظبية الكر خِ أقمتم وحناننا ارتحال^(٥)
ولا يبعد أن تكون مثل هذه الأفكار - أعني أن الأبيات من غير جنس القصة - قد راودت الحصريَّ القيروانيَّ - وهو يروي المقطعة - فلم ير هو أو من نقل القصة إليه في إباء الجارية أن تخرج معه إلى الكرج وجه ضميم يستحق هذه الغضبة العجلىَّة، فرأى أن يُمهّد للأبيات بقصة أخرى، فقال: (وكان يعشق جارية ببغداد، فإذا شخص إلى الحضرة زارها فركب في بعض قدماته إليها، فلما صار بالجسر مشى على طرف طيلسان بعض المازنين، فمزقه، فأخذ بعنانه، وقال: يا أبا دلف ليست هذه كرجك، هذه مدينة السلام، الذئب والشاة في مرتع واحد، فثنى عنانه مُتوجِّهاً إلى الكرج، وكتب إلى الجارية:

قطعت عن لقائك الأشغال وهموم على الفؤاد ثقال...^(٦)
ولا تختلف هذه القصة في تهافتها عن الأولى؛ إذ كل ما حدث هو أن الحصريَّ أراد أن يُسوّج رواية المطلع على الصورة التي رواه بها، فكان عليه أن يُفسّر انقطاع أبي دلف عن لقاء معشوقته، حتى وإن كان تعلُّله بالأشغال والهموم لا يشبه الحادثة التي وقعت فبلغت من نفسه ما جعله يثني عنانه إلى الكرج دون أن يستأذن الخليفة المأمون ودون أن لا يُشعره به، وكان أبا دلف - وهو عامل الجبل له - رجلٌ من عامة الناس لا يرى حرجاً في أن يُسافر متى شاء، ولا يرى بأساً أن يزور معشوقته في بيتها غير خائف ولا وجلٍ من عيون المأمون التي كان منها (الطفل والمرأة، والمحتال.. وابن السبيل)^(٧).

وهب أن أبا دُلف سَمِعَ من هذا الرجل ما سمعَ، أفترى أن ردَّ فعله ينسجمُ مع ما قرَّر من أن من صفاته) (الاعتراف بالخطأ، والرجوع عنه،... ودماثة الخلق، وسجاجة الطبع والفتوة) (٨)؟ ثم ما لهذا الرَّجُلِ المُفردِ الذي ديس على طرف طيلسانه فأساء الأدب ولذكر السيوف، والكُماة، وسوح الوغى؟!

وأطلتُ الوقوف عند ابن طيفور؟ لأنه من مُعاصري بكرٍ على الرغم من تباعد موطنيهما (٩). أما ما رواه المسعوديُّ فليس بأقلَّ تهافتًا مما عرضتُ إليه، هذا إلى أن ما هو لأبي دلف العجلي عنده هو عند ابن وكيع التنيسي - وقد روى شيئًا منه - لإسحاق بن خلف (١٠)، وعند ابن عدلان الموصلي لإسحاق بن خالد (١١).

أما الخالديان فقد تابعا ابن طيفور في نسبة بيتٍ من لاميته التي تحدَّثتُ عنها إلى جدِّه أبي دُلف (١٢)، ويغلب على ظني أنهما لم يريا ديوان بكرٍ، ولم يعرفا بكرًا، وحسبي من ذلك أنهما اتَّهما أبا تمام بالسرقة من صاحبنا (١٣)، على الرغم من أن بكرًا لم يكن، يوم مات أبو تمام قد وُلِد، هذا إذا كان أبوه عبدالعزيز بن دلف قد عرف أمه (١٤).

من خلال كلِّ هذا الحديث أريد أن أقول: إنَّ المُقطَّعتين اللتين أثبتتهما الدكتور السامرائي تحت رقمي: (٤٧)، و (٦٣) على أنهما لأبي دلف ليستا لأبي دُلف، وإنَّما هما لحفيده بكر. وهما موجودتان في نسخة ديوانه الخطية الموجودة بجامع الفاتح بتركيا، وفي طبعته الهندية. وعدة المقطعة (٦٣) تسعة أبيات وليس ثمانية.

ومهما يكن من أمرٍ فأرجو ألا يُفهم من حديثي أنني ألوم الدكتور يونس أو أنسبه إلى التقصير؛ حاش لله، فكل ما فعل الرَّجُلُ أن تابع المصادر على ما قالت. ويُفسح له من العذر فيما قال أن لم يطلِّع على ديوان بكر النادر نُدرة الكبريت الأحمر. آتي الآن إلى ما وجدته في: «الدر الفريد» مما يُستدرك على الديوان فأقول: قال أبو دلف:

نِعِزْ فَنُعْطِي الحَقَّ من غيرِ ذلَّةٍ ونأبى فلا نُعْطِي مقادتنا قسرا

وأورد الدكتور السامرائي تحت رقم: (١٥) بيتين، وروى ابنُ أَيْدَمِرٍ له بيتًا ثالثًا قبلهما هو قوله:

نفسِي فداءً معاشِرٍ نالوا الغِنَى بقِراضٍ مشحُوذةٍ ورماحِ
قال أبو دُلف، وروى له بيتين هما الخامس والسادس، وإذ روى الأبيات تامةً
عدا الخامس سمّاه أبا دلف القاسم بن عليّ:

خليلي لا والله ما من كريهةٍ تدومُ على الأيامِ إلا تجلّتِ
فإن نزلت يوماً فلا تجزَعنُ لها ولا تُكثِرِ الشكوى إذا النعلُ زلّتِ
فكم من كريمٍ قد برّتهُ بناهبها فصابرها حتى مضتِ واضمحلتِ
وكم غمرةٍ جاءتْ بأمواجِ غمرةٍ تجرّعتها بالصبرِ حتى تجلّتِ
وما النفسُ إلا حيث يجعلها الفتى فإن طمعتْ تافثٌ وإلا تسلّتِ
وكانت على الأيامِ نفسي عزيزةً فلمّا رأَت صبري على الدّلِ ذلّتِ
وقلّتُ لها: يا نفسُ موتي كريمةً فقد كانتِ الدُّنيا لنا وتولّتِ
وقال أبو دُلف:

صافحتهُ بالسيفِ دون سلامِهِ إنّي كذلك إذا غضبتُ سلامي
وقال أبو دلف:

فلا تحسبنّ ما نالنا من مُصيبةٍ دعا جَزَعًا منا إلى قولنا الشعرا
وقال أبو دلف في صفة الجيش:

كالسَّيلِ جنحَ الليلِ أو كالبحرِ ذي الأ(م) مواجٍ، أو كالليلِ ذي الإِظلامِ
وقال القاسم بن عديّ [كذا] العجليّ:

وحرامٌ على العبيدِ إذا ما ملكوا ما تخيّرتهُ الموالي
وقال أبو دلف العجليّ في الشيب:

في كُلِّ يومٍ أرى بيضاء قد طلعت
لئن قصصتك بالمقراض عن بصري
كأنها نبتت في باطنِ البصرِ
لهفي على الحالِكاتِ السُّودِ قد طلعت
لَمَّا قصصتُك عن همِّي وعن فِكْري
إذا تزيَّدَ فيهنَّ البياضُ معًا
بيضا فدلَّتْ بواديها على الكِبَرِ
أدنى تزيُّدُها نقصًا من العُمُرِ
وقال أبو دلف (وقد كتب بهذين البيتين على باب داره).

هنيئًا لمن إن غابَ عنه أنيسُهُ
يُرَدُّدُ فيه طرفه ثم ينثني
رأى مَعَهْدًا منه على النَّأيِ أو رسما
إلى كِبِدِ حَرَى مُحالِفَةِ سُقما
هذا بعض ما لديّ مما أخلت به الدواوين.

بولندا: محمد حسين الأعرجي - جامعة آدم متسكيفج

الحواشي:

(١) ينظر «المستدرک على صناع الدواوين» ١٦٢.

(٢) كذا هي، ولعلها محرفة من: قصرت..

(٣) «وضاح اليمن»: ١١٧.

(٤) في بغداد: ١٣٤ حيث لا رافعا... للكفاة به مجال

(٥) هذا البيت غير موجود في «ديوان بكر» مما يدلُّ دلالة قاطعة على النحل، وعلى اختلاق القصّة برمتها.

(٦) «زهرة الآداب»: ١٠٩. (٧) بغداد: ٣٥. (٨) «شعراء عباسيون» ٢: ٢٨.

(٩) كان ابن طيفور من أهالي بغداد، على حين أن بكرًا من الجبل. ينظر عن ابن ابن طيفور «الفهرست»: ٦٤.

(١٠) ينظر «المنصف»: ٣٧٦.

(١١) ينظر «التيان في شرح الديوان» المنسوب للعكبري ٢: ١٩١.

(١٢) «الأشباه والنظائر» ٢: ٤٨.

(١٣) في «الأشباه والنظائر» ٢: ٦٥ - ٩٦ قصيدة بكر: طلاب العلا... منسوبة إلى أعرابي من ربيعة، وقال

الخالديان عن مطلعها: (قوله: طلاب العلا بركوب العُر، أخذه أبو ثمام فقال:

رَكوبٌ لأشباج المتألف عالِمٌ بأنَّ المعسالي دونهنَّ المهالك)

(١٤) هذا الحديث برّمته مأخوذًا من مقدّمة تحقيقي «ديوان بكر» الذي سيصدر هذا العام في بيروت إن شاء الله.

مع «المقولات العشر»^(١)

هذا كتيب لطيف في أقل من تسعين صفحة، ومادته «المقولات العشر» المشهورة التي كان صاحبها (أرسطو) عُرف بها فاشتهرت، وقد أقبل عليها الدارسون المسلمون فشرحوها وأفادوا منها، وهذه الإفادة بعض ما أفاده الدارسون في العربية (لمنطق أرسطو) الذي تعلقوا به تعلق إعجاب، فكان له أثر في شيء من علوم العربية.

وقد عرض لهذا الأثر حشد من أهل العلم مستشرقون وغيرهم.

وقد يكون لي أن أبدأ الكلام فأقول: لست من أهل هذه الصنعة الفلسفية في شيء، ولكن أقرأ فيها لأكون على صلة باستجابة العربية لمصطلحها القديم والحديث، لقد أقبلت على هذه الرسالة أو قل هذا الكتيب اللطيف، وأشهد أن لصفحات ممدوح حقي (بين يدي الكتاب)^(٢) مكان مفيد، فقد عرّف بـ «المقولات العشر» وما كان فيها من علم (أرسطو) ومَنْ خلفه من الفلاسفة الغربيين والمسلمين، ثم ما كان من عمل البليدي الأندلسي الحسني في «المقولات»، وما كان على رسالته من إضافات لمن خلفه في القرن الثاني عشر الهجري وبعد ذلك بقليل. وقد رأيت قبل أن أدخل مادة الكتاب أن أعرض لصفحات الدكتور ممدوح حقي فأقول:

١ - جاء في الصفحة (٧): (منذ انتصب الإنسان على قدميه....).

أقول: بدأ الدكتور ممدوح كلامه فجعل الظرف (منذ) أول الكلام، وليس في هذا ضير، وذلك لأن إثبات الظرف هنا مقصود لمكانته فيما بسطه المؤلف من كلامه بعد ذلك، غير أنني أقول: إن الأصل في هذا الظرف (منذ) ومثله (مُذ) وظروف أخرى نحو: قبل وبعد، أن يضاف إلى المفرد أو إلى الجملة، فإن كانت هذه جملة بُدِئَتْ بفعل كان لها أن تُسبَقَ بـ (أن). غير أن العربية على السنة المعربين تذهب إلى الإيجاز تخفيفاً فيباشر الظرف الفعل، وهكذا كان وجرى به

الاستعمال، ولو أنك قلت: (منذ أن انتصب الإنسان) لرجعت في قولك هذا إلى الأصل، ومثل هذا الكلام على (مذ).

إن (مذ) هذه الساكنة لعلها كانت (مُذُّ) بتشديد الذال، فلما فُكَّ الإدغام أُبدل الأول من الصوت المدغم بـ (النون) فكان لنا (منذُ) وإبدال النون في باب الإدغام كثير.

وليس (قبل) و (بعذُ) يجريان على (منذ) و (مذ) وذلك لأن لزوم (أن) قبل الفعل بعدهما واجب إلا في ضرورة فتقول: قبل أن يقوم، وبعد أن يقوم....

٢- وجاء في هذه الصفحة أيضًا: ومنذ سجّل الإنسان لغته بالحروف، درجت به الحضارة على دولابها تجمع نتائج التجربة...

ثم قال الدكتور ممدوح حقي: (... وتستنتج فائدة جديدة تضيفها إلى نتائج سواها من التجارب..).

أقول: (التجارب) في قول الأستاذ ممدوح جمع (تجربة) كما يشير السياق، وتقدّم (تجربة) في كلامه، وليس هذا حقًا، وذلك لأن (التجارب) جمع المصدر (تجريب)، فأما (التجربة) المثبتة في الكلام فجمعها (تجارب)، وللكاتب أن يتذكر «تجارب الأمم» لمسكويه وهو معروف.

٣- وجاء في الصفحة (٨): (وكما استطاع الإنسان تجريد العدد من المعدود أمكنه كذلك تجريد المعنى من الحرف، والفكرة من الكلمة، فتخيل وتوهم وتفلسف..).

أقول: لصاحب هذه الصنعة أن يتفلسف فيذهب إلى هذا، غير أن أهل اللغة يتخرجون في هذا التجريد، فلم يتصوروا شيئًا من هذا يؤذن بتجريد المعنى من الحرف، ولا الفكرة من الكلمة، إن الحرف والمعنى، وهو شيء من البناء متصل بالدلالة بحيث لا يتصور المعرب للكلمة أن هناك فصلًا ولنضرب على ذلك مثلاً

فتقف على الفعل (رغم) الذي ينصرف المعرب إلى دلالة السائرة المعروفة ولا يذهب إلى أصله، وهو (الرغام). وكان الفعل قد قطع من عروقه، فليس من صلة رحم بالأصل، وهو (الرغام) الذي يعني (التراب).

٤- وجاء فيها أيضًا: (... حتى استطاع الاستعلاء على المادة بالمعنى، والتحويم فوق شاطئ التجريد المغمض وحفافي الفكرة الصائبة..).

أقول: لم أهد إلى (حفافي) في عبارة الأستاذ ممدوح، ولم أصل إلى الفكرة، وكأنني أراه قد التقط الكلمة من العامي الدارج الذي يعطي الكلمة معنى، فتلوها الألسن فتظنّ عربية فصيحة. وعلى هذا التخيل أظنه قد حملها معنى هو طرف أو نهاية.

والذي نعرفه أن (الحفّافين): ناحيتا الرأس والإناء وغيرهما، والواحد (حفاف) بالكسر والجمع (أحفّة).

٥- وجاء فيها أيضًا: (كلّما انبثق علم جديد أضافه [أي الإنسان] إلى أضمامة العلوم الأخرى).

أقول: هي (إضمامة) بكسر الهمزة مثل (إضبارة) وليس لنا (أفعالة) بفتح الهمزة.

٦- وجاء فيها أيضًا: (ومنذ يومذاك، والفلاسفة على إطلاقهم، والعلماء على اختلاف مشاربهم يضمّون أفراد النوع المتنافرة في قانون واحد).

أقول: (يوم) و (حين) وظروف أخرى نحو: آن وأوان وساعة تُضاف إلى الظرف (إذ) فيكون لنا: يومئذ، وحينئذ، وعندئذ، وغيرها، وأما تنوين (إذ) في هذه المركبات فهو عوض عن جملة هي بحكم المضاف إليه، حذفت اختصارًا هربًا من التكرار، لأنها إما أن تكون قد ذُكرت وإما أن قد عُرفت قبل الظرف من السياق.

وقد ذهب المعاصرون إلى إضافة بعض هذه الظروف نحو (يوم) إلى اسم

الإشارة (ذاك) كما ورد في عبارة الأستاذ ممدوح حقي، وهذا المولد الجديد مما لم تعرفه العربية لأن الإشارة إلى هنا أغنى عنها الظرف (إذ).

وقد أراد الأستاذ ممدوح بقوله: (على إطلاقهم)، معنى (إنهم جميعًا أو جميعهم أو كلُّهم)، وليس هذا إلا من اللغة الدارجة التي استحدثت هذا الجديد البعيد عن معنى (الإطلاق).

إن (الإطلاق) يقابل (التقييد)، و (المطلق)، يقابل (المقيد) وكلاهما من المصطلح الفني الفلسفي، وهو شيء يحسنه الأستاذ ممدوح حقي.

٧- وجاء فيها أيضًا: (... والرجوع إلى قواعدها العامة يُسر وبساطة).

أقول: (البساطة) في هذه العبارة، وفي استعمال المعربين تعني السهولة أو اليسر. وكان (البسيط) هو السهل وغير الصعب. إن هذا عربية معاصرة.

٨- وجاء في الصفحة (٩): (... يُصَرَّ [أرسطو] على أن الطبيعة بجماعها تتجه اتجاهًا نضاليًا).

أقول: وقول الأستاذ ممدوح: (بجماعها) من جوامع الكلم الفصيح، وأن إحياءها وجعلها في مقروء ما يقرؤه الدارسون، مفيد.

٩- وجاء في الصفحة (١٠): (... واستبدل بعضهم الإضافة والانفعال بالعرض والنسبة..).

أقول: والذي هو معروف في فصيح العربية في استعمال الفعل (استبدل) أن الباء تدخل على المتروك (المبدل به، قال تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾).

وعلى ذلك فالصواب: (استبدل بعضهم بالإضافة والانفعال العرض والنسبة).

أقول: و (الإضافة) في الاستعمال القديم، ولا سيما لدى أهل اللغة تعني النسبة، فقد كانوا يقولون: إن الشيء بالإضافة إلى معدنه، يعرف هذا بما عُرف به ذلك.

١٠- وجاء في هذه الصفحة أيضًا: (ومهما يكن من أمر، فقد كان لهذه المقولات أهمية خاصة لديهم [أي المناطقة المسلمين] وبخاصة منها: الجوهر والعرض..).
أقول: قوله: (بخاصة) من الكلم الجديد الذي لا نعرفه في أساليب أهل اللّسن ويقابله: أيضًا (بعامة)، وكان له أن يقول: (وأخصّ منها)، أو استعمال المصدر: (وخصوصًا).

١١- وجاء في الصفحة (١١): (.. فيا طالما أدى من خدّمات كبيرة جدًّا في تطور العقل الفلسفي..).

أقول: إن قوله: (يا طالما) استعمال يقوم على توهم هذا المركب بعيدًا عن حقيقته، ولذلك سبق بأداة النداء (يا) للتنويه باسميه (طالما) التي لم يبق فيها إلا دلالة (الطول).

لقد زيد الفعل (طال) بـ (ما) الزائدة فركبت معها، وكان من هذا التركيب أن دخلت على الجملة الفعلية التي تقوم مقام الفاعل لـ (طال).

زعم النحاة أن (ما) هذه زائدة، وقولهم: زائدة مُعَوِّزٌ، ذلك أنها تغيّر من استعمال ما تدخل عليه من فعل نحو: (طال) و (قل)، وغيرهما، و (إن) التي تأتي بعد أن تباشرها (ما) جملة فعلية نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

و (يا) قبل (طالما)، مثل (يا)، قبل (ليت) أتى بها بعيدة عن النداء مصروفة إلى معنى التنويه والتنبية.

١٢- وجاء في الصفحة (١٢) قوله: (كالحاضر المتوضع بين الماضي والحاضر..).

أقول: قوله: (المتوضع) شيء ليس لنا من العربية، ولكن السيد ممدوح حقي من أهل الفلسفة، وهو كغيره من أهل الاختصاصات العلمية أهل جرأة في العربية يولّدون منها ما شاءوا مما تتقبله العربية ولا تتقبله، وهم يظنون إن إشاعة ما يولّدون

من جديد يؤذن بقبوله.

١٣- وجاء فيها أيضًا: (وكلمة (مقولة) اشتقت من مصدر القول حتمًا، وهي ترجمة لكلمة (كاتيجوريا) Katigoria اليونانية) ولا يعرف بالضبط أول من وضع هذا الاصطلاح في العربية).

أقول: هي من مصدر القول، ولا حاجة لقول السيد ممدوح: (حتمًا). ثم إن الكلمة اليونانية ذهبت إلى كثير من لغات العالم فصارت (Category) في الإنكليزية، و (Catégorie) في الفرنسية وشيئًا يقرب من هذا في لغات أخرى. والكلمة في هذه اللغات قد بقي لها المعنى الفلسفي الاصطلاحي، غير أن أهل هذه اللغات قد توسعوا فيها فجردوها من معناها التاريخي وصارت تؤدي معنى صنف أو رتبة أو نحو ذلك. وقد استعملها الفلاسفة المسلمون معربة بلفظ (قاطيغوريا).

وهي في الأصل القديم تعني (العلاقة)، ولكن المسلمين وضعوا (المقولة) مقابلًا لها، وهي غير (البديهية) Axiome، و (الموضوعية) Postulat. وكان أبا البقاء من المسلمين في هذه الصنعة قد لمح الأصل بـ (Katigoria) الإغريقية فأحسن في فهمها فجعل كتابه (الكليات).

أقول: وسأعرض لهذا الكلم الاصطلاحي الذي جاء على المصدر الصناعي ومنه: البديهية والكلية وكلم آخر كثير مثل هذه.

١٤- وجاء فيها أيضًا: (.. غير أن العقبة المُرّة التي تأكّدثنا ونحن ننقله للطبع والنشر، هو في هذه الحواشي المتعاطلة..).

أقول: (العقبة المُرّة) مثل قول القائلين: (التجربة المُرّة)، إن الوصف بـ (المرارة)، للعقبة والتجربة من المألوف في العربية المعاصرة التي تأثرت بما هو جارٍ في اللغات الغربية.

ثم إن هذه (العقبة المُرّة) قال فيها الأستاذ ممدوح حقي: (التي تَأَكَّدْتُنَا). لم أعرف هذا الفعل (تَأَكَّدَ) في وصف شيء صعب عسير هو (العقبة).

إن الكاتب صاغ الفعل من القول المشهور (عَقَبَ كَوْود). إن هذه (العقبة الكؤود) هي المرتقى الصعب، والكأداء: هي الشدّة والخوف والهول، وقالوا: تَكَأَدْنَا ضيق المضجع.

إن الفعل هو (كَأَدَ)، وليس (أَكَّدَ) الذي أثبتته الكاتب في بناء (تفاعَلَ) فقال: (تَأَكَّدْتُنَا)، فكأنه قلب الفعل الصحيح. وهو (كَأَدَ)، فصار لديه (أَكَّدَ).

إن المعاصرين يجرؤون على العربية فيغيّرون ويتوسعون جهلاً منهم بالأصول، واستخفافاً منهم بحق اللغة، وكأنهم يشعرون أن ذلك جائز مُباح، ولو أنهم عرفوا حرص غير العرب على هذه المسائل لأدركوا أنهم ظلموا أنفسهم.

١٥ - وجاء في الصفحة (١٣): (.. فإنه يشير إلى ما كان يتمتع به البليدي من احترام الخاصة والكافة وتقدير كبار رجال عصره وعلمائهم).

أقول: إن (الخاصّة) هم خاصة الناس، وهم الوجوه والعلماء وأرباب الحكيم والسطوة و (الخاصّة) تقابل (العامة) وهم عامة الناس يندرج فيهم أرباب الحرف والأعمال والتجار والزراع وسائر من يعمل. ولم أجد (الخاصة) تقابل (الكافة) على معنى أن (الكافة) تعني (العامة).

إن (الكافة) استعملت منصوبة لإفادة الحال في خمس آيات منها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَافَّةً﴾ ١٠٨ سورة البقرة، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ ٢٨ سورة سبأ.

وهي كذلك في كلام العرب، غير أن المعربين الحقوها بما يفيد التوكيد اللفظي، وحملوها معنى (عامّة) فقالوا مثلاً: (إن الناس كافئهم)، كما قالوا: (إن الناس عامتهم؟)

وآتي إلى (التقدير) مصدر المضاعف (قَدَّرَ)، وهو في أصل معناه بيان القدر والعدد والكمية ونحو ذلك، ولكن المصدر والفعل انصرفا في العربية المعاصرة إلى الاحترام والإجلال.

وكان هذا جاء من (القَدْر) مصدر الثلاثي الذي دل على الإجلال في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ٩١ سورة الأنعام.

وقد مرَّ في هذا الكتيب جملة من المصطلح وردت في بنية المصدر الصناعي كالبيديهية، والذاتية، والعرضية، والكلية، والكمية، والكيفية، وغيرها، وقد رأيت أن أبسط في هذا الموجز شيئاً عن المصدر الصناعي الذي أفاد منه أهل العلم في مادة المصطلح الفني.

أقول: لم يولد هاؤلاء المجتهدون هذه البنية اللغوية، بل إنها كانت في العربية منذ أن كانت، ولكنهم لمحوها فيها طاقة مفيدة سخروها إلى ما أرادوا، ثم جاء المعاصرون وورثوا كثرتها مما كان منها وما أضافه أهل المصطلح، فابتدعوا اسم (المصدر الصناعي) لهذه المصطلحات التي تنتهي بياء مشددة كياء النسب متلوة بتاء معقودة فاندرجت هذه (المصادر الصناعية) في باب (المؤنثات اللفظية).

وكانني أذهب إلى ماجدً لدينا من المصادر الصناعية ممل حُمل علينا من أصوله الغربية فيكون لي تتمه لما أنا فيه.

عمّان: الدكتور إبراهيم السامرائي

الحواشي:

(١) «المقولات العشر» لمحمد الحسني البليدي، صححه وقدم له الدكتور ممدوح حقي (الناشر دار النجاح في بيروت ١٩٧٤م). في أول الكتاب، وفي الصفحة الخامسة (إهداء) الدكتور ممدوح حقي لهذا الكتاب إلى الأستاذ الدكتور إبراهيم مذكور (أمين عام مجمع اللغة العربية سنة ١٩٧٤ بمناسبة بلوغه الحادية والسبعين من العمر).

(٢) «المقولات العشر» ص ٧ - ١٤.

(ابن زُرَيْق البغدادي .. بين الحقيقة والخيال)

نشر الصديق الدكتور محسن غياض بحثًا بعنوان (ابن زريق البغدادي بين الحقيقة والخيال)، في مجلة «العرب» - الزاهرة - س ٣٣، ص ٧٣٥ - ٧٤٩، فأخْبِتُّ أَنْ أُعَقِّبَ عَلَيْهِ بما يأتي، فأقول: البحث علمي وجاد في كثير من جوانبه، ولكن خفاء جوانب من تراثنا المخطوط على الباحث جعل أدواته تُقْصِرُ عن كشف الحقيقة كاملة، وجعله يخطئ، إذ خلط بين شخصين هما: أبو الحسن ابن زُرَيْق البغدادي، وأبو محمد ابن زُرَيْق الكوفي، وظنهما شخصًا واحدًا.

وأشار كاتبُ البحث إلى رأي أستاذه د. علي الزبيدي في كتابه: «في الأدب العباسي»، الذي قال: (إنَّ ابْنَ زُرَيْقٍ عَلَى شَهْرَتِهِ وَشَهْرَةِ قَصِيدَتِهِ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَجْزِمَ بِصِحَّةِ وَجُودِهِ)، ودعم الزبيدي رأيه بما ذهب إليه الشاعر العراقي نعمان ماهر الكنعاني، الذي صرَّح في كتابه: «شعراء الواحدة» بما نصه: (ابن زُرَيْق البغدادي ومحمد بن زريق البغدادي شاعر عنقائي الوجود، لامع الاسم، وهيهات أن يأتي باحث بترجمة لحياة هذا الشاعر، تقطع دابر الشك في وجوده). وعلل رأيه بالآتي:

- ١- أن المؤرخين اغفلوا ذكر هذا الشاعر، ولم يشيروا إليه مطلقًا.
 - ٢- إذا كان ابنُ زُرَيْقٍ قد ذهب إلى الأندلس طالبًا رُفد ملكها، فأين المدح الذي أعدَّهُ ثمنًا لما طَلَبَ من مال؟، والقصيدة خالية من المدح.
 - ٣- لم يُنسَبَ إلى ابن زُرَيْق بيت واحد من الشعر سوى: العينية.
- وانتهى إلى القول بإنكار وجود شاعر يُسمى: (ابن زُرَيْق البغدادي)، وخطي رأْي الكنعاني برضا وإعجاب الزبيدي ضلَّةً.

محسن غياض خالف الزبيدي والكنعاني في إنكار وجود ابن زُرَيْق، ثم أوغَلَ في جولة توثيقية عن الشاعر وقصيدته العينية عبر المصادر الأدبية، فانتهى إلى الحقائق الآتية:

١- إنَّ أقدم مَنْ أورد شطرًا مهمًّا من عينية ابن زُرَيْق هو جعفر بن أحمد بن السَّرَّاج (ت ٥٠٠ هـ)، في: «مصارع العشاق»، ولم يَقُلْ أن ابن زُرَيْق هو البغدادي الذي قَصَدَ الأندلس ومدح أميرها، لكنه ذكر أنَّ أبياتًا من القصيدة العينية وُجِدَتْ في رُقْعَةٍ عند رأس بغدادي، وهو ميت. وهو في خبر هذه الرحلة الأندلسية نَقَلَ عن مجهول، ممَّا أضعف روايته، ثم إنَّ السَّرَّاج لم يَقُلْ إنَّ هذا البغداديّ كان شاعرًا، أو أنشد للأمير الأندلسي شعرًا، وإنما قال إنه (تَقَرَّبَ إليه بنسبِهِ). وهذا يعني أن هذا البغدادي - الذي أُجِيزَ بَعْدَ موته - لم يكن شاعرًا أصلًا، فلا علاقة لابن زُرَيْق بهذه الرحلة غير كون البغدادي كان قد اسْتَضْحَبَ القصيدة معه في غُربته، فمات، فوجدت عند رأسه، فالدكتور محسن غياض فَحَصَ الرواية من الداخل وأسقطها بالدليل المنطقي، وهذا كلامٌ سليمٌ استنتاجًا.

٢- وَوُفِّقَ د. محسن إذ كشف عن اسم ابن زُرَيْق الحقيقي نقلًا عن كتاب «المستفاد من ذيل تاريخ بغداد»^(١)، إذ أثبت ما نصّه: (علي بن زُرَيْق الكاتب البغدادي، صاحب القصيدة المشهورة التي رواها عنه أبو الهيجاء محمد بن عمران بن شاهين. ثم أوردَ لابن زُرَيْق ثلاثة أبيات لم يذكرها أحد غيره، وهي^(٢):

وما سُرِّ قَلْبِي مُذْ شَطِثَ بِكَ النَوَى أَيْسُّ وَلَا كَأْسٌ وَلَا مُتَّصِرٌ
وما ذقت طعم الماء إِلَّا وَجَدْتَهُ كانَ لَيْسَ بِالْمَاءِ الَّذِي كُنْتُ أَعْرِفُ
ولم أشهد اللذات إِلَّا تَكَلَّفًا وَأَيُّ سُرُورٍ يَقْتَضِيهِ التَّكَلُّفُ
وهي أبيات تأتلف مع القصيدة العينية في أسلوبها وغرضها.

٣- وكان مُوَفِّقًا حين أشار إلى ما ذكره السُّبُكِيُّ في «طبقات الشافعية الكبرى»^(٣) من رواية كاملة لهذه العينية، وبسندٍ صحيحٍ مُتَّصِلٍ بالشاعر، وبنسبة واضحة لشاعرها أبي الحسن علي بن زُرَيْق الكاتب البغدادي.

وانتهى من هذا كله إلى الكشف عن شخصية ابن زُرَيْق وتوثيق وجوده، وتبديد الشكوك التي أثارها حوله الزبيدي والكنعاني، كما أسقط حكاية ذهابه إلى

الأندلس وموته فيها، ممّا وهم فيها جُملةُ باحثين منهم: محسن جمال الدين وأحمد الهاشمي والأثري وبروكلمان وجرحي زيدان وعمر فروخ وشاكر البتلوني، وغيرهم.

ومع أنني أوافق الباحث الفاضل على النتيجة التي انتهى إليها، لكنني أخالفه في بعض ما ورد في ثنايا بحثه ومطاويه من خلط بين شاعرين: أبو محمد بن زريق الكوفي وأبو الحسن علي بن زريق البغدادي، إذ ظنهما شخصًا واحدًا^(٤)، ثم تارَجَحَ في ختام بحثه، إذ قال: (وربما كان هو نفسه أبا محمد بن زريق الذي ذكره الثعالبي، ووهم في كنيته أو لعله أخوه أو أحد أفراد أسرته)^(٥).

وسأثبت خطأ ذلك بعد فحص علمي دقيق لما أورده الثعالبي من شعر ابن زريق الكوفي، ثم اكشف السر الذي من أجله نَدَرَ شعر أبي الحسن علي بن زريق البغدادي، ولم يُجْمَع في ديوان، ثم أُضيفُ أشعارًا نادرة من شعر أبي الحسن، مما لم يقف عليها كاتب البحث تنفي أن يكون من شعراء الواحدة.

أضواء على شخصية علي بن زريق الكاتب البغدادي مما فات كاتب البحث:

إنّ بقاء كثير من كتب التراجم مخطوطة يجعل الباحثين يضربون في متاهات كلما وقفوا عند عَلمٍ لم يُترجم له، فيما هو مطبوع من تراثنا، ثم تدفعهم قلة الصبر وعدم العلم بالمظان المخطوطة إلى إطلاق أحكام عشوائية يدحضها تراثنا المخطوط.

فالأسانيد التي استند إليها الكنعاني في نفيه وجود ابن زريق وثناء الزبيدي عليه بقوله: (هذه الملاحظة البارعة من الأستاذ الكنعاني تدلّ على سعة الاطلاع وعمق التفكير، وتظهر كيف أدرك الباحثون بعض مشاكل الصناعة في الشعر العباسي، وكيف اختلطت الأساطير والحكايات المصنوعة بالحقائق التاريخية). وهذا كله مردودٌ بالآتي:

١- الكنعاني زعم أنّ المؤرخين اغفلوا ذكر هذا الشاعر، ولم يشيروا إليه مطلقًا، وهو وهم فالصفدي في مخطوطة «الوافي بالوفيات»^(٦) نصّ على ما يلي:

أ- اسمه: علي بن زُرَيْق الكاتب البغدادي.

ب- له قصيدة يمدح بها العميد أبا نصر^(٧).

ج- وله القصيدة العينية، وأورد منها أربعين بيتًا.

د- ذكر ما قاله ابن حزم بشأن هذه القصيدة.

هـ- قال: إنه مرَّ في ترجمة: أحمد بن جعفر الديبشي قصيدة على وزنها ورويها رآها أحسن منها.

و- أورد قصيدة لأبي الحسن علي بن زُرَيْق في رثاء ديك عدتُّها أربعون بيتًا.

هذا مُلَخَّص ما ذكره الصفدي عن شاعرنا.

وفي مخطوطة عنوانها «تاريخ دول الأعيان شرح قصيدة نظم الجمان في ذكر ما سلف من أهل الزمان» لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المقدسي الشافعي، الشهير بابن أبي عُذَيْبَةَ^(٨)، ترجمة أخرى لأبي الحسن علي بن زُرَيْق الكاتب البغدادي، حدِّث الزمن الذي عاش فيه الشاعر، وإنه توفي في خلافة القادر بالله^(٩).

ومن الحقائق التي جاءت في هذه الترجمة ما يلي:

١- ذكر اسمه وكنيته ولقبه ومهنته بالنص التالي: أبو الحسن علي بن زُرَيْق الكاتب البغدادي.

٢- أن له مدحة في الوزير أبا نصر.

٣- أنه صاحب القصيدة العينية التي أولها: لا تعذليه... وأورد منها ٣٩ بيتًا.

٤- أن له قصيدة بديعة في رثاء ديك أوردها^(١٠).

يقول هلال ناجي: إنَّ ورود ترجمة جيدة لأبي الحسن علي بن زُرَيْق البغدادي في مخطوطين يُبطل مقولة الكنعاني من أن المؤرخين أغفلوا ذكره ولم يشيروا إليه مطلقًا - على حدِّ تعبيره.

كما أن هاتين الترجمتين تضيفان قصيدة طويلة له في رثاء ديك، تدلُّ على شاعرية أصيلة ومقدرة فائقة على التصوير وعاطفة وهاجة.

فإذا أضفنا إليها التفتة التي أوردها الشمشاطي منسوبة للزُرَيْقِي ونصّها^(١١):

تَسْمَعُ لِلْمَنَازِلِ مَا تَقُولُ لِأَمْرِ مَا تَكَلِّمُ الطُّلُبُولُ
وَكَيْفَ يَجِيبُ سَائِلَهُ مَحَلُّ بِسَلْمَانِينَ مِنْ سَلْمَى مَحِيلُ
ومثل المستهام أخي التصابي شجرت أطلالها الدرس المثلُ
ثم أضفنا لما تقدّم التفتة التي أوردها له صاحب «المستفاد من تأريخ بغداد»
وقد أثبتناها فيما تقدّم، يصبح كلام الكنعاني والزيدي، ومن لف لفهم مردودًا
بالدليل العلمي.

أما قول الكنعاني: أين المدح الذي قاله في الأمير الأندلسي ولم يرد منه في
العينية شيء؟ فقد فصل القول فيه محسن غياض، وأحسن في فحص الخبر من
الداخل وتقصّيه عبر القرون في المصادر التي أورده، ثم أسقطه علميًا^(١٢).

ليس ما تقدم هو كل ما وصلنا - عدا العينية - من شعر علي بن زُرَيْقِ
البغدادي، بل هناك أرجوزة في الأخلاق ما زالت مخطوطتها ثابوة في مكتبة الدولة
في برلين برقم ٣: ٥٩ ترجمها المستشرق Diels في^(١٣):

Literator des Gliederzuckens II, Abb., Bet I. Akad. 1908, 79 - 84

كما أن هذه الأرجوزة شطّرها شاكر أباطة - وطبع تشطيره في القاهرة سنة
١٣١٣هـ.

ولقد حظيت عينية ابن زُرَيْقِ هي الأخرى باهتمام الشُّرَّاح والمخمسين
والمعارضين، فمن شروح العينية:

١- شرح علي بن عبدالله العلوي (ت ١١٩٩هـ)^(١٤).

٢- شرح ولي الدين يكن (ت ١٩٢١م)، وقد طُبع في القاهرة سنة ١٣١١هـ.

كما حظيت بالتحميس؛ فقد خَمَّسها علي بن ناصر الباعوني (ت ٨١٦هـ) (١٥)،
كما خَمَّسها طه أفندي أبو بكر (١٦).

وعارضها شاعر مجيد، هو: أحمد بن جعفر بن أحمد ابن الدبيشي الواسطي
(ت ٦٢١هـ) بالقصيدة التالية (١٧):

يروم صبرًا وفرط الوجد يَمْنَعُهُ سلوؤه، ودواعي الشوق تردُّعُهُ
إذا استبانَ طريق الرشد واضحةً عن الغرامِ فيئنيهِ ويرجعُهُ
مُحَلًّا ذَاذَةً عن عَذْبِ مورِدِهِ مشحونةً جورُ الزمانِ وظامٍ عَزَّ مَشْرَعُهُ
بالجوى والشوق أضلَعُهُ ومُفْعَمِ القلبِ بالأحزانِ مُثْرَعُهُ
يُضِيئِهِ أن هتفت ورقاء ضاحيةً في كلِّ يومٍ لها لحنٌ تُرْجَعُهُ
تَسْنَمْتُ من غصون البان منظره تحطُّهُ الرِيحُ أحيانًا وترفعُهُ
خضباء ضافية السربال ناعمة جنابها دمث الأكناف ممرُّعُهُ
لا إلهانازح تنهل أدمعها عليه وجدًا كما تنهل أدمعُهُ
عائث يدُ البين في قلبي تُقَسِّمُهُ على الهوى وعلى الذكرى توزعه
كأنما آلت الأيام جاهدة لما تبدد شملي لا تجمعهُ
رَوَّعْتُ يادهر قلبي بالبعاد وكم قد بات قلبي ولا شيء يرؤعه
وانت يا بَيْنُ، قلبي كم تذوِّقُهُ مَرُّ الأسى وفؤادي كم تجرعه
وكم حرام لقلبي ليس يبلغُهُ تصدّه عنه أسباب وتمنعه
مَنْ لي بمن قلبه قلبي فأسمعه بئي، فيبسط من عذري ويوسعه
قلَّ الوفاء فما أشكو إلى أحدٍ إلا أكبَّ على قلبي يُقَطِّعُهُ
يا خالي القلب قلبي حشوة حرقُّ وهاجع الليل ليلي لست أهجمعه
إن خنت عهدي فإني لم أخنه وإن ضيَّعت ودي فإني لا أضيَّعه

هذا مقام ذليل عزَّ ناصره
يلومه في الهوى قوم وما علموا
مَنْ لا يكابد فيه ما أكابدهُ
تَمُرُّ أقوالهم صفحًا على أذني
مَنْ مُنْقِذِي من يَدِي من ليس يرحمني
آتية بالصّدق من قولي فيدفعه
لو خَفَّفَ الثقل عن قلبي وعلَّلهُ
لكنه صرَّحَ الهجرانَ فالتهبَّتْ
أقول أسلو فتأينني بدائعهُ
وليلة زارني فيها على عجلٍ
وبات مستنطقًا أوتاد مزهره الـ
إذا لوت كَفَّها الملوئى سمعت لها
فبتُّ أنظرةً بدرًا، وأرشفهُ
وقام والوجد يبطيه، ويعجلهُ
قال الصفدي: أظنه عارض بهذه القصيدة عينية ابن زريق المشهورة، التي أولها:

يشكو إليك فهل شكواه تنفعهُ؟
أنَّ الملامة تُغريهُ وتولعهُ
منه، ويوجعني ما ليس يوجعهُ
مَرَّ الرياح بسلمى لا تُزعزعهُ
يقتادني للهوى المردي فأتبعهُ
ظنًا ويكذبه الواشي فيسمعهُ
بالوعد كنت أمّنيه وأطمعهُ
نار التأسف بالأحشاء تشفعهُ
تتري بكل شفيع لست أدفعهُ
والشوق يخفرهُ والخوف يفزعهُ
فصّاح يتبعها طردًا وتتبعهُ
وقعا يلدُّ على الأسماع موقعهُ
خمرًا، وأقطفهُ وردًا، وأسمعهُ
ضوءُ الصباح، وأنفاسي تُودعهُ

لا تعذّبه فإنَّ العذْلَ يولعهُ
وجيد هذه أكثر من جيد تلك (١٨).

أما الوهم الذي وقع في «يتيمة الدهر» حين نَسَبَ أربعة أبيات من العينية للوأواء الدمشقي (ت ٣٩٠هـ)، فَمَرَدّه: أن للوأواء أبياتًا على الروي والوزن والغرض ذاته أوردها صاحب «اليتيمة» بجوار أبيات ابن زريق، فظنّها الناسخ منها، لإتحاد الوزن والقافية، والغرض، فأثبتها للوأواء. وأبيات الوأواء هي (١٩):

بالله ربكما عوجا على سكني
وعاتباه لعل العتب يعطفهُ

وَعَرَضَا بِي وَقَوْلَا فِي كَلَامِكَمَا : مَا بَأْسُ عَبْدِكَ بِالْهَجْرَانِ تُثَلِّفُهُ؟
 فَإِنَّ تَبَسَّمَ، قَوْلًا عَنِ مَلَاطِفِيَّةٍ : مَا ضَرَّ لَوْ بَوَصَالٍ مِنْكَ تُشَعْفُهُ
 وَإِنْ بَدَا لَكُمْ مِنْ سَيِّدِي غَضَبٌ فَقَالَ طَاهٍ، وَقَوْلًا: لَيْسَ نَعْرِفُهُ!
 ودليلنا على ذلك أن أبيات ابن زريق لم تنسب للوأواء الدمشقي في كل
 مخطوطات ديوانه. وأن صاحب «فوات الوفيات» في ترجمة (الوأواء) (٢٠) أورد
 مقطعة الوأواء وحدها، ولم يخلطها بأبيات ابن زريق، مما يؤكد وقوع أحد نساخ
 «اليتيمة» في هذا الوهم، وعدم انتباه محققها إليه.

وسؤال يجول في الخاطر: لماذا لم يبق من شعر أبي الحسن علي بن زريق
 البغدادي غير هذه القصائد الثلاث: العينية ومرثاة ديك وأرجوزة الأخلاق
 والتفتين اللتين نقلناهما عن ابن النجار والشمشاطي؟

والجواب: إن صاحبنا غادر العراق إلى مكة المكرمة، وجاور بها، وانصرف إلى
 علوم القرآن وانقطع - فيما يبدو - عن نظم الشعر، أخذًا بقول الشافعي (٢١):

فلولا الشعر بالعلماء يُزري لَكُنْتُ اليوم أشعر من لبيد
 وان انصرافه إلى علوم القرآن الكريم بمكة المشرفة جعل عالمًا جليلاً هو أبو
 محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني القرطبي يقرأ عليه كما نص على
 ذلك ابن بشكوال في: «الصلة»، إذ قال: (مكي بن أبي طالب واسمه حموش بن
 محمد بن مختار القيسي المقرئ، يكنى أبا محمد وأصله من القيروان سكن
 قرطبة، سمع بمكة من.... أبي الحسن بن زريق البغدادي) (٢٢). فَمَرَدَ قلة شعره
 انقطاعه إلى علوم القرآن الكريم.

ومن يتتبع سيرة مكي بن أبي طالب يره قد حَجَّ حجة الفريضة عن نفسه سنة
 ٣٧٦هـ (٢٣)، وإنه عاد إلى القيروان سنة ٣٨٣هـ وأقام بها يُقرئ إلى سنة ٣٨٧هـ
 ثم خرج إلى مكة فأقام بها إلى آخر سنة ٣٩٠هـ وحَجَّ أربع حجج متوالية نوافل،
 ثم عاد من مكة فَوَصَلَ معه سنة ٣٩١هـ ثم ذهب إلى القيروان فالأندلس، وتولى
 هناك الإقراء والخطابة حتى مات.

فقراءته إذن على أبي الحسن علي بن زريق البغدادي كانت بين عامي ٣٨٧ - ٣٩٠هـ. وهذا يوافق خلافة القادر التي ذكر ابن أبي عُذبية أنّ ابن زريق توفي فيها. لكن ثمة أمر يثير الحيرة، هو ما ورد في مخطوطة «الوافي»، من أنّ لشاعرنا قصيدة مدح بها العميد أبا نصر وزير طغرلبيك. فمتى كان ذلك؟
فطغرلبيك هو أول سلاطين السلاجقة العظام، تولّى السلطنة سنة ٤٢٩هـ، وكان مقرّهُ في أصبهان.

وكان أبو نصر محمد بن منصور الكندري عميد الملك حاجبًا له أول الأمر، حتى بلغ مرتبة الوزارة، فيما بعد، وكان أقرب الناس إلى السلطان السلجوقي، وناب عنه في مهام كثيرة، والكندري المذكور ولد سنة ٤١٠هـ، والقادر توفي سنة ٤٢٢هـ، فليس معقولًا أنّ ابن زريق قد مدّحه وهو غلام مجهول، ومن هنا يثور شك كثيف في صحة ما أورده ابن أبي عُذبية من خبر وفاة ابن زريق أيام القادر، لأنه أورد خبرين متناقضين لا يمكن التوفيق بينهما: وفاته أيام القادر ومدحه العميد الكندري، ووفاته أيام القادر انفراد بها ولم يذكرها الصفدي في «الوافي».

والسؤال: إننا إذا أسقطنا خبر وفاته أيام القادر، فمتى إذن مدح الكندري عميد الملك؟

إنّ الباخريزي صاحب «دمية القصر» وكان صديقًا لعميد الملك - يذكر واقعتين لهما تاريخ مُحدّد تكشفان وتشفّان عن الزمن الذي نُبّه فيه الكندري وبلغ ما بلغ من وزارة أول سلطان سلجوقي.

عن الواقعة الأولى قال: جمعني وإيَّاهُ مجلس الإمام الموفق سنة أربع وثلاثين وأربع مئة.. والرجل في الفنون (?) فعاشت منه شابًا... إلخ، وأثنى عليه (٢٤).

والواقعة الثانية قال عنها الباخريزي: (إني أنفذتُ إليه في زمام الأمل من خراسان، وهو بمدينة السلام، فوافيتُ الدار العضدية، وقد عُقد فيها مجلس مزور على ملوك العرب والعجم والديالم والأكراد، يبرمون أسباب زفاف السيدة العباسية

إلى السلطان ركن الدين، وعميد الملك مستندًا يذاكر أولئك الملوك، ويجاذبهم
أهداب المحادثة كعادته التي كانت في التفكُّه بشار الأدب، والتفنن في لغات
الترك والعجم والعرب^(٢٥)...

وثبت تاريخيًا أن خطبة السلطان السلجوقي لابنة الخليفة كانت سنة
٤٥٣ هـ.، وأنه عَقَدَ للسلطان طغرلبيك على ابنة الخليفة القائم بأمر الله سنة
٤٥٤ هـ بظاهر تبريز، وكتب الخليفة الوكالة في العقد باسم عميد الملك. ثم في
سنة ٤٥٥ هـ، تَوَجَّه طغرلبيك من أرمينية إلى بغداد.... ووصل عميد الملك إلى
الخليفة وطالب [بالسيدة العباسية] فقبل له: خطك موجود بالشرط، وإن
المقصود بهذه الوصلة الشرف لا الاجتماع، وانه إن كانت مشاهدة فتكون في دار
الخلافة. فحينئذٍ نقلت السيدة العباسية إلى دار المملكة في صفر، فجلست على
سرير ملبس بالذهب، ودَخَلَ السلطان إليها، وَقَبَّلَ الأَرْضَ وخدمها، ولم تكشف
الخمار عن وجهها، ولا قامت هي له، وحمل شيئًا كثيرًا من الجواهر، وبقي
كذلك يحضر كل يوم وينصرف، وخلع على عميد الملك وعلى جميع الأمراء.
ثم سار طغرلبيك من بغداد في ربيع الأول إلى الريّ، واستصحب معه أرسلان
خاتون ابنة أخيه زوجة الخليفة، لأنها شكّت إطراح الخليفة لها، فأخذها معه،
فمرض وتوفي أوائل رمضان. ووصل إليه وزيره الكندريّ في يومين فَدَفَنَهُ^(٢٦).
وبتأثير نظام الملك وزير السلطان (ألب أرسلان) قُبِضَ على عميد الملك ونُفي
إلى مرو الروذ وقُتِلَ سنة ٤٥٦ هـ.

وكما ذكرنا فقد كان الكندري شاعرًا بليغًا مترسلًا ممدّحًا، مدحه كثيرون،
منهم: الباخريّ وَصَرْدَرُ وابن زُرَيْق. ولم أظفر بمدحة ابن زُرَيْق على كثرة تنقيري،
وأظنه قالها بعد سنة ٤٣٤ هـ أيام سطوة أبي نصر العميد الكندري.

أما مرثاته لديك، فهي - كما قلنا - من جيد الشعر، وتفصح عن قدرة الشاعر

على إبداع الصور، كما تَبَصُّ عن عاطفة صادقة وهاجة، وأنا أثبتها في الآتي معتمداً على ثلاث مخطوطات: مخطوطة «الوافي بالوفيات»، ومخطوطة «تأريخ دول الأعيان». ومخطوطة «الوديك في فضل الديك» للسيوطي.

قال أبو الحسن علي بن زُرَيْق الكاتب البغدادي يرثي ديكًا:

- ١- خَطَبْتُ طُرُقْتُ بِهِ أَمْرَ طُرُوقِ فَظُّ الْحُلُولِ عَلَيَّ غَيْرَ شَفِيقِ
- ٢- فَكَأَنَّمَا نُوبُ الزَّمَانِ مَحِيطَةٌ بِي رَاصِدَاتٍ لِي بِكُلِّ طَرِيقِ
- ٣- هَلْ مُسْتَجَارٌ مِنْ فِضَاضَةِ جُورِهَا أَمْ هَلْ أَسِيرٌ صَرُوفِهَا بِطَلِيقِ
- ٤- حَتَّى مَتَى تَنْحِي عَلَيَّ خَطُوبِهَا وَتُغْضِنِي فَجَعَاتِهَا بِالرِّيقِ
- ٥- ذَهَبْتُ بِكُلِّ مُوَافِقٍ وَمِرَافِقِ وَمُنَاسِبٍ وَمَصْحَابٍ وَصَدِيقِ
- ٦- وَطَرِيفَةٍ وَتَلِيدَةٍ وَحَبِيرَةٍ صِينَتْ وَرَكَنٌ لِلزَّمَانِ وَثِيقِ
- ٧- حَتَّى بَدِيكِ كُنْتُ أَلْفَ قَرَبَةٍ حَلْوِ الشَّمَائِلِ فِي الدِّيُوكِ رَشِيقِ
- ٨- أَلْقَى عَلَيْهِ الدَّهْرُ مِنْهُ كَلْكَالًا يَفْنِي السُّورَى وَيَشْتِ كُلَّ فَرِيقِ
- ٩- وَرَمَاهُ مِنْهُ بِحَدِّ سَهْمِ صَائِبِ لِدُخَائِرِ الْمُسْتَظْهِرِينَ عَلُوقِ
- ١٠- حَزَنِي عَلَيْهِ دَائِمًا مَا غَرَّدَتْ وَرَقِ الْحَمَامِ ضُحَى بَسْذُرَةِ نَيْقِ
- ١١- أَرَبِيبِ مَنْزِلِنَا وَنَشْوِ حَجُورِنَا وَغَزْدِيَّ أَيْدِينَا نِدَاءِ مَشُوقِ
- ١٢- لَهْفِي عَلَيْكَ أَبَا النَّذِيرِ لَوْ أَنَّهُ دَفَعَ الْمُنَايَا عَنْكَ لَهْفِ مَتُوقِ
- ١٣- وَعَلَى شَمَائِلِكَ اللُّوَاتِي مَا نَمْتُ حَتَّى ذَوْتُكَ مِنْ بَعْدِ حَسَنِ سَمُوقِ
- ١٤- لَمَا نَفَعَتْ وَصَرَتْ عِلْقُ مَضِنَّةٍ وَنَشَأَتْ نَشَاءَ الْمُقْبِلِ الْمُومُوقِ
- ١٥- وَتَكَامَلْتُ جُمْلَ الْكَلَامِ بِأَسْرَهَا (١٧)
- ١٦- وَحَبَاكَ مَنْ حَيَّاكَ كُلَّ مَوْدَةٍ لَكَ مِنْ خَلِيلٍ صَادِقٍ وَصَدِيقِ
- ١٧- وَغَدُوتَ مَلْتَحِفًا بِمِرْطِ حَبْرَتِ فِيهِ بَدِيعِ الْوَشْيِ كَفَتْ أُنَيْقِ

- ١٨- كالجلنارة أو صفاء عقيقة
- ١٩- أو قهوة تختال في بلورة
- ٢٠- وكأنما الجادِّي جاد بصيفة
- ٢١- ولبست كالتاوس ريشًا لامعًا
- ٢٢- من حمرة مع صفرة في زرقة
- ٢٣- عرض يجلّ عن القياس وجوهر
- ٢٤- وكان سالفته تبر سائل
- ٢٥- وكان مجرى الصوت منك إذا جفت
- ٢٦- ناي رقيق ناعم قرّت به
- ٢٧- تزقو وتصفق بالجنح كمنثش
- ٢٨- وتميس مُمتطيًا لسبع دجاج
- ٢٩- فتميرنا منهنّ بيضًا دائمًا
- ٣٠- فيها بدائع صنعة ولطائف
- ٣١- فيأضها ورق، وتبرّ مُحها
- ٣٢- خلطان مائتان ما اختلطا على
- ٣٣- يغدو عليه من طهاه بعجة
- ٣٤- نعم لعمرك لو تدوم هنيئة
- ٣٥- ابكي إذا عاينتُ ربعك مقفّرًا
- ٣٦- ويزيدني جزعًا لفقدك صادق
- ٣٧- فتأسفي أبدًا عليك مواصل
- ٣٨- وإذا أفاق ذوو المصائب سلوة
- ٣٩- صبرًا لفقدك لا قلى، لكن كما
- أو لمع نارٍ أو وميض بروق
- بتأنق التـرذيق والتصفيق
- لك أو طلعت مضمخًا بخلق
- متلألئًا ذا رونقٍ وبريق
- تخفى بحليتها على التحقيق
- لطفت معانيه على التدقيق
- وعلى المفارق منك تاج عقيق
- ونبت عن الأسماع بح حُلق
- نغم تؤلفه من الموسيقى
- وصلت يدها النقر بالتصفيق
- مثل المهاري أحذقت بفينق
- رزقًا هنيئًا ليس بالمحقوق
- ألفن بالتهذيب والتوفيق
- في جوفٍ عاجٍ بطنث بديق
- سئل، ومختلط المزاج رقيق
- ويروح بالمشوي والمصلوق
- هل دام رزق لامري مرزوق؟
- بتحننٍ وتَفَجَّع وشهيق
- في منسزلٍ دان إليّ لصيق
- بسواد ليلٍ والتماع بروق
- وتأسيا أمسيت غير مفيق
- صبر الأسير لشدة ولضيق

٤٠- لا تَبْعُدَنَّ وَأَنْ تَأْتِ بِكَ نَيْئَةً في منزل نائي المزار سحيق
٤١- وَسَقَى عِظَامَكَ صَوْبَ مُزْنٍ هَاطِلٍ غَدَقَ رَعُودٍ فِي ثَرَاكَ بَرُوقِ
ذاك ما ظفرنا به من شعر أبي الحسن علي بن زريق البغدادي الكاتب، مما لم يقف عليه الصديق الباحث.

لكن المأخذ الرئيس على البحث أن مُحَسَّنًا خلط بين رجلين مختلفين اسمًا وكنية ولقبًا وترجمة.

لقد ظنَّ الثعالبي في ترجمته لمن سمَّاه (أبو محمد ابن زريق الكوفي الكاتب) أنه يُترجم لصاحبنا (علي بن زريق)، صاحب العينية، حتى قال ما نصَّه: (فإذا ضُمَّتْ هذه المقطوعة إلى المقطوعات الخمس التي ذكرها الثعالبي، كان لدينا من شعر الرجل ما يُدْحِضُ القول بعدم وجود شعر له، غير العينية) (٢٨).

وفاته أن كنية علي بن زريق هي: أبو الحسن، والكوفي كنيته: أبو محمد، وأن صاحب العينية بغدادي، وأبو محمد كوفي، وأن صاحب العينية معروف الاسم، والكوفي معروف بكنيته فقط.

ثم إن المقطعات الخمس التي أوردها الثعالبي في «اليتيمة» منسوبة لأبي محمد بن زريق الكوفي تختلف في أسلوبها ونفْسِها الشعري عن أسلوب صاحب العينية، وهي لا يمكن أن تكون لأبي الحسن للأسباب التاريخية التالية:

١- من المقطعات الخمس التي نَسَبَهَا الثعالبي لأبي محمد بن زريق الكوفي، مقطعة يُعَرِّضُ فيها بالصولي، هذا نصُّها:

داري بلا خيش ولكنني عقدت من خيشتي طاقين
دار إذا ما اشتدَّ حرُّها أنشدت للصولي بيتين
وقد أوردهما الصفدي منسوبين لابن زريق الكوفي (٢٩).

قائل هذا الشعر معاصر لأبي بكر الصولي المتوفى سنة ٣٣٥هـ فهو يُعَرِّضُ به،

وبرودة شعر الصولي أمر نُزِبَ به من قبل آخرين أيضًا، قال الصحاح بن عباد: (ولا عجب فهذا الصولي كان كثير الرواية حسن الأدب، إلا أنه ساقط الشعر)^(٣٠).

ومن القدامى من ذكر كتاب «الأوراق» للصولي، وقال: إلا أنه كَسَفَهُ بشعره البارد.

وحين يكون قائل هذا الشعر معاصرًا للصولي المتوفى سنة ٣٣٥هـ، لا يمكن قطعًا أن يمدح أبا نصر العميد الكندري الذي تولّى الوزارة عام ٤٢٩هـ - على رواية صاحب «زبدة النصرة» - للفارق الزمني الكبير بينهما.

٢- ثم إن الاطلاع على تراجم صاحبنا يؤكد تَدَيُّنَهُ وَتَرْفَعَهُ عن مجالس الشراب، بل وملازمته الإقراء في مكة المكرمة، كما جاء في «صلة» ابن بشكوال، فكيف يكون مَنْ هذه سيرته هو القائل في قينة كانت تسقيهم الشراب:

أبَا سَعِيدٍ أَصْغِ لِي	يَا سَيْدِي وَنَدِيمِي
حَصَلْتُ عِنْدَ صَدِيقٍ	حَرَّ ظَرِيفٍ كَرِيمٍ
أَسْقَى عَلَيَّ شَدْوِ دُبْسٍ	سَيِّئَةٍ فَتَنَفِي هَمُومِي
فَكُنْتُ حِينَ تُغَنِّي	لَدَى جَنَّانِ النَعِيمِ
وَأَنْ نَظَرْتُ إِلَيْهَا	فَفِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ

.... إلخ. مثل هذا الشعر لا يقوله مَنْ يقوم بإقراء الطلبة والعلماء بمكة.

٣- ثم إنَّ فحص نَصِّ ثالث من هذه النصوص الخمسة من الداخل ينفية عن صاحبنا. قال الثعالبي: (أنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان لأبي محمد بن زريق، يخاطب به أبا عبدالله الكوفي، لما قلّد مكان أبي جعفر بن شيرزاد، وحصل في الدار التي كان أبو جعفر يناظر الناس فيها، وعلى دستانه، وفي مثل حاله، وقد كان حَضْرَهُ قبل ذلك فَحُجِبَ:

أَنَا رَأَيْنَا حَجَابًا مِنْكَ قَدْ عَرَضَا	فَلَا يَكُنْ ذَلْنَا فِيهِ لَكَ الْغَرَضَا
أَسْمَعُ لِنَصْحِي، وَلَا تَغْضَبْ عَلَيَّ فَمَا	أَبْغِي بِقَوْلِي لَا مَالًا وَلَا عَرَضَا

الشكر يبقى، ويفنى ما سواه، وكم سواك قد نال ملكًا فانقضى ومضى
في هذه الدار، في هذا الرواق على هذا السرير رأينا المُلْك، فانقرضا
قال: فاعتذر إليه الكوفي، وقال له: حَسْبُنَا. وقضى إليه حوائجَه.

قال هلال بن ناجي: فأما أبو جعفر بن شيرزاد فقد كان ناظرًا في أمور الوزارة،
أيام الخليفة المستكفي بالله أبو القاسم عبيدالله بن المكتفي بالله بن المعتضد بالله،
الذي ولي الخلافة سنة ٣٣٣هـ (٣١).

وقد ورد ذكر أبي جعفر بن شيرزاد في أخبار سنة ٣١٦هـ عند القبض على
الوزير علي بن عيسى، وأنه في وزارة محمد بن القاسم سنة ٣٢١هـ قُبِضَ على
ابن شيرزاد وأخذ خطه بعشرين ألف دينار، ثم ظهر في أخبار سنة ٣٢٦هـ حين
سَفَرَ في الصُّلح بين ابن رائق والبريدي، وأخذ خط الراضي بالرضا عنهما.

وفي سنة ٣٢٧هـ أنفذ ابن رائق جعفر بن شيرزاد إلى (بجكم) يلتمس الصُّلح،
وبعد مَقْتَل (بجكم) سنة ٣٢٩هـ، دخل البريدي بغداد وَمَعَهُ أبو جَعْفَر بن شيرزاد.

أما أبو عبدالله الكوفي، واسمه أحمد بن علي فقد استكتبه ابن رائق سنة
٣٢٥هـ، وفي سنة ٣٢٨هـ انحدر أبو عبدالله الكوفي إلى واسط واستقرت له كتابة
(بجكم).

قال الهمداني: (وهذه الأبيات قالها أبو محمد بن زُرَيْق، وقد أتى إلى باب
الكوفي، وقد استكتبه (بجكم)، وعزل ابن شيرزاد، وأنزل الكوفي دار ابن طومار
بخان أبي زيادة، وكانت من قَبْل ديوانًا لابن شيرزاد، فجاء ابن زُرَيْق فحجَب عن
الكوفي، فقال لحاجبه، حين أنشده الأبيات: ويلك! أما كان له أسوة بمن دَخَلَ،
ولكنك أردت أن يمزق عرضي، ويواجهني به، ورفق بابن زريق، ولم يزل به حتى
جلس ورضي) (٣٢).

وفي سنة ٣٢٩هـ لعب أبو عبدالله الكوفي بتوجيه من (بجكم) دورًا في اختيار

المتقي لله للخلافة، وهو إبراهيم بن المقتدر بالله.

أن إماره (بجكم) دامت سنتين وثمانية أشهر وتسعة أيام^(٣٣)، وكتابة أبي جعفر ابن شيرزاد له تسعة عشر شهرًا وثلاثة عشر يومًا^(٣٤)، وكتابة أبي عبدالله الكوفي له خمسة أشهر و ١٨ يومًا^(٣٥)، وقد استقرت الكتابة لأبي عبدالله الكوفي سنة ٣٢٨هـ، وقُتل (بجكم) سنة ٣٢٩هـ، واستقر الكوفي - بعد ذلك - ومات سنة ٣٣٤هـ^(٣٦) بحلب.

وهذا كله ينتهي بنا إلى أن هذه الأبيات قالها أبو محمد بن زريق الكوفي سنة ٣٢٩هـ، مما يعني استحالة أن تكون هذه المقطعة لصاحبنا أبي الحسن علي بن زريق البغدادي الذي عاش قرنًا بعد هذا التاريخ، فالدليل التاريخي ينفها.

٤- ثم يبقى بعد هذا بيتان، هما:

سافرتُ أبغي لبغداد وساكنها مثلاً فحاولت شيئًا دونه اليأس
هيات بغداد الدنيا بأجمعها عندي، وسكان بغداد هم الناس
قدّم الثعالبي لهذين البيتين بالآتي: (أنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان، قال:
أنشدني أبو سليمان المنطقي ببغداد، قال: أنشدني ابن زريق لنفسه).

ومعنى هذا أن أبا سليمان المنطقي^(٣٧) - المتوفى في حدود عام ٣٧٢هـ -
سمع هذين البيتين من أبي محمد بن زريق الكوفي قبل سنة ٣٧٢هـ، مما ينفى
بالدليل التاريخي أن يكون لصاحبنا أبي الحسن الذي عاش ستة عقود بعد هذا
التاريخ أو أكثر.

ومما يُعزّز ما ذهبنا إليه أن الثعالبي أورد هذين البيتين في مخطوطة له عنوانها
«أحاسن المحاسن» ونسبها لأبي محمد الكاتب الكوفي^(٣٨).

٥- أما المقطعة الخامسة وهي في ترك عيادة مريض والاعتذار عن ذلك، فلا
تحمل طابعًا معينًا ويمكن ترجيح نسبتها لأحدهما.

● خلاصة البحث:

- ١- لقد أُثبِتُ بالأدلة التاريخية وجود شاعر اسمه (أبو الحسن علي بن زريق البغدادي الكاتب)، عاش في القرنين الرابع والخامس الهجريين.
 - ٢- اسقطتُ مقالة الزاعمين أنه من شعراء الواحدة، بإيراد أشعار ثابتة النسبة إليه.
 - ٣- أوضحتُ السبب الديني الذي انصرف من أجله هذا الشاعر إلى علوم القرآن المجيد، فَقَلَّ شعره.
 - ٤- اسْقَطْتُ وَهَمَّ القائلين بذهابه ممتاحًا إلى الأندلس، ثم ما أصابه من غَمٍّ وموته في دار الغربية بالأندلس، فلا أحد من مُصَنِّفي كتب التراجم الأندلسية ذَكَرَهُ في الطارئين عليها، والفضل في جلاء هذه النقطة عائد لأخي محسن غياض.
 - ٥- أزلتُ الالتباس الذي وقع فيه أخي محسن غياض حيث خلط بين شاعرين هما: أبو الحسن علي بن زريق البغدادي، وأبو محمد بن زريق الكوفي، بالأدلة التاريخية المثبتة أن بينهما فارقًا زمنيًا يزيد على نصف قرن.
 - ٦- فَحَضَّتُ النصوص الشعرية التي نَسَبَهَا الثعالبي في «يتيمته» لأبي محمد بن زريق الكوفي، وأثبتتُ بالأدلة العلمية استحالة صدورهما عن أبي الحسن علي بن زريق البغدادي موضوعًا وسندًا.
- ولعلي - بعد هذا - قد أسهمتُ في كشف صفحة وضيئة من تأريخ شاعر مجيد غَبَنَهُ بَعْضُ الدارسين حتى أنكروا وجوده والحمدُ لله أولاً وآخراً وباطناً وظاهرًا.
- بغداد - العامرية: هلال ناجي

الحواشي:

(١) «ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار البغدادي (ت ٦٤٣هـ)، و«المستفاد» اتِّقَاءُ أحمد بن أبيك الديباطي (ت ٧٤٩هـ).

(٣) ٣٠٨ - ٣١١.

(٢) «المستفاد من ذيل تاريخ بغداد» ص ٣٣٦.

- (٤) «بحوث عربية مهداة» إلى د. محمود السمره ص ٢٨٠، و: مجلة «العرب»، ص ٣٣، ص ٧٣٥.
- (٥) «بحوث عربية مهداة» ص ٢٨٨، مجلة «العرب» ص ٣٣، ص ٧٤٨.
- (٦) مخطوطة «الوافي بالوفيات» لخليل بن ابيك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، ومصوّرة المكتبة المركزية ببغداد.
- (٧) العميد الوزير أبو نصر: هو محمد بن منصور بن محمد، عميد الملك الكندري، كان وزيرًا لطغرلبيك، منذ تولي السلطنة سنة ٤٢٩هـ. وكان جوادًا، شاعرًا، مترسلًا، مُمدِّحًا، مدحه أبو الحسن الباخريزي وصّرّدر، وكان صاحبًا لإمام الحرمين: الجويني، وبعد وفاة طغرلبيك سنة ٤٥٥هـ تأمر عليه نظام الملك فأُبعد أيام (ألب أرسلان) وقتل بنيسابور سنة ٤٥٦هـ، أنظر: زامباور ص ٣٣٨، و «وفيات الأعيان» ١٣٨/٥ - ١٤٤، و «زبدة التواريخ» لصدر الدين علي بن ناصر الحسيني ص ٦٧ - ٧٠، و «تاريخ دولة آل سلجوق» للفتح بن علي البنداري ٣٠ - ٣٢، و «راحة الصدور» للرواندي ص ١٥٩ - ١٨٧، و «الكامل في التاريخ» ٣١/١٠ - ٣٤، و «دمية القصر» ١٣٨/٢ - ١٤٧. ولم أظفر بمدحة ابن زريق لأبي نصر العميد الكندري رغم تنقيري.
- (٨) مؤرخ عاش بين عامي ٨١٩ - ٨٥٦هـ)، ترجم له السخاوي في «الضوء السامع» ١٦٢/٢ - ١٦٣، ومخطوطة: «تاريخ دول الأعيان» في دار صدام للمخطوطات في بغداد ج ٣، ص ٤٠٧.
- (٩) القادر بالله أبو العباس أحمد بن العباس بن المقتدر، ولي الخلافة بعد خلع الطائع سنة ٣٨١هـ، وتوفي سنة ٤٢٢هـ. أنظر «تاريخ الخلفاء» للسيوطي ص ٤١١ - ٤١٧.
- (١٠) وَرَدَتْ هذه القصيدة منسوبة إلى أبي الحسن علي بن زُرَيْقِ البغدادي الكاتب في ثلاثة مصادر مخطوطة: «الوافي بالوفيات»، و «تاريخ دول الأعيان» ومخطوطة «الوديك في فضل الديك» للسيوطي. وَتَسْتَوْدُ نَصَهَا فيما بعد.
- (١١) «الأنوار ومحاسن الأشعار» ٦٣/٢ - ٦٤.
- (١٢) «بحوث عربية مهداة» ص ٢٨١ - ٢٨٢.
- (١٣) «تاريخ الأدب العربي» لبروكلمان ٦٧/٢.
- (١٤) «شرح العلوي» مخطوط في برلين برقم ٧٦٠٧ رقم ٣.
- (١٥) «من تخميس الباعوني» مخطوطة برلينية برقم ٧٦٠٧ رقم ٣.
- (١٦) «من تخميس طه أبو بكر» مخطوطة في القاهرة برقم: ثان ٣٢٥٣.
- (١٧) أحمد بن جعفر بن الديبشي، أبو العباس، من أعيان أهل واسط، له معرفة بالأدب نظرًا ونثرًا، وهو ابن عم أبي عبدالله محمد بن سعيد الديبشي المؤرخ المعروف، توفي في واسط سنة ٦٢١هـ. له ترجمة في «الوافي بالوفيات» ٢٨٣/٦، وفي «فوات الوفيات» ٦٢/١ - ٦٣، وقصيدته هذه في «الوافي» ٢٨٣/٦ - ٢٨٥، وفي «الفوات» ٦٣/١ - ٦٤.

- (١٨) «الوافي بالوفيات» ٢٨٥/٦ .
- (١٩) «بشمة الدهر» ٢٩٣/١ .
- (٢٠) «فوات الوفيات» ٢٤٢/٣ .
- (٢١) البيت للشافعي في ديوانه ص ١٢٢، بتحقيق مجاهد مصطفى بهجت.
- (٢٢) «الصلة» ص ٦٣٢ .
- (٢٣) «طبقات القراء» ٣٠٩/٢ .
- (٢٤) «دمية القصر وعصرة أهل العصر» لأبي الحسن البخاري ١٣٨/٢ . والإمام الموفق هذا، هو ضياء الدين الموفق أبو المعالي عبد الملك بن أبي محمد عبدالله بن يوسف الجويني النيسابوري إمام الحرمين وأشهر علماء الشافعية في زمنه (٤١٩ - ٤٧٨ هـ). انظر ترجمته في «وفيات الأعيان» ١٦٧/٣ - ١٧٠، ومراجعة ثمة.
- (٢٥) «دمية القصر» ١٤٢/٢ .
- (٢٦) «كامل ابن الأثير» ٢٠/١٠ - ٢٦ والسلطان السلجوقي هذا، هو ركن الدين طغرل بك محمد بن ميكائيل ابن سلجوق.
- (٢٧) سقط عجز البيت في مخطوطة رامبور، ورواية «الوافي» و «تأريخ دول الأعيان» مداخلة، إذ سقط منهما صدر البيت السادس عشر، وحل محله صدر البيت الخامس عشر، فاختلف المعنى.
- (٢٨) «بحوث عربية مهداة» ص ٢٨٣ .
- (٢٩) «الوافي بالوفيات» ١٩١/٥ .
- (٣٠) «الكشف عن مساوئ شعر المتنبي» للمصاحب بن عباد في ذيل كتاب «الابانة عن سرقات المتنبي» لمحمد بن أحمد العميدي ص ٢٣٠ .
- (٣١) انظر: «تكملة تأريخ الطبري» لمحمد بن عبد الملك الهمداني، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، الصفحات: ٢٥٦ و ٢٨١ و ٣١٤ و ٣١٧ و ٣٢٧ .
- (٣٢) «تكملة الهمداني» ص ٤٢٦ .
- (٣٣) «التكملة» ص ٣٢٧ .
- (٣٤) «تكملة الهمداني» ص ٣٢٢ .
- (٣٥) «التكملة» ص ٣٢٧ .
- (٣٦) «التكملة» ص ٣٥٣ .
- (٣٧) من أشهر علماء بغداد في المنطق والحكمة والفلسفة، واسمه محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني، وهو من شيوخ أبي حنيفة التوحيدي، صنّف «صوان الحكمة». كان عضد الدولة فناخسرو يكرمه ويفخمه، وله رسائل إليه في فنون مختلفة. انظر ترجمته في «تأريخ الحكماء» للقفطي ٢٨٢ - ٢٨٣، و «الفهرست» ٣٢٢، و «نزعة الأرواح» ٩١/٢ - ٩٦ .
- (٣٨) مُصَوَّرَةٌ في خزانتي، الورقة ٦٠ .

طه حسين وذاتية المنهج

يغلب الاستعراض على طريقة د. طه حسين في معظم ما كتب، وتتضح الذاتية، والذوق الفردي في كثير، أو أكثر ما قدمه تاريخًا، ونقدًا، وديانة برغم دعوته إلى درس الأدب درسًا موضوعيًا، ذلك لأن المنهج العلمي عسير على رجل كيف يستعين بغيره، لذلك اقتصر معظم ما كتبه على النقد الذوقي، فكتب كثيرًا من موضوعاته في بناء قصصي، وطوّع معظم مضامينه وموضوعاته إلى أسلوب الحكاية التي تناسب اضطرابه إلى (الإملاء).

واتفق معظم كتاب مصر ونقادها على أنه يمزج التحقيق العلمي بالفن، ولكن الجانب العلمي يضعف أمام طغيان الفن، والذوق عنده، مما يؤكد انطباعيته، واستحواذ (الذاتية) لديه معتمدًا في كثير مما يكتب على التبسيط والتوضيح المسرفين، اللذين يقودانه إلى الاستطراد التعليمي، والتكرار، فيصوغ الفكرة الواحدة بكثير من الألفاظ، وبسبب هذا تعرض د. طه حسين إلى بعض من النقد، أو النقد الساخر كقول الزيات: (كتابات طه حسين كالخُرُوب أغلبه خشب، وأقله سكر، فيكتب خمس صفحات بما يمكن أن يكون بخمسة أسطر) لهذا كان لابد له من الإسراف، والتهويل، أو أنهما كانا نتيجة لاستطراده (القسري) بسبب الإملاء، وفقر المضامين، فقد اكتفى في معظم ما استنتجه بمقدمات بسيطة، أو استقراء ناقص بنى عليه نتائج كبيرة معتمدًا في مراجعته على معلومات مختارة منتقاة استقى كثيرًا منها من كتاب واحد كـ «الأغاني» - مثلاً - أو الاكتفاء برواية واحدة.

يقول عنه العقاد: إنه صحيح الأصول في النقد، ولكنه لا يوفق بين أصوله، وطبيعته في كثير من الموضوعات، فحين يقرر المبدأ فهو على صواب، ولكنه

حين يطبق المبدأ ينحرف عنه فيوصي - مثلاً - بمبدأ الشك (مذهب ديكارت) ولكن حين تفرؤه تجد كثيرًا من التوكيد واليقين فلما تراها في عبارات الشاكين، وهما مبنيان على مقدمات لا تصلح لنتائجها فقد حكم في «حديث الأربعاء» على القرن الثاني للهجرة حكمًا مطلقًا فوسمه بأنه قرن فساد ومجون.

وقد كان الرجل يكثر من النقل من مراجعه الغربية، ولكنه لا يتثبت من هذا النقل - ولعل عذره كف بصره - فينقل أحيانًا الأسماء العربية بفرنسيتها دون أن يتنبه، وقد نشرت له جريدة «السياسة» محاضرة كان قد ألقاها جاء فيها: (ولكن شجرت بين الفريقين اليمانيين والقيسيين معركة مرجرات (مرج راهط) وقد حسب أن مرجرات كلمة فارسية، وأشارت إلى هذه الواقعة مجلة «الجامعة الإسلامية» في حلب (١٣ أغسطس ١٩٣٤)، وعقب إسماعيل مظهر في مجلة «العصور» (م ١ ص ٦٥١): (اتضح لي وأنا أقرأ الملخص المقتضب أن المحاضرة برمتها منقولة نقلًا سقيمًا عن أحد المستشرقين الذين لم يدرسوا الموضوع درسًا أمينًا).

ويصوره تلميذه عزيز أحمد فهمي بقوله: (كما يتمتع أستاذي بحسنات الفرنسيين، فإنه أيضًا مصاب بعيبيهم، فيه منهم الاندفاع، فهو إذا خاصم إنسانًا لم يعرف الهوادة في خصامه، فإذا ملك خصمه حطمه تحطيمًا، كما أنه إذا أحب إنسانًا لم يعرف الهوادة في حبه، فإنه إذا ملك رفعه إلى أعلى عليين بلا تحفظ أو حذر).

ومن مبالغاته ما كتبه عن ديكارت إذ قاله: (إنه يعرف من الأسرار عنه ما لو قاله لَدُكَّتْ له أسوار (السوربون)، أو قوله عن صاحبه عبدالخالق ثروت: (ليس بين المصريين في العصر الحديث من نشر أعلام مصر المستقاة في قطاع الأرض إلا ثروت).

وحين دخل (حزب الوفد) وكان العقاد أبرز كتابه سعى لاسترضائه، فأعلن في حفل كبير أن العقاد هو أمير الشعراء بعد شوقي، وكان قد أهدى إمارة الشعر للزهاوي، ثم عاد بعد ذلك فسحبها منه حين أعطاها للعقاد، ثم سحبها من العقاد، وأهداها لمطران، وهو في هذا يقول للعقاد في مقدمة ديوانه: (سيدي الأستاذ الكبير أنت أقيمت للكروان ديوانًا فخماً في الشعر العربي فهل تأذن لي أن أتخذ له عُشًا متواضعًا في النثر الحديث).

وقال عن مكرم عبيد: (كنت أسمع يخطب فكان يخيل إليّ أنني أقرأ ذلك الفصل البديع من كتاب الخطابة لأرسطو عن الشباب) وقال في هذا الحفل: (إذا خطب الأستاذ مكرم فلا ينبغي لغيره أن يخطب معه). ولكنه حين سئل عن كتاب «النثر الفني» للدكتور زكي مبارك - وكان خصمًا له - قال عنه: (إنه كتاب من الكتب ألفه كاتب من الكتاب) فرد عليه د. زكي مبارك قائلاً: (إنه محروم من حاسة العدل فما أعرف أنه استطاع أن يقهر أهواءه وهو يعامل الناس). وحين اختُفِلَ في قصر الزعفران بمهرجان شوقي - وكان من خصومه - ألقى محاضرة عن الشاعر الأخطل لا عن شوقي بحجة أن الجامعة لا تؤرخ الأحياء، وهو نفسه الذي ارتضى أن يدرس أسلوب أحمد أمين في كلية الآداب وهو حي.

ولعل في كف بصره ما يسوغ إسرافه ومبالغته، وتطرفه، فتلك واحدة من سمات الكفيف، الذي يجد في مثل هذا السلوك أمنًا نفسيًا يفتقر إليه من فقد اليقين الرؤيوي.

لقد اعتمد د. طه حسين كثيرًا على مهارته الأدبية، والأسلوبية في إقحام أي مجال لا يحسنه معرفة ودراية، اعتمادًا على جرس أسلوبه وموسيقاه الأخاذة في (إنشائه) ففي الأخير ينتزع الإعجاب، ويثير الدهول، ويبعث الدهشة بوصف هذا

تعويضًا عن قلة المحصول المعرفي في موضوعاته، وهذا ما فرضته العاهة، وحكمه فقدان، لذا عمد في معظم ما كتب إلى القصة والحكاية، والرواية، لأنها تناسب قدرته على السرد، والاستطراد ما اضطره إليه كف بصره، والقصة - كما يقولون - تمثل فطرية الإنسان، وبساطة أدواته، وفقر خزينه المعرفي فمنذ كان الإنسان ملأ الدنيا أحاديث وأساطير.

وهاهو د. طه حسين يقدم نفسه - وهو يتخذ من هذا الشكل الأدبي طريقة لموضوعاته - إذ يقول في مقدمة قصته «المعذبون في الأرض» وهو يستعلي على المناهج وعلى القراء أيضًا: (لا أضع قصة تخضع لأصول الفن، ولو كنت أضع قصة لما التزمت إخضاعها لهذه الأصول، لأنني لا أؤمن بها، ولا أذعن لها، ولا أعترف بأن للنقاد مهما يكونوا أن يرسموا لي القواعد، والقوانين مهما تكن، ولا أقبل من القارئ مهما ترتفع منزلته أن يدخل بيني وبين ما أحب أن أسوق من الحديث، وإنما هو الخاطر يخطر لي فأمليه ثم أذيعه، فمن شاء أن يقرأه فليقرأه، ومن ضاق بقراءته فليصرف عنه).

وقد علق عبدالحميد السحار على هذا بقوله: (إن طه حسين يشبه السقاء فهو يحمل أبطال قصصه على ظهره كالقربة ويقف منهم كناظر المدرسة لا يسمح لهم بالكلام إلا بإذنه).

ولعل كتابه «بين بين» واحد من عديد الأمثلة على فنه وأسلوبه وحياته، وإذا أريد لهذا الفن من تحديد، أو وصف لأهم سماته، وخصائصه، فإنها تتلخص في التكرار والمبالغة، والسخرية، والابتداع (تجنب المؤلف) والحرص على الشكل الإيقاعي، وهي من خصائص أدب المكفوفين.

كلية الآداب (جامعة آل البيت): د. عدنان عبيد العلي

التحقيق ونقد التحقيق

عند الدكتور الطاهر

عرفت استاذي الدكتور علي جواد الطاهر، رحمه الله تعالى، عام ١٩٥٧، ودرست على يديه الأدب السلجوقي، والنقد الأدبي، في الدراسة الجامعية الأولية.

وكنا نتوجس خيفة من درسه، ونحسب له ألف حساب، لأنه كان حريصًا بل صارمًا، والمجتهد المجتهد من حصل على السبعين.

وفي عام ١٩٧١ تقدّمنا لنيل شهادة (الماجستير)، وكان الدكتور الطاهر أحد أعضاء لجنة المقابلة، وبعد أن انتظمتنا في الدراسة درسنا عليه مادة منهج البحث، وناقشنا، بطلب منه، كتابه في منهج البحث، وكان يتقبل ملاحظتنا برحابة صدر بل أشار إلى ذلك في مقدمة الكتاب عندما أعاد طبعه.

وفي عام ١٩٧٥ في السنة التحضيرية للدكتوراه، كان من حسن حظنا أن الدكتور الطاهر هو أستاذ مادة تحقيق النصوص، وجعل اسم المادة في دورتنا (نقد التحقيق).

وقد أفدنا أيما إفادة من هذا الدرس، وأشار إلى ضرورة نقد كتاب محقق، وكان نصيبي مع الزميلين، الدكتور نعمة العزاوي والدكتور محمد حسين آل ياسين «ديوان حيص بيص» ثم «الفتح الوهبي» لابن جنبي، وقد ارتاح لعملنا وأثنى عليه، وطلب نشره. وفضلاً عن ذلك فقد طلب منا أيضًا أن نقرأ ملاحظاته على «وفيات الأعيان» وننقدها ففعلنا، وكان مسرورًا بها.

هكذا كان الدكتور الطاهر، يطلب نقد كتبه، ويفيد من هذا النقد، ثم يشكر ناقيه برحابة صدر.

وكان في محاضراته في الدكتوراه يشيد دائمًا بتحقيقات الشيخ محمود محمد شاكر، فهي عنده مثل أعلى يجب أن يُحتذى به.

وقبل وفاته بشهرين أَسْرَ إليّ بشيء لا يُغتفر بحق العلم والعلماء، وهو أن أحد تلامذته ذهب إلى القاهرة وزار الشيخ محمود محمد شاكر ونقل إليه بأن الدكتور الطاهر يشتمه في محاضراته وينتقص منه.

وما كان الرجل يتصف بهذه الصفات، فما سمعناه يوماً يشتم أحدًا أو ينتقص منه طوال ربع قرن، بل كان، والله، كثير الشناء على الشيخ محمود محمد شاكر، شديد الإعجاب بتحقيقاته.

وما كنت أريد ذكر هذا، ولكن أستاذي - رحمه الله - طلب أن أكشف عن هذه الحقيقة للتاريخ، ولدحض افتراء هذا الأثم عليه، وبعد هذه المقدمة التي أراها لازمة لإلقاء الضوء على صلتي بأستاذي الدكتور الطاهر، ونهجه في تدريس التحقيق ونقد التحقيق، انتقل إلى جهوده في التحقيق ونقد التحقيق: - كان أول تحقيق صدر له هو «لامية العجم» للطغرائي مع تحليل ومناقشة عام ١٩٦٢ ببغداد، وألحقها عام ١٩٦٣ بكتابه «الطغرائي حياته، شعره، لاميته»، ثم «ديوان الخريمي» (بالمشاركة)، بيروت عام ١٩٧١، ثم «ديوان الجواهري» (بالمشاركة)، صدر في سبعة أجزاء ببغداد ١٩٧٣ - ١٩٨٠، ثم «ديوان الطغرائي» (بالمشاركة)، بغداد ١٩٧٦. ثم أعيد طبعه بالكويت ١٩٨٣، ثم «ديوان الجعفري» (بالمشاركة)، بغداد ١٩٨٦.

وقد حرص الدكتور الطاهر كل الحرص على الاعتماد على المخطوطة أولاً ثم الاستئناس بالمصادر ثانياً.

وكان من ديدنه الإشارة إلى الخلافات بين النسخ وترجيح ما يراه صواباً.

وكان الأستاذ قد اطلع على مناهج التحقيق عند المستشرقين فأفاد منها، ومن تجاربه، فكانت تحقيقاته تمتاز بقلّة الحواشي، والاهتمام بسلامة النص، وجمع أكبر عدد ممكن من النسخ المخطوطة، وأحسن مثال على ذلك «ديوان الطغرائي»، فقد كانت النسخ المعتمدة في التحقيق تسع نسخ فضلاً عن مطبوعة الجوائب القديمة للديوان.

ومن ضرورات التحقيق في رأيه الوصف التام لكل مخطوطة، وإلحاق صور منها في مقدمة الكتاب المحقق؛ ثم الفهارس اللازمة وقد أشار إلى ذلك في حديثه عن عمل المحقق إذ يجب أن يكون مبتدئاً عمله إذا يقدمه إلى المطبعة بمقدمة، يعرّف فيها بالكتاب مخطوطاً ومطبوعاً إذا كان قد طبع من قبل، فيصفه ويصف نسخه مؤيداً الوصف بصور وورقات منه،... حتى إذا تم طبع صميم الكتاب عمل له الفهارس اللازمة من كل نوع ممكن.

والتحقيق في صميمه وفي أعلى درجاته مجد من أمجاد التأليف العربي، في أوج ترائه، فيما كان يكتبه المؤلف بخطه ويعيد قراءته، أو ما كان يمليه على طلبته ويعارضه الطلبة على نسخة يرتضيها، ويجيز روايتها عنه.

هذا هو رأي الدكتور الطاهر في التحقيق، ولكنه انتقل إلى (نقد التحقيق) وأولاه عناية خاصة، وقد أوضح ذلك في قوله بعد كلامه السالف عن التحقيق: (ولكن الأمر لم يكن دائماً كذلك، ولا يمكن أن يبقى وقد راج الكتاب وصار مطلوباً، وصارت كتابته مهنة، فكانت الوراثة، وكان النسخ، ثم الغش والتدليس والعبث... غير ما لحق المخطوط العربي من ضياع وتلف وتجارة وانتشار في أرجاء العالم، مما ضاعف مهمة الأجيال اللاحقة وزاد في صعوبة العملية الحديثة واستحال مسوغاً لأن تصير العملية علمًا، وأن يصير العلم مادة للدرس، والتدريس والتأليف.. ثم مسوغاً للملاحظة والنقد والتعليق. فمن الممكن، والممكن جدًّا، أن يقع المحقق الحديث - من كان - في خطأ أو سهو، لسبب وآخر.. وليس صحيحًا أن يبقى الخطأ في مكانه، ويمر السهو على الآخرين. ومن هنا، كان واجبٌ جديد يلقى على القارئ والعارف في تصحيح الخطأ عندما يوجد، والتنبيه على السهو عندما يحصل، وواجب كذلك على المحقق نفسه أن يصغي إلى القول ويستمع، ويستجيب، ويشكر، لأن العملية، كما رأينا، معقدة لا بد من تضافر الجهود فيها، وملاحظة (الفاتح) واجب، وليس مفاخرة أو مباهاة.

ومن يقع على (الفوات) ولا يدلّ عليه يرتكب جرماً مضاعفاً، ومثله المحقق الذي تريبه الخطأ فلا يستجيب ولا يشكر..

أجل، لقد صار التحقيق علماً... وصار مع التحقيق (نقد التحقيق). (مقدمة «فوات المحققين» ٥ - ٦).

وسار الدكتور الطاهر على النهج الذي اختطه فتناول بالنقد كتباً (محققة) أصبحت ساقطة من الناحية العلمية بعد نشر نقده، وكتباً محققة تحقيقاً علمياً أثنى عليها ونبه على هفوات فيها راجياً الإفادة منها عند إعادة الطبع.

ومن هذه الكتب: - «المحمدون من الشعراء»: للقفطي، طبعة بيروت، «المحمدون من الشعراء»: طبعة حيدر آباد، «المثل السائر»: لابن الأثير، طبعة دار نهضة مصر بتحقيق الدكتور أحمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة، مع مقابلتها بطبعة الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد، وجاء نقده في نحو ٩٠ صفحة فيها العجب العجائب!!، «وفيات الأعيان»: لابن خلكان، الدكتور إحسان عباس، ثمانية أجزاء. وجاء نقده في نحو ١٢٠ صفحة، «بانة سعاد وشروحها»: وتناول فيه شرح أبي البركات الأنباري، وشرح عبداللطيف البغدادي، وشرح ابن هشام الأنصاري، «الحيوان»: للجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، سبعة أجزاء، «الأنوار ومحاسن الأشعار»: للشمشاطي، طبعة بغداد، وطبعة الكويت، «الصناعتين»: لأبي هلال العسكري، طبعة البجاوي وأبي الفضل، «الهوامل والشوامل»: لأبي حيان التوحيدي ومسكويه، نشرة أحمد أمين والسيد أحمد صقر، «الأمثال والحكم»: للماوردي، تحقيق الدكتور فؤاد عبدالمنعم أحمد، «المتع في صنعة الشعر»: لعبدالكريم النهشلي، تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام، ومقابله بطبعة المنجي الكعبي بتونس، «المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية»: لأبي البقاء هبة الله الحلبي، تحقيق الدكتور صالح موسى، والدكتور محمد عبدالقادر، «الاستدراك في الردّ على رسالة ابن الدهان المسماة بالماخذ الكندية

من المعاني الطائفة»: لابن الأثير، تحقيق حفني محمد شرف، «تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن»: لابن أبي الأصعب المصري، تحقيق الدكتور حفني محمد شرف، «الشفاء في بديع الاكتفاء»: لشمس الدين النواجي، تحقيق الدكتور محمد حسن أبو ناجي، «قوانين الدواوين»: لابن مماتي الوزير الأيوبي، تحقيق عزيز سوريال، «ديوان الستالي العماني»: تحقيق عز الدين التنوخي، «نصرة الثائر على المثل السائر»: لصالح الدين الصفدي، تحقيق محمد علي سلطاني، «عارف حكمة حياته ومآثره»: «شهبي النغم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحكيم»: لأبي الثناء الألويسي، تحقيق الدكتور محمد العيد الخطراوي، «مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيين»: للشيخ عبدالرحمن الجبرتي، تحقيق حسن محمد جوهر وعمر الدسوقي، «ديوان عمرو بن قميئة»: تحقيق حسن كامل الصيرفي، «الأغاني»: لأبي الفرج الأصبهاني، ج ١، نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، «طبقات الشعراء»: لمحمد بن سلام، تحقيق مصطفى عبدالجواد عمران، «الوساطة بين المتنبي وخصومه»: للقاضي الجرجاني، تحقيق أبي الفضل والبجاوي، «طبقات الشعراء»: لمحمد بن سلام، إعداد اللجنة الجامعية لنشر التراث العربي، «الأغاني»: لأبي الفرج الأصبهاني، ج ١٧، نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.

هذا ما وقفت عليه من نقد التحقيق عند الدكتور الطاهر، وفيه ما فيه من الكشف عن فضائح قسم من هذه الكتب (المحققة بزعمهم)، وفي كتابه النفيس «فوات المحققين» فوائد كثيرة تدل على علم غزير، وإحاطة تامة بمناهج التحقيق، وحرص لا مثيل له على تراث الأمة، وكان مبتغاه من هذا النقد: (أن تتضاءل درجة العبث بالتراث، ولا يبقى في الساحة غير العلماء الحريصين على الحقيقة النافذين إلى جوهر الحضارة.

بغداد: د. حاتم صالح الضامن

قراءة في كتاب «فرائد الخرائد في الأمثال»

[انظر «العرب» س ٢٣، ص ٢٨٦ و ٢٥١]

صدر عن (النادي الأدبي في الدمام) كتاب «فرائد الخرائد في الأمثال» لأبي يعقوب يوسف بن طاهر الخويّي (ت ٥٤٩هـ)، تحقيق الدكتور عبدالرزاق حسين، الذي سبق له أن حقق كتبًا في هذا الفن، منها: «الأمثال والحكم» للرازي، و «المنتخب في النوادر والأشعار» لابن منظور، و «الشعور بالعور» للصفدي وغيرها.

وهناك ملاحظات عنّت لي وأنا أقرأ هذا الكتاب، قراءة إمعان وتتبع لكلّ ما جاء فيه من نصوص وحواش، راجيًا أن يكون لها ما يفيد في طبعات الكتاب القادمة.

يبدأ الكتاب بمقدمة للمحقق تقع في ثمان صفحات ونصف، تحدث فيها عن مؤلف الكتاب ومنهجه، وعقد موازنة بين «فرائد الخرائد» و «مجمع الأمثال»، وبيّن مواضع اختلافهما، كما أشار إلى نسخ الكتاب المخطوطة، فذكر أربع نسخ هي نسخة (دار الكتب) ونسخة (ليدن)، ونسخة (باريس) ونسخة (كوبريلي) وبيّن أسباب اعتماده على نسختي (باريس) و (كوبريلي).

ولنا على هذه المقدمة الملاحظات الآتية:

١- وصف المحقّق في (ص ٥) كتاب «فرائد الخرائد» بقوله: (وهو بهذا تفرّد طريقةً وأسلوبًا ومادة، وتميز من كتب الأمثال الأخرى).

أقول: هذا وهم من المحقق، فليس في الكتاب ما يُميزه، ولم يكن متفردًا بشيء مما ذكره، فطريقة عرض الأمثال على حروف المعجم سبقه إليها الميداني والزمخشري، أما الأسلوب فلا يرقى إلى أساليب كتب الأمثال الأخرى، أما مادة الكتاب فيمكن القول أن كتب الأمثال التي سبقته والتي جاءت بعده كانت أكثر منه دقة وشمولية، وأكثر إحاطة بالحوادث والأخبار، نذكر منها على سبيل المثال: كتاب

«الأمثال» لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، و «فصل المقال» لأبي عبيد البكري (ت ٤٨٧هـ)، و «مجمع الأمثال» للميداني (ت ٥١٨هـ)، و «تمثال الأمثال» للعبدي الشيبلي (ت ٨٣٧هـ)، و «زهر الأكم في الأمثال والحكم» لأبي علي الحسن اليوسي (ت ١١٠٢هـ).

٢- وجاء في الصفحة أيضًا: (فإن «فرائد الخرائد» إذا ما أضفنا إليه الحكم والأشعار السائرة والمواعظ يصبح أوسع هذه الكتب على الإطلاق).

أقول: إن إطلاق الأحكام جزافًا لا يتماشى مع روح العمل العلمي الدقيق، وقد أطلق المحققُ الكلامَ على عواهنه، فكلّ كتب الأمثال زاخرة بالمواعظ والنصوص الشعرية، وكثرة الأشعار في «فرائد الخرائد» لا تؤهلهُ لأن يكون أوسع هذه الكتب، والغريب أن يقول المحقق مثل هذا الكلام، وقد اعتمد على مصادر مثليّة أوسع في هذا الكتاب.

٣- لم يعتمد المحققُ على كل نسخ الكتاب المخطوطة، فقد ذكر أربع نسخ فقط، في حين هناك نسخة أخرى مخطوطة في مكتبة «المتحف العراقي» برقم ٥٦٤، أشار لها أستاذنا الدكتور حاتم صالح الضامن في تحقيقه لكتاب «الزاهر» (٣٩/١). زد على ذلك أنه لم يُقدّم لنا وصفًا لهذه النسخ، ولم يقنعنا بأسباب اعتماده على نُسختي (كوبريلي) و (باريس) وهو من الأمور المخلة في عمل التحقيق، وكان بوسع المحقق الإشارة إلى ذلك.

وهناك ملاحظات أخرى حول المنهج الذي اتبع في التحقيق منها:

أ- عدم التقيّد بمنهج واحد في تخريج الأمثال، فمرة يعتمد على مصدرين، ومرة يعتمد على أكثر من ذلك، ومرات كثيرة يعتمد على مصدر واحد، من ذلك:

١- جاء في ص ٣١ ذكر المثل: (إنّ الحماسة أولعتْ بالكنة)، وقد اعتمد المحقق في تخريجه على «مجمع الأمثال» فقط، في حين ورد المثل في كتاب «الأمثال» ٣٥٤، و «فصل المقال» ٤٨٤، و «المستقصى» ٤٠٣/١.

ب- جاء في ص ٣٩ ذكر المثل (إن أعياء فزده نوطاً)، وقد اعتمد المحقق في تخريجه على كتاب «الأمثال» فقط، في حين ورد المثل في «فصل المقال» ٤٣٣ و «مجمع الأمثال» ٣٨ / ١، و «المستقصى» ٣٧٠ / ١.

ج- جاء في ص ٤٣ ذكر المثل (إذا لم تغب فاخلب)، وقد اعتمد المحقق في تخريجه على كتاب «الأمثال» و «فصل المقال»، في حين ورد المثل في «مجمع الأمثال» ٥٣٤ / ١، و «المستقصى» ٣٧٥ / ١، و «زهر الأكم» ٧٦ / ١. وقد تكرر ذلك في صفحات كثيرة لا مجال ذكرها.

٢- يبدو أن المحقق لم يلتزم في ترتيب المصادر التي يذكرها في تخريج الأمثال بحسب ترتيبها الزمني، وقد تكرر ذلك في جميع صفحات الكتاب، فقد كان يذكر تسلسلها بطريقة تخل بعمل التحقيق العلمي الدقيق، إذ جاء ترتيبها عنده كالآتي: «مجمع الأمثال»، «الجمهرة»، «الفاخر»، «المستقصى»، «فصل المقال»، كتاب «الأمثال»، في حين كان ينبغي تسلسلها على هذا الشكل: «أمثال العرب» للمفضل الضبي، «كتاب الأمثال» لأبي عبيد القاسم بن سلام، «الفاخر» للمفضل بن سلمة «الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة» لحمزة الأصبهاني، «جمهرة الأمثال» لأبي هلال العسكري، «فصل المقال» لأبي عبيد البكري، «مجمع الأمثال» للميداني، «المستقصى» للزمخشري.

٣- أهمل المحقق الرجوع إلى بعض طبعات المصادر، واكتفى بطبعة واحدة منها، من ذلك: الاكتفاء بطبعة دار صادر لكتاب «الإصابة في معرفة الصحابة»^(١) وأهمل طبعة مصر ١٩٧١ بتحقيق البجاوي، كما اعتمد طبعة بيروت لكتاب «أمالي القاضي» وأهمل طبعة دار الكتب المصرية، واعتمد طبعة بيروت لكتاب «تاريخ الطبري»، وأهمل طبعة دار المعارف بتحقيق أبي الفضل إبراهيم، واعتمد طبعة الهند لكتاب «جمهرة الأمثال» للعسكري وأهمل طبعة مصر بتحقيق أبي الفضل وقطامش مع أنها جيدة جداً، واعتمد طبعة البابي الحلبي لكتاب

«الحيوان» للجاحظ ١٩٤٥ وأهمل طبعة بيروت ١٩٦٩، واعتمد طبعة عبدالنواب لكتاب «أمثال الضبي» وأهمل طبعة بيروت بتحقيق الدكتور إحسان عباس، واعتمد طبعة محيي الدين عبدالحميد لكتاب «مجمع الأمثال» ١٩٥٩م، وأهمل طبعة أبي الفضل ١٩٨٧ مع أنها جيدة.

٤- اضطراب تسلسل الكتب في قائمة المصادر، من ذلك: ورد تسلسل كتاب «الإصابة في معرفة الصحابة» بعد كتاب «الأصمعيات» وكان ينبغي أن يُذكر قبله، كما ذكر «تاريخ بغداد» و «تاريخ ابن خلدون» و «تاريخ الطبري» بعد «تهذيب التهذيب»، في حين كان ينبغي ذكرها قبل «تتمة اليتيمة» ويكون تسلسلها كما يأتي: «تاريخ ابن خلدون»، «تاريخ بغداد»، «تاريخ الطبري»، وذكر «حماسة أبي تمام» بعد «حماسة البحتري» في حين كان ينبغي ذكرها قبل البحتري، وذكر «خاص الخاص» بعد «خزانة الأدب» وحقه أن يذكر قبل (خبر قس بن ساعدة الأيادي)، وذكر كتابي ابن قتيبة «المعارف» و «المعاني الكبير» بعد «المعمرون والوصايا» وحقهما أن يذكر قبل «معجم الأدباء».

٥- لم يشر المحقق إلى اختلاف روايات بعض الأمثال، وهو أمر مهم في التحقيق، لأنه يبين طبيعة لهجات قبائل العرب، ويكشف عن دلالات جديدة لبعض الألفاظ، ومعنى هذا أنه يزود الباحثين بروايات جديدة يمكنهم عن طريقها الكشف عن ظواهر لغوية ونحوية، وقد تكرر هذا الأمر في صفحات كثيرة من الكتاب، نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

أ- جاء في (ص ٤٧) ذكر المثل: (إذا طلب الباطل أبدع بك).

أقول ويروى: (إذا طلب الباطل أنجح بك) كما جاء في كتاب «الأمثال» ١٦٦ و «فصل المقال» ٣٨، و «زهر الأكم» ١/٧٣.

ب- جاء في (ص ٨٧) ذكر المثل: (به لا بظني أعفر)، في حين ورد في كتاب «الأمثال» ٧٨، و «فصل المقال» ١٠٠، و «زهر الأكم» ١/٢٠٦ بلفظ: (به لا بظني).

ج- جاء في (ص ١٤٧) ذكر المثل: (جاء بالترّة والترّهات)، في حين ورد في «فصل المقال» ١٠٩، و«مجمع الأمثال» ١/١٦٨ و«المستقصى» ٣٧/٢، بلفظ (جاء بالترّهة).

د- جاء في (ص ١٩٢) ذكر المثل: (خُذ ما طَفَّ لك واستطف)، في حين ورد في «الأمثال» ٢٣٧، و«جمهرة الأمثال» ١/٤٢١، و«فصل المقال» ٣٤٣، و«المستقصى» ٧٢/٢ بلفظ (خذ ما طف لك وما استطف لك).

ه- جاء في (ص ٢٤٢) ذكر المثل: (رُبَّ أكلة منعت أكلات)، في حين ورد في «الأمثال» ٢٢٨، «الفاخر» ١٧٤، «جمهرة الأمثال» ١/٤٩١، «فصل المقال» ٣٢٩ «مجمع الأمثال» ١/٤١. «المستقصى» ٩٣/٢، بلفظ (رب أكلة تمنع أكلات).

و- جاء في (ص ٣٠٩) ذكر المثل: (صُمِّي ابنة الجبل يُقل ثقل). أقول: ويروى بلفظ (صمّي ابنة الجبل) كما جاء في «الأمثال» ٣٤٨، و«فصل المقال» ٤٧٤ و«المستقصى» ١٤٢/٢.

ز- جاء في (ص ٣٥٥) ذكر المثل: (على أهلها براقش تجني). أقول: ويروى (على أهلها دَلَّت براقش) أو (تجني براقش)، كما في «أمثال الضبي» ١٥١ و«الأمثال» ٣٣٣، و«فصل المقال» ٤٥٩، و«مجمع الأمثال» ٣٣٧/٢، و«المستقصى» ١٦٥/٢.

ح- أشار المحقق (ص ٤٧) إلى المثل (إذا نزا بك الشر فاقعد به) وأسند إلى البكري رواية المثل بلفظ (إذا نزل).

أقول: هذا وهم من المحقق، فقد أشار البكري إلى نسخة مخطوطة من كتاب «أمثال» أبي عبيد القاسم بن سلام، جاء بها المثل بلفظ (إذا نزل)، وقد صحح هذه الرواية على لفظ (إذا نزا) فالبكري لم يرو المثل بهذه الرواية.

٦- أغفل المحقق نسبة كثير من النصوص الشعرية، وهو من الأمور الرئيسة في منهج التحقيق، إذ يبين صحة نسبة النصوص إلى أصحابها أو إلى سواهم، ويكشف عن أبيات أخلت بها الدواوين المحققة، وقد تكرر هذا الأمر في مواضع

كثيرة، لو ذكرناها كلها لطال بنا المقام، غير أننا نكتفي بإيراد طائفة منها:

أ- جاء في ص ٩٧ ذكر البيت:

بُغَاثُ الطير أكثرها فَرَاخًا وأُمُّ الصقْرِ مَقَلَاتٌ نَزُورُ
وَقَدْ نَسَبَهُ المَحْقُوقُ إِلَى كَثِيرِ عَزَّة.

أقول: هذا البيت للعباس بن مرداس في: ديوانه ٩٥.

ب- جاء في ص ٢٢١ ذكر البيت دون نسبة:

دخولك في باب الهوى إن أردتَهُ يسيرٌ ولكنَّ الخروجَ عسيرُ
أقول: ورد هذا البيت في «زهر الأكم» ٨٣/٢ وقد نَسَبَهُ الحسن اليوسي إلى ابن الخطيب.

ج- جاء في ص ٢٤٨ ذكر البيت دون نسبة:

أريدُ حياته ويُريدُ قتلي عذيرك من خليلك من مرادٍ
أقول: هذا البيت لعمر بن معدى كرب في: ديوانه ٦٥، بلفظ: أريد جباهه.

د- جاء في ص ٢٤٩ ذكر البيت الآتي دون نسبة:

لا خيرٌ في طمعٍ يهدي إلى طبعٍ وغُفَّةٍ من قوام العيش تكفيني
أقول: هذا البيت لثابت قطنه في مجموع شعره ٦٥،

ه- جاء في ص ٢٥٢ ذكر البيت الآتي دون نسبة:

هَوْنٌ عليك فإنَّ الأمورَ بكفَّ الإلهِ مقاديرُها
أقول: هذا البيت للأعور الشني كما جاء في «كتاب سيبويه» ٣٢/١ و«شرح أبيات المغني» ٢٣١، وبعده:

فليس بِأَتِيكَ مِنْهِيْهُهَا ولا قاصِرٌ عنك مأمورها
فمنه إذا شاء تسيورها ومنه إذا شاء تعسيورها

و- جاء في ص ٢٩٩ ذكر ثلاثة أبيات دون نسبة، أولها:

وصاح غراب فوق أعواد بانة بأخبار أحبابي فقسمني الفكر
أقول: هذه الأبيات الثلاثة لسلمة الجعدي كما جاء في «زهر الأكم» ٣/ ٢١٠.

ز- جاء في ص ٤٢٦ ذكر البيت الآتي دون نسبة:

وليس لعيشنا هذا مهاه وليست دارنا الدنيا بدار
أقول: هذا البيت لعمران بن حطان كما جاء في كتاب «الأمثال» ١٠٩،
و«فصل المقال» ١٥٩.

ح- وجاء في ص ٤٢٦ أيضًا ذكر البيت الآتي دون نسبة:

كفي حزنًا أن لا مهاة لعيشنا ولا عمل يرضى به الله صالح
أقول: هذا البيت لابن دريد كما جاء في «زهر الأكم» ٢/ ١٨٢.

ط- جاء في ص ٤٤٠ ذكر البيت الآتي دون نسبة:

وكم من طالب يسعى لعيش وفيه هلاكه لو كان يدري
أقول: قائل هذا البيت ابن هرمة كما جاء في كتاب «الأمثال» ٢٢٨، و«فصل
المقال» ٣٢٩.

ي- جاء في ص ٤٧٥ ذكر البيت الآن دون نسبة:

لا تحمدن امرأة حتى تجربته ولا تذمنه من غير تجرب
أقول: هذا البيت لأبي الأسود الكناني كما في «حماسة البحتري» ٢٣٣، وبعده:

وإن مدحك من لم تبله خرقت وإن ذمك بعد المدح تكذيب
ك- جاء في ص ٥٠٧ ذكر البيت الآتي دون نسبة:

ما للرجال مع القضاء محالة ذهب القضاء بحيلة الأقسام
أقول: نُسب هذا البيت لبعض بني أسد كما في «اللالي» ٩٠٨.

ل- جاء في ص ٥٣٧ ذكر الرجز الآتي دون نسبة:

نفس عصام سَوَدَّتْ عصاما وعلمته الكرّ والإقداما

أقول: هذا الرجز للنابغة الذبياني في: ديوانه ١٠٦، وعصام المذكور في الرجز هو عصام بن شهير حاجب النعمان بن المنذر، الذي يقول فيه النابغة (ديوانه ٢٣١):

فإني لا ألام على دخول ولكن ما وراءك يا عصام
م- جاء في ص ٥٨٣ ذكر البيت الآتي دون نسبة:

إني لأكثر مما سمتني عجبًا يد تشج وأخرى منك تأسوني
أقول: هذا البيت لصالح بن عبدالقدوس كما في «حماسة البحثري» ٥٩،
وبعده:

تغتابني عند أقوام وتمدحني في آخرين وكل عنك يأتيني
هذان أمران شتى بون بينهما فاكفف لسانك عن ذمي وتزييني
ليس الصديق بمن يخشى غوائله ولا العدو على حال بمأمون
ن- جاء في ص ٤٥٩ ذكر أربعة أبيات دون نسبة، أولها:

فيا عجبًا لمن ربيت طفلاً أقمه بأطراف البنان
وقد تأرجحت نسبتها عند المحقق بين معن بن أوس ومالك بن فهم الدوسي.

أقول: وقد نسبها محققا «زهر الأكم» ٣ / ١٨٠ إلى حريقيص الأسدي.

٧- ترك المحقق كثيرًا من النصوص الشعرية دون تخريج، وهو أمر يخل
بالتحقيق، وقد تكرر ذلك في مواضع كثيرة، نذكر منها:

أ- جاء في ص ٤٦٧ ذكر بيتين للمتملمس، هما:

ولو غير أخوالي أرادوا نقيصتي جعلت لهم فرق العرانيين ميسما
وما كنت إلا مثل قاطع كفه بكف له أخرى فأصبح أجذما

وقد أحال المحقق في تخريجهما إلى «نهاية الأرب».

أقول: غريب أن يُحيل المحقق إلى «نهاية الأرب» والبيتان من قصيدة
للمتملمس في: ديوانه ص ٢١، وبعدهما:

لذي الحلم قبل اليوم ما تُفْرِخُ العصا وما عُلِمَ الإنسانُ إلا ليعلما
أحارثَ إنّا لو تُسَاطِ دماؤنا تزايلنَ حتى ما يمَسّ دم دما
ب- جاء في ص ٤٧٨ ذكر بيت النابغة الأتي دون تخريج:

نُبْنُثُ أَنْ أَبَا قَابُوسٍ أوعَدني ولا قَرارَ على زَأرٍ من الأَسَدِ
أقول: انظر: «ديوان النابغة الذبياني» ٢٥.

ج- جاء في ص ٥٠٤ ذكر بيت امرئ القيس الآتي دون تخريج:
فهِـو لا تَنمي رَمِيثُـه مالـه ما عُدّ من نـفره
أقول: انظر «ديوان امرئ القيس» ١٣٤ وفيه: (ماله لا عُدّ).

د- جاء في ص ٥١٦ ذكر بيت عمرو بن كلثوم دون تخريج:
من عال منا بعدها فلا اجتَبِر ولا سقى الماء ولا رعى الشجر
أقول: ترجم المحقق لعمرو بن كلثوم، ولم يُخْرِج البيت، ورد البيت في
«الأغاني» ٥٦/١١، وفي «اللسان» (جبر)، وبعده:

بنو لُجَيمٍ وجعاسيس مُضـر الجانـب الدّويدهدون العـكـر
ه- جاء في ص ٥٦٨ ذكر بيتين لكثير عزة دون تخريج، أولهما:
يكلفها الخنزير شتمي وما بها هواني ولكن للمليك استذلّت
أقول: هذان البيتان لكثير عزة من قصيدة تقع في ثلاثة وأربعين بيتًا، انظر
ديوانه ٩٩ - ١٠٠.

و- جاء في ص ٥٨٧ ذكر عَجْز بيت لطرفة بن العبد، دون تخريج.
أقول: انظر «ديوان طرفة» ١٧٢، وتمام البيت:
أبا منذر أفنيت فاستبقي بعضنا حنائيك بعض الشر أهون من بعض
ز- جاء في ص ٣٣٤ ذكر البيت الآتي دون تخريج:

طلب الأبلق العقوق فلما لم يجده أراد بيض الأنوق

أقول: ورد هذا البيت دون نسبة في «الحيوان» ٥٢٢/٣، و«الكامل» ٢٧١/٢، و«حياة الحيوان» ٥١/١.

٨- لم يُشر المحققُ إلى أبياتٍ أوردَها المؤلفُ مختلةً الوَزنِ، وكان ينبغي له أن يفعل ذلك، من ذلك:

أ- جاء في ص ٢٦٢ ذكر البيت الآتي:

عليك بِإِغْبَابِ الزِيَارَةِ إِنهَآ إِذَا كَثُرَتْ كَانَتْ إِلَى الْهَجْرِ مَسْلُكَا
أقول: هذا البيت من الطويل وصحة إنشاده:

عليك بِإِقْلَالِ الزِيَارَةِ إِنهَآ تَكُونُ إِذَا دَامَتْ إِلَى الْهَجْرِ مَسْلُكَا
وبعده:

فإِنِّي رَأَيْتُ الْقَطْرَ يُسَامُ دَائِمًا وَيُطَلَّبُ بِالْأَيْدِي إِذَا هُوَ أَمْسَكَ
ب- جاء في ص ٤٢٢ ذكر البيت الآتي:

كَمِثْلِ الْحِمَارِ لِلْقَرْنِ طَالِبَا فَأَبَتْ بِلَا أذْنٍ وَليْسَ لَهُ قَرْنُ
أقول: هذا البيت من الطويل وصواب إنشاده:

كَمِثْلِ حِمَارٍ كَانَ لِلْقَرْنِ طَالِبَا فَأَبَتْ بِلَا أذْنٍ وَليْسَ لَهُ قَرْنُ
وبعده:

مِثْلُ النِّعَامَةِ كَانَتْ وَهِيَ سَائِمَةٌ أَذْنَانُ حَتَّى زَهَاهَا الْحَيْنُ وَالْجَبْنُ
جَاءَتْ لِتَشْرِي قَرْنًا أَوْ تَعَوِّضَهُ وَالْدَهْرُ فِيهِ رَبَاحُ الْبَيْنِ وَالْغَبْنُ
فَقِيلَ أَذْنَاكَ ظَلَمْنَا تُمَّتْ أَضْطَلَمْتَ إِلَى الصُّمَّاحِ فَلَا قَرْنَ وَلَا أذْنَ

٩- من مكملات التحقيق العلمي، التعريف ببعض الحوادث والأخبار التي قد تُعين القارئ على فهم الأمثال، وبيان مواردها ومضربها، لأن إغفال هذا الأمر معناه حجب الفائدة المتوخاة من ذكر هذه الحوادث، وقد أهمل المحقق ذكر كثير من هذه الحوادث، انظر مثلاً الصفحات: ٢٩ في حوادث المثل (إنَّ الموصَّيْنَ بنو سهوان)، ٣٠ في أخبار المثل: (إنَّ المعافى غيرُ مخدوع)، ٤٤ في حوادث المثل

(إنّ العصا تقرع لذي اللحم) ٤٦ في أخبار المثل (أكل لحمي ولا أدعه لأكل) ٥٨ في أخبار المثل (إنّ غداً لناظره قريب)، ١٠٠ في حوادث المثل: (أبخل من مادري) ١١٠ في حوادث المثل: (تجوع الحرّة ولا تأكل بثدييها)، ١١٢ في أخبار المثل: (تسمع بالمعيدي خير من أن تراه)، ١١٦ في حوادث المثل (ترى الفتيان كالنخل)، وصفحات أخرى كثيرة، لا مجال لذكرها خشية الإطالة.

١٠- ومن مكملات التحقيق العلمي أيضاً، شرح الألفاظ التي يصعب فهمها على القراء، وقد شرح المحقق بعض الألفاظ، لكنه أهمل شرح ألفاظ أخرى، أمثال: نزا ص ٤٧، حز ص ٥٠، نزور ص ٥٥ الفطنة ص ٨٧، سلجما ص ١١١، أحشك ص ١٦٥، وألفاظ أخرى كثيرة ذكرنا بعضها على سبيل الاستشهاد لا الحصر.

١١- ورد في الصحيفة ٢٢٧: (صخر بن معاوية السلمي)، والصحيح: صخر ابن عمرو السلمي. انظر حياته ومجموع شعره، في مجلة «العرب»، س ٣٣، ج ٢-١، ص ٨٥ - ٩٩، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م دراسة وتحقيق الأستاذ عباس هاني الجراح، والذي تفضّل - مشكوراً - فوضّع «خرائد الفرائد» بين يديّ، وتلك من عوارفِهِ وكَمالاتِهِ.

١٢- أرى أن المحقق واهم، وهو يجهل إلى مصادر في تخريج بعض النصوص الشعرية، في حين أن أصحابها لهم دواوين مطبوعة، أو أنه يشير إلى الديوان وإلى مصادر أخرى في تخريج الشعر، فهل هناك من ضرورة لهذه الإحالة؟ انظر مثلاً الصفحات: ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٥٢٣، ٥٢٤ وغيرها.

١٣- جاء في هامش ص ٤٦٤ (سبق أن وردَ البيت الثاني في هذا الكتاب)، ولم يذكر الصفحة التي ورد فيها، وكان عليه ذكرها ليسهل على القارئ أمر الرجوع إليها. وبعد، فهذا ما تمكّننا من تسجيله من ملاحظات حول الكتاب، وقد أغفلنا عدداً آخر منها. بعد أن تكفّل بتسجيلها السيد عبدالله بن سليم الرشيد في مجلة «العرب» الغراء، ج ٥ - ٦ سنة ١٤١٨ هـ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. أسعد محمد علي النجار

كلية المعلمين - جامعة بابل - العراق

الحالات التي تقل فيها موارد بيت المال

المقدمة: بيت المال، مؤسسة مالية عربية إسلامية، نشأت منذ وقت مبكر من قيام الدولة العربية الإسلامية، وكان الهدف من إنشاء بيت المال حفظ الأموال التي أخذت تنهال على حاضرة الدولة، نتيجة لنشاط حركة التحرير والفتوح. وقد أصبحت مهمة بيت المال حفظ هذه الأموال ريثما يحين وقت توزيعها على مستحقيها من المسلمين. ومن هنا يتضح أن أموالاً تصب في بيت المال، وأموالاً تخرج منه في أوجه النفقات المتعددة^(١).

وكان يشرف على إدارة بيت المال موظف خاص يُعَدُّ من كبار موظفي الدولة، ويساعده في مهامه هذه عدد من الموظفين الذين يديرون مجمل شؤون بيت المال، وينظمون أعماله، ويتولون أوجه صرف الأموال المنفقة منه. وعادة يثبت كل ذلك في سجلات منظمة^(٢).

وترد إلى بيت المال كتب الحُمول (أي الأموال التي تحمل) من جميع النواحي قبل إخراجها إلى دواوينها لتثبت فيه. وكذلك سائر الكتب النافذة إلى صاحب بيت المال من جميع الدواوين، التي يطلب فيها أصحاب الدواوين مقادير المبالغ التي يرون صرفها على أوجه النفقات. ولا تُعَدُّ هذه الأمور نافذةً ما لم تحصل موافقة صاحب بيت المال عليها. وتكون أبواب (الدخل والخرج) عرضة لتفقد الوزير لها، ذلك أن ديوان بيت المال (إذا استوفيت أعماله كان مال الاستخراج بالحضرة والحمول من النواحي مضبوطاً به)^(٣).

وكان مقر بيت المال الرئيس في عاصمة الخلافة عادة، وله فروع في أقاليم الدولة. وتقتصر مهام هذه الفروع على إيداع الأموال المتبقية في الإقليم بعد الإنفاق على مصالح الإقليم ثم إرسالها إلى بيت المال في حاضرة الخلافة^(٤).

وجود فائض في بيت المال: والحق إنَّ موارد بيت المال في عصر الراشدين، والعصر الأموي، والشطر الأول من العصر العباسي، كانت كثيرة وتسد جميع

نفقات الدولة وتفيض، إذ تشير النصوص إلى أن الأموال أخذت تنهال على عاصمة الخلافة منذ عهد الخليفة الراشد الثاني فهاله كثرة الأموال التي أخذت تصب في بيت المال، فقال مخاطبًا المسلمين: (أيها الناس إنه قد جاء مال كثير، فإن شئتم أن نكيل لكم كلنا، وإن شئتم أن نعد لكم عددنا، وإن شئتم أن نزن لكم، وَزَنَّا لَكُمْ)^(٥). وأكد أبو يوسف^(٦) والماوردي^(٧) أن هذه الأموال الكثيرة التي تدفقت إلى حاضرة الخلافة كانت من الأسباب الرئيسة التي أسهمت في الإقدام على المبادرة المالية الجريئة التي تم بموجبها إنشاء بيت المال في الدولة العربية الإسلامية. وكان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أعظم من ذلك. فقال: (والله لئن بقيت لياتين الراعي بجبل صنعاء حَظُّهُ من هذا المال وهو في مكانه قبل أن يحمّر وجهه)^(٨).

ويبدو أن الخليفة الفاروق رضي الله عنه قد تراءت أمامه آفاق المستقبل الزاهر لاقتصاد الدولة الذي ستعم مردوداته الإيجابية على جميع المواطنين، حتى لو كانوا في أقصى أقاليم الدولة البعيدة. لذلك قال: (أما والله لئن بقيت لأرامل أهل العراق لأدعهنَّ لا يفتقرن إلى أمير بعدي)^(٩). ولا ريب، فإن هذا القول يشير إلى كثرة موارد بيت المال، وإلى وجود أموال فائضة فيه. وفي الوقت نفسه يؤكد ثقة الخليفة العالية بأن موارد بيت المال ستكون كثيرة جدًا، وأن نفعها سيعم الجميع بدون استثناء، وبذلك سيحقق هذا النهج مآثرة عظيمة بتأكيدده على أن الأموال التي تصب في بيت المال سيكون لكل المسلمين بها نصيب^(١٠).

وذكر أن موارد بيت المال عن سواد العراق فقط في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغت مئة وعشرين مليون درهم^(١١). وجباه عبيدالله بن زياد مئة وخمسة وثلاثين مليون درهم، وكانت جباية سواد العراق في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز مئة وعشرين مليون درهم^(١٢). وقال الجهشياري: إن موارد بيت المال الكلية في عهد الخليفة هارون الرشيد (٥١٤, ٨٠٧, ٠٠٠ درهم)^(١٣). وذكر علي ابن عيسى الجراح أن موارد بيت المال سنة ٣٠٦هـ كانت (١٤, ٨٢٩, ٨٤٠ دينار)،

وأن مصروفات بيت المال بلغت في السنة نفسها (٣١٢, ١٤٨, ١٦ ديناراً)^(١٤).
وهنا نلاحظ وجود عجز مالي في موارد بيت المال بلغ حوالي مليوني دينار.
وعن طريق التوسط في الإنفاق، والتزام سبيل الاعتدال في الصرف إبان خلافة
أبي العباس السفاح، والمنصور، والمهدي، والرشيد وغيرهم، نشأ فائض في الثروة
نتج عن زيادة الأموال الواردة على بيت المال على ما يخرج منه. ففي هذا الشأن
ذكر ابن الزبير: أن الخليفة أبا العباس السفاح ترك حين توفي خمسة ملايين دينار
ومئتي مليون درهم عدا الأشياء العينية^(١٥). وخلف المنصور في بيت المال تسع
مئة ألف دينار وخمسين مليون درهم^(١٦). وقال ابن الزبير^(١٧): إن المنصور خلف
ست مئة مليون درهم، وأربعة عشر مليون دينار، ومات الخليفة المهدي وفي بيت
المال سبعة وعشرون مليون درهم^(١٨). وخلف الخليفة الرشيد في بيت المال تسع
مئة مليون درهم ونيف^(١٩)، وخلف المعتصم ثمانية ملايين دينار، وثمانية ملايين
درهم^(٢٠)، وتوفي الخليفة الواثق بالله وفي بيت المال من العين^(٢١) خمسة ملايين
دينار، ومن الورق^(٢٢) خمسة عشر مليون درهم^(٢٣). وقتل الخليفة المتوكل على الله
(ت ٢٤٧هـ) وفي بيت المال أربعة ملايين دينار وسبعة ملايين درهم^(٢٤). وقدرها
(ابن الزبير) بمليون دينار وخمسين مليون درهم^(٢٥). وخلف الخليفة المعتضد بالله
في بيت المال عشرة ملايين دينار^(٢٦). وترك الخليفة المكتفي بالله في بيت المال
حين وفاته ستة عشر مليون دينار وثلاثين مليون درهم^(٢٧). وقال الطبري: إنه خلف
خمسة عشر مليون دينار^(٢٨). إلا أننا نلاحظ حصول عجز مالي في موارد بيت
المال ومصروفاته منذ الربع الأول من القرن الرابع الهجري، وبخاصة في عهد
الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥ - ٣٢٠هـ) الذي كان جملة ما حصل في بيت المال
في عهده (٠٠٠, ٨٣٠, ٨٩ ديناراً)^(٢٩)، ومع ذلك قتل الخليفة ولم يكن في
بيت المال شيء يستحق الذكر^(٣٠).

وبجانب ذلك توجد حالات تقل فيها موارد بيت المال، نذكر منها:

أ- الدوافع السياسية: كان للدوافع السياسية أثر كبير في قلة موارد بيت المال، وقد باتت مؤثرات هذا الدافع منذ وقت مبكر من قيام الدولة. ففي هذا الصدد ذكر أبو يوسف أنه لاعتبارات سياسية اكتفى الرسول ﷺ بأخذ العشر من مستثمري الأراضي الزراعية القريبة من مكة، على الرغم من أن المسلمين دخلوها عنوة. غير أن النبي ﷺ رأى أن لا يغنم أموال قريش وممتلكاتهم^(٣١). وكان الرسول ﷺ قد ظهر على غير دار من مشركي العرب، مثل البحرين واليمامة وغيرها وترك أرضهم في أيديهم يدفعون عنها العشر^(٣٢). وكان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أضعف (ضعف) على بني تغلب الصدقة عوضاً عن الخراج والجزية^(٣٣). ففي الحالة الأولى التي اتخذها الرسول ﷺ تكون موارد بيت المال قد انخفضت أربعين في المئة عما يجب أن تكون. وأدى الإجراء الذي اتخذته الخليفة عمر رضي الله عنه في الحالة الثانية إلى انخفاض موارد بيت المال إلى ثلاثين في المئة.

واستهدفت سياسة الخليفة المهدي (١٥٨ - ١٦٩ هـ) التخفيف عن كاهل المواطنين وعدم ارهاقهم بالضرائب. ذلك أنه أجاز لوالي فارس أن يسقط الخراج على من يدفعه، كما وضع عنهم خراج الشجر. وكانوا يلزمون له خراجاً ثقيلاً^(٣٤).

وذكر الطبري أن الخليفة الرشيد وُضع عن أهل السواد العشر الذي كان يؤخذ منهم بعد النصف^(٣٥) سنة ١٧٢ هـ (٧٨٨ م)، وأن الخليفة المأمون حط ربع مقادير الخراج عن أهل الريّ حين بلغها منصرفاً من خراسان^(٣٦). وذكر الطبري أن المأمون أمر بمقاسمة أهل السواد على الخمسين بدل النصف سنة ٢٠٤ هـ (٨١٩ م)^(٣٧). وبدوافع سياسية، مع وجود مبررات اقتصادية، كان المسؤولون في الدولة يرفعون الخراج، كله أو جزءاً منه، عن دافعيه، فقد أشار ابن العمراني إلى أن الخليفة المعتضد بالله أمر برفع الخراج ثلاث سنوات عن صاحب مزرعة، لما علم أن بعض الجند قد تناولوا بعض ما في المزرعة وأخذوه^(٣٨).

ب- في حالة انتقال ملكية رقعة الأرض: ثمة حالات أخرى تقل فيها موارد بيت

المال، تأتي من حصول بيع، أو شراء، أو تأجير أو إعارة الأرض الزراعية. نذكر منها: إذا أسلم رجل من بني تغلب فعندئذ يدفع عن إنتاج أرضه عشر إنتاجها بعد أن كان ملزماً بدفع العشر المضاعف قبل إسلامه. وبذلك تنخفض نصف موارد هذا النوع من الأراضي. ومن المؤكد أن لبني تغلب أراضي زراعية واسعة كانت تعامل على هذا الأساس. قال يحيى بن آدم: إذا اشترى الذمي - عدا نصارى بني تغلب - أرضاً عشرية فليس عليه فيها عشر ولا خراج. وحجته في ذلك أنها تصبح بمنزلة الإبل والغنم السائبة يشتريها الذمي فليس عليه فيها شيء^(٣٩). فإذا حصلت مثل هذه الحال تقل موارد بيت المال لأن إيراد هذه الأراضي ينعدم. وتقل موارد بيت المال في حالة إسلام الذميين^(٤٠) عدا نصارى بني تغلب الذين لهم مع المسلمين عقد صلح، ولم يشيروا فيه إلى ما يوضع على أرضهم. فإن أرضهم تصبح أرضاً عشرية^(٤١). فبعد أن كان هاؤلاء يرفدون بيت المال بمبالغ كبيرة عن أرضهم ورؤوسهم، ترفع عنهم تلك المبالغ فيكتفى بأخذ عشر إنتاج أرضهم فقط.

وتقل موارد بيت المال في حالات المزارعة، فإذا أقدم رجل ذمي على زرع أرض رجل مسلم من أرض العشر. فإذا كانت المزارعة بالنصف، أو الثلث، فعلى المسلم في حصته العشر، أو نصف العشر، حسب طريقة السقي، إن بلغت حصته النصاب، والنصاب خمسة أوسق^(٤٢) فأكثر. وليس على الذمي شيء^(٤٣). والذي يعنينا في هذا الأمر أن حصة الذمي من إنتاج هذه الأرض قد تحول بين حصة المسلم وبين النصاب الذي يجب فيه العشر، وإذا تم هذا الأمر - ومن المحتمل أن يتم - فإن بيت المال سوف يُحرّم من مورد هذه الأرض.

وتتكرر حالة قلة موارد بيت المال إذا أعطى رجل مسلم أرضه بالمزارعة إلى رجل مسلم آخر على النصف أو الثلث، أو الربع، ففي هذه الحال يصبح العشر عليهما معاً لأنهما شريكان في إنتاج هذه الأرض الذي يوزع عليهما حسب النسبة المتفق عليها^(٤٤). والتوزيع الذي يحصل على إنتاج هذه الأرض قد يحول دون حصول

النصاب في حصة كل منهما. فلو فرضنا جدلاً أن هذه الأرض أنتجت تسعة أوسق. فتوزيع هذه التسعة أوسق عليهما حسب النسب المتفق عليها سوف يؤدي إلى عدم حصول النصاب عند كل منهما. أي سيحصل كل منهما أقل من خمسة أوسق^(٤٥).

أما في حالة تأجير الأرض العشرية البيضاء التي يمتلكها رجل مسلم، من قبل رجل ذمي بمبلغ معين من المال. فحينئذ ينعدم مورد بيت المال من مورد هذه الأرض، إذ ليس على أي منهما شيء مما أنتجته هذه الأرض، ذلك أن هذا المعاهد (الذمي) غير ملزم بدفع العشر، وليس على رب الأرض أن يزكي زرعاً لا يملكه، والأرض لذاتها لا تُزكى^(٤٦) وتنعدم موارد بيت المال في حالة إعارة صاحب الأرض العشرية أرضه إلى ذمي، فإن إنتاجها سيكون للذمي كله، وليس على الذمي أن يزكي زرعه، وليس على صاحب الأرض أن يزكي زرعاً لا يملكه^(٤٧) وكذلك الحال فيما إذا أعار صاحب الأرض العشرية أرضه إلى أكثر من مسلم واحد، فإن إنتاجها سوف يتوزع بين هاؤلاء، وقد لا تبلغ حصة كل منهم النصاب المقرر، فحينئذ لا يصيب بيت المال من إنتاج هذه الأرض شيء^(٤٨).

في حالات أهل الصلح: يقصد بأهل الصلح: الذين صالحهم المسلمون على أن يبقوا على دينهم السابق ويضرب عليهم مبلغ معين من المال يؤدونه عن أرضهم ورؤوسهم، وهو خراج يعامل معاملة الجزية. فإذا اعتنقوا الإسلام سقط عنهم هذا المبلغ. وأصبحت أرضهم أرض عشيرة^(٤٩). يفيدنا يحيى بن آدم في هذه المسألة حيث قال: كل أرض لأهل الكتاب من العرب أو العجم الذين تقبل منهم الجزية، إذا عقدوا الصلح مع المسلمين، فإذا لا يوجد في عقد الصلح فصل بين مقدار جزية الرأس، وخراج الأرض، بل أطلق عليهما إجمالاً (خراج) فمن أسلم منهم سقطت الجزية عن رأسه وتكون أرضه عشيرة. وإن مقدار ما يوضع على الرأس، وما يوضع على الأرض، فإن أسلم سقطت الجزية عن رأسه، وبقي الخراج على أرضه^(٥٠). وإن شاء تركها فيتولى الإمام التصرف بها^(٥١).

ويرى أبو عبيد: أن أرض الصلح لأهلها الذين صولحوا عليها، فهي ملك لهم. فإن أسلموا فأرضهم أرض عشر وكانوا كسائر المسلمين، ممن أسلموا فلهم ما للمسلمين^(٥٢) وقال قدامة بن جعفر: إن أهل الحجاز يرون: إذا أسلم رجل من أهل الصلح أخذ من إنتاج أرضه العشر. ويسوق لنا قدامة مثالا ويقول: لو أسلم أهل قبرص جميعهم، فإن أرضهم أرض عشرية، لأنها لم تؤخذ منهم، وإنما بقيت ملكهم^(٥٣). والذي يعيننا في هذا الأمر أن موارد بيت المال تقل أربعين في المئة في هذه الحال.

وثمة حالة أخرى تؤدي إلى انخفاض موارد بيت المال إن حصلت أن النهج الاقتصادي الإسلامي أكد أن ما صولح عليه أهل الصلح يبقى على ما هو، لا يزداد عليهم شيء^(٥٤). ولكن إن عجزوا عن دفع المقدار المحدد عليهم يخفق عنهم^(٥٥).

(للبحث صلة)

كلية الآداب - جامعة بغداد: الدكتور حمدان عبدالمجيد الكبيسي

الحواشي:

- (١) أبو يوسف، «الخراج» ص ٢٤ و ٤٥ - ٤٦ و ١١٠ - ١١١ (دار المعرفة للطباعة والنشر) بيروت ١٩٧٩
الماوردي، «الأحكام السلطانية»، ص ١٩٩ و ٢١٣ (دار الكتب العلمية) بيروت ١٩٧٨.
- (٢) قدامة، «الخراج»، ص ٣٦. أبو عبيد، «الأموال» ص ٢٤٠ وما بعدها (دار الكتب العلمية) بيروت ١٩٨٦
الماوردي، «الأحكام السلطانية» ص ٢٠٢ - ٢٠٣، الصايبي، «الوزراء» ص ١٥٨ (مطبعة الآباء اليسوعيين) بيروت ١٩٠٤.
- (٣) قدامة، «الخراج» ص ٣٦ (دار الحرية) بغداد ١٩٨١.
- (٤) الطبري، «تاريخ الرسل»، ج ٦، ص ٥٢٢ - ٥٢٣ (مطابع دار المعارف) القاهرة ١٩٦٦، الجهشياري محمد بن عبدوس «الوزراء» ص ٤٩ (مطبعة مصطفى البابي الحلبي) القاهرة ١٩٣٨.
- (٥) أبو يوسف، «الخراج» ص ٤٥.
- (٦) «الخراج» ص ٤٥.
- (٧) «الأحكام السلطانية» ص ١٩٩.
- (٨) أبو يوسف، «الخراج» ص ٤٦.
- (٩) أبو يوسف، «الخراج» ص ٣٧. ابن آدم، «الخراج» ص ٧٦ - ٧٧، ابن رجب الحنبلي «الاستخراج» ص ٦٢.
- (١٠) ابن آدم يحيى القرشي «الخراج» ص ٥ و ٧٦ (دار المعرفة للطباعة والنشر) بيروت ١٩٧٩.

- (١١) اليعقوبي، «تاريخ اليعقوبي»، ج ٢، ص ٢٢١ (مطبعة الفري) النجف ١٣٥٨ الماوردي، «الأحكام السلطانية» ص ١٧٥.
- (١٢) الماوردي، «الأحكام السلطانية»، ص ١٧٥ - ينظر ابن خرداذبة، «المسالك» ص ١٤ - ١٥ (مطبعة بريل) ليندن ١٨٩١ م، وابن رسته أحمد بن عمر «الأعلاق النفيسة» ص ١٠٥ (مطبعة بريل)، ابن حوقل محمد بن علي «صورة الأرض» ص ٢١١ (منشورات دار مكتبة الحياة) بيروت ١٩٧٩.
- (١٣) الجهشياري، «الوزراء» ص ٢٨١ - ٢٨٨.
- (١٤) قدامة، «الخراج» ص ١٦٧ - ١٦٨، الصابي، «رسوم دار الخلافة»، ص ٢١ - ٢٢ (مطبعة العاني) بغداد ١٩٦٤.
- (١٥) ابن الزبير «الذخائر والتحف»، ص ٢١٣.
- (١٦) ابن شاكر الكتبي، «قوات الوفيات» ج ١، ص ٤٨٧ (مطبعة السعادة) القاهرة ١٩٥١ م.
- (١٧) «الذخائر والتحف»، ص ٢١٣. (ينظر: الثعالبي، «لطائف المعارف» ص ١١٨ (دار إحياء الكتب العربية) مصر ١٩٦٠ م، المسعودي، «مروج الذهب»، ج ٣، ص ٣٧٦ (مطبعة دار الرجاء) مصر.
- (١٨) ابن الزبير، أحمد بن علي الغساني «الذخائر والتحف»، ص ٢١٣ (مطبعة الكويت) الكويت ١٩٥٩ م.
- (١٩) ق. م. مسكويه، «تجارب الأمم»، ج ١، ص ٢٣٨ (مطبعة شركة التمدن) مصر ١٩١٥.
- (٢٠) ابن الزبير، «الذخائر والتحف» ص ٢١٣، القلقشندي، «مآثر الأنافة» ج ٣، ص ٣٦٥ (مطبعة حكومة الكويت) الكويت ١٩٦٤.
- (٢١) العين: ما يضرب نقدًا من الدنانير الذهبية. (ينظر ابن منظور، «لسان العرب» (دار صادر) بيروت مادة عين). إبراهيم مصطفى وآخرون، «المعجم الوسيط» ج ٢، ص ٦٤٧.
- (٢٢) الورق: الدراهم الفضية. (ينظر: ابن ممتي، «قوانين الدواوين» ص ٣١٠ الكبيسي، «عصر الخليفة المقتدر بالله» ص ١٦٠) (مطبعة النعمان) النجف ١٩٧٤.
- (٢٣) ابن الزبير، «الذخائر والتحف» ص ٢١٨.
- (٢٤) المسعودي، «مروج الذهب» ج ٤، ص ١٤٨ (مطبعة دار الرجاء).
- (٢٥) ابن الزبير، «الذخائر والتحف» ص ٢١٨. (٢٦) ن. م. الصابي، «الوزراء» ص ٣١٧.
- (٢٧) ابن الزبير، «الذخائر والتحف» ص ١٢٠. مسكويه، «تجارب الأمم» ج ١، ص ٢٣٨.
- (٢٨) الطبري، «تاريخ الرسل والملوك» ج ١٠، ص ١٣٩. «غريب الصلة» ص ٢٢. ابن الجوزي عبدالرحمن ابن علي، «المنتظم» ج ٦، ص ٦٧ (مطبعة دائرة المعارف العثمانية) - الدكن ١٣٥٧ هـ -.
- (٢٩) مسكويه، «تجارب الأمم» ج ١، ص ٢٤١. «غريب الصلة» ص ١٨٤، ابن الجوزي، «المنتظم»، ج ٦، ص ٢٤٣.

- (٣٠) مسكويه، «تجارب الأمم»، ج ١، ص ٢٣٦.
- (٣١) أبو يوسف، «الخراج»، ص ٥٨، ٦٨. قدامة، «الخراج»، ص ٩٧. ابن رجب الحنبلي، «الاستخراج»، ص ٣٠.
- (٣٢) أبو يوسف، «الخراج»، ص ٥٨ - ٥٩ و ٦٨. (٣٣) أبو يوسف «الخراج» ص ٦٧.
- (٣٤) الجهشيارى، «الوزراء» ص ١٥١. (٣٥) الطبري، «تاريخ الرسل» ج ٨، ص ٢٣٦.
- (٣٦) الجهشيارى، «الوزراء» ص ٢٧٩. (ينظر: الطبري، «تاريخ الرسل»، ج ٨، ص ٥٦٨).
- (٣٧) الطبري، «تاريخ الرسل»، ج ٨، ص ٥٧٦، ابن الأثير، «الكامل» ج ٥، ص ١٦٩ (دار الكتاب العربي) بيروت
ابن الطقطقي، «المغري في الآداب السلطانية» ص ١٦٢ (دار بيروت للطباعة والنشر) بيروت ١٩٩٦ م.
- (٣٨) ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد، «الإنشاء في تاريخ الخلفاء» (ليدن، ١٩٧٢)، ص ١٤٢ (مطبعة
بريل) ليدن ١٩٧٢.
- (٣٩) ابن آدم، «الخراج» ص ٣٠، أبو عبيد، «الأموال»، ص ١٦٥.
- (٤٠) أبو يوسف، «الخراج»، ص ٨٦.
- (٤١) ابن آدم، «الخراج»، ص ٣٠ قدامة، «الخراج»، ص ٢٢٠.
- (٤٢) الأوسق: مكيال يساوي ستين صاعًا بصاع النبي ﷺ والصاع خمسة أرتال وثلث. (ينظر: أبو يوسف،
«الخراج»، ص ٥٣. ابن آدم، «الخراج»، ص ١٣٩).
- (٤٣) ابن آدم، «الخراج»، ص ٣٠، ١٧٠، (ينظر: أبو يوسف، «الخراج»، ص ٨٨ - ٨٩).
- (٤٤) ابن آدم «الخراج»، ص ١٧١، (ينظر: أبو يوسف «الخراج»، ص ٨٨ - ٨٩).
- (٤٥) عن الموسق ومقراه ينظر: ابن آدم، «الخراج»، ص ٢٤ و ١١٣ و ١١٥ و ١٣٥ و ١٣٩.
- (٤٦) ابن آدم، «الخراج»، ص ٣٠ و ١٧٠ و ١٧١. أبو عبيد، «الأموال» ص ١٠٠.
- (٤٧) ابن آدم، «الخراج»، ص ٣٠، و ١٧٠. (٤٨) ابن آدم، «الخراج»، ص ١٧١.
- (٤٩) ابن آدم، «الخراج»، ص ٢١ و ٣٠، قدامه، «الخراج»، ص ٢١١. الماوردي «الأحكام السلطانية»، ص
(٣٨). أبو يعلى، «الأحكام السلطانية»، ص ١٣٣ (مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة ١٣٥٧). ابن
رجب الحنبلي: عبدالرحمن «الاستخراج»، ص ١١ (دار المعرفة للطباعة والنشر) بيروت ١٩٧٩ م.
- (٥٠) ابن آدم، «الخراج»، ص ٢٧. (٥١) ن. م، ص ٢٢.
- (٥٢) أبو عبيد، «الأموال»، ص ١٧١. (٥٣) قدامة، «الخراج»، ص ٢١٠.
- (٥٤) ابن آدم، «الخراج»، ص ٢١. أبو عبيد، «الأموال»، ص ٦٠، قدامة، «الخراج»، ص ٢٤٩.
- (٥٥) أبو يوسف، «الخراج»، ص ٦٣، ٦٩، ابن آدم «الخراج»، ص ٢١ و ٢٣. أبو عبيد، «الأموال»، ص ١٥٧.
ابن زنجويه حميد، «الأموال»، ج ١، ص ١٨٧ (مطبعة ساسط) بيروت ١٩٨٦.

عبدالله بن سبرة الحَرَشِيّ: أخباره وشعره

[انظر «العرب» ص ٢٤، ص ١١٤]

عبدالله بن سبرة الحَرَشِيّ^(١) القَيْسِيّ^(٢)، والحَرَشِيّ (بفتح الحاء المهملة والراء في آخرها الشين المعجمة منسوب إلى جده) الحَرِيث بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن قيس عيلان^(٣). وليس كما نسبته بعض المصادر إلى (حرش) (موضع باليمن)^(٤)، أو كما أخطأت المصادر الأخرى إذ وَسَمَتْهُ بـ(الجَرَشِيّ)^(٥)، وقالوا: إِنَّ (جُرَش) (موضع باليمن)، وهذا تصحيف ظاهر.

وقد أحصى العسقلاني في «الإصابة» ممن هم باسم (عبدالله بن سبرة) فكانوا

١ - عبدالله بن سبرة الجهني.

٢ - عبدالله بن سبرة الهمداني.

٣ - عبدالله بن سبرة القرشي.

٤ - عبدالله بن سبرة الجَرَشِيّ. والأولان راويتا حديث^(٦)، والثالث قال عنه ابن

جَبَّان: (له صحبة)^(٧)، أما شاعرنا فقد ذكره في موضعين آخرين من كتابه. وقال

عنه: (له صحبة وشهد الفتح في بدء الإسلام)^(٨).

والحَرَشِيّ، شاعر، فارس، إسلامي، هو أحد الفتاك في الإسلام، شهد الجسر في

فتح العراق، وقد ذكره المرزباني في ترجمته قائلاً: (لم يعرف عن حاله شيء)^(٩).

ولم تذكر الأخبار شيئاً عن ولادته أو وفاته أو أهله أو عقبه إلا أن بيتاً من أشعاره

يخاطب به يزيد بن معاوية^(١٠) يدلّك أنه أدرك عهده. وتروي المصادر أنّ للشاعر

سيفاً سماه (المُزْعِف)، وله فيه بيت شعر^(١١).

إنّ ما وصل إلينا من أخباره قليل جداً، وأقدمها مؤرّخ في السنة الخامسة عشرة

للهجرة، إذ بارز أطربون الروم في إحدى الحروب بين العرب والروم في موقعة

(خلطاس)، وأن جميع أخباره حدثت في الشام، مما يدل على أن الشاعر عاش

حياته في تلك البقاع.

أمّا شعره وبالرغم من قلّته، فهو يمثل نموذجاً للفتوة والفروسية والصلابة من

جهة، والغيرة على القيم والمبادئ الإسلامية من جهة أخرى.

فالشاعر في شعره، مصوّر بارع في استلهام الحدث، وسوقه مشهدًا متحركًا مليئًا بالصور المعبرة عن الأحداث بصورة حسّية، أقرب إلى التمثيل من خلال طرحه لمعاناته بعيدًا عن الإحساس بالرهبة أو الخوف. وفي عينيته الرائعة، التي يرثي فيها يده بعد أن قطع أصابعًا منها أطربونُ الروم تاركًا أصل كَفِّه المشاهد المؤثرة، والصور الناطقة، ومما يجدر ذكره أنّ رثاء الأعضاء قد كثر في تلك الفترة إلى حد كبير بسبب الحروب التي لم تهدأ، على نحو ما فعّل أخو بني كاهل حين قُطعت رجله، ومثله عياض بن قيس القشيري الذي يعرف بـ (ناشد رجله) وعِلباء العجلي الذي خرجت أمعاؤه في حربه مع فارس وعلقمة بن الأرت الذي ذكر ما طاح من أعضائه في حربه مع الروم^(١٢).

ولقد تمكنت من جَمْع شعره من المصادر المختلفة، خدمة لتراثنا الخالد. مقدمًا جهدي المتواضع للأخ الأستاذ عباس هاني الجراح، تحية تقدير وامتنان.

أخباره: ١ - (١٣) كانت امرأة من قيس في بعض مدائن الشام، فعرض لها فتى من المتعربة، فجعل يخطبها في العلانية، ويرودها في السر، فمرّ الناس يأخذون أعطيّاتهم، فأرسلت المرأة جاريتها إلى الخان، فقالت: انظري هل ترين في الخان أحدًا من قيس. فقالت الجارية: أها هنا رجل من قيس؟ فقال لها عبدالله بن سبرة: ما حاجتك؟ قالت: مولاتي امرأة من قيس وهي تريدك، فسار معها إليها، فأخبرته خبر الفتى. فقال لها: أنا أكفيكه إن شاء الله، فأعلميه أنّك قد جعلت أمرك إليّ. ففعلت، ودخل الفتى معه إلى البيت، فضربه عبدالله بسيفه فقتله، وقال للجارية: احفري معي، فحفرت. فلما فرغت من الحفر، وثبّ على الجارية فقتلها وطرحتها مع الفتى في الحفرة ودفنها، فصاحت المرأة، فقال: اسكتي، فإن لم تسكتي هلكننا جميعًا، وخرج فمضى إلى أصحابه وأخذ نفقاتهم، وبعث بها إلى المرأة وقال: اشتري بهذا خادمًا لم تعلم ما في بيتك، وكانت الدنانير سبعين دينارًا. ويقال في حديث آخر أن هذه المرأة كانت من بني سليم وكانت تذكر بالجمال. وكان عامل القرية التي هي فيها قد سامها نفسها وألحّ عليها. فلم تأمنه

فَبَعَثَتْ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَبْرَةَ وَهُوَ بَدَائِقُ، فَقَالَ لَهَا: أَجِيبِيهِ وَاسْتِزِيرِيهِ. فَفَعَلَتْ وَكَمَنَ
عَبْدُ اللَّهِ فِي بَيْتِهَا حَتَّى فَعَلَ بِهِ مَا فَعَلَ، وَقَالَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي مَطَّلَعَهَا:

أَتَنِي عَشَاءَ مَا أَلَامَ مَجِيئُهَا مَقْنَعَةٌ عَنْهَا أَخُو النَّصْحِ شَابِعُ

٢- (١٤) اجتمع الناس بدابق يتجهزون لغزو الروم، فجلس ابن سبرة إلى بزاز
عراقي يتتبع منه ثياباً، فذكر البزاز أبا بكر وعمر وعثمان، فنال منهم، فزجره ابن
سبرة، وقال: أقبل على أمرك ودع مالا يعينك. فلم ينته عن قوله. فتناول عبدالله من
الصياقلة سيفاً فقتله به وركب فرسه، فلحق بأهله وقال قصيدته التي مطلعها:

لَقَدْ خَزِي الْعِلْجُ اللَّثِيمَةُ أُمُّهُ وَعَايِنَ مِنِّي وَقَعَ صَلْبَ الْمَصَادِقِ

٣- (١٥) كان رجل عطار يقال له فيروز بجسر منبج، فبلغ عبدالله بن سبرة، أنه
غمز امرأة من قيس، فصاحت: يا عبدالله بن سبرة: وكان عبدالله إذ ذاك بأرمينية،
فلما بلغه الحديث وما قالتها المرأة. قال: لبيك!! وأقبل حتى وافى جسر منبج،
فقتل العطار، ورجع إلى أرمينية، فأخذ بالعطار غير واحد، حتى علموا أن عبدالله
قتله، فحبس عبدالله بأرمينية، فقال قصيدته التي مطلعها:

إِنَّ الْمَنَايَا لَفِيروزَ لِمَعْرُضَةٍ يَغْتَالُهُ الْبَحْرُ أَوْ يَغْتَالُهُ الْأَسَدُ

٤- (١٦) كان رجل من الروم، يقال له سعد الطلائع، يأتي صاحب الصوائف
(وهم الغزاة أيام الصيف). فيقول له: ابعث معي جنداً أدلهم على عورات الروم،
فيتوغل بهم، وقد جعل لهم كميناً من الروم فيقتلون. فقال ذات يوم لصاحب
الصائفة: ابعث معي رجلاً من أصحابك فإني قد عرفت غرة لهم، فانتدب عبدالله
ابن سبرة، ومضى مع الرجل حتى إذا انتهى إلى غيضة. قال لعبدالله: ادخل، فقال
له عبدالله: أنا الدليل أم أنت؟ فأبى، وعرف عبدالله ما أراد فقتله، فخرج عليه
بطريق من بطارتهم، فاختلف هو وعبدالله بضربتين، فضربه عبدالله فقتله وضربه
الرومي فقطع أصبعيه ثم رجع.

شعره: ١- قال عبدالله بن سبرة الحرشي: (الطويل)

١- إذا شالت الجوزاء والنجم طالعُ فكلُّ مخاضاتِ الفراتِ معابرُ

٢- وإني إذا ضنَّ الأميرُ بإذنيه على الإذنِ من نفسي إذا شئتُ قادرُ

المفردات: شالت: ارتفعت؛ النجم: يريد به الثريا؛ طالع: وقت الغداة؛ مخاضات: جمع مخاضة: ماجاز الناس فيه مشاة أو ركباناً، ضنَّ: يبخل.

التخريج: «الحماسة» (عسيلان) ٢٥٩/١ «الحماسة» بتفسير ابن فارس ١٥٣ - ١٥٤ «الحماسة» بشرح المرزوقي ٤٨٣/٢ «الحماسة» شرح الفسري الورقة ٤٤٤ «الحماسة» شرح التبريزي ١٩/٢ - ٢٠ «الحماسة» برواية الجواليقي ١٤١، «الحماسة البصرية» ٧/١ وفيها (ويروى كذلك للأغر بن عبدالله البشكري)؛ «المؤتلف والمختلف» ٤٨ (البيت الثاني) (للأغر بن عبدالله بن الحرث)؛ «التذكرة السعدية» ١٠٢ «الأغاني» ١٠١/٢ (البيت الثاني) (للأغر بن حماد البشكري)؛ «اللسان» مادة (أذن) (البيت الثاني) (للأغر بن عبدالله بن الحرث).

٢- وقال ابن سبرة الحرشي: (البيسط)

١- إنَّ المنايا لفيروز لمُعْرِضَةٌ يَغْتَالُهُ الْبَحْرُ أَوْ يَغْتَالُهُ الْأَسَدُ

٢- أَوْ عَقْرُبٌ أَوْ شَجَى فِي الْحَلْقِ مَعْتَرِضٌ أَوْ حِيَّةٌ فِي أَعَالِي مَتْنِهَا رُبْدٌ

٣- أَوْ جَرْمَقِيَّانِ بَاتَا يَرْطَنَانِ لَهُ أَدْنَى دِيَارِهِمُ الْحَصْنَانِ أَوْ بَلَدٌ

٤- أَوْ مَضْمَرٌ الْغَيْظِ لَمْ يَعْلَمْ بِإِخْتِيهِ مِمَّا تُجْمَعُ فِي حَيْزُومِهِ أَحَدٌ

المفردات: رُبْد: جمع رُبْدَة (بسكون الباء): الغبرة؛ الجرامقة: قوم كانوا يسكنون الموصل؛ الحصنان تثنية حصن، موضع والنسب إليه حِصْنِي، الإحنة: الحقد؛ تجمجم: يقال (تجمجم) إذا لم يُبَيَّن، واستعير في ذلك، فقيل (تجمجم عن الأمر) إذا لم يُقَدِّم عليه؛ الحيزوم: الصدر.

التخريج: «المحبر» ٢٢٤ - ٢٢٥ «المعرب» ٢٤٧ (الآيات ١، ٢، ٤)؛ «معجم ما استعجم» ٤٥٢/٢ (البيت الثالث).

٣- وقال: (الكامل).

١- شَتَّانَ عِنْدِي مَنْ أُصِيبَ بِلِدَةٍ يَهْوِي إِلَيَّ وَمَنْ أُصِيبَ مَجَاوِرِي

٢- إِنَّ الْمَصَابَ إِذَا أُصِيبَ بِلِدَةٍ يَهْوِي إِلَيَّ كَجَارِ بَيْتِي الْحَاضِرِ

٣- قَالَتْ هَوَازُنُ وَالْخَطُوبُ كَثِيرَةٌ: مَا ذَنْبُ قَوْمِكَ فِي الْقَتِيلِ الزَّائِرِ؟

٤- فَكَفَيْتَ قَوْمَكَ عَقْلَهُ وَوَدَيْتَهُ وَسَنَنْتَ ذَلِكَ سَنَةً فِي عَامِرِ

المفردات: ودي: وذِيًا وِدِيَّةً، القاتل أو أحد ذوي القاتل.

التخريج: «الزهرة» ٢/ ٦٥٤ - ٦٥٥.

٤- وقال عبدالله بن سبرة الحَرَشِيّ: (الطويل)

- ١- أَتَنِي عِشَاءَ مَا أَلَامَ مَجِيئَهَا
- ٢- لِأَدْفَعُ عَنْهَا ضِئْبًا لَمْضَمِّئَلَةً
- ٣- فَلَمَّا أَمَّتْ الخوفُ مِنْهَا تَبَادَرَتْ
- ٤- بِكِئَاءٍ عَلَى مَمْلُوكِيَةٍ هَلَكَتْ لَهَا
- ٥- فَكَلْتُ لَهَا: لَا تَجْزِعِي إِنَّ سِرَّنَا
- ٦- أَرَحْتُكَ مِنْ خَوْفٍ، وَذُو الْعَرْشِ مَخْلَفٌ
- ٧- وَهَذَا لَكُمْ سَبْعُونَ أَوْسًا مَكَانَهَا
- ٨- فَبَعْدًا لَهُ مَيْتًا وَلَا بُعْدَ لَلَّتِي

المفردات: الضئيل: الداهية؛ المضمئلة: الداهية.

التخريج: «المحبر» ٢٢٣ - ٢٢٤.

٥- وقال: (البيسط).

- ١- قَدْ سَادَ وَهُوَ فَتَى حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ أَشُدَّهُ، وَعَلَا فِي الْأَمْرِ وَاجْتَمَعَا

التخريج: «تهذيب اللغة» ١/ ٤٠١ و ١١/ ٢٢٦ و «اللسان» مادة (جمع) ومادة (شدد). بلا عزر.

٦- وقال: (البيسط).

- ١- عَلَوْتُ بِالْمُرْعَفِ الْمَأْثُورِ هَامَتُهُ فَمَا اسْتَجَابَ لِدَاعِيهِ وَقَدْ سَمِعَا

المفردات: المرعف: اسم سيف للشاعر، وسيف مرعف: لا يُطْنِي.

التخريج: «تهذيب اللغة» ٢/ ١١٤٥ «العباب الزاخر واللباب الفاخر» (حرف الفاء) ٢٢٤٢ «اللسان» مادة

(زعف).

٧- وقال: (السريع).

إِلَّا نَيْمِ الْبُؤْمِ وَالضُّوْعَا!

المفردات: التثيم: الصوت الضعيف، وهو أهون من الزئير، الضجج: طائر من طيور الليل.

التخريج: «تهذيب اللغة» ١٥ / ٥٠٨.

٨- وقال عبدالله بن سبرة الحَرَشِيّ: (البيسط).

- ١- وَيَلُّ أُمَّ جَارٍ غَدَاةَ الرَّوْعِ فَارَقَنِي
- ٢- يُمْنِي يَدِيَّ غَدْتُ مَنِّي مَفَارِقَةً
- ٣- وَمَا ضَنْنْتُ عَلَيْهَا أَنْ أَصَاحِبَهَا
- ٤- وَقَائِلُ غَابَ عَن شَأْنِي وَقَائِلِي:
- ٥- وَكَيْفَ أَرْكَبُهُ يَسْعَى بِمُنْصَلِيهِ
- ٦- مَا كَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الرَّوْعِ مِنْ خَلْقِي
- ٧- وَيَلُّ أُمَّهُ فَارِسًا أَجَلْتُ عَشِيرَتَهُ
- ٨- يَمْشِي إِلَى مَسْتَمِيَّتٍ مِثْلَهُ بَطْلِي
- ٩- كُلُّ يَنْوُؤٍ بِمَاضِي الْحَدِّ ذِي شَطْبِي
- ١٠- حَاسِيَتُهُ الْمَوْتِ حَتَّى اشْتَفَّ آخِرُهُ
- ١١- كَانَ لِمَتِّهِ هُدَابٌ مُخْمَلَةٌ
- ١٢- فَإِنَّ يَكُنْ أَطْرِبُونَ الرَّومَ قَطَعَهَا
- ١٣- وَإِنْ يَكُنْ أَطْرِبُونَ الرَّومَ قَطَعَهَا
- ١٤- بِنَانَتَيْنِ وَجُدْمُورًا أَقِيمَ بِهَا

المفردات: فلتاس: موضع ببلاد الروم، والصواب (جَلْطَاس) (بكسر أوله واسكان ثانيه)؛ مِنْقَل: السيف؛

اكتنح: دنا؛ امتنع: بَعُد؛ الشطب: طرائق السيف في المتن؛ الصياقل: جمع صيقل، مَنْ صَنَعْتَهُ صَقَلَ السَّيْفُ؛ دُرِّيَّة: تلالؤه وإشراقه؛ الطبعا: الوسخ الشديد من الصدأ؛ حاسيته: ساقيته؛ الهداب: الخيوط التي تبقى في طرفي الثوب من عرضيه، المخملة: نسيج له خمل؛ أي وبره أحمر أزرق: نعت للرومي؛ لم يشمط: أي لم يختلط سواد شعره بشيب كثير؛ أطربون: البطريق، كلمة رومية تعني (المقدم في الحرب)، وقال ابن سيده: (هو الرئيس من الروم)؛ الجدمور: الأصل (أصل الأصبع)، ويقال أخذت الشيء بجداميره، أي بأصوله.

التخريج: «عيون الأخبار» ١/١٩٢؛ «الوحشيات» ٢٥ - ٢٦؛ «أماي القالي» ١/٧٣ - ٧٤؛ «الإصابة» ٥/٦٠ (الآيات ١، ٢، ٤، ٧، ٨، ١٠، ١٣)؛ «الضائع من معجم الشعراء» ٩٢ - ٩٣ (الآيات ٢، ٧، ٨، ١٢)؛ «المعرب» ٢٦ (البيتان ١٢، ١٣)؛ «تهذيب اللغة» ١١/٢٤٧ (البيت ١٤)؛ «الخصائص» ٣/٢١٦ (البيت ١٣)؛ «معجم ما استعجم» ٢/٧٠٨ (البيت الثاني)؛ «عمدة الحافظ» ٧٤٩ (البيت الأول)؛ «التنبيه على أوهام أبي علي» ٣٢ - ٣٣ (الآيات ١، ١١، ١٢، ١٣، ١٤)؛ «اللسان» المواد (درر) (جذمر) (شغف) (أطرين)؛ «تاريخ الطبري» ٣/٦١٢ (الآيات ١٢، ١٣، ١٤)؛ «الكامل» (ابن الأثير) ٢/٣٤٩ (البيتان ١٣، ١٤)؛ «لضريس القيسي».

اختلاف الروايات: في «عيون الأخبار» ١/١٩٢:

البيت (١): (غداة الجسر) بدلاً من (غداة الروع)؛ و (أعزز) بدلاً من (أهون). البيت (٢): (خلطاس) بدلاً من (فلطاس).

البيت (٤): (آلا) بدلاً من (هلا).

البيت (٥): (أتركه) بدلاً من (اركه)، و (يمشي) بدلاً من (يسمى) و (أجبن) بدلاً من (أعجز).

البيت (٧): (ولت كتيبته) بدلاً من (أجلت عشيرته).

البيت (٨): (مكنّا) بدلاً من (أمكنا).

البيت (٩): (دُرِّيَّة) بدلاً من (ذريّة).

البيت (١٠): (حاشيته) بدلاً من (حاسيته) و (ماجزعا) بدلاً من (ولا جزعا).

البيت (١١): (أحمر) بدلاً من (أحم). البيت (١٤): (بناتان وجدمو) بالرفع بدلاً من (المنصب).

في «الوحشيات» ٢٥ - ٢٦: البيت (١): (غداة الجسر) بدلاً من (غداة الروع) و (أعزز) بدلاً من (أهون) و (فأنصدعا) بدلاً من (فأنقطعا).

البيت (٢): (خلطاس) بدلاً من (فلطاس).

البيت (٥): (فكيف أتركه يمشي بمنصله) بدلاً من (وكيف أركبه يسمى بمنصله) و (وأجبن) بدلاً من (وأعجز).

البيت (٦): (وان تقارب) بدلاً من (ولو تقارب).

البيت (٧): (ولت كتيبته) بدلاً من (أجلت عشيرته).

البيت (٨): (إذا ما على) بدلاً من (إذا ما أمكنا).

البيت (٩): (درية) بدلاً من (ذرية).

البيت (١٠): (أستف) بدلاً من (أشتف).

البيت (١١) (حُمته) بدلاً من (لمته).

البيت (١٢): (بناتان وجدومور) بالرفع بدلًا من النصب.

في «الإصابة» ٧٠ / ٥: البيت (٧): (أخلف) بدلًا من (أجلت).

البيت (٨): (مستجيب) بدلًا من (مستमित) و (أقطعها) بدلًا من (امتصعا).

البيت (١٠): (فأشفه الموت) بدلًا من (حاسيته الموت).

البيت (١٣): (بحرم الله) بدلًا من (بحمد الله).

في «تهذيب اللغة» ٢٤٧ / ١: البيت (١٤): بناتان وجدومور أقيم به صدر القناة إذا ما صارخ فزعًا

في «التنبيه» ٣٢ - ٣٣: البيت (١١): (لم يُنشط) بدلًا من (لم يُشمتط) و (أزرق أحمر) بدلًا من (أحم أزرق)، في:

«الضائع من معجم الشعراء» ٩٢ - ٩٣: البيت (٨): (مثله حتى) بدلًا من (مثله بطل) و (قطعا) بدلًا من (امتصعا).

في «اللسان»: البيت (٦): روى عجزه: (عَضِبَ جَلَا الْقَيْئُ عَنْ دَرِيَةِ الطَّبْعَا) يقول ويروى دريته يعني فرنده.

البيت (١٠): (ضرعًا) بدلًا من (جزعا).

البيت (١٤): (بناتان وجدومور) بالرفع بدلًا من النصب.

في «الكامل» ٣٤٩ / ٢: البيت (١٣) (أفسدها) بدلًا من (قطعها).

البيتان (١٢، ١٣) وردت لفظة (أرطبون) بدلًا من (أطربون).

في «تاريخ الطبري» ٦١٢ / ٣: البيت (١٣) (أفسدها) بدلًا من (قطعها).

البيت (١٢ و ١٣) وردت لفظة (أرطبون) بدلًا من (أطربون).

البيت (١٤) (بناتان وجدومور) بالرفع بدلًا من النصب و (به) بدلًا من (بها).

٩ - وقال عبد الله بن سبرة الحرشي: (الطويل).

١ - لقد خزي العليج اللثيمة أمه

٢ - أتيناها لا نبغي المرآء فهاجنا

٣ - تناول عثمان بن عفان ظالمًا

٤ - ونال أبا حفص ويالك حطّة

٥ - فقلت له: مهلاً لك الويل لا تحن

٦ - وأعلو بذئ أثر طرير ذبابه

٧ - فغادرته في السوق يكبو بوجهه

المفردات: العليج: الرجل الشديد الغليظ؛ البواثق: المصائب؛ المائق: الأحمق؛ الحنق: الغضب؛ مرج دابق: موضع في سورية الشمالية بين منبج وأنطاكية على نهر قويق.
التخريج: «المحبر» ٢٢٦.

١٠ - وقال: (الطويل).

١ - وكم عاجمٍ عودي أضَرَ بنايهِ مذاقي ففي نايِّهِ فَرُضَ فلُولِ
المفردات: عاجم: (عجم عوده): جَرَب أمره وخبر حاله؛ الفلول: ما تساقط من الشيء وتناثر كبرادة الحديد وشرر النار.

التخريج: «العين» مادة (عجم).

١١ - وقال: (الطويل).

١ - وإن يبغ ذا وُدِّي أحيي أَسع مُخْلِصًا ويأبى فلا يعيا عليَّ حَوِيلِي
المفردات: الحويل: جودة النظر والقدرة على التصرف وهي الحيلة.

التخريج: «الخصائص» ٢٨/٣.

١٢ - وقال: (البيسط).

١ - إن أَلْبِ الطَّعَنَ فالطاعون يرصدني كيفَ البقاءِ على طَعْنٍ وطاعونٍ؟
التخريج: «الإصابة» ٦٠/٥.

١٣ - وقال يخاطبُ يزيدَ بن معاوية: (الطويل)

١ - تجاوَزَ بحلمٍ منك عَنِّي بِهِدِهِ لك الخيْرُ وانظُرْ بعد كيفَ تكونُ
التخريج: «الإصابة» ٦٠/٥.

المنسوبُ لهُ:

١ - وكنا فوارس يوم الهري - سر إذ مالَ سرجُكَ فاستقدما

٢ - عطفنا وراءك أفراسنا - وقد أسلم الشفتان الفما

تفرّد البكريُّ في «سمط اللّالي» ص (١٢٦) فنَسَبَ البيتين لعبدالله بن سبرة، بينما تنسبهما المصادر مع أربعة أبيات أخرى للربيع بن زياد العبسي كما في:

«الحماسة» (عسيلان) ٢٦٠ / ١ و «النقائض» ١٠٤ / ١، و «الحماسة» بشرح المزروقي ٢ / ٤٨٥ - ٤٨٧، و «أمثال الضبي» ١٠٤ - ١٠٥ وغيرها، وأشار الميمني في تعليقه: إن هذا غلط منه (البكري) سببه أنها في «الحماسة» ٢ / ٢٣ من أبيات للربيع بن زياد العبسي يتقدمها بيتان لعبدالله بن سبرة، فوقع بَصْرَه على هذا دون ذلك. انتهى. وبذلك يمكن الجزم بأن هذين البيتين للربيع العبسي لا لعبدالله بن سبرة، والربيع بن زياد العبسي، شاعر جاهلي، شهد أحداث يوم داحس والغبراء.

سعد الحداد

الحلّة - كلية التربية - جامعة بابل - العراق

الحواشي:

(١) «الأمالي» ١ / ٧٣ و «سمط اللالي» و «المعارف» ٤٣ و «المحبر» ٢١٣ و «شرح الحماسة» للتبريزي ١ / ١٨٥، و «شرح الحماسة» للمرصفي ١ / ٥٥ و «الحماسة البصرية» ١ / ٧ و «المعرب» ٧٤ و «الاشتقاق» ١٣١ وغيرها.

(٢) «سمط اللالي» ١٩٢. (٣) «الأنساب» للسمعاني ٤ / ١٢١.

(٤) يُنظر: «المعرب» (ط ٢) تعليق أحمد محمد شاكر ص ٧٤ حاشية ٥.

(٥) «العين» ٦ / ٣٥، و «الإصابة» ٥ / ٩٢، و «تفسير ابن فارس» ١٥٣ و «شرح الحماسة» للمزروقي ٢ / ٤٨٣، و «الضائع من معجم الشعراء» للمرزباني ٩٢.

(٦) «الإصابة» ٤ / ٧٥، و «أسد الغابة» ٢٥٥.

(٧) «الإصابة» ٤ / ٧٥. (٨) «الإصابة» ٥ / ٦٠ و ٥ / ٩٢.

(٩) نقلًا عن «الإصابة» ٥ / ٩٢. (١٠) «الإصابة» ٥ / ٦٠.

(١١) «تهذيب اللغة» ٢ / ١٤٥ مادة (زغف).

(١٢) «دراسات في النص الشعري» عبادة بدوي ٦١.

(١٣) «المحبر» ٢٢٣.

(١٤) المصدر السابق ٢٢٥.

(١٥) المصدر السابق ٢٢٤ - ٢٢٥ و «الإصابة» ٥ / ٩٢، «المعرب» ٢٤٦ - ٢٤٧ مع بعض الاختلاف.

(١٦) «الحماسة» بشرح المزروقي ٢ / ٤٨٣، «الحماسة» بشرح التبريزي ١ / ١٨٥ - ١٨٦، «سمط اللالي» ١٩٢ - ١٩٣ مع بعض الاختلاف.

«التعليقات والنوادر»

إضافات وإضافات في نشر الشعر وتحقيقه

في س ٣٢، ص ٢٣٥ من مجلة «العرب» نشرنا ملاحظات نقدية على كتاب «التعليقات والنوادر» لأبي علي الهجري، الذي نشره الشيخ المفصل حمد الجاسر نشرًا علمية دقيقة، في أربعة أجزاء ضخمة.

ولقد كانت جل ملاحظتنا على الشعر الذي أورده الهجري، مع التنبيه إلى نشره وتحقيقه، واسم المحقق، ومكان النشر وسنته، وهي معلومات فهرسية (ببليوجرافية) مهمة لم أكن لأذكرها لولا أنني رأيتُ الشيخ حمد الجاسر يذكر محققي قسم من الشعراء في هوامش كتاب «التعليقات والنوادر»، ورجع إلى تلك الدواوين المحققة على أصول مخطوطة أو المصنوعة حديثًا.

ولقد كانت المعلومات (الببليوجرافية) هذا، مدار اهتمامنا منذ زمنٍ طويل، إذ استدركنا على عددٍ من المحققين والمؤلفين في أشياء فاتتهم، ولعل الاهتمام بها أمر مطلوب، وضروري كي لا يتكرر نشر عملٍ ما أكثر من مرة.. وقد حَدَثَ هذا للأسف الشديد.

ثم كان أن شرفني المرحوم الدكتور علي جواد الطاهر - عطر الله جدته - بمشاركته في تأليف كتابٍ بعنوان «نشر الشعر وتحقيقه في العراق»، وهو كتاب يبيّن جهود العراقيين في نشر الشعر وتحقيقه ونقده وعرضه والاستدراك على أعمالهم أو أعمال الآخرين.

لذلك كان ما نشرته في «العرب» هو إضافة وتتمة متواضعة لحواشي الكتاب، ثم بدالي أن أنظر إلى ما أورده، فتبينَ أنني قد أخطأتُ في إيراد اسمي شاعرين، ثم تجمّعت لدي أسماء شعراء لهم أعمال محققة أخرى، لذلك رأيتُ أن أذكر كل ذلك مفصلاً ليكون تتمه لعملِي السابق. وهو على النحو الآتي:

- ص ٢٣٦ من المجلة: الفقرة ١٦ - القطامي.

قلت: يُصحح إلى: المثقب العبدِي، ويُضافُ إليه: وهناك طبعة أخرى من

«ديوان المثقّب العبديّ» بتحقيق حسن كامل الصّيرفي، بالقاهرة، وللدكتور إبراهيم السامرائي ملاحظات عليها في كتابه: «مع المصادر في اللغة والأدب» ٤٧/١ - ٦٢ (بغداد ١٩٧٩ - ١٩٨٠)، ط ٢ (عمّان ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).

- الفقرة ١٧ - مُزاحم العُقيليّ.

قلت: تحذف هذه الفقرة كاملة، لأن ما أورده الشيخ حمد الجاسر صحيح، ولا إضافة عليه، فالمقصود هو (القُحَيْف العُقيلي).

- يضاف إلى ما قلناه ص ٢٣٥ من المجلة بخصوص بكر بن النطاح، نشر شعره د. حاتم صالح الضامن في كتابه: «شُعراء مُقلّون» (بيروت، ١٩٨٧م) ص ٢٠٩ - ٢٧٦، ثم في كتابه: «عشرة شعراء مُقلّون» (الموصل ١٩٩٠م) ص ٢٤٣ - ٢٨٢، ثم استدرك على عمله «العرب» س ٢٧، ص ٢٠٩.

أما الزيادات والإضافات على ما نشرناه، فهي على السياق الآتي:

- ٤٣٠/١ - مُضرس بن ربيعيّ. قلتُ: نُشِرَ شعره د. نُوري حمودي القيسي في مجلة «المجمع العلمي العراقي» مج ٣٧ - ج ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ص ٥٣ - ٩٠.

- ٤٣١/١ - نَهْشَل بن حَرْيٍّ - قلتُ: نُشِرَ شعره د. حاتم صالح الضامن أولاً ببغداد ١٩٧٥م، ثم أعاده في كتابه: «شُعراء مُقلّون» ص ٧٩ - ١٣٨، و «عشرة شعراء مُقلّون» ص ١٠٧ - ١٣٩. وقد ورد عجز البيت هكذا: بفقعين.

- ٥١٢/٢ - إبراهيم بن هرمة. ذُكِرَ أنَّ محمد جبار المعيّد قد نشر شعره في النجف ١٩٦٩م، قلتُ: وقد استدرك عليه الأستاذ هلال ناجي في مجلة «الكتاب» - العدد ١، السنة ٧، ١٩٧٣م، وأعاد ذلك في كتابه: «هوامش تراثية» (بغداد ١٩٧٣م) ص ٨٨ - ٩٦.

- ٦٣٢/٢ - المنخل السعدي - قلتُ: ولم أَرِ البيتين في: «عشرة شعراء مُقلّون».

- ٧١٠/٢ - عبدالله بن العجلان: قلتُ: يُضَافُ إليه: قام د. نوري القيسي بنشر شعره في مجلة «العرب»، ج ١ - ٢، س ٢٤، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص ١ - ٢٤.

- ٧٢٥ / ٢ - عُبيد بن أيُّوب العنبريُّ يُضَافُ إليه: أعاد د. نوري القيسي نَشَرَ شعره في كتابه: «شعراء أمويون» (الموصل ١٩٧٦م) ١ / ١٩٥ - ٢٣٨.

- ٧٢٦ / ٢ - الراعي النميري. يُضَافُ إليه: نَشَرَ شعره وحققه د. نوري حمودي القيسي وهلال ناجي (ط المجمع العلمي العراقي ١٩٨٠م)، وفي مقدمته العلمية وهوامشه ما يزيد علمية على طبعة (فايرت).

- ٧٧١ / ٢ - العُجَير السلولي - يضاف إليه: نشر شعره محمد نايف الدُّلَيمي في مجلة «المورد» - بغداد، مج ٨، العدد ١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ص ٢٠٧ - ٢٤٢.

- ٩٧٢ / ٢ - أبو وَجْزة السَّعديّ - قلت: نشر شعره د. عبدالمجيد الإسداوي في كتابه: «مع الفقهاء الشعراء أخبارهم وأشعارهم» - مصر ١٩٩٣م، ص ٥٩ - ١٣٩، ثم في مجلة «العرب» ج ١٠ - ١٢، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ثم في كتابه: «بنو وجزة السلميون صفحات من حياتهم وأشعارهم». مط أبو هلال بالمنيا ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، وجمع شعره كذلك: د. عياد بن عيد الشبتي ود. حاتم صالح الضامن - مخطوط.

- ٩٧٢ / ٢ - أبو شجرة الأسلمي (؟) الأزرقِي. قُلْتُ: جَمَعَ شعره د. الحسين حدّاد كنيهل في رسالته للدكتوراه «شعر بني سليم في الجاهلية وجمع ما لم يجمع من شعر شعرائها» جامعة بغداد، ١٩٨٩م، ص ١٦٩ - ١٧٢.

- ٧٥٠ / ٢ - «شرح ديوان المتنبي» للعكبري. قلت: وهو خطأ، والصحيح: ابن عدلان الموصلِي (ت ٦٦٦هـ)، وقد نبّه على هذا الوهم المرحوم د. مصطفى جواد في «مجلة المجمع العلمي العربي» بدمشق مج ٢٢ - ١٩٤٧م، ص ٣٧ - ٤٧ و ١١٠ - ١٢٠. ثم أُعيد نشره - بعد وفاته - في كتابه: «في التراث العربي» (بغداد ١٩٧٩م) ٢ / ٢٣٩ - ٢٦٠.

وبعد: فهذا بعض ما أردتُ تبيانه، والحمدُ لله ربّ العالمين،

بابل - الحلة: عباس هاني الجراح

«السفينة المجموعة في نسبة بعض القاطنين

في وادي حضرموت المبارك ومساكنهم»

تأليف السيد أحمد بن الحبيب بن حسن العطاس

(١٢٥٧/١٣٣٤هـ)

(٢)

فصل: وغالب آل حضرموت عرب أصليون لأنهم لم يخالطوا غيرهم من العجم، وهم معروفون في بعضهم البعض متميزون في البيوت وغيرها وهم أهل سنة وجماعة، ومنقادون لأهل البيت والصلحاء من غيرهم وقد كان فيما مضى من الأزمنة فيها شيء من الانحراف في العقائد، وأما بعدما استقر فيها أهل البيت زالت منها البدع فأهل حضرموت بحمد الله تعالى أشرفهم ومشايخهم وعوامهم وجميع من في ذلك الإقليم سنيون أشعريون^(١) شافعيون محبون لأهل البيت [١٤] والعلماء والصلحاء والأولياء، يغلب عليهم التواضع والتقليل من الدنيا، والرضى بالأقل منها في المطعم والملبس والمسكن للغني والفقير.

وغالب أهل الجهة كانوا يستعملون السلاح حتى أمرهم سيدنا الفقيه محمد بن علي باعلوي بترك السلاح وكسر السيف، واتبعوه إلا البادية والقليل من الجهلة.

فصل: وغالب المشايخ في جهة حضرموت كانوا قبائل حاملين للسلاح وتركوه زهدًا في الشر وأسبابه مثل آل أبي جمال وآل باعباد وآل إسحاق وغيرهم من المشايخ.

وأما المشايخ آل العمودي المنتسبين إلى الشيخ سعيد بعضهم ترك السلاح وبعضهم يحمله، وهم بيت علم وصلاح وولاية وعفة وديانة، وللشيخ سعيد المذكور زاوية معمورة ومطبخ مقصود ولهم ولاية على دوعن.

وأما آل أبي جمال فهم بيت علم وصلاح ومنهم الشيخ معروف باجمال المقبور ببضة والشيخ محمد بن عمر [١٥] مؤلف «مقال الناصحين».

وأما المشايخ آل باجابر بعنْدَل وبرُوم والهَجْرين والحَفِيْرة وآل باكريت الساحل
وآل باحرمي تريم، وآل ابن سلم القرية ينتسبون إلى عقيل بن أبي طالب.

وأما آل بابقي فهم أهل همة وذكاء وفتوة وذكر بعض المؤرخين أنهم كانوا في
مَدُوْدَة مدينة ما بين لازم والسور كانت معمورة وتفرقوا أهلها لما استولاهما بنو نهد
وآل بابقي من جملتها انتقلوا إلى تولبة ثم إلى فرطم ثم إلى الخريبة وغيرها من
المساكن ومنهم الشيخ الصالح الفقيه أحمد بابقي أخذ عن الشيخ عبد الله
الذماري العمودي وقبره بالخريبة.

وأما المشايخ آل باسهل بحريضة بيت صلاح وولاية وذكاء وفطنة واتقان في
جميع الأشياء ومنهم الشيخ علي بن سلمة صاحب حريضة المقبور بها كان عالما
[١٦] وفاضل، وتولى القضاء في بلد حريضة وكان في زمن السلطان بدر أبو طويرق.

وأما المشايخ آل إسحاق هينن فهم أهل مقام وبيت صلاح وعلم، منهم الشيخ
شيبان بن أحمد أخذ عن الشيخ أبي بكر بن سالم، وفي الجهة المذكورة، وعلى
ذريتهم آثار الصلاح ولهم احترام عند أهل الجهة.

وأما المشايخ آل باهرمز فهم بيت صلاح وعلم وولاية ومنهم الشيخ
عبدالرحمن بن عمر الأخضر المقبور بهينن شيخ الفقيه عمر بامخرمة، وكثير في
الجهة من المشايخ الذين ملكوا على قدم العبادة والزهادة [١٧] والرضى باليسر
من الدنيا واتباع السيرة النبوية المحمدية.

وأما المشايخ آل باحميد مدودة قال بعض السلف: نسبهم إلى حميد الطويل
الصحابي.

وأما آل باكثير فهم بيت علم وفطنة وذكاء إلا أنها تغلب عليهم الحدة حتى
بلغني أن بعض السلف قال: لا تعلموا آل فلان من آل باكثير علم الفقه ومنهم
الشيخ الفاضل العالم المحقق علي بن عمر بن قاضي له تأليف في الفقه وغيرها.

وأما آل باسودان فهم بيت صلاح ومروءة وفتوة وعلم واهتمام بما يصلحهم في

معاشهم ومعادهم ومنهم الشيخ الفاضل العالم الولي العارف بالله عبدالله بن أحمد باسودان ساكن الخريبة له محبة وانطواء في أهل البيت خاصة والمؤمنين عامة حبه الخاص والعام وانتفع به [١٨] الخواص والعوام وله تأليف عديدة ومفيدة سارت بفضلها الركبان وشهرته تغني عن ترجمته وامتزج مع أهل البيت في المذهب والمشرب حتى اشتهر عنه ومنه ذلك.

وأما المشايخ آل باوزير فهم بيت صلاح وذكاء وكرم وفتوة وعلم وولاية وهم في أماكن عديدة من الساحل وحضرموت مشهورون، ولهم حضرات ومطابخ ومحبة في الخير وأهله ولهم انطواء ومحبة في أهل البيت.

ومنهم الشيخ العارف بالله محمد بن سالم مولى عرف، والشيخ عمر بن محمد مولى الغيل والشيخ سعيد بن محمد والشيخ أبو بكر بن محمد مولى صاحب حورة والشيخ العارف بالله عبدالرحيم بن عمر صاحب الغيل والشيخ عبدالرحيم ابن سعيد بن الشيخ عبدالرحيم بن عمر صاحب «الطرايق في علم الحقايق» والشيخ علي بن سالم بن جنيد صاحب النقعة.

وآل سعيد بن عبدالله [١٩] بن أحمد أهل السفيل وادي العين وغيرهم من المشايخ في تلك الجهة وغيرها.

والشيخ المشهور بمولى عرف هو الشيخ محمد بن الشيخ سالم مولى الجويب بن الشيخ عبدالله مولى المحطة صاحب الشحر بن الشيخ يعقوب بن يوسف صاحب المكلا المشهور بها.

وأما المشايخ آل بافضل فهم بيت صلاح وعلم وتواضع وزهد في الدنيا ومحبة خالصة لأهل البيت فمنهم الشيخ سالم بافضل التريمي الذي غاب عن الجهة في طلب العلم ورجع بعد أربعين سنة ورتب أحزاب القرآن في الجوامع والمساجد ترجم له في «الجوهر» ومنهم الشيخ إسماعيل الحضرمي المقبور بمدينة زيد والشيخ محمد بن أحمد صاحب عدن صاحب «نور الأبصار ومختصر الأنوار»

ومؤلف «العدة والسلاح» [٢٠] في النكاح» والشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بالحاج صاحب الشحر مؤلف «المختصر الكبير» الذي شرحه الشيخ ابن حجر وغيرهم من الصلحاء في تلك القبيلة الصالحة ينتسبون إلى سعد العشيرة وغير من ذكروا تقدمت أنسابهم مفرقة.

فصل: وجد بخط الشيخ محمد بن عبدالرحيم بن قاضي قال وجدته بخط الفقيه عبدالله بن علي بن عبدالعليم بانافع نسب آل بانافع إلى بني أمية، روى ذلك عن الشيخ العلامة القطب الشهير عبيد بن عبدالملك صاحب شحر نافع نفع الله به أنه وجد عن بعض أهل الصلاح نسب آل باجابر إلى عقيل بن أبي طالب ونسب آل الزيلعي إلى عقيل أيضًا وعن بعض الصالحين من الخطباء الذين بحضرموت أنه قال: نسبنا بالخطباء يعود إلى الأنصار ومسكنهم من حضرموت تريم، [٢١] وعن بعض أهل العلم والصلاح أن القشاشي أنصاري.

وعن بعض التعاليق نسب آل محمد بن عمر يعود إلى مالك وأطلق ولم يبين هل هو إمام المذهب أم غيره وهم أهل الجؤل والحُوطة والرُوضة وحواليها. ونسب آل عبدالواحد يعود إلى رباح، ورباح شب ونشأ في حجر لؤي بن غالب فنسبوه إليه.

نسب قبائل اليمن: وهم ثلاث قبائل حمير ومذحج وهمدان. فمن حَمِيرٍ غالب القبائل فمنهم يافع والغموش وآل ذيب وسعد ونعمان وقبائل السوط وسيان وغيرهم من قبائل اليمن.

وأما مذحج فأصل مسكنهم الشام وهمدان مسكنهم الجوف خلف صنعاء وما حواليه، وقيل إن نسب العوائل إلى معن بن زائدة، وقيل إن نسب بني أرض إلى سلمة [٢٢] بن الأكوخ وآل سهل حريضة قيل إليه الصحابي رضي الله عنه.

وآل تميم من قبائل حضرموت يزعمون أن نسبهم إلى تميم الداري رضي الله عنه، وآل جابر من قبائل حضرموت يعود نسبهم إلى جابر بن عبدالله كذا قيل.

وبنو سعد من قبائل حضرموت قيل إنهم من بني سعد قبيلة حليمة السعدية رضي الله عنها، وأهل السهل أعني أهل الرمل يحدتهم حورة إلى الكسر قيل أنهم منسوبون إلى الحميد بن منصور رجل من العرب مشهور من رؤسائهم وهم أعني المنسوبين إلى الحميد بن منصور المسمون النسيين هذا ما وجدته معلقًا بخط من ذكر في أول هذه النسبة.

ووجدت أيضًا معلقًا أن آل باعباد من موالي بني أمية تم ذلك والله أعلم.

كذا [٢٣] وجدته بخط من ذكر في أول هذه النسبة انتهى من خط المعلم سعيد ابن أحمد باكثر نقله من خط سالم بن محمد باحميد.

قيل إن قبر الحميد بن منصور المذكور برداع، ومن كلامه قال الحميد بن منصور: كثير الرجال بطاله، بغيت ثلمين في الشوم ضيعت نصف الفحالة.

الفحالة اسم جربه يعملها، والثلم اسم الحلى في الأرض انتهى.

فصل: وهذه الفائدة نقلناها من خزانة كنية للشيخ عبدالله باعيف العمودي فوجدت فيها من نسبة العرب آل العمودي بكرين.

آل باعباد بني أمية، باعامر من الأنصار، الحدي بكري قرشي، آل باعتر بدوعن من ذرية عمر بن الخطاب، باسندوه شريف، باعشن أنصاري، آل باصبارة من صباير حضرموت من بني حرام، بني حسن يقال إنهم أشرف من ذرية الحسن.

وقبائل مذحج [٢٤] الذين بجهة حضرموت باصبير باصبيح باسودان بابقي بلعين باكواسه باجيب باعراقي.

وقبائل بني محمد آل علي بن سالم وابن حترش وآل يحيى حجر وليسر وآل المعلم عمد، وآل رباع وباجبير دوعن وباعشرة وباعجاج وابن عدوان الصم.

وقبائل كندة آل دغار، وآل محفوظ الصيغر والياس في الدين وبابحير وبايومين وباقيس وآل مخاشن وبني سهل وآل السور وباكرمان وباسبيت.

وقبائل همدان آل كثير وآل الوبر وباكثير.

وقبائل بني هلال باعويدين وباحكيم دوعن وبني حكيم وبامقعين وآل ماضي إلى آخر ما ذكره.

فائدة: الحمد لله ومن خط الفقيه العلامة المحقق المدقق البارع في العلوم والأخذ من أهل مكة والروم عبدالله بن أبي بكر باشعيب، قال: بامخرمه حميري من سعد العشيرة وباكثير تريس [٢٥] كندي وbacherمي حزامي وبامحسون مذحج وآل أبي الحب قرشيون وانقرضوا وباجابر عندل ومنهم باكرت عقيليون وآل عبد المانع بالجول قرشيون أمويون ومنهم آل عبدالواحد سلاطين الظاهر وابن سدة وباواحدة حراث بحضرموت أمويون من ذرية يزيد بن معاوية وخطباء تريم وباشعيب المسفلة أنصاريون وبازغيفان صيعري وباحنان المسفلة وبامصباح كنديون ابن حميد تريس كندي بن مقداد الأسود آل باغشير بالغين المعجمة في هينن قرشيون من بني عدي، والمهرة من قضاة والكرب من خولان وخولان من قضاة انتهى منقول من خط الشيخ رضوان بن أحمد بارضوان بأفضل ناقلًا عن خط الشيخ الفاضل المعلم عبدالرحمن باوزير ناقلًا عن خط السيد الفاضل محمد باحسن رحمه الله [٢٦] قال: نقلت من خط الفقيه أحمد بن عبدالله باقشير رحمه الله تعالى وهذه رسالة نوردها بكمالها لتكميل الفائدة لأنها اشتملت على بعض ما تقدم بكثير كما ستره نقلناها من تريس أفادنيها الشيخ الفاضل العالم المؤرخ سالم بن محمد بن حميد وهي هذه: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وكفى وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى وآله وصحبه أهل الوفا وسلم تسليمًا كثيرًا هذا ما نقله وأرقمه هنا من شجرة الأنساب للشيخ أبي الحسن أحمد بن إبراهيم الأشعري رحمه الله تعالى من كتاب القاضي الفقيه جمال الدين محمد بن سعد أبي شكيل ومن غير ذلك، قال أبو الحسن أحمد بن إبراهيم: العرب أصلان عدنان وقحطان فعدنان من ولد فالغ وهو أخو قحطان وهما أبناء عامر بن شالخ

ابن أرفخشذ بن سام بن نوح [٢٧] النبي ﷺ وعلى نبينا إلى أن قال: فولد عدنان أولادًا والنسب منهم في معد وعك فولد معد أولاد والمشهور منهم نزار فولد نزار أربعة وهم ربيعة ومضر وأنمار وإياد وأطال في تفصيلهم وبيان فروعهم إلى أن قال: نسب أهل اليمن وهم من ولد قحطان ابن عامر وإنما سمو أهل اليمن لأنهم نزلوا عن يمين الشمس وفي «البخاري» سميت اليمن لأنها عن يمين الكعبة وسميت الشام لأنها عن يسار الكعبة قال: فولد قحطان عدة من الولد والنسب والمشهور في ولد يعرب بن قحطان وولد يعرب يشجب وولد يشجب سبأ الأكبر وهو عبد شمس وسمي سبأ لأنه من سبأ السبايا من بلاد العدو وأولد سبأ أولادًا والعدد منهم في حَمِيرٍ ومنهم عمران الكاهن ثم ولي بعده [٢٨] عمرو بن عامر صاحب السد بمأرب وهو الذي حدث عليه وباعه بحيلة صنعها وله حكاية ذكرت في كتاب «الجوهر» وخرج ومات في الطريق وكان الملك عليهم وخرج من اليمن عمرو بن عامر المذكور. انتهى.

ثم إن كهلان أبو الملوك من الأزدي بفتح الهمزة وسكون الزاي، والأسد لغة في الأزدي ووقع الملك من قبائل قحطان في خمس قبائل حمير وغسان ولخم وهمدان وكندة وقال في كتاب «التعريف بالأنساب»: الملك في أهل اليمن من قبائل قحطان في سبعة أصناف حمير والأزدي وهمدان وبجيلة وكندة وطى ولخم ثم قال الأزدي وهمدان وخثعم شعري:

إن قيل من في بلاد مالك وقسايد الخيل والسرجال
[٢٩] قل كندة السادة الأكابر كم من متزوج بلاجدال

أي كندة واسمه ثور بالمثلثة ابن عُبير - بضم العين المهملة بن الحارث بن مرة ابن أدد بضم الهمزة ودالين مهملتين بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ابن النبي. هود صلى الله على نبينا وعليه وسلم، وكانت كندة ملوك حضرموت، وهي بلاد كبيرة عامرة وبينها وبين الشحر أربعة أيام.

وتطلق حضرموت على بلدان كثيرة ساحلها العين وبروم والشحر ونواحيها إلى تريم إلى قبر نبي الله هود وإلى ما وراء ذلك بلاد المهرة وقال: وجميع كندة أصلان معاوية الأكرمين فبطون الأكرمين فهم بنو عمرو بن الحارث بنجران وبنو وهب هاؤلاء ينتمون [٣٠] إلى معاوية الأكرمين ومن بطون كندة شريح القاضي الكوفي السابعي إلى أن قال: إن ساكن دمون بني الحارث إلى أن قال: وذو أصبَح وسيئون مدينتان عظيمتان لبني معاوية الأكرمين، وأطال في رؤساء كندة إلى أن قال: وأما بنو يزيد بن معاوية بن كندة فهو أخو الحارث ومن كندة. ثم قال: وبني لقيط وبنو سليم وبنو حارثة وبنو حرام وبنو محمد آل حريضة فهؤلاء بنو يزيد ابن معاوية بن كندة ومنهم السكون والسكاسك بالمخلاف والمخارج وبعثقين وبنو دمار بمدودة وآل ابن نعيم بحورة بقارة آل مخاشن ومن السكون كندة [٣١] بأسفل حضرموت والكسر وحريضة ومنهم آل محفوظ وآل شجبل ومن كندة آل الأشعث بن قيس الصحابي رضي الله عنه الذي احتكم هو وعندان يقال إنه من العنادية إلى النبي ﷺ في أرض ذي هي بير تحت أنف خطم وهي المحترقة قريب من شبام في بحيرة المذكور في باب صفة القضاء من «المهذب» في قوله: أن رجلاً من حضرموت ورجلاً من كندة تحاكما إلى النبي ﷺ والحق من كندة، بادجانة وآل عسيلان وآل مخاشن ومن بطون كندة الصدف بفتح الصاد المهملة وكسر الدال وبعدها فاء. ثم قال بعد كلام طويل: جبال حضرموت ممتدة [٣٢] من الشمال إلى الجنوب ولها مدن خاملة الأسماء وأشهر مدنها في الساحل لسعا، ثم قال: قاعدة حضرموت مدينة تريم وهي في شمالي لسعا وهي مشهورة بكثرة التمر، ثم قال: وأرض مهرة وجبالها اثنان ممتدان من الغرب إلى الشرق وليس فيها مدن بل سكنها قوم من مهرة كالوحوش يتكلمون بلغة عاد وإليهم تنسب الإبل المهرية وليس فيها نخيل ولا زرع وإنما أموالهم الإبل والغنم وقال ابن لهيعة: قبر النبي هود عليه السلام في بلاد مهرة وبلادهم هي ما بين الشحر وعمان وهي

مسكن قوم عاد وفي الشرق الشمالي من أرض مهرة ظفار وهي الآن قاعدة بلاد
الشحر. ثم قال وبعد كلام: إلى ريذة الصيغر وإليها تنسب الإبل [٣٣] الصيعرية،
والصيغر قبيلة من الصدف من كندة وأطال ثم قال: أشراف كندة وعدهم ثم قال:
وتوفي يوسف بن عبد الأعلى الصدفي المصري سنة ٢٦٤ أربع وستين ومئتين لأن
من سكن الكسر حضرموت صيف والهجرين قريتان متقابلتان ثم قال: وريذة
مُحَرَّمِيَّة للأحروم آل مروان وآل أبي سهل وبيوت بنجران والصدف الديني بريذة
الدوم من ولده ومن الصدف ذهبان (?) بن الحضرمي بمكة المشرفة ومن ولد
الصدف آل قاسم وهم آل عمرو وآل إبراهيم وآل أبرهة وآل أبي جعفر بالهجرين
وبنو عمهم آل سعيد بالمنظرة وقبيلة في مهرة آل باثتان ومن كندة آل بن حميد
وقال الشيخ عبدالله بن أبي بكر باشعيب [٣٤]، أن آل بن حميد تريس مقداديون
وعدد جماعة من العرب كذلك من كندة وجماعة قرشيون إلى أن قال: وأما شبام
فهي مدينة عظيمة، وهي قصبة السرير ومن سكان حضرموت آل الجرو بالجول
وهي قرية عظيمة بالسرير، ومما نقل من كتاب السيد أحمد بن علوي خرد أن آل
الجرو ولاية الجول أهل نخيل وأهل عبيد منهم آل ابن ذبيح وآل ابن طبن إلى أن
قال بعد كلام: ثار الحرب بينهم وبين آل الوبر وآل باصهي فخذين فخذ في تريس
وفخذ في..... وآل الوبر حليف آل باصهي إلى أن قال: فأخذ آل الوبر آل الجرو
بالخداع والحيلة ثم ذكر غدرهم بهم قتلوهم غدراً في أنف خطم فانهزموا هزيمة
عظيمة وآل الوبر غدروا بآل الجرو وما بقي منهم [٣٥] إلا عشرة والله أعلم.

ثم قال لله در القائل شعراً:

ألم تر أهل الوبر حين عهدهم	يناقضها قول وفعل بباطل
أبادوا لآل الجرو حين مماتهم	بخدع وحازوا رأس كل مقاتل
ولكن قضى الرحمن معهم مساعد	علينا فعوقبنا عقوبة عاجل

فلم يبق من ذي قاتلوا غير عشرة وتركوا (؟) ركوب الصافنات الصواهل
فأي بلاد لم تروع ملوكها وأي كبير لم يقدر بالسلاسل
إلى آخرها وأطال، إلى أن قال: ومن ولد الصدف آل أبي كثير بتريس وآل
أجدع وآل أرقم بحبوذة والله أعلم.

ونقلت من نبذة الإمام محمد بن سعيد أبي شيكل الأنصاري الحضرمي نقلها
من خط الفقيه عبدالله بن عبدالرحمن بالحاج قال: فيها وجدت من سكان
حضرموت من أولاد الصدف وهم آل أبي جمال وآل باصهي وآل بابقي والصيعر
وبني حارثة وآل أبي حفين وآل أبي كثير وآل الجرو [٣٦] والعفار وآل أبي حلوان
وآل الجرو أخوين لأب وأم، وآل باخطيب بور، وآل أبي غانم ببور، ومن ولد
الصدف مشيريح لهم مسجد معظم بالعجز، وهم بيت علم كآل أبي جمال ومن
كندة آل أبي عكابة قال: والكسر قرى كثيرة فيها قرية يقال لها هينن فيها بطنان من
تجيب وهم بنو سهل وبنو بدا، وقال قبل ذلك: تخرج الأودية من بلاد مذحج إلى
حضرموت حتى تصل إلى ربيعة ودهر، وفي ربيعة درب يقال له درب بني نعيم بن
تجيب، وآل عقبه من كنده، وأما آل أبي ذيب أصلهم من الأزدي من سكان البصرة
وخرجوا واستوطنوا شام.

قال: جملة هذا المنقول من خط الفقيه العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد
مؤذن باجمال [٣٧] الأصبحي، وهو نقله من تأليف عوض بن أحمد الجرو -
رحمه الله تعالى أمين - انتهى ونستغفر الله مما قلناه ونقلناه ورقمناه، ولا حول ولا
قوة إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خير خلق
الله وآله وصحبه ومن وآله وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

الحواشي:

(١) الإمام أبو الحسن الأشعري - رحمه الله - على مذهب أهل السنة والجماعة، ولكن كثيرًا من المتسبين إلى
مذهبه انحرفوا عنه فيما يتعلق بصفات الباري جل وعلا، فصار منهم من يؤولها، ولا يتسع المجال للتفصيل.

العيادة: نسبهم وفروعهم وديارهم

(١)

تمهيد: العيادة من أعرق قبائل العرب وأجلها قدرًا لها تاريخ مجيد، وماضٍ عريق، سادوا شبه جزيرة سيناء، وامتدت سيادتهم إلى بلاد غَزَّة والكرك والعقبة ونواحيها، وشمل نفوذهم منطقة الشرقية، فأخذوها ديارًا لهم، ومواطن لبطنهم، وكان لهم اتصال وثيق بحكام مصر على مرّ القرون، وظلوا لزمين طويلٍ جدًا أصحاب أدراك دروب سيناء إلى بلاد الشام والحجاز، ومنها درب الحج، وكان دركهم فيه يمتد من مصر إلى العقبة كما سيطروا على الدروب المؤدية إلى (دير سانت كاترين) في جنوبي سيناء، ولا زالوا إلى يومنا هذا من أجل قبائل العرب في الديار المصرية، وقد تحضرت بعض بطونهم وبلغت شأنًا عظيمًا في حكومات مصر، منذ عهد بعيد ولا زالوا على هذا إلى يومنا هذا.

نسب العيادة: كان العيادة يعرفون بالعايد وقد ذكروهم البعض باسم العائد والعاثد والعايد وعايدة وعايد الله وقد استقر الاسم على العايد ثم العيادة، حيث أصبح العايد اسمًا لحاضرتهم في مصر وفلسطين، والعيادة اسمًا لباديتهم في مصر وغيرها، إلى زماننا هذا، والعايد فرع من قبيلة غطفان إحدى قبائل جذام من العرب القحطانية، وهم بنو غطفان بن سعد بن إياس بن حرام بن جذام^(١)، ذكروهم ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) في ذكره فروع غطفان من جذام فقال: فمن غطفان نضلة وبنو الأحنف وبنو الضبيب وبنو هدالة وبنو نفائة وبنو ضليح وبنو عائذة وبنو شبرة وبنو عبدالله وبنو الخضراء وبنو سليم وبنو بجالة وبنو غنم وبنو فاكه^(٢).

وذكروهم المقرئزي (ت ٨٤٥هـ) فقال: غطفان: منهم عايدة^(٣) وهم العايد قال: العايد بياء آخر الحروف وذال معجمة، ينسبون إلى عايد الله وقيل ينسبون إلى عايدة إحدى بطون جذام^(٤) وقد اتفق علماء النسب أن العايد فرع جذامي أصيل قال الحمداي (ت ٧٠٠هـ) في ذكر العائد: هم كثير من العرب قال: والمشهور

منهم بمصر عائد جذام^(٥) وقال ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ) في «مسالك الأبصار»: وأما العائد فكثير في العرب، والمشهور منها بمصر عائد جذام^(٦). وقال ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) في ذكر جذام: بقيتهم اليوم في مواطنهم الأولى في شعيب من شعوبهم، يعرف أحدهما بنو عائد وهم ما بين بلبيس من أعمال مصر إلى عقبة أيلة إلى الكرك من ناحية فلسطين، وتعرف الثانية بنو عقبة^(٧) وقال: وبنواحي مصر من جهة القبلة إلى عقبة أيلة أحياء من جذام جمهورهم العائد^(٨). وقال القلقشندي (ت ٨٢١هـ): العائد وهم بطن من جذام^(٩).

وقال في ذكر فروع جذام: العائد ذكرهم الحمداني ولم يرفع نسبهم^(١٠). وقال أيضًا: بنو عائد أيضًا: بطن من جذام من القحطانية ذكرهم الحمداني ولم يرفع نسبهم^(١١). قال الأحيوي: وبذا فإن ابن قتيبة والحمداني وابن فضل الله العمري وابن خلدون والقلقشندي والمقرئزي أجمعوا أن العايد (العائد: العائد: العايد: عايدة) فرع من جذام زاد ابن قتيبة والمقرئزي أنهم من بطون غطفان من جذام.

دخول العايد إلى سيناء: دخلت قبيلة العايد إلى سيناء فالديار المصرية الأخرى منذ عهد مبكر جدًا، فقد كانت سيناء والشرقية من مواطن جذام منذ دخول مصر في حظيرة الإسلام، لذا فإنه لا ريب إنه كانت للعايد رحلاتهم إلى سيناء عبر القرون، يضربون أطناهم في ديار قومهم جذام في سيناء والشرقية، ويجولون في جنوبي الأردن وفلسطين، وشمالي الحجاز، إلى أن أخذوا بالاستيطان في سيناء والشرقية، وجنوبي فلسطين، وفي ذكرهم قال علي باشا مبارك: كان ورودهم الديار المصرية في أول القرن السابع للهجرة^(١٢) وقال الدكتور عبدالمجيد عابدين في حديثه عن العرب في العصر الأيوبي فيما نقله عن الدكتور عباس مصطفى عمّار: وفي أواخر هذه المرحلة هاجر إلى بلبيس وما حولها جماعات من العائد، ويقال إنها من جذام، ولكن تأثيرهم في سكان المنطقة كان محدودًا إذ كانوا يؤلفون طبقة منعزلة عن سائر السكان وكان عرب العائد حراسًا لتأمين الطريق بين القاهرة ومكة إلى أيلة وهي العقبة الحالية^(١٣) قال الأحيوي: انتهت الدولة الأيوبية سنة ٦٤٧هـ ثم

تلتها الدولة المملوكية بتسلطن الملك المعز عز الدين أيبك سنة ٦٤٨هـ وكان العايد عند بدء الدولة المملوكية من قبائل الديار المصرية يؤكد ذلك أن المهمندار الحمداني النسابة (٦٠٢ - ٧٠٠هـ) قد ذكر وجودهم في الديار المصرية وهو لم يذكر قدمهم في عهده مما يعني قدمهم قبل ذلك أي في نهاية القرن السادس للهجرة في فترة العهد الأخير للدولة الأيوبية والله تعالى أعلم.

من أخبار العيايدة: قلنا إن العيايدة سادوا شبه جزيرة سيناء، وشمل نفوذهم الشرقية وجنوبي فلسطين، ومن ذلك ما ذكره مصطفى مراد الدباغ في حديثه عن بني عائذ قال: لما نزل الظاهر بيبرس غزوة سنة ٦٦١هـ خلع على أمرائهم الخلع وضمنهم البلاد وألزمهم بتقديم الزكاة المفروضة سنويًا عليهم في حينها، وطلب منهم القيام بخدمة البريد وإحضار الخيل اللازمة كما طلب مثل ذلك مع جرم وثعلبة^(١٤) وكان العايد قد سيطروا على طرق سيناء في العهد المملوكي ومن أخبارهم سنة ٧٠٣هـ ما أورده أبو بكر الدواداري، نورده بحرفه على ركافة نصه قال: وفيها كان خروج الوالد - سقى الله تربته - للكشف على عربان بالشرقية وهم ثعلبة وجذام والعايد وندب صحبته من ديوان الاستيفا القاضي المرحوم مخلص الدين أبو شاكر بن العسال وأعرضت العربان بصوة العباسة بالأسما والعجلي (؟) وسبب ذلك أن لهاؤلاء العربان أمرًا لهم أخباز من جهة السلطنة المعظمة وهم عدّة ألف وسبع مئة فارس مستخبزة ومن تحت أسمائهم قوم يأكلون من غير هذه العدّة يسمون المحرّمة، وهاؤلاء العربان عليهم إقامة خمس عشرة منزلة، بمنازل الرمل بالطريق الشامية، أولها من جهة مصر منزلة السعيدية وآخرها من جهة الشام كان في ذلك الوقت منزلة رفح وإنما في هذا الوقت عند الروك الناصري تضوروا العربان من اتساع الدرك فحمل عنهم السلطنة منزلتين وهما رفح والزعقة وصار آخر ادراكهم منزلة تعرف بالخروبّة، ويقيمون في هذه الخمس عشرة منزلة مئة وخمسين فرسًا، في كل منزلة عشرة أرؤس برسم البريد المنصور، هذا يختص بقبيلتي جذام وثعلبة، وعليهم خفر ساير هذه الطرقات، إلى عند دار الضيافة التي

تحت القلعة، مع جبل المقطم مقرّر عليهم خفر ذلك من تقادم السنين، في أول وقت وعلى قبيلة العايد خفر الطريق البدرية وهي الطريق الفوقانية بالبرية، عرضها ثمانية أيام تسلكها التجار المشوّرين عن الحقوق السلطانية الموجبة بقطيا، وهذه الطريق كانت المسلك إلى الديار المصرية من الشام، أيام كانت الفرنج ملاك الساحل، ثمّ لما فتح الله تعالى البلاد على يد السلطان المرحوم صلاح الدين الملك الناصر بن أيّوب أول ملوك بني أيّوب ارتجعت الطريق هذه المستقرة، ودُثرت هذه الطريق البدرية قال: وكان الوالد رحمه الله اجتهد في حفظ هذه الطريق، ومنع السالك منها، وألزم هاؤلاء العايد بحفظ أدراكهم فيها فإن السالك في هذه الطريق لا يقدر يعبر إليها إلاّ بدليل من هاؤلاء القبيلة العايد فإنّها طريق مشقّة، ومفاوز وهي في التيه، ولا لها درب سالك وإنما في النهار يسرون على رؤوس الروابي والآكام يعرفوها هاؤلاء العرب المذكورون، وفي الليل يسرون على النجوم، ويوردون ماء، ويصدرون عن آخر، لا يكادون يبيتون إلاّ على ماء، ولكلّ ماء اسم، يعرف به، ما يزيد عن أربعين ماء في طول هذه المسافة وعرضها. قال: فهذا درك عرب العايد إلى عقبة الحجّاج الكبيرة^(١٥). وذكر أحدهم في ذكر سنة ٧٠٩ هـ فقال: من عرب العايد شخصًا يسمّى بهادر العايدي وجماعته^(١٦)، وذكر آخر فقال: شخص بدوي من العايد يسمّى ركاب بن ريس^(١٧)، وقال في ذكر فرار بيبرس الملقب بالمظفر من مصر سنة ٧٠٩ هـ:.. وأما مولانا السلطان خلد الله ملكه وجعل الأرض بأسرها ملكه، فإنه طلب الوالد ورسم له أن يتوجه في خدمة الأمير شمس الدين قراسنقر، وأن يجعل من العربان عيونًا وارضادًا على بيبرس في الطريق البدرية، ويكونوا يردّوا على الأمير قراسنقر خبره منزلة بمنزلة، وماء بماء، فامتثل الوالد المراسم الشريفة، وتوجهنا صحبة قراسنقر في الدرب الشامي، وأخبار بيبرس ترد علينا من عرب العايد منزلة بمنزلة، حتى إذا كنا برفح انقطع عنا خبره، وذكر أنهم ارسلوا ثلاث فرق للبحث عنه، قال: وسيّر الوالد مع كلّ فرقة عربًا ادلاء من العايد، ودخلنا البرية صلاة الصبح^(١٨)، ثم ذكر أنهم قبضوا على بيبرس.

وفي سنة ٧٥١هـ كان أمير العائد هو الأمير عيسى بن حسن^(١٩)، وفي سنة ٧٥٢هـ خرجوا عن الطاعة قال ابن تغري بردي: ... وخرجت عربان العائد وثلعة وعرب الشام وعرب الصعيد عن الطاعة واشتدّ فسادهم لاختلاف كلمة مدبّري المملكة^(٢٠) وفي سنة ٧٥٣هـ فرّ الأمير منجك من القاهرة، قال ابن تغري بردي: ... فنودي عليه في القاهرة وهدد من أخفاه، وأخرج عيسى بن حسن الهجان في جماعة من عرب العائد على النّجب، لأخذ الطرقات عليه وكتب إلى العربان ونواب الشام، وولاة الأعمال، على أجنحة الطيور بتحصيله، فلم يقدرُوا عليه..^(٢١) وقال ابن إياس في ذكر مقتل السلطان المملوكي الأشرف شعبان في ذي القعدة سنة ٧٧٨هـ:.. فلما قطعوا طريق العقبة وإذا بمقدّم الهجانة محمد بن عيسى شيخ العايد قد أتاهم وصحبته اثنا عشر هجيناً فنزل السلطان ومن معه من الأمراء على ظهور الخيول، وركبوا الهجن، وساروا قاصدين القاهرة^(٢٢). وأضاف يقول:.. وأما ما كان من أمر السلطان الأشرف شعبان، فإنه لما هرب من العقبة تحت الليل، أتاه مقدّم الهجانة محمد بن عيسى، شيخ العايد، فقال له: آخذك وأتوجه بك إلى نحو البلاد الشامية، فيتسامع بك العسكر فيلتفوا عليك، وكذلك العربان، فتقوى شوكتك، وتلتف عليك النواب، وترجع إلى مصر، وتحارب الأمراء الذين كانوا سبباً لهذه الفتنة، وتأخذ مملكتك بالسيف، فوافقه السلطان على ذلك، فتعرض إليه الأمير أرغون شاه، ومنعه من ذلك، فأتى إلى القاهرة^(٢٣)، ثم كان ما كان من أمر مقتله، وقد ذكر ابن خلدون هذه الحادثة، وذكر أن محمد بن عيسى هو صاحب الدرك^(٢٤)، وقال ابن إياس في ذكر أخبار ربيع الأول سنة ٧٨٨هـ في سلطنة الظاهر برقوق: وفيه خلع على محمد بن عيسى شيخ عرب العايد بالشرقية، وقرر في مشيخة العايد شريكاً لأخيه مهنا^(٢٥). وفي سنة ٧٩٠هـ أصبح محمد بن عيسى كاشفاً للشرقية، قال ابن حجر العسقلاني: وفي ذي الحجة استقر محمد ابن عيسى أمير عرب العائد في كشف الشرقية عوضاً عن قطلوبغا التركماني^(٢٦)، وذكر ابن حجر أن شيخ العايد سنة ٧٩٦هـ كان موسى بن محمد بن عيسى

العائدي وذكر أن السلطان الظاهر برقوق أمر بقتله في تلك السنة قال: .. وكذلك وسط موسى بن محمد بن عيسى بن موسى العائدي وعمّه مهنا بن عيسى وجماعة من نفره كانوا في القبضة. (٢٧) وذكر ابن تغرى بردي أن شيوخهم تلقوا يشبك في قطيا سنة ٨٠٧هـ قال: (.. ومّر يشبك بمن معه من الأمراء والممالك إلى قطيا فتلقاه مشايخ عربان العائد بالتقادم وسار إلى العريش) (٢٨). وقال ابن إياس في ذكر ذلك: (مّر يشبك ومن معه إلى قطيا فتلقاه مشايخ عربان العايد ومشايخ ثعلبة وهلبا سويد وبنو بياضة ووقفوا في خدمته بكرة يوم السبت تاسعه - يعني صفر سنة ٨٠٧هـ - وبات بها ليلة الأحد وأصبح فنهب أصحابه بيوتها وأسواقها ثم رحلوا بعد الظهر) (٢٩) وقال في ذكر فرار شيخ ونوروز من القاهرة في رمضان سنة ٨١٣هـ: (ثم إن أمير العرب شعبان بن محمد بن عيسى العائدي أخذ شيخ ونوروز وتوجه بهما إلى السويس ثم سار من هناك إلى الكرك وقد قتل من عسكره جماعة وجرح منهم آخرون) (٣٠) يعني عسكر شيخ وقال ابن تغرى بردي في تفصيل ذلك بعد أن مهّد الأمير بكتّم جلق والي القاهرة أحوال مصر قال: (وقدم عليه الخبر في ليلة الأربعاء حادي عشر من شهر رمضان المذكور بأن شيخًا نزل أطفيح وأن شعبان بن محمد بن عيسى العائدي توجه بهم إلى نحو الطور) قال: (ثمّ قدم الخبر بوصولهم إلى السويس وأنهم أخذوا علفًا كان هناك للتجار وزادًا وجمالًا وسار بهم شعبان بن عيسى في درب الحاج إلى نخل فأخذوا عدّة جمال للعربان وأن شعبان المذكور أمدهم بالشعير والزند) (٣١)، ثم ساروا واستقروا بالكرك وفي محرّم سنة ٨١٩هـ امتدت حروب العايد مع أعدائهم إلى بلاد فلسطين قال ابن حجر: (وفيه كانت الفتن بين عرب الرحوم وعرب العائد بأرض القدس والرملة وغزة) (٣٢) قلت: أظن صواب الرحوم: الجروم أي بني جرم ذلك أن العداء بين العايد وبني جرم ببلاد غزّة وغيرها كان مستحكمًا آنذاك وفي سنة ٨٢٤هـ أصبح شيخهم أميرًا لعرب الشرقية قال ابن حجر: (وفي ربيع الآخر قتل راشد بن بقر أمير العرب بالشرقية واستقر عوضه شعبان بن عيسى) (٣٣) وفي

سنة ٨٤٩هـ - اشتدت الحروب بين العايد وجرم قال ابن إياس في حوادث محرم سنة ٨٤٩هـ: (وفيه جاءت الأخبار بقتلة طوخ الأبوبكري نائب غزّة المؤيدي قتل في فتنة وقعت بين العربان من بني خزام والعايد فاقتتلوا وقتل طوخ حين وثبوا على بعضهم فخرج إليهم وهو بعسكر غزّة فقاتلهم فقالوا له لا تدخل بيننا فما انتهى ولا زال يحاربهم حتى قتل اشترقتلة وجرح طوغان نائب القدس في تلك الفتنة وكانت فتنة شنيعة جدًّا واستظهرت فيها العربان على النواب ورجع نائب القدس وهو مهزوم على القدس فتشوش السلطان لهذا الخبر^(٣٤) قلت: خزام تصحيف لجرم وكان طوخ نائب غزّة ودخل هذه الحرب إلى جانب العائد ضد بني جرم فحدّره أبو طير الشاوري أمير جرم من ذلك وطالبه بالحياد فأبى فكان أن انتصر بنو جرم واستبدوا ببلاد غزّة والرملة ونهبوا المسافرين وقطعوا الطرقات وانعدمت سلطة الدولة ونوابها^(٣٥) وقال ابن إياس في ذكر حوادث محرم سنة ٩٠٩هـ: (وفيه قبض شيخ العرب نجم على شخص من العرب العصاة من مشايخ بني حرام يقال له علاي الدين بن قرطام فلما قبض عليه قطع رأسه وأرسلها إلى القاهرة وقد قبض عليه من جبل الطور وحز رأسه هناك وبعث بها إلى القاهرة فطيف بها وعُلقت على باب زويلة ثم نقلت إلى خانقة سرياقوس فعُلقت بها أيامًا وقد عُدّ قتل ابن قرطام من النوادر فإنه كان في تحصيله فرصة^(٣٦) قلت: ونجم هو شيخ العايد وقال ابن إياس في أخبار ذي الحجة سنة ٩١١هـ: (وفيه جاءت الأخبار من الشرقية بأن وقع هناك معركة مهولة بين شيخ العرب بيبرس بن بقر وبين نجم شيخ العايد فقتل في هذه المعركة جماعة كثيرة من العربان واستمر الحرب ثائرًا بين الفريقين ودخل اقطوه الكاشف إلى القاهرة وهو مشحوت من العرب)^(٣٧) وذكر أن السلطان قانصوة الغوري خلع على نجم العايد قال في ذكر أخبار رمضان سنة ٩١٢هـ في أول أيامه: (واخلع في ذلك اليوم على شيخ العرب نجم شيخ العايد باستمراره على عادته)^(٣٨) وقال في ذكر أخبار ذي الحجة سنة ٩٢٢هـ: (وفي يوم الأربعاء سابعه حضر إلى الأبواب الشريفة جماعة من

طوائف العربان من غزالة ومحارب ومن عربان هؤارة والعايد وكان السلطان ألزم مشايخ العربان بأن يأتوا إلى الأبواب الشريفة وصحبتهم جماعة من فرسان العرب ممن هو أشجعهم حتى يتوجهوا صحبة التجريدة مع العسكر^(٣٩) وفي صفر سنة ٩٢٦ هـ ثم سجن نجم العايدي قال ابن إياس في هزيمة جند السلطان لعربان السوالم: (... ثم دخل بعده شيخ العرب نجم شيخ العايد وهو في الحديد وقد نسبوا إليه إنه كان متواطئاً مع عربان السوالم وهو من أغراضهم فقبض عليه ملك الأمراء ووضعه في الحديد حتى يكون من أمره ما يكون)^(٤٠) وقال في أخبار صفر سنة ٩٢٦ هـ: (وفي يوم الجمعة ثالث عشرة أخلع ملك الأمراء على أخي نجم واستقرّ به شيخ العايد عوضاً عن أخيه نجم وقد بلغه أن أحوال الشرقية قد اضطربت إلى الغاية واثرت بها العربان بكثرة الفساد فلما أخلع عليه خرج من يومه إلى الشرقية بسبب هذا الفساد) قال: (وقيل أن إياس كاشف الشرقية محاصر مع العرب في بلبيس وقد أرسل يطلب نجدة بسرعة وأشيع أن عربان نجم شيخ العايد لما مُسك صاروا يُعرّون الناس في رأس المطرية وعند تربة العادل)^(٤٢) ولم يُفرج عن الشيخ نجم إلا في ذي الحجة من نفس السنة قال ابن إياس: (وفيه أفرج ملك الأمراء عن شيخ العرب نجم شيخ العايد وأخلع عليه وأعادته إلى مشيخة العايد كما كان أولاً)^(٤٣) وفي جمادى الأولى سنة ٩٢٨ هـ قتل أحد مشايخهم قال ابن إياس في ذكر مقتل شيخ العرب الأمير أحمد بن قاسم بن بقر: (وقتل معه شخص آخر من مشايخ عربان العايد) قال: (ثم إن جاني بك الكاشف أرسل رأس الأمير أحمد بن قاسم ورأس شيخ العايد فرسم ملك الأمراء بدفن الرؤوس)^(٤٣) وجاء في مخطوط عربي بدير سانت كاترين يحمل رقم ٦٨٨ بتاريخ سنة ٩٣٣ هـ ١٥٢٦ م ذكر أحد شيوخهم وهو شيخ العرب موسى بن الأمير محمد المسور شيخ عربان العابد المصريين والساميين وقد عُقدت في عهده شورة عظيمة بين مشايخ البدو والرهبان^(٤٤) قلت: العابد تصحيف للعايد والساميين تصحيف للشاميين وقد كان فريق من العايد تمتد دياره إلى الكرك وغزة من بلاد

الشام وفي سنة ٩٥٨ هـ كان أميرهم هو الأمير رمضان بن سيف أمير عربان العائد
 بالشرقية^(٤٥) وفي سنة ٩٦٨ هـ كان لهم إفساد بدرب الحاج قال الجزيري:
 (طمعت عربان العائد فيمن انقطع وانفرد من الحجاج فنهبوا من الجمال
 والأسباب بالثغرة ما قدروا عليه)^(٤٦) قلت: الثغرة موضع في درب الحاج غربي
 بلاد التيه وفي سنة ٩٦٩ هـ توفي أميرهم الأمير محمد بن قاسم أمير العايد
 بالشرقية^(٤٧) وفي سنة ٩٧١ هـ حدثت فتنة بينهم قال الجزيري: (لم تحضر ملاقة
 نخل وعجروود على العادة لحصول فتنة بين مشايخ عربان العايد بالريف قتل
 بينهم بعض أنفار وكانوا إذ ذاك ثلاثة مشايخ في ولاية واحدة وهم عبدالكريم بن
 سليمان بن رمضان وعمر بن دحية ومحمد فحضر بعجروود عبدالكريم بن سليمان
 فقط ومعه بعض متسببة بزاد قليل)^(٤٨) ومن شيوخهم منصور بن صيام العائدي
 الذي ورد له ذكر في سنة ١٠٥٣ هـ و ١٠٥٨ هـ^(٤٩) وجاء ذكر ولده في مخطوط
 يوناني بدير سانت كاترين برقم ٢٢٥٨، ص ٣٢٤ سنة ١٠٨١ هـ - ١٦٧٠ م وفيه:
 (شيخ العرب صقر منصور صيام العائدي شيخ عربان العابد)^(٥١) قلت: العائدي
 تصحيف العائدي والعابد تصحيف العايد وجاء في وثيقة أخرى برقم ٢٠٠
 بتاريخ ١٠ جمادى الأولى سنة ١٠٨٣ هـ في نص اتفاقية بين شيوخ العربان
 وممثلي الدير ما نصّه: (... صارت هذه الشورة الوثيقة في البرقوقية في المنزل
 العامر منزل الجناب الكريم العالي شيخ العرب صقر ابن المرحوم شيخ العرب
 منصور بن صيام شيخ عربان العايد دام عزّه..)^(٥١) وفي نفس الوثيقة ورد ذكر
 شيخ سابق للعائد وهو: (شيخ العرب حسن بن الحاج علي العائدي)^(٥٢) قلت:
 العائدي تصحيف العائدي ومن حوادث رمضان سنة ١٢٠٢ هـ سلب العيايدة
 لقافلة كبيرة للحجاج والتجار قال الجبرتي: (وفي رابع عشرينه نهب العرب قافلة
 التجار والحجاج الواصلة من السويس، وفيها شيء كثير جداً من أموال التجار
 والحجاج، ونهب فيها للتجار خاصة ستة آلاف جمل ما بين قماش وبهار وبن
 وأقمشة وبضائع وذلك خلاف أمتعة الحجاج وسلبوهم حتى ملابس أبدانهم
 وأسروا النساء وأخذوا ما عليهن ثم باعوهن لأصحابهن عرايا لكثير من الناس

وغالب التجار الضرر الزائد ومنهم من كان جميع ماله بهذه القافلة فذهب جميعه ورجع عريانا وتُرك مرميًا^(٥٣) وقال الجبرتي في حوادث شوال سنة ١٢٠٢ هـ: (وفيه حضر طائفة العربان الذين نهبوا القافلة إلى مصر وهم من العيايدة وقابلوا إسماعيل بك وصالحوه على مال وكذلك الباشا وانفقوا على شيل ذخيرة أمير الحاج وخلع عليهم)^(٥٤).

وفي ذكر حوادث رجب سنة ١٢١٣ هـ قال الجبرتي: (وفي ليلة الاثنين غايته حضر ساري عسكر من ناحية بلبيس إلى مصر ليلاً وأحضر معه عدّة عربان وعبدالرحمن أباطة أخو سليمان أباطة شيخ العيايدة وخلافه رهائن)^(٥٥)، وقال في ذكر حوادث شعبان سنة ١٢١٣ هـ: (وفيه ذهب طائفة من العسكر وضربوا عرب العيايدة نواحي الخانكة وقتلوا منهم طائفة ونهبوهم ووجدوا من منهوبات الناس وأمتعة عسكر الفرنساوية وأسلحتهم جملة فأخذوا ذلك مع ما أخذوه وأحضرُوا معهم بعض رجال ونساء حبسوهم في القلعة)^(٥٦).

وقال في ذكر حوادث محرم سنة ١٢١٤ هـ أن الفرنسيين كتبوا منشورًا جاء فيه: (وقد بلغنا أن الألفي توجه إلى الشرقية مع بعض المجرمين من عربان بلي والعيائدة الفجرة المفسدين يسعون في الأرض بالفساد وينهبون أموال المسلمين إن ربك لبالمرصاد...) ^(٥٧) وقال في ذكر حوادث محرم سنة ١٢١٩ هـ: (وفي يوم الأربعاء جميع الباشا ومحمد علي العسكر وانفقوا على الخروج والمحاربة وأخرجوا المدافع والشركفلكات إلى خارج باب النصر وشرعوا في عمل متاريس وفي آخر النهار ترفع المصرية والعرب وتفرقوا في إقليم الشرقية والقليوبية وهم يسعون في الفساد ويهلكون الحصاد فما وجدوه مدروسًا من البيادر أخذوه أو قائمًا على ساقه رعوه أو غير مدروس أحرقوه أو كان من المتاع نهبوه أو من المواشي ذبحوه وأكلوه وذهب منهم طائفة إلى بلبيس فحاصروا بها كاشف الشرقية يومين ونقبوا عليه الحيطان حتى غلبوه وقتلوا من معه من العسكر وأخذوه أسيرًا ومعه اثنان من كبار العسكر ثم نهبوا البلد وقتلوا من أهلها نحو الممتين وحضر أبو طويلة شيخ العائد عند الأمراء والامهم وكلمهم على هذا النهب وقال

لهم: هذه المزروعات غالبها للعرب والذي زرعه الفلاح في بلاد الشرق شركة مع العرب وأن هبود العرب المصاحبين لكم ليس لهم رأسمال في ذلك فكفوهم وأمنعوهم ويأتيكم كفايتكم، وأما النهب فإنه يذهب هدرًا فلما سمع كبار العرب المصاحبين لهم من الهنادى وغيرهم قوله: هبود العرب اغتاظوا منه وكادوا يقتلونه ووقع بين العرب منافسة واختلاف وكذلك حصروا كاشف القليوبية فدخل بمن معه جامع قليوب وترس به وحارب ثلاث ليالٍ وأصيب كثير من المحاربين له ثم تركوه ففرّ بمن معه إلى البحر ونزل في قارب وحضر إلى مصر وأخذوا حملته ومتاعه وجبخته وطلبوا مشايخ النواحي مثل شيخ الزوامل والعائد وقليوب وألزموهم بالكلف..^(٥٨) وقال في حوادث جمادى الأولى سنة ١٢٢٠هـ في ذكر طائفة الدلاة الخارجة على الدولة قال: (أخذ الدلاة من عرب العائد خمس مئة جمل وذهبوا على طريق رأس الوادي)^(٥٩) وذلك بنواحي الخانكة وقال في ذكر حوادث جمادى الآخرة سنة ١٢٢٠هـ: (وفي رابعه رجع عابد بيك ومن بصحبته من المصرية من جهة الشرق وقد وصلوا خلف الدلاة إلى حدّ العائد وذهب الدلاة إلى جهة الشام بما معهم..)^(٦٠) وذكر في ذكر مراسلات الألفي للعربان واستنفارهم ضد محمد علي باشا في ربيع الأول سنة ١٢٢١هـ: (... وكذلك إلى مشايخ العربان مثل الحويطات والعائد وشيخ الجزيرة وباقي المشاهير فاحضر ابن شديد وابن شعير الأوراق التي أتتهم من الألفي إلى الباشا وفيها: ونعلمكم أن محمد علي باشا ربّما ارتحل إلى ناحية السويس فلا تحملوا أثقاله وإن فعلتم ذلك فلا نقبل لكم عذرًا)^(٦١) وفي شهر جمادى الآخرة حدث نزاع بين العيايدة والحويطات قال الجبرتي في ذكر حوادث جمادى الآخرة سنة ١٢٢١هـ: (وفي هذه الأيام تخاصم عرب الحويطات والعيايدة وتجمع الفريقان حول المدينة وتحاربوا مع بعضهم مرارًا وانقطعت السبل بسبب ذلك وانتصر الباشا للحويطات وخرج بسببهم إلى العادلية ثم رجع ثم إنهم اجتمعوا عند السيد عمر النقيب وأصلح بينهم)^(٦٢) قال الأحيوي: ومن هذا كله يتضح لنا أن قبيلة العايد (العيايدة) كانت لهم مشاركات هامة وخطيرة في التاريخ المصري وأحداث

الشرقية وسيناء وجنوبي فلسطين ويتبين لنا أن نفوذهم وسيطرتهم شملت الشرقية وضواحي القاهرة وشبه جزيرة سيناء وجنوبي فلسطين إلى بلاد الكرك ومنطقة العقبة وهي ذات الديار التي برزت فيها أحداثهم تحت مسمى قبيلة العيايدة وإنما أوردنا كل هذه الأخبار لنكشف عن الوهم الكبير الذي وقع فيه بل ولازال يدافع عنه من فرّق بين العايد والعايدة.

(للبحث صلة)

العقبة: راشد بن حمدان الأحيوي

الحواشي:

- (١) «نسب معدّ واليمن الكبير». الكلبلي. تحقيق محمود فردوس العظم. دار اليقظة العربية. دمشق بسوريا. ج ١، ص ٢٠٢ «جمهرة أنساب العرب». ابن حزم. تحقيق عبدالسلام محمد هارون. دار المعارف. القاهرة مصر، ط ٣ / ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م، ص ٤٢١، «البيان والأعراب» عما بأرض مصر من الأعراب». المقرزي. تحقيق د. عبدالمجيد عابدين. عالم الكتب. القاهرة. مصر ط ١ / ١٩٦١ م، ص ١٦ و ١٨ و ٢٠ و ٢١.
- (٢) «المعارف» ابن قتيبة. تحقيق د. ثروت عكاشة. دار المعارف. القاهرة. مصر ط ٢ / ١٩٦٩ م، ص ١٠٢.
- (٣) «البيان والأعراب» ص ١٤.
- (٤) المصدر السابق ص ١٩.
- (٥) «نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب». القلقشندي. تحقيق إبراهيم الأبياري. دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان ط ٢ / ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، ص ١٤٣.
- (٦) «التعريف بالمصطلح الشريف». ابن فضل الله العمري. تحقيق محمد حسين شمس الدين. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان ط ١ / ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م حاشية ص ١٠٨.
- (٧) «تاريخ ابن خلدون». ابن خلدون. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان ط ١ / ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، مجلد ٢، ص ٢٩٧.
- (٨) المصدر السابق، مجلد ٦، ص ٧.
- (٩) «صبح الأعشى في صناعة الانشاء». القلقشندي. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. مصر ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، ح ١، ص ٣٣٣.
- (١٠) «نهاية الأرب» ص ٣٣٣.
- (١١) «قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان». القلقشندي. تحقيق إبراهيم الأبياري. دار الكتاب اللبناني، بيروت. لبنان. ط ٢ / ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، ص ٦٤.
- (١٢) «الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة». علي باشا مبارك. بولاق. مصر ط ١ / ١٤٠٥ هـ، ج ٢٤، ص ٢.
- (١٣) «البيان والأعراب» ص ١١٨.
- (١٤) «بلاد فلسطين». مصطفى مراد الدباغ. مطبوعات رابطة الجامعيين بمحافظة الخليل. فلسطين ط ١ / ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، ج ١، قسم ٢، ص ٤٥٥ وانظر «القبائل العربية وسلالتها في بلاد فلسطين». مصطفى مراد الدباغ. دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت. لبنان ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، ص ١٣٠.

- (١٥) «كنز الدرر وجامع الغرر» ج ٩ وهو «الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر». أبو بكر الدواداري. تحقيق هانس روبرت رويمر. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة. مصر ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م، ص ١١٤ - ١١٥.
- (١٦) المصدر السابق ص ١٧٨.
- (١٧) المصدر السابق ص ١٨١.
- (١٨) المصدر السابق ص ١٩٨.
- (١٩) «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة». ابن تغري بردي. قدّم له وعلّق عليه محمد حسين شمس الدين. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط ١/١٤١٣هـ، ١٩٩٢م، ج ١٠، ص ١٧٦.
- (٢٠) المصدر السابق ج ١٠، ص ١٨٣.
- (٢١) المصدر السابق ج ١٠، ص ٢١٠.
- (٢٢) «بدائع الزهور في وقائع الدهور». محمد بن إياس. تحقيق محمد مصطفى. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. مصر ط ٢/١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ج ١، قسم ٢، ص ١٧٨.
- (٢٣) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٧٩.
- (٢٤) «تاريخ ابن خلدون» مجلد ٥، ص ٥٥١.
- (٢٥) «بدائع الزهور» ج ١، قسم ٢، ص ٣٧٠.
- (٢٦) «إنباء الغمر بأبناء العمر». ابن حجر العسقلاني. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان ط ٢/١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ج ٢، ص ٢٩١.
- (٢٧) المصدر السابق، ج ٣، ص ١٩٩.
- (٢٨) «النجوم الزاهرة» ج ١٢، ص ٢٣٧.
- (٢٩) «بدائع الزهور» ج ١، قسم ٢، ص ٧٠٠.
- (٣٠) المصدر السابق ج ١، قسم ٢، ص ٨٠٨.
- (٣١) «النجوم الزاهرة» ج ١٣، ص ٧٤.
- (٣٢) «إنباء الغمر» ج ٧، ص ٢٠٨.
- (٣٣) المصدر السابق، ج ٧، ص ٤١٧.
- (٣٤) «بدائع الزهور» ج ٢، ص ٢٤٧.
- (٣٥) «الموسوعة الفلسطينية». مجموعة باحثين. القسم الثاني (الدراسات الخاصة). بيروت. لبنان ط ١. ١٩٩٠م، مجلد ٢، ص ٥٧٧.
- (٣٦) «بدائع الزهور» ج ٤، ص ٥٥.
- (٣٧) المصدر السابق ج ٤، ص ٩٣.
- (٣٨) المصدر السابق ج ٤، ص ١٠٣.
- (٣٩) المصدر السابق ج ٥، ص ١٣٢ - ١٣٣ قلت؛ وغزاة تصحيف عزالة بالعين المهملة.
- (٤٠) المصدر السابق، ج ٥، ص ٣٢٦.
- (٤١) المصدر السابق، ج ٥، ص ٣٢٧.
- (٤٢) المصدر السابق، ج ٥، ص ٣٧٠.
- (٤٣) المصدر السابق، ج ٥، ص ٤٤٧.
- (٤٤) «مجلة كلية الآداب» جامعة الاسكندرية (مطبعة جامعة الاسكندرية - مصر ١٩٦٥م) مجلد ١٨ لعام ١٩٨٦م، ص ٥٢ - ٥٣.
- (٤٥) و(٤٦) و(٤٧) و(٤٨) «الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة». عبدالقادر بن محمد الجزيري. أعدّه للنشر حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر. الرياض. السعودية ط ١/١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص ٩٠٢ و ١٠٠٥ و ١٠٤٧ و ١١٦١ على التوالي.
- (٤٩) «تاريخ سيناء». نوم شقير. مطبعة المعارف. مصر ١٩١٦م، ص ٥١٥ - ٥١٦ و ١٤٥.
- (٥٠) و(٥١) و(٥٢) «مجلة كلية الآداب» - جامعة الاسكندرية - مجلد ١٨، ص ٥٢ و ١٥١ و ١٤٥ على التوالي.
- (٥٣) و(٥٤) و(٥٥) و(٥٦) و(٥٧) و(٥٨) «تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار». الجبرتي. دار الجيل. بيروت، لبنان ج ٢، ص ٥٥ و ٥٦ و ٢٤٠ و ٢٤٦ و ٢٦٢ و ٦٥١ و ٦٥٢ على التوالي.
- (٥٩) و(٦٠) و(٦١) و(٦٢) المصدر السابق ج ٣، ص ٨٧ و ٨٨ و ١٢٣ و ١٢٤ و ١٣٤ على التوالي.

الشيخ علي بن محمد الجلعود

نسبه ومولده: هو الشيخ علي بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن علي ابن دخيل بن مانع بن جلعود بن علي، وعلي من دهمش، ودَهْمَشُ من عنز^(١) بن وائل، ووائل بن ربيعة، وربيعه من معد بن عدنان، وأمه لطيفة بنت صالح بن إبراهيم السبيهي.

ولد في بلدة غَسَلَةَ (ذات غِسل) في ناحية (الوشم) من منطقة نجد، وكان ذلك في يوم عيد الفطر المبارك من عام ١٣١٩هـ.

نشأته: نشأ وترعرع (رحمه الله) في بيت علم وورع وتقوى وغنى، فقد كان أبوه من أعيان البلدة الأغنياء المتعلمين تعليماً ذاتياً، حيث كان يملك مكتبة في بيته، عامرة بالكثير من الكتب والمخطوطات، وجميعها تبحث في الدين واللغة والأدب، وكانت أمه من المتعلمات النوادر في ذلك الوقت، وقد تربي في هذه البيئة المحبة لفعل الخير، الداعية إليه، حيث وقف والداه أوقافاً كثيرة على طالب العلم، وعلى سراج المسجد وقربته ومسقاته^(٢)، وعلى الجياع وعلى الصوام، وعلى سائر وجوه الخير، فأثرت هذه البيئة تأثيراً قوياً في بناء شخصيته واتجاهاته، ويظهر ذلك جلياً في وصيته.

طلبه للعلم: أدخله والده كتّاب القرية فتعلم القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم كاملاً، وتلقى دروساً في الحديث والتفسير، ثم صار يتردد على بعض العلماء في مدينة (شقراء) المجاورة لقريته، فأخذ مزيداً من العلوم في القرآن والحديث والفرائض والفقه، كما استفاد من المكتبة التي تركها والده - رحمه الله - فقرأ ما فيها من كتب ومخطوطات، وكان والده قد وقفها على طلبة العلم وفق ما ورد في وصيته.

ولم يكتف بذلك، بل لقد رحل إلى (الرياض) لينهل المزيد من العلوم، فجلس إلى علمائها يأخذ عنهم ما جهله ويناقشهم فيما علمه، حتى نال من العلم ما يؤهله لخدمة مجتمعه، ففقل راجعًا إلى بلده ليفيد غيره مما استفاد وليعلم الآخرين مما تعلم، وفيما يلي بعض أسماء المشايخ الذين جلس إليهم في شقراء والرياض:

- الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف آل شيخ.
- الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ.
- الشيخ محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمن.
- الشيخ محمد بن عثمان الشاوي.
- الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن فارس.
- الشيخ عبدالرحمن بن علي العودان.
- الشيخ عبدالرحمن البواردي.
- الشيخ محمد بن سعد البواردي.
- الشيخ إبراهيم بن سعد البواردي.

تكليفه بالإمامة والتعليم: حين عاد إلى قريته كانت قد توافرت فيه الصفات التي تؤهله لإمامة الناس وتعليمهم، فقد جمع إلى العلم الأمانة والذكاء، والتواضع والورع، والحلم والزهد والحكمة، وهذه جعلت أهل بلده يجمعون على تزكيته وترشيحه ليكون إمامًا لهم في الصلاة، وحكمًا بينهم عند المنازعات، ومعلمًا لأولادهم وشبابهم، وكتبوا ذلك في خطابهم الموجه إلى قاضي شقراء، الشيخ محمد بن عثمان الشاوي المؤرخ في ثاني رجب سنة ١٣٥٣هـ ومما جاء فيه: (تعذر إمام مسجدنا عبدالرحمن بن عبدالله العبيدي من الماقف^(٣) ولا قوينا نُؤزَم عليه من قبل الشيوخ^(٤))، سبب هو رجال قريب الطرف ما معه مال ومتعطل،

والموقف ماله ريع يكفي وعذرناه، ونَبَّيْنَا^(٦) علي بن محمد بن عبيد يصير في الإمامة، ولا شأن منه حال جزاء الله خير، كله من شأن جماعته وإلا ما هنا مصلحة وهو رجّال إن شاء الله فيه بركة وورع ودين وكاتب ولا له أشغال تلهيه عن الجماعة، وكأنه تعذر إلا بأمر يجيه^(٣) من جنابكم أدب، كذلك خطكم الذي فيه إلزامه ودنا تعرضه على الإمام الله يعزه بطاعته).

وجاء إلزام الشيخ له كما يلي: (ما عرفتم كان معلوماً ومن خصوص إمام مسجدكم إذا كان أنه متعذر وإن الأخ علي بن محمد بن عبيد فيه كفاءة، فأنا ملزمه بالمسجد والكتّاب^(٦) للجماعة وما جرت عادة أئمتكم بالقيام به، وأوصيته بتقوى الله والتثبت في الأمور خصوصاً عند كتب^(٦) الشهادات أو السنادات بحيث إنه يعلم أننا ما نعتمد إلا كتب^(٦) الناس المعروفين المشهورين بالعدالة هو وغيره وهو إن شاء الله فيه بركة) - (انظر صورة هذا ص ٥٦٣).

ولالإيضاح فإن (عبيد) المذكور هو (عبدالله) جد المترجم له، حيث ينتسب إليه حيناً وإلى مانع حيناً وإلى جلعود أحياناً، وقد صار بيته بعد هذا التكليف مقرّاً لأمانات المودعين، وقلمه ضماناً بين المتكاتبين، ومجلسه ساحة عدل وصلح بين المتنازعين، بل لقد سخر وقته وجهده وماله لتعليم أبناء قريته دون مقابل دنيوي، وكان - رحمه الله - يجمع أبناء القرائن (غسلة والوقف) في الهواء الطلق تحت ظل أثلة على مجرى (وادي العنبري) فيعطي كلاً من الصغار والكبار دروساً متنوعة، كل حسب سنه، ثم اقتصر على تدريس أبناء قريته (غسلة) في غرفة تسمى (المديسة) نصفها مسقوف والآخر مكشوف (لا زالت قائمة إلى الآن) واستمر على ذلك سنوات طويلة درس على يديه فيها خلق كثير.

وفاته: أصيب رحمه الله في آخر حياته بمرض الاستسقاء (الالتهاب الكبدي) ولم يمهلته المرض فانتقل إلى جوار ربه بتاريخ ٢٧ / ٩ / ١٣٧٠ هـ وخلفه على

لبيم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله به سلوم وجاهتكم اهل غسلة صيدا لله به بليهد وبياله سعود و محمد
 وعلي به صيدا لكم به شمس و محمد به صيدا لرحمة به سلوم و هذا لرحمة به فاحصل
 و محمد به بدر هيم به صيدا لكم و عبد الرحمن به مانع ال جناب عالي الجباب العرش المكرم
 القائل ربيع المكارم والشجر محمد به عثمان سالما لله به وهذا وجعل الجنة الفرد
 ما رواه / من سلام عليكم ورحمة الله وبركاته من صيد كتاب البلاغ السلام والرحمة
 والارحام والسكنى عن محاكم جعلها الله حال اسلمه وعلى طريق الحق مستقيد
 لان له انجيز وسرور بعبده يا محب من طال الله بتواضع على طاعته ول مشغنا
 بن صوفى ذكر تعدد امام مستندنا عبد الرحمن به عبد الله العبيدي به الماتق ولا
 ترويا انتم عليه من قبل الشيعة سبب هوز جال تربيه لظن ما صدق مال
 وشمطلوا اكانت ما لدر ربيع يفتي و عذرناه و نيتا علي به محمد به صيد يصير في
 الامامة ولا شان منه حال بمنزلة الله لعله من شان جماعته ولا ما هنا مصلحة
 وهو حال انصاعا لله فيه بركه ورغ و تبه وكاتبه لاله الشغال لكهيه عن اجماعه
 و كانه تعدد الا با مر يجيه من جنابكم ادب كذا في حقه الذي فيكم لرا مكملة و ذنا لمر
 على الامام الله يتر جلا عنه اقول الله ينفذ من معاوية الامام مسجدنا كما عهد مثل
 الائمة التي ير مال امام مسجد نازيب هذا ما ازم و كانت لخط صالح به سليمان به سلوم يبلغ
 جبابكم الشريفة من ربال لصلوات و سلم لنا ما غير من علي اعيان و عنوا باسم البصير و وجه
 سجاد و كرامير و الاضواء القرمه و عبد الرحمن به عوشة و من عن عبيد و من كذا في اعيان و الاضواء
 و سائر لجماعة يسلمون عليكم و السلام ^{سنة ثمانية للهجرة} و الله اعلم
 و عليكم اسلام و رحمة الله وبركاته ^{سنة ثمانية للهجرة} و الله اعلم
 و انه الاخ علي بن محمد بن عبيد فيه كفاؤه فانما لمر منه بالمسجد و الكتب الجلي عنه و ما حرت
 عادت انتمكم بالقيام به و اوصيه بنفوسه و الثابت في الامور خصصه عند
 كتب الشهادات او الكندات بحيث انه يعلم اننا ما نعتمد الا كتب الناس
 المعروفين المشهورين بالعدالة لفقو و غيره و هو الحق و الله فيه بر كهذا قال
 اعلاه الفقيه الى الله محمد بن عثمان اشاوكي و كتبه محمد البصير



الإمامة والتعليم أحد طلابه وهو إبراهيم بن عبدالرحمن المهنا.

[وأورد الكاتب من أسماء طلاب العلم الذين درسوا على يد الشيخ علي أكثر من سبعين اسمًا ما بين أحياء وأموات، منهم من تقلد وظائف عالية في الدولة ومنهم من صار من القضاة والمعلمين].

الرياض: محمد بن عبدالله الجلعود

الحواشي:

(١) عنز بن وائل انتقل إلى جنوب الجزيرة، واختلط نسله بقبائلها من القحطانيين كما جاء في كتاب «جمهرة النسب» لابن الكلبي ج ٢ - ص ١٩٣ تحقيق العظم - : عنز من خثعم حيث كانوا حلفاء لهم. قال: وفي الكوفة درب يقال له درب العنزيين، لم يبق منهم في ذلك الدرب أحد، وهو إلى جنب خثعم، وهم بالسراة مع خثعم حيث كانوا وكذلك هم بفلسطين مع خثعم. انتهى، وعزة هي القبيلة التي انتشرت في وسط الجزيرة وفي نجد، وأكثر المنتسبين إلى بكر بن وائل في نجد كبنو حنيفة وغيرهم في العهد الأخير صاروا ينتسبون إلى (عزة) إذ هي القبيلة الباقية من فروع ربيعة محافظة على كيانها، بينما جهلت الفروع الأخرى بين قبائل الجزيرة في العهود الأخيرة. والانتساب إلى القريب من فروع القبيلة حين يشتهر ويعرف من الأمور المعروفة بين العرب، قديمهم وحديثهم، ومن أمثلة ذلك (شمر) كان اسم فرع صغير من طيء، فلما اشتهر في العصور الأخيرة انضمت فروع قبيلة طيء التي كانت ذات شهرة عظيمة في الجاهلية والإسلام، فاننسبت فروعها إلى (شمر) وجعل اسم طيء في نجد، ولم يبق سوى فرع صغير في أرياف العراق يجهل صلته بقبيلة (شمر).

(٢) قَرْبَةُ - كان من عادة المحسنين إيقافه قَرْبَةً - واحدة القَرْبِ أوعية الماء المعروفة - تملأ ماء عذبًا، وتعلّق في المسجد للشرب، إذ الماء العذب مما يشق الحصول عليه لكل واحد.

و (المسقاة) البشر التي يستقى منها الماء، تكون بجوار المسجد، معدة للوضوء وغيره، وتحتاج لما يصلح شؤونها بتهيئة وسائل إخراج الماء منها، ومكان جمعه، وإصلاح ما يطرأ على البشر، وتلك الوسائل، ويوقف المحسنون على ذلك من غلة بعض العقارات ما يفي به، والوقف في الحالتين يكون الناظر عليه إمام المسجد.

(٣) الماقف: الموقف ويقصد به هنا العمل المنوط بالمسجد من إمامة ونظر في شؤونه مما أوقف عليه كقرب للماء، وبشر، وغيرهما.

(٤) نَبِينَا: أمرنا - والكلمة عامية -.

(٥) الشيوخ: ولي الأمر، ويقصد به الملك عبدالعزيز في ذلك العهد.

(٦) الكُتُب: كتابة الوثائق عن العقارات والوصايا والأصاحي والأوقاف وعقود المداينة.

«الأمكنة والمياه والجبال والآثار»

لأبي الفتح نصر بن عبدالرحمن الأسكندري المتوفى بعد سنة ٥٦١ هـ

- ١٦ -

٦٨- باب الأيسن، والأيسر، والأنسر، والأشتر، والأشير^(١)

أَمَا يَفْتَحُ الْهَمْزَةَ وَبَعْدَهَا يَاءٌ تَحْتَهَا نُفْطَانٍ وَسَيْنٌ مُهْمَلَةٌ ثُمَّ نُونٌ: مَوْضِعٌ أَحْسِبُهُ مِنْ دِيَارِ الْيَمَامَةِ^(٢).

وَأَمَّا كَمَا لِلأَوَّلِ إِلَّا أَنْ سِينُهُ مَفْتُوحَةٌ وَأَحْرُهُ رَاءٌ: فِي شِعْرِ ذِي الرُّمَّةِ^(٣).

وَبِالنُّونِ لِيَجْمَعَ نَسْرًا، رِضْمَاتٌ صِغَارٌ فِي وَضْحِ حِمَى ضَرِيَّةٍ، وَهُوَ فِي الْأَشْعَارِ بِالنَّسَارِ، وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ: الْأَنْسَرُ: بَرَأَقٌ يَبْضُ بَيْنَ مَدْعَا وَالْجَنْجَاءَةِ مِنَ الْحِمَى، وَلَيْسَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ خِلَافٌ^(٤).

(١) فِي كِتَابِ الْحَازِمِيِّ: (بَابُ أَشْتَرٍ وَأَشِيرٍ).

(٢) عِنْدَ يَأْقُوتَ: اسْمٌ لِيَطْنِ وَادٍ بِالْيَمَامَةِ، لِيَتِي عُثَيْدُ بْنُ ثَعْلَبَةَ مِنْ بَيْتِي حَنِيفَةَ، وَالْأَيْسُنُ: هَذَا الْوَادِي لَا يَزَالُ مَعْرُوفًا، تَجَاوَزَهُ عُمُرَانُ مَدِينَةَ الرِّيَاضِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ السَّمَالِيَّةِ، وَقَرُوعُهُ مِنْ مُرْتَفَعَاتٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الدَّرْعِيَّةِ، وَيَتَّجِعُ نَحْوَ الْجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ حَتَّى يَصُبَّ فِي وَادِي حَنِيفَةَ، وَقَدْ سَمَلَهُ الْعُمُرَانُ.

(٣) أَضَافَ يَأْقُوتَ:

يَحِثُّ نَاصِي الْأَجْرَعَانِ الْأَيْسَرُ

وَهَذَا مِنْ أَرْجُوَزَةٍ طَوِيلَةٍ فِي الدِّيْوَانِ يَصِفُ فِيهَا الرُّسُومَ الدَّائِرَةَ مِنْ مَنَازِلِ مِي وَبَعْدَهُ:

فِيهَجْنَ وَقَرًّا وَاقِرًّا لَا يُجَبَّرُ

وَجَاءَ فِي الشَّرْحِ: نَاصِي: وَاصِلٌ. وَالْأَجْرَعَانُ: ثَمَلَتَانِ. وَالْأَيْسَرُ: مَوْضِعٌ وَالسُّوقُ: الصَّدْعُ فِي الْعَظْمِ. وَلَعَلَّ الْمَوْضِعَ فِي الدُّهْنَاءِ.

(٤) أَوْزِدَ يَأْقُوتُ كَلَامَ نَصْرِ بِنَصِّهِ، وَقَبْلَهُ: الْأَنْسَرُ - بِضَمِّ السِّينِ - : مَاءٌ لَطِيءٌ دُونَ الرَّمْلِ قُرْبَ الْجَبَلَيْنِ، وَبَعْدَ كَلَامِ نَصْرِ: وَالرِّضْمَاتُ جَمْعُ رِضْمَةٍ: وَهِيَ صُخُورٌ يُرْضَمُ بِعَفْصِهَا عَلَى بَعْضِ، وَفِي كَلَامِ الْهَجْرِيِّ عَلَى حِمَى ضَرِيَّةٍ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ جَبَلَ نَصَادٍ فِي شَرْقِي النَّيْبِ، وَأَنْ سُئِلَ فِي وَادٍ يُقَالُ لَهُ ذُو بَحَارٍ قَالَ: ثُمَّ الْجِبَالُ الَّتِي تَلِي نَصَادٍ مِنْ جَانِبِهِ الْأَنْسَرُ، وَهِيَ أَبَارِقُ ثَلَاثَةٌ، بِأَسْفَلِ الْوَضْحِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا النَّسْرُ الْأَسْوَدُ، وَالْآخَرُ النَّسْرُ الْأَبْيَضُ، وَالثَّلَاثُ النَّسِيرُ، وَهُوَ أَصْفَرُهَا، وَهَذِهِ الْأَجْبَلُ هِيَ النَّسَارُ وَالْأَنْسَرُ، وَهِيَ فِي حُقُوقِ غَنِيٍّ، وَقَدْ ذَكَرْتُهَا الشُّعْرَاءَ. انْتَهَى

وَأَمَّا يَفْتَحِ الْهَمْزَةَ ثُمَّ شَيْنٍ مَنقُوطَةٍ سَاكِنَةٍ وَتَاءٍ عَلَيْهَا نُقْطَتَانِ وَأَخْرَهُ رَاءً: بَلَدٌ قَرِيبٌ مِنْ هَمْدَانَ^(١).

وَأَمَّا مِثْلُهُ إِلَّا أَنَّ شَيْنَهُ مَكْسُورَةٌ بَعْدَهَا يَاءٌ تَحْتَهَا ثِنْتَانِ: حِصْنٌ عَظِيمٌ بِالْمَغْرِبِ كَانَ مِنْهُ شَيْخُنَا الْحَافِظُ أَبُو مُحَمَّدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ الْأَشِيرِيِّ الْأَنْصَارِيِّ^(٢).

٦٩- بَابُ أَيْجٍ، وَأَنْجٍ، وَأَمَجٍ^(٣)

أَمَّا يَفْتَحِ الْهَمْزَةَ بَعْدَهَا يَاءٌ سَاكِنَةٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ: بَلَدٌ بِفَارِسَ مِنْ كُورَةَ دَارِ أَبْجُرْدٍ، مِنْهُ أَبُو مُحَمَّدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدَ الْأَيْجِيِّ النَّحْوِيُّ، أَكْثَرَ عَنِ ابْنِ دُرَيْدٍ^(٤).

= وَالْأَنْسُرُ: لَا تَرَأَى مَعْرُوفَةً، وَلَكِنْ يَنْطَلِقُهَا بَعْضُ الْعَامَّةِ بِالضَّادِ - الْأَنْسُرُ -، وَهِيَ أَبَارِقُ تَنَعَّ فِي سَهْلِ مِنَ الْأَرْضِ تَبْرُزُ لَهَا رُؤُوسُ كُرُورِ الْجِبَالِ الصَّغَارِ، ثَلَاثَةٌ تَنَعَّ شَمَالَ بَلَدَةِ الْبَجَادِيَّةِ وَتَسُرَى مِنْهَا بِالْعَيْنِ الْمُجْرَدَةِ، وَتَيْسَتْ بِبَيْدَةِ عَنِ جَبَلِ نَصَادٍ، وَلَهَا ذِكْرٌ كَثِيرٌ فِي الشُّعْرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ، وَهِيَ فِي مِطْقَةِ إِمَارَةِ السُّودَانِ (وَتَنَعَّ الْأَنْسُرُ بِقُرْبِ حَطِّ الطُّورِ: ٤٣ / ٣٢ وَحَطِّ الْغُرَاصِ: ٢٥ / ٢٤).

وَمَرْعَا: مَنهَلٌ قَدِيمٌ أُخْتَلَفَ فِي صَبْطِ الْأَسْمِ بَيْنَ الرَّيِّ وَالذَّالِّ (سَلْعَا) وَتَيْسَ مَعْرُوفًا هَذَا الْمَنهَلُ، وَيَسْرَى الْأَسْتَاذُ سَعْدُ بْنُ جُنَيْدٍ: أَنَّ أَوْصَافَهُ تَنْطَلِقُ عَلَى مَنهَلِ الْقَاعِيَّةِ الَّتِي أَصْبَحَ الْأَنْ مَكَانًا مَأْهُولًا فِي الْجَنُوبِ الْغَرْبِيِّ مِنَ الْأَنْسُرِ غَرِبَ قَرْيَةِ الْبَجَادِيَّةِ.

(١) عِنْدَ الْحَازِمِيِّ: أَشْتَرُ: بَلَدٌ قَرِيبٌ مِنْ نَهَاوَنْدِ، خَرَجَ مِنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَحَدَّدَ بِأَقْوَاتِ الْمَسَافَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَهَاوَنْدِ بِعَشْرَةِ فَرَاسِخٍ، وَأَطَالَ بِأَقْوَاتِ الْكَلَامِ عَنْهُ، وَذَكَرَ بَعْضُ الْمَسْتَوْبِينَ إِلَيْهِ.

(٢) عِنْدَ الْحَازِمِيِّ: أَشِيرُ: حِصْنٌ عَظِيمٌ بِالْمَغْرِبِ، كَانَ مِنْهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ أَبُو مُحَمَّدَ الْأَنْصَارِيِّ الْأَشِيرِيِّ، وَفِي «الْمُعْجَمِ» أَشِيرُ: مَدِينَةٌ فِي جِبَالِ التَّرْبِزِ فِي طَرْفِ الْفَرِيعَةِ الْغَرْبِيِّ مُقَابِلَ بَجَايَةِ فِي الْبَرِّ، وَذَكَرَ طَرْفًا مِنْ تَارِيخِهَا، وَقَالَ: وَفِي أَشِيرٍ هَذِهِ الشَّيْخُ الْفَاضِلُ أَبُو مُحَمَّدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدَ الْأَشِيرِيِّ إِمَامٌ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ، وَالْأَدَبِ يَحْلِبُ خَاصَّةً، وَالشَّامَ عَامَّةً، ثُمَّ ذَكَرَ اسْتِزْعَاءَ الْوَزِيرِ ابْنِ هُبَيْرَةَ لَهُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْخَبَرُ فِي تَرْجُمَةِ نَصْرِهِ، وَذَكَرَ أَنَّهُ مَاتَ فِي بَقَاعِ بَغْلَبَكِ فِي سَنَةِ ٥٦١ هـ.

(٣) عِنْدَ الْحَازِمِيِّ (بَابُ أَيْجٍ وَعَنْجٍ وَأَمَجٍ وَأَيْجٍ).

(٤) هُوَ تَعْرِيفُ الْحَازِمِيِّ، وَقَدْ ذَكَرَ بِأَقْوَاتِ: أَيْجٍ وَلَمْ يَضْبُطِ الْأَسْمَ، وَقَالَ: بَلَدَةٌ كَثِيرَةٌ الْبَسَاتِينِ وَالخَيْرَاتِ فِي أَفْصَى بِلَادِ فَارِسَ كَمَا نَتُّ فِي جَزِيرَةِ كَيْشٍ، وَكَانَتْ فَوَاقِمُهَا الْجَبِيدَةُ تُجْلَبُ مِنْهَا إِلَى كَيْشٍ، وَهِيَ مِنْ كُورِ دَارِ أَبْجُرْدٍ، وَأَهْلُ فَارِسَ يُسَمُّونَهَا إِيَّاكَ ثُمَّ ذَكَرَ الْأَيْجِيَّ النَّحْوِيَّ الرَّايَّ عَنِ ابْنِ دُرَيْدٍ.

وَأَمَّا بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَتُونٍ سَاكِنَةٍ: نَاجِيَةٌ مِنْ أَعْمَالِ الزُّوْزَانِ بَيْنَ الْمَوْصِلِ
وَالْمَدِينَةِ^(١).

وَأَمَّا أَمْجٌ مَفْتُوحٌ الْهَمْزَةَ بَعْدَهَا مِيمٌ مَفْتُوحَةٌ: بَلَدٌ مِنْهَا حُمَيْدٌ الَّذِي أَمْجٌ دَارُهُ،
دَخَلَ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، قِيلَ مِنْ أَعْرَاضِ الْمَدِينَةِ^(٢).

٧٠- بَابُ الْمَفْرَدَاتِ (*)

أَرَةٌ: جَبَلٌ بِالْحِجَازِ فِي دِيَارِ مُزَيْنَةَ^(٣).

(١) حَيْدُ الْحَارِمِيِّ نَاجِيَةٌ مِنْ أَعْمَالِ الزُّوْزَانِ.

(٢) حَيْدُ الْحَارِمِيِّ، زَادَ يَأْقُوتٌ وَهُوَ الْقَائِلُ:

سَمِعْتُ أُمَّ أَمِّجٍ قَالَتْ: أَمَّجٌ دَارُهُ حُمَيْدٌ
وَأَمَّجٌ دَارُهُ حُمَيْدٌ أَمَّجٌ دَارُهُ حُمَيْدٌ
وَأَمَّجٌ دَارُهُ حُمَيْدٌ أَمَّجٌ دَارُهُ حُمَيْدٌ

وَأَصَافٌ يَأْقُوتٌ: شِعْرًا أَتْبَعَهُ يَقُولُ ابْنُ الْكَلْبِيِّ: أَمَّجٌ وَعُزْرَانٌ: وَادِيَانِ يَأْخُذَانِ مِنَ حَرَّةِ بَنِي سُلَيْمٍ وَبُغْرِغَانِ فِي
الْبَحْرِ، ثُمَّ أَوْرَدَ قِصَّةً فِي شِعْرِ عُمِّي بِهِ، وَوَرَدَ ذِكْرُ أَمَّجٍ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْكُتُبِ. وَوَادِي أَمَّجٍ هَذَا قَرْنَةُ ابْنِ الْكَلْبِيِّ
بُغْرَانٌ لَا يَزَالُ مَعْرُوفًا، وَلَكِنْ يَغْيَرُ هَذَا الْأَسْمَ فَهُوَ بَعْدَ انْحِدَادِهِ مِنَ حَرَّةِ بَنِي سُلَيْمٍ يُسَمَّى سَابِيَةَ، فَإِذَا انْحَدَرَ
سُمِّيَ الْمَرْوَانِي، ثُمَّ يُسَمَّى بَعْدَ ذَلِكَ الْخُورَانِ - بِالْحَاءِ الْمُعْجَمَةِ - وَيَتَّصِلُ بِخُلَيْصِ، وَأَسْفَلُهُ قَرِيْبٌ مِنَ
الْبَحْرِ يُسَمَّى تَوْلَ، وَفِي الْوَادِي قَرْيٌ وَمَزَارِعٌ وَسُكَّانٌ، وَهُوَ فِي الطَّرِيقِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ بِقَرْبِ مَكَّةَ.

(وَهُوَ بِقَرْبِ حِطِّ الطُّوْلِ: ٣٠ / ٣٩ وَحِطِّ الْقَرْصِ: ١٥ / ٢٢)

(*) لَمْ يُرَاعَ نَصْرٌ - وَرَحِمَهُ اللَّهُ - عِنْدَ إِزَادَةِ الْمَفْرَدَاتِ تَرْتِيبَهَا إِلَّا بِالنِّسْبَةِ لِلْحَرْفِ مِنْهَا، وَتَسْهِيْلًا لِلْبَاحِثِ جَزَى
تَرْتِيبَهَا أُنْجَدِيًّا بِحَسَبِ حَرْفِ كُلِّ اسْمٍ، مَعَ الْمُحَافَظَةِ عَلَى عِبَارَةِ الْمُؤَلَّفِ.

(٣) أَوْرَدَ يَأْقُوتٌ فِي «الْمُعْجَمِ» أَنَّ أَرَةً ثَلَاثَةُ مَوَاضِعٍ فِي الْأَنْدَلُسِ، وَبَلَدٌ فِي الْبَحْرَيْنِ، وَجَبَلٌ بِالْحِجَازِ نَقَلَ وَصْفَهُ
عَنْ «رِسَالَةِ عَرَّامِ بْنِ الْأَصْبَغِ السَّلْمِيِّ» وَيُفْهَمُ مِنْ تَحْدِيدِ الْمُتَقَدِّمِينَ لِهَذَا الْجَبَلِ، أَنَّهُ يَقَعُ فِي مَنطِقَةِ الْفُرْعِ
الَّتَابِعَةِ لِلْمَدِينَةِ، وَيُغْرَفُ الْأَنْ بِاسْمِ مَضْبَةِ أُمِّ الْعِيَالِ بِاسْمِ عَيْنِ كَمَا نَتَّيْمَتْ مِنْ عُيُونِ الْفُرْعِ (وَيَقَعُ جَبَلُ أَرَةَ
بِقَرْبِ حِطِّ الطُّوْلِ: ٣٥ / ٣٩ وَحِطِّ الْقَرْصِ: ١٥ / ٢٣).

وَيْحٌ مِنْ لَامٍ مُسْتَهَامًا!!

آو لو أمتطى شبيهه البُراق
 وأناجي حلو الأمانى خَلِيًّا
 ناعِمي مهجتي بنفحة دِفءٍ
 سابقيني صَفْوِ الوِدادِ فقلبي
 قد يلوح الشقاق نَزْرًا ولكن
 إن تُصَدِّي فكم قد التُّعْتُمِ الصَّدِّ
 أو تجودي فما التواصل إلا
 والتَّلَاقِي عِبر التَّمَسِّي مِرام
 في خضم النفاق في موئل الصدق
 أيُّهَا الرَاحِلُونَ في وهج الضوء
 اغذُّروا مِغْرَمًا مُغِدًّا مع الدرب
 اعذروه فقد حَادَاه التَّمَنِّي
 وازِفِدُوا مُرَهَفَ الفِوَادِ المَعْنَى
 وَيْحٌ مِنْ لَامٍ مُسْتَهَامًا بَرَاهُ

فيجاري زُهْرَ النجوم انطلاقي
 ليس إلاك يا ملاذ اشتياقي
 عَلَّهَا أن تُبَلِّمَ مما تلاقي
 - عن حُمَيَّاك - حاذق في السباق
 ليس من طبعك احتدام الشقاق
 وما قَدْ لقيتُهُ من رِفاقي
 - بالتصاق القلوب - حُلْوِ المذاق
 لا يدانيه - في مساك - التَّلَاقِي
 يُجِئني الأَفْذَادُ وُدَّ النِّفَاقِ
 وفي داجيات ليل المحاق
 لِوَادِ الشَّجَى لِسَلْوَى اللِّحَاقِ
 والتَّغْنِي بِوَضِلِ حُورِ المَآقِي
 بقلوب وُلْهَى وَنُجْلِ الحِجَاقِ
 لَنُفِّمُ شَهْدِ بَيْنِ الشِّفَاهِ الرِّقَاقِ
 عبدالرحمن بن عبدالله آل عبدالكريم

(الجُثَا) و (الظَّهْر)

ورد في (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي»: الجُثَا: قال ياقوت:
بضم الجيم وتخفيف الشاء والقصر - موضعٌ بين فدك وخيبر، يطأه الطريق قال
بشير أبو النعمان بن بشير:

لَعَمْرِي لَحْيٌ بَيْنَ دَارِ مُزَارِحِمٍ وَبَيْنَ الْجُثَا لَا يَجْتُمُّ الصَّبْرَ حَاضِرُ
وأورد الهجريُّ لعمرو بن عونٍ الصارديُّ:

يُهِنُّجُ عَلَيَّ الشَّوْقُ أَنْ شَطَّتِ النَّوَى بسهمية ما شملها بمداني
تَحُلُّ جُثَا وَالظَّهْرَ رَابِعَةً بِهِ وَمَخْضَرُهَا بِالصَّيْفِ جَوْعَتَانِ

سهمية: من سهم من مرة. انتهى، ومرة من غطفان وما بين خيبر وفدك من بلادهم ولم أحدد (الجُثَا)، وقد كتب إلى «العرب» الأخ عطا الله بن ضيف الله الرَّشِيدِيُّ مقالاً عن وادي المنجور - س ٣٣، ص ٨٣٤ - قال فيه: (فَوادي المَنجُور هو الذي أراه - في هذا العهد - (المَمْدُور قديمًا) ينحدر سيله من الركن الجنوبي الشرقي من (الظَّهْر) فينصلت في غائط أفيح، أسنادهُ بَرْقُ، وأسافلُهُ دِمَاثٌ، طَيِّبُ التُّرْبَةِ، ثم يواصل اندفاعَهُ صوبَ الغرب، فيجتمع مع وادي (جُثَا) في قاع واسع، ومنه تخرج سيول الوادِيَيْنِ في مجرى وادٍ واحد، مندفعًا مع جِرَاعٍ غير مريئة، وعلى أميال يسيرة من ذلك يَنْدَاحُ من جانبه الشمالي سَهْبٌ فسيح أبيض اللون، كريمُ المَنبت تعترضه أبارقُ منقادةٌ من الشرق إلى الغرب، فتقطع بِرُمَيْلَةَ (جُبَار) فيما مجرى الوادي أَخْذًا نفسَ الاتجاه صوبَ الغرب مارًا بـ (جُبَار) ومن هنا يأخذ اسم وادي (جُبَار) وعند وصوله (جُبَار) هناك مواضع منسوبة إلى شجر الحرمل لتكاثره فيها). انتهى.

وفي هذا الكلام نصٌّ صريح على أن جُثَا وَالظَّهْرَ لا يزالان معروفين كما حددهمَا الكاتب الكريم في كلامه المتقدم، وتلك المواضع التي ذكر كَانَتْ من

منازل بني مُرّة من غطفان في الشمال الشرقي من حرة خيبر. ومما يلاحظ. أن الأخ الكاتب من قبيلة (بني رشيد) التي ترجع في نسبها فيما اتضح لي إلى قبيلة غطفان، ولا يزال بَنُو رَشِيدٍ يُحِلُّونَ تلك البلاد.

آل حسن في منطقة الجوف من آل ماضي

من المزاريع من عمرو بن تميم

كتب إلى «العرب» كل من الأخ المهندس دليمان بن عمشان بن دليمان آل حسن والأخ حمدان بن عجيريف آل حسن في الجوف بما ملخصه: إن عائلة آل حسن في منطقة الجوف تنتسب إلى ماضي بن محمد من (آل راجح من المزاريع من آل حماد من عمرو بن تميم) وحسن جد الأسرة متواتر لدينا أنه ابن سليمان ابن عبدالله بن ماضي، وأسرة آل حسن معروفة في دومة الجندل وما حولها بالفضل، واشتهر منهم دليمان بن شافي بن عبدالله بن إبراهيم بن سليمان بن حسن، ذو سمعة طيبة، خرج أجداده والأسرة من روضة سدير إثر غزوة الشريف زيد بن محسن شريف مكة الذي قتل أمير الروضة ماضي بن محمد وانتقل بعض آل ماضي إلى الزبير ومنهم سليمان بن عبدالله رئيسهم هناك الذي تولى إمارة الزبير كما ذكر الأمير تركي بن ماضي في «تاريخ آل ماضي»، وكما في كتاب «إمارة الزبير» أنه تولى الإمارة سنة ١٢١٠ ومنهم آل إبراهيم بن ماضي في البصرة والزبير.

ولسليمان بن عبدالله بن ماضي عدد من الأبناء هم: ماضي، وحسن، وندن وشمردل. وكان نزوح سليمان وأبنائه وأخ له يلقب بالخطيب الراجح أن اسمه حمدان بن عبدالله وأبناؤه كان نزوحهم من الزبير حدود سنة ١١٦٣ فعادوا إلى الروضة بعض الوقت، ولم تكن الأحوال مستقرة فيها فرحلوا إلى الجوف وهناك استقرت الأسرة المنسوبة إليهم.

هذا ملخص ما كتبه به الأخوان دليمان وحمدان وارققا به مشجراً لأبناء سليمان

وبعض أبناء حسن ووثيقة مكتوبة ذكر فيها أن عجيريف وإبراهيم وحسن عيال ابن سليمان بن حسن الماضي قاموا بشراء أرض لسكناهم في الجوف سنة ١٢٦٣ ومذيلة بكلمة (خلصوا على يد حمد الشويعر) وختم غير واضح وتاريخ سنة ١٣٣٨. وبنسخة من مؤلف عن هذه الأسرة ألفه الأخ حمدان أوضح فيه ما يرى إيضاحه لإثبات ما سبق، عنوانه «آل حسن في الجوف في الماضي والحاضر» صدر عام ١٤١٧ ورغبا إضافة ما تقدم إلى كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» عند إعادة طبعه.

الأحامدة وبنو صخر

[انظر عن (الأحامدة «الدرر الفرائد المنظمة» و«العرب» س ١٧، ص ٣١٢ و س ٢٤، ص ٥٤٧)]

سرني الاطلاع على مجلة «العرب» س ٣١، ص ٧٧٨ وفيها بحث الأستاذ الكريم راشد بن حمدان الأحيوي بعنوان (فروع بني سليم في قبيلة حرب) وإشارته إلى قبيلة (بني صخر) وإلى (الأحامدة).

ومن هنا وددت الإشارة إلى أن فروعًا معروفة من (بني صخر) ومن (الأحامدة) ما زالت تقطن في (العُلا) وهم معروفون للناس حق المعرفة، ويؤيد ذلك وجود وثائق تاريخية تشير إلى أن عشيرة القضاة بالعلا ترجع في أصولها إلى (الأحامدة) من قبيلة (حرب) يعود ذلك إلى أكثر من ٨٠٠ عام، وهم يتكونون الآن من مجموعة من الأسر هي أسرة القاضي، وأسرة الإمام وأسرة الرئيس، وهذه الأسر جدُّهم واحد وهو (أمين) وأسرة الطعيمة..

وقد تحالفت هذه الأسر مع عدد من أسر العشائر الأخرى، مثل أسرة الرئيس وأبي خالد، والحميدات والخُرَيْنِق، والشكارنة، والتميم، وكلها يعود نسبها إلى قبائل عربية معروفة، بالإضافة إلى عدد من الأسر المنقرضة مثل الهويان، والشريان، والجريدة، وأخيرًا أسرة التميم. ويرأس مشيخة العشيرة الآن الشيخ عبدالله بن رشيد بن سالم بن موسى القاضي، وكان لهذه العشيرة شرف المناصرة

والولاء مع (آل سعود) أيدهم الله منذ عام ١٢٥٧هـ وتوضح الوثائق التاريخية هذه الحقائق بجلاء تام، لا يُساوره شك لدى المهتمين والمتبعين.

أما عشيرة بني صَخْرٍ، والتي كانت تقطن (العُلا) فما زالت بقاياهم موجودة، وهذا يتفق مع ما ذكرتموه في الصفحة (٧٨٩) من أن القبيلة عندما تنتقل من بلد إلى آخر فقد يبقى منها بقية في منزلها الأول.

والموطن الأول لبني صخر [جبل طيء في شمال نجد، ثم تفرقوا، ومنهم من سكن] العُلا ولست ادعي في ذلك معروفة ولكنني أَسْتَشْفُ ذلك مما أسمع من بني صخر الموجودين في (العُلا) والمعروفين باسم عشيرة (العلي) وشيخهم الشيخ محمد بن عبدالله المبارك، الذي حباه الله فقهاً وعلماً، وكثير منهم قد هاجر إلى الأردن، أما الباقون منهم فهم المعروفون باسم عشيرة العلي، ويتكئون من مجموعة من الأسر هي: أسرة المبارك وأسرة الجمعة وأسرة آل عبدالواحد وأسرة السويري وأسرة العامر وأسرة أبو زينة.

العُلا: محمد بن عبدالله بن رشيد القاضي

حول بلدة العطيان وسكانها

نشرت «العرب» س ٣٣، ص ١٤٢ للأخ علي بن إبراهيم بن محمد الرويف والأخ محمد بن فواز آل داوود كلمة عن بلدة العطيان وسكانها. وقد ورد إلى المجلة التعقيب التالي عليها من الأخ صالح بن علي آل مسلم: (نفيدكم بأن ما ذكرتم في كتابكم «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» هو الصحيح، إذ يوجد في بلدة العطيان من قبائل آل مرشد من بني تميم أربع قبائل هي كالتالي: آل إبراهيم بن سليمان من آل مسلم، آل سعيد من آل عوان، آل علي بن راشد من آل عبدالله، آل متين من الضيفان من تميم الأوائل من بني عبدالله بن دارم العبادلة، علماً بأن هذه البلدة كانت في الماضي لآل راشد من العبادل من تميم الأوائل ولا تزال بعض آثار مساكنهم حتى الآن). انتهى، وطلب نشر هذا في المجلة.

* «فضل العرب والتنبيه على علومها»

لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ هـ

(المجمع الثقافي) في مدينة (أبو ظبي) يعد من المراكز الثقافية الحديثة النشأة، ومع هذا فله في هذا المجال نشاط متميز، فقد نشر في فترة قصيرة من الزمن عددًا من المؤلفات، وهي وإن كان يغلب على أكثرها اتصالها بالجانب الحيوي المعاصر، إلا أن هذا لا يقلل من قيمتها العلمية، بل ربما يكون الاهتمام بهذا بالنسبة للأمة العربية أعمَّ نفعًا، وأعظمَّ جدوى، فحياتها لا تتوقف على الجانب الروحي، الذي تمتد جذوره إلى أصول الثقافة العربية الإسلامية، في عصورها الزاهية فحسب، بل لا بُدَّ لها من أن تتدرَّجَ بجميع وسائل القوة في حاضرها، ولن يتم هذا حتى تنال نصيبها من علوم العصر كاملاً غير منقوص.

ولقد كان مما أكرمني به هذا (المجمع) طائفة من منشوراته المتنوعة، مما كنت أود - من قبيل الاعتراف بالفضل - أن أتحدث عن جميعها حديثاً مفصلاً إلا أن تنوع موضوعاتها أجل وأوسع، وأعمق من أن أستطيع من ذلك ما أرتضيه لنفسي، إذ أدركُ قبل غيري قصوري وعجزِي و (رحم الله امرأ عرف قدر نفسه).

لقد كان من أجل ما نشره (المجمع) كتاب «النقائض» وقد تحدثت عنه في مجلة «العرب» - س ٣٢ ص ٨٥٠ - .

وهذا كتاب آخر جليل القدر بغزارة علمه، وبعلو منزلة مؤلفه بين العلماء، وبقدم زمنه، إذ عاش في القرن الذي عدّه المصطفى - عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى التسليم - من القرون المفضلة بقوله: «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» وتعدُّ مؤلفات ابن قُتَيْبَةَ من أهم مصادر الأدب، بل الثقافة العربية عامة، ككتاب «غريب القرآن» و «مشكل القرآن» و «مشكل الحديث» و «عيون الأخبار» و «أدب الكاتب» و «المعارف» و «طبقات الشعراء» و «الإمامة والسياسة» و «الأنواء» و «الميسر والقَدَاح» وغيرها ومنها هذا الكتاب

«فضل العرب والتنبية على علومها» الذي يرجع الفضل الأول في التنبية على قدره لمؤرخ الشام وعالمه الأستاذ محمد كرد علي (١٢٩٣/١٣٧٢) الذي نشر بعضه في مجلة «المقتبس» سنة ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) ثم أعاد نشر هذا في كتابه «رسائل البلغاء» فاتَّجه الباحثون المعاصرون للتفتيح عنه، ونشره، ودراسته، بل دراسة حياة ابن قتيبة، ومؤلفاته بصفة عامة، مما يجد القراء طرفاً منه في مقدمة الطبعة الحديثة التي بين أيديهم من هذا الكتاب.

وهنا يحسن التنبية على أمر هام حول موضوع الكتاب وعنوانه هو أن صفة (الفضل) صفة مدح على الاتصاف بصفة، يتميز بها الموصوف، ومتى زالت عنه زال الاتصاف، و (العرب) في عهد ابن قتيبة وما قبله كانوا يتصفون بصفات حميدة، يمتازون بها على غيرهم من الأمم، ولهذا اختار الله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم منهم، وهو ﴿أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ واختار اللغة العربية ليخاطب بها رسوله، بما أوحى به إليه من شرائع الإسلام وأحكامه وأدابه، وربط معرفة كل ذلك بمعرفة هذه اللغة، وبها صانه الذي تولى حفظه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ وفي عهد ابن قتيبة نبتت نابتة من أبناء الشعوب التي اعتنقت الإسلام، من غير العرب، تجهل فضلهم، وتنال من قدرهم عرفوا بـ(الشُّعُوبِيَّة) فتصدى العلماء للرد عليهم، ومنهم ابن قتيبة في كتابه هذا.

ومعاذ الله أن يكون الحامل له تعصُّباً، ولكنه أراد أن يبرز فضل أمة وصفها الله جل وعلا بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ وأنها تنمى إلى عنصر طيب.

ثم هو أرفع قدرًا وأجلُّ علماً بأن يتغاضي أو يغض الطرف عن «النقائص» ولكنه عاش في عصر غير عصرنا، وفي أمة غير أمتنا:

وَهَلْ إِنْ كَانَ حَاضِرُنَا شَقِيًّا نَسُودُ بِكَوْنِ مَاضِينَا مَعِيئِدًا؟!

لقد أبرز ابن قتيبة في كتابه «فضل العرب» محامد ومحاسن وفضائل للعرب في

ماضيهم، جاء الدين الإسلامي باقرارها والحث عليها، وهي مما امتازت بها العرب ففضلت بها على غيرها، ومن يَدْرِي لعله لو كان ممن عاش في هذا العصر لا تَصَحَّتْ له جَوَانِبُ أخرى يدعو إلى التحلي بها، ومنها اتخاذ جميع وسائل القوة - أيًا كانت - لحماية صورة الأمة، وصيانة كيانها، والحفاظ على ثروتها، ولن يكون ذلك إلا بالعلم، المقرون بالعمل النافع.

وأراني استرسلت في الحديث الذي ينبغي حصره في نشر أثر من آثار علمائنا العاملين، أبرز فيه صفحات مشرقة لأمتنا في ماضي عصرها، جديرة باتخاذها قدوة، ووسيلة للاعتبار والتفكير، والعمل الجاد لتجاوز ما نحن فيه من عَشْرَةٍ وُحْمُود، إلى حياة أَسْعَدَ من حياتنا الحاضرة!!.

ولن تفوت الإشارة إلى الجهد المتميز الذي بذله الأستاذ الدكتور محمود وليد خالص في تحقيق هذا الكتاب حتى بدا بصورة من الوضوح لا يُقَلَّلُ منها ما وقع من غموض بعض كلمات^(١) منه لما أصاب الأصل المخطوط من آثار القدم، وقد يجود الزمان بمخطوطة أكمل وأوضح.

ولا يعني هذا الغض عن الجهد الواضح للمحقق الكريم في كل صفحة من صفحات هذا الكتاب، مما يدل على سعة اطلاعه وحرصه على أن يقدم الكتاب بخير صورة.

الحواشي:

(١) مثل كلمة (وهو حامد الله شاكراً له) حيث قرأها المحقق الكريم ص ٢٠٧ وهو (حامل كفه شاكر له) ومثل ضبط كلمة (عمير بن سلمى الحنفي) - ص ٦٣ - ووضع فتحة فوق السين، خطأ والصواب ضَمُّ السين، وسكون اللام، والميم مكسورة (سُلْمِي) قال ابن ماكولا في كتاب «الإكمال» - ج ٤ ص ٣٢٧ - في ذكر مُجَاعَةَ بن مُرَازَةَ بن سُلْمِي الذي يقال له مجاع البمامة كذا، وجدته مطبوعاً بخط ابن عبدة، وكذا قاله شبَّلُ النسابة بالضم، وعُمَيْرُ بن سُلْمِي قائد الجرباء كَتَيْبَةُ، وهو أحد الأوفياء. إلى آخر ما ذكر.

وكلام ابن ماكولا ليس كاملاً في الضبط، ولكن ورد في مخطوطة مكتبة راغب باشا في استنبول من «مختصر الجمهرة» سُلْمِيّ مضبوطة شكلاً واضحاً متقناً، بضم السين وإسكان اللام وكسر الميم بعدها ياء - ص ١٥٧ - في نسب بني حنيفة وكذا رأيت في مخطوطات أخرى، ولا يزال هذا الاسم مستعملاً في نجد في عهدنا.

المجلات
 هي المردود - شارع محمد السادس - هاتف ٤٦٢١٤٤٢
 ص ٠ ب ١٣٧ - البريد البريدي ١١٤١١
 الرياض - المملكة العربية السعودية

العَرَبُ
 مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
 خاشما الزنيس نعرتها - تحقده الجمايس

للإبنة (السنبري)
 ١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال للبرامج
 الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
 قسم الجزء: ١٧ ريالاً

ج ٩، ١٠، ٣٤ - الربيعان، سنة ١٤٢٠هـ - تموز، أب (يوليه، اغسطس) سنة ١٩٩٩م

التصنيف في أسماء المواضع

الواردة في الأخبار والأشعار

(٢٦)

صَخْن: (الصَّخْن)

قال ياقوت في «معجم البلدان»: (صَخْن: بالفتح ثم السكون: بَلَدٌ فِي دِيَارِ سُلَيْمٍ بِالْقَرَبِ مِنْ وَادِي بَيْضَانَ، وَقِيلَ بِالصَّادِ الْمَهْمَلَةِ، كُلُّهُ عَنْ نَضْرٍ).

وقال نَضْرٌ فِي كِتَابِهِ فِي (بَابِ صَخْنٍ وَصَخْنٍ): (مَابَعْدَ الضَّادِ حَاءٌ مَهْمَلَةٌ بَلَدٌ فِي دِيَارِ سُلَيْمٍ بِالْقَرَبِ مِنْ وَادِي بَيْضَانَ، وَقِيلَ بِالصَّادِ الْمُهْمَلَةِ. وَالصَّخْنُ بَلَدٌ وَاسِعٌ مِنْ أَوْدِيَةِ بَنِي سُلَيْمٍ).

وقال الحازمي في كتابه: صَخْنُ بفتح الصاد وسكون الحاء وآخره نونٌ: جَبَلٌ فِي بِلَادِ سُلَيْمٍ فَوْقَ السُّوَارِقِيَّةِ، قَالَهُ الْكَنْدِيُّ. وَقَالَ: فِيهِ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ الْهَبَاءَةُ وَهِيَ أَفْوَاهُ أَبَارٍ كَثِيرَةٌ مُخْرَقَةٌ الْأَسَافِلِ، يُفْرَغُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ مِنْ مَوَاضِعِ الْمَاءِ عِدَابٌ طَيِّبَةٌ يَزْرَعُ عَلَيْهَا الْحِنْطَةَ، وَالشَّعِيرَةَ، وَمَا أَشْبَهَهُ قَالَ الشَّاعِرُ:

جَلَبْنَا مِنْ جَنُوبِ الصَّخْنِ جُرْدًا عِتَاقًا سِرُّهَا نَسْلٌ لِنَسْلِ
 فَوَافَيْنَا بِهَا يَوْمِي حُنَيْنٍ نَسِيَّ اللَّهِ جِدًّا غَيْرَ هَزْلِ

وأرى صواب الاسم بالصاد والحاء المهملتين (صَخْن) وهو الذي أورد فيه الحازمي قول عرام بن الأصبغ ونسبه للكندي وهو رَاوِي رسالة عرام ونص ما فيها:-
 بعد ذكر وادي بَيْضَانَ ٤٣٥-: وحذاؤه وادٍ يقال له الصَّخْن، قال فيه الشاعر. إلى

آخر ما ذكر الحازمي فسماه واديًا وليس جبلًا كما هنا، وكما نقل ياقوت،
والصَّخْنُ هذا وادٍ لا يزال معروفًا وهو ثنيٌّ من وادي بيضان، أشهر أودية بلدة
صُفَيْنة الواقعة في منطقة المَهْد (مَعْدِن بني سُلَيْم قديمًا) ويبعدُ الصَّخْنُ عن
صُفَيْنة خمسة عشر كيلًا، ولا يزال ماءُ الهَبَاءِ معروفًا في الشمال الغربي من وادي
الصَّخْنُ، ويقصد الشاعر بيومي حنين الأول يوم (حُنَيْن) ثم يوم (أوطاس) حين
انهزمت هوازن وخرجت من العبال إلى سهل (أوطاس) وعند نصر: الصَّخْنُ بَلَدٌ
وَاسِعٌ من أودية بني سُلَيْم، والصَّخْنُ أرضٌ واسعة تخترقها عدد من الأودية.

وقد أفرد للصحن مصور جغرافي رقمه (٤٠٢٣/٣٢) وتقع هذه الأرض (بين
خطي الطول: ١٥/٤٠ و ٣٠/٤٠ وخطي العرض: ٢٣/٠٠ و ٢٣/١٥) تقع
جنوب بلدة صُفَيْنة بنحو ٢٥ كيلًا، وهذه الأرض المعروفة باسم الصَّخْنُ في منطقة
المَهْد (معدن بني سُلَيْم قديمًا).

الضِفْرُ: (صفر)

قال البكري في «معجم ما استعجم» في حرف الضاد والفاء: (الضِفْرُ بفتح أوله
وكسر ثانيه، بعده راء مهملة: موضع من الفَرَشِ، مذكور في رسم الفَرَشِ، وبه كان
منزل أبي عُبَيْدَةَ بن عبد الله بن زَمْعَةَ بن الأسود بن عبدالمطلب بن أسد بن
عبدالعزى، وهو أحد الأجواد المُطْعِمِينَ). ولم يذكر في رسم (الفَرَشِ) الضفر
هذا، ولكنه أحال إلى رسم ملل قائلًا: تقدم ذكره.

وقال في رسم (ملل): (وبالفَرَشِ جبلٌ يقال له صَفْرٌ أحمر كَرِيمٌ المَغْرِسِ، وبه
رَدْهَةٌ، وبناء لزيد بن حسن، قال عمرو بن عائذ الهذلي:

أَرَى صَفْرًا قَدْ شَابَ رَأْسُ هِضَابِهِ وشَابَ لِمَا قَدْ شَابَ مِنْهُ الْعَوَاقِرُ
وشَابَ قَنَانٌ بِالْعَجُوزِينَ لَمْ يَكُنْ يَشِيبُ وشَابَ الْعُرْقُطُ الْمَتَجَاوِرُ

هكذا أنشده السكوني، والعجوزان: من الفَرَشِ، وهما هضبتان في قفا صَفْرٍ،
وبها رَدْهَةٌ وقال محمد بن بَشِيرٍ يذكر صَفْرًا في رثائه أبا عُبَيْدَةَ بن عبد الله بن زَمْعَةَ:

أَلَا أَيُّهَا النَّاعِي ابْنَ زَيْنَبَ غُدْوَةٌ نَعَيْتَ الْفَتَى دَارَتْ عَلَيْهِ الدَّوَابُّ

أَقُولُ لَهُ وَالذَّمْعُ مِنِّي كَأَنَّهُ جُمَانٌ وَهِيَ مِنْ سِيلِكِهِ مُتَبَادِرٌ
لَعْمَرِي لَقَدْ أَمْسَى قَرَى النَّاسِ عَاتِمًا لَدَى الْفَرَشِ لَمَا غَبَيْتَهُ الْمَقَائِرُ
إِذَا مَا ابْنُ زَادِ الرَّكْبِ لَمْ يُمِسْ نَازِلًا قَفَا صَفْرٍ لَمْ يَقْرَبِ الْفَرَشِ زَائِرُ

وكان زَمْعَة - جد هذا المرثي - ابن الأسود بن عبد المطلب بن أسد، أحد أزواد الركب، وكان أبو عبيدة هذا ينزل الفرش، وكان كبير ينزل الضيفان وضاحك: بين الفرش وبين الضيفان، وقد ذكره ابن أذينة، فقال:

أَنْكَرْتُ مَنْزِلَةَ الْخَلِيطِ بِضَاحِكٍ فَعَفَا وَأَقْفَرَ مِنْهُمْ عَبُودُ
وَعَبُود: بين الفرش وصدر ملل، وبطرف عبود عين لحسن بن زيد مُنْقَطَعَة، وبالفرش الجريب، وهو بطن وإد يقال له مَثْعَر، وهو ماء لِجَهِينَة (انتهى).

وكلمة (صفر) في كلام البكري غيرها محققو الكتاب وكانت في الأصل (ضفر) مما يدل على أن البكري - رحمه الله - صحف الاسم أو تصحف عليه، ونص الكلام الذي أورده البكري ورد بنصه في كتاب «جمهرة نسب قريش»^(١) للزبير بن بكار، بما لا حاجة للإطالة بذكره.

ومما وقع للبكري - رحمه الله - فيما نقل عن كتاب الزبير ونصه في كتابه «جمهرة النسب»^(٢): (أبو عبيدة بن عبدالله بن زمعة وكان شريفًا مطعمًا، وكان كثير الضيفان) انتهى، فتوهم البكري - رحمه الله - أن الضيفان اسم موضع، فقال في رسم ضيفان: بكسر الصاد وبالفاء بعد الياء على وزن فعلان: موضع قد تقدم ذكره في رسم ملل، ولهذا قال في رسم ملل: وكان كبير ينزل الضيفان، وضاحك بين الفرش وبين الضيفان، وقد أوضح وهمه في الموضعين أستاذنا الشيخ محمود شاكر - رحمه الله - في حواشيه على كتاب «جمهرة نسب قريش» وجبل صفر هذا لا يزال معروفًا، ولكن العامة يبدلون الصاد سينًا فيسمونه (سفر) وهو جبل أحمر، يقع غرب الفرش، وبينهما يمر سيل مَرَيَيْن، ويلاصق هذا الجبل من الشمال جبل يعرف باسم العود، وبينهما سهول مَرَيَيْن.

ضَهَيْدٌ: (صَيِّهْدٌ)

قال ياقوت في «معجم البلدان»: (ضَهَيْدٌ: بالفتح ثم السكون وياء مثناة من تحت مفتوحة، ودال مهملة، يقال: ضَهَدَهُ إذا فهِرَهُ وضَهَيْدٌ: موضع، قال ابن جنِّي: ومن فوائت «الكتاب»: ضَهَيْدٌ اسم موضع ومثله عَتِيدٌ، وكلاهما مصنوع، وقد ورد في الفتح في ذكر فلاة بين حَضْرَمَوْتِ واليَمَنِ يقال لها ضَهَيْدٌ، فعلى هذا لَيْسَتْ بمصنوعة . انتهى .

وأرى أن صواب الاسم (صَيِّهْدٌ) بصاد مهملة بعدها هاء ساكنة فياء مثناة تحتية فدال مهملة، وهي الفلاة التي في جهة حضرموت واليمن، وقد قال عنها البكري في «معجم ما استعجم»: صَيِّهْدٌ - بفتح أوله وإسكان ثانيه، بعدها هاء مفتوحة، ودال مهملة - أرض باليمن، وهي ناحية منحرفة ما بين بَيْحَانَ فمأرب فالجوف فَنَجْرَانَ، فالعَقِيْقُ فالدَّهْنَاءُ، فراجعاً إلى عَبْرِ حَضْرَمَوْتِ. والرَّسُّ المذكور في التنزيل بناحية صَيِّهْدٌ قال الهمداني: ذَهَبَ فِي صَيِّهْدٍ فِي عَهْدِنَا قِطَارٌ فِيهِ سَبْعُونَ مَحْمِلاً مِنْ حَاجِّ الحَضَارِمِ صَادِرِينَ مِنْ نَجْرَانَ، كَانَتْ فِي أَعْقَابِ النَّاسِ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ دَلِيلٌ، فَسَارُوا اللَّيْلَةَ، وَأَضْبَحُوا قَدْ تَيَاسَرُوا عَنِ الطَّرِيقِ وَتَمَادَى بِهِمُ الْجَوْرُ، حَتَّى انْقَطَعُوا فِي الدَّهْنَاءِ فَهَلَكُوا) انتهى .

وأصل كلامه هذا في كتاب «صفة جزيرة العرب» للهمداني ونصه: (أما فلاة اليمن وغائطه فإنه صَيِّهْدٌ، وهي فلاة تتفرق من الدهناء من ناحية اليمامة والفَلَجِ، ويشرع عليها جزر اليمن من مصامة بني عامر، بناحية تَرْجِ فَتَثْلِيثٌ فيما بين تَثْلِيثٍ وَدُثَيْنَةٍ وَتَفَرَّقُ هَذِهِ الْفَلَاةُ بَيْنَ جِزْرِ الْيَمَنِ مِنْ أَسْفَلِ هَذِهِ الْأُودِيَةِ وَبَيْنَ حَضْرَمَوْتِ مِنْ أَرْبَعِ مَرَاحِلٍ وَخَمْسٍ فِيمَا بَيْنَ نَجْرَانَ وَبَيْحَانَ، وَأَمَّا مَا خَلْفَ نَجْرَانَ إِلَى الشَّمَالِ فَأَكْثَرُ، لِأَنَّ صَيِّهْدَ تَقْبَلُ عَنْ فَرَقَيْنِ مِنَ الدَّهْنَاءِ أَحَدُهُمَا مِنْ شَرْقِي الْيَمَامَةِ وَيَبْرِينَ، وَالثَّانِي مِنْ غَرْبِي الْيَمَامَةِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ جَبَلِ الحَضْنِ فَشَرْقِي بَلَدِ بَنِي هَلَالٍ، وَشَرْقِي أَعْرَاضِ نَجْدِ تَبَالَةَ وَتَرْجٍ وَيَيْشَةَ حَتَّى يَصْدُرَ عَنِ المِصَامَةِ، وَهِيَ فَلَاةٌ لَا مَاءَ فِيهَا، فَمَنْ أَرَادَ حَضْرَمَوْتِ مِنْ نَجْرَانَ وَالجُوفِ جُوفِ هَمْدَانَ وَمَأْرَبِ، فَمَخْرَجُهُ العُجْبِ،

منهل فيه آبار، ومن قصدها من بيحان والسرو ودثينة فمخرجه من بلد مذحج ثم خرج أودية تصب من بلد مذحج إلى حضرموت، حتى يصل إلى دهر، وهو أول حضرموت من ذلك الجانب وهو لكندة وساكنه تُجيب، ثم إلى وادي رُخية وفيه قرى منها صمغ وسور بني حارثة). انتهى

والصَّيْهَد: القاع المطمئن يصهد فيه الحر ويصُخَد، وقد تَوَسَّع الهمداني في وصف صَيْهَد فادخل أراضي واسعة ليست داخل حدودها مما دفع أحد المعاصرين وهو الأستاذ محمد عبدالقادر بامطرف بأن يستدرك عليه، انظر عن ذلك مجلة «العرب» - س ٣٣، ص ٦١ - وما بعدها، وصَيْهَدُ الآن داخلَةٌ في مُسَمَّى (الرُّبْع الخالي) الواقع شرق نجران المتصل في الجنوب ببلاد حضرموت.

طَاسَى: (طَاشَى)

قال البكري في «معجم ما استعجم» في رسم (الأشعر): (ومن أودية الأشعر طَاسَى، وهو يصبُّ على الصفراء، وهي لبني عبدالجبار الكلبيين، وهم يزعمون أن لهم دعوة من رسول الله ﷺ في أموالهم، ومن أوديته عَبَائِرُ، وهو لبني عثم، من جهينة، وفيه يقول الخارجي:

خَلِيلِيَّ دُلَانِي عَبَائِرَ إِنهَا يَمُرُّ عَلَى قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ طَرِيقَهَا
هَدَتْنَا لَهَا مَشْبُوبَةٌ يُهْتَدَى بِهَا يُضِيءُ ذُرَا ذَاتِ الْعُظُومِ حَرِيقَهَا

يعني قيس بن سعد بن زيد الأنصاري).

وقال أيضًا: (وقد تقدم في رسم الأشعر: طَاسَى موضع آخر، وهو وادٍ من أودية الأشعر). انتهى.

وَصَوَاب طَاسَى (طَاشَى) بالشين المعجمة الممدودة بالألف المقصورة، وهو وادٍ لا يزال معروفًا فيه سكان وزروع ونخيل، قال عنه الهجري - ١٣١٩ -: (ومن أودية الأشعر طَاشَى وهو يصبُّ على الصفراء). ثم أورد نصَّ ما ساقه البكري في «معجمه»، ونص كلام منقول عن الهجري ولكنه لم ينسبه إليه.

وجبل الأشعر يسمى الآن (جَبَلُ الْفِقْرَةِ) وَطَاشًا من أوديته التي تتجه إلى الغور، ولا يزال معروفًا وفيه سكان وزرع ونخيل، (ويقع بقرب خط الطول: ٣٨ / ٥٤) وخط العرض: ٢٤ / ٠٢). على ما ذكر الأستاذ الدكتور أسعد عبده، وأشار إلى أن اسمه ورد في الخريطة (تَسْحَة).

طَلْحَام: (طِلْحَام)

قال ياقوت في «معجم البلدان»: (طِلْحَام: بكسر أوله وسكون ثانيه، وخاء معجمة، وهو في الأصل الفَيْلُ الأَثْنَى، وَرُبَّمَا روي بالحاء المهملة، قال لبيد: فَصُورَاتِي إِنْ أَيْمَنْتَ فَمِظْنَةٌ مِنْهَا وَحَافُ الْقَهْرِ أَوْ طِلْحَامُهَا). وقد سبق لياقوت أن أورد الاسم بالصيغة الصحيحة قائلاً ما نصه: (طِلْحَام بالحاء المهملة قال ابن المعلى الأزدي: طِلْحَامٌ بِالْحَاءِ المَهْمَلَةِ، لا تَلْتَفِتَنَّ إِلَى الخاء المعجمة فليست بشيء، قاله زيد في قول ابن مقبل:

بِيضِ الأَنْثُوقِ بِزَعْمِ دُونَ مَسْكِنِهَا وَبِالأَبَارِقِ مِنْ طِلْحَامِ مَرْكُومِ) وكذا فعل قبله البكري الذي قال: (طِلْحَام بكسر أوله بالحاء المهملة وقال الخليل هو بالخاء المعجمة: أرض، وقيل اسم وادٍ، قال ابن مقبل) ثم أورد البيت. وأضاف: (قال أبو حاتم: لم يصرفه لأنه اسم لشيء مؤنث ولو كان اسم وادٍ لَانْصَرَفَ، وقال ابن مقبل أيضًا:

فَقَالَ أَرَاهَا بَيْنَ تَبْرَاكَ مَوْهِنًا وَطِلْحَامِ إِذْ عَلِمَ البِلَادَ هَدَانِي). انتهى وكذلك يسمى الوادي الذي تحدثت عنه بتوسع في مجلة «العرب» - ص ٢٨، ص ٨ - فعدده من أشهر الأودية التي تمتد فروعها من السراة، وقلت بعد أن أوردت قول لبيد: (وتمتد فروع طلحام من قرب خط الطول: ٤٤° وينتهي الوادي بقرب خط الطول: ٤٥°، وبقرب خط العرض: ٤٠° / ١٨ حيث يجتمع بوادي أديمة ويتجهان شرقًا بعد انقطاع الجبال إلى الأرض البراح المتاخمة لرمال الدهناء. وجاء في أحد التقارير الرسمية عن وادي يَدَمَة وهو وادي طِلْحَام ما نصه: يمتد الوادي بطول دائرة عرض ٤٥° / ١٨ من الشرق إلى الغرب وينساب باتجاه الشرق ويختفي داخل

تكوين الوجيد، حيث يقوم بتغذية الطبقة الحاملة للمياه، هذا مع العلم بأن حوض وادي يَدْمَة يغطي مساحة ٤٧٥, ٦ كيلاً مربعاً، ويقع بمنطقة قليلة الأمطار، ولهذا السبب فإن إمكانات تنمية المياه الجوفية به ضعيفة، وحقيقة الأمر أنه في جميع مساحة الوادي يقوم البَدُوُّ باستخدام الآبار من أجل شرب حيواناتهم فقط) انتهى.

وقد حُرِّف الاسم فكتب في إحدى الخرائط (تِلْهَم).

طَيْح: (طَيْخ)

قال البكري في «معجم ما استعجم»: (طَيْح - بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده حاءٌ مهملة - : موضع مذكور في رسم (فَيْفَا حُرَيْم) فانظره هناك).

وقال في رسم فَيْفَا: (وَيَنْبُعُ مِنَ الْحَوْزَاءِ قَرِيبٌ مِنْ طَيْحٍ، وَطَيْحٌ مِنْ أَسَافِلِ ذِي الْمَرْوَةِ، وَذُو الْمَرْوَةِ: بَيْنَ ذِي حُشْبٍ وَوَادِي الْقُرَى) انتهى.

وقال ياقوت في «معجم البلدان»: (طَيْحٌ - بِالْفَتْحِ: مَوْضِعٌ بِأَسْفَلِ ذِي الْمَرْوَةِ، وَذُو الْمَرْوَةِ: بَيْنَ ذِي حُشْبٍ وَوَادِي الْقُرَى، قَالَ كَثِيرٌ:

فَوَاللهِ مَا أَذْرِي أَطَيْحًا تَوَاعَدُوا . لَيْتُمْ ظَمَّ أُمَّ مَاءٍ حَيْثُ دَا أوردوا) انتهى.

وكذا ورد الاسم في كتب اللغة كـ «اللسان» و «تاج العروس» ورد بالخاء المعجمة. وَحَيْثُ دَا عند ياقوت في رسم الحاء وفي هذا الموضع وردت بالخاء المهملة، وكذا وردت في مطبوعة «ديوان كَثِير» ولكنها وردت في «معجم ما استعجم» بالجيم وهو الصواب (جيدة) فهي موضع لا يزال معروفًا في تلك الناحية، وهي قرية كانت مقرًا لأحد شيوخ قبيلة بلي المعروف باسم (مَنْقَرَة) لها ذكر في الأخبار والأشعار الحديثة تَقَعُ شَرْقَ بَلْدَةِ الْوَجْهِ غَرْبِي سَهْلِ الْمَطْرَانِ فِي الْمُنْتَصَفِ بَيْنَ الْمَوْضِعَيْنِ (بقرب خط الطول: ٢٦ / ٣٧ وخط العرض: ٢٦ / ٠٩).

(للحديث صلة)

حمد الجاسر

الحواشي:

إسهام المملكة في نشر التراث وتحقيقه

(٢)

المؤسسات العلمية ونشر التراث:

أولاً: الجامعات السعودية:

أ- جامعة الملك سعود: كانت (كلية الشريعة) بمكة المكرمة التي أنشئت سنة ١٣٦٩هـ أول كلية للتعليم العالي في المملكة. غير أن الأسس المنهجية الحديثة للتعليم الجامعي لم تعرف إلا بإنشاء جامعة الملك سعود سنة ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م فكان ذلك إيذاناً بانطلاقة التعليم العالي والبحث العلمي إلى آفاق متطورة سواء في المنهج أو في التناول.

وكانت بعثات جامعة الملك سعود الأولى إلى المراكز العلمية الجامعية خارج المملكة نوافذ فتحتها الجامعة للبلاد على العلم الحديث، وعلى ما يجري في دنيا البحث العلمي في مراكزه العلمية.. وعندما عادت كوكبة من أساتذة هذه الجامعة من الخارج عرفت الجامعة ضرورياً من التحديث الجامعي لم تكن معروفة في دنيا التعليم العالي بالمملكة، ومن ذلك تحقيق التراث على أسس علمية، وإنشاء المجلات العلمية، وتكوين الجمعيات المتخصصة والمتاحف التي تعني بالتراث القديم، وإنشاء المكتبات العلمية المتطورة ومنها مكتبات حفظ المخطوطات.

ولعل أول كتاب من كتب التراث ينشر لأستاذ من أساتذة الجامعات السعودية هو كتاب «الإيضاح العضدي» للدكتور حسن شاذلي فرهود وذلك سنة ١٣٨٦هـ الذي كان يمثل أطروحته للدكتوراه وقد حصل عليها من جامعة لندن، وقد طبعه على حسابه في القاهرة، وأعقبه نشر كتاب «الأمثال» لأبي فيد مؤرج بن عمرو السدوسي الذي نشر لأول مرة في «مجلة كلية الآداب» بجامعة الرياض في عددها الأول سنة ١٣٦٠هـ / ١٩٧٠م بتحقيق أحمد بن محمد الضبيب وهو أول كتاب

تراثي - فيما نعلم - يصدر عن جامعة سعودية. ثم أفرد بالنشر في العام نفسه. وعلى الرغم من هذه الريادة لجامعة الملك سعود إلا أنها لم تواصل نشر كتب التراث على نطاق واسع، ولذلك لم تظهر في مطبوعاتها أعداد ملحوظة من المطبوعات التراثية لقلّة المختصين في التراث، ولكون الجامعة تهتم كثيراً بدراسات العلوم الحديثة والتقنية. فقد أصدر أساتذتها مجموعات كبيرة من المؤلفات في الفيزياء والكيمياء والرياضيات، وعلوم الأرض، والأحياء والنبات والحيوان، والعلوم الطبية والصيدلة والعلوم الهندسية والتطبيقية والعلوم الزراعية والأغذية والفنون والعمارة وغيرها. هذا إلى جانب أن كثيراً من أساتذة الجامعة العاملين في مجال التراث فضلوا نشر نتاجهم في مجلة كلية الآداب في صورة تحقيق لرسائل صغيرة تفيد في الترقية بالدرجة الأولى. وسوف نتطرق إلى ذلك عند الحديث عن المجالات العلمية.

والناظر في دليل مطبوعات الجامعة الصادر سنة ١٤١٧هـ يجده لا يحتفظ برصيد كبير في هذا المجال فليس فيه إلا سبعة كتب مفردة نشرتها الجامعة هي حسب التسلسل التاريخي:

- ١- كتاب «التمييز» للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) حققه وقدم له وعلق عليه محمد مصطفى الأعظمي سنة ١٣٩٥هـ.
- ٢- «ترسل ابن قلاوس الإسكندري»، تحقيق عبدالعزيز بن ناصر المانع سنة ١٤٠٠هـ.

٣- «التكملة» وهي الجزء الثاني من «الإيضاح العضدي»، لأبي علي الحسن ابن أحمد الفارسي (ت ٣٧٧هـ) تحقيق حسن شاذلي فرهود سنة ١٤٠١هـ.

٤- «الإعراب عن قواعد الإعراب»، لابن هشام الأنصاري (ت ٣٦١هـ) تحقيق علي فودة نيل سنة ١٤٠١هـ.

٥- «الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة»، تحقيق محمد بن لطفي الصباغ سنة ١٤٠٣هـ.

٦- «الزهر الباسم والعرف الناسم في مديح الأجل أبي القاسم»، لابن قلافس الإسكندري، تحقيق عبدالعزيز بن ناصر المانع سنة ١٤٠٤هـ.

٧- «شعر ضبّة وأخبارها في الجاهلية والإسلام»، جمع حسن عيسى أبو ياسين سنة ١٤١٦هـ.

ب- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: وحسب التسلسل التاريخي في نشر كتب التراث المحققة تحقيقًا علميًا تأتي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (وكانت نواتها الرئاسة العامة للكتابات والمعاهد العلمية) تالية لجامعة الملك سعود. وذلك بنشر كتاب مكّي بن أبي طالب القيسي «الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه» سنة ١٣٩٦هـ بتحقيق أحمد حسن فرحات^(١).

وقد تعددت جهات النشر في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فتارة تكون كلية الشريعة التي نشرت بعض كتب الإمام ابن تيمية كـ «الرسالة التدميرية» سنة ١٣٩٦هـ وبعض مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وتارة كلية أصول الدين التي نشرت كتاب «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية بتحقيق محمد رشاد سالم سنة ١٣٩٩هـ، وكتاب «الاستقامة» له سنة ١٤٠٣هـ و «منهاج السنة النبوية» له سنة ١٤٠٨هـ، أو المجلس العلمي الذي نشر سنة ١٣٩٩هـ كتاب «المحصول في علم أصول الفقه» للفخر الرازي بتحقيق طه جابر فياض، و«الإبانة عن أصول الديانة» للإمام أبي الحسن الأشعري سنة ١٤٠٠هـ، و«تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين» وغيرهم لأبي مسعر التنوخي بتحقيق عبدالفتاح الحلوس سنة ١٤٠١هـ و «حماسة أبي تمام» تحقيق عبدالله عبد الرحيم عسيلان سنة ١٤٠١هـ وغيرها.

وعندما أنشئت عمادة البحث العلمي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية أوكل إليها نشر بعض كتب التراث واهتمت بالرسائل الجامعية، خاصة ما يتعلق منها بالنحو، فأصدرت سنة ١٤١١هـ «شرح اللمع» للأصفهاني تحقيق

إبراهيم محمد أبو عباة، و «شرح الحدود النحوية» سنة ١٤١١ هـ تحقيق صالح العائد، و «شرح الرضى لكافية ابن الحاجب» تحقيق حسن الحفظي سنة ١٤١٤ هـ. كما أصدرت «فهارس معجم الأماكن» الواردة في المعلقات العشر لعلّي حسين البواب سنة ١٤١٣ هـ.

والملاحظ أن نشر التراث في جامعة الإمام قد طرق مجالات مختلفة وإن كانت الكتب المتعلقة بالعميدة قد أخذت النصيب الأوفر مما نشرته الجامعة (١٤ كتابًا) يليها الأدب (٨ كتب) ثم النحو (٥ كتب) ثم أصول الفقه، اعتمادًا على ما جاء في دليل مطبوعات الجامعة حتى نهاية سنة ١٤١٤ هـ ونحسب أنه لم يظهر دليل بعده.

غير أن الجامعة لم تقتصر على ما نشرته من كتب في تشجيع حركة إحياء التراث بل عضدت بعض كتب التراث بالشراء والتوزيع، مثل كتاب «طبقات ابن سعد»، و«سير أعلام النبلاء» و«طبقات الشعراء» لابن سلام، و«المغني» في الفقه لابن قدامة وغيرها من الكتب، إلى جانب ما أحدثته الجامعة من رواج عام في سوق الكتاب التراثي بفعل فتح الباب للدراسات العليا فيها بتوسع، واعتماد كثير من الباحثين والطلاب على كتب التراث، مما أدى إلى ازدهار نشر الكتاب التراثي. شأنها في ذلك شأن الجامعتين السعوديتين الأخرين جامعة أم القرى والجامعة الإسلامية، على ما سنتطرق إليه لاحقًا في الفصل الخاص بالدراسات العليا.

ج- جامعة أم القرى: في عام ١٣٩٦ هـ أنشئ مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، وهو أول مركز علمي يعنى بتحقيق التراث في المملكة، وكان تابعًا لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة، وقد كانت آنذاك مرتبطة بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة ثم تحول الفرع بعد ذلك إلى (جامعة أم القرى) وأخيرًا تغير اسم المركز إلى مركز (إحياء التراث الإسلامي) وضم إلى (معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي) بجامعة أم القرى منذ عام ١٤٠٦ هـ،

وهو أول مركز علمي يعنى بتحقيق التراث ونشره في المملكة وقد جاء من أهداف هذا المركز المتعلقة بإحياء التراث عند إنشائه ما يأتي:

- ١- جمع التراث الإسلامي المخطوط على ميكروفيلم.
 - ٢- تيسيره للباحثين كي يطلعوا عليه.
 - ٣- اختيار أهم المخطوطات في الحقول المختلفة للتحقيق.
 - ٤- التعاون مع العاملين في تحقيق التراث في العالم الإسلامي في تبني إنتاجهم ونشره.
 - ٥- التعاون مع المراكز والمؤسسات المماثلة في نشر الموسوعات وتحقيق التراث.
 - ٦- إعداد الكفاءات الناشئة، وتدريبها تدريباً يمكنها من تحمل المسؤولية بإعداد دورات لهذا الغرض.
 - ٧- إتاحة الفرصة للأساتذة الذين يتفرغون للبحث العلمي أو التحقيق من جامعة الملك عبدالعزيز أو الجامعات الأخرى^(٢).
- كانت أهداف المركز كبيرة، وقد حقق معظم هذه الأهداف بنجاح، فكون مكتبة للمصورات هي الأولى من نوعها في المملكة، وحسب إحصاء أخير يحتفظ هذا المركز بأكثر من ١٦٠٠٠ مخطوطة مصورة^(٣)، كما قام في بداية أعماله بانتقاء الأعمال التي تدخل ضمن أهدافه ونشرها، وإن لم تكن من نتاج المركز. فكانت باكورة أعماله رسالة دكتوراه قدمت لجامعة الأزهر سنة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م في علوم الحديث بعنوان «يحيى بن معين وكتاب التاريخ» للدكتور أحمد محمد نور سيف نشرها المركز سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) ويضم دليل معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي الصادر سنة ١٤١٧هـ (١٩٩٧م) (٦٩) إصدارًا كثيرًا، منها طبع وقليل منها تحت الطبع، ولقد غطت إصدارات المركز مساحة كبيرة نسبيًا من دنيا التراث العربي القديم في علومه المختلفة،

كعلوم القرآن التي صدر منها كتاب «القراءات السبع» لابن الباذش الأنصاري (ت ٥٤٠هـ)، وكتب الحديث التي صدر منها أربعة كتب مهمة هي «غريب الحديث» للخطابي (ت ٩٨٨هـ) و«غريب الحديث» للحري (ت ٢٨٥هـ) و«المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث» لأبي موسى المدني (ت ٥٨١هـ) و«منال الطالب في شرح طوال الغرائب» لمجد الدين ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، وكتب أصول الفقه التي صدر منها «بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب» لشمس الدين محمود بن عبدالرحمن الأصفهاني (ت ٧٤٩هـ)، و«التمهيد في أصول الفقه» لمحفوظ بن أحمد الكلوذاني (ت ٥١٠هـ)، و«شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير» لمحمد بن أحمد الفتوح، المعروف بابن النجار (ت ٩٧٢هـ)، و«المغني في أصول الفقه» لجلال الدين عمر بن محمد الخبازي (ت ٥٩١هـ) و«المختصر في أصول الفقه» على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لعلي بن محمد البعلي الحنبلي المعروف بابن اللحام (ت ٨١٣هـ).

أما في اللغة والنحو فقد نشر المركز عددًا لا يستهان به من المؤلفات مثل «المساعد على تسهيل الفوائد» لابن عقيل (ت ٧٦٩هـ) و«التبصرة والتذكرة» لعبدالله الصيمري (ق ٤)، وكتاب «المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح على حروف المعجم» لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ) و«المنتخب من غريب كلام العرب»، لكراع النمل (ت ٣١٠هـ) و«شرح الكافية الشافية» لابن مالك (ت ٧٦٩هـ) و«إكمال الأعلام بتلخيص الكلام» له، و«الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة» له و«الإرشاد إلى علم الأعراب» للكيشي (ت ٦٩٥هـ) و«شرح فصيح ثعلب» المنسوب للزمخشري (ت ٥٣٨هـ).

وأولى المركز تواريخ مكة وكتب التراجم عناية خاصة، واهتم بما ألف منها في عصر المماليك، مثل «الدليل الشافي على المنهل الصافي» لابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ) و«الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين» لابن دقماق (ت ٨٠٩هـ)، و«إتحاف الوري بأخبار أم القرى» للنجم ابن فهد (ت ٨٨٥هـ)، و«غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام» لعز الدين بن فهد (ت ٩٢٢هـ).

وفي الأدب نشر المركز «كتاب الأمثال» لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) و «تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبى» لسليمان بن علي المعري (ق ٥).

د- الجامعة الإسلامية: أنشئت الجامعة الإسلامية سنة ١٣٨١هـ (١٩٦١م) وكان إنشاؤها في المدينة المنورة باعثاً على حركة علمية نشطة، تدور حول التراث وتستمد منه، فإلى جانب ما كان أساتذتها - وبعضهم من جلة العلماء - يدفعون به من مؤلفات، فإن الحركة العلمية التي أحدثتها الجامعة جعلت المكتبات التجارية في منطقة المدينة تنشط لتلبية احتياجات الأساتذة والطلاب، وكان من أثر ذلك أن ازدادت المكتبات التجارية التي تتعاطى كتب التراث، وكانت المدينة في السابق مقتصرة في هذا الشأن على أشهر مكتبتين وهما المكتبة السلفية لصاحبها محمد بن عبدالمحسن اليماني والمكتبة العلمية لصاحبها محمد النمكاني، وكانتا تلبيان حاجة الباحثين من علماء الحرم النبوي الشريف وطلابه، وتتوليان طبع بعض كتب التراث ونشرها. وبعد إنشاء الجامعة زادت المكتبات كما زاد نشر الكتب التراثية وتصويرها.

وفي سنة ١٣٩٩ / ١٤٠٠هـ أنشئ في الجامعة الإسلامية المجلس العلمي (فرع إحياء التراث الإسلامي) وكان من أهدافه:

- ١- إحصاء البحوث والتحقيقات التي يقوم بها أعضاء هيئة التدريس بالجامعة.
- ٢- اختيار المناسب من هذه البحوث بغرض تعييدها ونشرها من قبل الجامعة.
- ٣- وضع لائحة لتعزيد التحقيق والتأليف والترجمة عن طريق نشر الكتب ومكافأة أصحابها.

وأنشئ مركز للبحث العلمي ملحق بالمجلس العلمي، ضم إليه عدد من الباحثين الذين عهد إليهم بتحقيق بعض الكتب، وقد أشار المركز إلى أن أول مشاريعه التي أسندت إلى أولئك الباحثين تحقيق كتاب «إتحاف المهرة بأطراف

العشرة» للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) وهو كتاب ضخيم يقع في حدود ألفي ورقة^(٤).

ولقد تعددت المراكز التي تقوم بطباعة الكتب ونشرها في الجامعة الإسلامية، فإلى جانب مركز البحث العلمي نجد (مركز شؤون الدعوة)، وقد نشر جملة من الكتب التراثية، ويبدو أنه اهتم بالكتب المدرسية، إذ لم نجد فيما اطلعنا عليه من مطبوعاته ما يتفق وقواعد التحقيق المعروفة، وإنما تنشر الكتب على شكل متون يستعملها الطلاب في الجامعة، أو توزع على العامة خارجها. مثل إعادة نشر كتاب «الحيدة» للإمام عبدالعزيز بن يحيى الكناني (ت ٢٤٠هـ) وكتاب «الإبانة عن أصول الديانة» للإمام أبي الحسن الأشعري الذي قدم له الشيخ حماد بن محمد الأنصاري سنة ١٤٠٩هـ.

ومركز ثالث أنشئ في الجامعة الإسلامية مؤخرًا هو (مركز خدمة السنة والسيرة النبوية)، الذي نظن أنه خلف مركز البحث العلمي السابق كي يتخصص في بحوث الحديث النبوي والسيرة، وكان باكورة إنتاجه كتاب «بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث»^(٥) تأليف الحافظ علي بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي الشافعي (ت ٨٠٧هـ) سنة ١٤١٣هـ بتحقيق حسين أحمد صالح الباكري سنة ١٤١٣هـ، وكانت في الأساس رسالة للدكتوراه قدمها الباحث إلى شعبة السنة بقسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سنة ١٤٠٥هـ، كما صدر عن هذا المركز كتاب «الأحاديث الواردة في فضائل المدينة»، جمعًا ودراسة للدكتور صالح بن حامد بن سعيد الرفاعي سنة ١٤١٣هـ.

أن معظم ما أصدرته هذه الجامعة يختص بتراث الحديث النبوي دراية ورواية وهو ما يتطرق إليه فصل خاص في هذا البحث.

ثانيًا: المراكز العلمية:

إلى جانب ما أنشئ في بعض الجامعات من مراكز علمية تهتم بالتراث، فقد

تأسس خارج الجامعات مركزان تمثل خدمة التراث الوطني والعربي والإسلامي
جل اهتماماتها وهما:

أ- دارة الملك عبدالعزيز: أنشئت دارة الملك عبدالعزيز سنة ١٣٩٢ هـ وصدر
المرسوم الملكي بالموافقة على نظامها في ٥ / ٨ / ١٣٩٢ هـ وكان الغرض من
إنشائها كما جاء في ذلك النظام (خدمة تاريخ المملكة وجغرافيتها وآدابها،
وآثارها الفكرية والعمرانية خاصة، والجزيرة العربية، وبلاد العرب والإسلام عامة)
كما أن من وسائلها لتنفيذ ذلك: (تحقيق الكتب التي تخدم تاريخ المملكة،
وجغرافيتها، وآدابها وآثارها العمرانية، وطبعها وترجمتها بشكل خاص، وتاريخ
الجزيرة العربية والبلاد العربية والإسلام بشكل عام)^(٦).

ولقد اهتمت الدارة بما أنيط بها من موضوعات، فأصدرت بعض كتب التاريخ
المتعلقة بالمملكة العربية السعودية ولعل أهم ما طبعته في هذا المجال ما يأتي:

١- كتاب «عنوان المجد في تاريخ نجد» سنة ١٤٠٢ هـ، محققاً بقلم
عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ وهو إعادة لطبعة وزارة المعارف
سنة ١٣٩٤ هـ، ولا تتميز عنها إلا بالتنظيم والترتيب والورق الصقيل، وإمداد
الكتاب بفهارس مفصلة.

٢- كتاب «لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب» لمؤلف مجهول،
ربما كان اسمه حسن بن جمال أحمد الريكي، صدر سنة ١٣٩٥ هـ. وقد سبق أن
نشر هذا الكتاب في لبنان سنة ١٩٦٧ م بتحقيق أحمد مصطفى أبو حاكمة، ولكن
طبعة الدارة هدفت إلى تبيين الأخطاء التي حفل بها الكتاب، لأن المؤلف كان
متحيزاً ضد الدعوة السلفية، وقد وكل إلى الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل
الشيخ وضع التنبيهات على مواضع كثيرة في الكتاب.

٣- كتاب «كيف كان ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب» لمؤلف مجهول، بتحقيق
عبدالله الصالح العثيمين، عن مخطوطة وحيدة في المكتبة الأهلية بباريس رقم ٦٠٦١.

ذلك أهم ما أنتجته الدارة فيما يتعلق بتحقيق التراث. ويعجب المتابع من عدم قيام الدارة بتحقيق أقدم تواريخ الدولة السعودية وأقربها إلى انبثاقها، وهو كتاب «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام» لمؤلفه الشيخ حسين بن غنّام، خاصة والكتاب في حالته الراهنة غير مستفاد منه بالطريقة المثلى، وكان على الدارة أن تحاول إخراج نسخة علمية محققة موثقة تعتمد على النسخ - إن وجدت - وتوازن بين الروايات وتكمل النقص البادي في النسخة التي بين أيدينا، وتصنع الفهارس الضرورية.

غير أن مما يحمد للدارة أن اهتمت بجلب الوثائق التاريخية عن المملكة وحفظها وخاصة بعد أن أوكلت إليها مهام (المركز الوطني للوثائق والمخطوطات) ومن مهامه:

١- جمع الوثائق التاريخية وحفظها سواء كانت حكومية أو غير حكومية وكذلك حفظ التسجيلات الصوتية للذين عاصروا الملك عبدالعزيز.

٢- الإشراف على تنظيم الوثائق وتصنيفها وفهرستها.

٣- تيسير الاطلاع على هذه الوثائق ونشرها، والاستعانة بجميع الوسائل العلمية في هذا السبيل، والإسهام في تنشيط حركة البحث التاريخي ونشر المعرفة التاريخية فيما يتعلق بتاريخ المملكة.

٤- جمع أكبر عدد ممكن من المخطوطات من داخل المملكة وخارجها، وإصدار الفهارس اللازمة لها.

وقد ضم المركز وثائق تركية قدرت بخمسة آلاف وثيقة بين سنتي (١٧٤٦ م) وحتى بداية العقد الثاني من القرن العشرين، كما ضم وثائق إنجليزية تدور بين عامي (١٩٠٤ م) إلى (١٩٣٨ م) بعضها صدر عن وزارة الخارجية البريطانية، وبعضها من مكتب الهند بلندن، وبعضها من وثائق جامعة كمبردج، كما حصلت الدارة أيضًا على وثائق إنجليزية محفوظة في السودان ولم تنقل إلى بريطانيا، هذا

إلى جانب بعض الوثائق العربية من العراق والوثائق الوطنية لدى الأفراد
والمؤسسات وغير ذلك^(٧).

وقد ترجمت الدارة بعض هذه الوثائق ونشرتها، وذلك إسهام يميّزها عن غيرها
من مراكز العناية بالتراث في المملكة^(٨).

ب- مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية: أنشئ مركز الملك فيصل
للدراسات الإسلامية سنة ١٤٠٣هـ ضمن منظومة مؤسسة الملك فيصل الخيرية.
واهتم بشكل خاص بإنشاء قواعد المعلومات المتخصصة وكثير منها ذو علاقة
بالتراث مثل: قاعدة المعلومات للمخطوطات العربية، قاعدة معلومات
البيبلوجرافيا عن المخطوطات المحققة والمنشورة، قاعدة المعلومات
البيبلوجرافية عن الرسائل الجامعية.

وقد أصدر المركز منذ إنشائه عددًا من الأعمال العلمية التي ألفها أسلافنا القدماء
مثل كتاب «الأموال» لابن زنجويه (ت ٢٥١هـ) حققه شاكر فياض، وهو من الكتب
التي تهتم بالاقتصاد الإسلامي إبان سيادة الحضارة الإسلامية، ونشر المركز كتاب
«إشارة التعيين في تراجم النحويين واللغويين» لعبد الباقي بن عبد المجيد اليماني
(ت ٧٢٣هـ) حققه عبد المجيد دياب وهو من كتب القرن الثامن الهجري.

ومما سبق به هذا المركز غيره من المراكز نشره لبعض كتب الطب القديمة
المتعلقة بالكحالة (طب العيون) ككتاب «كشف الرين في أحوال العين» لمحمد
ابن إبراهيم السنجاري المعروف بابن الأكفاني (ت ٧٤٩هـ)، وكتاب «نور العيون
وجامع الفنون» لصلاح الدين بن يوسف الكحال الحموي (ت ٦٩٦هـ) وكلاهما
بتحقيق محمد ظافر الوفاي ومحمد رواس قلعه جي سنة ١٤٠٧هـ.

وآخر ما نشره المركز من كتب التراث كتاب «طبقات القراء» للإمام شمس
الدين الذهبي بتحقيق أحمد خان، وهي طبعة جديدة لكتاب الإمام الذهبي

المطبوع سابقاً بعنوان «معرفة القراء الكبار»، وتمتاز هذه الطبعة بأنها تمثل الصيغة الأخيرة للكتاب كما وضعها مؤلفه، وقد زادت التراجم فيها بما يفوق الضعف عن الطبعة السابقة.

(للبحث صلة)

د. أحمد بن محمد الضبيبي

الحواشي:

(١) لم يسبق ذلك، حسب علمنا، إلا نشر بعض أعمال طلاب السنة الرابعة في مادة الأدب، في مشروع أشرف عليه الدكتور عبدالرحمن رأفت الباشا، يهدف إلى جمع شعر الدعوة الإسلامية وأطلق عليه اسم «موسوعة الدعوة الإسلامية» وهذه المؤلفات وإن كانت تمثل جمعاً لبعض نصوص التراث، إلا أنها، وقد كانت أعمالاً طلابية سريعة - تفتقر إلى النضج العلمي.

(٢) «مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي» مكة المكرمة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبدالعزيز، سنة ١٣٩٨هـ، ع ١، ص ٢٨١.

(٣) بافقيه، على علوي، «مجموعات المخطوطات بالجامعات السعودية»، القاهرة، «مجلة معهد المخطوطات العربية» مج ٤١، ج ١، محرم ١٤١٨هـ / مايو ١٩٩٧م، ص ٣١٦.

(٤) جميع المعلومات الواردة عن هذا المركز مستقاة بتصرف قليل من تصدير للدكتور أكرم ضياء العمري رئيس المجلس العلمي لكتاب ابن مندة «كتاب الإيمان» ص.ب - ج، وفيما يخص كتاب «إتحاف المهرة» انظر الهامش التالي.

(٥) جاء على غلاف هذا الكتاب أنه رقم ٢ في سلسلة مطبوعات المركز، ولكن مدير الجامعة الدكتور عبدالله الصالح العبيد أشار في مقدمته (ص ٢) إلى أنه (الكتاب الأول الذي قدمه المركز للنشر مع أن جهود المركز قد سبقته إلى كتب أخرى من أبرزها «إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة، من أطراف العشرة» للحافظ ابن حجر العسقلاني، الذي تم تحقيق معظم أجزاءه إلا أن ضخامة الكتاب قد أخرت ظهوره). وأشار مدير الجامعة نفسه في مقدمته لكتاب آخر هو «الأحاديث الواردة في فضائل المدينة»، ط ١، الجامعة الإسلامية، مركز خدمة السنة والسير النبوية سنة ١٤١٣هـ، ص ٦) إلى (أن الأجزاء الأولى من كتاب «إتحاف المهرة» قد دفعت للطبع، وأنه يقع في عشرين مجلداً).

(٦) دارة الملك عبدالعزيز، دليل الدارة، الرياض، مط. الفرزدق التجارية سنة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م ص ص ١٢ - ١٢.

(٧) المرجع السابق، ص ص ٤٨ - ٥٢.

(٨) يوسف، أحمد كمال، «كشاف الدارة لخمسة عشرة عائناً من السنة الأولى للسنة الخامسة عشرة»، الرياض،

دارة الملك عبدالعزيز، بلا تاريخ، ص ص ١٢٢ - ١٢٣.

جولة في كتاب «الدلائل»

(١)

النشْبُثُ بالجد: وأريد به قد يكون هذا (التشْبُثُ) من صفات الجادِّين الساعين إلى المعرفة والتزوُّد بها إن كان لديهم طاقة في الوصول إلى ما يبتغون. غير أنني وجدت أن بين هاؤلاء المتشبهين نفرًا لم يدرك أنه لا يطبق أن يصل إلى ما يريد. وكأنَّ هذا النفر يجهل أنه لا يطبق، ولكنه يسعى، فهل يكون له ما يريد؟!

أقول هذا وأنا أنظر إلى كتاب «الدلائل»^(١) للحسن بن بهلول، وليس (البهلول)، كما أراد محققه الدكتور يوسف حَبِّي^(٢). وسأعرض للعلم (بهلول) في كلامي على مقدمة المحقق.

إن هذا الكتاب كان من منشورات (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) وكان ينبغي أن يكون مما قد توجهوا به إلى جمهرة القراء توجُّهًا حسنًا لينالوا رضاهم. وذلك أن هاؤلاء يحكمون على أي عمل ثقافي بمقدار ما يجدون فيه من فوائد علمية.

أقول: وإني لأسف أشدَّ الأسف على ما أخرجته هذه المنظمة العلمية من آثار علمية. لقد كان لي أن اطلعتُ على «المعجم الأساسي»^(٣) الذي اضطلع بتصنيفه وترتيبه، وما يقتضي هذا العمل من تنضيد في الحاسوب وغيره جمهرة من الرجال قد تبلغ بهم السبعين. وأنت بعد أن تقرأ هذا القدر الكبير من المشاركين في إخراج هذا «المعجم» يذهب بك الظن إلى أنه عمل فريدٌ وأنه بعض معادن العلم، وتقول كما قيل:

إذا الحمل الثقيل تَوَزَّعَتْهُ أَكْفُ الْقَوْمِ هَانَ عَلَى ...

وما إن تشرع في قراءته حتى تدرك ما درج عليه العامة في أمثالهم: (قَدْرُ الشراكة ما يفور). لقد كان لي أن قرأت هذا المعجم - ولا أدعوه «الأساسي» الذي وجدت بين أسماء مصنِّفيه أسماء من ذوي العلم. وأسفت أن يشارك هاؤلاء في

هذا العمل الذي اشتمل على أوهام علمية وغيرها. لقد كان لي من هذا جزء يُرَبَّى على مئة من الصفحات، وقد أرسلت ما كان لي إلى (المنظمة) ولكنني لم أتسلم جوابًا من هذه المؤسسة العلمية. وعجبتُ أن يكون في المعجم تصدير لمديرها الذي أطرى عمل هذه الجمهرة الذين شاركوا في هذه الصَّنعة.

ثم كان لي أن وقفت على كتاب كبير هو «المجمل» لأحمد بن فارس الذي أخرجته (المنظمة) في أجزاءٍ عدّة. قرأت هذا المعجم فوجدت مدير المنظمة يقدّمه ويُنهي على محققه الذي أساء العمل لأنه لم يكن من أهل هذه الصنعة العلمية، ولكنه غامرَ بنفسه مفيدًا من جرّأته التي صارت سمة هذا العصر. لقد كان لي تصحيحات واستدراكات تجاوزتُ فيها مئتين من الصفحات.

ثم كان لي أن وقفت على الكتاب الثالث الذي وسمه صاحبه بـ «الدلائل» ولم تكن «الدلائل» إلا شيئًا من مواد الكتاب، وكأنه غلّبَ البعض على الكلّ، أو كأن ذلك من قبيل تسميه الكلّ بما بُدئ به العمل كما عرفناه في كتاب «العين» للخليل بن أحمد، وكتاب «الحماسة» لأبي تمام وغير ذلك.

ولقد أخذت بتصدير الأستاذ الدكتور محيي الدين صابر المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الذي جاء فيه تعريفًا لما يقوم به معهد المخطوطات العربية فقال: (وهاهوذا [أي المعهد] يشرف على إعداد كتاب من كتب التراث الثقافية الموسوعية المهمة، والتميز في بابه، فكرةً وتأليفًا وعرضًا. وهو كتاب «الدلائل» الذي وضعه العلامة الحسن بن البهلول). ثم أضاف: (والكتاب يضم دلائل العلوم الطبيعية والحيوية والطبية والهندسية والرياضية والفلكية والعلوم الإنسانية، بما في ذلك الآداب والتاريخ والجغرافية، ومفاهيم النظرية الفلسفية، وأصول الأفكار الدينية، السماوية منها، والوثنية. وفيه توثيق مقارن لحضارات الشعوب وعاداتها، وتقاليدها ومعارفها، بما في ذلك مواسمها الاجتماعية كالأعياد وتقويمها الزمني وأسماء شهورها. وقد رصد المؤلف كل ذلك وفقًا للتقويم العربي...)^(٤).

ثم أشار الأستاذ صاحب التصدير إلى قدرة المؤلف في التصنيف وحسن إفادته من المصادر التي نوّه بها، ثم كان منه إشادة بصنعة المحقق الدكتور يوسف حبي، كما أشاد بجهد معهد المخطوطات الكويتي.

أقول: لا أستطيع أن أنفي أن صاحب التصدير كان على بعض العلم من قراءة عابرة للكتاب، لم يقف فيها على جلّ ما فيه، وعلى عواره، ولا أدري ما كان للمراجع للكتاب، وهو الدكتور محمد عبدالهادي أبو ريدة، وما الذي أضافه أو استدرك به على الكتاب، وهو أستاذ له دُرْبَةٌ في هذه النصوص؟

أقول: لم يكن من شيء لهذا المراجع الأستاذ الجليل، وإني لأشك أن كان منه قراءة جادة.

ولو أن شيئاً من هذا كان من صاحب التصدير مدير (المنظمة العربية)، ومن المراجع أستاذ الفلسفة لكان لأيّ منهما أن يُطالب المحقق، وهو في حماسته العارمة أن يُعرّف بالمصنف الحسن بن البهلول تعريفاً جيداً ولا يقتصر على شذرات لا تفي بالحاجة.

إن التعريف بالمصنّف أو قل ترجمته شيء لا بدّ منه في (المقدمة) التي شمّر فيها الدكتور يوسف حبي المأخوذ بحماسة تتجاوز الحد للتراث النصراني.

أقول: إنّي لأحمد للأستاذ حبي هذه الحماسة في نشر التراث النصراني، وإني لأؤثره على غيره من أهل الدرس الفلسفي الديني من المسلمين، غير أنني لا أعذره أن يبتعد عن هذا الأمر، وهو شيء لا بدّ منه في (تقديمه). إن القارئ القريب من هذه المعرفة الدينية التاريخية يطلب هذا وهو محتاج إليه، فضلاً عن عامة القراء الذين يعينهم الدرس التاريخي.

أقول: كأنّي بالمحقق قد بحث في «الأعلام» للزركلي وغيره من مصادر الدرس في تراجم المصنفين فلم يجد ضالته فطوى المسألة وأغفلها، وكأنه لم يعلم أنها مما يجب أن يُذكر، وكأنني به لم يهتد إلى صاحبه الحسن بن البهلول في المصادر

النصرانية، ولو أنني قريب من خزانتي في (بغداد) التي غادرتها منذ سنين لكان لي أن أبسط بين يدي أخي الدكتور حبي بعض شيء يتصل بالتعريف بالمصنّف أتجاوزه به إلى (شذراته الموجزة).

وأتجاوز هذه النسخة التي قدمتها بين يدي هذا الدرس فأعرض لـ (تقديم) الدكتور يوسف حبي الذي مهّد به للكتاب فأقول: إن المحقق الفاضل لم يكن من أهل اللغة العربية، ولذلك جاء في تقديمه الكثير من الجديد الذي حفلت به العربية المعاصرة التي لا يمكن أن تكون في تقديم لمادة عتيقة تاريخية نصرانية ومن هذا:

١- جاء في الصفحة ٩ قوله: (وأنا أعني بتاريخ العلوم مركّزاً على البواكير).

أقول: قول المحقق هذا وهو (مركّزاً) عربية جديدة لا تصلح أن تكون في حشو تقديم لمادة عتيقة تاريخية، لأنها مأخوذة من فرنسية قذف بها التراجمة الذين اقتصروا في صنعهم على ما يُسمّى (الترجمة الحرفية) وهي من قول الفرنسيين... Concentré Sur أقول: إن (التركيز) في العربية ذات صلة برّكز الشيء في موضعه كأن يقال ركّزت العمود أو نحو هذا. ولو استعمل المُعرب في عصرنا هذه العبارة المنقولة في مقالة صحفية تتصل بما يهمنا في السياسة والاقتصاد وغيرها، ما كان لي هذا التنبيه.

٢- وجاء في هذه الصفحة قوله: (وأحصر نطاق بحوثي ضمن مناطق معينة وفترات محددة ومجالات أقرب إلى الحياة، خشية التشتت والسطحية).

أقول: لقد ميّز المحقق بين (النطاق) و (المنطقة) فخصّ كلّاً منهما بدلالة، وفاته أن (النطاق) مثل (المنطقة)، وله عذره فهذه عربية معاصرة تصلح في غير هذا التقديم. ثم إن (الفترات) في هذه العربية الجديدة قد صُرفت إلى معنى الزمن، وكأنها (الحقْب)، ولم يكن للفترة هذا المعنى، ذلك أنها تعني (الانقطاع).

وهذا نتبينه في قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرِّسَالِ﴾.

وأقول: و(المجالات) جمع مجال استعمال جديد، لا بد أن يكون منقولاً من فرنسية أو إنكليزية، ثم نأتي إلى (السطحية) مصدرًا صناعيًا أريد به ما هو Supper Ficiel. ولو أن هذا كله في غير هذا (التقديم) ما كان لي أن أثبتة في هذا الدرس.

٣- وجاء في هذه الصفحة أيضًا قوله: (فتراني أتناول مُعْطِيَات أُولَى الحضارت...). أقول: (المُعْطِيَات) جمع (مُعْطَى) اسم المفعول من الفعل (أعْطَى) غير أن هذا الجمع لا صلة له بـ (العطاء)، بل أريد به لما هو Les Dannées في الفرنسية.

والكلمة في الفرنسية ذات دلالة فلسفية وهي ما يكن أن يستفاد من الشيء الذي يعرض لصاحب العلم. وأنت تجد سبيل هذه الكلمة في المعجم الفلسفي بـ La Land. ٣- وأتجاوز هذه الصفحة إلى قوله: (يطيب لي أن أقدم اليوم سفرًا جليلاً بل موسوعة حضارية... بحيث يمكننا التعرف على علوم الأقدمين...).

أقول: إن وصف هذا الكتاب بـ (موسوعة) شيء فيه تفريط بما يسمى (موسوعة)، التي أريد بها (أنسكلوبيديا)، ذلك أن مادة الكتاب لا يمكن إلا أن تصنّف في الأدب القديم الذي يختلط فيه الجدل بالبعث، غير أننا معنيون به لأنه تراث قديم فيه العلم وغيره، وسيجد صاحبي القارئ فيما سأبسط من مادة الكتاب أنه بعيد كل البعث أن نتسمّح فيه فندعوه (موسوعة).

لم يكن هذا الكتاب بعيدًا عن كتاب «الأنواء» لابن قتيبة الذي سرد فيه طائفة من نظرات تتصل بالعلم القديم من الفلك والتنجيم الذي لا يأنف مما هو موضوع من خرافة أو أسطورة، ولكنه في جملته (تراث)، لا بد من احترامه.

ثم أقول: إن كتاب «الأنواء» لابن قتيبة قد أفاد منه المصنف الحسن بن بهلول وإن لم يذكره بالاسم بل قال: قال ابن قتيبة.

غير أن المحقق لا يعرف أن لابن قتيبة هذا الكتاب، ولو أنه عرف أو أهدى إليه وصحح مادة كتابه التي أخذها ابن بهلول من كتاب «الأنواء» مع العلم أن هذا الكتاب من مطبوعات الهند (حيدر آباد - الدكن).

لقد أفاد المحقق من كتاب البيروني في «الأثار الباقية...» وكتابه في «القانون المسعودي».

وقال المحقق في عبارته التي أثبتناها (بحيث يمكننا التعرف على علوم الأقدمين).
أقول: إن الفعل (تعرف) مُتَعَدٌّ، وليس قاصراً فكان يجب أن يقول أن نتعرف على علوم الأقدمين، قال الشاعر القديم:

وقالوا تَعَرَّفْهَا الْمَنَازِلَ مِنْ مَنِيَّ وَمَا كُلُّ مَنْ وَاقِيَ مَنِيَّ أَنَا عَارِفٌ
٤- وجاء في الصفحة ١٠ قوله: (إنه «كتاب الدلائل» لجامعه... ومؤلفه الحسن بن البهلول أنشأه في العقد الرابع من القرن الرابع للهجرة، العاشر للميلاد في مدينة السلام بغداد..).

أقول: كيف اهتدى المحقق إلى التاريخ، وهو قد أغفل كل ما يتصل بالمؤلف وسيرته، ولم يكن في الكتاب أية إشارة إلى هذا سوى شذرات لا تبرد غلّة ظمآن.
ثم قال: (أنشأه في مدينة السلام بغداد). أقول: إن (مدينة السلام) هي مدينة أبي جعفر المنصور، وقد سمها بهذا الاسم، وهي كائنة في (بغداد) وهذه أعمّ منها، وهذا معروف للمطلعين على خطط بغداد.

٥- وجاء في هذه الصفحة أيضاً في كلامه على (فؤاد سيزكين) وقال: إنه وعده أن يرسل إليه مخطوط الكتاب ثم أضاف: (كتقدير لما بذلت من عمل في مهرجان أفرام - حنين).

أقول: في قوله: (كتقدير) نجد الكاف التي لا تفيد التشبيه، بل إنها أسلوب فرنسي في قول الفرنسيين COMME، ونظير هذا في الإنكليزية.

٦- وجاء في هذه الصفحة كلام المحقق في طبعة ثانية للكتاب إذا ما توفرت له موجبات الطبع من تصويبات ودراسات.

أقول: أراد بـ (التصويبات) ما يفيد التصحيح للخطأ. وحقيقة (التصويب) الحكم على ما هو صواب وليس تصحيح الخطأ.

٧- وجاء فيها أيضًا قوله: (يكفينا استعراض أبواب سفره الشيق..).

أقول: إن (الشيق) هو المشتاق كقول الشاعر:

ما نأح طيرٌ أو تَرْتَم شاعرٌ إلا انشيتُ ولي فـواذ شيقُ

وأجتزئ بهذا القدر مما ورد في (التقديم) الذي لا يمكن أن يكون في درس لمادة قديمة تاريخية، ثم أتحوّل إلى كلام المحقق على المصنف الحسن بن البهلول جاء فيه: ثمة غموض يكتنف حياة الحسن بن البهلول فنحاول جهدنا تبديد شيء منه بالرجوع إلى ما تيسر من مصادر ومراجع أهمها: ثم ذكر جملة مصادر نصرانية للمؤلفين نصارى قدماء ومحدثين، وفيها مصادر بلغات أجنبية.

أقول: ليته خلص من هذه المصادر إلى بسط موجز مفيد عن (سيرة ابن البهلول)، إنه لم يفعل هذا وكان خليقًا به أن يفعله بل هو ما يقتضيه صنعة المحقق ولا سيما إذا كان المصنف لا يعرفه إلا الخواص وهم قليلون، وليست شذراته في هذا الأمر كافية.

إنه استعمل مصطلح (حياة) لما هو (سيرة)، و(الحياة) هذه منقولة عن La Vie أو The Life).

إن (السيرة) هي المصطلح القديم وقد وردت في أسماء الكتب نحو «المغازي والسير»، و«سير أعلام النبلاء» وغير هذا.

إن النبذة اليسيرة التي أثبتها المحقق التي لا تتجاوز الثلاثة أسطر في الصفحة الـ (١٥) لم تكن سيرة المؤلف الذي انصرف إليه المحقق بحماسة الزائدة.

ثم أضاف إليها شيئًا لا يفي بحاجة أهل الدرس التاريخي فقال: كان مولعًا في صغره بالتصوير، ولم نعلم على وجه الحقيقة ما المراد بـ (التصوير).

وقال أيضًا مما لم يكن مادة سيرة: (ويبدو أنه تعلم في مدارس بغداد، وعلم فيها، وقد كان له ضلع في انتخاب الجاثليق عبد يشوع الأول... في بغداد عهد ذلك). وليس من مصدر يذكره في هذا السير.

أقول: إن هذه الفوائد التي لا توميء إلى ما هو خبر تاريخي موثوق غير مؤيدة بمصادر يرجع إليها الدارس على نحو ما يفعل الدارسون في عصرنا.

ثم أختتم كلامي فأشير إلى أن المحقق لم يكن له من العربية الوافية ما يعينه على تحقيق أثر قديم، وسنجد شيئاً كثيراً من هذا في تعليقاته وحواشيه التي أثبتتها في صفحات الكتاب.

ونأتي إلى الصفحة (٢١) فأجد المحقق يتحدث عن أبواب الكتاب فيقول: (ويتصدر الكتاب عنوانه، أبوابه، ومقدمة بسيطة... مع التأكيد على العنوان...).

أقول: إن وصف المقدمة بـ (بسيطة) جاء مما هو Simple، وهذا غير معنى (البسيط) في العربية الذي هو (المبسوط) أي الواسع، ومن هذا كتاب «المبسوط» في الفقه الحنفي للسرخسي.

وأما قوله: (التأكيد على) فصوابه (تأكيد العنوان)، وأما استعمال (على) مع (أكّد) و (التاكيد) فمن اللغات الأجنبية فرنسية وإنكليزية.

وقال في الصفحة ٢٢: (فجاء كتابه موسوعة تضمّ كل ما هو ضروري لحياة أناس زمانه...) أقول: ليس لنا أن نسيء استعمال الألفاظ العلمية ومنها (الموسوعة) ونحن في مواد هذا الكتاب الذي جمع فوائد تتصل بفهم الناس للأزمة وما يتصل بها كما سنرى. وليس الذي بسطه المؤلف قد تفرّد به، فكثير منه من معارف الناس في عيشهم وسلوكهم، ولا يخلو هذا من عبث فيه خرافة، وما يقرب مما نُبِزَ في أدبنا القديم بـ (أساطير الأولين).

وجاء في الصفحة ٢٣ في كلام المحقق على تاريخ الكتاب ونسخته: (لكان مصير هذا الكتاب مصير العديد من المصنفات التي عفاها الزمن).

أقول: والصواب: التي عفا عليها الزمن.

ويقول في مخطوطة الكتاب: (لكنه مشوش التنقيط). أقول: (المشوش) من الكلم العامي، وقد أراد بـ (التنقيط) النَّقْط.

وجاء في كلامه على مصادر «الدلائل» في الصفحة ٢٦: (وهي تُرجعنا إلى كتب اليونان وما تُرجم منها إلى السريانية والعربية). أقول: والصواب (يرجعنا) والفعل (رَجَعَ) مُتَعَدٌّ ولازم.

وجاء في الصفحة ٢٩: (لكنها لاشك المصادر الطقسية الكنسية). أقول: إن الحسن بن البهلول كثيرًا ما كان يقول: قالوا وذكروا ونحو هذا وهو يشير إلى العلماء الإغريق. وهو يذكر حنين بن إسحاق ويذكر ابن قتيبة ويذكر أبقراط وجالينوس وديمقراطيس دون أن يشير إلى المصدر الذي أفاد منه.

وقد ذكر المحقق في حواشيه ما كتبه العلماء السريان مما ألفوه وما ترجموه من الإغريقية، ما قرأه في «الأثار الباقية» و«القانون المسعودي» للبيروني، ولم يكن للحسن بن بهلول مثلًا أي إفادة من مصادر يذكرها بأسمائها. وأعود إلى قول المحقق (المصادر الطقسية الكنسية) فأقول: إن (الطقسية) أراد بها المحقق وغيره من الكتبة النصارى ما سمّاه المؤلفون العرب (الرسوم) كما في كتاب «رسوم دار الخلافة» للهِلال الصابي والمراد به ما يُدعى في عصرنا (بروتوكول Protocole) وليس (الطقسية) إلا (الرسوم) الدينية الخاصة بالنصارى، وهي ما عُرِّبَ عن (Taxe).

وقد عُرِّبَ هذا لدى أهل الجغرافية في عصرنا فذهبوا به إلى ما يتصل به (النشرة الجوية) وهو (الطقس) وأما (الكنسية) فهي النسبة إلى (الكنيسة).

أقول: إن مادة (كَنَسَ) مادة سامية عرفت في العربية وغيرها من اللغات السامية فقد جاءت في العربية بمعنى الاستقرار واللجوء في مكانٍ ما، ومنه قوله تعالى: ﴿الجواري الكُنَّسُ﴾ ومنه (الْكُنَّسُ) أيضًا، و (الكناس) بيت الطيبي. ومثل هذا في العبرية כִּנְסָא נְבִיאַא ، ثم (الكنيسة) معبد النصارى، وهي كذلك في الأصول الآرامية.

وقد أخطأ أهل التعريب فزعم ابن الجواليقي في «المعرب» أن (الكنيسة) من

الفارسية وأضاف وقيل: إنها حبشية، وهذا ضرب من التخليط، فأين الفارسية من الحبشية؟

وأعود إلى النسبة إلى (الكنيسة) فأقول: هي الكنيسة مثل الطبيعية، وأنا في هذا أفيد مما أثبتته ابن قتيبة في «أدب الكاتب» إذ قال: النسبة إلى (فعيلة) لا تحذف فيه الياء إلا إذا كانت في علم مشهور كالنسبة إلى أسماء القبائل فقالوا: بَجَلِيّ وَحَنْفِيّ وَمَدَنِيّ وهذه نسبة إلى حنيفة وهي قبيلة وبجيلة كذلك، وإلى المدينة وهي مدينة الرسول ﷺ - كما في قولنا: السُّورُ المَدَنِيَّةُ).

وجاء في الصفحة ٣١: (ولابد من التنويه إلى أن الحسن بن البهلول.. أقول: والصواب: (ولابد من التنويه بأن الحسن.... والتنويه يوصل بالباء من حروف الجر. كأنني أدركت أن ليس لدى صاحبي المحقق الكثير من علم العربية فهو يخطيء القول ويتعد عما هو صواب اتفق فيه أهل العلم.

أقول: وقد أثنى المحقق على صاحبه الحسن بن البهلول فذهب فيه إلى قوله: (فكان له أن ينتزع منّا حق المفاخرة به كاتباً لامعاً، لم يُكرر الأقدمين تكراراً مملاً، بل اختار خطأً بيانياً، وسياقاً متكاملاً وفكرةً موحدة هي العلامات والدلائل).

أقول: لقد ذهب المحقق في حماسته فانتصر لصاحبه في كل شيء، وقد ألبسه لبوس عصرنا فزعم أن صاحبه (اختار خطأً بيانياً، وغير هذا...).

وأثبت المحقق في الصفحة (٣٤) ما كان لدى صاحبه الحسن بن البهلول فيما أثبتته في كتابه «الدلائل» التي أشار إلى أن من يقرأه قد يذهب إلى أن بعض ماجاء فيها من المخاريق والخرافات.

وقد كان له أن دافع عما أورده في كتابه، فكان للمحقق أن ذهب إلى أكثر من هذا حماسة في دفاعه عن صاحبه.

وتحوّل المحقق إلى صنعة فعقد فصلاً وسمه بقوله (أسلوبنا في التحقيق). وقد أشار في هذا إلى صنعة الناسخ، وخلو الرسم من الهمزة وقلّة النقط وأشار إلى ما

سماء الأمور الإملائية. وقد أراد بـ (الإملائية) ما نعرفه من مادة (الإملاء) التي تعطى للصبية الصغار في المدرسة الابتدائية في تعلم رسم الحروف.

وأخلص فيما اجتزأت به عن كثير مما غضضت الطرف عنه لآتحول إلى الكتاب في الصفحة ٤٧ فأجد: كتاب «الدلائل والعلامات» تصنيف الحسن بن بهلول.

أقول: لقد اختار المحقق أن يكون صاحبه ابن بهلول وليس بن بهلول كما هو في المخطوطة الوحيدة التي اعتمدها، والتي حصل عليها من الأستاذ (سيزكين) ولم يُشر إلى مصدرها.

والذي أراه أن المؤلف هو ابن بهلول وذلك لأن (بهلول) هذا عُرف لدى القدماء لقبًا فهو لقب ثعلبة بن مازن بن الأزد. إن الأعلام التي اشتهرت لدى القدماء محللة بالألف واللام هي صفات ومصادر ومن هذه الحسن والحسين والعباس والفضل والمقداد وغيرها.

وقد قال أهل العربية: إن زيادة الألف واللام تفيد في لمح الوصف أو المصدر قبل العلمية، وهذا بعض فوائد علم الرجال.

(للحديث صلة)

عمّان: د. إبراهيم السامرائي

الحواشي:

(١) من منشورات معهد المخطوطات العربية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. طبع في الكويت سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.

(٢) أقول النصارى الشرقيون في العراق وغيره وهم السريان النساطرة على طريقة في أسمائهم خالفوا إخوانهم النصارى اليعاقبة. ومن هذا أنهم ذهبوا إلى الياء في سمي وزكي وحمي وغير هذا، وهذه هي متى وزكنا وحمنا لدى الآخرين. ومن هذا أنهم ذهبوا بألف الإطلاق في الأعلام السريانية وهي الأرامية فقالوا في (سابا) (شابو) وفي (عبدا) (عبدو).

(٤) «الدلائل» (٥).

(٣) انظر عن هذا المعجم «العرب» س ٢٥، ص ٤٣٣.

من تاريخ اللهجة العراقية (*)

[دعا (ديوان الكوفة) في (لندن) أستاذنا العلامة محمد حسين الأخرجي - المحاضر في (جامعة آدم مسكينج في بوزنان في بولندا) لإلقاء محاضرة في هذا الموضوع، وللصلات القوية بين اللهجتين العراقية والنجدية، إذ القبائل العربية تهاجر من نجد، وتستقر في أرياف العراق، ولا زالت الصلات بين السكان في القطرين قوية ومتواصلة، لهذا رغبت مجلة «العرب» من الأستاذ الجليل أن يتحف بتلك المحاضرة قراءها كما اتحفهم بالطريف المفيد الممتع من أبحاثه، فاستجاب مشكوراً، إلا أن قلم التحرير في المجلة رأى عدم الحاجة لكلمات يسيرة لا تتسع صدور بعض قراء المجلة، مستمحة من الأستاذ الكريم غرض النظر عن هذا التصرف الاضطراري].

يروى عن أبي الأسود الدؤلي أن قالت له ابنته: ما أحرَّ الصيف؟ فقال: حمارة القيظ، فقالت له: أردتُ أن أتعجب لا أن أسأل؛ فقال لها: إذا فقولي: ما أحرَّ الصيف! وأبو الأسود وابنته بصريان عاشا في القرن الأول من الهجرة؛ فقد مات أبو الأسود بطاعون الجارف سنة ٦٩ هـ، فإذا صحَّ هذا وهو صحيحٌ فمعناه - كما هو بدهيٌّ - أن هذا اللحن الذي ارتكبه بنتُ أبي الأسود قد كان قبل السنة المذكورة، ومعناه أيضاً أن العربية الفصيحة بدأت تنحرف عن أوضاعها الأولى على ألسنة الناس. ولكنَّ هذا الانحراف مما يخصُّ بنيتها الإعرابية وليس اللفظية.

وإذ أطلَّ القرن الثاني من الهجرة بلغ هذا الانحراف في بنية اللغة الإعرابية واللفظية والدلالية مبلغاً جعل اللغويين يُحرِّمون على أنفسهم الاستشهاد بلغة الشعراء المُحدثين، بل بلغ الأمر أن بدأت خصائص لهجات محلية تتبلور في الاستعمال اليومي للغة، فقد حدثنا الجاحظ المتوفى سنة: ٢٥٥ هـ - مثلاً أن أهل البصرة كانوا يُسمّون الساحة التي تقع في ملتقى طرقٍ أربعة: جهار سوك تأثراً بمجاورة بلاد فارس، وأن أهل الكوفة يسمونها: مُربّعة، وأن أهل البصرة يُسمّون المِسحاة (بال) على خلاف أهل الكوفة الذين يُسمونها مِسحاةً كما يُسميها العراقيون اليوم.

وظهرت في القرن الثالث - وربما قبله - لهجاتٌ عامية لها خصائص محلية،

فالذي نسميه نحن العراقيين نغلاً نعني أنه مجهول الأب، كان يُسميه أهل المدينة المنورة فرخاً، وما نسميه ديكاً يُسميه أهل المغرب سرْدُوكًا وهكذا.

ويهمني الآن أن أتعب تاريخ لهجتنا العراقية دون أن أدعي أنني سأورِّخ لها تاريخاً دقيقاً لا يستطيع بعده أحد أن يستدرك عليه؛ فهذا فضل لا أدعيه، ولن أفعل، وإنما أنا في أحسن أحوالي قارئ تمرُّ بي هذه اللفظة العراقية غير الفصيحة المستعملة إلى يومنا هذا أو تلك فأضع تحت خطأ بقلم رصاص لا أكثر ولا أقل. لذلك أرجو ألا يُحمَلْ حديثي على أكثر من هذا المحمل.

أما الألفاظ العراقية الفصيحة مثل: بَسْ بمعنى: كفى، وخايس بمعنى: مُتَعَفِّنْ، وآلاف سواهما فليس تهمني في شيء، حالها في ذلك حال الألفاظ التي استعملها العراقيون في لهجتهم ثم ماتت، فقد كانوا يُسمون ما يضعه الحمال من وقاء على ظهره يتقي به أذي الحمل: كَرَزَن - كما جاء ذلك عند ابن أَيْدَمِر المتوفى ٧١٠هـ في مخطوطة كتابه «الدر الفريد وبيت القصيد» ولكنني لم أَعْنُ بمثل هذه اللفظة لأنها ماتت، فقد صار العراقيون يُسمون الكرز: جِنْدَة. وإذ سُقْتُ كَلَّ هذا بقي عليّ أن أقول إنني سأتحَدَّثُ عن بعض هذا الذي كنتُ أضعُّ تحته بقلم رصاصٍ خطأ - كما أسلفتُ - لتتجاوز فيه فأقول: ما يزال العراقيون يستعملون كلمة: (يابا) للتعجب، وللتعجب، وللسخرية، ويستعملها قراء الأبودية والمقامات من المُغَنِّين العراقيين. وقد رأيتُ هذه اللفظة قد استُعمِلت في بغداد أثناء خلافة المأمون التي امتدت من: ١٩٨ - ٢١٨هـ فقد ورد في «بغداد» لطيفور (ت: ٢٨٠هـ): (ودخل أبو طالب صاحب الطعام، وكان من أسخف الناس وأجهلهم، فقال للمأمون: كان أبوك (يابا) صديقنا... وأنت (يابا) لا تعرف حقنا، ولا ترفع بنا رأسا... قال: والمأمون لا يزيد على التبسّم).

أقول: أصلُ يابا: يا ابيه، ثم سُهِّلَت الهمزة من (أبه)، فصارت: (به)، وانقلبت هاءُ السَّكْتِ ألفاً، وإذ دخلت ياء النداء على الكلمة صارت: يابا. هذا وقد رجع العراقيون اليوم بالألف إلى أصلها الذي هو هاء السَّكْتِ فصاروا يقولون: (يابه).

وعلى أن كشكشة بني تميم، وبني أسد هي الغالبة على لهجة العراقيين، إذ ما يزال العراقي ينطق حرف الكاف الموقوف عليه في ألفاظ كثيرة جيماً، كما كان بنو تميم وبنو أسد يفعلون، وما يزال العراقي من أهل الجنوب ينطق ما يكون على زينة فعيل - في الأعم الأغلب - بكسر الأوّل منه فيقول: طويل، وكصير، وچشير، ورجيل كما كان ينطق بنو تميم ولا عجب في تأثر العراقيين بذلك فقد كان من بني تميم من سكنوا العراقيين: الكوفة والبصرة لدى أول تمصيرهما، وكان بنو غاضرة وهم فخذ شيعي من قبيلة بني أسد السنية يسكنون الطفوف المعروفة بكربلاء اليوم، حتى إنهم هم الذين دفنوا الإمام الحسين مما يدل على سكناهم العراق قبل استشهاده عام واحد وستين، وكان بنو أسد هاؤلاء وبنو تميم ربما نطقوا الكاف الأصلية جيما كقول قائلهم كما رواه ابن الأعرابي:

عليّ فيمّا أبتغي أرضيش بيضاء تُرضيني ولا تُرضيش
وتطلبني ودّ بني أبيش إذا دَنوت جعلت تُنثيش
وإن نأيت جعلت تُدنيش وإن تكلمت حثت في فيش

حتى تنقي كنيق الكنديش

ففي قول هذا الراجز ما يدل دلالة واضحة أنه لا الكاف المكسورة في لغتهم من نحو كاف خطاب المرأة هي التي تنطق جيماً فحسب وإنما الكاف الأصلية من نحو قولهم (ديج) في ديك، قال شاعر آخر وقد رأى ظبية أذكرته بحبيته فخاطب الظبية بقوله:

وعينايش عيناها، وجيدش جيدها سوى أن عظم الساق منج دقيق

أقول: على أن كشكشة بني تميم وبعض بني أسد^(١) هي الغالبة على لهجة العراقيين؛ إلا أنهم يهربون منها في فعل نادر هو (أعطى) فيقولون: (أنطى) على لغة أهل اليمن. أما هذا الهروب فهو هروب من معنى عامي عراقي بذيء لا أدري متى استعمل أول مرة، ولكنني وجدته قد استعمله الشاعر العراقي الكوفي أبو

حُكِيمة الكاتب المُتوفى سنة: ٢٤٠هـ في قوله يُخاطبُ غلامًا مأبونا:

[.....]

وفرازا من هذا المعنى البذيء صار العراقيون يهربون إلى لغة اليمن^(٢) لثلا يتبادر هذا المعنى إلى الأذهان في الأحاديث التي لا يراذُ منها هذا المعنى. ثم طال العهدُ بالتفريق بين أعطى وأنطى فاستعاروا أنطى للمعنى البذيء أيضًا. ومن أسماء الأواني العراقية التي ظَلَّت تحتفظُ باسمِها، وتخلَّت عن وظيفتها (البستوقة). فقد استعملها بديع الزمان الهمداني المتوفى: ٣٩٨هـ في إحدى مقاماته، واستعملها ابنُ الرومي المتوفى: ٣٨٣هـ على أحد الأقوال في هجاء أبي الصقر إسماعيل بن بلبل:

سائل أبا الصقر إذا جئته عن أمه ذات البساتيق
فقال مُحققُ الديوان الدكتور حسين نصار في الحاشية: (ذكر «القاموس المحيط» أن البستق بمعنى: الخادم، ولعله يتهم أمه بالخدم، والمادة كلها تدل على الانحطاط والخسة كما يستفاد من معجم اشتينجاس للغة الفارسية).

أقول: البستوقة هي الزير الصغير، وما زالت تستعمل في العراق بهذا المعنى، ويبدو أنها كانت تستعمل لحفظ الخمر، وآية ذلك قوله بعد هذا البيت:

وضربها الكامخ في... بين دنـان ودواريق

فلا محلٌ لذكر الدنان بدون التفسير الذي ذهبنا إليه. هذا وصار العراقيون يستعملون البساتيق لحفظ المخللات، وهم يُسمون هذا المُخلَّل: الطُرشي.

ومن الألفاظ العراقية ما تخلَّى عن اسمه، وبقي يحتفظ بمعناه فمن ذلك لفظة (الحق) فالحق في الفصيح ضدُّ الباطل، ولكنه صار إلى معنى آخر هو الحفُّ الذي يقام فرحًا، أو حُزنًا. فقد روى ياقوت الحمويُّ في «معجم الأدباء» عن إبراهيم بن سفيان الزيادي المتوفى: ٢٤٩هـ ما نصُّه: (حدَّث المرزبانِيُّ عن المُبرِّد عن الزياديِّ قال: كان في جواري حَقٌّ قد دُعِيْتُ إليه فحضرتُ، وجيء بنبِيذٍ

وطنيورٍ فغنى مغنيهم...)) وواضح أنَّ الحقَّ هنا يعني؛ الحفل الذي يقيمه الناس في أفراسهم من نحو ختان، أو زواج.

وروي ياقوت نفسه في كتابه المذكور عن ابن البهلول المتوفى سنة: ٣١٨هـ قوله: (كنتُ مع أبي في جنازة بعض أهل بغداد من الوجوه، وإلى جانبه في الحقِّ جالسٌ أبو جعفر الطبري، فأخذ أبي يعظُ صاحب المصيبة، ويُسلِّيه، ويُشده أشعازًا، ويروي له أخبارًا... قال: ومضت على هذا مُدَّة، فحضرنا في حقِّ لآخر وجلسنا، وإذا بالطبري يدخل إلى الحقِّ...).

أقول: يبدو أن الحقَّ عندهم من الأضداد، وإنما صارت كذلك لأنها جاءت من كلمة الحقِّ الفصيحة، وهم يعنون بها حقَّ الداعي إلى عرس أن يحضر عرسه المدعوون، وحقَّ المفجوع بعزير أن يحضر الناس لتعزيتة، وهكذا. وماتت لفظة الحقِّ بهذا المعنى في لهجة العراقيين اليوم، وحلَّت محلَّها كلمة (الواجب)، فصاروا يقولون: حضرْتُ الواجب، وذهبتُ للواجب، يعنون بذلك حضور الحفل أو المآتم. وينبغي أن تكون الكلمة قد استعملت بهذا المعنى قبل سنة: ٣١٠هـ؛ لأنَّ أبا جعفر الطبري توفي في تلك السنة.

ومن هذه العامية العراقية استعمال العراقيين - ويشاركهم أهل الخليج في هذا - لفظة (البِشت) للعباءة الصيفية الخفيفة التي تشفُّ عمَّا تحتها من لباس، والعباءة أو العباية - على تسهيل الهمزة - لما يُلبس في الشتاء. ووجدتُ لفظ البِشت مُستعملًا في القرن السادس الهجري في قول أسامة بن منقذ المتوفى ٥٨٤هـ في كتابه «الاعتبار» في قوله: (فضربه الوالد بهذا السيف وهو في غمده مُتقلِّد به، فقطع الجهاز، والنعل الفضة، وبِشتًا كان على الركابي...).

وعلق محقِّق كتاب «الاعتبار» الأستاذ فيليب حتّي في الحاشية بقوله: (أو بُشتًا - عباة. ولعلها (بُشت) الفارسية).

وبُشت الفارسية التي تحدَّث عنها الدكتور حتّي تعني: (ظهر الإنسان)، وتعني (الجزء الخارجي من كل شيء مثل جلد الكتاب).

وأراني أميل إلى أن البِشْتِ عباءة، ويبدو أنها كانت تُنطق بكسر الباء كما هي في متن «الاعتبار» وليس بالضم كما هي في حاشية المحقق.

وأعيد القول أنه: ما زال لفظ البِشْتِ وهو يعني العباءة الخفيفة التي تشفُّ عمًا تحتها مُستعملًا في العراق. ومن أمثال العراقيين العامية: (يا بُو بِشْتِ بيش إبْلِشْتِ) يقولونه لمن يُغالب خصمًا لا يقدر عليه. ومعناه يا أبا البِشْتِ كناية عن الرجل المُتَرْف بماذا ورَّطت نفسك؟

ويقولون العراقيون وبعض العرب سواهم عمًا يجمعون به أمتعهم من قماش (بُقجة) ويجمعونها على: بُقج؛ ووجدتُ ابنَ أبيك الصفدي المتوفى: ٧٦٤هـ يقول في «الوافي بالوفيات» في حديثه عن الأمير فارس الدين: (وأخذ جوخةً كانت معه وطرطورًا ضمن بقجة...)، ووجدت بييرس المنصوري المتوفى سنة ٧٢٥هـ يقول في كتاب «التحفة المملوكية في الدولة التركية»: (وحملوا الخلع في البُقج).

وتدور لفظة (البوز) شيئًا غير قليل في لهجة العراقيين لدى الغضب، وكان قد استعملها الشاعر البغدادي الظريف ابن الحجَّاج المتوفى: ٣٩١هـ في قوله:

باسيدي قد مسحتُ بُوزي فرفعَ الناسُ منك...
فعقَّبَ الشهابُ الخفاجيُّ في كتابه «شفاء الغليل في المُعرَّب والدخيل» بقوله: (البُوز: الفمُّ عامية... ويُطلقونها في الأكثر على فم الكلب، ونحوه).

وأقول: ما قاله الشهابُ صحيحٌ، ولكنه لم يتعرَّض إلى: (مسح بُوزَه) ما معناها. ومسحُ بُوزَه تعني: يشس مما كان يطمعُ فيه. وما تزال هذه الكناية مستعملة في اللهجة العراقية، فإذا أرادوا إشعارَ أحدٍ باليأس مما يطلبُ قالوا: مِشْ بوزَك. ومِشْ: امسح. ولا أعلم إن كان الفقيه عبود الشالجي قد ذكر هذه الكناية في كتابه «الكنايات البغدادية» أم لا؛ لأنني لم أر الكتاب - مع الأسف - ولم أقرأه.

ويقول الشاعر الحاج زهير الدويج في موال:

تَمِيَّتْ احومي عَلى شوفك بس اروحن وردُ
أبغني وصالك وروم من المـراشف وردُ

مكتوب حُبِّكَ علينا بالفروض أو ورد
من حيث بيكم تيمم فروضنا والدَّعه
رضوان حسنِ الحوارِ بوجبتك ودَّعه
الورد قدّم عريضه واشتكه، وادَّعه
ويكول إنته الورد شلون تشتم ورد؟!

ويقول أسامة بن مُنقذ المتوفى: ٥٨٤هـ في كتابه السالف الذكر: (فلما رأوا أصحابنا ركبوا خيلهم، وتمّوا يطردونهم...).

وعلق الدكتور حتى بقوله: وتموا (عامية بمعنى: وما زالوا).

أقول: ليس معناها: وما زالوا، وإنما بقوا. وما زالت هذه اللفظة مُستعملة بهذا المعنى في اللهجة العراقية، وقد استعملها الشاعر العامي العراقي الحاج زهير كما رأينا بمعنيها العامي في قوله:

(تمّيت احومي على شوقك بش أروحن ورد)

يعني: بقيت أحوم على رؤيتك أروح وأرجع

وبمعناها الفصيح في قوله:

من حيث بيكم تيمم افروضنا والدَّعه

يعني: تكمل فروضنا.

والجُرُّ بالتخفيف: الفَرَجُ، يجمع - في الغالب - على أحراج، وهو فصيح، وجزها من ألفاظ أهل السواد في الاستهانة بأمر من الأمور، والسخرية منه أو تعبيراً عن عدم الرضى عنه. قال المسعودي في «مروج الذهب»: أن الخليفة المعتصم [ت: ٢٢٧هـ] كان يأنس بعلي بن الجنيد الإسكافي.. فقال المعتصم يوماً لمحمد ابن حمّاد: اذهب بالغداة إلى علي بن الجنيد فقل له: يتهياً حتى يُزاملني، فاتاه فقال... فتهياً لشروط مزاملة الخلفاء ومعادلتهم، فقال علي:... وكيف أتهياً؟ أهياًء

لي رأسًا غير رأسي؟ أشتري لحيّة غير لحيّتي؟ ... أنا متهيّئٌ وفضلةٌ قال: لستَ تدري بعدُ ما شروط مزاملة الخلفاء ومعادلتهم؟ فقال عليّ: وماهي؟ هاتِ يامنَ تدري. قال ابنُ حماد: شرط المعادلة الإمتاع بالحديث والمذاكرة والمناولة... فلمّا أكثر عليه في هذا الوصف والشروط، قطع عليه كلامه، وقال كما يقول أهل السواد: آه جرّها، اذهب، فقل له: ما يزاملك إلّا من أمّه زانيةٌ وهو كسخان.

أقول: ما يزال العراقيون جميعًا، وليس أهل السواد فحسب منهم يقولونها في المعنى نفسه، ولكنهم يعدّلون عن لفظ الحرّ إلى اسم آخر من أسمائه، وقد يحذفون كلمة: (آه) منها، أمّا إذا نطقوها فبدون الهاء، وكأنّها حرف مدٌّ لا أكثر.

ويقول العراقيُّ حين تسألُه عن فلانٍ: حَطّوه بالسجن، وحين تسألُه عما تحمله أين يجب أن تضعه؟ يقول لك: حُطّه هناك، ووجدتُ هذا المعنى العامي قد استعمل في «الحكايات العجيبة» المؤرّفة في القرن الثامن للهجرة في قوله: (وحطّه في السجن)، وفي قوله: (... فحطّ في عنقه حبلاً وهو مكتوف...).

ويبلغ العراقيُّ غاية همّه وحُزنه فتسألُه عما هو فيه فيقول لك: (خلّيني بدزدي) فإذا سألتَه عن الدزدي ما هو صعب عليه أن يُجيبك، ووجدتُ معناه الأوّل عند الحسين بن الحجاج المتوفى: ٣٩١هـ في قوله عن شهر رمضان وقد جاء في آب: شهراً أراه يلجّ مع مَنْ يضحّج من طولِه ويدردُ وفسّر أبو بكر الخوارزمي في: «الأمثال» يدردُ بمعنى: يحقدُ. قال أبو بكر. (فإذا ذكروه بالعبوس، والعريضة قالوا: كأنه على الإسلام يدرد. أي: يحقد).

أقول: ونسي العراقيّون - كما يبدو بمرّ الزمن - معنى الحقد في الفعل وهو مولّد لا أصل له في الفصحى، واحتفظوا بمعنى العبوس فيه فصاروا - حين تسوّد في عيونهم الدنيا لشأن من الشؤون - يقولون: (خلّيني بدزدي). وقد كنتُ أسمعُ الفقيه الجواهري يقول لي حين نتفاوض في أمرٍ لم ينته بعدُ وأريدُ أن أنتقل منه إلى شيء آخر سواه: (خلّينا ندازد). كأنّ معنى قوله: دعنا نتحدّث، ولاشكّ أنّه

سمع هذه الصيغة ممن هم أكبر منه سناً، ولكنني لا أعرف - مع الأسف - شيئاً عن طبيعة الصيغة ولا عن مُستعملها.

وروى الصفدي (ت: ٧٦٤هـ) في «الوافي» شعراً لابن الحجاج (ت ٣٩١هـ) يهجو به المتنبّي يقول فيه:

و... بَغْلٍ طَوْلُهُ سَبْعَةٌ فِي مِثْلِ دَوْرِ الدَّقْرِ تَدْوِيرُهُ
وَلَمْ يُفَسِّرْ مَحَقُّ «الوفيات» الدَّقْرَ ما هو؟ رَغِمَ أَنَّهُ ضَبَطَهُ، وَيَغْلِبُ عَلَيَّ ظَنِّي أَنَّ
ابن الحجاج (ت: ٣٩١هـ) يعني به الخشبة المدورة، ففي الفصح أن الدَّقْرانَةَ
تكون من خشبٍ، وهي تُنصبُ في الأرض مع أخت لها ليعرَّشَ عليها الكرم فيقال
لهما الدَّقْران بضم فسكون. هكذا فسرها الزبيديُّ في «التاج».

أقول: وصاغ العراقيون في عاميتهم منه صيغة فاعول فقالوا (داقور) ينطقونه
بالكاف الفارسية، وهم يعنون بالداقور وتدًا من خشبٍ أو صفيحةً منه يسندون به
الحائط الأيل للسقوط يتكئ عليه لئلا يسقط. والمهم عندي أن ابن الحجاج
(ت: ٣٩١هـ) يعني بالدَّقْر: الرتد الغليظ. ولا أعرف كيفية ضبطه، ولا أكاد أطمئنُ
إلى ضبط محقق «الوفيات».

وفي كتاب «الوزراء» للصابي: أن العراقيين سمَّوا أحد وزراءهم: (دقُّ صدره)؛
لأنه كان يتعهَّد بالإنجاز، ولا يفعلُ.

أقول: ما زالوا يقولون إذا تعهَّد لهم أحدٌ بشيء يُنجزه: دقُّ صدره.

وفي «التاج»: ... وذكر الأطباء في كتبهم: دوع، بالضم وهو المخيض.

وأقول: ذكره السمعاني (ت: ٥٦٢هـ) في كتابه «الأنساب» بما هو أوضح في
قوله: (الدُّوع... هو اللبن الحامض نُزِعَ منه السمن). وأقول مرَّةً ثانية: إن الكلمة
كانت مُستعملةً في العراق على أيام طفولتي في خمسينيات هذا القرن، وإن من
علامات اللبن الدُّوع أن كان بائعوه يكوِّرون الزبدَ بحيث يطفو عليه، وهو في الإجازة.

وإذ يشتمك العراقي يقول لك: (لعنة على الدير الرضعك). ونقل الزبيديُّ
في «التاج» عن الصغاني قوله: (الدَّيسُ: الثدي عراقي لا عربية).

أقول: من مصاديق ما ذهب إليه الصغاني قول ابن الحجاج (ت: ٣٩١هـ) كما رواه صاحب «اليتيمة»:

قالوا: رأيناك بما فيك من هشاشة الفطنة والكيس
تجسوا إلى باب (...) مثلما يجبو ابن عامين إلى الدئس
واللفظة ما زالت مستعملة عند العراقيين يُطلقونها على كل ثدي سواء أكان
للإنسان أم للحيوان، ويُسمون صنفاً من أصناف العنب تكون حبته طويلة،
وليست مدورة: ديس العنز.

وتسمع في لهجة العراقيين لفظة (الزنبرك)، والزنبورك في أصله: من آلات
الحرب التي يستعملها الروم. هكذا قال العباسي (ت: ٧١٠هـ) في كتابه: «آثار
الأول في ترتيب الدول». ولا أعرف ماذا يعني به، ولكنني أعرف أن العراقيين
يستعملونها بغير هذا المعنى وينطقونها زُنْبُرْكَ، وزُنْبَلْكَ. فيقولون للكثير الحركة:
كأنه زُنْبُرْكَ، يُشَبِّهونه بزنبرك الساعة، وهو العتلة المدورة في داخلها، والتي تذهب
وتجيء بشكلٍ متوالٍ أثناء عملها.

ومن أمثال العراقيين قولهم: (ماكو زور يخله من الواوية)، والزور في أصله
الفصيح الزار، والزار هو: الأجمة ذات الحلفاء والقصب والماء. ومال المولدون
بالألف إلى الواو فقالوا: الزور. قال أسامة (ت: ٥٨٤هـ) في «الاعتبار»: (نحن
نتحدّث والخنزيرُ خرج يريد زورًا آخر...) وجمع أسامة الزور على أزوار في قوله:
(فخرجتُ أنا وأخي بهاء الدولة... ومعنا بعض البزاة إلى الأزوار...).

أقول: وما زال العراقيون يُسمون الزار: زورًا، ومن أمثالهم العامية: سوى لي
الهور مرق، والزور خواشيق، وينطقون القافين من (مرق) و (خواشيق) كأف فارسية.
يضربون ذلك لمن يعدك بالعريض الطويل ثم لا يفِي بشيء. وإنما نصوا على
الهور؛ لأن أجمات القصب والحلفاء تكون فيه.

وفي «الاعتبار» لأسامة بن منقذ (ت: ٥٨٤هـ): (وأحضر آخرُ قطعة سندروس.

قالت: هذه الخرزة). قال المحقق عن السندروس: (كلمة فارسية تُطلق على صمغ من الشجر أو معدن شبيه بالكهرباء). أقول: يبدو أنه هو الذي نُسميه في العراق: السُّندلوس، وتُصنع منه المسابح.

وتَسْوَدَن: جُنَّ، واختلط، ووسوس. هكذا استعملها الذهبيُّ (ت: ٧٤٨هـ) في «تاريخ الإسلام»، وهو يروي كيفية وفاة الجوهري (ت: ٣٩٨هـ) صاحب «الصحاح»؛ فقد قال: (وقيل: إنه تَسْوَدَن، وعمل له دفين، وشدهما كالجناحين معًا، وقال: أريد أن أُطيرَ، وقفز فأهلك نفسه، رحمه الله، وكان من أذكى العالم).

أقول: ما يزال الفعلُ مستعملًا في العراق، أما المجنون فهو في لغتهم: المُسْوَدَن. وتَسْوَدَن: كأنه اشتقَّ من السوداء، والمُسْوَدَن هو المصابُّ بالسوداء.

ويقول بديع الزمان الهمذاني (ت: ٣٩٨هـ) من رسالةٍ يعتذر فيها لمسكويه: (ولولا أنَّ العُدْرَ إقراؤُ بما قيل، وأكره أن أستقيل، بسطتُ في الاعتذار شاذرؤانًا، ودخلتُ في الاستقالة ميدانًا...).

ورد (الشاذروان) عند الشهاب الخفاجي (ق ١٠٦٩هـ) فقال: (بفتح الذال من جدار البيت الحرام، وهو الذي تُرك من عرض الأساس خارجًا، ويسمى تازيرًا لأنه كالإزار للبيت، وهو دخيلٌ، كذا في «المصباح» قلتُ: هو في كلام المولدين أيضًا). أقول: لا أعرف ما الذي زجَّ الشاذروان بالبيت الحرام، ولكن الذي أعرفه أن الواساني (ت: ٣٩٤هـ) قد استعمل اللفظة بمعنى النافورة كما في قوله الذي رواه الثعالبيُّ في اليتيمة:

كسروا السكرَ فاختلطتُ فقالوا: كيف تبقى بغيرِ شاذروان؟

وما زالت تُستعمل في اللهجة العراقية بمعنى النافورة، وليس بمعنى التازيرة.

وقال العباسيُّ (ت: ٧١٠هـ) في «آثار الأول وترتيب الدول»: (والترُّك والبوادي يأكلون اللحمَ المسلوقَ، والمشوي، واللبن، والشوربابة القمح...).

أقول: الشوربابة، وهي ما نسميه الآن بالشوربة.

والشَّرْبَةُ: الإناء الذي يُشْرَبُ فيه الماء، وهو في الفصيح: المِشْرَبَةُ. قال أسامة ابن منقذ (ت: ٥٨٤هـ) في «الاعتبار»: (كُلُّ ذاك وأمةٌ عجوز يُقال لها بريكة... واقفةٌ بين الخيل على شطِّ النهر في يدها شربةٌ تستقي بها، وتسقي الناس...).
أقول: واللفظةُ ما زالت مُستعملةً في اللهجة العراقية، وهم يعنون بها قُلَّةً من فخار يُحفظُ فيها الماء، ويُمكن أن يُشْرَبَ منها.

وإذ تخيط بدلةً فإن الخياط في التجربة الأولى من عمله يُشَلِّلُ البدلة ليستطيع أن يُعدِّلَ ما لا يرضى عنه في التفصيل، وفي «شفاء الغليل» للشهاب الخفاجي: شَلَّلَ الثوب: خاطه خياطةً خفيفة. أقول: وما يزال اللفظ مستعملاً بمعناه في العامية العراقية وفي مخطوطة «الكشف عن مساوي الخمر» نقلًا عن «تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين» للعلامة الأستاذ إحسان عباس ورد في تفسير قول ابن الزرقال (وهو من أهل القرن الخامس للهجرة): (شَلَّلَ قفاك) ما نُصِّه: (وهم يقولون: شَلَّلْتُ الإناء إذا غسلته بالماء).

أقول: وما زالت اللفظةُ مستعملةً في الجزائر بالمعنى نفسه، وقد يتوسَّعُ الجزائريون فيها فيقولون: شَلَّلْتُ فمي بكأس ماء.

في الفصيح: ككفَّ دموعه مسحها مرَّةً بعد مرَّة، وكفَّ دمعته بمعنى: منعه، والمعنيان متقاربان واشتقَّ العراقيون من الفعل (كفَّ) لا (كفكف): الكفَّية للمنديل الذي يُمسح به الوجه، والدموع. واشتقوا من الكفَّية في القرن التاسع الميلادي فعلاً هو (كفَّفَ)؛ فقد ورد قسم أخبار الشعراء من كتاب «الأوراق» للصولي المتوفى سنة: ٣٣٥ قوله عن عبدالصمد بن المعدل إنه كانت فيه عربدة إذا سكر، وعربد ذات يوم في مجلس فيه حمدان اللاحقي فقال حمدان: (كِلوهُ إليَّ وحدي وأخذه وكفَّفَه...).

واللافت للنظر أنهم لم يشتقوا من الفعل (كفَّ) اسم آلة كما اشتقوا من هفَّ النسيم اسم آلة فقالوا: مَهْفَةٌ، وإنما لجأوا إلى ياء النسبة فقالوا كفَّية، كأنها قطعة

القماش المنسوبة إلى الكفّ، والمنع.

وقد وجدتُ لفظ الكفّية مُستعملًا في القرن السابع للهجرة بمعنى غير المعنى الذي ذكرها فيه الصولي في قول ابن أيديمر (ت: ٧١٠هـ) في: «الدر الفريد وبيت القصيد» مكتوبٌ على كَفِيَّة:

أنا للدمع إذا ما جاد في وقت الرّحيل
أتلقي منه ما ينهـ هل في الخدّ الأسيل

أقول: وما زالت اللفظةُ مستعملةً في العامية العراقية، والعراقيون ينطقون الكاف منها جيمًا فارسيّةً. واستعملها القاصُّ العراقيُّ الأستاذ فؤاد التكرلي في إحدى قصصه من مجموعته: «ذات العيون الخضراء» بالكاف في قوله: (ففرش كَفِيَّة).

ومن هنا يبدو لي أنّ تأويل المُشتغلين بالعربية أنّ (الكفّية) التي تكون تحت العقال هو كوفيّةٌ كأنّها مصنوعةٌ في أوّل أمرها في الكوفة مثل (الموسلين) المنسوب إلى مدينة الموصل، أقول: أنّ تأويلهم لا يكادُ يُطمأنُّ إليه؛ لأنني أظنُّ أنّهم استعملوا الكفّية أوّل الأمر لهذا المعنى الضيق ثم توسّعوا فيه.

أقول هذا لأنني رأيتُ لفظة (المنديل) تُستعمل في القرن الرابع بالمعنى الذي نستعمله اليوم، ثمّ أعرض البغاددة عن لفظها في عصر ابن أيديمر إلى الكفّية، لأنهم خصّصوا المنديل بمسح ما كان يكون من آثار لقاء (...).

وإذا فلا يُستبعدُ أبدًا أن تكون الكفّية التي تحت العقال هي معنى مُتوسّع فيه من الكفّية التي يُمسحُ بها الوجه والدموع. أما وجه العلاقة بين الكفّيتين فهي أنّ أحدهما تكفّ الدموع، والثانية تكفّ أذى الطبيعة، من حرٍّ وبردٍ.

ويدور في كلام العراقيين كثيرًا لفظ (ليش) بمعنى: لماذا، وفي ترجمة العز بن عبدالسلام من «طبقات المفسرين» للداوودي قوله: (وقال [عز الدين...] للرسول: يا ولدي ليش تفعل هذا؟...).

أقول: إن كلمة (ليش) كما هو معروف - مركبة من اللام، وأيش، أي: لأيش؟ ثم سُهلت همزة (أيش) فصارت: ليش، ويهمني منها أن العز المتوفى سنة: ٦٦٠هـ كان من مستعمليها. أما أيش فتكاد تكون فصيحة لِقَدَم استعمالها؛ فقد استعملها الخليفةُ عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).

وإذا تحدّث العراقي عن نفسه وجماعته قال: نَحْنُ، أو قال: إحنه، ويبدو أن الانحراف بنطق (نحن) إلى (نحن) كوفي وقع قبل سنة ٣٨٣هـ، لأنها سنة وفاة ابن الرومي؛ فقد قال يهجو أهل الكوفة:

وأهل الكوفة الرذلة _____
 إذا قلنا لهم نحن _____
 _____ أدنى الأذل الأدنى
 _____ فمن قلوبهم: نحن
 وواضح أن لغة أهل الكوفة في: نحن هي: نحن كما دل عليه ابن الرومي. وما زال بعض العراقيين يقول: نحن يريد: نحن الفصيحة، ومنهم - وهم الأكثرية - من يقول: إحنه (٣).

وفي معجمات العربية الفصيحة (هجت النار... إذا اتقدت وسمع صوت استعارها) مثله مثل: أجت، وليس في الفعل من معاني الطرد إلا صيغة جامدة هي قولهم: هج هج، يزجرون بها الكلب، وهجا هجا يزجرون بها الجمال. ولكن العراقيين يقولون: هج فلان، بمعنى: هرب، وهجته بمعنى جعلته يهرب أي: طرده بشكل غير مباشر، وبهذا المعنى استعمل الشاعر المعروف بشيطان العراق من أبناء القرن السادس الهجري الفعل في قوله معذراً لأهل إربل بعد أن هجاهم: هجج ذلك الهجج عن ربكم كل أخير ينقض الأول
 ويقول العراقيون في أمثالهم (هم زيارة، وهم تسيارة)، وفي «الرسالة البغدادية»، وفي «الإمتاع والمؤانسة» لأبي حيّان التوحيدي المتوفى سنة ٤١٤هـ قول الشاعر:

أبو العباس قد حجَّ وقد عاد وقد غني
وقد علّق عنّا أزا فهذا همّ كما كنّا

وشرح العلامة الدكتور مصطفى جواد في كتابه «في التراث العربي» كلمة (همّ) فقال: (لفظة عامية عراقية عريقة... ذكرها الأحفش، وأبو حيان بمعنى: (أيضاً) و (لم يزل)... ونصّ الأستاذ المرحوم عبود الشالجي على أنها بغدادية خالصة بمعنى أيضاً).

أقول: ما قاله العلامة جواد أوسع فهي مستعملة إلى الآن بالمعنيين اللذين ذكرهما، وأنها عراقية، وليست بغدادية، كما قرّر المرحوم الشالجي. أما كونها عراقية عريقة فلا أدري من عراقيتها سوى أنها في الفارسية مستعملة بمعنى أيضاً، في قولهم (هلا خوب، هم شوربه هم سبزي) وأن سعدي الشيرازي (ق ٧) كان قد استعملها في (الكَلستان) في أكثر من موضع.

هذا وقد استعملها ابنُ الحجاج (ت: ٣٩١هـ) من قبل في قوله كما رواه صاحبُ «اليتيمة»:

أحسنيت لي همّ هكذا مُدّي وشُدّي واعصيري
ويعني بها: أيضاً.

واقصر الموفق البغدادي - كما نقل عنه السيوطي في «المزهر» - على أن معناها: أيضاً، ونصّ على أنها مولدة.

وأذكر أنّ خضّاري النجف كانوا حين يُنادون على التين يصيحون: (التين لاوي ياوزيري) بمعنى تينٌ وزيريٌّ ناضج. وفي كتاب «فوائد الموائد» لابن الجزار خطبةٌ للقاضي ابن قريعة وهو من أبناء القرن الرابع ومن أصدقاء أبي الفرج الأصبهاني يفتتح بها مائدةً بحمد الله: (الذي تينٌ فوزر... أي: خلق التين فجعلته تينا وزيرياً، والوزيريُّ: من أجود أنواع التين، وكان الخضّارون في النجف، وربما

في العراق بأسره يمدحون تينهم حين ينادون عليه بأنه: وزيريّ. أما لماذا سُمِّي هذا التين وزيرياً، ولمزرعة أيّ وزير يُنسب فهذا مالا أعرفه حتى هذه اللحظة.

ويُسمِّي العراقيون الثلج المُنهَمَر من السماء إلى اليوم: وفراً، وكانو يُسمونه في النصف الأوّل من القرن السادس، وربما قبله، كذلك؛ فقد قال البديع الأضرلابيّ ٥٣٤هـ:

يا صُدورَ الزّمانِ ليس بِوَفِرٍ ما رأيناهُ في نواحي العِراقِ
إنّما عمّ ظلمُكم سائرَ الأَرْضِ ضِ فشاِبثِ ذوائِبِ الأفاقِ
وفسّرهُ ياقوت الحمويّ (ت: ٦٢٦هـ) في «معجم الأدباء» بقوله: (الوَفِرُ: الثَّلْجُ بلغة أهل العراق، قال ذلك في عام نزل فيه ببغداد ثلجٌ كثيرٌ).

هذا ما رأيْتُ أن أنتخبه من مفرداتِ عراقيةٍ لحديث هذه الليلة، وفي مزودي البولنديّ مُفرداتٌ أخرى أرجو أن تجدوها قريباً في «معجم اللغة المولدة» الذي أنا عاكفٌ على العمل فيه. وشكراً جزيلاً لحضوركم وإصغائكم.

بوزنان: د. محمد حسين الأعرجي

الحواشي:

(*) محاضرة أقيمت في ديوان الكوفة بلندن يوم ٢٨/١٠/١٩٩٨ بدعوة كريمة منه.

(١) الغريب أن هذه اللهجة المنسوبة لأسد وتميم وهما قبيلتان عدنانيتان، لا تزال مستعملة عند بعض القبائل القحطانية التي انساحت إلى نجد في عهود متأخرة، مما يحمل على البحث عن أصل منشأ تلك اللهجة.

(٢) أنطى بمعنى (أعطى) ورد في بعض القراءات: (إنا أنطيناك الكوثر)، وليست اللهجة خاصة باليمن، بل هي لغة سعد بن بكر من هوازن وهذيل وغيرهم، ويذكر اللغويون إنها وردت في أحاديث منسوبة للرسول - صلى الله عليه وسلم - ولا تزال هذه اللهجة مستعملة لدى سكان شمال نجد، في بلاد الجبلين وسكان هذه البلاد طيء - قديماً - وهم قحطانيون، ويبدو أن اللهجات بسبب تموج القبائل العربية من قحطانية وعدنانية واختلاطها في الجزيرة تغيرت وأصبح كثير منها لا يختص بمن تنسب إليه قديماً.

(٣) ومن اللهجات الغربية في نجد في (نحن): أجنّ المستعملة في إقليم (الوشم) وسكانه في الأصل من تميم.

أسامة بن منقذ

من كتاب «أخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء»

لمحمد بن عمر الأيوبي المتوفى سنة ٦١٧هـ

هذا نصّ نفيس في ترجمة أسامة بن منقذ الأمير الشاعر المتوفى سنة ٥٨٤هـ وتأتي نفاسته في انفراده بذكر ٣٤ بيتًا أُخِلَّ بها ديوانه المطبوع.

ومؤلف الكتاب هو الملك المنصور محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة، المتوفى سنة ٦١٧هـ. كان أحد العلماء بالتاريخ والأدب، طُبع جزء من كتابه الكبير «مضمار الحقائق وسرّ الخلائق».

وله كتاب «درر الآداب ومحاسن ذوي الألباب»، مازال مخطوطًا.

أما كتابه «أخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء المتقدمين من الجاهلية والمخضرمين والإسلاميين والمحدثين» فمازال مخطوطًا، ونسخته الفريدة بمكتبة (لايدن) تحت رقم ٦٣٩.

وقد تفضل أخي الدكتور ناظم رشيد شيخو بتصوير الصفحات الخاصة بترجمة أسامة بن منقذ من نسخته، فجزاه الله خيرًا عن العلم والعلماء. وتقع ترجمة أسامة في الأوراق (١٩٦ ب - ٢٠١ أ).

الأمير مؤيد الدولة أسامة بن منقذ الكناني:

أسامة بن منقذ الكناني، كُنِيَتْهُ: أَبُو الْمُظْفَرِ، وهو أسامة بن مُرْشِدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُقَلَّدِ بْنِ نَصْرِ بْنِ مُنْقَذِ الْكِنَانِيِّ. كان سيّدًا فاضلاً عالمًا / ١٩٧ أ / أديبًا، وشاعرًا مجيدًا مُكثِرًا محسنًا. وشعره كثير المُلَحِّ والنوادر في فنون شتى. فمن قوله في الغزل^(١):

يقولونَ ما يَشْفِي المَحِبَّ من الجوى يسوَى يأسِهِ واليأسُ أَفْتَكُ دائي
فكيفَ أَرْجِي بُرَّةَ سُقْمِي مِنَ الهوى ودائي الّذي يقضي عليّ دوائي

وله أيضًا^(٢):

نَفْسِي الْفِدَاءَ لظَالِمٍ مُتَعَتِّبٍ
قَمَرٌ عَلَيْهِ مِنْ ذَوَائِبِهِ دُجَى
[١٩٧ ب] فِي وَجْهِهِ مَاءُ الْمَلَاةِ حَائِرٌ
لِلْحَاظِهِ فِي الْقَلْبِ وَقَعُ سَهَامِهِ
أَشْتَاقُهُ وَهُوَ السَّوَادُ بِنَاطِرِي
أَحْبَبْتُ فِيهِ اللَّائِمِينَ لِأَنَّهُ
وَمِنْحَتُهُ كُلُّ الْهَوَى دُونَ الْهَوَى
وَمِنَ الْعَجَائِبِ فَعَلُهُ بِي فِي الْهَوَى
[١٩٨ أ] إِنْ جَارَ إِذْ حَكَمْتُهُ فِي مُهْجَتِي
وَالصَّبُّ يَسْتَحْلِي مَرَارَاتِ الْهَوَى
وَلَهُ فِي الْغَزْلِ أَيْضًا (٣):

مُتَبَاعِدٍ بِالْهَجْرِ وَهُوَ قَرِيبٌ
يَهْتَزُّ مِنْهُ عَلَى الْقَضِيبِ كَثِيبٌ
فَقَلُوبُنَا الظَّنَّأَى عَلَيْهِ تَلُوبٌ
لَكِنَّ تِلْكَ تَطْيِشُ وَهِيَ تُصِيبُ
مَنْ لِي بِحُسْنِ الصَّبْرِ حِينَ يَغِيبُ
يَحْلُو بِسَمْعِي ذِكْرُهُ وَيَطِيبُ
طُرًّا وَمَالِي مِنْ هَوَاةٍ نَصِيبُ
مَا تَفْعَلُ الْأَعْدَاءُ وَهُوَ حَبِيبُ
فَالْعَدْلُ فِي حُكْمِ الْغَرَامِ غَرِيبُ
فِيهِ وَيَعَذَّبُ عِنْدَهُ التَّعْذِيبُ

يَا ظَالِمًا أَبَدًا يُرَوِّ
كَمْ ذَا الصُّدُودُ أَمَا تَخَا
أَتَرَى هَوَاكَ وَحَفْظَ عَهْدِ
حَسْبِي الَّذِي الْقَاهُ مِنْ
وَقَالَ أَيْضًا مَتَغَزَلًا (٤):

عُنِي بِإِعْرَاضِ وَعَثْبِ
فُ اللَّهُ فِي ظُلْمِ الْمُجِيبِ
لَكَ حَيْثُ لَمْ تَحْفَظْهُ، ذَنْبِي
لِوَمِ اللَّوَائِمِ فِيكَ حَسْبِي

إِذَا مَا دَنَتْ دَارُ الْأَجْبَةِ جَدَّدَتْ
[١٩٨ ب] فَإِنْ مَنَعْتَ مِنْ أَنْ أَرَاهِمَ وَقَدْ دَنَوْا
وَإِخْتِيَارِي مِنْ شَعْرِهِ كَلِمَتِهِ الْحَائِيَّةُ، وَهِيَ (٥):

بِقُرْبِهِمُ الْأَنْسَ الَّذِي كَانَ أَنْهَجَا
صُرُوفُ اللَّيَالِي عَادَ أَنْسِي بِهِمْ شَجَا

فَهَلْ عَلَيْهِ فِي الْهَوَى مِنْ جُنَاحٍ
بِأَخِ بِشَكْوَى مَا بِهِ فَاسْتِرَاحُ

عليه لا يُغني إذا الدَّمْعُ باخ
 قلبًا من الكتمان دامي الجراح
 وجسْمُهُ للثَّقْمِ نَهَبٌ مُبَاخ
 أمَّا وأمَّا مِثْلَ ضَرْبِ الْقِدَاخِ
 عقلي بأخوى ذي مراحٍ وراح
 جفونُهُ فَهَيَّ مِرَاضٍ صِحَاخِ
 وَقَدِّهِ هَبْزَةٌ سُمْرِ الرِّمَاحِ
 غُضْنَ مِرَاخِ (٢) فَوْقَ حِقْفِ رِدَاخِ
 يُظَلُّنَا مِنْ جُنْحِهِ بِالْجَنَاحِ
 وَنَشْرُهَا الضَّائِعُ مِنْ فِيهِ فَاخِ
 مِنْ كُلِّ وَايٍ وَرَقِيبٍ وَوَاخِ
 وَيَبْرِي غُرَّتِهِ وَالصَّبَاخِ
 بِهَا اللَّيَالِي غَلَطًا لَا سَمَاخِ
 فَمَا احْتِيَالِي فِي الْقِضَاءِ الْمَتَاخِ

لَمَّا رَأَى كَتْمَانَ مَا يَنْطَوِي
 دَاوَى بِمَا أَعْلَنَ مِنْ بَثِّهِ
 صَبَّ حَمَاهُ الْهَجْرُ طَيْبَ الْكُرَى
 [١٩٩] مُخَاطِرٌ يَرْكَبُ هَوَلَ الْهُوَى
 يَا صَاحِ مَا أَصْحَاكَ عَنِ سَكْرَتِي
 مُهْفَهَفٍ صَحَّتْ عَلَى سُقْمِهَا
 لَطْرَفِهِ فَتَكَّةُ بِيضِ الطُّبَى
 شَمْسٌ نَهَارٍ تَرْتَدِي بِالدُّجَى
 طَافَ عَلَيْنَا وَالِدُجَى رَاكِدٌ
 [١٩٩ ب] بِقَهْوَةٍ مِنْ خَدِّهِ أَشْرَقَتْ
 وَظَلَّتْ فِي أَمْنٍ غَرَامِي بِهِ
 فِي حِنْدِسِي طُرَّتِهِ وَالِدُجَى
 بَغْبَطِيَّةٍ جَادَتْ عَلَى بُخْلِهَا
 حَتَّى قَضَى الدَّهْرُ بِتَفْرِيقِنَا

ومن مختار شعره [٢٠٠] قوله متغزلاً^(٦):

لم تنزحوا لكن الدَّمْعُ الَّذِي نَزَحَا
 كما عهدتُم وبُزْخِ الْوَجْدِ مَا بَرَحَا

يا غائبين وفي قلبي محلُّهم
 هوأكم إن دنت دارٌ وإن بُعدت

واختياري من شعره كلمته الدالية، وأولها^(٧):

بل زادة كَلَّفْنَا وَوَجَدَا
 — لان ما أخفى وأبدي
 في ما أطباق لهنَّ رداً

لا تحسبنَّ اللّوَمَ أَجْدَى
 أبدي صبابته وللإعـ
 نمت به زفاراتُ شو

[٢٠٠ ب] لا تُكثِرَنَّ فَمَا تَرَى
 قَمَرٌ أَعَارَ الظَّبِّيَ الْحَاظِمًا
 شَغِفَ الْجَمَالَ بِهِ فَلَمْ
 أَجْرَى الْحَيَا مَاءً
 مُتَخَرِّمٌ أَبَدًا إِذَا
 وَأَرَى ضَلَالِي فِي هَوَاهُ
 مَبَاهِيًا بِالْحُسْنِ مَا
 لَوْ كَانَ يُنْصَفُ لَمْ يَكُنْ

وله أيضًا^(٩): [٢٠١ أ]

مَلَّنِي وَاسْتَحَلَّ ظَلْمِي
 بَدْرٌ تَمَّ أَبْهَى مِنْ
 خَانَ عَهْدِي وَخَانِي
 أَنَا فِي نَارِ هَجْرِهِ
 كَمَا تَقَرَّبْتُ بِالْوَصَالِ
 لَا أَطِيعُ النَّصِيحَ فِيهِ
 وَإِذَا لَا مَنِي الْعَمَلُ
 عُدْتُ فِي حُبِّهِ إِلَى

مَنْ تُعْنَفُ فِيهِ بُدَا
 وَغُضِنَ الْبَلَانِ قَدَا
 يَجْعَلُ لِمَا أَعْطَاهُ حَدَا
 وَأَنْبَتَ فِيهِ لِي آسَا وَوَرْدَا
 اسْتَعْطَفْتَسَهُ بِالْعَتْبِ صَدَا
 هُدَى وَغَيْبِي فِيهِ رُشْدَا
 أَنْصَفْتُهُ إِلَّا تَعَدَا
 بَغْرَائِبِ الْحُسْنِ اسْتَبَدَا
 أَنْ يُسَوِّحَ أَوْ يُؤَدَّا^(٨)

وَمَالِي فِيهِ يَدُ
 الْبَدْرِ حَسَنًا وَأَبْعَدُ
 فِي هَوَاهُ التَّجَلُّدُ
 وَقِسْلَاهُ مُخْلَلُ
 إِلَيْهِ وَيَبْعُدُ
 وَإِنْ كَانَ يُرْشِدُ
 ذُلٌ فِيهِ وَفَنَّا
 الْغَيْبِ وَالْعَسْوُدُ أَحْمَدُ

كلية الآداب: جامعة بغداد - الدكتور حاتم صالح الضامن

الحواشي:

- (١) أخلّ بهما ديوانه. (٢) أخلّ بها ديوانه. (٣) أخلّ بها ديوانه.
 (٤) أخلّ بهما ديوانه. (٥) ديوانه ١٠. (٦) أخلّ بهما ديوانه.
 (٧) الأبيات الستة الأولى في ديوانه ١٥، وأخلّ بالباقي.
 (٨) مكان النقط مطموس في الأصل. (٩) أخلّ بها الديوان.

نقيضتان جديدتان: للعبلي وسديف في بني أمية

هذا بحث كتبه أول مرة قبل عشرين سنة وأعطيته الزميل الكريم الدكتور عادل البياتي لنشره في «مجلة كلية الآداب»، وكان في هيئة تحريرها.

ولكنّ دَمَجَ مجموعة من مجلات الكليات بمجلة واحدة آنذاك وما ترتب على ذلك من تغيير هيئات التحرير، واختلاط البحوث المقدمة لها، أدى إلى ضياع ذلك البحث، وقد أنسيته أو كدت، لولا أن ذكرني به ما كتبه عن العبلي ضمن الشعراء الأمويين في البحث الذي تفضلت «العرب» الغراء بنشره س ٣٤، ص ٤١ وما بعدها، وكنْتُ أشرتُ فيه إلى قصيدته البديعة التي (قالها في دولة بني أمية عند اختلاف كلمتهم ووقوع الفتنة بينهم)^(١).

وحمّدت لأبي الفرج تفردَه بذكرها تفردًا كاملًا لم يشركه فيه مصدر آخر فيما علمت، وتمنيْتُ لو ذكرها كاملة ولم يقتصر منها على ثلاثة وعشرين بيتًا فقط (وهي قصيدة طويلة، اقتصرت منها على ما ذكرته)^(٢) وهي في مديح بني أمية والفخر بهم وتحذيرهم من الفرقة والتناحر، والإشفاق من ذهاب دولتهم بسبب تلك الفتنة التي وقعت بينهم في سنتي ١٢٦ - ١٢٧ هـ، بعد مقتل الوليد بن يزيد ومبايعة يزيد بن الوليد بن عبد الملك، ثم إبراهيم بن الوليد، فمروان بن محمد الذي استقر له الأمر سنة ١٢٧ هـ^(٣)، وهو التاريخ المرجح لنظم هذه القصيدة، لأن الشاعر أشار فيها إلى أحداث تلك الفتنة، كما أظهر سروره بانتهائها، وأن الله استجاب دعاءه فحمى أمية وحفظ دولتهم.

نوّهتُ بالملك المهيمن دعوةً ورواحُ نفسٍ في البلاءِ دعاؤها
ليردًا لفتّها ويجمع أمرها بخيارها، فخيرها رحماؤها
فأجاب ربي في أمية دعوتي وحمى أمية أن يهدَّ بناؤها

وكما تفرد أبو الفرج المتوفى سنة ٣٥٦هـ بذكر هذه القصيدة، فقد تفرد المرزباني المتوفى سنة ٣٨٤هـ تفردًا كاملاً لم يشركه فيه مصدر آخر على حدّ علمي بذكر قصيدة سديف في هجاء بني أمية وإظهار الفرح والسرور لذهاب دولتهم، وما وقع عليهم من قتل وتشريد، وهي ردُّ صريح واضح على قصيدة العبلي ونقضها، إذ جاءت على وزنها وزويّها ودارت على موضوعها نفسه، وتكاد بعض أبياتها أن تكون ردًّا مباشرًا على أبيات بعينها من قصيدة العبلي.

ولعليّ بحمد الله أول من ربط بين هاتين القصيدتين، وتنبه إلى الصلة القائمة بينهما، وإنهما نقيضتان جديدتان، من عصر الخضرمة الثانية، وما رأيتُ أحدًا من القدماء أو المعاصرين قد التفت إلى ذلك أو تنبه له، وهو أمرٌ غريبٌ حقًا أن يغفل عنه أبو الفرج والمرزباني.

وقد تفرد أولهما بذكر قصيدة العبلي في «أغانيه»، وترجم لسديف ترجمة موجزة مبسرة، كما ذكر ما قاله من شعر في التحريض على بني أمية، وإغراء العباسيين بقتلهم، ولكنه لم يُشر إطلاقًا إلى قصيدة سديف هذه المناقضة لقصيدة العبلي، لا عند ذكره لها، ولا عند ترجمته لسديف، ولعله كره ذكرها لما فيها من هجاء قومه الأمويين والشماتة بهم.

وليس مثله من يخفى عليه مثلها، ولا يقلّ عنه غرابةً في هذا، المرزباني، لإغفاله مثل هذه الإشارة عند تفرد به بذكر قصيدة سديف في كتابه «أخبار شعراء الشيعة» الذي لخصه السيد محسن الأمين ونشره الشيخ محمد هادي الأميني في النجف سنة ١٩٦٨م.

وليس معقولًا أن المرزباني المتوفى بعد أبي الفرج بثلاثين سنة تقريبًا لم يطلّع على كتاب «الأغاني»، ولم يقرأ فيه قصيدة العبلي، ثم لا يلتفت إلى وجوه الشبه بينها وبين قصيدة سديف المناقضة لها والتي لم يذكرها غيره.

وواضحٌ أن سديفًا لم يردّ على قصيدة العبلي ولم ينقضها في حينها، في سنوات

بني أمية الأخيرة، خوفاً من بطشهم. وإنما فعل ذلك بعد خمس سنوات تقريباً. أي في سنة ١٣٢ هـ أو بعدها قليلاً، لأنه يشير فيها إلى قيام الدولة العباسية، وذهاب سلطان بني أمية وملكهم:

ولقد سُرِرْتُ لعبدشمس أنها أمست تُساقُ مباحةً أحماؤها
أمست أميةً، لا أميةً تُرتجى قُلبَ الزمانُ لها، وحُمَّ فناؤها

وإذا كان أبو الفرج قد أشار إلى طول قصيدة العبلي واعتذر عن ذكرها كاملة، مقتصرًا على ثلاثة وعشرين بيتًا منها، فإنَّ المرزباني وعلى عادته في البخل بعلمه وولعه بالاختصار والابتسار، دون إطالة أو إفاضة في الحديث لم يذكر من قصيدة سُدَيْفٍ غير ثمانية عشر بيتًا، ثم لم يقل بعدها: أهذه هي كل القصيدة، أم أنها أطول من ذلك، واقتصر على ما ذكره منها.

وإذا كان أحدٌ من القدماء والمعاصرين لم يشر إلى رابطة التناقض بينهما، ولم يتنبه إلى ذلك أحدٌ - فيما أعلم - فلاشك أن القارئ الكريم سيؤيدني فيما ذهبْتُ إليه إذا نظر إلى نَصِي القصيدتين ووازن بينهما، ولعله لا يفوته أن يلاحظ أن العبلي بدأ قصيدته بالبكاء على تفرق قومه وتناحرهم بقوله:

ما بالُ عينك جاثلاً أقذاؤها شرقتْ بعبرتها وطال بكاؤها
ذكرت عشيرتها وفرقةً بينها فطوتْ لذلك غلَّةَ احشاؤها

وأن سديفًا كان يعنيه ويردّ عليه ردًا مباشرًا بقوله في ختام قصيدته:

يا أيها الباكي أمية ضلّة أرسل دموع العين، طال بكاؤها
وإذا قال العبلي:

ماذا أومل إن أمية ودّعت وبقاءً سكانُ البلاد بقاؤها؟
ردّ عليه سديف قائلاً:

فلئن أمية عبد شمس ودّعت فقد اضمحل عن البلاد بلاؤها

وعندما ذكر العبلي سروره لانتهاه الفتنة، وأن الله حمى أمية وحفظ ملكها:

فأجاب ربي في أمية دعوتي وحى أمية أن يَهْدَ بناؤها
ردَّ عليه سديف بقوله:

زعمت أميةً وهي غير حليلة أن لن يزول ولن يَهْدَ بناؤها
وقضى الإلهُ بغير ذاك فذُبِّحَتْ حتى ترفع بالعجاج دماؤها

وعندما أظهر العبلي جزعه من عواقب الفتنة، مشفقًا على قومه من الفناء:

فِإِذْ أَمْسَتْ تَعَابَتْ بَيْنَهَا فَلَقَدْ خَشِيتُ بِأَنْ يُحَمَّ فَنَاوْهَا
ردَّ عليه سديف متشفياً بوقوع ما كان يخشاه، من فناء قومه وهلاكهم:

أَمْسَتْ أُمِيَّةٌ لَا أُمِيَّةٌ تُرْتَجَى قَلْبَ الزَّمَانِ لَهَا، وَحُمَّ فَنَاوْهَا

فإذا فرغنا مما نظنّه من إثبات ما زعمناه من المناقضة بين القصيدتين، وفرغنا

قبل هذا من الحديث عن العبلي ومروءته وحبه لقومه وراثته لهم بعد ذهاب دولتهم. وما كان من خصومته لهم أيام سلطانهم لموقفهم المعادي للهاشميين، وهو الذي حماه من بطش العباسيين ومذابحهم، حتى تورط في تأييد ثورة (النفوس الزكية) واضطر عند إخفاقها على الهرب إلى اليمن، خوفًا من بطش المنصور، وموته هناك غريبًا بائسًا مضيئًا (انظر «العرب» س ٣٤، الصفحات ٤٣ - ٥٠).

فلا بدّ أن نحدثك شيئًا عن معاصره ومناقضه، وهو شاعرنا هذا الثاني، قبل أن

نذكر نصّي القصيدتين، ونترك لك الحكم على ما زعمناه في شأنهما.

وهو سديف بن ميمون، الذي ذكره ابن المعتز بقوله: (كان سديفُ شاعرًا

مفلقًا، وأديبًا بارعًا، وخطيبًا مصقعا، وكان مطبوع الشعر حسنه) (٤) وعرف به أبو الفرج قائلًا: (سديف بن ميمون، مولى خزاعة، ثم تزوج مولاة لآل أبي لهب، فادّعى ولاءهم، شاعرٌ مُقَلٌّ من شعراء الحجاز، من مخضرمي الدولتين، شديد التعصب لبني هاشم، مظهرًا لذلك في أيام بني أمية (٥)). وقال ابن عساكر في

صفته: (وكان سديف شديد السواد، أعرابيًا بدويًا)^(٦) ومعظم المصادر التي مرت به لم تذكر من شعره، على الأغلب، إلا ما حرّض به العباسيين على من بقي من الأمويين، بل أن بعض المصادر لم تذكر سديفًا ولم تُعَنَ به إلا عند حديثها عن قتل العباسيين لبني أمية، ودور شعره التحريضي في هذا، وهو سبب شهرته فيما أظن، فقد كان له القِدْحُ المعلى من ذلك، وربما اختلط - بعض شعره ذاك بأشعار غيره من المحرضين.

ويبدو أن جوائز العباسيين لسُديف، شحذت شاعريته، بعد أن أتقن ما وكل إليه من دور الشاعر المحرّض، فاستمرّ ذلك، حتى صار ديدنه وشغله الشاغل، فما يكاد يرى حاكمًا عبّاسيًا حتى يبادره بالتحريض على بني أمية، في حضورهم أو غيابهم، بقي منهم أحدٌ أم لم يبق.

ومع كل ما أظهره من إخلاص في القيام بدور المحرض في تلك التمثيليات الساذجة التي نظمها العباسيون لاستئصال بني أمية، وكل ما أظهره من حماس في مديحهم، والإخلاص لهم، فإنّ ذلك كله لم يشفع له عند العباسيين، وأمر المنصور بقتله قتلة شنيعة، لما كان من تأييده لثورة (النفس الزكية) ومناصرتها خطابة وشعرًا^(٧).

ويكون من سخرية الأقدار فعلاً، أن يدّفع هذان الرجلان المتناقضان في بني أمية، والمخلصان للهاشميين، ثمن ولائهما للعلويين، تشريدًا وقتلاً، على يدي المنصور وفي ظل دولته الهاشمية.

قصيدة العبلي:

ما بأل عينك جائلاً أقذاؤها	شرقت بعبرتها وطال بكاؤها
ذكرت عشيرتها وفرقةً بينها	فطوت لذلك غلّةً أحشاؤها
واعتاها ذكر العشيرة بالأسى	فصباحها ناب بها ومساؤها
شركوا العدا في أمرهم فتفاقت	منها الفتوق وفُرقَت أهواؤها
ظلت هناك وما يعاتب بعضها	بعضاً فينفع ذا الرجاء رجاءها
إلا بمرهفة الطُّبّات كأنها	شهبٌ تَقَلُّ إذا هوت أخطاؤها
ويعبّل زرق يكون خضابها	علق النحور إذا تفيض دماؤها

فبذاكم أمست تعاتبُ بينها
 ما إذا أوْمَلُ إن أمية ودَعَتْ
 أهلُ الرياسة والسياسة والندی
 غيث البلاد هُم، وهُم أمراؤها
 فلئن أمية ودعت وتتايعت
 ليودَعَنَّ من البرية عزها
 ومن البلية أن بقيت خلافهم
 لهفي على حرب العشيرة بينها
 هَلَّا نَهَى تَنَهَى الغويِّ عن التي
 وتَقَى وأحلام لها مُضَرِّيَّةٌ
 لَمَّا رأيت الحرب توقدُ بينها
 نوهتُ بالملك المهيمن دعوةً
 ليردَّ لِقَتَهَا ويجمع أمرها
 فأجاب ربي في أمية دعوتي
 وحبا أمية بالخلافة إنهم
 فبنو أمية خيرٌ من وطئ الثرى
 قصيدة شديف:

أمست أمية قد أظَلَّ فناؤها
 أمست أمية قد تصدع شَعْبُهَا
 ولقد سررتُ لعبدشمس أنها
 فَكَلِّنُ أمية عبد شمس ودعت
 زعمت أمية وهي غيرُ حليلةٍ
 وقضى الإلهُ بغير ذلك فَذَبِّحْ
 فأمية العينُ الكليلةُ في الهدى

فلقد خشيتُ بأن يُحَمَّ فناؤها
 وبقاء سكان البلاد بقاؤها
 وأسودُ حرب لا يخيم لقاؤها
 سُرُجٌ يُضِيءُ دُجى الظلامِ ضياؤها
 لغواية حَمِيثٌ لها خلفاؤها
 ومن البلاد جمالها ورجاؤها
 فردًا تُهِنُّجُك دورهم وخلاؤها
 هَلَّا نَهَى جُهَا لَهَا حِلْمَاؤها
 يُخشى على سلطانها غوغاؤها
 فيها إذا تَدَمَى الكلوم دواؤها
 ويشب نار وقودها إذكاؤها
 ورواحُ نفس في البلاءِ دعاؤها
 بخيارها، فخيأرها رحماؤها
 وحمى أمية أن يُهدَّ بناؤها
 نورُ البلاد وزينها وبهاؤها
 شرفًا وأفضلُ ساسة أمراؤها^(٨)

يا قرة العين المداوي داؤها
 شَعْبُ الضلال وشُتِيَّتْ أهواؤها
 أمست تُساق مباحةً أحماؤها
 لقد اضمحل عن البلاد بلاؤها
 أن لن يزول ولن يُهدَّ بناؤها
 حتى ترفع في العجاج دماؤها
 وأمية الأيدي القليل جداؤها

وأمية الأذن المصيخة للخنا
وأمية الكف المصرد نيلها
وأمية القدم المقدم شرها
هيات قد سفهت أمية دينها
ولت بمنزل غرة فأحلها
يارب حُرمة مسلم متعبد
ودعاء أرملة دعت ويلاً وقد
لُعنَتْ أمية كم لها من سوءة
لا سوقة منها أتت قصداً ولا
يا أيها الباكي أمية ضلّة
أمست أمية لا أمية تُرتجى

وقد اختلف القدماء اختلافاً كبيراً في رواية قصص مذابح الأمويين وأبطالها وشخصها وأماكنها، ونسبة الشعر الذي قيل فيها، وتفنن خيال الرواة في هذا كله، وفي وصف ما حدث، حتى جعله بعضهم مهرجاناً للقتل والإبادة، وصوره بعضهم بشكل مسرحي، لا يخلو من سذاجة وبلاهة، وهو موضوع حديثنا إليك في بحث قادم إن شاء الله.

كلية الآداب - جامعة بغداد: د. محسن غياض عجيل

الحواشي:

- (١) «الأغاني» ٣٠٧/١١ (دار الكتب).
- (٢) نفسه ٣٠٩/١١.
- (٣) «الكامل» لابن الأثير ٣/٥ و«مروج الذهب» ٣/٢١٣ - ٢٣٢.
- (٤) «طبقات الشعراء» لابن المعتز ٣٧.
- (٥) «الأغاني» ١٦/١٣٥.
- (٦) «مختصر تاريخ دمشق» لابن منظور ٩/٢١١.
- (٧) «طبقات الشعراء» لابن المعتز ٤٢.
- (٨) «الأغاني» ٣٠٧/١١ - ٣٠٨ ومجلة «العرب» ج ١ - ٢، س ٣٤ رجب وشعبان ١٤١٩ هـ.
- (٩) «أخبار شعراء الشيعة» للمرزباني، تلخيص السيد محسن الأمين العاملي، تحقيق محمد هادي الأميني ٧٧ - ٧٨ النجف ١٩٦٨.

في التنظير النقدي

الشعر والنكوص: من فضائل الشعر أن يوفر لصاحبه وقارته (نكوصًا) مقبولًا أو (ارتدادًا) مرضيًا نحو مرحلة سابقة من العمر لا يوفرها غير الشعر، فمن العيب الاجتماعي أن ينكص الكبار من طريق غير طريق الشعر فإذا ما تصابى أحدٌ وهو في السبعين عيَّب عليه ذلك. وإذا ما احتاج إلى (عبث معقول) أو قل إلى (عفوية) مهدئة اضطره المجتمع واضطره سنه إلى قمعها وردّها. فإذا ما أشتدت الحاجة مارسها شعرًا، فقبلت منه (غزلًا) و (وصفًا) و (سخرية) والأول أشدها ظهورًا، وأكثرها قبولًا فهي عنوان البقاء ورمز الوجود.

وفي مثل هذا الشعر يضحى الشاعر ومتلقوه رهائن ضروب من (الإنكار) و (الإسقاط) و (الفصام)، برضا وقبول، بوعي وبغير وعي، لهذا عُدَّ الشعر فعلًا (بدائيًا) و (ابتدائيًا) وسلوكًا (عفويًا) عبر عنه بـ (الوسيلة اللغوية). فكم من شيخ يَجِيءُ في الشعر طفلًا، أو يافعًا، أو شابًا وقد حاصره الزمن بالكبر. واضطرتّه الأيام على (الانحناء) فأرته شبح (الانقضاء) وقربت بينه وبين (الانتهاء) فلا أقل من أن يعود ليخفف و (يرتد) ليستريح. ولا أحد يعترضه في هذا بعد أن ارتدى لنكوصه ثوب الشعر! ولا حكم على هذا القول بالكذب مادام شعرًا. فليس الشعر بخاضع لهذا (المعيار) وارتداد مثل هذا لا خلاف في قبوله مادام كلامًا، بل (كلامًا شعريًا) ولكن من الذي يقبل منه إذا كان (كلامًا نثريًا) أو من منشور يومه؟. ومثلما يقال في مثل هذا النكوص العمري يقال في (النكوص الحضاري) و (النكوص المدني) اللذين يتخفف بهما المرء من ضغوط الحاضر ليعود حيث الماضي أو حيث الحلقات المشرقة من الماضي. فهذا بعض من سلوك (المقهور)!!

الشعر بين التكرار والحاجة: لقد ورثنا شعرًا كبيرًا. وهذا الذي ورثناه - بسبب كثرته وأسباب أخرى - تكررت مضامينه وموضوعاته، ولكن هذا التكرار لم يورثه (الملال) ولم يُصَبَّ قارته بـ (الضجر) فقد أغنى النفوس وأثرى العواطف، ونَمَّى

الأخيلة، ثم قدم نماذج موضوعية من (حسن) يقتدى به و (قبح) يُنفر منه فأسهم - أخلاقياً - في (التربية) و (التعليم) وساعد في هذا الإسهام سُهولة حفظ الشعر، فوفر للصغار والكبار فرصاً أكبر لادخاره في الذاكرة وخزنه في (اللاوعي) والمخزون والمحفوظ يقومان ويوجهان ويعدلان في السلوك اللغوي والعملي. بل أن ذلك التكرار - والصياغة مختلفة ضرورة - كان أهم أسباب التقويم والتوجيه والتعديل، لأن التكرار (الموضوعي) يفسد النثر (غالبا) فيقبل القليل منه ويرفض الكثير، ولكنه في الشعر مختلف بالتمام والكمال، لما يميز الشعر عن النثر بما هو معروف من أسباب (التمييز) التي ينبغي أن (تظل) ليبقى للشعر أثره وتأثيره، ولكي لا تعدم (فضائله) التي لو (غادرت) أو (غودرت) لفقدت (آثاره) الصالحات تلك التي أبقت الشعر متربعا - بسلطانه - على عرش (التغير) و(التأثير)، فكم من (أسوة) و (مُحتذى) حفظها الشعر وساعد في تأثيرها، وبخاصة لمن هو في طور (التكوين) و (البناء) النفسيين مما لا يتوفر إلا للشعر والشعر حسب، فكم من (معلقة) ظلت في القلوب و (مذهبة) استوطنت الأفتدة تنافس اليوم (معلقات) العصر و (لوحاته) و (أجهزته) وقد صير بعضها أصواتاً (معلبة) في أشرطة التسجيل. وقد مضى على موضوعها مئات الأعوام. ولكن هذا المضي لم يفقدها من تأثيرها شيئاً، أو أنه أفقدها القليل القليل.

وبهذا أثبت الشعر أن المرء لا يكبر عاطفة بقدر ما يكبر عقلاً، وأن الذات البشرية لتحتاج الشعر. فلو لم يكن موجوداً لسألنا عنه، ولبحثنا عن ضياعه ولو غادر - لأي سبب - لترك فراغاً لا يملؤه غيره. والذين غادروه عادوا إليه بوجه أو بآخر!

الشعر والحاسة السابعة: أعتقد أن ليس من أحد لا يملك (حاسة شعرية) مثلما يمتلك حواس أخرى، أو وسائل حسية أخرى، بصرية وسمعية وشمية وذوقية ولمسية، وحاسة غامضة أخرى يدعونها (الحاسة السادسة) غامضة مثل غموض حاستنا السابعة هذه والسبب بسيط لوجود (الحاسة الشعرية) هو أن الشعر شيء في النفس قبل أن يكون في خارجها. وكل ما في النفس فإن عدته معه، غير أن هذه

الوسيلة قد تضعف وقد تقوى تبعًا للإهمال والتدريب، كما تقوى غيرها وتضعف. ولا يحتاج المرء لكي يتذوق الشعر أن يعلمه أحد. فللشعر طريق سالكة في النفس مثل الحواس الأخرى، ولكن الفارق أن هذه الحواس مشخصة معينة وتلك معروفة بـ (آثارها) مدركة بـ (نتائجها). وأيُّ من الناس الأسوياء لا يتذوق شعرًا في تذوقه مع غيره من أبناء لغته - ابتداء - والنفوس تصادف استجابة عامة واحدة فتطرب لشعر وترفض شعرًا قبل أن تسأل أو (تدرك) القبول، أو الرفض. والإيقاع الداخلي أو الخارجي للشعر يحسه معظم الناس الذين يملكون قدرًا متواضعًا من (القراءة) و (السماع) فتقوى عندهم (السابعة) هذه مثلما يقوى غيرها من الحواس. وقديمًا قال الفيلسوف المتكلم إبراهيم النظام في الحكم على دوائر الخليل العروضية: (فتنته دوائره التي لا يحتاج إليها غيره!!).

رضاعة الشعر ورضاعة اللبن: أراجيز الترقيص وشعر التنويم في شعرنا العربي هو مثل لغيره في حضارات تقدّس الأسرة وتحرص على بقائها قوية متينة العرى تقوم بواجبها (تربية) و (تعليمًا).

كانت الأم بل وكان الأب - أحيانًا - يفرغان لابنهما أو ابنتهما في يقظته، ويفرغان له قبيل نومه فينشد أحدهما ابنه - في يقظته - رجزًا (منغمًا) يعشقه الأطفال، فيعم لهذا الانشاد الفرح، وسرور مقرون بمعارف (لغوية) و (أدبية) و (أخلاقية) وربما علمية. وللنوم كما لليقظة شعر يغفو على ترنيمه الرضع، وقد سَقَّتْهُم أمهاتهم إياه مع (لبن الصدور) وما أدراك ما لبن الصدور! حليب لبناء الجسم ومعه شعر لبناء النفوس!!

لقد ورثنا من هذا الشعر تراثًا زاخرًا بالمعاني الجليلة، حاملًا من الدلالات العميقة ما يبعث على الفخر ويدعو إلى الاحتذاء، وضعه المحدثون اليوم تحت عنوان عام أسموه (الشعر الشعبي) ضم الوائنا من شعر (الأفراح) و (الأحزان) وضروبًا من أغاني العمل. فأين هذا الشعر؟.. لقد غاب؟.. وغابت معه حافظاته الأمهات! وحفاظه الآباء حين غابوا عن البيت! فأكثرُوا وأطالوا!

غابت الأمهات فهجرن الإرضاع من صدورهن! وهجرن إرضاع الشعر من أفواههن!! فهل من أمل بعودة؟.. عودة يرتضع فيها الصغار حقهم (لبناً) و (ترنيماً).

فلا أقل من واحد إذا كان الآخر عسيرًا. ولا حياء في القليل فإن الحرمان أقل منه!!

شعر الرجل وشعر المرأة: إذا كان هناك فارق (نوعي) و (جوهري) بين جنس المرأة و جنس الرجل. فإنه ينبغي - ضرورة - أن يكون هناك فارق بين إبداعيهما. والإبداع متأثر بـ (جنس) المبدع، فثمة شعر نساء وشعر رجال، فالذي فرق بين شاعر وشاعر أو بين شعراء وشعراء آخرين هو فرق (عَرَض) وليكن فرق (جوهري) وفروق الأعراض هذه كانت في (العصر) و (البيئة) و (القبيلة) في معظمها. أما الفروق بين شعر الرجل وشعر المرأة فهي فروق (جوهري) - كما يبدو - وليس فروق (أعراض) متغيرة أو (لاحقة) لهذا فإن التمييز بينهما سيكون (منطقيًا) على (القياس) أو (المقارنة) والشعر أحقُّ أن تظهر عليه خصائص مبدعه وسماته (الجوهرية). إن في شعر المرأة خصوصية ليست في شعر الرجل لأن شعرها (موحد) بـ (الشعرية) و (الجنسية) وكلاهما ينتج فنًا مكثفًا في (توحده) بسبب التماثل أو التقارب بين (الشاعرية) وبين (جنس) المرأة. فالمرأة شاعرة مرتين مرة بجنسها وأخرى بالشعر.

الأدب ومشكلة المفهوم: عانى أدبنا، وما زال من تقويم يضيق به آتاه من بعض (نقاد) ومن عامة (قارئيه) مفاده أن الأدب لا يكون إلا في النثر (الفني)، فضلًا عن الشعر. وإذا لم يكن أحد قد أخرج الشعر من (الأدب) لأنه (شعر) حسب، سواء أكان فلسفيًا أم تعليميًا. إلا أن الكثير قد أخرج معظم النثر من (الأدب) بدعوى أنه ليس منه. فلم يُقبل كثير من النثر الفلسفي، والتاريخي، والاجتماعي مما أبدعه متكلمون ومفكرون، وفلاسفة، فحُرِّم الأدب - بسبب هذا الإخراج - من كثير من الأدب (المعمَّق) بالفكر.

أما في الشعر فقد فتحنا عيوننا على (واقع) أدبيٍّ صاغ (مسلمات) ترى الشعر

الذي يناجي ظاهر العاطفة، وسطحي المشاعر، ولا ترى غيره، وتبصر نثر (الرسائل) و (التوقيعات) الذي أثقل بالصناعة اللفظة، وسيطرت عقلية (العمود الشعري) في تاريخنا الأدبي فخنقت محاولات تعميق الشعر لموضوعات فكرية، وفلسفية كان الصوت الغالب للشكلية (البحترية) التي رفعت سيف التقليد بوجه بدايات النهوض الفكري للشعر على يد أبي تمام. فلم يظهر في تاريخنا الشعري إلا قلائل من أمثال أبي الطيب، والمعري. ولم يظهر إلا قلائل من أمثال الجاحظ والتوحيدي. وغاب عن معظم الأذهان أن الشعر الصقُّ بالفلسفة. فالشعر يتحدث عن ما يجب أن يكون.

الاضطهاد الاجتماعي والجزء الشعري: يخلص الاستقراء الشعري إلى نتائج جملة منها أن معظم الشعر - عندنا - يعاني من (شعور) تاريخي بالاضطهاد، فمعظم هذا الشعر متختم بالشكوى و (التأوه) وقل أن تجد شعراً فرحاً مسروراً، ولعل ذلك يعود إلى سببين اثنين مهمين أولهما: فرط رهافة الشاعر، وثانيهما: سوء حاله الاقتصادية والاجتماعية مما نجم عنه سوء في (التكيف) ظل يلازم الشاعر الذي يعلن - في مناسبة وفي غير مناسبة - ما لحق به من أضرار، وما واجهه من أذى، يعلن ذلك في غزله وهجائه ووصفه ومديحه، فلا يكاد يخلو غرض شعري من شكوى ظاهرة وباطنة، ولا يكاد الشاعر يفارق لغة (الإسقاط) و (التبرم) فحمل شعره كثيراً من السخرية الجزائية رداً منه على اضطهاده . بوعي منه أو بغير وعي. ومشكلة الشاعر - بوجه عام - أنه بهذا يقلب قانون التكيف فيريد من مجتمعه أن يتكيف معه وليس العكس. وإذا كان التكيف من مهمة الفرد - كما يقول علم النفس - فإن من حق الرأي (الفرد) أن يرقى إليه المجتمع. من هنا كان الصراع. ومن هنا كان ذلك الشعور، فلا المجتمع يستجيب لبعض مثالية الشاعر، ولا الشاعر يفارق بعض هذه المثالية فيكون على قدر من (الواقعية)!

الشعر والتوازن: في مجتمع الحضارة يقوم الشعر بتلطيف المناخ، بالعودة إلى التركة الشعرية المتصلة (جدلياً) و (فنياً) بما سبقها من تراث، فيستلهم أو يأخذ

الموروث اللغوي غير القابل للتجزؤ (بناء) و (محتوى). ويقوم الشعر في مجتمع
البداءة أو الزراعة بالعمل التلطيفي ذاته فينعش جفاف هذا المناخ بـ (الرطوبة)
العاطفية. فالشعر يحمل قوتين متناقضتين في الظاهر، لا تبدوا إحداهما إلا في
الوسط. فإذا ما طغت البداءة سلوكًا ظهر شعر فيه ملمح حضاري، وإذا ما طغى
التمدن ظهر شعر فيه ملمح بداءة كي يحفظ قدرًا من التوازن ويخفف - بقدر -
بعضًا من الميوعة أو الغلظة، فمن المعروف أن (من بدًا جفا) و (من تحضّر ضعف).
الفروسية الشعرية والتعويض: قلّ أن تجد فارسًا شاعرًا ولكنك واجد شاعرًا فارسًا
في شعره. والسبب الجوهرى بسيط - كما يبدو - هو أن الفروسية والشعر طبيعتان
مختلفتان، فإذا ما اجتمعا في نفر قليل كان اجتماعهما (ندرة) و (شدوذاً). فالكم
العاطفي الهائل لدى الشاعر ينأى به عن أن يكون فارسًا أو أن تكون لديه خصائص
الفارس، لهذا يعوض الأخير أميرًا أو قائدًا بسماع الشعر، ليُسدَّ هذا الفراغ العاطفي
الذي يعاني منه ويعوض الشاعر فيكون فارسًا في شعره، مستبدلاً بسلبية الفعل
إيجابية القول، ومزينا الفروسية في أعين أصحابها بعد أن يملأ بها نفسه ونفوس
الآخرين الذين لا يقربونها، تعويضًا عن فقدان ليشبع الحاجة (النفسية)
و(النظرية) لدى غيره بصناعة البطولة فيوفر - بذلك - (أمنًا) نفسيًا لا يقدر غير
الشعر أن يوفره. فصناعة الكلمة الحربية تقوم بتهيئة المناخ، وتحضير النفوس
وإدامة فعلها. لهذا يمكن أن تكون في اللغة صناعة (صيدلانية) تقدم (عقاقير)
الإثارة، وأدوية التنشيط مثلما تقدم صناعة الصيدلة من (مهدئات) و (منومات)
فـ(النظم) و (الأسلوب) بل الكلمة الواحدة تقوم - في أغلب الأحيان - مقام
الحبوب (المقوية) و (المهدئة). ولا تبعد الموسيقى عن اللغة كثيرًا فهي تجتمع في
الخاصية والتأثير، ولكن اللغة تزيدها تأثيرًا بفعل وجود (المعنى) و (ظلاله) فيها.

القبح الطبيعي والجمال الفني: في الفن - بعامة - وفي الشعر - بخاصة - يمكن
أن يكون الشيء قبيحًا في الطبيعة، جميلًا في الفن. فترى الشيء مهملاً في الطبيعة
مزهودًا فيه، ولكنه يصير مهملاً مفتونًا به حين تمسكه الأيدي الماهرة من صناع الكلم،
فتقلبه على غير ما هو عليه، وتغدو النكرات معارف، والمعارف نكرات. فكم من

مشهد مقرف أو ركن مهممل أو بيت خرب أو شجر يابس أو ثوب خلق أو جسد ناحل محدودب، أو وجه شاحب، أو هيئة زرية أو بائعة منكرة أو امرأة شوهاء أو صانع متسخ، أو سائل وضعيع، أو مومس تزكم رذيلتها الأنوف، أو قاتل ذبح الفضيلة، كم من هذا وذاك!!، وكم من غيره صار آية أدبية أو معلقة خالدة أو لوحه فاتنة، صفقت لها الأيدي، واهتزت لها الأفئدة ووزت الأكبَد شجى، فأحالت القبيح جميلاً والكريه محبباً، ليس ذلك غريباً فالجمال والقبح الطبيعيان هما غير الجمال والقبح الفنيين، ولا عجب أن يكون من البيان سحر... ولكنه السحر الحلال.

شعرهن وشعرهم: النساء أكثر من الرجال (واقعاً) و (تاريخاً) وهن (أكثر) عاطفة و (أشدها) قوة، وإذا كان فعل العاطفة في الشعر أقوى من فعل العقل فإنه ينبغي أن يكون شعر النساء أكثر من شعر الرجال و (أقوى). فهل هو كذلك (تاريخاً) و (حاضرًا)؟.. وأدع القوة فليست بشأني الآن. أدعها سؤالاً أو تساؤلاً. ولكن شعرهن ليس مساوياً لشعرهم، بل إن الفارق بين كثرة شعرهم، وقلة شعرهن ما يجعل المقارنة غير صحيحة! فأين السبب؟...

قد يقول مجيب: إن المرأة لم تأخذ نصيبها من (الحضور) و (المشاركة) و (التدوين) ولكن هذا لا يصح في حضارة الأمس أيضاً. فثمة قرائن وأسباب تدحض ذلك فمن النساء من زوي شعرهن من (الإماء) الشواعر ومن (الجواري) وغيرهن ممن لم يغفل التاريخ شعرهن. وهن (محصنات) و (محصنات) ويقولون: إن البيت - بتفاصيله - استحوذ على المرأة. ولكن (العمل) استنفر كل طاقات الرجل فلم يشغله عن قول الشعر، لأن الشعر شيء من الحياة وليس بخارج عنها. وإن من المدهش أن موضوعات شعرية (نسوية) نafs الرجل فيها المرأة ونجح في منافسته إن لم يكن قد تفوق فيها. فهل وكّلت المرأة هذه المهمة للرجل؟.. أو رأت إن (المنافس) جدير وقوي فغادرت معترفة متواضعة. ولها في ذلك فضل! وهل عوضها الرجل عن هذا!

عمّان: د. عدنان عبيد العلي

كلية الآداب - جامعة آل البيت

الحالات التي تقل فيها موارد بيت المال

(٢)

٤ - إجراءات المسؤولين في الدولة:

اتخذ بعض المسؤولين في الدولة الإسلامية بعض الإجراءات، إما بدوافع مالية أو لضرورات سياسية، وإن إجراءاتهم تلك أدت بشكل أو بآخر إلى نقص في موارد بيت المال.

فعلى سبيل المثال لا الحصر، إن بعض الفقهاء جوز للمسؤولين في الدولة أن يعدّوا كل جريبتين^(١) من الأراضي الخراجية، فيكون أحدهما للمزروع والآخر للمتروك على أساس أن الأرض يزرع نصفها ويترك النصف الثاني ليزرع في السنة القادمة^(٢). وفي هذه الحالة تقل موارد بيت المال إلى النصف.

وعلى الرغم من أن بعض الفقهاء لم يجوز نقل الأراضي الخراجية وتحويلها إلى أراضي عشر^(٣) إلا أن أبا حنيفة وشاطره الرأي فقهاء آخرون، جوز ذلك^(٤) كذلك أبو يوسف^(٥) وتشير النصوص إلى أن المسؤولين في الدولة العباسية أخذوا بالرأي الأخير. وكان من جراء ذلك أن انخفضت موارد بيت المال أربعين في المئة تقريباً.

وأباح النهج الاقتصادي الإسلامي للإمام أن يقسم أربعة أخماس الأراضي الزراعية على الجند، الذين يظهرون عليها عنوة وحرباً^(٦) وبذلك تصبح هذه الأراضي عشرية، وأن مستثمرها يؤدي عنها ضريبة العشر إذا كانت تُسقى سبياً أو بالمطر (١٠٪ من إنتاجها)، وقد يؤدي عنها نصف العشر (٥٪ من إنتاجها) إذا كانت تسقى بالآلات الرافعة. والإمام يكون مقتدياً بما فعله الرسول ﷺ في أرض خيبر، حين وزع قسماً منها على المسلمين الذين ظهروا عليها، وأخذ عشر إنتاجها^(٧) وطبق هذا الإجراء في الثغور، إذ قسمت الأراضي الزراعية هناك على من

أسهم في الظهور عليها. وبلا ريب، فإن حصول هذا الإجراء من شأنه أن يقلل من موارد بيت المال، ذلك أنه لو اتخذ الإمام الإجراء الذي يقضي أن تبقى الأراضي التي تخضع للدولة عنوة وحرَبًا بأيدي أهلها السابقين، يستثمرونها ويدفعون عن إنتاجها الخراج، سوف تكون موارد بيت المال منها أكثر من الحالة الأولى بحوالي أربعين في المئة من إنتاجها^(٨).

ثم إنَّ حثَّ المواطنين على إحياء الأراضي الموات واستثمارها، معناه زيادة موارد بيت المال، وإن عكس ذلك سيؤدي إلى تعطيل طاقة إنتاجية، وخسارة لمورد مهم من موارد بيت المال.

أجاز النهج الاقتصادي الإسلامي للإمام أن يُقطع القطائع من الأراضي الخراجية^(٩)، أو الأراضي العشرية^(١٠). وبلا بدل. ففي هذا الصدد أشارت النصوص إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم أقطع عددًا من الصحابة^(١١) وأصبح ذلك اتساقًا عامًا، حيث حذا الخلفاء الذين جاؤوا من بعده حذوه في هذا التوجه^(١٢) والقطائع التي تُقَطَّع من قبل الإمام إذا كانت من الأراضي الخراجية دفع عنها مستثمرها الخراج، وإذا كانت من الأراضي العشرية أدَّى عنها مستثمرها عشر إنتاجها^(١٣). وفي الوقت نفسه أجاز النهج الاقتصادي الإسلامي للإمام أن يقطع من أراضي العنوة ويجعل عليها الخراج، وله أن يصيرها عشرية فيجعل عليها عشرًا ونصفًا، أو عُشرَين، أو أكثر، أو خراجًا^(١٤). إلا أنه من المؤكد أنَّ جعلها في أية حالة غير حالة الخراج، سيؤدي إلى قلة موارد بيت المال.

ويجد ربنا أن نؤكد في هذا الصدد أن عمليات إحياء الأراضي الموات، وإقطاع القطائع، ليس الهدف منها تكريس للملكية، بل هو إيجاد وسيلة جديدة مضافة تسهم في رفد بيت المال بمراد جديدة، وزيادة الإنتاجية وبما أن الخراج واجب باجتهاد أئمة المسلمين، وأنه يجوز أن يكون خراج كل ناحية مخالفًا لخراج غيرها عن النواحي^(١٥)، فإن من شأن ذلك أن يؤدي إلى حصر بل

انخفاض في مقادير الخراج، ذلك أن المسؤولين في الدولة كانوا حريصين على أن تكون مقادير الخراج على وقف ما تتحمله الأرض^(١٦).

وإذا أخذ المسؤولون في الدولة العربية الإسلامية برأي الإمامين مالك وأبي حنيفة في مسألة تحصيل الخراج واستيفائه تقل موارد بيت المال، حيث قال الأول: لخراج على الأرض التي لم تزرع. سواء تركها صاحبها مختارًا أم معذورًا.

وقال الثاني: يؤخذ من صاحبها الخراج إذا عطلها مختارًا، ويسقط عنها إذا كان صاحبها معذورًا^(١٧)، ومرة أخرى تقل موارد بيت المال حين أجاز الفقهاء للمسلم شراء أراضي خراجيين من أراضي الصلح، مثل أرض (بني صولبا) وأرض (الحيرة)، لأن لهم عهد صلح^(١٨). فإذا اشتراها المسلم أصبحت أرضًا عشرية، وبذلك تقل موارد بيت المال من هذا النوع من الأراضي ثمانين في المئة^(١٩).

ويرى الإمامان مالك^(٢٠)، وأبو حنيفة^(٢١)، أن أجور من يتولى قسمة إنتاج الأراضي الخراجية تؤخذ من وسط الإنتاج. في حين يرى الإمام الشافعي أن تؤخذ من حصة الإمام التي استوفاهما من الخراج، والتي ستذهب إلى بيت المال، وتصبح من موارده. ففي هذه الحال تقل موارد بيت المال إذا طبق المسؤولون في الدولة العربية الإسلامية رأي الشافعي.

كما أن هجرة الفلاحين من قراهم وأريافهم إلى المدن والأمصار، قد سببت ترك مساحات واسعة من الأراضي من دون استثمار، الأمر الذي دفع عمال الخراج لأن يكتبوا إلى والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي قائلين: إن الخراج قد انكسر، وإن أهل الذمة قد أسلموا، وألحقوا بالأمصار. فكتب إليهم: (إن من كان له أصل في قرية فليخرج إليها^(٢٢)) كما أن ضياع سجلات الأراضي بسبب حرق الديوان أثناء فتنة عبدالرحمن بن الأشعث الكندي كان أيضًا سببًا من أسباب تحول بعض الأراضي الخراجية إلى أراضي عشرية^(٢٣) وأدى هذا الأمر إلى نقص في موارد بيت المال.

وأشار الصولي إلى ظاهرة مؤداها أن عمال الخراج قد يعمدون إلى أخذ موارد بيت المال واستيفائها قبل أوان دفعها، فأدّى ذلك إلى نقص موارد بيت المال، ف شعر به الحجاج بن يوسف الثقفي وتساءل عن سبب ذلك، ف قيل له: إن عماله أخذوا العاجل ولم يبصروا للعام القادم. فنقص الخراج لذلك) (٢٤).

واقترح قاضي القضاة أبو يوسف على الخليفة الرشيد أن يقاسم أصحاب الأراضي الخراجية التي تزرع بالحنطة والشعير على الخُمسَيْن إذا كانت تُسقى سيحًا أو بالمطر. أما التي تسقى بالدوالي فعلى خمس ونصف (أي ثلاثين في المئة من إنتاجها). أمّا النخل والكرم وبقية الأشجار المثمرة الخاضعة للخراج فعلى الثلث. أما غلال الصيف فعلى الربع (أي ٢٥٪) (٢٥) والذي يعنينا من هذا أن موارد بيت المال من الأراضي التي تزرع بالحنطة والشعير انخفضت عشرة في المئة (١٠٪)، حيث أصبحت أربعين في المئة بعد أن كانت خمسين في المئة. كما انخفضت موارد الأراضي التي تُسقى بالدوالي ثلاثًا في المئة (٣٪)، إذ أصبحت ضريبتها ثلاثين في المئة بعد أن كانت ثلاثًا وثلاثين.

وهناك عوامل أخرى ساعدت على حصول نقص في موارد بيت المال وتذبذبها فخلال الحقب التاريخية التي مرت بها الدولة العربية الإسلامية، تحول بعض الأراضي الخراجية إلى عشرية عن طريق الشراء (٢٦)، والهبات (٢٧)، فضلًا عن عملية إلجاء الأراضي التي هي الأخرى أسهمت في نقص موارد بيت المال (٢٨).

وفي ضوء الإجراءات التي اتخذها الخليفة المهدي، القاضي بجعل الخراج خراج مقاسمة بل خراج الوظيفة، وأخذ بنظر الاعتبار قرب الأراضي الخراجية المزروعة بالنخيل والأشجار المثمرة وبعده عن الأسواق والفرض، لأن ذلك يسهم في رفع سعر الكلفة (٢٩) فهذا الإجراء أدى إلى حصول انخفاض في موارد بيت المال. وأشار الماوردي (٣٠) إلى إجراء اتخذه المسؤولون فأدّى إلى انخفاض في

موارد بيت المال، فقال: إذا بلغ حاصل الغلة ما يفي بخراجين أخذ عنها خراج واحد، وإذا نقص عن مقدار خراج واحد أعفي المزارع عن أداء الخراج، وبذلك تكون موارد بيت المال قد انخفضت إلى النصف في أقل تقدير من هذا النوع من الأراضي. ويؤكد الماوردي أن هذا الإجراء طُبِّقَ في سواد العراق (٣١).

وقد عالج بعض ولاة الأقاليم، ومنهم الحجاج بن يوسف الثقفي، مسألة نقص موارد بيت المال إذ حاول استصلاح أراضي جديدة (٣٢) ومنع تحويل الأراضي الخراجية إلى عشيرية (٣٣) ومنع هجرة الفلاحين إلى المدن (٣٤). والاهتمام بنظام الري، فشقَّ أنهارًا وجداول وقنوات جديدة، وأقام السدود لدرء خطر الفيضانات (٣٥).

وتقل موارد بيت المال في حالة استيفاء موارد الخراج بطريقة القبالة والضمان. وهي الطريقة التي بموجبها يدفع الإمام أو من ينوب عنه، إقليمًا، أو بلدة، أو قرية، لمدة سنة بمال معلوم، إلى شخص معين، يؤديه إليه عن خراج أرضها، فيقبل ذلك ويكتب عليه بذلك كتابًا، ويتولى هو جباية الخراج، وليس موظفو الدولة المكلفين لهذا الغرض (٣٦) وهو ما يعرف أحيانًا بنظام الالتزام، فيستفيد المسؤولون في الدولة من تعجيل وسهولة حصول المال، ولو أن هذا المال أقل عادة مما كان يأتي سابقًا من المنطقة أو الإقليم.

ويستفيد المُتقبِّل من الفرق عن مقدار ماسبق أن دفعه وما يحصل عليه فعلاً (٣٧).

وقد أشارت النصوص إلى هذه الظاهرة لأول مرة عندما قدم رجل إلى عبدالله بن عباس عندما كان واليًا على البصرة إبان خلافة الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأراد أن يتقبل منه خراج الأبله (٣٨) بمئة ألف درهم فرفض طلبه وعاقبه، لأنه عد ذلك نوعًا من الربا، وأن فيه إجحافًا بحق بيت مال المسلمين (٣٩). لكن الطبري (٤٠) أشار إلى أن معاوية بن أبي سفيان خيَّرَ عامله على العراق عبيدالله بن زياد بين العزل أو الضمان لخراج العراق الذي بلغ مقداره ألف ألف درهم. ولكن

هذا الأسلوب في تحصل موارد بيت المال بدأت دائرته تتسع خلال العصر العباسي لاسيما في القرن الثالث الهجري^(٤١). على الرغم من أن المسؤولين في الدولة كانوا يشعرون أن استيفاء موارد بيت المال بهذه الطريقة من شأنه إلحاق ضرر نقصان بموارد بيت المال، وأنه هو السبب المباشر الذي أدى إلى حصول عجز في تسديد نفقات بيت المال.

ب- أثر الظروف الطبيعية: تقل موارد بيت المال أو ربما تنعدم، إذا أصابت الغلال الزراعية آفة زراعية. أو كارثة طبيعية. ذلك أن جمهور الفقهاء يرون أن الخراج يسقط عن صاحب الأرض الخراجية في مثل هذه الحالات^(٤٢) هذا فيما إذا كانت الأرض الخراجية، تعامل على وفق خراج الوظيفة. أما إذا كانت تعامل على وفق خراج المقاسمة فلا نحتاج إلى رأي الفقهاء لَلْبَتِّ في هذه المسألة، ذلك أن الخراج يؤخذ من الإنتاج المتحقق، فإذا قل، أو انعدم، قلت موارد بيت المال عنه، أو انعدمت ويوجد رأي آخر للفقهاء مؤداه أنه إذا عطل رجل أرضاً خراجية لستين ثم عمرها، أدى عنها خراجاً واحداً^(٤٣) وقد تتعرض المحاصيل الزراعية لظروف طبيعية قاسية، كالفيضانات والأفات الزراعية، أو انحباس الأمطار وما شاكل ذلك^(٤٤) ومن المؤكد أن مثل هذه الظروف تؤدي إلى نقص الإنتاج الزراعي الذي يسهم بدوره في نقص موارد بيت المال وتذبذبه.

وتأسيساً على ما أكدته النهج الاقتصادي العربي الإسلامي، على ضرورة تحصيل الخراج من الغلة الأوفر خراجاً في حالة وجود نوعي من الغلال في الأرض الخراجية^(٤٥). فإن موارد بيت المال تقل في هذه الحال. وإذا بار الشجر أو تلف. أو غرس مستثمر الأرض شجراً جديداً بدله، وانفق عليه من ماله وجهده، أصبح الجديد ملكه، وعليه أن يؤدي عشر إنتاجه فقط، إذا بلغ الإنتاج النصاب الذي سبق أن ذكرناه^(٤٦) وبذلك تصبح هذه الأراضي عشرية بعد أن كانت خراجية، وعندئذ تقل موارد بيت المال نتيجة لهذا التحول.

وقد أثرت الفتن والاضطرابات التي أحدثها أعداء الدولة وكمثال على ذلك،

حركة صاحب الزنج^(٤٧) وحركة القرامطة^(٤٨)، وحركة بابك الخرمي^(٤٩)، وحركة يعقوب بن ليث الصفار^(٥٠)، وغيرها على موارد بيت المال، ذلك أن المناطق التي شملتها هذه الحركات كان لها تأثير سلبي على الإنتاج الزراعي وتناقص أموال الجباية. كما أدى انفصال بعض الأقاليم عن جسم الدولة إلى انقطاع موارد تلك الأقاليم، وبذلك فقد بيت المال جزءاً من موارده^(٥١).

حالات أراضي الصوافي: أراضي الصوافي، نوع من الأراضي التي حررت، أو فتحت بمجهود قتالي، غير أن ملاكها السابقين فارقوها فأصبحت وقفاً للمسلمين، تستثمر وتدر موارد لبيت المال. قال أبو يوسف: إن موارد بيت المال من أراضي الصوافي في سواد العراق فقط بلغ سبعة ملايين درهم،^(٥٢) وتوجد إيماءات تُنبئ أن موارد الصوافي انخفضت، ذلك أن بعض الناس كانوا يعزفون عن استثمارها. ففي هذا الصدد ذكر يحيى بن آدم أن الخليفة عمر بن عبدالعزيز كان قد فوض عماله إعطاء أراضي الصوافي بالمزارعة على النصف، فإن لم تزرع فبالثلث. فإن لم تزرع فبالعشر فإن لم تزرع منحت لمن يعمرها، فإن لم يحصل على من يعمرها أنفق عليها من بيت المال^(٥٣)، والذي يعيننا من أمر هذه الحال أن أراضي الصوافي قد يصبح وارد بيت المال منها عشر إنتاجها، بدلاً من أن يكون نصف إنتاجها، وبلا ريب، فإن في ذلك حيفاً لموارد بيت المال.

وانخفضت موارد بيت المال من الإجراء الذي اتخذته الخليفة معاوية بن أبي سفيان حين اصطفى ما كان في بلاد الشام، والجزيرة واليمن للملوك من ضياع، وصيرها لنفسه خاصة، وكان أول من اصطفى الصوافي في الدولة العربية الإسلامية^(٥٤). فكان يحمل إليه، ولمن كان بعده من الخلفاء الأمويين خمسين ألف ألف درهم من إنتاج صوافي سواد الكوفة^(٥٥) وعشرة آلاف ألف درهم من إنتاج صوافي البصرة^(٥٦). وإذا كانت هذه الأموال تذهب إلى ملكية الخليفة معاوية بن أبي سفيان الخاصة، فيكون بيت المال قد فقدها بعد أن كانت تشكل أحد موارده فيما سبق.

ونخلص من هذا أن موارد بيت المال لم تكن مستقرة، دائماً وإنما كانت متذبذبة، متأثرة بجملة عوامل سياسية وطبيعية، فضلاً عن مدى تمكن الدولة عن السيطرة الفعلية على جميع أقاليمها، وقدرتها على إخماد أية حركة تمردية أو انفصالية يحاول أن يقوم بها ذوو الأطماع والأطماح. ونحن لا نعدم وجود مثل هذه الحركات في أقاليم الدولة الشرقية والغربية على السواء. ناهيك أثر إهمال منظومة مشاريع الري وإدامتها. لأن إهمالها يُسهم في انخفاض موارد بيت المال. ومن المؤكد أن انخفاض موارد بيت المال كان يؤدي إلى حصول زُدود فعل سلبية على بقية مرافق الدولة الحيوية، وربما يعيق إسهاماتها في تنشيط الدولة الاقتصادية فضلاً عن احتمال تعرض كيان الدولة وأمنها وتطورها إلى عدم الاستقرار وهجمات الأعداء.

الدكتور حمدان عبدالمجيد الكبيسي

كلية الآداب (جامعة بغداد)

الحواشي:

- (١) الجريب: مقياس المساحة في الدولة الإسلامية، ويساوي ١٠٠ قسبة مربعة، وبذلك يساوي ١٥٩٢ مترًا مربعًا. ينظر: أبو عبيد، «الأموال»، ص ٧٥، هنتس، «المكايل والأوزان الإسلامية»، ص ٩٦ (عمان ١٩٧٠م).
- (٢) الماوردي، «الأحكام السلطانية»، ص ١٧٦.
- (٣) الماوردي، «الأحكام السلطانية»، ص ٢٣٧، أبو يعلى، «الأحكام السلطانية»، ص ١٤٥.
- (٤) الماوردي، «الأحكام السلطانية»، ص ٣٧.
- (٥) أبو يوسف، «الخراج»، ص ٦٣ و ٦٥ و ٦٧، أبو عبيد، «الأموال»، ص ٤٨٢ و ٥١١.
- (٦) أبو يوسف، «الخراج»، ص ٢٦، ابن آدم، «الخراج»، ص ٣٨، ابن زنجويه، «الأموال» ج ١، ص ١٨٧.
- (٧) أبو عبيد، «الأموال»، ص ٥١١.
- (٨) ابن زنجويه، «الأموال»، ج ١، ص ١٨٧ وما بعدها.
- (٩) أبو يوسف، «الخراج»، ص ٦٠، ابن آدم، «الخراج»، ص ٧٧ - ٧٩، البلاذري، «فتوح»، ص ٤٥٣ (مطبعة الموسوعات) مصر ١٩٠١.

- (١٠) أبو يوسف، «الخراج»، ص ٦٠، ابن آدم، «الخراج»، ص ٧٧ - ٧٨.
- (١١) أبو يوسف، «الخراج»، ص ٦١، البلاذري، «فتوح البلدان»، ص ١٩ و ٢٧، أبو عبيد، «الأموال»، ٢٨٧ و ٢٨٩، ابن سعد، «الطبقات»، ج ٢، ص ٥٨ و ج ١، ص ٤٦ (مطبعة بريل) ليدن ١٣٣٢ هـ الطبري، «تاريخ الرسل»، ص ١٤٥، ابن زنجويه، «الأموال»، ج ٢، ص ٦٢٣، ابن عبدالحكم، «فتوح مصر»، ص ١٣٧ (القاهرة ١٩٢٠).
- (١٢) ابن آدم، «الخراج»، ص ٧٨، أبو عبيد، «الأموال»، ص ٢٩٠ - ٢٩١.
- (١٣) أبو يوسف، «الخراج»، ص ٥٨ و ٦٠. (١٤) أبو يوسف، «الخراج»، ص ٥٨.
- (١٥) ينظر: الماوردي، «الأحكام السلطانية»، ص ١٤٢ و ١٤٩.
- (١٦) ينظر: أبو يوسف، «الخراج»، ص ٣٧ و ٤٨. ابن آدم «الخراج»، ص ٧١ ابن رجب الحنبلي «الاستخراج» ص ٦٢.
- (١٧) الماوردي، «الأحكام السلطانية»، ص ١٥٠ وما بعدها.
- (١٨) ابن آدم، «الخراج»، ص ٥١ و ٥٣، أبو عبيد، «الأموال»، ص ٨٨.
- (١٩) $\frac{100 \times 40}{50} = 80\%$
- (٢٠) قدامة، «الخراج»، ص ٢٠٨.
- (٢١) الماوردي، «الأحكام السلطانية»، ص ١٥١ وما بعدها.
- (٢٢) ينظر: الطبري، «تاريخ الرسل والملوك»، ج ٥، ص ٨٥. ابن الأثير، «الكامل»، ج ٤، ص ٤٦٥.
- (٢٣) البلاذري، «فتوح البلدان»، ص ٣٧٥.
- (٢٤) الصولي، «أدب الكاتب»، ص ٢٢٠ - ٢٢١ (تصحيح وتعليق محمد بهجت الأثري - القاهرة ١٣٤١).
- (٢٥) أبو يوسف، «الخراج»، ص ٥٠.
- (٢٦) ابن عساکر، علي بن الحسين بن هبة الله (ت ٥٧١ هـ)، «تاريخ مدينة دمشق»، مطبعة المجمع العلمي لدمشق (دمشق، ١٩٥١)، ج ١، ص ١٨٣.
- (٢٧) ينظر البلاذري، «فتوح البلدان»، ص ٣٠٢ و ٣٧٣ و ٣٧٥ وما بعدها. أبو يوسف الخراج، ص ٦١.
- (٢٨) البلاذري، «فتوح البلدان»، ص ٣٠٢.
- (٢٩) ينظر: «الماوردي» «الأحكام السلطانية»، ص ١٤٩ و ١٧٦، قدامة، «الخراج»، ص ٢٢٣ و ٣٦٨.
- (٣٠) «الأحكام السلطانية»، ص ١٧٦. (٣١) ن. م.
- (٣٢) البلاذري، «فتوح البلدان»، ص ٣٠١ - ٣٠٢.
- (٣٣) نفس المصدر (٣٧٥).
- (٣٤) ابن خرداذبه، «المسالك والممالك»، ص ١٤ - ١٥.

- (٣٥) البلاذري، «فتوح البلدان»، ص ٢٨٣، ٢٩٨، سُهراب. «عجائب الأقاليم»، ص ١٢٥. طبعة دولف هوزن (فيينا ١٩٢٩).
- (٣٦) الرحبي، «الرتاج»، ج ٢، ص ٣ (ينظر: أبو يوسف، «الخراج»، ص ١٠) وشاعت طريقة الصمان في العصر العباسي.
- (٣٧) ينظر: أبو عبيد، «الأموال»، ص ٧٦، البلاذري، «فتوح البلدان»، ص ٤١٨ وما بعدها.
- (٣٨) الأبله: بلدة على ضفة شط العرب الغربية، قرب البصرة (ينظر: ياقوت، «معجم البلدان»، ج ١، ص ٩٧). طبعة دار صادر (بيروت ١٩٥٧ م).
- (٣٩) أبو عبيد، «الأموال»، ص ٧٦، الجهشياري، «الوزراء»، ص ٦٩.
- (٤٠) «تاريخ الرسل والملوك»، ج ٥، ص ٥٢٣.
- (٤١) ينظر: الصابي، «الوزراء»، ص ١٣ - ١٤، مسكويه، «تجارب الأمم»، ج ١، ص ١٩ - ٢٠ و ١٠٠ و ٢٣٤، قدامه، «الخراج»، ص ٦٢، ابن خرداذبه، «المسالك والممالك»، ص ٣٩.
- (٤٢) البلاذري، «فتوح البلدان»، ص ٤٥٢. (٤٣) البلاذري، «فتوح البلدان»، ص ٤٥٣.
- (٤٤) ينظر: ابن الجوزي، «المنتظم»، ج ٦، ص ٢ وما بعدها و ٢٧ و ٥٠ و ٥٧ و ١٣٠ و ١٥٦ و ١٦٢ و ١٧٢ ابن الأثير، «الكامل»، ج ٦، ص ٥٠ و ٦٠ و ١١١ و ١٣٨ و ١٦٥ و ١٧٧ وما بعدها.
- (٤٥) ينظر: أبو يوسف، «الخراج»، ص ٨٥.
- (٤٦) البلاذري، «فتوح البلدان»، ص ٤٥٢، وما بعدها. ابن رجب الحنبلي، «الاستخراج»، ص ٤٨.
- (٤٧) عن حركة صاحب الزنج ينظر: الطبري، «تاريخ الرسل»، ج ٩، ص ٤٣١ و ٤٧٠ - ٤٧٢ و ٤٧٧ - ٤٧٨ و ٤٨١ و ٤٨٨ و ٥٠٤ - ٥٠٦ و ٥٢٧ - ٥٢٩ و ٥٣٤ و ٥٤٢ - ٥٤٣ و ٥٥٤ - ٥٥٦.
- (٤٨) ينظر الطبري: «تاريخ الرسل»، هذا، ص ٢٣ - ٢٧، ١٣٤ - ١٣٦، ابن الأثير «الكامل». ج ٦، ص ٩٢ و ١٠٠ و ١٠٤ و ١٠٨ و ١١٢ و ١١٥ - ١١٦ و ١٨٠. ابن الجوزي، «المنتظم»، ج ٦، ص ٢٤، ٢٧، و ٣٠.
- (٤٩) الطبري، «تاريخ الرسل»، ج ٢٩، ص ١١ - ١٧ و ٢٣ - ٢٨، و ٣٠ و ٥٢ - ٥٥.
- (٥٠) ينظر: الطبري، «تاريخ الرسل»، ج ٩، ص ٣٨٢ - ٣٨٦ و ٤٧٦ و ٥٠٧ - ٥١٠.
- (٥١) الطبري، «تاريخ الرسل»، ج ٩، ص ٨٠ - ٨٩ و ١٧٥ و ١٨٧ - ١٨٨ و ٢٧١ و ٣٤٦ و ٣٨٢ - ٣٨٦. ابن الأثير، «الكامل»، ج ٦، ص ٢ و ٥ و ٧ و ٢١ و ٦٥.
- (٥٢) أبو يوسف، «الخراج»، ص ٥٧، ابن آدم، «الخراج»، ص ٦٤: أبو عبيد، «الأموال» ص ٢٩٦. قدامه، «الخراج»، ص ٢١٧، ابن زنجويه، «الأموال»، ج ٧٢ ص ٦٣١، يعقوبي، «تاريخ»، ج ٢، ص ٢٢٢.
- (٥٣) ابن آدم، «الخراج»، ص ٦٣. (٥٤) يعقوبي، «تاريخ يعقوبي»، ج ٢، ص ٢٢٢.
- (٥٥) ن. م. (٥٦) ن. م.، ص ٢٠٧.

نظرات نقدية في:

رحلة الخياري المسمّاة «تحفة الأدباء وسلوة الغرباء»

توطئة: للرحلات أهمية كبيرة تتجاوز ما يصفه كاتبها من الأماكن والمدن ومقدار مسافاتها، والأعلام الذين التقى بهم، فالرحلة سيرة ذاتية لصاحبها، يصف ما يعتمل في نفسه من رضى وحبور أو حوادث وآلام يُجسّدها نثرًا أو شعراً، فهي - أيضاً - تُعدُّ مصدرًا أدبيًا ثرا لمصنفها أو لأدب الأعلام الآخرين الذين مرّ بهم أو استشهد بأثارهم، علاوةً على ما فيها من فوائد تاريخية وفقهية واجتماعية.

وقد وصل إلينا عدد من الرحلات - بعضها قد طُبع، والآخر مخطوط ينتظر مَنْ يُحقّقه وينفض عنها غبار الزمن-، ولعل رحلة الخياري المسمّاة «تحفة الأدباء وسلوة الغرباء» من الرحلات المهمة الماتعة.

ومؤلف الرحلة العلامة إبراهيم بن عبدالرحمن الخياري المدني (ت ١٠٨٣هـ - ١٦٧٢م) شيخ جليل، ومن أسرة مدنية كريمة، قام بهذه الرحلة قبل وفاته بعامين، إذ خرّج من المدينة المنورة في ٢٢ من المحرم ١٠٨٠هـ، ثم ذهب إلى دمشق فالقسطنطينية - ومدنها - ثم عاد إلى دمشق فالقدس والقاهرة حتى عاد إلى المدينة في ٢٨ ذي القعدة ١٠٨١هـ، في رحلة استمرت عامًا إلا عشرين يومًا.

والملاحظ على أسلوب الخياري السجع الذي عمد إليه عمدًا، ولغته البسيطة، علاوة على أنه يستخدم (ما) بعد (كان) واللام مع (بعض) و (غير) في عباراته التي قد نراها متكلفة في بعض الأحيان. كما نرى تضمينه لكثير من الأشطار والأمثال سواء في القصائد التي يوردها أو ضمن سرده لأحداث الرحلة، مع استشاداته بالأبيات المفردة - لكنه في أغلب الأحوال لا يذكر قائلها، وفي بعض القصائد كثير من علم التاريخ الشعري.

ولعل أشهر مَنْ تأثر بهذه الرحلة هو الشيخ عبدالغني بن إسماعيل النابلسي (ت ١١٤٣هـ) في رحلته الشهيرة «الحقيقة والمجاز في رحلة الشام ومصر والحجاز»، بل إنه اجتمع بالشيخ الخياري بدمشق سنة ١٠٨٠هـ.

وقد وصلت إلينا من رحلة الخياري أربع نسخ، في عدد من المكتبات والمدن، هي:

- ١- دار الكتب المصرية ٥٤٥ جغرافية. ٢- المتحف العراقي ١٣٦٢.
- ٣- توبنكن (ألمانيا) ٦١٣٥. ٤- مانجستر ٣٢٠.
- ٥- اصطنبول.

وفي عام ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م^(١) نشر الشيخ حمد الجاسر مقالاً قيماً بعنوان (مع الشيخ إبراهيم الخياري المدني في رحلته)، فترجم له، مستعرضاً نصراً من رحلته بالاعتماد على النسخة الألمانية، ونشر ثلاث صفحات منها.

وبعد عامين - أي ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م - صَدَرَ الجزء الأول من هذه الرحلة بتحقيق الدكتور رجاء محمود السامرائي، ولم يصدر الثاني إلا بعد عشر سنوات، إذ صَدَرَ عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م وفي عام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م صدر الجزء الثالث والأخير وختمه محققه الفاضل بفهارس عامة للآيات والأحاديث والأمثال والأعلام واللغة والأبيات الشعرية مع المصادر والمراجع التي نهل منها ورجع إليها. ولم يُشْرَ إلى مقال الشيخ حمد الجاسر^(*).

ولأهمية هذه الرحلة المباركة، فقد اطلع عليها الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي ونشر عرضاً لها.

ثم قام المرحوم الأستاذ إبراهيم الوائلي بنشر ملاحظات نقدية مهمة في جريدة «العراق» بغداد ١٩٨٦م، تخصّ الجزء الثاني فقط.

ثم تجمعت لدينا ملاحظاتٌ أُخر ونقداتٌ جديدة، رأيتُ أن أنشرها هنا خدمة لهذه الرحلة وصاحبها ومحققها المفضل.

وقد أثبتت الملاحظات والنظرات على الوجه الآتي:

أولاً: مخطوطات الكتاب: رجع المحقق الكريم إلى النسخ التي أشرنا إليها قبل قليل، عدا نسخة اصطنبول، أما النسخة الألمانية فقد رمز لها بحرف (ت)،

وهي النسخة نفسها التي رجع إليها في مقاله الملمع إليه في مجلة «العرب»، ولقد لاحظنا الأمور الآتية:

١- في أقصى طرّة النسخة من جهة اليسار وَرَدَت عبارة: (الحمد لله، وغفر له، من عواري الزمان لدى فقير محمد بن عبدالرحمن بن تاج الدين البعلي الحنفي، لطف الله به.. والحمد لله أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً) وهي مثبتة عند الجاسر، لكنها مشطوبة في نسخة السامرائي!، ولعل يدًا خفية فعلت ذلك.

٢- في المطبوعة ١/١٣ - السطر ١٢ بعد كلمة (الأبصار) وردت عبارة: (وأرجو من الله حصول الاجتماع وتملي الأبصار) عند الجاسر، وساقطة عند السامرائي.

٣- ١/١٣ - السطر ١٣ (اخبر)، وفي الهامش عن نسخة (ت) - أي: الألمانية - (اخبرني)، وهو الصحيح.

٤- ١/٣٥٦ السطر ٦ (بساط الجو)، وفي نسخة (ت): (بساط الجو).

٥- ٢/١٢٢ - السطر ٣: (ثم منها لحمص)، والصحيح: (ثم منه لحماءة، وبثنا مطرقين لحمص).

- إن هذه الاختلافات مهمة جدًا، ولعلها نماذج قليلة، لم نجد الدكتور السامرائي يشير إليها.

ثانيًا: تخريج الآيات القرآنية: حفل الكتاب بكثير من الآيات القرآنية الكريمة، سواء وَرَدَت صريحة، أو بصورة اقتباس أو تضمين، وقد خَرَّجَ المحقق بعضها، وسها عن بعضها الآخر، على ما هو مُفَصَّل هنا:

١/٢٨ - السطر ١٦، ٣٥٥ - السطر ١ - ٢.

٢/٥٦ - السطر ١٨ - ١٩، ٢٣، ٩٨، ١١٢، ١١٩.

٣/٤٩، ٤٠ (آيتان)، ٥٩، ٩٢، ١١٩، ١٦٤، ١٦٥.

وفي ٣/٨٣ - السطر ٢ - ٣ وردت آيتان ذكر المحقق إنها آية واحدة!، وهذا

وهم، ثم وَرَدَتْ فيها كلمة (فيها)، وهي زائدة، كما زيد حرف الواو في أول الآية الواردة في ٣/ ١٦٥، مع وجود نقص في الحرف نفسه في كلمة (زررع) في ٣/ ٨٤. وكان الصواب - في كل ذلك - أن تُذكر الأبيات داخل أقواس مُزهرة مضبوطة بالشكل التام.

أما الأحاديث النبوية الشريفة فقد وَرَدَ حديثٌ في (٢/ ١٩٩).

ثالثاً: تخريج الأشعار: في الكتاب أبيات كثيرة جداً أوردها الخياريُّ لنفسه أو لغيره، من القدماء أو المعاصرين له، ولئن خَرَجَ المحققُ بعضها - وهو قليل - فإنه أهمل الكثير منها، على الرغم من شهرتها أو شهرة قائلها، ووصول دواوينهم منشورة محققة، علماً بأن بعض هذه الأبيات أوردها الخياريُّ ضمن كلامه الطبيعيِّ في النشر، أو ضمن قصائد أخرى.

وأدون هنا تخريجات الأشعار التي أهملها المحققُ.

١/ ٣٢، الشطر الثاني للمتنبى.

١٢/ ٤٨: وبلدة ليس فيها أنيس حتى اليعافير وحتى العيس

قال المحقق في الهامش: إنه ليُشراً

قلت: وهذا وهمٌ، فلا وجود له في ديوان بشر بن أبي خازم، تحقيق د. عزة حسن، المطبوع بدمشق، بل هو ثابت النسبة لجران العوذ في ديوانه المطبوع بالقاهرة، ثم ببغداد!

١/ ١٧١: مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تُقَلُّ لَأَقِيْتُ سَيِّدَهُمْ مثل النجوم التي يسري بها الساري

وسكت المحقق عن تخريجه، وهو لعبيد بن العرنُدس الكلابي من قطعة مشهورة له، في: «حماسة أبي تمام»، برواية الجواليقي: (٥١٩):

١/ ٣٠٤: إذا رَضِيْتُ عَلِيَّ بْنَ قَشِيرٍ لَعَمْرُ اللَّهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا

قلت: والبيت للقحيف العقيلي، في: شعر ٤٠٩ (جمع الشيخ حمد الجاسر، مجلة «العرب» ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م).

٥٠ / ٢ جاء فيها: (فلا يغيب عنك المثل المشهور: مصائب قوم عند قوائم فوائد).

قلت: هو شطُر بيتٍ للمتنبي لم يَنْتبه إليه المحقِّقُ الكريمُ، وكان حقُّه أن يُصَحِّحَ إلى (عند قوم)، ويطبِّع منفردًا، وصدَّره: بذاتِ قَضاةِ الأيامِ ما بين أهلها.

٥٢ / ٢ - السطر ١٣ - ١٤ بيت وَضَعَهُ المحقِّقُ بصورةٍ نثرٍ، ولم يُخَرِّجْهُ.

٥٤ / ٢ بيتان للمتنبي، لم يُخَرِّجْهُما المحقِّقُ على ديوانه.

٦٤ / ٢ بيتان لم يعزهما المصنِّف إلى القائل، وسكتَ المحقِّقُ عند ذلك.

وهما لابن النِّبِّه المِصرِيِّ.

١٩ / ٢ أ- ألا يا أسلمي دار الحبيب عن البلا ولا زال منهلاً بجرعائك القطرُ

ب- ويادارها بالخيف إن مزارها قريبٌ ولكن دونَ ذلك أهوالٌ

فعلَّقَ المحقِّقُ: (لم أتعرف على قائل هذا البيت والذي بعده).

قلت: البيت الأول لذي الرمة، وفيه (دار مية)، والثاني لأبي العلاء المعرِّي.

٥٤ / ٢: ثلاثة تشرق الدنيا بطلعتهم شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

قلت: البيت لمحمد بن وهيب في: «ديوان المعاني» ٢٨ / ١، وفي شعره الذي

نشره د. يونس السامرائي ضمن: «شعراء عباسيون»، بيروت، ج ١، ١٩٨٦ م.

١٤٥ / ٢، عجز البيت الثامن، فيه اقتباس من آية قرآنية.

وعجز البيت العاشر، كذلك، ولم ينبِّه المحقِّق إلى ذلك.

١٣٠ / ٢: وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض

قلت: هو بيتٌ شهيرٌ لحطَّان بن المعلَّى، في: «الزَّهْرَة» ١٨٨ / ٢، «عيون

الأخبار» ٩٥ / ٣.

١٣٠ / ٢ وَرَدَ بيتٌ للبهاء زهير، لم يُخَرِّجْهُ المحقِّق على «ديوانه» ١٢٤ (دار

المعارف، ١٩٧٧ م).

٥٥ / ٢ وَرَدَ بيتٌ للفتح الحلبي، لم يُشر المحقِّق إلى أنه وَرَدَ قبل ذلك في ١٨.

١٤٥ / ٢: وقد وافاه للتدليل شمس تشبيهه الشيء منجذب إليه

قلتُ: عجز البيت لأبي تمام بن رباح (؟) في «نزهة العمر» للسيوطي ١٢ .
٧٧/٢ البيت ١٤ هو لأبي تمام، ولم يُشر المحققُ إلى ذلك. (قاله المرحوم
الوائلي).

٦١/٢ و ١٤٩/٣ وَرَدَ بيتان، هما لأبي الحُسَيْنِ الجَزَارِ، في «فوات الوفيات»
٤١٨/٢ .

١٢١/٢: ورد فيها (ولقد قيل للضرورة يؤتى الكنيف).

قلتُ: هذه إشارة إلى بيت ابن بَسَّام:

ولولا الضرورة ما اجتتكم وعند الضرورة يؤتى الكنيف

٦١/٢ - البيتان الأولان، هما لمجبر الدين في «فوات الوفيات» ٤١٨/٢ .

٥٧/٣ ورد بيت نسبه المحقق إلى أبي عليّ البصير، وخرّجه على «نهاية
الأرب»، وحقّه أن يخرج على: شعره الذي نشره د. يونس السامرائي بمجلة «المورد»
مج ١، ١٩٧٢ م. ثم في كتابه: «شعراء عباسيون»، بيروت ١٩٨٧ م - ج ٢ .

٢٤/٣: وَرَدَ بيتٌ شهيرٌ للمتنبّي، لم يُشر إلى نسبه إليه.

٧١/٣ - ٧٢، وردت قصيدة صَحَّحَ المحققُ الكريمُ نسبتها إلى الجرجانيّ
صاحب «الوساطة».

قلتُ: وهي في «يتيمة الدهر» ٢٤/٤، «المنتظم» ٢٢١/٧، «معجم الأدباء»
١٧/١٤ .

٧٣/٣ ورد البيت الآتي:

نجوم سماء كلّما غاب كوكب بدا كوكب تأوي إليه كواكب

قلتُ: والبيت لأبي الطمّحان القينيّ في «الكامل» ١٢٩/٣ «حماسة البحري»
٢٧٢/٢، وفي شعره بتحقيق محمد نايف الدليمي في مجلة «المورد» مج ١٧ -
العدد ٣ - ١٩٨٨ م، ص ١٥٧، ورواية القافية: كواكبه.

٣ / ٧٨: الأبيات الثلاثة الأولى في «فوات الوفيات» ٢ / ١٨٠.

٣ / ٨٥: ورد بيتان لأبي الصلت أمية بن عبدالعزيز الداني، هما في «ديوانه»

٩٣ (تونس ١٩٧٩ م).

٣ / ١٠٥ - الأبيات الثلاثة هما لأبي الصلت أمية في «ديوانه» ٩٨.

٣ / ١٠٧ وردت جملة نثرية فيها: أنا الغريق فما خوفي من البلل

قلت: وهذا شطرُ بيتٍ للمتنبّي، وَجَبَ أَنْ يَفْرَدَ فِي سَطْرِ وَحْدِهِ.

٣ / ١٢٩ - الأبيات هي لأبي الصلت أمية الداني، في «ديوانه» ١٠٣، ورواية

الأول: (السّمّاك)، بدلاً من السماء. ورواية عجز الثاني: (شمس الخدود)، بدلاً

من: شمس الخدود.

والبيتان بعدهما في «ديوانه» ٨٥، مع ضرورة التنبيه إلى أنّ عجز الثاني هو

لأبي عُيَيْنة المهلبّي في: «رحلة التجاني» ٨٧ وينظر «شعر أبي عُيَيْنة» لصالح

الفرطوسي ص ٣٢٢ - ٣٢٤ «شعراء مقلون» ٣٦٦ (الخليل الفراهيدي).

٣ / ١٥٩ أورد المحقق في هامشه بيتاً وَنَسَبَهُ لِنَهَارِ بْنِ تَوْسَعَةَ، ولم يرجع في

تخريجه إلى: شعره الذي جَمَعَهُ وَحَقَّقَهُ الدكتور خليل العطية في مجلة «المورد» -

مج ٤ - العدد ٤ - ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

٣ / ١٦٠: وَرَدَ الْبَيْتُ الْآتِي:

إذا ما كنت للأحزان عوناً عليك مع الزمان فمن تلوم

قلت: أ- صوابُ عجز البيت أن تلحق به علامة الاستفهام.

ب- البيت لمحمد بن أمية (ت نحو ٢٢٧ هـ)، في «الدر الفريد» لابن أيدمر

٧٩ / ٢.

ج- يُنْسَبُ الْبَيْتُ لِمُحَمَّدِ الْيَزِيدِيِّ فِي «وفيات الأعيان» ٦ / ١٨٨، «شعر

اليزيديين» ١١٢ (بغداد ١٩٧٣ م).

٣/ ١٦٢: وَرَدَّ بَيْتَانِ سَكَتَ عَنْ نَسْبَتِهِمَا الْمُحَقَّقُ، هَمَا:

- ١- الخير يبقى وإن طال الزمانُ به والشَّرُّ أخْبَثُ مَا أَوْعَيْتَ مِنْ زَادِ
 - ٢- وَمَنْ يَلْقَى خَيْرًا يَحْمَدُ النَّاسَ أَمْرَهُ وَمَنْ يَغْوُ لَا يَغْدُمُ عَلَى الْغَيِّ لَائِمًا
- والأول لطرفة بن العبد في «ديوانه»، والثاني للمرقش الأصغر، في «شعره» ٥٣٧ (صنعة د. نوري القيسي، مجلة كلية الآداب - العدد ١٣ - ١٩٧٠ م).

٣/ ١٧٤، وَرَدَّ بَيْتَانِ عَلَى قَافِيَةِ الْبَاءِ، وَقَدْ خَرَّجَهُمَا الْمُحَقَّقُ عَنْ «نَفْحِ الطَّيِّبِ» لِلْمَقْرِيِّ عَلَى أَنَّهُمَا لِلْمَلِكِ النَّاصِرِ دَاوُدَ بْنِ عَيْسَى.

قلتُ: وقد طبع ديوانه ورسائله المسماة «الفوائد الجلية في الفرائد الناصرية» بتحقيق الدكتور ناظم رشيد ببغداد ١٩٩٢ م، وهو في الأصل رسالة (دكتوراه) من جامعة بغداد ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م.

والبيتان فيه ص ٢٩٢.

ورواية صدر الأول:

وَمَا بَدَتْ لِلْعَيْنِ أَعْلَامَ جَلَّتِ

ورواية عجز الثاني:

نَأْتُ، وَمَشِيبُ الْعَيْشِ عَادَ قَبَابَهُ (٤)

٣/ ١٨٧: وَقَدْ يَنْسَمَى بِالْهَوَىٰ غَيْرِ أَهْلِهِ

قلتُ: هو شطر بيت للمتنبى في «ديوانه» ٣/ ٣٢٧، وفيه: وقد يتزياً

وعجزه:

وَيَسْتَصْحَبُ الْإِنْسَانَ مَنْ لَا يُلَائِمُهُ

رابعاً: أوهامُ التَّحْقِيقِ وفواته: وندرج هنا نظراتٍ في بعض الأوهام التي رأيناها في تحقيق الدكتور السامرائي للكتاب، علاوةً على مافاتِه من أمورٍ مهمّةٍ تفيد التحقيق،

وبعضها عن كتب صدرت بعد طباعة الكتاب، وددنا ذكرها زيادةً في الفائدة.

١- وَرَدَ في نهاية الجزء الأول تأكيد المحقق من أنه سيزوّد الجزء الثاني من الكتاب بخريطة تبيّن المنازل التي مرّ بها الرحّالة إلى (تركية) في ذهابه وإيابه، لكنه لم يفعل.

٢- وَرَدَت في الكتاب أسماء كتبٍ ورسائلٍ لعدد من الأعلام، لذلك كنا نتمنى - وفق المنهج العلمي - أن يضعها المحقق داخل أقواس، ويشير إلى المصادر التي جاءت فيها، وأن يُعرّف ببعضها، إن كانت مخطوطة أو مطبوعة. يُنظر: ٤٣/٢، ٤٨ - ٤٩، ٦٥، ٣/٤٢ - ٤٣، ٤٨، ٤٩.

٣- وَرَدَت عبارة فيها خطأ لغويّ صحّحه المحقق في الهامش، ولم يُصحّحه في المتن، وتكرر الأمرُ في: ص ١١٠ و ١١٣.

٤- في ٣/١٩ أورد الخياريّ نصّاً لابن خلكان، فكان من الواجب أن يرجع المحقق إلى النصّ المحال إليه وهو «وفيات الأعيان». لكن المحقق لم يفعل ذلك، وتكرر الأمر ص ١٠٣، إذ لم يرجع المحقق إلى بعض كتب الجاحظ ليتبيّن الإشارة التي نقلها عنه.

٥- في ٣/٤٩ جاءت كلمة (الروشن)، فعلق عليها المحقق: (لم أتوصّل إلى معناها).

قلتُ: الروشن: الشرفة أو الكوة.. فارسيّ معرّب.

٦- وَرَدَت في ٣/١٥١ كلمة (جوامك)، ولم يعرّف بها المحقق.

قلتُ: معناها: الرواتب.

٧- ٧٢/٢ - السطر ٤ - النصوص، صوابها: الفصوص.

٨- ١١٢/٢ (الأقدام فيه متداينة)، الصّواب: متدانية. وفيه: عبادة، والصواب: عبارة.

- ٩- ١١٦/٢ (باق شهر)، وفيها: إلا ما يمكن، والصواب: إلا ما يحكى.
- ١٠- ١٨٥/٢ - يُضاف إلى هامش التعريف بالسرمتري: (ت ٧٧٦هـ)، إن له: «نهج الرشاد في نظم الاعتقاد»، وهي أرجوزة حققها الأستاذ هلال ناجي في مجلة «جامعة صدام للعلوم الإسلامية» العدد الأول، ١٩٩٣ م.
- ١١- ٢٠٤/٣ - المناويّ (ت ١٠٣١هـ). ولنا دراسة متكاملة عن حياته وآثاره.
- ١٢- ٣٩/٣ - السطر ٦ - (ورسالته)، الصواب: وسألته.
- ١٣- ١٢٣/٣ نقل المؤلف من كتاب «السكردان» لابن أبي حجلة (ت ٧٧٦هـ) (ولم يتم لهم ما قصدوه) - السطر ٩، والنص في «السكردان» ص ٣٣ - ٣٤ (وخانهم ما قصدوه)، ولم يُشر المحقّق إلى ذلك الاختلاف برغم رجوعه إليه!
- ١٤- ١٦٧/٣ ذكر المحقّق وهو يترجم للشيخ مجد الدين ابن ظهير الإربليّ، أنّ له ديوان شعر مخطوط.
- قلت: حقق ديوانه الدكتور ناظم رشيد، وصدر عن جامعة الموصل ١٤٠٩هـ - ١٩٩٨ م.
- ١٥- في ٩٧/٢ ورد اسم (كمال باشا)، فلم يترجم له المحقّق.
- قلت: توفي سنة ٩٤٠هـ، ترجمته في «الشقائق النعمانية» لطاش كبري زاده ٢٢٦، «شذرات الذهب» ٢٣٨/٨.
- ١٦- كثير من الأبيات الشعرية والأقوال لم تُضَبَط بالشكل.
- ١٧- في ٥٤/٣ (العلاء بن العطار)، ولكن المحقق الفاضل خلط في فهرس الأعلام ٢٢٤/٣ بينه وبين يحيى العطار ص ٣٨، وسَقَطَ (الجاحظ) من فهرس الأعلام!
- ١٨- من المفضل أن يُطبع (فهرس الأماكن والأعلام الجغرافية) على عمودين

في الصفحة، تجنبًا لتبذير الورق وتضخيم حجم الكتاب، وكذلك (الفهرس اللغوي).

١٩- في فهرس (الأبيات الشعرية) أورد المحقق الكريم البيت كاملاً مع موضعه الذي وَرَدَ فيه، وكان يُفَضَّلُ أن تُذكر القافية فقط ثم القائل ثم البحر الشعري ثم الجزء والصفحة.

٢٠- في فهرس (مصادر ومراجع التحقيق)، أوردَ المحقق بعض الكتب دون ذكر سنة الصدور ومكانها أو اسم محقق الكتاب، أو مؤلفه.

يُنظر: ص ٣٤٨ رقم ١٧ و ص ٤٥٩ رقم ٣ و ١٠ و ١٩ و ص ٣٥٠ رقم ١١، و ص ٣٥٢ رقم ٥، و ص ٣٥٣ رقم ٢ و ٤ و ١٠ و ١٢ و ١٣، و ص ٣٥٤ رقم ٢ و ١١ و ١٤ و ١٨ و ١٩، و ص ٣٥٦ رقم ١ و ١٣ و ٢٠، و ص ٣٥٧ رقم ٢ و ٩ و ١٠، بل إنه رجع إلى طبعات غير علمية لعددٍ من المصادر على الرغم من صدور نشراتٍ منها محققة تحقيقاً علمياً.

وَبَعْدُ: فَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ السُّطُورُ وَقَفَاتٍ وَنظراتٍ نقديةً تحقيقيةً لكتاب «تُحفة الأدباء وسلوة الغرباء» نحسبها ضروريةً له، والتي نأمل أن تكون مفيدةً ومتممةً لعملٍ مُحققهِ المرحوم السامرائي.

الحلة: عباس هاني الجراخ

الحواشي:

(١) مجلة «العرب» ج ٣ - السنة ٢، ص ١٩ - ٢٢٤. ورجع الشيخ الجاسر إلى الكتاب نفسه عند تأليفه قسم شمال المملكة من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية».

(٢): [«العرب»: كان محقق الرحلة الدكتور السامرائي بعث إلى صاحب «العرب» ملازم الجزء الأول منها مطبوعاً، وطلب منه إبداء رأيه حيالها فبعث نقداً مُطَوَّلاً لما حوته تلك الملازم (الكراريس) مع خلاصة جاء فيها إن طبع الرحلة بهذه الصورة يعد عبثاً يجب أن يُصان تراث الأمة عن مثله، ويحسن إعادة الطبع وفق التصحيحات، كما بعث له بصورة مخطوطة على درجة من الصحة... ولم يرد جواب، ولم يُسمع بخبر عن الرحلة بعد ذلك، إلا من أفواه بعض الإخوة بأن الرحلة طبعت كاملة في بغداد.

شعر الشنفرى الأزدي

لمؤرج السدوسي

قراءة نقدية: كتاب «شعر الشنفرى الأزدي»^(١) الصادر عن مطبوعات مجلة «العرب» بتحقيق الدكتور علي ناصر غالب؛ جاء ليسد فراغاً في مكتبة الشعر الجاهلي، بعد أن اعتمد الباحثون - سنوات طويلة - على تحقيق الأستاذ عبدالعزيز الميمني - رحمه الله - في «الطرائف الأدبية» الصادر سنة ١٩٣٦، وهي - على تقدمها واستقصاء محققها - لا تفي بالغرض المطلوب الذي يغني الباحث، كما أن لديوان الشنفرى طبعت أخرى تجارية لا تفي بالمطلوب؛ لذلك جاءت هذه الطبعة محققة تحقيقاً علمياً - في ضوء الإمكانيات المتاحة، ومراجعة من قبل عالم جليل في هذا الميدان هو الدكتور عبدالعزيز المانع، وذلك كله تحت عين وبصر شيخنا ووالدنا الأستاذ حمد الجاسر - حفظه الله -.

وقد كرم شيخنا أبو محمد بإهدائي نسخة من هذا العمل القيم؛ كونه يعلم اهتمامي بشعر الشنفرى، وتقديرًا منه لشخصي الضعيف؛ فكان لزاماً عليّ كتابة هذه الدراسة عن هذا الإصدار.

اسم الشنفرى ولقبه: عدّد المحقق الفاضل الروايات التي ذكرت اسم الشنفرى: عامر بن عمرو أو شمس بن مالك أو عمرو بن مالك^(٢)، والذي نرجح أنه عمرو بن مالك لوروده في أكثر من مصدر^(٣)، وربما كان اسمه عامر بن عمرو كما ورد في «العمدة»، لكن لا يوجد مصدر آخر يعضد ذلك، غير أن المحقق الكريم اعتمد - في ذكر أن اسمه عمرو بن مالك - على مصدرين حديثين هما: «معجم المؤلفين» و «الأعلام»، بينما ذكر ذلك في مصادر قديمة.

وينقل العبدري عن كتاب مفقود اسمه كتاب «العدّائين» بعضاً من أخبار الشنفرى، وأن اسمه: الشنفرى بن مالك بن الأدرم^(٤)، وهو المصدر الوحيد الذي ذكر جده، وشيئاً من أخبار والده.

عد المحققُ الشنفرى - اعتمادًا على «المزهر» من أغربة العرب، وهم الذين سرى إليهم السواد من أمهاتهم، وهو وَهْمٌ سببه أن السيوطي قد خلط بين الأغرابة وبين الصعاليك والرأبيل؛ لارتباط هذه الصفة ببعض الصعاليك (اللون الأسود)، وسوف نرى أن الشنفرى لم يكن أسود اللون بل كان أبيض اللون اعتمادًا على الأدلة التالية:

أولاً: تذكر بعض المصادر أن أمه سبية من (فهم)^(٥) وأنه عندما قتل أبوه ولم تجد من يأخذ بثأره انتقلت إلى (فهم) وكونها سبية لا يعني أنها كانت أمة حبشية؛ وإلا لما رحلت إلى قومها الأصليين، بل ذكر آخرون أنها حرة تزوجها أبوه في (فهم) وحملها إلى ديار قومه^(٦).

ثانياً: لم يُذكر الشنفرى ضمن أغربة العرب في مؤلفات المتقدمين من تلاميذ الأخباريين الأوائل كابن حبيب وابن قتيبة^(٧): لمعرفتهم الفرق بين الأغرابة وبين الصعاليك.

ثالثاً: كانت طبقات المجتمع الجاهلي هي: العرب الصرحاء أو أبناء القبيلة صليبية ثم الموالي، ثم العبيد، وهم إما أن يكونوا أسرى أو أحباشاً اشتروا واستعبدوا، والعبد الحبشي أسود اللون كما هو معلوم، وقد ذكروا أن للشنفرى أختاً - كما ظن هو - طلب أن تُصَبَّ عليه الماء، فلطمته منكرة أنها أخته، وهذا الخبر يَشي أن الشنفرى لم يثر ارتياحه سواد لونه - إن كان أسوده - ونساءل: ألم يكن سواده - إن وجد - مدعاة للتساؤل في نفسه؛ أحقاً هذه الفتاة أخته أو شقيقته في مجتمع كان يقيم للون وزناً؟! ولما كان الشنفرى أبيض البشرة لم يثر في نفسه أيُّ شك من جهة ذلك.

رابعاً: الشنفرى قطعت إحدى يديه قبل أن يقتل، فرثاها بأرجوزة مطلعها (لا تبعدي إما هلكت شامة)، أي يرثي شامة كانت في يده وكان بها معجباً، ونساءل: أسيكون الشنفرى معجباً بشامته إن كانت على لون جلده الأسود، وحينذاك

سيكون لونها ضائعاً في لون الجلد، لكنها ستكون أوقع في نفسه إن كانت الشامة على يد بيضاء كقول القائل (كنقطة عنبر في صحن مرمر).

خامساً: الشنفرى نفسه يقول:

أبي ابن خيار الحَجْر بيتًا ومنصبا وأمي ابنة الأحرار لو تعرفينها
ألا يجعلنا ذلك نتساءل: إن كان الشنفرى يكذب على الناس بإدعاء أن أمه
ابنة أحرار بينما هي (ابنة العبيد) لِمَ لَمْ يُكذِّبْ من معاصريه أو من مؤلفي سيرته،
خاصة أنه يعلم سوء منزلة الكاذب عند العرب؟!؟

سنة وفاته: ليس لدينا تحديد لوفاة الشنفرى في أي سنة كانت، فهو قد عاش
حتى وخطه المشيب، كما يقول تأبط شراً في رثائه.

وقد حدد الزركلي وفاته سنة (٥٢٥ م) أما سركيس فذكر إنها سنة (٥١٠ م)
وذلك تحديد بعيد عن وقت وفاته، إذا أردنا أن يكون قريباً من الحقيقة؛ لأننا نعلم
أن حياة الشنفرى ارتبطت بحياة تأبط شراً، وكانت لتأبط شراً أخت متزوجة في
مكة اسمها أمينة، أو أمية، أسلم ابنها عدي بن نوفل بن أسد بن عبد العزى في فتح
مكة وكان عاملاً على حضرموت لعمر أو عثمان، وإذا كان الشنفرى وتأبط شراً
ذَوَا سِنٍ واحدة وماتا في وقت متقارب - قتل الشنفرى قبل قتل تأبط شراً، ولم
يدرك تأبط شراً طول العمر مثل المعمرين أي أنه قتل في أوج قوته - وابن أخت
تأبط شراً من الجيل التالي للشنفرى وتأبط شراً، ألا يمكن القول أن الشنفرى قد
مات في أواخر القرن السادس الميلادي أو مطلع القرن السابع الميلادي قبيل
ظهور الإسلام (٦١٠ م)!

نسبة الشرح إلى مؤرج: في الحقيقة كنت أتمنى أن أوافق نفسي على نسبة هذا
الشرح الجليل لمؤرج السدوسي؛ لافتقارنا إلى معرفة مفصلة بمناهج الشراح
المتقدمين كأبي عمرو بن العلاء ومؤرج السدوسي ومن عاصرها وسبقهما؛ إلا
أنني أقف موقف شك من نسبة هذا الشرح إلى مؤرج، للأسباب التالية:

أولاً: لا أعلم كيف اختار المحقق أن ينسب هذا الشرح لمؤرج رغم وجود أشخاص آخرين من رواة هذا الكتاب (قال أبو المنهال: حدثني مؤرج قال: حدثني عبدالله بن أبي هشام بن أبي عمير النمري)^(٩).

وربما كان ذلك أنه وردت روايات أخرى عن أخبار الشنفرى لمؤرج فَرَجَّحَ المحقق - بسببها - أن يكون الكتاب له.

ثانياً: لم يرد على صفحة عنوان المخطوطة أن هذا الشرح من عمل مؤرج - رغم أن ذلك موجود في معظم شروح الشعر العربي القديم، حين يذكر اسم الشارح أو الرواة - ولم تظهر إلى الآن مخطوطة أخرى تؤكد أن هذا الشرح لمؤرج أو غيره؛ لأن المخطوطتين الأخرين - التركية والمصرية - غفلان من اسم الشارح أيضاً، وهذه النسخ الثلاث تختلف في الرواية والشرح وعدد القصائد والأبيات وترتيبهما.

ومعلوم لدينا أن بعض القدماء كانت لديهم شروح لشعر الشنفرى أو روايته، إلا أنه لم يقع لنا مخطوطة عليها اسم الشارح، رغم ورود شروح منسوبة لعلماء أجلاء، ولا أعتقد أن هاؤلاء سوف يخجلون من إيراد أسمائهم على شرحهم لشعر الشنفرى.

ثالثاً: لم يذكر الرواة أو من ترجموا لمؤرج أن له شرحاً لشعر الشنفرى - مثل ابن النديم في «الفهرست» وإن كنا نرجح أن يكون له كتاب مفقود عن الشنفرى، وعدم ذكره في المصادر لا يعني أنه لم يؤلف.

رابعاً: ورد في الشرح مَثَلٌ يقول: (قد أُسْري عليه بليلى)^(١٠)، وقد أورد مؤرج هذا المثل - في أمثاله بروايتين هما (أمر قُضِي بليلى) و (أمر صُرمِ بليلى)^(١١) ومعنى ذلك أن مؤرجاً كان يستقصي روايات هذا المثل عندما ذكره، فكيف يغفل مؤرج هذه الرواية في شرحه لشعر الشنفرى لا يوردها في كتاب «الأمثال» وهي تختلف عن روايتي كتاب «الأمثال» في بعض الألفاظ؟

خامساً: هناك رواية لمؤرج عن حياة الشنفرى لم تذكر في هذا الشرح، وذكرها ابن الأنباري في شرحه لـ «المفضليات»^(١٢) مما ينفي أن يكون هذا الشرح بتمامه لمؤرج، ولكن ربما كان هناك كتاب لمؤرج اعتمد عليه الشارح.

سادسًا: تمتاز الشروح في عصر مؤرج (١٩٥هـ) بالبساطة وقلة الشرح اللغوي والتاريخي^(١٣)، ومن أمثلة ذلك «ديوان الخرنق» برواية أبي عمرو بن العلاء (١٥٤هـ) وهذه الصفة موجودة في معظم قصائد الديوان عدا اللامية، لأن بها استقصاء في الشرح يماثل ما في الشروح الأخرى كشرح العكبري والزمخشري وهما متأخران، بينما الشرح المنسوب للمبرد (٢٨٥هـ) أو ثعلب (٢٩١هـ) يتميز بالبساطة، وهو أقل غنى من هذا الشرح المنسوب - مع بقية القصائد - لمؤرج.

سابعًا: يتسم هذا الشرح بتعدد الروايات أو قوله بعد البيت (يقول:...) (١٤) وهذه ليست من سمات الشروح المتقدمة، وهي أقرب إلى الشرح التعليمي، كما أن كثرة الروايات ترد في أمثلة منها بعد قول الشنفرى:

وإني كفاني فقد من ليس جازيًا بحسنى ولا في قسربه مُتَعَلِّلٌ
ويروى: بُنْعَمَى، المتعلل: الشيء اليسير الذي يتعلل به، أي يُكْتَفَى به، يقول:
كفاني فَقَدْ من لا يجازي بحسنى ولا في قربه ما يكتفى به، قال غيره: المتعلل
الذي يتعلل به من العيش، وقال غيره: متعلل، يريد به أنس^(١٥).

وذلك يعني أن هذه السمة ليست من سمات جيل مؤرج، بل إن كاتب هذه النسخة أو الذي اختارها كانت أمامه أكثر من رواية لشعر الشنفرى وهو يضيف إلى الرواية الأصلية التي أمامه ما يجده مناسبًا.

ثامنًا: مؤرج كما نعلم متوفى سنة (١٩٥هـ)، وترد في الكتاب روايات وشروح عن من هم أصغر منه سنًا كالأصمعي (٢١٦هـ) وأبي عبيدة (٢١٠هـ) (والعقر مقام الشاربة من الحوض في قول الأصمعي، وقالت الأعراب وأبو عبيدة: عقر الحوض مؤخره...) (١٦)

من مؤلف الشرح؟: نحن أمام شرح لا يبدو أن مؤلفه متقدمًا مثل مؤرج، بل هو يرجع إلى فترة متأخرة، ونحن أنكرنا أن يكون مؤرج صاحب هذا الشرح بناء على ما

ذكرناه من حجج ودلائل؛ مع أننا لا نغفل أن يكون لمؤرج شرحًا لديوان الشنفرى أو كتابًا عن أخبار الشنفرى كان مصدرًا من مصادر هذا الشرح.

قد نتساءل: لم لا يكون أبو المنهال صاحب هذا الشرح؟! قد يعقل ذلك، لكن هذا لا يمكن أن يكون رأيًا حازمًا؛ وبعض الأدلة تشير إلى اهتمام أبي المنهال بشعر الشنفرى، إذ تذكر مخطوطة دار الكتب رواية له في إحدى قصائد الشنفرى، كما أن ابن طيفور في «القصائد المفردات» روى لامية الشنفرى عن أبي المنهال، ونعجب حينما نرى أن رواية أكثر أبيات اللامية مطابقة لما في القصائد المفردات، كما أن الفقرات الأولى من الشرح مطابقة لما في شرح أبي المنهال للامية عند ابن طيفور؛ ففي شرح البيت الأول من اللامية:

أقيموا بني أمي صُدُور مطيكم فإنسي إلى قوم سواكم لأُميلُ
يقول أبو المنهال: أي جدُّوا في أمركم، وانتبهوا من رقدتكم) (١٧).

وفي شرح شعر الشنفرى: (قوله: أقيموا صدور مطيكم: أي جدُّوا في أمركم، وانتبهوا من رقدتكم، ويقال: مطية ومطايا ومطي، وقال غيره: أقام صدر المطية...) (١٨).

ومثل ذلك في أكثر أبيات اللامية في المصدرين.

وهذا يستبعد أن تكون هذه الرواية التي أمامنا لشعر الشنفرى وهذا الشرح أن يكونا لأبي المنهال كاملين.

نحن نذهب إلى أن شخصا ما صنع هذا الشرح معتمداً بالدرجة الأولى على رواية أبي المنهال وشرحه، مضيفاً إليها الشروح الأخرى والروايات التي بين يديه، ولا نستبعد أن تكون رواية أبي المنهال بدورها معتمدة على رواية مؤرج. إذن من هو صاحب هذا الشرح؟!

عنوان المخطوطة التي بين أيدينا يقول: (كتاب فيه شعر الشنفرى، كامل، كتبه العبد الفقير إلى رحمة ربه محاسن بن إسماعيل بن علي لنفسه، شاعر مجيد من

أهل حلب)، ونحن نعتقد أن هذا العنوان أو هذه النسخة منقول عن نسخة محاسن؛ إذ لا يمكن أن يصف نفسه بأنه شاعر مجيد، ومعنى ذلك أن محاسن هذا قد كتب هذه النسخة لنفسه وانتقاها من الروايات التي قبله معتمداً على رواية أبي المنهال روايةً أصلية، ومضيفاً إليها ما وجدته في الروايات الأخرى - خاصة لامية العرب - وقد نبه على ذلك حتى لا يعده من يأتي بعده شارحاً للديوان مثل الشراح المعروفين، وكتب ذلك على صفحة العنوان ليزيل اللبس الذي يمكن حدوثه بسبب ذلك؛ وإلا فإن الناسخ عادة يُذكر اسمه في ذيل المخطوطة وليس في أولها، وهذا يدلنا على أن هذه المخطوطة أو شعر الشنفرى كتاب منتقى قصد به التعليم أو الاستذكار..

المستدرك: يُحمد للمحقق استقصاؤه شعر الشنفرى، فزاد على ما في المخطوط أشعاراً أخرى، وهي نوعان:

أ- زيادات على القصائد الواردة في المخطوط. وهي أبيات وردت في مصادر أخرى - لم ترد في قصائد الديوان، لعل أهمها بيتان في لامية العرب أوردهما الخالديان، لم يردا في جميع نسخ اللامية وشروحها.

ب- زيادات ألحقها المحقق في ذيل الديوان، أبيات وقصائد، لعل أهمها تلك الأبيات التي وردت في كتابي «الأنساب» للعتوبي و «شرح مقصورة حازم» للشريف الغرناطي.

ج- أورد المحقق أبياتاً نسبت للشنفرى وللقَتال الكلابي، وما نسب للشنفرى منها بيتان فقط في «الأشباه والنظائر» بينما ساق المحقق المقطوعة منسوبة في خمسة أبيات للقَتال الكلابي، ونبه على أن للشنفرى بيتين منها قد نسب له، وكان عليه أن يورد البيتين المنسوبين للشنفرى فقط وينبه إلى وجود أبيات أخرى تنسب للقَتال الكلابي...

وهناك زيادات لشعر الشنفرى لم تقع للمحقق الكريم، وهي:

(١) قال:

١- تراها أمام الحي حين تشايحوا لدى منكيها كل أبيض مصلت

(«شعر الشنفرى»، مخطوطة دار الكتب المصرية)

تشايحوا: جدوا.

(٢) قال:

١- فإن تُقبلوا نُقبلُ بمن نيلٍ منكم وإن تدبروا فأمُّ من نيلٍ فيأت

(«شعر الشنفرى»، مخطوطة دار الكتب. «الأغاني» ١٨٩/٢١ وفيه: فُتت).

نيل. أسر. فيأت: سبيت.

(٣) قال:

١- إذا أوحش الليل الهدانَ وجدُّني هو الأُنسُ لي والمشرقيُّ المهندُ

(شروح «سقط الزند» ٥٤٦/٢). الهدان: العجان.

(٤) قال:

١- فقال غرابٌ لا اغترابٌ من النوى وبالبانِ بينُ من حبيبٍ تعاشره

(«الممتع» في التصريف ٥٠/١، وهو لكثير عزة في ديوانه ٤٦٤، «عيون الأخبار»

١٤٧/١، «الحيوان» ٤٤١/٣، «زهر الآداب» ١٦٩/٢).

(٥) قال:

١- تورقني وقد أمست بعيدًا وأصحابي بعينهم أو تبالة

(«مجاز القرآن» ٢١٦/١، وهو يشبه قول حاجز الأزدي في «نوادر أبي مسحل»

٢٢٤/١:

ألا طرقت خيالة أم كرز وأصحابي بعينهم من تبالة

(٦) قال:

- ١- لا تبعدي لما قطعت شامة
٢- فرب خرق قد قطعت هامة
٣- ورب حي قد نهبت سامه
٤- ورب واد جاوزت أعلامه
٥- ورب قرن فصلت عظامه
٦- ورب شهر عبرت أيامه
٧- ورب قفر قد علت آكامه
٨- ومضمر قد الكت لجامه
٩- وقطعت من جزيه حزامه
١٠- فسيق جري الوعل والنعامه
١١- ورب زق شربت أثامه
١٢- يارب غور جئت من تهامه
١٣- وشعب نجد لم أهب عرامه

(«تمثال الأمثال» ١/ ٣٣٩).

دبا الحصن: أحمد محمد عبيد الهنداسي

الحواشي:

- (١) «شعر الشنفرى الأزدي»، لأبي فيد مؤرج بن عمرو السدوسي (١٩٥هـ)، تحقيق وتذييل: د. علي ناصر غالب، راجعه: د. عبدالعزيز بن ناصر المانع، أشرف على طبعه: حمد الجاسر.
(٢) «شعر الشنفرى» لمؤرج ٥.
(٣) «نزهة الألباب في الألقاب» ١/ ٤٠٨، «تاج العروس» (شنفرى)، ونسبته إلى مالك في مصادر: «جمهرة اللغة» ١/ ٣٢٨، «الأغاني» ٢١/ ١٦٠، «نظام الغريب» ١٥٤، «نهاية الأرب في شرح لامية العرب» ٣٧.
(٤) «تمثال الأمثال» ١/ ٣٢٢ و ٣٣٩. (٥) المصدر ١/ ٣٢٢، «ديوان المفضليات» ١٩٥.
(٦) «رفع الحجب المستورة» ٣١٣ (مخطوطة دار الكتب).
(٧) «المحبر» ٣٠٦، «الشعر والشعراء» ١/ ٢٥١.
(٨) «جمهرة نسب قريش وأخبارها» ٤٢١، «الإصابة» ٢/ ٤٦٤.
(٩) «شعر الشنفرى» لمؤرج ٥٦. (١٠) نفسه ٦٦.
(١١) «أمثال مؤرج» ٤٤. (١٢) «ديوان المفضليات» ١٩٦.
(١٣) «شروح الشعر الجاهلي» ١/ ١٩٥ (لأحمد جمال العمري).
(١٤) «شعر الشنفرى» لمؤرج ٦٩، ٧٨.
(١٥) نفسه ٦٩، وينظر: ٥٥، ٥٨، ٥٩، ٦٢، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٥، ٧٧، ٨١، ٨٣، ٨٧، ٨٨، ٩٠.
(١٦) نفسه ٧٨. (١٧) «القوائد المفردات» ٦٩.
(١٨) «شعر الشنفرى» لمؤرج ٦٦.

أسرة العتيقي من الأسر العلمية في نجد

عرف في بلاد نجد في العصور الأخيرة أُسْرٌ عنيت بالعلم طلبًا وتدريسًا وقضاء فترة متعاقبة من الزمن في بلدة (أشيقر) كآل مُشَرَّف الوهية التميمية، وأسرة آل إسماعيل، وغيرهما، وفي (سدير) كأسرة آل أبي بطين العائدين العقيليين، وفي (المجمعة) كآل العتيقي، وأسر كثيرة أخرى لا يتسع المجال لذكرها، وهي جديرة بالدراسة وإفرادها بالتأليف ممن تناقلوا العلم، وتوارثوه كابراً عن كابر، ومن أشهرها في عهدنا أسرة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - المعروفة أولاً في (الدرعية)، ثم في مدينة (الرياض) باسم (آل الشيخ) وهي امتداد للأسرة المُشَرَّفِيَّة.

وقد دعت المناسبة للحديث عن أسرة العتيقي، حيث وقعت أسماء لبعضهم في كتاب «السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة» تحقيق الأستاذ الدكتور عبدالرحمن بن سليمان العثيمين بحاجة إلى تصحيح حيث حرف الاسم (حمد) في بعضها إلى (أحمد) ومن حسن الحظ أن من كتب هاؤلاء ما لا يزال موجوداً محفوظاً في (مكتبة الأوقاف العامة) في الكويت، قد سجلوا أسماءهم بأنفسهم على الوجه الصحيح، ولعل من إكمال الفائدة ذكر بعضها:

١- «تفسير سورة الشعراء» للخازن: وقف سيف العتيقي سنة ١١٧٥هـ.

٣- «ديوان يحيى الصرصري» من كتب محمد بن سيف بن حمد العتيقي سنة

١٢٠٤هـ.

٢- «التنقيح المُشبع في تحرير أحكام المقنع» للمرداوي، وقف إبراهيم بن

سيف العتيقي سنة ١٢١٦هـ.

٤- «شرح دليل الطالب»، وقف عبدالعزيز بن حمد بن سيف العتيقي ٢ رجب

١٢٣٩هـ.

٥- «الوسائل إلى معرفة الأوائل» للسيوطي، من كتب عبدالله بن صالح بن

سيف العتيقي سنة ١٢٢٣هـ.

٦- «هداية الراغب شرح عمدة الطالب» لعثمان بن أحمد النجدي وقف الشيخ سيف سنة ١٢٣٦هـ.

تلك بعض الكتب الموقفة بأسماء المذكورين كما سجلوها، ومنها يتضح اهتمامهم باقتناء الكتب وخاصة على مذهب الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله -. وممن كان مشهورًا من علماء هذه الأسرة المشايخ: سيف وابناه إبراهيم ومحمد، وسيف بن حمد بن سيف، وعبدالعزیز بن حمد وعبدالله بن صالح بن سيف، وصالح بن سيف، وحمد بن عبدالعزیز وغيرهم، ممن سآتي بعرض تراجم بعضهم. وتحسن الإشارة إلى أن آل العتيقي ينتمون بالنسب إلى قبيلة جهينة المشهورة، نزح جد الأسرة حمد العتيقي من الحجاز إلى نجد، وهو من أسرة العتيقي من بني حميد من بني سنان من جهينة، بسبب خلاف دبّ بين أبناء العمومة، فالتحق آل العتيقي بمصاهرة بالحوازم، من بني سالم في (وادي الصفراء) قرب المدينة المنورة، ثم نزح الشيخ سيف بن حمد العتيقي إلى نجد، وبعض أسرته إلى الكويت، ولدى الأسرة وثيقة من الشريف عبدالله بن جُبارة والشريف عبدالله بن عبدالمعین بتاريخ ٦ شعبان سنة ١٢٥٩هـ تؤكد أن آل العتيقي من جهينة - كما تقدم -.

والآن استعرض تراجم بعض مشاهير هذه الأسرة مبتدئًا بأقربهم زمنًا وأوسعهم شهرة بيننا:

١- الشيخ عبدالعزیز بن محمد العتيقي: هو عبدالعزیز بن محمد بن عبدالعزیز بن محمد بن سليمان العتيقي، ولد سنة ١٣٠٠هـ وتربّى في بيت علم ودين، حيث جده لأمه هو الشيخ إبراهيم بن محمد العتيقي، قاضي (المجمعة) و(سدیر)، تعلم مبادئ الدين على يد جده إبراهيم، والمطاوعة أمثال عبدالله بن سيف وعبدالله الفاخري، وأحمد بن عُبيد، ونشأ في بلدة (المجمعة) عاصمة (سدیر)، وكان تَوَاقًا إلى طلب العلم والاستزادة منه، وصدف أن تعرف في (البصرة) إلى السيد محمد رشيد رضا، من أقطاب الحركة الإصلاحية، صاحب «المنار» واتفق معه على الدراسة على يديه في مصر، في مدرسة (دار الدعوة والإرشاد)، وبالفعل درس في هذه المدرسة في (مصر) سنتين من ١٣٣٠ حتى ١٣٣٢هـ، وتلمذ على يد السيد

رشيد رضا وغيره مثل أحمد أفندي الديك، والسيد طه، والدكتور محمد صدقي .
وأثناء الحرب العالمية الأولى توقفت الدراسة، وكان السيد رشيد رضا، أراد أن
يرسل رسائل إلى الزعماء العرب، فكلف الشيخ عبدالعزيز العتيقي بتوصيل رسالة
إلى السلطان عبدالعزيز آل سعود، حاكم نجد، وكلف السيد محب الدين
الخطيب برسالة مماثلة إلى السيد طالب النقيب حاكم البصرة، وانتقل الاثنان إلى
(البصرة) بعد رحلة شاقّة، وُضِعَا خلالها تحت الإقامة الجبرية فترة من الزمن،
وكانا يتراسلان مع السيد رشيد رضا بـ (الشفرة)، لإخطاره بتطورات الأحداث أثناء
احتلال البصرة من قبل الإنجليز.

ثم انتقل الشيخ عبدالعزيز بعد ذلك للعمل بين (الأحساء) و (الكويت) حيث
انتقلت عائلته، وفي تلك الفترة قام بزيارة (البحرين) في شعبان ١٣٣٤ هـ ونزل
ضيفاً على السيد علي إبراهيم الزيّاني، من أثرياء البحرين وكان يريد أن ينشئ
مدرسة هي أول مدرسة في البحرين، وكلف الشيخ العتيقي بكتابة النظام الأساسي
للمدرسة، والإشراف عليها، فقام بذلك، وأشرف على بنائها، ثم انتقل إلى
(الكويت) و (المجمعة) لزيارة والدته، وتولى الشيخ حافظ وهبة إدارة المدرسة
في (المُحَرَّق) وبعدها فتحت مدرسة ثانية في (المنامة) وكان أن مُنِعَ السيد حافظ
وهبة من دخول (البحرين) سنة ١٣٣٩ لأسباب سياسية بعد قضاء إجازته في
(الكويت)، فتولى الشيخ العتيقي الإشراف على (معارف البحرين) مدة أربع
سنوات من ١٣٣٩ حتى ١٣٤٢ هـ، وحيث أن مدرسة البحرين هي أول مدرسة
تنشأ في البحرين على النظام العصري، فإن الشيخ عبدالعزيز يُعَدُّ بحق أحد رواد
التعليم الحديث في منطقة الخليج.

ثم بعد ذلك ترك (البحرين) لأسباب صحية، وتقل في بلدان الشرق الأقصى،
حيث تفرغ للدعوة السلفية والتعليم، ينتقل بين الهند والملايو واندونيسيا، واستقر
فترة من الزمن في جزيرة فلفلان (بنانغ)، حيث أشرف على إدارة مدرسة أهلية
عربية بناء على طلب الشيخ محمد الحساوي صاحب المدرسة، واتصل مع
الشيخ أحمد السُّوزكُتي من زعماء الجالية العربية في أندونيسيا، فكان يسهل له

التنقل بين الجزر لنشر الدعوة والتصدي لإفتراءات المفتريين على الحركة السلفية، كما قام بالدعوة في الهند من أجل التقريب بين المسلمين، وتوضيح مبادئ الدعوة السلفية، وأنفق خلال هذه الرحلات كل ما يملك من أموال، واتصل بكثير من زعمائها أمثال الزعيم غاندي وأبي الكلام آزاد، وشوكت علي والشيخ سليمان الندوي وحبيب الرحمن الشيراوي وغيرهم، وساعده في ذلك زملاءه من تلاميذ السيد رشيد رضا، الذين انتشروا في الأقطار، وبالتالي فإن أفكار الشيخ العتيقي تُعدُّ مزيجًا من العقيدة السلفية صيغت بأسلوب إصلاحي.

ثم انتقل إلى الحجاز عند فتحها من قبل الملك عبدالعزيز آل سعود، وشارك في لجنة تسليم جدة له من قبل الشريف علي بن الحسين، وتنفيذ اتفاقية التسليم سنة ١٣٤٤، ثم عمل مساعدًا للأمير فيصل بن عبدالعزيز، نائب الملك بمكة المكرمة والحجاز ذلك الوقت، ونائبًا له، كما كان عضوًا في (مجلس الشورى) للهيئة التأسيسية لتنظيم أسس حكم الحجاز التي أسسها الملك عبدالعزيز في ذلك الوقت. وللشيخ عبدالعزيز مقالات نشرت في جريدة «أم القرى» في الفترة ما بين ربيع الآخر سنة ١٣٤٤ حتى رمضان ١٣٤٤^(١).

ثم حدث في أول سنة ١٣٤٦ هـ أن وُجِّهت تهمة إلى عدد من الوجهاء في مكة وجدة منهم الشيخ محمد سرور الصبان والشيخ محمد الطويل والشيخ عبدالعزيز العتيقي، والدولة في أول تأسيسها بحاجة إلى اتخاذ الحذر والحيطه، خشية تسلل عدو خارجي يضاف إلى هذا أن في هذه السنة^(٢) حدث الخلاف بين الملك عبدالعزيز - رحمه الله - وبين الإخوان وكانوا أقاموا مؤتمرًا في (الارطاوية) حضره رؤساء القبائل، وكان الملك إذ ذاك في مكة بعد فراغه من الحج، وقرروا في مؤتمرهم هذا من الأمور ما يثير القلق وعدم الاستقرار، فعلم به الملك عبدالعزيز، من هنا وقعت التهمة على أولئك، مما استدعى اعتقالهم في سادس شهر صفر سنة ١٣٤٦ وأُتي بهم إلى الرياض، فأمضوا رهن الاعتقال فيها إلى شهر رجب ١٣٥٠، حيث أفرج عن الشيخين محمد سرور ومحمد الطويل، أما الشيخ العتيقي فقد أرسل إلى الأحساء، فمكث أربع سنوات، حتى توسطت الأميرة

الجليلة نورة بنت عبدالرحمن، أخت الملك عبدالعزيز - رحمهم الله - في العفو عنه، فتم ذلك، وسُمِح له في الإقامة الجبرية أربع سنوات في بلدة (المجموعة) أنشأ خلالها مدرسة تولى التدريس فيها تَطَوُّعًا، ثم أُذِن له بالسفر إلى (الكويت) حيث تقيم أسرته فعاد إليها سنة ١٣٥٨ (١٩٣٧م) وعمل في (المدرسة المباركية) ثم (المدرسة القِبْلِيَّة) حتى سنة ١٣٦٩ (١٩٤٩م) ثم قررت الحكومة فتح مدرسة (الفُحَيْحِيل) هي أول مدرسة خارج مدينة الكويت العاصمة، وكان اسمها في (الفُحَيْحِيل الابتدائية للبنين) وسميت فيما بعد (مدرسة عثمان بن عفان) فانتقل إليها ناظرًا وبقي فيها حتى سنة ١٣٧٦ (١٩٥٦م) حيث أُحيل إلى التقاعد لكبر سنِّه، وقد كان يشاركه التدريس في ذلك الوقت الشيخ أحمد المبارك مطوع الفحيجيل وابنه الأستاذ محمد العتيقي الذي تسلم إدارة المدرسة بعد ذلك حتى سنة ١٣٨٥ (١٩٦٥م) وقد قدرت الحكومة الكويتية الشيخ عبدالعزيز فسمت هذه المدرسة باسمه في منطقة (الصليبخات).

وفاته: انتقل إلى رحمة الله بعد عمر مديد أمضاه في الدعوة إلى الله والتعليم في اليوم السادس من ذي الحجة سنة ١٣٨٥ (١٩٦٦/٣/٢٨) وله من الأبناء محمد وموضي ونورة وأميه، ولابنه محمد ابن سيأتي ذكره.

من أقواله: يوم ٢٣ جمادى الآخرة ١٣٤٤ يوم المبايعة للملك عبدالعزيز حاكمًا للحجاز بمكة المكرمة ألقى كلمة مختصرة عند البيت الحرام قال فيها: (الناس على دين ملوكهم، أما وقد أعطانا الله هذا الملك الصالح فعلينا أن نكون معه دعاة إلى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - والمحافظه على شعائر الإسلام حتى نسترد ما كان لنا من مجد عظيم، وذكر حسن).

حمد الجاسر

الحواشي:

(١) فاتحة العدد الـ (٤٤) في ١٢/٤/١٣٤٤ بعنوان (حكومة جدة ودعاياتها وجنايتها على نفسها) وفي عدد يوم ٤/٥/١٣٤٤ بعنوان (الدجالون وكيف أبطل الله كيدهم) فاتحة العدد الـ (٦٤) في ٥/٩/١٣٤٤ بعنوان: (الفقه والفقهاء، منشأ الفقه وظهور المذاهب).

(٢) انظر «النجم اللامع للنادر جامع» للشيخ محمد بن علي آل عبيد حوادث سنة ١٣٤٦.

العيادة: نسبهم وفروعهم وديارهم

(٢)

ومن أخبار العايد تحت مسمى العيادة - وقد مرّ بعضها - في بلادهم القديمة ما يلي: جرى العرف عند البدو أن العيادة كانوا ملاك بلاد التيه وجنوبي فلسطين ومنطقة العقبة ومن ذلك ما حدثني به الحاج سالم بن غانم الأحويي السعودي قال: كان وادي اليتم مع العيادة وكان لهم ماء في وادي أم حلّوف ومن آثارهم قبور لهم في تلاع العيال قلت: وادي اليتم وإِ عظيم من أودية حسمى ينبع من جبال الشراة ويسيل على رأس خليج العقبة حيث يلتقي سيله مع سيل وادي عربة وكان يعرف قديمًا بالأتم وهو من ديار جذام القديمة وأم حلّوف وإِ صغير يسيل إلى وادي الجرافي على الحدود بين فلسطين وسيناء في شمال غرب العقبة قرب جبل سماوة على نحو ٨٠ كيلًا من العقبة أو يزيد وتلاع العيال وإِ صغير يسيل إلى وادي العقفي على نحو ٤٠ كيلًا من العقبة في شمالها الغربي داخل فلسطين ومما يُروى عن العيادة أن شيخًا عياديًا كبيرًا دَلَّ نفرًا من الغراقين الأحيوات على ماء المالح في جنوب غرب العقبة على نحو ٣٥ كيلًا داخل سيناء وكان ذلك قبل نحو قرنين بعدما علم أنهم من سكان تلك المنطقة ومن آثارهم ببلاد التيه مقبرة قديمة لهم في جنوبي بلاد التيه إلى الغرب مع ميل إلى الجنوب من ماء المالح قال نعم شقير في ذكر وادي أبو متيقنة أحد أودية جنوبي بلاد التيه قال: (وعلى نحو خمس دقائق من مصبّ هذا الوادي منحدرًا بوادي العريش بارود العيادة وهي مدافن قديمة للعيادة عن يمين الوادي قد نُصب عليها أخشاب كأخشاب البنادق ومن ذلك اسمها)^(١) قلت: ومن آثارهم في نواحي أبو متيقنة السّقي ويعرف اليوم بسّقي البدارة يصنعون منه الرّحى أودعه العيادة مع البدارة حينما ارتحلوا إلى شمال غرب سيناء والبدارة بنو أخت العيادة فأهمهم عيادية وهم فرع من الحمدات من الأحيوات من المساعيد وفي ذكرهم في بلاد الطور قال نعم شقير: (وأما العيادة فإنهم استوطنوا بلاد الطور مدّة ثم رحلوا عنها بسبب القحط

في الأرجح إلى مصر فسكنوا مديرية الشرقية و غربي بلاد العريش ومن الأقوال الماثورة عنهم أنهم قالوا عند ارتحالهم من بلاد الطور: تركنا الشَّرَّ في خُشيم الطُّرِّ. وبقي لهم كرم نخيل في وادي فيران إلى عهد قريب فرهنه سليمان ابن غانم العيَّادي عند رجل من العوارمة ثمَّ باعه له سنة ١٩٠٥^(٢) قلت: يعنون بخشيم الطُّرِّ خشيم - تصغير خشم - الطور ومن أحداثهم في شمال شرق سيناء كونة العيَّادي أورد ذكرها عارف العارف فقال: (كونة العيَّادي: هي أول حرب أهلية اتصل بنا خبرها وقد قامت بين العربان الذين نزلوا هذه البلاد وبين العيايدة من عربان سيناء إذ كان هاؤلاء أصحاب الأراضي الواقعة بين العريش والسويس من شبه جزيرة سيناء فهاجمهم الترابين والتياها والجبارات معًا وكان النصر بادي ذي بدء حليف العيَّادي إلا أن أعداءه أجمعوا أمرهم وقوَّوا صفوفهم وأغاروا عليه فكسروه وقومه شرَّ كسرة حتى إنهم يقولون إنه لم تقم للعيَّادي قائمة منذ ذلك الحين ثم اصطلح الفريقان واتخذوا جبل المغارة في سيناء حدًا فاصلاً بينهما على أن ينزل العيايدة في غربه والتياها والترابين وباقي حلفائهم في شرقه)^(٣) وقد ظلت للعيَّادة بعد انحسار ديارهم بقايا في جنوبي فلسطين وغيرها ستأتي الإشارة إليهم وهنا نلاحظ أن مسمى العيايدة ظهر في كافة أنحاء ديار العايد حيثما كانوا في منطقة العقبة وجنوبي فلسطين وبلاد العريش والتيه والطور في سيناء والشرقية وحوالي القاهرة مما يهدم أباطيل القائلين بأن العايد غير العيايدة وسيأتي تفنيد ذلك خلال هذا البحث.

العيايدة عند بعض الكتاب: الذين ذكروا قبيلة العايد كثيرون قديمًا وحديثًا ففي عهد ابن فضل الله العمري (٧٠٠ - ٧٤٩هـ) كان شيخهم يدعى نجم بن هجل قال: (نجم بن هجل شيخ عائذ الشرقية)^(٤) وقال في «مسالك الأبصار»: (عليهم درك الحاج إلى العقبة)^(٥) ونقل القلقشندي عن ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) أن مساكن العايد تمتد من بلبس إلى العقبة وإلى الكرك^(٦) وقال: (ومن جذام أيضًا بالشرقية العائد وهم بطن من جذام عليهم درك الحاج إلى العقبة)^(٧) وقال في ذكر

عربان درب الحاج المصري: (أما العربان بالدرب المصري إلى مكة فمن بركة الحجاج إلى عقبة ايلة للعائد من عرب الشرقية)^(٨) وقال ابن خلدون: (العائد وعليهم درك السابلة بتلك الناحية ولهم على ذلك الأقطاع والعوائد من السلطان)^(٩) وقد تحدث الجزيري كثيرًا عن العايد وأورد شيئًا من أخبارهم وقد مرّ ما أشار إليه وفي ذكرهم قال: (أما عربان العائد فهم عربان الريف وهم بدنان متعددة) وقال: (منزلهم بأقليم الخانقاه السرياقوسية والريف وظواهر القاهرة)^(١٠) وقال في ذكر دركهم: (وأما الدرك الكلي المشور فهو على أمير عربان العايد بالشرقية وعلى جماعته وابتداؤه من أول صحراء القاهرة وخان داود باشا إلى الحمام وهو بجانب البحر الملح محلّ زينة أمير الحاج بعد نزوله من عقبة ايلة)^(١١) إلا أن أمير العايد يعود من نخل الواقعة على نحو ١٥٠ كيلًا من العقبة باتجاه مصر قال في ذكر نخل: (ومن هذا الحدّ يرجع أمير العائد بخيله إلى القاهرة زاعمًا أن هذا آخر دركه)^(١٢) وذكر أن المنطقة من نخل إلى العقبة من درك بني عطية قال: (الدرك مختلف فيه كأختلاف عربان العائد وبني عطية في الدرك من منزلة نخل إلى سطح عقبة ايلة ومنه إلى جانب البحر محلّ زينة أمير الحاج فإنه في خفارة بني عطية اصطلاحًا)^(١٣) وذكر أن العايد يشاركون في حمل البحر فقال: (يحمل عربان العائد فوق الثلاثين من حمل البحر فقط لا من غيره)^(١٤) قال: (ولأمر العائد عند نهاية الحمل جوخة مخيطة من جوخ العربان الخاص من ديوان أمير الحاج)^(١٥) وفي ذكره فروع عربان العايد ذكر أن منهم عيايدة الريف وعيايدة البرّ في سيناء قال: (عيايدة البرّ منهم: مساعد بن سلامة يحملون من ستين إلى خمسين حملاً وفي غالب أحوالهم يحضرون مع عربان الطور، عيايدة الريف منهم أحمد بن محمد بن ناصر يحملون من ثلاثين إلى خمس وعشرين)^(١٦)، قال الأحيوي: ولم يميز الكتاب المحدثون بين العايد والعيايدة فقد استخدموا كلا الأسمين للدلالة على أنهما قبيلة واحدة حالهم كحال استخدام اسم العائد والعايد آخره ذال معجمة وعيايدة وعائد والعائد وعائد والعائد للدلالة

على ذات القبيلة وممن ذكرهم علماء الحملة الفرنسية ففي حديثه عن القبائل المتوطنة في ولاية الشرقية ذكر (ج. دي شابرول) أن منها قبيلة العايد وذكر أن القبائل المتوطنة ومنها العايد يستوطنون القرى ويفلحون الأرض وقال: (هاؤلاء يسكنون القرى ويفلحون الأرض ومع ذلك فإن لديهم في نفس الوقت شأنهم شأن الأولين ميلاً لا يقاوم يدفعهم للقيام بأعمال السلب إذ تراهم في معظم الأحيان يتركون محراثهم ليمسكوا ببنادقهم ويسلبوا أمتعة المسافرين) وفي ذكر قبائل ولاية القليوبية ذكر أن منها الأعيادية - كذا سماهم - وذكر أن قبائل القليوبية بما فيها العيايدة تهاجم القاهرة باستمرار قال: (وهم يقيمون في الخيام ويروّعون سكان ضواحي القاهرة بغاراتهم التي يقومون بها للسلب والنهب وهم يشاركون الفلاحين في زراعة الأرض ولكن دائماً وبلا جدال على حساب هاؤلاء الأخيرين)^(١٧) وفي ذكرهم ذكر (اميديه جويير) وهو أحد علماء الحملة الفرنسية أن أماكن قبيلة العايدي هي ضواحي القاهرة على مسيرة يوم إلى الشرق من المدينة وعدد فرسانهم المفترض ١٠٠٠ فارس وقال: (تنقسم هذه القبيلة الكبيرة العدد إلى فروع كثيرة اسمائها مجهولة لنا) وقال في ذكر قبائل نصف حرام والبيصار والعايدي والحبايبة: (كانت هذه القبائل الأربع وبخاصة القبيلتين الأخيرتين في حالة حرب ضد الفرنسيين)^(١٨) وذكر إحدى فرقهم في فلسطين فقد ذكر أن عرب العايد يقيمون في مناطق التلّ وعراق المنشية^(١٩) وعراق المنشية قرية في جنوب شرق غزّة على نحو ٥٠ كيلاً وورد ذكر للعيايدة في مجلة «الهلal» سنة ١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦ م وقد اسمتهم المجلة قبيلة الأيادي والصواب العيادي وذكرت أن منازل هذه القبيلة هي القليوبية وأن رئيسها سنة ١٨٣٠ م هو سالم أبو عاجي وأن عدد فرسانها ١٥٠ وعدد مشاتها ٢٠٠٠^(٢٠). وقد تحدث نعوم شقير عن العايد والعيايدة إلا إنه فرّق بينهما فقال: (وأما العايد فهم الآن من سكان مديرية الشرقية في جهة بلبيس وقد تحضروا وتركوا البادية وهناك خطّ يُدعى خطّ العايد إلى اليوم وليس لدينا دليل على أنهم سكنوا جزيرة سيناء ولكننا نرى أن

الحكومة المصرية عهدت إليهم قديمًا خفر المحمل الشريف من مصر إلى العقبة وقد ورد ذكرهم في كتاب «الأم» المحفوظ الآن في الدير أن لهم الإشراف على قبائل الطورة وفي بيت شيخهم كانت تعقد شروط الاتفاق بين عربان الطورة ورهبان دير سيناء بشأن تأجير الإبل وتأمين الطرق ونحوها كما سيجيء رأي في كتابه - والعايد الآن فريقان فريق يرجع بنسبه إلى إبراهيم العايدي وفريق إلى حسن أباطة ومن هذا الفريق أسرة أباطة المشهورة وكبيرها إسماعيل باشا أباطة قيل وينتهي نسب العاييد إلى عقبة إلى جذام إلى قحطان^(٢١) قال الأحيوي: وفيما أورده نعوم شقير أو هام مدفوعة فعدم اطلاعه على دليل على سكنى العاييد في سيناء لا يدل على صحة ما ذكره ذلك أن العاييد استوطنوا سيناء قرونًا طويلة ولا زال بقيتهم فيها إلى اليوم تحت مسمى العيايدة وقد مرت بنا نصوص غير واحد من المؤرخين تؤكد سكناهم سيناء بل وسيطرتهم عليها ومنها نص ابن خلدون الذي ذكر امتداد مساكن العاييد من بليس إلى العقبة والكرك وقوله أن نسب العاييد ينتهي إلى بني عقبة من جذام غير صحيح فهم بنوعوممة بني عقبة ويجمعون معهم في غطفان من فروع جذام بالذال المعجمة لا بالزاي المعجمة وقوله أن العاييد فريقان فريق ينتسب إلى إبراهيم العايدي وفريق ينتسب إلى حسن أباطة وهم كبير لم يسبقه إليه أحد ذلك أن إبراهيم العايدي توفي سنة ١٢٥٢هـ - ١٨٣٦م فيما توفي حسن أباطة بعده بـ ١٣ سنة في سنة ١٢٦٥هـ - ١٨٤٩م فهل أراد نعوم شقير القول أن قبيلة العاييد انحدرت وتسلسلت من هذين الرجلين وهي القبيلة التي ورد ذكرها في الديار المصرية منذ القرن السابع للهجرة وإذا كان هذا ما أراده فالى من ينتهي نسب الآخرين من هذه القبيلة فمن لم ينحدروا من نسل إبراهيم العايدي ونسل حسن أباطة؟ إن هذا أحد أو هام نعوم شقير فيما كتبه حول القبائل العربية في سيناء وقد اغترّ بأقواله محمد سليمان الطيب فردّها دونما تحقيق كما سيأتي بيانه وقد تعقب د. عباس مصطفى عمّار في حديثه عن العاييد تفريق نعوم شقير بين العاييد والعيايدة فقال: (يفرّق نعوم بك شقير وحده بين عرب

العائد والعيادة ويعتبرها قبائل منفصلة في حين أن جميع الكتابات عن قبائل العربان في مصر تأخذ اسم العيادة وتضم العائد تحته^(٢٢)، قال الأحيوي: وقد مرّت بنا بعض النصوص مما أشار إليه د.عباس مصطفى عمّار.

وقففة مع الطيب: تحدث محمد الطيب عن العايد والعيادة وفرّق بينهما مغتراً برأي نعوم شقير وقد نسب كلا منهما إلى أصل منفصل عن الآخر وقال في ذكر العايد والعيادة في تعليقه على ذكر الجزيري لبني عياد قال: (أما بني عياد المشار إليهم فهم قبيلة العيادة من القبائل الحديثة بعد القرن الثامن الهجري ومرجع نسبها إلى القحطانية وقد كانت هذه القبيلة تسيطر على طريق الحج من بلبيس حتى العريش؟! وقطن منهم في جنوب سيناء ثم بعد تغلب الطورة على الجنوب رحلوا إلى الشمال ونزل كثير من عشائر العيادة إلى وادي النيل في القليوبية والجيزة والدقهلية وغيرها ولهم دور في تاريخ مصر الحديث أيام الحملة الفرنسية كانوا من الدّ أعداء نابليون مع قبيلة بلي وكانوا يعادون محمد علي باشا ويؤيدون الألفي بك زعيم المماليك وهم من ظنّ أن العيادة من بقايا العايد من جذام؟! لأن العايد ورؤساهم الأباطية في الشرقية حتى الآن؟! ومصنفات كثيرة في هذا القرن ذكرت العايد والعيادة كل على حده أبرزها «تاريخ سيناء» لنعوم شقير وقبائل العرب لأحمد لطفي السيد وغيرها من الكتب التي سردت عن تاريخ مصر في القرون الأخيرة)^(٢٣) وقال: (العايد أصلهم من جذام ومقرّهم في الشرقية وقد تحضرت العايد في القرى ولهم بأسمهم كفور العايد في الشرقية ومن أشهر عائلات العايد الأباطية وعدد الأباطية كثير وكانت كما يقول الرواة جدتهم تركية الأصل وتزوجت بأحد قبيلة العايد فسُمّيت أولاده أباطية نسبة إلى أمهم التركية وكبيرهم كان إسماعيل باشا أباظة) وقال: (كان خفر المحمل الشريف من مصر للعقبة للعايد وهناك خط يدعى خط العايد وهم فريقان فريق نسب في إبراهيم العايدي وفريق من حسن أباظة)^(٢٤).

وقال: (وعشيرة العايد ظلت فيها الرئاسة والمسؤولية للحجاج فترة طويلة أي

لعدة قرون حتى عهد محمد باشا والأباطية تقلدوا الباشوية وهم من العايد منذ آخر القرن العاشر للهجرة أي في بداية الحكم العثماني كما ورد في كتاب الأم^(٢٥)؟! وقال: (العايدة: نسب القبيلة: أجمع الرواة ومحققو العصر؟! لما تواتر عند أجداد العيايدة أن نسبهم إلى قبيلة قحطان في الجزيرة العربية وأن أجدادهم المؤسسون كانوا إخوة ثلاثة قد توطنوا حوالي النصف الثاني من القرن السابع الهجري ومن هاؤلاء الرجال نمت القبيلة وتكاثرت ثم انتشرت في الديار المصرية) وقال: (أجمع الرواة لما تواتر عند أجداد العيايدة أن الثلاثة رجال هم جربوع ومنه بطن الجرابعة وسلطان ومنه بطن السلاطنة وجوعل ومنه بطن الجواعلة وقيل أن هاؤلاء من أبناء رجل يُسمى سعود بن عياد والأخير هو القادم من الجزيرة العربية فتسمت به القبيلة وقيل أن قبر سعود في سيناء)^(٢٦) وقال: (بدأ نزوح العيايدة من مدة تقارب أربعة قرون إلى غرب قناة السويس في محافظة الشرقية والسويس ثم القليوبية أو ضواحي القاهرة وكانت صحراء وأريافاً ذلك الوقت)^(٢٧) وقال: (العايد غير العيايدة وأكثر العايد هاؤلاء في الشرقية ومنهم الأباطية ظهر منهم باكوات وباشوات في القرنين الأخيرين وينسب العايد إلى جذام القحطانية وَوَهُم من ظنَّ أن العيايدة من العايد كما تخبَّط بعض الباحثين الحديثين في بعض المصنفات في هذا القرن)^(٢٨)، قال الأحيوي: فلما طالعت أقوال الطيب هذه كتبت إليه رسالة مؤرخة بيوم الأربعاء ١٤ ربيع الأول ١٤١٤ هـ - ١/٩/١٩٩٣ م ومما كتبت فيها: (... ومن جانب آخر فإنني أرى إنكم جانبتم الصواب في نسب بعض القبائل العربية مثل البياضية والأخارسة وافتقرتم إلى الدقة في نسب بعضها الآخر مثل العيايدة الذين ميزتم بينهم وبين العايد) فأرسل إليّ ردّه بتاريخ ٢٠/٩/١٩٩٣ م ومما جاء فيه: (...أما عن العيايدة فمن المعروف عند جميع الباحثين^{١٩} مثل نعم شقير ولطفي السيد ومصطفى دروزة وغيرهم حتى اميديه جويير الفرنسي فقد ذكروا جميعاً أن العايد خلاف العيايدة علاوة على أن شيوخ العيايدة أنفسهم يذكرون نسبهم إلى قحطان في السعودية وكذلك غيرهم

من شيوخ قبائل المعازة والمساعد وبلي) فأرسلت إليه رسالة مؤرخة بيوم الأربعاء ١٣ ربيع الثاني ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣/٩/٢٩ م ومما كتبه فيها: (ثانيًا: العايد والعيادة قال الأحيوي: هما وجهان لعملة واحدة وتفريق نعوم شقير بينهما لا يُنظر إليه وقد توفرت لديّ نصوص عديدة وأهمها لمؤرخين مصريين فيها أن العيادة هم العايد وفيها أن آل أباطة هم شيوخ العيادة قديمًا ولا يتسع المجال لإيرادها هنا مع الإشارة إلى أن أحد أصدقائي أعدّ بحثًا عنهم وثقد تناقشنا حول نسبهم وقد اتفق معي أن العايد هم العيادة) انتهى ما علّقت به حول العيادة والصديق المشار إليه هو الأستاذ الباحث فايز بن أحمد أبو فردة وبحثه المشار إليه هو عن العايد في فلسطين فأرسل الطيب إليّ بتاريخ ٤ جمادى الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣/١٠/٢٠ م وجاء فيما كتبه عن العيادة قوله: (وعن العيادة وقولك عنهم إنهم وجهان لعملة واحدة من العايد ولقد اضحكتني كلمة قال الأحيوي فهي تعني حضرتك وكأني بك توجه لي أمر واجب الطاعة وتعتبر نفسك علامة زمانك فالعايد غير العيادة شئت أم أبيت لأن المؤرخين في مصر فصلوا العنصرين. ثانيًا لأن عشرات الشيوخ من العيادة يعرفون إنهم غير العايد ومازال العايد هاؤلاء متحضرين أشبه بالفلاحين في الشرقية خلاف العيادة. والأباطية يا أخي الفاضل ليسوا شيوخ العيادة وإنما هم رؤساء العايد القدامى من جذام سُموا باسم جدتهم التركية ومن الأباطية وزير الكهرباء المصري الحالي، ثم اضحكتني أكثر قولك إنك تناقشت أنت وصديق لك واتفقتما هكذا بكل بساطة أن العايد هم العيادة فأريك يا عزيزي أنت وصديقك احتفظ به لنفسك وليس يلزمنا في شيء ولا يُلتفت إليه لأنه تخبّط وهراء وليس فيه شيء من الصحة)!!؟؟

قال الأحيوي: قالت العرب: عش رجبا ترى عجبًا ذلك أن الطيب قد وقع في حيص بيص فكان مقتل الرجل بين فكيه فلقد اغترّ ببعض الأوهام فظنها حقائق لا يأتيها الباطل من بين يديها أو من خلفها وقد سبق لنا أن بيّنا شيئًا من أوهام الطيب في أبحاثنا عن النفيعات والبياضية والعزازمة وغيرها من قبائل سيناء وقد تحقق

لدينا أن الطيب لا يقبل التراجع عن أي من أرائه ومن ثم فإنه إذا ما ظهر له نصٌّ مغاير للقدماء أو المحدثين هاج وماج كشأنه مع العلامة النسابة أبو الحسن الهمداني الذي ذكر البياضية ونسبهم إلى جذام فاغضب هذا الطيب الذي نسبهم لشعبة وذهب إلى أن الهمداني ريك العبارة وليس حجة فيما ذكره مع أن الهمداني بلا خلاف حجة في أنساب العرب القحطانية وفي تعليقنا حول مزاعم الطيب نقول:

١- ذكر الطيب أن العيايدة يسيطرون على طريق الحج من بلبس حتى العريش قال الأحيوي: هل قال غير الطيب أن درب الحاج تسير من بلبس إلى العريش الواقعة في شمال شرق سيناء على ساحل البحر المتوسط على نحو ٣٠٠ كيلاً عن بلبس، ألم يعلم أن هذا القول الشاذ لم يقل به أحد من قبل، وهل له أن يخبرنا عن مكان الحج الذي تسير إليه الدرب من بلبس إلى العريش ذلك أن درب الحاج المصري المعروف تمرّ عبر بلاد التيه بوسط سيناء مروراً بنخل إلى العقبة فمكة المكرمة ثم أليست منطقة بلبس هذه هي من معاقل العايد وهم عنده غير العيايدة؟

٢- هل يعني وجود العايد أو الأباطية منهم في الشرقية إن لا علاقة للعيايدة بهم بنص قوله: (... لأن العايد ورؤساهم الأباطية في الشرقية حتى الآن) وهل يريد القول إنه لا وجود للعيايدة في الشرقية مع أنهم موجودون فعلاً؟

٣- ذكر الطيب أن العيايدة سيطروا بعد القرن الثامن على طريق الحج وذكر أن العايد كان لهم خفر المحمل في درب الحاج من مصر إلى العقبة لعدة قرون حتى عهد محمد علي باشا (ت ١٢٦٥ هـ - ١٨٤٩ م) فكيف هذا وهما عنده قبيلتان منفصلتان أم أن للحج دربان تسير أولاهما من بلبس إلى العريش تحت سيطرة العيايدة وتسير ثانيتهما من بلبس إلى العقبة تحت سيطرة العايد؟

٤- أن الطيب اعتمد في تفريقه بين العايد والعيايدة على زعم شقير فاغترّ به وقلده وهو زعم بيتنا وهنه في موضعه ولا يوافق عليه إلا الواهمون.

٥- زعمه أن الأباطية تقلدوا الباشوية منذ آخر القرن العاشر للهجرة كما ورد في كتاب «الأم» زعم مزور مردود ذلك أن كتاب «الأم» كان بدء تدوينه في سنة ١٠٠٩هـ أي في آخر العشر الأول من القرن الحادي عشر للهجرة هذه واحدة والأخرى أن الطيب يذكر أن الأباطية يرجعون إلى حسن أباطة وهذا توفي سنة ١٢٦٥هـ فكيف هذا؟ والثالثة أن الطيب يقرّ أن ظهور باشاوات الأباطية كان في القرنين الأخيرين وهذا هو الصواب فما للطيب قد خلط الحابل بالنابل؟

٦- ادعاؤه اجماع محققي العصر على نسبة العيايدة إلى قحطان القبيلة المعروفة في السعودية ادعاء باطل لم يسبقه إليه أحد فمن هم محققو العصر هاؤلاء وهل له أن يُررز نصًا واحدًا وهيئات هيئات؟ ثم طالما إنه نسبهم إلى قحطان وهي قبيلة تتألف من فروع عديدة أغلبها من مذحج وفيها فروع من همدان وغيرها فهل له أن يحقق لنا إلى أي من فروع قحطان يعود نسب العيايدة وهل هذا الفرع الذي يُنسبون إليه من مذحج أم من همدان أم من غيرهما؟

٧- أن انتساب العيايدة إلى قحطان يعني قحطان جد عرب اليمن القحطانية فيما جُلّ القبيلة المعروفة بقحطان في يومنا هذا تعود إلى مذحج من فروع كهلان من قحطان ثم هل يعني انتساب بلي أو جهينة أو بني عقبة إلى قحطان إنهم من قحطان مذحج؟ بالطبع لا فالمقصود قحطان جد القحطانية.

٨- يذكر الطيب أن العيايدة صاروا قبيلة بعد القرن الثامن وسيطروا على المنطقة الممتدة من بلبس إلى العريش واستوطنوا الشرقية والطور ونحن نسأل أليست هذه ديار العايد الذين سيطروا على طرق سيناء واستوطنوها منذ عهد مبكر وفق ما ذكره المؤرخون ثم أليس العايد هم الذين امتدت منازلهم من بلبس إلى غزة مرورًا بالعريش وإلى العقبة مرورًا بنخل وإلى بلاد الكرك شرقًا والطور في جنوبي سيناء؟ وما بال الطيب يجعل ما للعايد للعيايدة وهو يفرّق بينهما؟

٩- أن الطيب في سبيل إثبات مزاعمه لم يبال بتزوير بعض النصوص خدمة لأغراضه ومزاعمه التي لا نعرف الهدف من ورائها والبيان فيما يلي:

١- أنه ذكر نقلاً عن الجبرتي في حودث سنة ١٢١٩هـ من نص للجبرتي: (... وجاء شيخ العيايدة أبو طويلة) [«موسوعة القبائل العربية» ص ٧٢٤] قال الأحيوي: ونص الجبرتي الذي سبق إيراده هو: (... حضر أبو طويلة شيخ العائد).

٢- أنه ذكر أيضًا نقلاً عن الجبرتي في نفس النص أن أمراء المماليك واتباعهم ساروا إلى القليوبية قال: (وذهب العربان والأمراء بعد ذلك إلى القليوبية وحصروا كاشفها ولكنه تمكن من النجاة فنهبوا متاعه وجبخته (عتاده الحربي) وطالبوا مشايخ النواحي مثل الروامل والعايد وقليوب وغيرها بتقديم المؤونة لهم..) [«موسوعة» ص ٧٢٤] قال الأحيوي: الروامل تصحيف الزوامل وفي هذا النص نجد أن العايد من سكان قليوب والذي نجده اليوم هو العيايدة أليس هذا دليلاً على أن العايد هم العيايدة؟

٣- أورد الطيب نقلاً عن اميديه جوبير نصًا سبق إيراده جعله الطيب نصًا للعيايدة [«موسوعة» ص ٧٢٤ - ٧٢٥] مع أن هذا النص للعايد الذين سمّاهم اميديه جوبير قبيلة العايدي فإذا كان العايد غير العيايدة فلم جعل الطيب هذا النص للعيايدة؟

١٠- طالما أن الطيب اعتمد الجبرتي ونقل عنه فما قوله في نص الجبرتي الذي سبق إيراده وفيه: (... وعبدالرحمن أباطة أخو سليمان أباطة شيخ العيايدة..)؟

١١- يتجلى التقليد الأعمى في نقل الطيب عن نعوم شقير أن العايد فريقان ينتسب إحداهما إلى إبراهيم العايدي والآخر إلى حسن أباطة وهو وهم بين سبق تفيده والرد عليه.

١٢- زعمُ الطيب أن العيايدة هم بني عياد الذين ذكرهم الجزيري زعم لم يسبقه إليه أحد فلا علاقة للعيايدة ببني عياد، فبنو عياد المذكورون كانوا عشيرة

من عشائر الشرقية في القرن العاشر للهجرة وهم من لفيف بني عطية واتباعهم قال الجزيري: «طائفة تدعى بأولاد عياد من لفيف بني عطية»^(٢٩) والعيادة في عرف الطيب لم يكونوا آنذاك قد استوطنوا الشرقية فهو يرى أن نزوحهم كان منذ أربعة قرون أي في أوائل القرن الحادي عشر للهجرة فما قول الطيب وتعليقه؟

١٣- ما قول الطيب وتعليقه على ما نصّ عليه د. عباس مصطفى عمار أن كل الكتابات حول عربان مصر ضمت العايد تحت العيادة وقد مرت نصوص تؤكد هذا؟

١٤- وما قوله في نصوص الجبرتي التي ذكر فيها أن العايد هم العيادة ومنها أن آل أباطة هم شيوخ العيادة وأن أبا طويلة هو شيخ العائد وما قوله في دفاع أبي طويلة عن أملاك عرب بلبيس وهم من العايد؟

١٥- وما قوله في هذا التطابق العجيب في ظهور العيادة في كافة أماكن ظهور العايد في وادي اليمم والعقبة وغزة والعريش والتيه والطور والشرقية والقليوبية والقاهرة أم أن ذلك محض مصادفة عجيبة؟

١٦- كون العايد هم العيايد عدا عن كونه أمرٌ ثابت تاريخيًا فإنه أمر متعارف عليه في مصر وفلسطين وغيرهما ومن ذلك أن قبيلة العايد في فلسطين تنتسب للعيادة في سيناء وأن العيادة هم العايد قال الدباغ في ذكر عشائر طولكرم بفلسطين: عرب العائد: يقيمون في جوار مسكة وجلجوليا تعود بأصلها إلى عرب العائد في سيناء ومصر^(٣٠) وذكر أنّ من فروع جذام: (عرب العائد في سيناء وفي محافظة الشرقية بمصر) وقال: (وعائلة هيكل في يافا تعود بنسبها إلى العائد هاؤلاء)^(٣١) وقال: (وإلى عرب العايد تنتسب عشائر العايد من مجموعة وحيدات الترايين والعايدي من التياها والعيادة من نجمات أبي صهيان الترايين في ديرة السبع كما تنتسب إليها عائلة هيكل في يافا ومن العائد شتيت نزلوا في جوار

قريتي مسكة وجلجوليا من أعمال طولكرم وعرب العائد منتشرون في سيناء ومصر وإليهم تنسب عائلة أباطة^(٣٢).

١٧- ما معنى قول الطيب أن أجداد العيايدة الذين استوطنوا سيناء في النصف الثاني من القرن السابع للهجرة كانوا يسكنون بمحاذاة درب الحاج قال: (كان العيايدة وقتئذ يسكنون بمحاذاة خط مرور الحجّاج عبر سيناء وقسم منهم في جنوب السويس) وقال: (سيطرت العيايدة فترة من الوقت على طرق التجارة والحج من بلبس حتى قرب العريش في شمال سيناء) [«موسوعة» ص ٧٢٢] ما معنى هذا القول وقد صرّح المؤرخون وعلماء النسب أن الذين كانوا يسكنون سيناء ويسيطرون على دروبها آنذاك هم قبيلة العايد وهي قبيلة لا علاقة لها بالعيايدة عند الطيب فهل من سبيل للتوفيق بين تضارب هذه الأقوال إلا أن يكون العيايدة هم العايد؟

١٨- ما قول الطيب باتحاد وسم قبيلة العيايدة وهو المحلّة ووسم قبيلة السماعنة وهذه فرع من بني مهدي من جذام مع الإشارة إلى أن قبيلتي السماعنة والعايد كانتا تقطنان جنوبي الأردن في ديار جذام القديمة؟

قال الأحيوي: تُرى هل نجد عند الطيب شبه إجابة أو شبه تعليل لكل ما سبق بيانه؟ إننا نقول: هيهات هيهات.

(للبحث صلة)

العقبة: راشد بن حمدان الأحيوي

الحواشي:

(١) «تاريخ سيناء» ص ٦٦ وحدثني الحاج سالم بن غانم الأحيوي قال: للعيايدة مقابر في الكتلة والفتحام وضيقة العقفي وتلاع العيال.

(٢) المصدر السابق ص ١٠٩ - ١١٠.

(٣) «تاريخ بئر السبع وقبائلها». عارف العارف. مطبعة بيت المقدس. فلسطين ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م، ص ١٦٣.

- (٤) «التعريف بالمصطلح الشريف» ص ١٠٨. (٥) «نهاية الأرب» ص ٣٣٣.
- (٦) المصدر السابق ص ٣٣، «قلائد الجمال» ص ٦٥. (٧) «صبح الأعشى» ج ١، ص ٣٣٣.
- (٨) المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٨٤. (٩) «تاريخ ابن خلدون» مجلد ٦، ص ٧.
- (١٠) و(١١) و(١٢) و(١٣) و(١٤) و(١٥) «الدرر الفرائد» ص ٣٣٥ وحاشيتها و ص ١٣١٣ و ١٣٢٩ و ١٣٣٠ و ٢٣١ و ٢٣٦ و ٣٤٠ على التوالي.
- (١٦) المصدر السابق ص ١١٧٨ - ١١٧٩ وفيه العيايرة وهو تصحيف العيايدة وفي كتاب «الدرر» تصحيفات عديدة وقد أشار الجاسر إلى هذا فقال: (أسماء أفخاذ العشائر (البدنات) وردت في المخطوطات بصورة كثيرة الاختلاف لم أتمد إلى وجه الصواب فيها ولم أر إكثار الحواشي بإيراد تلك الصور) [«الدرر الفرائد» حاشية ١١٧٨] قلت: ومن هذه التصحيفات أيضًا قول الجزيري: (هربان الطور الذين هم الصوالحة والقلبيعات) وقوله: (هربان الطور وهم الصوالحة والقلبيعات) [«الدرر ص ٣٣٦ و ٣٣٨»] والصواب كما هو معروف العليقات وهو ما ذكره الجزيري في ص ١١٨١ من «الدرر» ومن التصحيفات: التبة والصواب التينة [«الدرر» ص ١١٨١] ومن التصحيفات قوله: (غظيان: بغين مكسورة وطاء معجمة ساكنة) [«الدرر» ص ١٥٨٢] والصواب: غُظيان وهو موضع شمالي رأس خليج العقبة على نحو ٥٠ كيلًا. وقوله: عبايدة البر وعبايدة الريف فإن المقصود بالبر سيناء حيث لا يزال تسمى قبائلها بقبائل البر ومن ذلك قولهم تباهة البر وترايين البر ورميلات البر. إلخ. أما الريف فهو ريف مصر بالشرقية.
- (١٧) «دراسة في عادات وتقاليد مصر المحدثين». ج. دي شابرول. ترجمة زهير الشايب. مطبعة الجبلأوي. القاهرة. مصر ط ١/١٩٦٧م، ص ٢٥ - ٢٦.
- (١٨) «العرب في ريف مصر وصحراواتها». علماء الحملة الفرنسية. ترجمة زهير الشايب. مكتبة مدبولي. القاهرة. مصر. ط ٢/ ١٩٨٠م، ص ٣٨٠ - ٣٨١.
- (١٩) المصدر السابق، ص ٣٨٢.
- (٢٠) مجلة «الهلال». مصر سنة ١٥، ج ٣ بتاريخ ١ كانون/ ١٩٠٦م، ١٥ شوال ١٣٢٤هـ ص ٣٦٦.
- (٢١) «تاريخ سيناء» ص ١٠٨ - ١٠٩. (٢٢) «المدخل الشرقي لمصر» د. عباس مصطفى عمار.
- (٢٣) و(٢٤) و(٢٥) و(٢٦) و(٢٧) و(٢٨) «موسوعة القبائل العربية» محمد سليمان الطيب، دار الفكر العربي، القاهرة. مصر ط ١/١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ص ٦٤ و ٥٢٤ و ٦٢٣ و ٧٢١ و ٧٢٢ و ٧٢٤ حاشية على التوالي.
- (٢٩) «الدرر الفرائد» ص ٣٣٧ وانظر ص ٣٣٨ و ٩٤١ و ١٣٤٦ و ١٣٤٧.
- (٣٠) «بلادنا فلسطين» مصطفى الدباغ ١/ ٢٣٦. (٣١) المصدر السابق ١/ ٧٠٩ و ٧١٠.
- (٣٢) «القبائل العربية» مصطفى الدباغ ص ١٣٠.

«الأمكنة والمياه والجبال والآثار»

لأبي الفتح نصر بن عبدالرحمن الأسكندري المتوفى بعد سنة ٥٦١ هـ

- ١٧ -

باب المفردات

الأبرق: بَلَدٌ بِلَادِ بَنِي شَيْبَانَ بِلَدٍ يُقَالُ لَهُ الْبَطْنُ^(١).

أبرق العزاف: عَلَى ثَمَانِينَ مَيْلًا مِنَ الْمَدِينَةِ^(٢).

الأبلقان: جَوَانٍ فِيهِمَا أَكْمٌ بِيضٌ وَحِصَاصٌ مِنْ حَقِّ بَنِي عَبَسَ^(٣).

أبني: قَرْيَةٌ بِمُؤْتَةَ^(٤).

أبيط: مِنْ مِيَاهِ بَطْنِ الرَّمَّةِ^(٥).

(١) الأبرق على ما نقل علماء اللغة عن الأصمعي: حجارة وزمل مختلطة، وكذا البرقة والبرقاء، ومن هنا فالأبارق في بلاد العرب كثيرة.

(٢) في «معجم البلدان»: أبرق العزاف: ماء لبني أسد بن خزيمه في طريق القاصد إلى المدينة من البصرة يجاء من حومانة الدراج إليه، ومنه إلى بطن نخل، ثم الطرف ثم المدينة، وإنما سمي العزاف لأنهم يسمعون فيه عزيف الجن، وأورد سواهد من الشعر وفي كتاب «المناسك»: من الرابدة إلى أبرق العزاف عشرون ميلاً، ومن أبرق العزاف إلى الشار خمسة وعشرون ميلاً، ومنه إلى ذي القصة، ومن ذي القصة إلى المدينة ثلاثون ميلاً وهو مشه وميلاً بين الرابدة والمدينة، وفي كتاب الهجري في كلامه على حمى ضريبة: بين زحوخان من غزبيه يقال له الجواء بينه وبين الرابدة ٢١ ميلاً، وأقرب المياه إليه ماء للسلطان يقال العزافة، بأبرق العزاف بينه وبين الجواء ثلاثة أميال. انتهى

وفي غرب الرابدة شمال منهل السليانة يقال تعرف باسم نفود القوز، ينطبق عليه قول الهجري، وصاحب كتاب «المناسك».

ومنا آراه فالذي في كلام صاحب «معجم البلدان» قد يكون موضعاً آخر بعيداً عن بلاد بني أسد.

(٣) لم أر هذا الاسم في «معجم البلدان».

(٤) أورد ياقوت كلام نصر منسوباً إليه، وقبله: أبني - بوزن حبلتي: موضع بالشام من جهة البلقاء، جاء ذكره في قول النبي صلى الله عليه وسلم، لأسامة بن زيد، حين أمره بالمسير إلى الشام، وتسن الغازة على أبني.

(٥) في «بلاد العرب»: وفي بطن الرمة من المياه المرينة وغراء وأبيط وجلبجلة لبني عبدالله، والحاجر: قرية وشوق. ولم يرد ياقوت على ما ذكر نصر.

أثابات: فلاة بناحية اليمامة^(١).

أثامد: واد بين قديد وعسفان^(٢).

الأثيجة: صحراء لها جبال يقال لها جبال الأثيجة لبني جعفر بن كلاب^(٣).

أثيفية: حصن من منازل تميم^(٤).

الأثيل: بضم الهمزة بعدها ثاء مثلثة وياء ساكنة تحتها نقطتان: موضع قرب

المدينة هناك عين ماء لآل جعفر بن أبي طالب، بين بدر والصفراء ويقال: ذو أثيل أيضا^(٥).

ومنهل أيضا في ذلك الصقع، أكثره لبني ضمرة من كنانة^(٦).

(١) لم أر له ذكرا فيما بين يدي من المصادر

(٢) لم يرد ياقوت على هذا غير منسوب، وقديد وعسفان موضعان بقرب مكة مغزوفان.

(٣) أصل هذا في كتاب «بلاد العرب» فبعد أن ذكر مواضع بقرب ضربة قال: ولهم النامية: ماء وجبال، والأثيجة: صحراء لها جبال يقال لها: جبال الأثيجة وذئذب، وفي «المعجم» - بالفتح ثم الشكون وكسر الباء الموحدة وجيم - بصيغة جمع الفلة كأنه جمع ثبج، والشبج في كل شيء ما بين كاهله وظهره، ويقال ثبج كل شيء وسطه، ثم أورد تعريف نصر غير منسوب.

(٤) في «المعجم»: أثيفية: قرية لبني كلب بن يربوع بالوشم من أرض اليمامة وأكثرها لولد جرير الشاعر، وقال ابن أبي حفصة: أثيفية: قرية وأكنيات، وإنما شبهت بأثافي القديرا لأنها ثلاث أكنيات، وبها كان جرير، وبها له مال، وبها منزل حمارة بن عقيل بن بلال بن جرير، وأورد بيتا من شعره، وقول نصر منسوبا إليه، وبيتا لراعي الإبل:

دَعَوْنَ قُلُوبَنَا بِأَثِيفِيَّاتٍ وَالْحَقَّ قَالَيْنَا بَعَثَيْنَا

وَأَصَاف: وقد دلنا على أن أثيفية وأثيفات وذات الأثافي كُله واحد، وذو أثيفية موضع في عقيق المدينة.

(٥) أورد هذا ياقوت مضيئا: وقد حكينا عن ابن السكيت - أنه يتشديد البناء - وقد أورد قبله: قال ابن السكيت

في قول كثير:

فَسِرَاجَ رَيْمَةَ قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهَا بِالسُّفْجِ بَيْنَ أَثِيلِ قَبْتِهَا

قال: سراج ريمة: واد لبني شيبه، وأثيل منها مشترك، وأكثره لبني ضمرة، قال: وذو أثيل: واد كثير النخل بين بدر والصفراء لبني جعفر بن أبي طالب، وقال عن الأثيل: تصغير الأثيل: موضع قرب المدينة، وهناك عين ماء لآل جعفر بن أبي طالب بين بدر ووادي الصفراء ويقال له: ذو أثيل، وقد حكينا عن ابن السكيت أنه يتشديد البناء، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قتل عنده النصر بن الحارث عند منصرفه من بدر، ثم أورد شعرا لبنته فتيلة تزني أباها.

وقد أوضح الحارثي أن هذا الشعر مضنوع.

(٦) يفهم من كلام ياقوت المتقدم أنه هو الموضع الذي قبله.

قَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ: الْأَيْبِلُ - بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَكَسْرِ الشَّاءِ: مِنَ الْمَوَاضِعِ التَّهَامِيَّةِ، ثُمَّ قَبِدَهُ فِي الشَّعْرِ، بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَفَتْحِ الشَّاءِ (١).

الْأَجَاءَةُ: أَجَاءَةُ بَدْرِ بْنِ عِقَالٍ، فِيهَا يَبُوتُ مِنْ مَثْنِ الْجَبَلِ، وَمَنَارِلُ فِي أَغْلَاهُ (٢).
أَجَارِدُ: وَادٍ يَنْحَدِرُ مِنَ السَّرَاةِ عَلَى قَرْيَةِ مُطَارٍ لِبَنِي نَضِرٍ (٣).
وَأَيْضًا: وَادٍ مِنْ أَوْدَاةِ كَلْبٍ، وَهِيَ أَوْدِيَّةٌ كَثِيرَةٌ تَنْشُلُ مِنَ الْمَلْحَاءِ، وَهِيَ رَابِيَةٌ مُنْقَادَةٌ مُسْتَطِيلَةٌ، مَاشَرَقَى مِنْهَا الْأَوْدَاةُ، وَمَا غَرَبَ فَهُوَ الْبِيَاضُ (٤).
أَجْرَادُ: آخِرُهُ ذَالٌ مَنْقُوطَةٌ: مَوْضِعٌ يَنْجُدُ (٥).

وَأُمُّ أَجْرَادٍ: بَيْتٌ قَدِيمَةٌ بِمَكَّةَ، وَقِيلَ بِدَالٍ مُبْهَمَةٍ (٦).
الْأَجْدَلَانِ: أَبْرَقَانِ مِنْ دَارِ عَوْفِ بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَطْرَافِ السُّتَارِ، وَهُوَ وَادٍ لَامِرِي الْقَيْسِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ، حَيْثُ التَّمَى هُوَ وَبَيْضَاءُ الْخَطِّ (٧).
الْأَجِيرَافُ: (الْأَعْرِيفُ).

(١) وَفِي «مُعْجَمِ الْبُلْدَانِ»: الْأَيْبِلُ - بِالْفَتْحِ ثُمَّ الْكُسْرِ - بِوَزْنِ الْأَيْبِلِ: أَيْبِلٌ مَوْضِعٌ فِي بِلَادِ هُدَيْلِ بَيْتِهَامَةَ، قَالَ أَبُو جُنْدَبِ الْهَدَلِيُّ:

بَعَيْتُهُمْ مَائِينَ خَلْدَاءَ وَالْحَشَاءَ وَأَوْرِدْتُهُمْ مَاءَ الْأَيْبِلِ فَعَاصِمًا
(٢) لَمْ يَزِدْ يَأْقُوتُ عَلَى هَذَا عَنْ نَضِرٍ، وَمِثْلُهُ صَاحِبُ «تَاجِ الْعَرُوسِ».

(٣) أَوْرَدَهُ يَأْقُوتُ عَنْ نَضِرٍ بِدُونِ زِيَادَةٍ، وَقَالَ قَبْلَهُ: أَجَارِدُ: اسْمٌ مَوْضِعٌ فِي بِلَادِ عَبْدِ الْقَيْسِ.

(٤) أَوْرَدَهُ يَأْقُوتُ بِضَمِّهِ وَلَمْ يَنْسِبِهِ، وَقَالَ الْهَجْرِيُّ: كُلُّ فَاعَلَةٍ لَأَمَّا بَاءٌ، فَإِنَّ فَصْحَاءَ طِيٍّ يَجْعَلُونَهَا أَلْفًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْأَوْدَاةِ - جَمْعُ أَوْدِيَّةٍ - وَالنَّاصِأَةُ لِلنَّاصِيَّةِ، وَالرَّوَاةُ لِلرَّوَايَةِ، وَقَالَ فِي كَلَامِهِ عَلَى حَزْرِيزِ كَلْبٍ: ثُمَّ تَهَيَّبْتُ مِنْ حَزْرِيزِ كَلْبٍ فِي الْوَصْلِ بَيْنَ الْأَوْدَاةِ وَبَيْنَ حَزْرِيزٍ، وَإِنَّمَا هِيَ الْأَوْدِيَّةُ، وَلَكِنَّهَا لَعْنَةُ طِيٍّ، فَأَوَّلُ وَادٍ مِنْ أَوْدِيَّةِ الْأَوْدَاةِ ذُو الْقُرُورِ، ثُمَّ أَحَابِرُ، ثُمَّ عَزْرَعَرُ، ثُمَّ أَيْبِلُ، ثُمَّ بَيْلُ، ثُمَّ بَطْنُ طَبِيٍّ، هَذِهِ كُلُّهَا أَوْدِيَّةٌ تَصُبُّ فِي الْفُرَاتِ، وَأَنْظُرْ عَنِ الْأَوْدَاةِ هَذِهِ (فَسَمِ شَمَالَ الْمَمْلَكَةِ) مِنَ «الْمُعْجَمِ الْجُغْرَافِيِّ لِلْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ».

(٥) زَادَ يَأْقُوتُ قَالَ الرَّاجِزُ:

أَنْعَرِفُ الْأُدَارَ بِبَيْدِي أَجْرَادٍ ذَارًا لِيُسْفِدِي وَابْتَسِي مُعْرَادٍ
وَمَا أَكْثَرَ مَوَاضِعَ نَجْدِ.

(٦) أَوْرَدَ هَذَا يَأْقُوتُ، وَلَمْ يَزِدْ، وَأَبَارَ مَكَّةَ دَرَسَتْ.

(٧) لَمْ يَزِدْ يَأْقُوتُ عَلَى هَذَا غَيْرَ مَنْسُوبٍ، وَالسُّتَارُ وَبَيْضَاءُ الْخَطِّ: قَدْ تَحَدَّثْتُ عَنْهُمَا بِتَفْصِيلٍ فِي (فَسَمِ الْمِنْطَقَةِ الشَّرْقِيَّةِ) مِنَ «الْمُعْجَمِ الْجُغْرَافِيِّ».

نظام النصبة عند عوامر بني شهر

العوامر هم ذرية عامر بن ربيعة بن شهر بن الحَجْر، وينقسمون إلى بني عبْد وبني سَعْد أبناء عامر بن ربيعة وديارهم بين النَّماص وتَنوَمَة، ويدخل معهم في النصبة بنو لام، ويشكل العوامر ربع قبيلة بني شهر السراة تقريبًا.

والنَّصْبَةُ بفتح النون مع فتح الصاد وتشديدها، وتأتي بمعنى العدد والمقدار، جاء في «اللسان» لابن منظور في مادة (نصص): [روى أبو تراب عن بعض الأعراب - كان حصيص القوم ونصيصهم وبصيصهم كذا وكذا أي عددهم بالحاء والنون والباء]. انتهى. وهي من النظم العشائرية القديمة، وأساسها المقدار المفروض من المال أو الرجال. على جهة معلومة ضمن مجموع معلوم من القبيلة في أي مشروع حربي، فيما كان يعرف (بالجهاد). ونَسْتَأْنِسُ في هذا المقام بما ورد في مذكرات تركي الماضي - رحمه الله - ص ٨٠، ط ١ الذي زار شهر مع لجنة مكونة لهذا الغرض في ذي الحجة ١٣٤٨ هـ حيث قال: (فبدأنا باستحصال جميع ما كان للحكومة من الزكاة والجهاد ووقفنا إلى تحصيل ذلك بهدوء واطمئنان).

والنصبة الإجمالية للقبيلة الأم يجب أن تحدد بظروفها، تزيد وتنقص حسب الطلب أو الحاجة، ومن ثمَّ يتم توزيعها على الجميع على اعتبار البطن والفخذ والقرية ثم اللحمة فالأسرة.

وقد ينوب البطن أو الفخذ أو حتى اللحمة في ظرف معين في حمل النصبة المقررة عن مجموع القبيلة فلا يخرج من القبيلة إلا نصبة ذلك الفخذ أو البطن، وذلك في حالة الاتفاق بينهم على مبدأ التناوب خاصة إذا كان العدد المطلوب قليلًا، فإذا خرج البطن أو الفخذ (أ) في هذه المرة فلا يخرج في المرة القادمة وإنما يخرج البطن أو الفخذ (ب) وهكذا، ومثال ذلك أن لحمة آل بَلْعَدْل في

قرية (مليح) وهم من عشيرة آل بهيش من دُحيم، تعطى نصتهم إلى بلحصين، ففي حالة دفع النصّة عن آل بهيش فقط لا يخرج معهم آل بلعدل وإذا خرج بلحصين يخرج معهم آل بلعدل وذلك للموازنة في العدد، وفي ذلك دليل أيضًا أن مبدأ النَّصّة قديم جدًا بحيث أن الأفخاذ المعروفة حاليًا كانت في مرحلة من الزمن مجرد (لحام) أو أسر داخل البطون التي كانت في حينها في مرحلة الأفخاذ.

والنصّة عمومًا ليست مقامة على مبدأ النسب فوجودها بشكل ما لا يقرر نسبًا ولا ينفيه، فاللحمة من القرية داخل الفخذ تتساوى مع اللحمة الأخرى في نفس الفخذ من حيث قرب النسب أو بعده بِجَدُّ ذلك الفخذ لأن تجمع القبائل قد يكون مبنياً على الحلف كما في بعض أسر بني لام بالنسبة للعوامر مما يجعل بالإمكان دفع نصّة فخذ بأكمله إلى أحد البطون مثلما تدفع نصّة آل بُرَيّاع وهم من *الأساودة إلى شهر ثرامين، ونصّة إخوانهم العُمرة إلى بلحارث.

وإذا ألزمت أسرة أو لحمة بإخراج نصتها من الرجال كان بالإمكان استئجار من يقوم بذلك حتى ولو كان من قرية أو قبيلة أخرى فالقصد الوفاء بالالتزام وأداؤه.

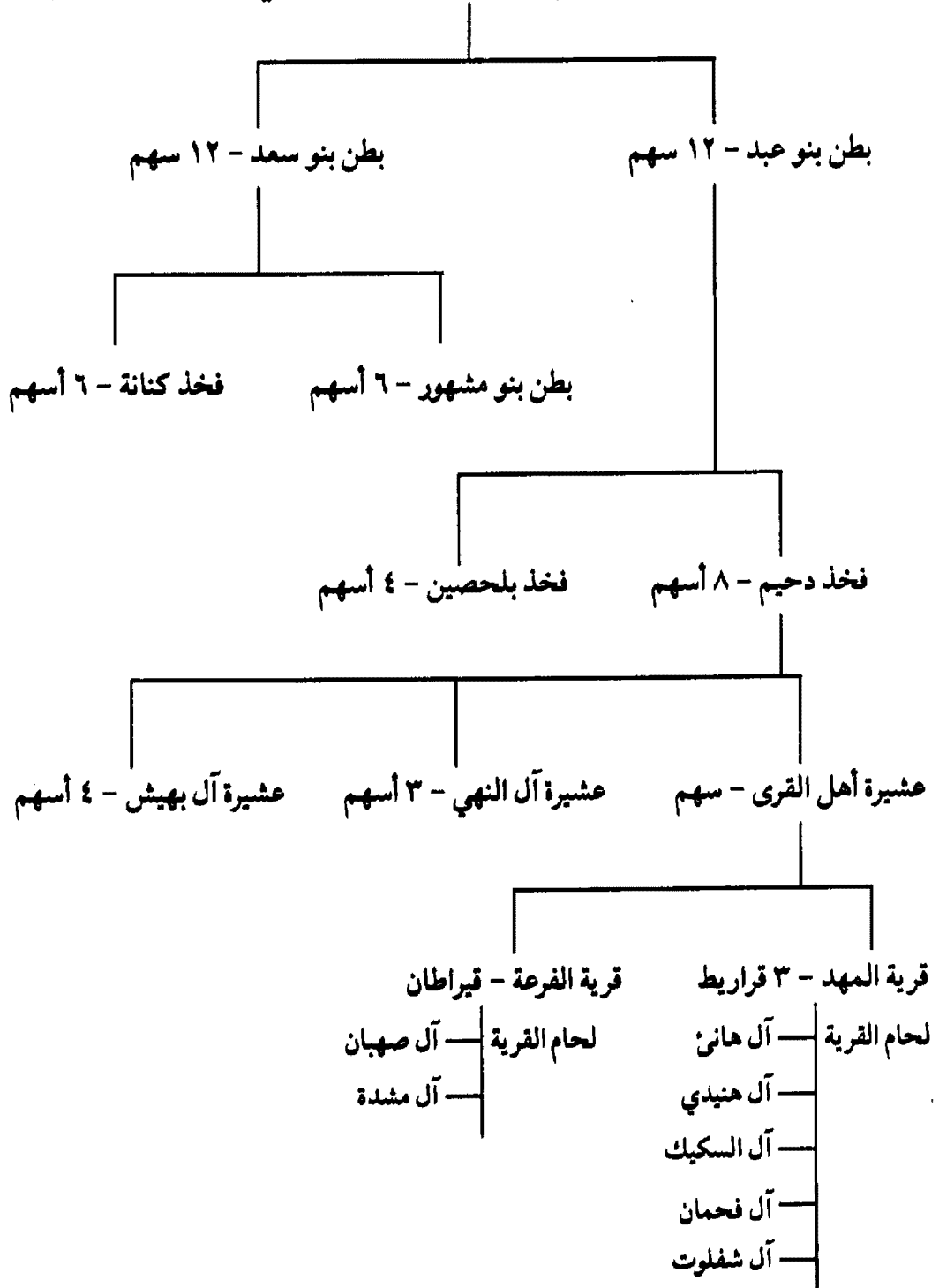
وقد وزعت النصّة سابقًا على مبدأ الإمكانيات البشرية والمادية، ومدار ذلك الأملاك الزراعية ومناشر الرعي، وعدد السكان في هذه القرية أو تلك، ولذلك نجد أن بني عبد وبني سعد متساويان في النصّة ولكن دُحيمًا يحمل ثلثي نصّة بني عبد. ويحمل بَلْحُصَيْن الثلث، في حين أن نصّة بني سعد مقسومة بالتساوي بين بني مشهور وكنانة مع العلم أن الفخذ دحيم هو الوحيد في أفخاذ العوامر الذي يحتوي على ثلاث عشائر كل عشيرة منفصلة بمشيختها ومُنشَرها وقراها

وهي أهل القرى وأهل النهي وأل بهيش، ونصة كل عشيرة تدفع لعموم نصة العوامر، وهذه العشائر متساوية في الحقوق والواجبات. ومختلفة في مقدار النصة. وإذا أخذت نصة العوامر كافة فالرئاسة في بني عبد وحامل (البيرق) في بني سعد.

وقد انتفت الحاجة حاليًا إلى نظام النصة التقليدي بعد استتباب الأمن في هذا العهد الزاهر، وتوحيد بلادنا تحت راية واحدة حيث كانت حرب الريث (جبل القهر) في عام ١٣٧٥هـ آخر الحروب التي اعتمد فيها نظام النصة على أصوله المذكورة، فقد جاء في مذكرات تركي الماضي أمير أبها ص ٣٩٢ - ٣٩٣ ط ١، قوله: إنه في أوائل عام ١٣٧٥هـ (صدر أمر جلالة الملك.. بحشد المجاهدين من قبائل عسير ورجال الحجر وقحطان وشهران) ثم قال بعد التحرك من أبها: (فتزلنا المخاضة وأقمنا عليها ثلاثة أيام حتى اجتمعت الجنود من عسير ورجال الحَجْر وقحطان وشهران وكان عددهم نحو ثلاثة آلاف)، وقد بيّن مهمة رجال الحَجْر في تلك المشكلة كما قال في ص ٤٠٠: (أما رجال الحَجْر وهم بنو شهر وبنو عمرو وبلاسمر وبلاحمر فقد رتبناهم في محلهم لحماية الساقة، وتأمين خط المواصلات بين جبل الريث ووادي رَحِيّة الذي فيه المخيم... صباح يوم الأربعاء الموافق ٢٥ صفر سنة ١٣٧٥هـ).

ملاحظة: ومحاولة من العشائر في المحافظة على نوع من التكتاف فيما يخدم مصالحهم فقد استحدث مبدأ المشاركة في دفع الديات وخاصة وفيات حوادث السيارات داخل العشيرة الواحدة أو الفخذ الواحد على أن يتم توزيع مبلغ الديات على أساس حامل البطاقة منهم، وهذا موضوع آخر يختلف إختلافًا كاملاً عن نظام النصة الذي تحدثنا عنه سواء في الأسس أم الأهداف.

توزيع نصبة بني عبد وبني سعد (من عوامر بني شهر) ٢٤ سهم



السهم = ٥ قراريط

الرياض: د. محمد بن ظافر آل عساف

بلد الشنفرى الأزدي وقبيلته

لا أريد ترجمة الشنفرى وبيان سيرته، بل أريد بيان أمر اختلف فيه المؤرخون والأدباء قديمًا وحديثًا ألا وهو بلد وقبيلة هذه الشخصية الجاهلية الشنفرى حيث شرق الناس وغربوا وأخطأوا ولم يصيبوا في نسبه وارضه حتى قال يوسف خليف في كتابه «الشعراء والصعاليك في العصر الجاهلي»^(١) قال: إن اصل الشنفرى ونسبه شديدتا الغموض وقال في موضع آخر^(٢): من المرجح أن دمًا أفريقيًا زنجيًا أو حبشيًا كان يجري في عروقه. انتهى. قلت لقد نسبه بعضهم إلى بني فهم والبعض الآخر نسبه إلى سلامان كذلك نسبه بعض من كتب في التاريخ في واقعة المعاصر إلى قبيلة زهران، وأقول: إن هذا كله جهل وإيهام والذي أؤمهم عدم النص في كتب التاريخ والأدب على أصل الشنفرى وبلده ولا خفاء أن معرفة نسب كل إنسان، ومعرفة بلده يحصل من الإنسان نفسه من أقواله نثرًا أو شعرًا لذا قيل: الناس مؤتمنون على أنسابهم، وعلى هذا فقد ذكر الشنفرى أصل قبيلته في شعره كما ذكر ذلك الرجل السلاماني الذي كان الشنفرى عنده فمن شعر الشنفرى قوله:

ولو علمت قعسوس أيام والدي ووالدها ظلت تقاصر دونها
أبي ابن خيار (الحَجْرِي) بيتًا ومنصبًا وأمي ابنة الأحرار لو تعرفينها
أليس أبي خير (الأواس) وغيرها وأمي ابنة الخيرين لو تعلمينها
فقد نص الشاعر على قبيلته (الحَجْر) ثم نصَّ على القبيلة الأواس بن حَجْر،
وقد فصلت القول عن قبائل رجال الحجر في كتابي الذي صدر حديثًا «تاريخ
رجال الحجر» وهم بنو عَمْرُو، وبنو شَهْر وبالأحمر^(٣) وهم من أزد
السراة، ضمن قبائل الأزد الذين ذكرهم الهمداني في «صفة جزيرة العرب»^(٤) وذكر
رحمه الله بلاد رجال الحجر^(٥) ويعرف الشنفرى بالأزدي وهم أزد السراة وحيث
أنني أحد أبناء رجال الحجر وبالأخص أنا في ديار الأواس بن الحَجْر فسوف

أربط بين القديم والحديث ربطاً مطابقاً للواقع في هذا الموضوع فأقول: إن مواطن الأواس معلومة منها هضبة (عيار) التي ذكرها الحموي في «معجم البلدان»^(٦) وقال: لقد وقع في (عيار) يوم حراق بين قبيلة غامد والأواس وأورد القصة وذكر شعر لزهير الغامدي وهو:

نُبغِي الأَواسَ بأرضها وسمائها حتى انتهينا في دواب تكبداً
حتى انتهينا في عيار كأننا أظب وقد لبد الرؤوس من الندى
والذي يظهر أن غزو غامد للأواس ردًّا على أفاعيل الأواس بغامد يدل على ذلك موقعة (ثرام) وهو موضع في ديار الأواس بن الحجر حيث غزت غامد الأواس كما قال الشاعر زهير الغامدي^(٧) أيضًا:

أفي أن طلبنا أهلَ جُرمٍ بذنبهم زفتتم كما زف النعام النوافر
حديث أتانا عن (ثرام) وأهلها بني عامر وودعتنا الأساور
فقد قال: أهل جرم بذنبهم كأنهم يردون لهم الصاع صاعين، وبنو عامر جزء من الأواس، كما سأبينه قريبًا.

وثرام هذا يسمى حاليًا الثرمانه.

وأما عيار فلا زال باسمه وقد يسميه بعض أهله (الحيد) ومكان الموقعة منه شمال (عيار) يسمى حاليًا (المصبح) لأن الصبحة حصلت فيه من غامد لأهله.

أما الأواس أهل عيار وثرام فلا زال ينتسب إليهم قبيلة تسمى قبيلة آل عياء سُمُّوا بالوادي الذي نزلوا فيه شرق عيار، بحوالي ثلاثين كيلًا لكثرة مياه ذلك الوادي وخصبه والمثل يقول في بيت شعر نبطي:

بلاد العيائِ من بقیف وشرق وبقيّة البلدان خشر وفشر
و (بقيف) هضبة قريبة من (عيار).

ومعلوم أن بلاد رجال الحجر يحدها شرقًا وادي بيشة ولكن قبيلة آل عياء قد

أخذوا شرق وادي بيشة مسافة حوالي ثلاثين كيلاً بما فيها وادي الصّحن المتجه من الشرق إلى الغرب يصب في وادي بيشة حيث قال شاعرهم في هذا الصدد:

ديرة رجال الحجر من بيشة وبخراً و (الصّحن) فإنه لمن يلبسون الدرّوع
ويتحدث الناس عن قوتهم قديماً، وأنهم أهل خيل وسيوف ودرّوع حتى قال
قائلهم.

ياماجرى للخيّل من ريع عاصم في كل يوم صائح وشليل
وفي وقتنا الحاضر قل عددهم سنة الله في خلقه ولا يزالون يعتزون بقولهم (عيال
الواسي) وبعضهم بحرف فيقول (بني يوسي) كما أن أوصاف الشنفرى تنطبق على
أوصافهم الخلقية وهذه القبيلة جزء من قبيلة بني منبح من بالأسمر ومنهم من نزح
شمالاً إلى بادية (خثعم) و (شمران) ومقرهم الآن شرق (البشائر) مركز خثعم
وشمران، وتربطهم بأصلهم (بني واس) روابط وفي أول هذا القرن زارهم جماعة من
آل عيياء ومنهم الشاعر سعيد بن رابعة العيائي الأسمرى وحصل بينهم محاوراة
شعرية ومنها قول شاعر بني واس القاطنين في بادية شمران:

مرحباً ياسعيد ومن معك نغليه مرحباً مرحباً بك ياعصابة رأسي
ياحمي بلدنا وأنتم حراسها أمن قلبي على حدّ نزلتم فيه
فاتق الله في قسم (الواسي) مظهر الشمس يقفيه نورها

فرد عليه شاعر منهم سعيد بن رابعة قال:

ياسلام على الدير ومن جاء فيه وعلى الشيخ ظافر هو ودعوى (الواس)
عد من طاف بالكعبة وزارها أما قسمك فلا حن جاخذ ينك فيه
لكنك أخذت المصالح واكتفيت الباس مثل وعل تَعْلَوَى في وكورها

الشاهد أن شاعر (بني واس) يرحب بوفد من أصلهم. ويذكرهم بجزء من
بلادهم ولم يجحد الوفد قسم المرحب بهم.

(بنو واس) القاطنين في بادية شمران تنطبق أوصافهم على أوصاف آل عياء بني واس، ولا يوجد قبيلة حَجْرِيَّة تنطبق عليها أوصاف الشنفرى إلا هذه القبيلة وقد كان (الأواس) المذكورون يسكنون من (حضوة) إلى (عيار) و (ثرام) ثم نزحوا إلى (وادي عياء) مقرهم الآن وسموا باسم الوادي.

أما كيف صار الشنفرى في بلاد غامد وزهران حتى قتل في بادية زهران في (بيدة) وإنه ظهر لي أن بين بني الحجر وغامد وزهران مناوشات حيث يغزو بعضهم بعضًا كما حصل في جبل عيار وثرام وحصلت موقعة بين بني الحجر وغامد في وادي (دوقة) ذكرها الحموي^(٨) وفيها يقول زهير الغامدي:

اعاذل منا المصلتون خلالهم كأننا وإياهم بدوقة لاعب
اتيناهم من أرضنا وسمائنا وأنى اتى لِلْحَجْرِ أهل الأخاب
وهذا يدل على أن أبناء غامد وزهران غزوا بني (الحجر) في الجاهلية وأسروا الشنفرى في صغره مع أمه، وأبيه ثم قتلوا أباه فانتصر الشنفرى لأبيه في منى، بعدما استعبده (بنو سلامان) ثم فدوا به رجلاً منهم والذي يظهر أنه بني سلامان سلامان الحجر، لأنهم نصف بني الحجر وقد فصلت القول فيهم في كتابي «تاريخ رجال الحجر»^(٩) إضافة إلى علاقته بمثله من الصعاليك.

سعيد بن عوض الأسمرى

الحواشي

- (١) «الشعراء والصعاليك» الدكتور يوسف خليف ص ٣٣٢
- (٢) ص ٣٣٤ نفس المصدر.
- (٣) «تاريخ رجال الحجر» مؤلفه سعيد بن عوض الأسمرى ص ٨١ و ٨٥.
- (٤) «صفة جزيرة العرب» الهمداني ص ٣٦٩ وما بعدها.
- (٥) المصدر ص ٢٦٠.
- (٦) «معجم البلدان» للحموي ص ١٧١ جزء ٤.
- (٧) نفس المصدر ج ٢ / ٧٥.
- (٨) نفس المصدر ج ٢ / ٤٨٥.
- (٩) «تاريخ رجال الحجر» ص ٨٦ و ٨٧.

(شقراء الوشم)

الله أكبر .. إنها الشقراء
 هذي مباسمها تبدت لؤلؤا
 تاقت إليها في السمو سماؤنا
 وتزاحمت صور الطبيعة لهفة
 والسحب ماست بالظفائر حلوة
 والمهر من تبر الرمال صياغة
 يا أيها الشقراء أنت مليحة
 تبدين أرضا في الطبيعة رقعة
 والشعر ينظم في بهاك قصائدا
 وتنافست في حب أرضك أغصن
 وهفا النسيم مهفهفا في رقة
 والطير أنشد دون أي قصيدة
 تغنيك عن وصف المها الأسماء
 وبكل ناحية سنا وسناء
 ورنت إليها عينها الزرقاء
 فتساقطت دمعاتها الأنواء
 فتهدلت ينساب منها الماء
 جاءت له بنقائه الدهناء
 حنت إليك بعشقتها الورقاء
 لكن حسنك ذروة وسماء
 ماضمها الإيطاء والإقواء
 وبراعم قد شاقهن بقاء
 تبدو عليه سعادة وهناء
 فالشعر أنت، وأنت أنت غناء

* * *

يادار علم للأنام ثرية
 يادار قوم في الحروب أشاوس
 يادار قوم في التجارة برهنوا
 يا أرض قوم في السخاء حواتم
 أنت الضياء فشعشت أرجاء
 لكنهم لحمى الهدى أبناء
 أن النزاهة مهنة ووفاء
 وندى الكريم مودة وصفاء

يادار قوم في المبادئ أثبتوا
الناس فيها صفوة بل نخبة
ليست بحاجة أن تعد صفاتها
هي في الحقيقة فوق كل حروفنا
أن المروءة ديدن ونقاء
يسمونها خلق العلاء وحياء
أو تستشف لحسنها الآراء
يكفي مديحا: (هذه شقراء)

* * *

لا تقبلي مدحا إذا هو ضيق
كوني كعود حازم في حزمة
كوني لسان تآلف وتوحد
والعقل يعظم كلما زانت له
لو كان فيك من الجمال نقائص
فالمسلمون أخوة وسواء
رفعت إلى القدس الشريف حُداء
فالجمع في درب الإخاء نماء
لغة التواصل فالعداء فناء
لأزاحها بيد الطموح بناء

* * *

أنت الأبيبة دون أي تعصب
مستفعلن مستفعلن مستفعلن
فالمجد يطلب، والتعصب داء
إن الظلام تذييه الأضواء

الرياض: علي بن محمد العيسى

«العرب»: أُلْفَتْ عن مدينة (شقراء) مؤلفات حديثة، منها كتاب «شقراء»
للدكتور محمد بن سعد الشويعر وكتاب «شقراء» الأستاذ محمد بن إبراهيم
العمار، إلا أن تاريخها القديم - كغيرها من مدن نجد - لا يزال مجهولاً ولكن
الأمال القوية بأن بين هذه الصفوة من شباب البلاد الذين وردوا جميع مناهل
العلوم والمعارف من يحاول سدَّ الثغرة.

مع القراء في أسنلتهم وتعليقاتهم:

آل صقيه من الوهبة من بني تميم

اطلعت على كتاب «معجم أسر بني تميم في الحديث والقديم» لمؤلفه حمد ابن ناصر آل وهيب، وهو كتاب جدير بالاهتمام بذل فيه المؤلف الكثير من وقته وجهده رحمه الله.

وقد ورد في ج ٢، ص ٧٠٨ بعنوان (أسر لم تلحق إلى فروع) وذكر منهم آل شايح (الشايح) في صبيح من قرى الرس. كما أن هناك أسر من آل صقيه في صبيح لم يوردها المؤلف في كتابه، ولم ترد أيضًا في كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد».

وأجدها مناسبة لكي أقوم بتفصيل شامل للأسر التي تلتحق بـ (آل صقيه) ممن استوطنوا بلدة (صُبَيْح) أو استقروا في (النبهانية) بعد نزوح أجدادهم إليها.

١- آل جلهمي (الجلهمي) في (صبيح) من آل صقيه من الوهبة من بطن حنظلة وهم أبناء عم للعيسى والعكوز، وهم من ذرية محمد بن عبيد بن صقيه له من الأبناء اثنين صالح - وحمود (١٢٩٠ / ١٣٥٥ هـ) وقد تفرقوا في مناطق مختلفة، ومنهم من يسكن (عفيف) والمنطقة الشرقية، وهم غير جلاهمة العتوب (بني عتبة) الذين ينتمي إليهم رحمة بن جابر.

٢- آل جميل (الجُمَيْل) في صبيح من آل صقيه من الوهبة من بطن حنظلة، وهم أبناء عم للعكوز وهم من ذرية صالح بن عبدالله بن عبيد بن صقيه (١٢٨٥ / ١٣٤٠ هـ) له من الأبناء عبدالله (١٣٠٤ / ١٣٧٩ هـ) وسليمان (١٣٣٥ / ١٤١٢ هـ).

٣- الحصان في صبيح والرس من آل صقيه من الوهبة من بطن حنظلة من بني تميم وهم أبناء عم للشايح والعقيل ومنهم محمد بن سليمان بن فهد الحصان (١٢٩٤ / ١٣٥٩ هـ) وفهد بن خليفة بن فهد الحصان (١٣٢٢ / ١٣٩٢ هـ)، وله من الأبناء أربعة أغلبهم يحملون اسم الصقيه.

أيضاً أود تصحيح ما ورد في مجلة «العرب» س ٣٣، ص ٧٠٨ حيث ذكر الأخ محمد الفهد التميمي من (حائل) في مقالة (أسر تميمية لم ترد أسماؤها في الكتاب) وذكر منهم الحصان بأنهم من آل صقيه وأنهم عدة فروع منهم الحصان هاؤلاء والخليفة والعيسى والعيادة في مدينة (جُبّه).

والصحيح بأن أسرة العيادة تميمية النسب ولا أعرف أنها تلتحق بآل صقيه أو فروعها.

٤- الخليفة عائلة صغيرة متفرعة من أسرة الحصان من آل صقيه من الوهبة، وتسموا بالخليفة نسبة إلى جددهم خليفة بن فهد بن فرج بن زايد بن صقيه (١٢٨٧/١٣٥٢هـ) و يقيمون في حائل ولا يوجد في صبيح منهم أحد.

٥- آل شايح (الشايح) في (صبيح) و (النبهانية) من آل صقيه من الوهبة من بطن حنظلة أحد بطون بني تميم ومنهم صالح بن راشد بن شايح بن فرج بن صقيه (١٢٩٦/١٣٧٦هـ) وله من الأبناء أربعة سكنوا (صبيح) من بعده، أما أخوه عبدالله بن راشد (١٢٨٧/١٣٦١هـ) فقد استقر به المقام في (النبهانية) وأولاده الثلاثة وأحفادهم من بعده.

وأود التنويه بتصحيح ما ورد في مجلة «العرب» س ٣٠، ص ٦٩٢ حيث ذكر الأخ عبدالرحمن بن سليمان الشايح (ولا أعلم أنه يمت لهاؤلاء بصلة) بأن الشايح في صبيح من المشاركة من الوهبة من تميم والصحيح ما ذكرته آنفاً.

٦- آل عقيل (العقيل) في (الخبراء) من آل صقيه من الوهبة من بطن حنظلة من بني تميم، نزحوا قديماً من (صبيح) وسكنوا (الخبراء) ومنهم من نزح إلى بغداد وهم من ذرية عقيل بن محمد بن زايد بن صقيه ومن أحفاده عقيل بن محمد بن عقيل (١٣٠٩/١٣٩١هـ) وهم أبناء عم للشايح والحصان والآن لا يوجد أحد منهم في (صبيح) وأغلبهم يحملون اسم الصقيه.

٧- آل عكَّوز (العكوز) في صبيح ذكرهم صاحب كتاب «أسر بني تميم» في

الصفحة ٤٦٧ حيث ذكر بأنهم (في القصيم من آل صقيه من الوهبة من بطن حنظلة أحد بطون بني تميم)، وأضيف إلى ما ذكر بأن العكوز في صبيح إحدى قرى الرس، وهم من ذرية محمد بن عبدالله بن عبيد بن صقيه المتوفى عام ١٣٢٥هـ وله من الأبناء ثلاثة ومن أحفاده فضيلة الشيخ محمد بن سعد العكوز رئيس محاكم جازان سابقًا وعضو هيئة التمييز بمكة المكرمة الآن، وقد تفرقوا في مناطق مختلفة ولا يوجد في صبيح إلا القليل منهم.

٨- آل عيسى (العيسى) في صبيح ذكرهم المؤلف في ٤٧١ وهم من آل صقيه من الوهبة من بطن حنظلة، كما أنهم أبناء عم للجلهمي والعكوز، وقد خرجوا من صبيح في الخمسينات الهجرية، وهم من ذرية عيسى بن عبيد بن صقيه وله من الأبناء عبدالله وفهيد، ومنهم معالي السفير الشاعر محمد الفهد العيسى.

٩- آل فهيد (الفهيد) في صبيح من آل عيسى من آل صقيه من الوهبة، وهم من ذرية فهيد بن عيسى بن عبيد بن صقيه، والآن لا يوجد أحد منهم في صبيح.

١٠- آل كحلان (الكحلان) في صبيح من آل صقيه من الوهبة من بطن حنظلة وهم أبناء عم للشايح وهم من ذرية محمد بن راشد بن شايح بن صقيه (١٢٦٥ / ١٣٦٠هـ) وله من الأبناء ثلاثة، لا يوجد أحد منهم في صبيح.

وخلاصة القول فإن جميع الأسر المذكورة ممن استوطنت بلدة صبيح أو استقرت قديمًا في النبهانية أمثال حمد بن علي بن حمدان بن صقيه (١٣٠٠ / ١٣٧٥هـ) ودخيل بن حماد بن حمد بن حمدان بن صقيه (١٣١٦ / ١٣٨١هـ) وأخوه عبدالله بن حماد (١٣٢٣ / ١٣٨٤هـ) إضافة إلى ناصر بن الحميدي بن سعود بن حمد بن صقيه (١٣٣٠ / ١٣٦٨هـ) جميعهم وذريتهم من آل صقيه من آل بسام بن عساكر ابن بسام بن عقبة بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب من بطن حنظلة ابن مالك بن زيد مائة بن تميم.

وفي الختام أود أن أنوه بأن آل إبراهيم (البراهيم) الذين أشار إليهم الشيخ حمد

الجاسر في كتابه «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» القسم الأول ص ١٦ هم من ذرية إبراهيم بن حمد بن عبدالله بن صقيه (١٣٠٦/١٣٧٦ هـ)، وكان يطلق عليهم اسم البراهيم كتعريف داخل البلدة نسبة إلى جدهم المذكور، إذ لا يوجد أسرة من آل صقيه تحمل اسم (البراهيم) وهم من آل صقيه.

هذا ما أردت توضيحه عن تلك الأسر الكريمة من آل صقيه متوخياً الدقة والبحث والتقصي لفترة ليست بالقصيرة، والله الهادي إلى سواء السبيل،

محمد بن خليفة بن فهد الحصان الصقيه

أسرة آل عيبان

كتب إلى مجلة «العرب» الأخ الأستاذ عبدالرحمن بن ناصر العيبان مستوضحاً عن بعض مشاهير أسرته ومنهم الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن عيبان، وهو جده من جهة والدته، الذي سافر إلى البحرين، واستقر فيها وتولى القضاء، وتزوج بنتاً من آل خليفة حكام البحرين، ثم نزع منها إلى نجد ومعه زوجته التي انجبت له ابنه محمد الذي لازم أباه في تعلم القراءة والكتابة وهو الشاعر. ثم أورد شيئاً من شعره. ويؤسفني أنني لا أتذوق الشعر العامي، ومن هنا فليس لي اطلاع واسع ولا معرفة به.

أما أسرة آل عيبان فقد تكرر ذكرهم في كثير من مؤلفات أهل نجد، حيث ذكرهم ابن بشر في كتابه «عنوان المجد في تاريخ نجد» حوادث سنة ١١٧٩ بما نصه^(١): (وفيها قُتل عيبان واثنان من أولاده، قتلهم أهل شقراء، بلغهم أنهم يعاونون الأعداء، فأرسلوا إليهم وهم في بلدة الفرعة وقتلوهم).

وفي حوادث سنة ١٢٦٢ قال:^(٢) (وفيها أمر الإمام فيصل على عبدالعزيز بن عيبان يكون إماماً لأهل الناحيتين، أهل الوشم وسدير، ومذكراً لهم، فكان في مدة هذه الغزوة يذكروهم ويرأوهم بالمواعظ ويباكرهم، وله قراءة على الشيخ عبدالرحمن [بن حسن] في تاريخ الإسلام والسير، وكان له معرفة في التفسير

والحفظ، بحيث لا يماثله غيره، خصوصًا في تفسير الإمام المحدث ابن كثير، فإنه كان قد اعتنى به في صغره وقرأه مرارًا، فكان مبلغًا وواعظًا).

وقال في حوادث سنة ١٢٦٣^(٣): (وفي المحرم أرسل عبدالله بن رشيد رئيس الجبل إلى الإمام فيصل يطلب النصر، وذلك أن بينه وبين عنزة محاربات قديمة، وأوقع بهم عدة وقائع... فجهز له الإمام فيصل من الرياض مئة وخمسين مطية، عليها رجال من خدامه، وأمر على بلدان سدير بغزو يتحملون معهم، واستعمل في الجميع أميرًا عبدالعزيز بن مشاري بن عياف أمير سدير، وأمر على الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن عيبان يركب معه إمامًا للغزو، فركب ابن عياف ونزل الصمان وبلغه أن عبدالله بن رشيد أغار على عدوه وقضى وطره، وأرسل عبدالعزيز يخبره بإقباله ومكانه، فأقام في الصَّمان نحو أربعة عشر يومًا يرقب رد الكتاب من ابن رشيد، فأبطأ عليه الخبر، فرحل وقصد الكويت يطلب ابن رشيد، فبلغه أن ابن رشيد رجع إلى وطنه فقفل راجعًا).

وفي حوادث سنة ١٢٦٥ في الكلام على الإمام فيصل^(٤): (واستخلف أخاه عبدالله أميرًا في الرياض وأمره أن لا يخرج من القصر، وأمر على الشيخ عبدالعزيز ابن عيبان أن يكون عنده إمامًا مذكَّرًا، وكان ذا معرفة في التفسير والتذكير).

واطلعت على نسخة مخطوطة من كتاب «عنوان المجد» كانت في خزانة آل رشيد وفي طرتها: (ملكه بفضل ربه المنان عبدالعزيز بن حمد بن عيبان) ثم ترجمة للشيخ عثمان بن بشر، وكان مما كتبت تعليقًا على هذا: أن الشيخ عبدالعزيز ذو اهتمام بتاريخ ابن بشر، وهو معاصر للإمام فيصل، وأنه اقتنى مخطوطة الفاخري بعد وفاته سنة ١٢٧٧، ومن أسرة لا تزال معروفة في سدير إلى عهدنا الحاضر ينتمون إلى الحمران من آل رحمة من النواصر من بني تميم.

ثم نقلت بعض المعلومات التي تتعلق به والتي سبق ذكرها وقلت: ومما تنبغي ملاحظته أن ابن عيبان - رحمه الله - وهو أقدم من أرخ ابن بشر - نسبه إلى بني زيد أهل شقراء، وجاء الشيخ محمد بن مانع في طبعته المختصرة، فذكر أنه من

النواصر، والمؤرخ ابن بشر نص ابن عيسى في حوادث سنة ١٢٩٠^(٥) على أنها سنة وفاته، وعلى أنه من بني زيد، ولا يزال في جلاجل وبريدة والأسياح أسرة تدعى آل بشر، يتسبون إلى المؤرخ عثمان، ويذكرون أنهم من الحراقيص من بني زيد، وعلى هذا الأساس سار الدكتور عبدالعزيز الخويطر في كتابه «عثمان بن بشر منهجه ومصادره»^(٦).

وتلقيب ابن بشر لابن عيبان بـ (الشيخ) يدل على أنه بلغ مرتبة من العلم في ذلك العهد حيث لا يطلق هذا اللقب إلا على من تأهل لتولي القضاء، ومن هذه صفته قل أن يُهمل دون ترجمة، وأتوقع أن له ترجمة لدى بعض المعنيين بتراجم متأخري علماء الحنابلة كالأستاذ المحقق الدكتور عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، أبرز عالم معني بذلك في عصرنا^(٧).

أما نسب آل عيبان فقد فصله الأستاذ عبدالله بن مساعد بن عبدالرحمن الفايز في كتابه «البواصر في التعريف بأسر النواصر»^(٨) فقال عن تفريع الحسانا من آل رحمة، أن عبدالله بن محمد بن حسين له ستة أبناء فذكر منهم إبراهيم الذي أنجب سبعة أبناء منهم عُضَيْب ويطلق على فرعه (العُضَيْب) وقد تفرع منه عدة فروع بأسماء أخرى منهم: العيبان ومن علمائهم الشيخ عبدالله بن عضيب (١٠٧٠ / ١١٦١) ومنهم محمد بن عبدالله بن عيبان الذي كان وكيلاً للحرس الوطني في المنطقة الغربية قبل وفاته - رحمه الله.

هذا ما لدي عن هذه الأسرة كتبته تحقيقاً لرغبة السائل الكريم.

الحواشي:

- (١) ج ١، ص ١٠١ طبعة الدارة.
- (٢) ج ٢، ص ٢٣٥.
- (٣) ج ٢، ص ٢٣٩.
- (٤) ج ٢، ص ٢٥٦.
- (٥) «عقد الدرر» حوادث سنة ١٢٩٠. (٦) ص ٨، الطبعة الثانية.
- (٧) نشرت ذلك في «المجلة العربية» عدد ٢٥٠ القعدة ١٤١٨.
- (٨) ج ١، ص ٥٨ وما بعدها.

آل سلامة والعطا الله في الزلفي من النواصر

كتب إلى «العرب» الأخ صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل سلام (: بأنه لم يرد في كتاب «أنساب الأسرة المتحضرة في نجد» عند ذكر فروع النواصر في الزلفي آل سلام والعطا الله وأضاف: وأسرة السلامة يرجع نسبهم إلى سلام بن محمد بن ناصر بن راشد ويتفرع منها: المحيا والواصل في الزلفي والحضاري بحايل والفراج بأرطاوي الرقاص وكانت مساكنهم قديمًا الروضة من قرى الزلفي، وأملاكهم موجودة باقية ومنهم الشيخ عبدالمحسن بن واصل بن سلامة من آل سلامة العالم المعروف إمام مسجد الواصل بالروضة من الأساعدة من الروقة من عتيبة ولد في بلدة الزلفي ونشأ وترعرع بها في كنف والده واصل بن سلامة بن محمد بن ناصر بن راشد الذي تولى تربيته وتعليمه، تعلم القراءة والكتابة بكتاتيب بلدته الزلفي وحفظ القرآن الكريم، وجد واجتهد في طلب العلم الشرعي على يد علماء أجلاء، حتى أصبح مرجعًا للعلم والفتيا في بلدته وبنى مسجد الواصل في بلدة الروضة بالزلفي، وتولى الإمامة فيه، وله دروس في العلوم الشرعية وهو من الدعاة المصلحين في بلده ومن الأعيان المشهود لهم برجاحة الرأي ففي عام ١٢٧٤هـ وجه الأمير فيصل بن تركي إلى أعيان الزلفي خطابًا يخبرهم فيه تعيين مجاهد بن عبدالله بن مجاهد أميرًا للزلفي ومن ضمن من وجه لهم الخطاب الشيخ عبدالمحسن بن واصل، من تلاميذه الشيخ عبدالعزيز بن محمد الطيار.

شمر القبيلة الطائية وأصلها

بعث الأخ عقيل بن إبراهيم من حايل استيضاحًا عن كتاب «مجمع الأنساب» لابن قدامة المتوفى سنة ٦٢٠هـ أشار إلى أن الأستاذ أبو عقيل الظاهري ذكره في كتابه «آل الجرباء». وقد رجعت إلى كتاب «آل الجرباء» فوجدت فيه ما نصه - ص ١٤ -: وأتوقع أن كتاب «مجمع الأنساب» لابن قدامة المتوفى سنة ٦٢٠هـ ربما أفاد

جديدًا وهكذا كل ما تأخر عصره. انتهى.

والواقع أنني لا أعرف لابن قدامة كتابًا بهذا الاسم، وما أعرف له في الأنساب هما «الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار» و«التبيين في نسب الصحابة من القرشيين» والكتابان مطبوعان، ورأيت الأستاذ الظاهري علق لي رأيًا تعليقًا على ما ورد في كتاب «عشائر العراق» للعزاوي وذكر أن الكتاب الذي رجع إليه الأستاذ العزاوي هو «مختصر جمهرة النسب» وليس لابن قدامة كما أوضحت هذا في مقالات لي في «مجلة المجمع العلمي العربي» بدمشق وفي مجلة «العرب».

وما أضيفه هنا هو أنني قد اهتمت إلى معرفة هذا المختصر وهو المبارك بن يحيى بن المبارك الغساني الحمصي، وأوضحت هذا في مقال نشرته «العرب» - س ٢١، ص ٢٨٩ وما بعدها -.

أما ما استوضح عنه الأخ عقيل مما ورد في هذا الكتاب الذي هو «مختصر جمهرة النسب» للمذكور فنصه: زُرَيْقُ بَطْنٌ وَشَمَّرُ بَطْنُ ابْنِ عَبْدِ جَدِيمَةَ بْنِ زَهْرٍ ابْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ سَلَامَانَ بْنِ ثَعْلَبِ^(١)، ولقيس بن شَمَّرٍ هذا يقول امرؤ القيس:

وَهَلْ أَنَا لَاقٍ حَيٍّ قَيْسَ بْنِ شَمَّرَا

ومنهم الجرنفش الشاعر من بني شَمَّرَ بن عبدة بن امرئ القيس بن زيد بن عبد رضا بن جديمة بن حبيب بن شَمَّرَ، وهو الذي أسرته الديلم وله حديث، سَبْعَةٌ بَطْنُ بَنِ عَوْفِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ سَلَامَانَ وَفِيهِ الْمَثَلُ الْمَقُولُ (لَأَعْمَلَنَّ بِكَ عَمَلِ سَبْعَةٍ).

عمرو بن درماء الذي نزل عليه امرؤ القيس بن حُجْرٍ، هو عمرو بن عدي بن وايل بن عوف بن ثعلبة بن سلامان.

ومنهم مالك بن أبي السمح المغنّي يعني من بني سلامان وكأنه من عوف بن ثعلبة والله أعلم. انتهى.

وفي كتاب «معد واليمن الكبير» لابن الكلبي - ٢٤٦/١ - طبعة ناجي حسن -
ما يزيد هذا إيضاحًا، فقد جاء في تفريع بني سلامان: وولد ثعلبة بن سلامان: عوفا
وزهيرًا وعمرًا وهو عيد، فولد زهير بن ثعلبة بن جذيمة، فولد عبد جذيمة بن زهير
زُرَيْقًا وشَمْرَ بطنان، فولد شَمْرُ بن عبد جذيمة قيسا وله يقول امرؤ القيس:

أجاز قَسَيْسًا فالطَّهَاءَ فَمِسْطَحًا وَجَوًّا فَرَوَّى نخل قيس بن شمرا
ومنهم الجرنفس بن عبدة الشاعر بن امرئ القيس بن زيد بن عبد رضا بن
خزيمة بن حبيب بن شَمْرَ الذي أسرته الديلم وله حديث. وحوس بن خالد بن
وديعة الشاعر بن ربيعة بن النبيت. انتهى.

ومما ينبغي ملاحظته أن الصديق الكريم الأستاذ عباس العزاوي - رحمه الله -
لا يعتمد على ما ورد في كتابه «عشائر العراق» عن أصول الأنساب، فقد وقعت
فيه أخطاء شنيعة في أصل قبيلة سبيع وأصل قبيلة حرب وغيرهما ونبهته على
ذلك عند اجتماعي به حين زرت بغداد وقد اقتنع برأيي ووعده بإصلاح ما ورد في
الكتاب عند إعادة طبعه كما نبهته على خطأ وقع فيه حيث نسب مخطوطة وصفها
في «مجلة المجمع العلمي العربي» بدمشق ونسبها للعمرائي تلميذ الزمخشري
فاطلعت على نص في مخطوطته بأنها ألقت في زمن الناصر الخليفة العباسي
الذي وقعت في أيامه حادثة بغداد الشنيعة وقتل فيها وذلك بعد عصر العمرائي،
فاستغرب من كونه فاته الاطلاع على هذا النص والكتاب بين يديه، وجَلَّ من لا
يغفل ولا يسهو.

الحواشي:

(١) وثعل هو ابن عمرو بن العوث بن طيء.

آل أبا الحصين من آل علي من آل محفوظ أهل الرس من العجمان

أطلعت على كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» واتضح لي بعض النقص والخطأ فيما ورد فيه عن الأسر المتممة إلى أسرة أبا الحصين أهل الرس فالأبا الحصين هم أبناء محمد الملقب أبا الحصين بن علي بن راشد بن محفوظ بن حدجان بن مرزوق بن علي الملقب عجيم بن هشام وقد اشترى الرس من أسرة آل صقيه من الوهبة من بني تميم سنة ٩٨٥هـ وعلى هذا فأسرة آل أبا الحصين تنتمي إلى آل علي من آل محفوظ من المرزوقيين من العجمان من الهواشم من مذكر من قبيلة يام وقد استقر محمد أبا الحصين في محلة (الجناح) في عنيزة فترة من الوقت بعد مجيئه من منطقة نجران ثم انتقل إلى الرس هو وأولاده بعد شرائها ويعد محمد المذكور الجد العاشر للجيل الحاضر تقريباً وله من الأولاد خمسة هم: علي وحمد وشارخ وسليمان ورميحي، وعدد الذكور من أبناء تلك الأسر الذين على قيد الحياة حتى شهر رمضان ١٤١٦هـ حسب الإحصائية الموجودة لدي من شجرة آل أبا الحصين المطبوعة (٧٠٠٠) شخص وهم على النحو التالي:

أولاً: أبناء علي بن محمد أبا الحصين بن علي بن راشد بن محفوظ وله ثلاث أولاد زامل وحمد وسليمان، وفيه الأسر التالية:

أ- الرشيد أبناء رشيد بن زامل بن علي بن محمد أبا الحصين.

ب- العفيسان أبناء زامل الملقب (عفيسان) بن رشيد بن زامل بن علي بن محمد أبا الحصين ولا يتسمى بهذا اللقب أحد في الوقت الحاضر إذ أنهم حملوا لقباً جديدة وهم:

١- الصغير أبناء محمد الملقب (الصغير) بن زامل بن حمد بن زامل الملقب (عفيسان) بن رشيد بن زامل بن علي بن محمد أبا الحصين وهاؤلاء من سكان مدينة عنيزة.

٢- الشَّريف تصغير شريف وهم أبناء حمد الملقب (الشريف) بن علي بن

زامل بن حمد بن زامل الملقب عفيسان بن رشيد بن زامل بن علي بن محمد أبا
الحصين وهم من سكان مدينة عنيزة.

ج- السعود أبناء سعود بن عبدالعزيز بن رشيد بن زامل بن علي بن محمد أبا
الحصين.

د- الرفاع أبناء علي الملقب (رفاع) بن محمد بن عبدالعزيز بن عبدالله بن
عبدالعزيز بن رشيد بن زامل بن علي بن محمد أبا الحصين.

هـ- القرناس أبناء الشيخ قرناس بن عبدالرحمن بن قرناس بن حمد بن علي
ابن محمد أبا الحصين.

و- أبا الحصين وهم أبناء علي الملقب (أبا الحصين) بن حمد بن علي بن
محمد أبا الحصين انتقلوا إلى عنيزة من الرس ثم إلى تدمر بالشام ثم عادوا إلى
عنيزة وشهرتهم الآن الحصين.

ز- الطولان وهم أبناء سليمان الملقب (الطويل) بن علي بن محمد أبا الحصين وهم:

١- الرميح أبناء رميح بن سليمان الملقب (الطويل) بن علي بن محمد أبا
الحصين ومنهم الرميح أبناء سالم بن رميح بن سليمان في عنيزة.

٢- المزروع أبناء مزروع بن سليمان بن محمد بن سليمان الملقب (الطويل)
ابن علي بن محمد أبا الحصين.

٣- النصيان أبناء عبدالله الملقب (نصيان) بن عليان بن محمد بن سليمان
الملقب الطويل بن علي بن محمد أبا الحصين.

٤- الدغش أبناء دغش بن سليمان الملقب (الطويل) بن علي بن محمد أبا
الحصين انتقلوا من الرس إلى مسكة ثم إلى عفيف والرياض.

٥- الطويل وهم أبناء راشد بن سليمان بن راشد بن سليمان الملقب الطويل
ابن علي بن محمد أبا الحصين وهم بالرس وعفيف.

٦- القحم والعقبلي وقد انقرضوا.

ثانيًا: أبناء حمد بن محمد أبا الحصين وله ولدان محمد وناصر وفيه الأسر التالية:

- ١- العساف أبناء عساف بن محمد بن حمد بن محمد أبا الحصين.
- ٢- الحواس أبناء عبدالله الملقب (حواس) بن عساف بن ناصر بن عساف بن حسين بن عساف بن محمد بن حمد بن محمد أبا الحصين.
- ٣- العواجي أبناء محمد الملقب (العواجي) بن عساف بن محمد بن حمد بن محمد أبا الحصين.
- ٤- الدخيلي أبناء دخيل بن محسن بن محمد الملقب (العواجي) بن عساف ابن محمد بن حمد بن محمد بن محمد أبا الحصين.
- ٥- العماش أبناء محمد الملقب (عماش) بن حسن بن حسين بن محمد الملقب العواجي بن عساف بن محمد بن حمد بن محمد أبا الحصين.
- ٦- العميل أبناء جاسر الملقب (العميل) بن ناصر بن حمد بن محمد أبا الحصين.
- ٧- العذل أبناء عدل بن جاسر بن ناصر بن حمد بن محمد أبا الحصين.
- ٨- الحميد أبناء حميد بن ناصر بن حمد بن محمد أبا الحصين.
- ٩- العقلان أبناء محسن الملقب (عقلان) بن صالح بن حميد بن محمد بن حميد بن ناصر بن حمد بن محمد بن محمد أبا الحصين.
- ١٠- الصبي أبناء ناصر الملقب (الصبي) بن حميد بن ناصر بن حمد بن محمد أبا الحصين.
- ١١- الدليمان وقد انقرضوا.

ثالثًا: رميحي أبناء رميحي بن محمد أبا الحصين ويقطنون في الرس وعنيزة والمريديسية.

رابعًا: سليمان بن محمد أبا الحصين وذريته العويصي وهم أبناء حمد بن إبراهيم

ابن حمد بن سليمان الملقب (العويصي) بن محمد أبا الحصين وقد انتقلوا من الرس
أواخر القرن الحادي عشر الهجري تقريباً إلى عنيزة ثم إلى عين الصوينع في السر.
خامساً: أبناء شارخ بن محمد أبا الحصين وله خمسة أولاد عبدالله ومفيز
وفوزان وسليمان ومحمد وفيه الأسر التالية:

١- الدهلاوي أبناء عبدالله الملقب (الدهلاوي) بن شارخ بن محمد أبا
الحصين ومنهم الطفش وقد انقرضوا.

٢- العواجي أبناء محمد الملقب (العواجي) بن شارخ بن محمد أبا الحصين
ومنهم الزراج أبناء حماد الملقب (الزراج) بن إبراهيم بن محمد الملقب العواجي.

٣- أبناء سليمان بن شارخ وفيه الأسر التالية:

أ- الغفيلي أبناء سالم الملقب (الغفيلي) بن سليمان بن شارخ بن محمد أبا
الحصين ومنهم أسرة الأُمير أبناء ناصر بن عبدالله بن سالم الملقب الغفيلي ومنهم
آل بنقي أبناء محمد بن عبدالله بن سالم الملقب الغفيلي.

ب- الجري وهم أبناء عبدالله الملقب (جري) بن إبراهيم بن سليمان بن شارخ
ابن محمد أبا الحصين.

ج- الجمعة أبناء جمعة بن إبراهيم بن سليمان بن شارخ بن محمد أبا
الحصين.

د- العلي وهم أبناء علي بن إبراهيم بن سليمان بن شارخ بن محمد أبا
الحصين ويتوزعون إلى ثلاث أسر وهم:

- المطوع أبناء عبدالله بن علي بن إبراهيم بن سليمان.

- الأصقه أبناء محمد بن علي بن إبراهيم بن سليمان.

- الحزّاب أبناء حزاب بن علي بن إبراهيم بن سليمان.

٤- أبناء مفيز بن شارخ بن محمد أبا الحصين وفيه الأسر التالية:

أ- المجهود أبناء محمد بن علي بن محمد الملقب (مجهود) بن حضيرم بن إبراهيم الملقب قرطان بن حميدان بن مفيز بن شارخ.

ب- الذيب أبناء محمد الملقب (الذيب) بن زبيل بن حمد بن مفيز وقد انقرضوا.

ج- الأكرش أبناء محمد الملقب (الأكرش) بن محمد بن مفيز بن شارخ ومنهم العيص أبناء فواز الملقب العيص بن محمد الملقب الأكرش ومنهم الحزابي أبناء حزاب بن مفيز بن محمد الملقب الأكرش.

د- الهوشان أبناء حمد الملقب (هوشان) بن محمد بن عمر بن فوزان بن حمد ابن مفيز بن شارخ.

هـ- الحمد أبناء حمد بن عمر بن فوزان بن حمد بن مفيز بن شارخ.

و- الرميح أبناء رميح بن عمر بن فوزان بن حمد بن مفيز بن شارخ ومنهم العامر أبناء عامر بن رميح بن عمر بن فوزان.

ز- العليان أبناء عليان بن شارخ بن مفيز بن شارخ بن محمد أبا الحصين.

ح- الشارخ وهم أبناء شارخ بن مفيز بن شارخ بن محمد أبا الحصين.

٥- أبناء فوزان بن شارخ بن محمد أبا الحصين وفيه الأسر التالية:

أ- المزيد أبناء مزيد بن مسعود بن عمر بن فوزان بن شارخ بن محمد أبا الحصين ومنهم المتعب أبناء متعب بن محمد بن مزيد بن مسعود بن عمر بن فوزان يقطنون كل من الرس وضرية وعفيف وتيماء والدوادمي.

ب- البلطان أبناء محمد الملقب (بلطان) بن علي بن سليم بن فوزان بن شارخ.

ج- العيشي أبناء صالح الملقب (العيشي) بن إبراهيم بن علي بن سليم بن فوزان بن شارخ.

د- أبو فقارة أبناء علي الملقب (أبو فقارة) بن عبدالله بن سليم بن فوزان بن شارخ.

هـ- العلوان أبناء محمد الملقب (علوان) بن سالم بن حمود بن سليم بن فوزان بن شارخ.

و- السليم في دومة الجندل في الجوف، وهم أبناء عبيد بن علي بن حمود بن سليم بن فوزان بن شارخ.

ز- الشارخ (أهل المطية) أبناء شارخ بن فوزان بن شارخ بن محمد أبا الحصين ومنهم الفديح أبناء محمد الملقب (فديح) بن علي بن شارخ بن فوزان بن شارخ ومنهم العضيبي أبناء صالح الملقب (عضيبي) بن علي بن شارخ بن فوزان بن شارخ. هاؤلاء هم آل الحصين أهل الرس فأبناء شارخ وسامة العرقاة + وأبناء حمد وعلي وسليمان ورميحي وسامة الهلال ^١ وجميع تلك الأسر تقطن مدينة الرس ما عدا أسرة العويصي في عين الصوينع بالسر، وأسرة الرميحي بعضهم في مدينة عنيزة والمريديسية وأيضاً أسرة الصغير وأسرة الشريف وأسرة الحصين وأسرة الرميح في عنيزة. واستكمالاً للفائدة أود أن أضيف بعض المعلومات عن بعض الأسر التي تنتمي إلى قبيلة العجمان في نجد وهم:

- ١- الجفن في مدينة عنيزة ثم انتقلوا إلى مدينة رابغ وهم من آل محفوظ من العجمان.
- ٢- آل اليميني في الدلم بالخرج وهم من آل ذایل من آل محفوظ من العجمان.
- ٣- آل خزيم بالدلم بالخرج من آل سعدي من آل هتلان من العجمان.
- ٤- آل جوفان في أوسيلة بالصروح بالوشم من آل معتق من آل هتلان من العجمان.
- ٥- آل حمد في مدينة حائل من آل مفلح من العجمان.
- ٦- آل بريكان في عنيزة من آل محفوظ من العجمان.

الرياض: محمد بن عبدالله المتعب المزيد

العبيكي في عنيزة من آل جناح من بني خالد

بعث إلى مجلة «العرب» الأخ محمد بن صالح العبيكي مستدرکاً على عدم ذكر أسرته الكريمة في كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» فكان مما قال بعد ثنائه على الكتاب وموالة نشر الملاحظات والاستدراكات: ولي بعد

ذلك مشاركة أقدمها بين يديكم وهي وإن كانت متأخرة إلا أنه لا بد منها فقد سقط اسم أسرتنا (العبيكي) ضمن سردكم للأسر الخالدية في نجد في كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد».

وزيادة في الإيضاح أقول: اسم عائلتنا (العبيكي) - بفتح العين - أسرة خالدية من سكان القصيم، وتحديدًا في عنيزة، من آل جناح من الجبور من بني خالد، وهي غير عائلة العبيكة - بالهاء - في المنطقة الشرقية، وهي التي أوردتموها، وإن كانت خالدية أيضًا، وهذه النسبة هي النسبة المشهورة المستفيضة عندنا، جاء في كتاب «النجم اللامع للنوادر جامع» تأليف الشيخ محمد بن علي آل عبيد في آخره بما هذا نصه: (أغلب بني خالد بقايا أهل الجناح الذين جلوا من عنيزة في آخر القرن الثاني عشر الهجري، حينما سار ثويني المنتفق من العراق ونزل القصيم وكان معه جيش جزار، فعاث في الديار قتلاً ونهباً وتشريدًا، فمن بني خالد الحبيب والبراك.... والعبيكي والمغاولة والونين) إلى آخر ما ذكر من الأسر الخالدية.

كما ذكر الشيخ محمد العثمان القاضي في كتابه «منهاج الطلب» - ص ٥٧ - اثنين من رجالات العائلة المشهورين وأرخ وفياتهم ونص ما ذكر: العبيكي بعنيزة ومن أبرزهم عبدالله السليمان ومحمد السليمان وكانا من رجال الدين، الأول توفي سنة ١٣٦١ والثاني محمد توفي سنة ١٣٦٨).

وقد ذكر هذه النسبة أيضًا الأستاذ محمد بن ناصر الهزاع في بحثه عن بني خالد المنشور في «العرب» س ٢٦ وما بعدها وأشار إلى أننا والنعيم والمطرودي والونين والجابر أبناء عمومة وجميع هذه الأسر متفرعة من أسرة الخويطر، وما ذكره صحيح وهو المعروف.

هذا ما أحببت الإشارة إليه فيما يتعلق بملاحظتي على السقط المشار إليه.

عنيزة: محمد بن صالح العبيكي

* «أنساب الأشراف» للبلاذري

[انظر «العرب» س ٣٣، ص ٢٤٣]

يوشك أن يكون ما ألفه البلاذري من كتاب «أنساب الأشراف» قد أُعدَّ للطبع محققًا، ومنه ما صدر، كما صدرت مطبوعة كاملة منه، يقال: إنها محققة، ولم أعن بالتثبت من هذا، فالكتاب جميعه وُكِّل إلى أناس يعدون من خيرة المعنيين بتحقيق التراث، اختارهم (المعهد الألماني للأبحاث الشرقية) في بيروت، وصدرت أجزاء منه، هي بين أيدي القراء، منها ما حققه الأستاذان الجليلان الدكتور إحسان عباس والدكتور عبدالعزيز الدوري وغيرهما.

إلا أن باحثًا جليلاً صرف همهته وجل جهده بتحقيق كتب النسب هو الأستاذ محمود فردوس العظم، قد اتجه لتحقيق الكتاب جميعه، وصدر بعض أجزائه، وآخرها ما اطلعت عليه منها هو الجزء الرابع (العنابس من ولد أمية الأكبر بن عبد شمس، معاوية، زياد، يزيد).

وقد رأيت من قبيل تقدير عمل الأستاذ العظم والاعتراف بفضله في هذا المجال التحدث عن هذا الجزء الذي صدر في (تشرين الثاني ١٩٩٨م) فقد صدَّرَه بمقدمة استغرب فيها الطريقة التي أشار إليها أستاذنا الدكتور عبدالعزيز الدوري من حيث تقسيم الكتاب إلى ستة أقسام قائلًا: ولا أعرف من الذي ارتأى ذلك حسب طبيعة الكتاب وموضوعاته، فليس في الكتاب موضوعات، وإنما هو كتاب نسب، كأنه شريط (سينمائي)، أمامك المنسوب وجميع ما حدث له من ولادته إلى مماته.

وأضاف: ولذا فقد قسمت الكتاب بحسب النسب، فلم أدخل بطنًا مع بطن آخر،

أو عمارة مع عمارة أخرى، ما أمكنني، ولذلك ستجد في هذا الكتاب أنني خصصته للعنابس من أمية الأكبر، وأخرجت عثمان منه إلى الكتاب الذي بعده، لأنه من الأعياص وليس من العنابس، رغم أن الدكتور إحسان عباس قد جعله مع العنابس في كتابه، ولم أدخل خبر سقيفة بني ساعدة في كتابي الجزء الأول كما فعل الدكتور محمد حميد الله، لأن أخبار السيرة تنتهي بوفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

وقد وضع له المحقق الكريم فهارس تسهل الموضوع الذي ذكر العَلَمَ فيه من أجله، ونبه إلى بعض أخطاء وقعت في تحقيق أستاذنا الدكتور إحسان عباس مع تقديره وإجلاله واحترامه له، وقد وقع هذا الجزء في (٤٧٤) من الصفحات متبعة بالفهارس إلى ص (٥٣٥) وهي فهارس مفصلة، والطباعة حسنة.

وقد بذل المحقق الفاضل جهدًا بارزًا بإضافة بعض التعليقات والحواشي إلى ما هو بحاجة إلى ذلك، مع التنبيه إلى اختلاف بعض النسخ، والإشارة إلى بعض مصادر القصص والأخبار، فيما هو متداول ومعروف من المؤلفات.

وكنت أود أن لديّ من الاستطاعة ما يمكنني من مقارنته بالمخطوطة الأصلية كما فعلت في الجزء الذي قبله، ولكنني لم أتمكن من هذا، لا لعدم ثقة بعمل الأستاذ العظم، ولكنني أدرك كغيري أن داء التطبيع (الخطأ المطبعي) قل أن يسلم منه كتاب مهما بُذل في سبيل تصحيحه والعناية به.

وقد أصبح الكتاب بكثرة مطبوعات وبانتشار المخطوطة الأصلية بين أيدي القراء، ولا يعيب المعنيين بالتثبت من التحقيق الرجوع إلى ما بين أيديهم من الكتاب. وهذا لا يحول دون الاعتراف بالجهد البارز الذي يبذله الأخ الصديق الأستاذ محمود فردوس العظم في عنايته بالإنساب - زاده الله توفيقًا وتسديدًا - وفي عمله في هذا الكتاب.